



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.ir

الموسوعة القرآنية

المتخصصة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية  
(وزارة الأوقاف - جمهورية مصر العربية)  
القاهرة 1423 هـ / 2003 م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الموسوعة القرآنية المتخصصة

كاتب:

محمود حمدى زقروق

نشرت فى الطباعة:

وزراه الاوقاف مصر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٣٩	الموسوعة القرانية المتخصصة
٣٩	اشارة
٣٩	مقدمة
٤٠	كلمة التحرير
٤٠	السادة العلماء المشاركون فى تحرير الموسوعة ١
٤١	الوحى
٤١	اشارة
٤٣	***** أنواع الوحى و مراتبه:
٤٤	صور الوحى إلى النبى صلى الله عليه و سلم و كيفياته:
٤٧	الوحى القرآنى:
٥٢	[كيف بدا الوحى]
٥٥	***** [كتاب الوحى]
٥٥	اشارة
٥٦	[اقسام كتاب الوحى]
٥٦	اشارة
٥٦	فالقسم الأول: كتاب الوحى فى العهد المكى و من أبرزهم:
	و القسم الثانى: من كتب له صلى الله عليه و سلم فى الجملة- على حد تعبير الحافظ ابن حجر- و ترجح اشتراك كل منهم فى كتابة الوحى للنبي
٥٦	و أما القسم الثالث: فهم كتاب الوحى للنبي صلى الله عليه و سلم فى العهد المدنى، و من أبرزهم:
٦٢	أسباب النزول
٦٢	حقيقة سبب النزول (تعريف سبب النزول)
٦٢	اشارة
٦٣	الأمر الأول: معاصرة السبب لما نزل فى شأنه من الآيات:

- ٦٤ ..... الأمر الثانى: مجىء سبب النزول فى إحدى صورتين: .....
- ٦٥ ..... أبرز المؤلفات فى سبب النزول .....
- ٦٥ ..... طريق معرفة سبب النزول .....
- ٦٧ ..... الصيغ التى يرد بها سبب النزول .....
- ٦٧ ..... اشارة .....
- ٦٧ ..... الصيغة الأولى: .....
- ٦٨ ..... الصيغة الثانية: .....
- ٦٩ ..... تنوع أسباب النزول .....
- ٧٠ ..... فوائد معرفة أسباب النزول .....
- ٧٥ ..... عموم اللفظ و خصوص السبب .....
- ٧٥ ..... اشارة .....
- ٧٧ ..... أولا: أدلة الجمهور: .....
- ٧٨ ..... ثانيا: أدلة المخالفين: .....
- ٧٩ ..... تعدد الروايات فى سبب النزول .....
- ٨٢ ..... تعدد المنزل من القرآن و السبب واحد .....
- ٨٣ ..... أثر الجهل بسبب النزول .....
- ٨٤ ..... الفور أو التراخى فى سبب النزول .....
- ٨٧ ..... من نزل فيهم القرآن .....
- ٨٧ ..... اشارة .....
- ٨٧ ..... أولا: أمثلة ممن أنزل الله تعالى فيهم قرآنا من المؤمنين: .....
- ٨٨ ..... ثانيا: أمثلة ممن أنزل الله تعالى فى شأنهم قرآنا من الكافرين: .....
- ٩٦ ..... المبادئ العامة و القيم فى القرآن الكريم .....
- ٩٦ ..... اشارة .....
- ٩٧ ..... أولا: المبادئ العامة فى القرآن الكريم .....

- المبدأ العام: ..... ٩٧
- خصائص المبدأ: ..... ٩٧
- ثانيا: القيم فى القرآن الكريم: ..... ٩٩
- اشارة ..... ٩٩
- أولا: القيم الفردية، منها: ..... ١٠٠
- ١- اجتناب سوء الظن: ..... ١٠٠
- ٢- إخلاص السرائر: ..... ١٠٠
- ٣- الاستقامة: ..... ١٠٠
- ٤- الاعتدال: ..... ١٠٠
- ٥- التنافس فى الخير: ..... ١٠٠
- ٦- الثبات و الصبر: ..... ١٠١
- ٧- الرقة و التواضع: ..... ١٠١
- ٨- الصدق: ..... ١٠١
- ٩- طهارة النفس: ..... ١٠١
- ١٠- العمل الصالح: ..... ١٠١
- ١١- العفة و الاحتشام و غض البصر: ..... ١٠١
- ١٢- كظم الغيظ: ..... ١٠٢
- ثانيا: القيم الأسرية: ..... ١٠٢
- ١- الإصلاح: ..... ١٠٢
- ٢- بر الوالدين: ..... ١٠٢
- ٣- تربية الأولاد: ..... ١٠٢
- ٤- الزوجية: سكن و مودة و رحمة: ..... ١٠٢
- ٥- المساواة فى الحقوق و الواجبات: ..... ١٠٢
- ٦- المعاشرة بالمعروف: ..... ١٠٢

- ثالثا: القيم الاجتماعية: ..... ١٠٣
- ١- الإحسان للغير: ..... ١٠٣
- ٢- الأخوة: ..... ١٠٣
- ٣- أداء الأمانة: ..... ١٠٣
- ٤- أداء الشهادة الصادقة: ..... ١٠٣
- ٥- الاستئذان: ..... ١٠٣
- ٦- إصلاح ذات البين: ..... ١٠٣
- ٧- الإيثار: ..... ١٠٣
- ٨- التحية: ..... ١٠٣
- ٩- التراحم: ..... ١٠٤
- ١٠- التعاون على البر والتقوى: ..... ١٠٤
- ١١- التكافل: ..... ١٠٤
- ١٢- التمسك بالحق: ..... ١٠٤
- ١٣- خفض الصوت: ..... ١٠٤
- ١٤- الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر: ..... ١٠٤
- ١٥- الشفاعة الحسنه: ..... ١٠٥
- ١٦- العدل و الإنصاف: ..... ١٠٥
- ١٧- العفو: ..... ١٠٥
- ١٨- الكرم: ..... ١٠٥
- ١٩- مقابلة السيئه بالحسنه: ..... ١٠٥
- ٢٠- نشر العلم: ..... ١٠٥
- ٢١- الوفاء بالعهد: ..... ١٠٦
- رابعا: أخلاق الدولة: ..... ١٠٦
- ١- إقرار النظام: ..... ١٠٦



- ٢- الإعداد للجهد: ..... ١٠٦
- ٣- تجنب الاستبداد و الفساد: ..... ١٠٦
- ٤- تجنب موالاة العدو: ..... ١٠٦
- ٥- الشورى: ..... ١٠٦
- ٦- صون المال العام: ..... ١٠٦
- ٧- العدالة: ..... ١٠٧
- ٨- الوفاء بالعهد و الشرط: ..... ١٠٧
- القرآن و ما يكتب فيه ..... ١٠٧
- أولا: القرآن: أسماؤه و إطلاقاتها لغةً و شرعا ..... ١٠٧
- إشارة ..... ١٠٧
- الإطلاق الأول القرآن باعتباره ألفاظا منطوقة ..... ١١١
- أولا: القرآن بوصفه علم شخص على هذا الاعتبار: ..... ١١١
- ثانيا: القرآن بوصفه اسم جنس باعتبار اللفظ المنطوق: ..... ١١٣
- الإطلاق الثاني القرآن باعتباره نقشا مرقوما ..... ١١٣
- إشارة ..... ١١٣
- الفرق بين القرآن و بين كل من الحديثين القدسي و النبوي ..... ١١٤
- الإطلاق الثالث القرآن باعتباره كلاما نفسيا قائما بذاته (إطلاقه عند المتكلمين) ..... ١١٤
- مسألة: «نزول القرآن على سبعة أحرف» ..... ١١٧
- إشارة ..... ١١٧
- الوجه الرضى فى الأحرف و كيف اكتملت به العدة سبعة: ..... ١٢٥
- بقاء الأحرف السبعة فى المصحف على هذا الوجه: ..... ١٢٨
- ليست قراءات الأئمة السبعة تمام الأحرف السبعة: ..... ١٢٨
- عروبة لغة القرآن، و هل يقدر فيها المعرب؟ ..... ١٣٣
- غريب القرآن ..... ١٣٥

- ١٤١ ..... منطوق القرآن و مفهومه
- ١٤٧ ..... عام القرآن و خاصه
- ١٥٧ ..... مطلق القرآن و مقيدده
- ١٥٧ ..... أولا: ما هو المطلق:
- ١٥٨ ..... ثانيا: حكم المطلق مع المقيد:
- ١٦٠ ..... مجمل القرآن و مبينه
- ١٦٠ ..... أولا: المجمل:
- ١٦٠ ..... اشارة
- ١٦٠ ..... إحداها: أسباب الإجمال:
- ١٦٠ ..... ثانيها: هل المجمل واقع في القرآن؟:
- ١٦١ ..... ثالثها: آيات اختلف فيها هل من قبيل المجمل أم المبين؟
- ١٦١ ..... رابعها: التفرقة بين المجمل و المحتمل لمعنيين:
- ١٦١ ..... خامسها: حكمة إيراد المجمل:
- ١٦١ ..... ثانيا: المبتين:
- ١٦١ ..... اشارة
- ١٦٢ ..... أولاهما: بم يقع البيان؟
- ١٦٢ ..... ثانيتهما: تأخير البيان:
- ١٦٤ ..... أحكام القرآن
- ١٦٤ ..... اشارة
- ١٦٥ ..... منهج القرآن العظيم في سياق أحكامه
- ١٦٦ ..... الأحكام الشرعية بين القطعية و الظنية:
- ١٦٧ ..... قصص القرآن
- ١٧١ ..... محاورات القرآن و جدله
- ١٧٤ ..... أقسام القرآن

- ١٧٤ ..... اشارة
- ١٧٤ ..... أركان القسم:
- ١٨٠ ..... الأسماء و الكنى و الألقاب فى القرآن
- ١٨٠ ..... اشارة
- ١٨٠ ..... أولا: الأسماء:
- ١٨٢ ..... ثانيا: الكنى:
- ١٨٢ ..... ثالثا: الألقاب:
- ١٨٢ ..... الموصول لفظا المفصول معنى
- ١٨٣ ..... خواص القرآن
- ١٨٤ ..... جمع القرآن
- ١٨٤ ..... اشارة
- ١٨٤ ..... أولا: جمع القرآن بمعنى حفظه:
- ١٨٥ ..... ثانيا: جمع القرآن بمعنى كتابته:
- ١٨٥ ..... اشارة
- ١٨٥ ..... (أ) عهد النبى صلى الله عليه و سلم:
- ١٨٥ ..... اشارة
- ١٨٧ ..... الباعث على كتابة القرآن فى هذا العهد:
- ١٨٧ ..... (ب) ما وقع من الجمع الكتابى فى عهد أبى بكر للقرآن:
- ١٨٩ ..... (ج) الجمع العثمانى للقرآن:
- ١٩١ ..... كتابة القرآن
- ١٩٢ ..... المصحف نقطه و شكله
- ١٩٦ ..... السور القرآنية
- ١٩٦ ..... السورة لغة:
- ١٩٧ ..... المناسبة بين المعنى اللغوى و الاصطلاحى:

- ١٩٧ ..... مصدر معرفة تحديد السورة: .....
- ١٩٧ ..... عدد سور القرآن: .....
- ١٩٧ ..... أسماء السور .....
- ١٩٧ ..... سر التسمية: .....
- ١٩٨ ..... تعدد أسماء السورة: .....
- ١٩٨ ..... أسماء السور بين التوقيف و الاجتهاد: .....
- ١٩٩ ..... ألقاب السور: .....
- ٢٠٠ ..... ألقاب أخرى: .....
- ٢٠٠ ..... ترتيب السور: .....
- ٢٠٠ ..... اشارة .....
- ٢٠١ ..... المذهب الأول: .....
- ٢٠١ ..... المذهب الثاني: .....
- ٢٠٢ ..... المذهب الثالث: .....
- ٢٠٢ ..... تناسب السور القرآنية: .....
- ٢٠٥ ..... الآيات القرآنية: .....
- ٢٠٥ ..... اشارة .....
- ٢٠٦ ..... المناسبة بين المعنى اللغوى و المعنى الاصطلاحى: .....
- ٢٠٦ ..... عدد آيات القرآن الكريم: .....
- ٢٠٦ ..... ترتيب الآيات القرآنية: .....
- ٢٠٧ ..... تناسب الآيات: .....
- ٢٠٨ ..... فواصل الآيات: .....
- ٢٠٩ ..... البسمله آية أم لا؟ .....
- ٢٠٩ ..... اشارة .....
- ٢٠٩ ..... معناها: .....

- ٢٠٩ ..... منزلتها من القرآن:
- ٢١٠ ..... الحروف المفردة في فواتح السور:
- ٢١٢ ..... التفسير و المفسرون
- ٢١٢ ..... ١- التفسير لغة و اصطلاحا و وجه الحاجة إليه
- ٢١٢ ..... اشارة
- ٢١٣ ..... معنى التفسير اصطلاحا:
- ٢١٣ ..... وجه الحاجة إلى التفسير:
- ٢١٤ ..... ٢- التأويل و التفسير:
- ٢١٤ ..... اشارة
- ٢١٤ ..... الفرق بين التفسير و التأويل:
- ٢١٥ ..... المتشابه في أسماء الله و صفاته:
- ٢١٥ ..... تأويل ما يمتنع - عقلا أو شرعا- حمله على ظاهره:
- ٢١٦ ..... تأويل المتشابه اللفظي:
- ٢١٦ ..... المصنفات في التأويل:
- ٢١٦ ..... ٣- نشأة علم التفسير:
- ٢١٧ ..... ٤- تدوين التفسير:
- ٢١٧ ..... اشارة
- ٢١٨ ..... خطآن شائعان:
- ٢١٩ ..... ٥- مصادر التفسير:
- ٢١٩ ..... ٦- مناهج المفسرين:
- ٢١٩ ..... اشارة
- ٢٢٠ ..... شروط المفسر:
- ٢٢١ ..... ٧- التفسير بالمأثور:
- ٢٢١ ..... اشارة

- ٢٢١ ..... حتمية الأخذ بالتفسير المأثور و تقديمه على التفسير بالرأى:
- ٢٢٢ ..... المصنفات فى التفسير بالمأثور: -
- ٢٢٢ ..... مظان التفسير بالمأثور فى غير المصنفات الخاصة به: -
- ٢٢٢ ..... ٨- تفسير القرآن بالقرآن: -
- ٢٢٢ ..... اشارة -
- ٢٢٣ ..... أولا: شرح الموجز بالمطنب: -
- ٢٢٣ ..... ثانيا: تفسير المجمل بالمبين: -
- ٢٢٣ ..... اشارة -
- ٢٢٣ ..... صور التبيين القرآنى للمجمل: -
- ٢٢٣ ..... ثالثا: حمل العام على الخاص: -
- ٢٢٤ ..... اشاره -
- ٢٢٤ ..... المخصص المتصل: -
- ٢٢٤ ..... المخصص المنفصل: -
- ٢٢٤ ..... رابعا: حمل المطلق على المقيد: -
- ٢٢٥ ..... خامسا: الجمع بين ما يوهم ظاهره التناقض: -
- ٢٢٥ ..... سادسا: بيان الناسخ و المنسوخ: -
- ٢٢٥ ..... ٩- التفسير النبوى: -
- ٢٢٥ ..... اشارة -
- ٢٢٦ ..... الرسول صلى الله عليه و سلم لم يفسر كل القرآن الكريم: -
- ٢٢٦ ..... القدر الذى بينه النبى صلى الله عليه و سلم: -
- ٢٢٧ ..... أوجه بيان السنة للقرآن: -
- ٢٢٧ ..... اشارة -
- ٢٢٧ ..... أولا: تفصيل المجمل: -
- ٢٢٧ ..... ثانيا: إزالة اللبس: -

- ٢٢٧ ..... ثالثا: تخصيص العام:
- ٢٢٧ ..... رابعا: تقييد المطلق:
- ٢٢٧ ..... خامسا: بيانه صلى الله عليه و سلم أن المنطوق لا مفهوم له:
- ٢٢٨ ..... سادسا: توضيح المبهم:
- ٢٢٩ ..... سابعا: بيان المراد من لفظ أو ما يتعلق به:
- ٢٢٩ ..... ثامنا: التأكيد لما جاء في القرآن:
- ٢٢٩ ..... تاسعا: بيان أحكام لم يرد ذكرها في القرآن:
- ٢٢٩ ..... ١٠- تفسير الصحابة:
- ٢٢٩ ..... اشارة
- ٢٢٩ ..... مقومات اجتهاد الصحابة في التفسير:
- ٢٣٠ ..... سمات تفسير الصحابة:
- ٢٣٠ ..... مدى حجية تفسير الصحابة:
- ٢٣٠ ..... الموقوف على الصحابة:
- ٢٣١ ..... المفسرون من الصحابة:
- ٢٣٢ ..... ١١- تفسير التابعين:
- ٢٣٢ ..... اشارة
- ٢٣٢ ..... مقومات التفسير عند التابعين:
- ٢٣٢ ..... سمات تفسير التابعين:
- ٢٣٣ ..... مدى حجية تفسير التابعين:
- ٢٣٤ ..... المفسرون من التابعين:
- ٢٣٤ ..... ١٢- اختلاف السلف في التفسير:
- ٢٣٤ ..... اشارة
- ٢٣٥ ..... اختلاف التضاد:
- ٢٣٥ ..... ١٣- التفسير بالرأى:

- ٢٣٥ ..... اشارة
- ٢٣٦ ..... معنى التفسير بالرأى: .....
- ٢٣٦ ..... التفسير بالرأى قسمان: .....
- ٢٣٦ ..... اختلاف العلماء فى جواز التفسير بالرأى المحمود: .....
- ٢٣٧ ..... أدلة المانعين و مناقشتها: .....
- ٢٣٧ ..... الأدلة من القرآن: .....
- ٢٣٧ ..... أدلة المانعين من السنة: .....
- ٢٣٨ ..... أدلة المانعين من آثار الصحابة و التابعين: .....
- ٢٣٨ ..... القائلون بالجواز: .....
- ٢٣٩ ..... اشارة
- ٢٣٩ ..... فمن الأدلة القرآنية: .....
- ٢٣٩ ..... و من الأدلة النبوية: .....
- ٢٣٩ ..... و من آثار السلف: .....
- ٢٣٩ ..... و من الأدلة العقلية على الجواز: .....
- ٢٣٩ ..... الرأى الراجع: .....
- ٢٤٠ ..... اختلاف مشارب العلماء فى التفسير بالرأى: .....
- ٢٤٠ ..... أبرز المصنفات فى التفسير بالرأى المحمود: .....
- ٢٤٠ ..... و من تفاسير الرأى المذموم، أو الفرق المبتدعة: .....
- ٢٤٠ ..... ١٤- تفاسير القرآن: .....
- ٢٤١ ..... ١٥- التفسير التحليلي و الإجمالى: .....
- ٢٤١ ..... اشارة
- ٢٤١ ..... المصنفات فيه: .....
- ٢٤١ ..... التفسير الإجمالى: .....
- ٢٤١ ..... اشارة



- ٢٤٢ ..... أهم كتب التفسير الإجمالى:
- ٢٤٢ ..... ١٦- التفسير الفقهي:
- ٢٤٢ ..... اشارة
- ٢٤٣ ..... المصنفات فى التفسير الفقهي:
- ٢٤٣ ..... اشارة
- ٢٤٣ ..... أولا: من الأحناف:
- ٢٤٣ ..... ثانيا: الشافعية:
- ٢٤٣ ..... ثالثا: المالكية:
- ٢٤٣ ..... ١٧- التفسير البلاغى:
- ٢٤٤ ..... ١٨- التفسير الصوفى:
- ٢٤٤ ..... اشارة
- ٢٤٤ ..... الصوفية و تفسير القرآن:
- ٢٤٤ ..... ١٩- التفسير الفلسفى:
- ٢٤٤ ..... اشارة
- ٢٤٤ ..... المؤلفات فى التفسير الفلسفى:
- ٢٤٤ ..... ٢٠- التفسير الأدبى الاجتماعى:
- ٢٤٤ ..... اشارة
- ٢٤٧ ..... رواد هذا الاتجاه:
- ٢٤٨ ..... أهم المصنفات فى هذا الاتجاه:
- ٢٤٨ ..... ٢١- التفسير الموضوعى:
- ٢٤٨ ..... اشارة
- ٢٤٩ ..... منهج الدراسة فى التفسير الموضوعى:
- ٢٤٩ ..... المصنفات فى التفسير الموضوعى:
- ٢٥٠ ..... ٢٢- الترجمات فى التفسير:

- ٢٥٠ ..... اشارة
- ٢٥٠ ..... المرجحات فى التفسير ٩٧:.....
- ٢٥١ ..... اشارة
- ٢٥١ ..... أولا: مرجحات قرآنية:
- ٢٥١ ..... ثانيا: مرجحات حديثية:
- ٢٥١ ..... ثالثا: مرجحات إجماعية:
- ٢٥١ ..... رابعا: مرجحات تاريخية:
- ٢٥١ ..... خامسا: مرجحات لغوية:
- ٢٥٢ ..... ٢٣- الدخيل فى التفسير:
- ٢٥٢ ..... اشارة
- ٢٥٣ ..... أنواع الدخيل فى المأثور:
- ٢٥٣ ..... أنواع الدخيل فى الرأى:
- ٢٥٤ ..... ٢٤- الإسرائيليات فى التفسير:
- ٢٥٤ ..... اشارة
- ٢٥٤ ..... أقسام الإسرائيليات:
- ٢٥٥ ..... حكم رواية الإسرائيليات:
- ٢٥٥ ..... ٢٥- بدع التفاسير و غرائبه:
- ٢٥٥ ..... اشارة
- ٢٥٥ ..... أسباب هذه البدع و الغرائب:
- ٢٥٦ ..... ٢٦- ضوابط سلامة التفسير:
- ٢٥٧ ..... ٢٧- خطوات المنهج الأمثل فى التفسير:
- ٢٥٨ ..... ٢٨- طبقات المفسرين و مدارسهم:
- ٢٦٣ ..... القراءات و القراء
- ٢٦٤ ..... حقيقة القراءات، و حدها:

- ٢٦٤ ..... القراءات لغة: .....
- ٢٦٤ ..... و قراءات القرآن هي: .....
- ٢٦٤ ..... اشارة .....
- ٢٦٥ ..... الحروف: .....
- ٢٦٥ ..... فرش الحروف: .....
- ٢٦٥ ..... توقيف القراءات: .....
- ٢٦٧ ..... تواتر القرآن: .....
- ٢٧٠ ..... هل قرئ بالشاذ على أنه قرآن؟ .....
- ٢٧٠ ..... القرآن و القراءات: .....
- ٢٧٠ ..... \*\*\* القراءات و الأحرف السبعة: .....
- ٢٧١ ..... \*\*\* تواتر القراءات العشر: .....
- ٢٧٢ ..... التواتر و آحادية المخرج: .....
- ٢٧٢ ..... تواتر ما اختلفت الطرق في نقله و ما انفرد بعضها به: .....
- ٢٧٢ ..... التواتر و قبيل الأداء: .....
- ٢٧٣ ..... \*\*\* أنواع اختلاف القراءات العشر: .....
- ٢٧٣ ..... و أنواع اختلاف القراءات العشر ثلاثة: .....
- ٢٧٥ ..... فوائد اختلاف القراءات العشر: .....
- ٢٧٥ ..... في العقائد و كتب علم الكلام: .....
- ٢٧٦ ..... في الأحكام الشرعية: .....
- ٢٧٨ ..... في النحو و الصرف: .....
- ٢٧٩ ..... في البلاغة و الإعجاز: .....
- ٢٨١ ..... في التفسير: .....
- ٢٨٢ ..... - أنواع القراءات: .....
- ٢٨٣ ..... - الآحادية (الشاذة) و حكمها: .....

- ٢٨٤ .....\*\*\* توجيه القراءات:
- ٢٨٤ ..... توجيه المتواتر:
- ٢٨٥ ..... توجيه الشاذ:
- ٢٨٥ ..... أثر توجيه القراءات القرآنية فى إظهار ثروة من المعانى القرآنية:
- ٢٨٥ ..... القراء المشهورون من الصحابة:
- ٢٨٦ .....\*\*\* القراء المشهورون من التابعين:
- ٢٨٦ ..... اشارة
- ٢٨٦ ..... بالمدينة:
- ٢٨٦ ..... بمكة:
- ٢٨٧ ..... بالكوفة:
- ٢٨٧ ..... بالبصرة:
- ٢٨٨ ..... بالشام:
- ٢٨٨ ..... القراء السبعة
- ٢٨٨ ..... الإمام نافع بن عبد الرحمن المدني (٧٠هـ - ١٦٩هـ):
- ٢٨٩ ..... قالون (١٢٠هـ - ٢٢٠هـ):
- ٢٨٩ ..... ورش (١١٠هـ - ١٩٧هـ):
- ٢٨٩ ..... الإمام ابن كثير (٤٥هـ - ١٢٠هـ):
- ٢٨٩ ..... البزى (١٧٠هـ - ٢٥٠هـ):
- ٢٩٠ ..... قنبل (١٩٥هـ - ٢٩١هـ):
- ٢٩٠ ..... الإمام أبو عمرو (٦٩هـ - ١٥٤هـ):
- ٢٩٠ ..... الدورى (١٥٠هـ - ٢٤٦هـ):
- ٢٩٠ ..... السوسى (حوالى ١٧٣هـ - ٢٦١هـ):
- ٢٩١ ..... ابن عامر (٢١هـ - ١١٨هـ):
- ٢٩١ ..... هشام (١٥٣- ٢٤٥هـ):

- ٢٩١ ..... ابن ذكوان (١٧٣ هـ - ٢٤٢ هـ):
- ٢٩٢ ..... الإمام عاصم (... هـ - ١٢٧ هـ):
- ٢٩٢ ..... شعبه (٩٥ هـ - ١٩٣ هـ):
- ٢٩٢ ..... حفص (٩٠ هـ - ١٨٠ هـ):
- ٢٩٢ ..... الإمام حمزة (٨٠ هـ - ١٥٦ هـ):
- ٢٩٢ ..... خلف (١٥٠ هـ - ٢٢٩ هـ):
- ٢٩٢ ..... خلاد (... هـ - ٢٢٠ هـ):
- ٢٩٣ ..... الإمام الكسائي (١١٩ هـ - ١٨٩ هـ):
- ٢٩٣ ..... أبو الحارث (... هـ - ٢٤٠ هـ):
- ٢٩٣ ..... الدوري:
- ٢٩٣ ..... المكملون للعشرة:
- ٢٩٣ ..... الإمام أبو جعفر (... هـ - ١٣٠ هـ):
- ٢٩٣ ..... ابن وردان (... هـ - ١٦٠ هـ):
- ٢٩٤ ..... ابن جماز (... هـ - ١٧٠ هـ):
- ٢٩٤ ..... الإمام يعقوب (١١٧ هـ - ٢٠٥ هـ):
- ٢٩٤ ..... رويس (... هـ - ٢٣٨ هـ):
- ٢٩٤ ..... روح (... هـ - ٢٣٤ هـ أو ٢٣٥ هـ):
- ٢٩٤ ..... الإمام خلف العاشر:
- ٢٩٤ ..... إسحاق (... هـ - ٢٨٦ هـ):
- ٢٩٥ ..... إدريس (١٩٩ هـ - ٢٩٢ هـ):
- ٢٩٥ ..... المؤلفون في القراءات:
- ٢٩٥ ..... يحيى بن يعمر (ت قبل ٩٠ هـ):
- ٢٩٥ ..... هارون بن موسى (ت قبل ٢٠٠ هـ):
- ٢٩٥ ..... يعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ):

- ٢٩٥ ..... أبو عبید القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ):
- ٢٩٥ ..... أبو عمر الدورى (ت ٢٤٦ هـ):
- ٢٩٦ ..... ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ):
- ٢٩٦ ..... أبو بكر الداجونى (ت ٣٢٤ هـ):
- ٢٩٦ ..... ابن مهران أحمد بن الحسين (ت ٣٨١ هـ):
- ٢٩٧ ..... \*\*\* المصنفات فى توجيه القراءات: -
- ٣٠٨ ..... علم التجويد فى القرآن الكريم
- ٣٠٨ ..... اشارة
- ٣٠٨ ..... الأول: حده «تعريفه»
- ٣٠٨ ..... الثانى: موضوعه
- ٣٠٨ ..... الثالث: ثمرته
- ٣٠٨ ..... الرابع: فضله
- ٣٠٨ ..... الخامس: نسبته
- ٣٠٨ ..... السادس: واضعه
- ٣٠٩ ..... السابع: اسمه
- ٣٠٩ ..... الثامن
- ٣٠٩ ..... التاسع: حكمه
- ٣٠٩ ..... العاشر: فائده و غايته:
- ٣١٠ ..... مراتب التلاوة
- ٣١٠ ..... اشارة
- ٣١٠ ..... حكم الاستعاذة
- ٣١١ ..... البسمله و حكمها
- ٣١٢ ..... مخارج الحروف
- ٣١٢ ..... اشارة

- ٣١٢ ..... عدد مخارج الحروف:
- ٣١٤ ..... صفات الحروف
- ٣١٤ ..... اشارة
- ٣١٤ ..... فوائد معرفة الصفات:
- ٣١٤ ..... اشارة
- ٣١٤ ..... أولا: الصفات التي لها أصداد، و تعريف كل صفة و بيان حروفها و ذلك فيما يلي:
- ٣١٤ ..... ثانيا: الصفات التي لا ضد لها و هي:
- ٣١٧ ..... التفخيم و الترقيق
- ٣١٧ ..... اشارة
- ٣١٩ ..... تغليظ اللام:
- ٣٢٠ ..... أحكام النون الساكنة و التنوين
- ٣٢٠ ..... تعريفها:
- ٣٢٠ ..... الفرق بين النون الساكنة و التنوين:
- ٣٢٠ ..... اشارة
- ٣٢٠ ..... الأول: الإظهار:
- ٣٢١ ..... الثاني: الإدغام:
- ٣٢٢ ..... الثالث: الإقلاب:
- ٣٢٢ ..... الرابع: الإخفاء:
- ٣٢٣ ..... فى الغنة و أحكامها و أقوال العلماء فى ذلك
- ٣٢٣ ..... اشارة
- ٣٢٤ ..... مخرج الغنة:
- ٣٢٤ ..... مراتب الغنة:
- ٣٢٥ ..... فى تعريف الميم الساكنة و أحكامها
- ٣٢٥ ..... اشارة

- أولاً: الإخفاء الشفوي: ..... ٣٢٥
- ثانياً: الإدغام الصغير: ..... ٣٢٥
- ثالثاً: الإظهار الشفوي: ..... ٣٢٥
- اللامات السواكن ..... ٣٢٦
- «المثلان، و المتقاربان، و المتجانسان، و المتباعدان» ..... ٣٢٨
- فى المدّ و القصر ..... ٣٢٩
- اشارة ..... ٣٢٩
- تعريف المدّ: ..... ٣٣٠
- اشارة ..... ٣٣٠
- حروف المدّ: ..... ٣٣٠
- تعريف القصر: ..... ٣٣٠
- المدّ و القصر حقيقة و اصطلاحاً: ..... ٣٣٠
- تعريف الحركة: ..... ٣٣٠
- أقسام المدّ: ..... ٣٣١
- اشارة ..... ٣٣١
- الأول: المد الأصلي ..... ٣٣١
- شروط هذا المدّ: ..... ٣٣١
- القسم الثانى: المدّ الفرعى: ..... ٣٣٢
- اشارة ..... ٣٣٢
- أسباب المدّ الفرعى: أمران: ..... ٣٣٢
- أنواع المدّ الفرعى: ..... ٣٣٢
- اشارة ..... ٣٣٢
- ١- المدّ المتصل: ..... ٣٣٣
- ٢- المدّ المنفصل: ..... ٣٣٣



- ٣٣٤ ..... مدّ البدل: ٣- مدّ البدل: ٣٣٤
- ٣٣٤ ..... المدّ العارض للسكون: ٤- المدّ العارض للسكون: ٣٣٤
- ٣٣٥ ..... مدّ اللين: ٥- مدّ اللين: ٣٣٥
- ٣٣٥ ..... المدّ اللازم: ٦- المدّ اللازم: ٣٣٥
- ٣٣٥ ..... اشارة ٣٣٥
- ٣٣٦ ..... الأول: المدّ اللازم الكلمى المثلث: ٣٣٦
- ٣٣٦ ..... الثانى: المدّ اللازم الكلمى المخفف: ٣٣٦
- ٣٣٦ ..... الثالث: المدّ الحرفى المثلث: ٣٣٦
- ٣٣٦ ..... الرابع: المدّ اللازم الحرفى المخفف: ٣٣٦
- ٣٣٦ ..... حكم المدّ اللازم: ٣٣٦
- ٣٣٧ ..... حكم الحروف الموجودة فى أوائل السور: ٣٣٧
- ٣٣٧ ..... قواعد لها علاقة بالمدّ: ٣٣٧
- ٣٣٨ ..... الوقف و الابتداء ٣٣٨
- ٣٣٨ ..... أهمية هذا الباب: ٣٣٨
- ٣٣٨ ..... تعريف الوقف و أقسامه: ٣٣٨
- ٣٣٩ ..... أقسام الوقف: ٣٣٩
- ٣٣٩ ..... اشارة ٣٣٩
- ٣٣٩ ..... ١- الوقف الاضطرارى: ٣٣٩
- ٣٤٠ ..... الثانى: الوقف الكافى: ٣٤٠
- ٣٤٠ ..... الثالث: الوقف الحسن: ٣٤٠
- ٣٤٠ ..... الرابع: الوقف القبيح: ٣٤٠
- ٣٤١ ..... تعريف الابتداء: ٣٤١
- ٣٤١ ..... تعريف القطع: ٣٤١
- ٣٤١ ..... تعريف السكت: ٣٤١

- ٣٤٣ ..... الوقف على آخر الكلم
- ٣٤٤ ..... النقل و غيره من سبل تخفيف الهمزة
- ٣٤٧ ..... الإمالة و التقليل
- ٣٤٨ ..... المقطوع و الموصول
- ٣٥١ ..... همزتا الوصل و القطع
- ٣٥١ ..... أولاً: همزة الوصل:
- ٣٥٣ ..... تلاوة القرآن الكريم
- ٣٥٣ ..... أولاً: أدب التلاوة:
- ٣٥٩ ..... تنكيس القراءة
- ٣٦٢ ..... نسيان القرآن
- ٣٦٣ ..... ختم القرآن
- ٣٦٤ ..... الجرس القرآنى
- ٣٦٥ ..... الاستماع عند التلاوة
- ٣٦٦ ..... الاقتباس من القرآن
- ٣٦٧ ..... بلاغة القرآن
- ٣٦٧ ..... الخبر
- ٣٦٩ ..... الإنشاء
- ٣٧٣ ..... الإطناب
- ٣٧٥ ..... التتميم
- ٣٧٦ ..... التذليل
- ٣٧٨ ..... التكرار
- ٣٨٠ ..... التكميل
- ٣٨٢ ..... الاعتراض
- ٣٨٤ ..... الاستقصاء

- الإيضاح ..... ٣٨٥
- الإيغال ..... ٣٨٧
- الإيجاز ..... ٣٨٨
- اشارة ..... ٣٨٨
- الإيجاز بحذف ..... ٣٩٠
- الإيجاز بحذف الأداة ..... ٣٩٢
- الإيجاز بحذف الكلمة المفردة ..... ٣٩٣
- الإيجاز بحذف التراكيب ..... ٣٩٥
- الإيجاز بحذف الجملة ..... ٣٩٧
- الاحتباك ..... ٣٩٩
- إيجاز القصر ..... ٤٠٠
- الفواصل ..... ٤٠١
- الفصل ..... ٤٠٣
- الوصل ..... ٤٠٧
- الإخراج على خلاف الظاهر ..... ٤٠٨
- الالتفات ..... ٤١١
- القصر ..... ٤١٣
- المجاز العقلي ..... ٤١٥
- التشبيه ..... ٤١٦
- التمثيل ..... ٤٢١
- المجاز المرسل ..... ٤٢٦
- الاستعارة ..... ٤٢٧
- اشارة ..... ٤٢٧
- الاستعارة التصريحية ..... ٤٢٩

- ٤٣٠ ..... الاستعارة الأصلية
- ٤٣٢ ..... الاستعارة التبعية
- ٤٣٤ ..... الاستعارة التمثيلية
- ٤٣٥ ..... الاستعارة المرشحة
- ٤٣٧ ..... الاستعارة المجردة
- ٤٣٨ ..... الاستعارة المطلقة
- ٤٤٠ ..... الاستعارة المكتبة
- ٤٤١ ..... الكناية
- ٤٤٥ ..... البديع
- ٤٥٣ ..... \* نتائج مهمة:
- ٤٥٧ ..... إعراب القرآن
- ٤٥٧ ..... اشارة
- ٤٦١ ..... محكم القرآن و متشابهه
- ٤٦١ ..... اشارة
- ٤٦١ ..... (١) [الاحكام فى اللغة]
- ٤٦١ ..... (٢) [الاحكام فى الاصطلاح]
- ٤٦٢ ..... (٣) [التشابه فى اللغة]
- ٤٦٣ ..... (٤) [نسبة المتشابه]
- ٤٦٤ ..... (٥) [مواقع التشابه]
- ٤٦٥ ..... (٧) [المتشابه الذى استأثر الله بعلمه]
- ٤٦٧ ..... (٨) [القرآن الكريم كله محكم]
- ٤٦٨ ..... المكى و المدنى
- ٤٦٨ ..... (١) [معنى المكى و المدنى]
- ٤٦٩ ..... (٢) [المعول عليه فى معرفة المكى و المدنى]

- ٤٦٩ ..... (٣) [تميز المكى عن المدنى]
- ٤٧١ ..... (٤) [الاقوال فى تعيين السور المكية و المدنية]
- ٤٧١ ..... (٥) [فوائد معرفة المكى و المدنى]
- ٤٧٢ ..... نزول القرآن الكريم
- ٤٧٢ ..... (١) [حقيقة النزول]
- ٤٧٤ ..... (٢) [اول ما نزل من القرآن]
- ٤٧٧ ..... الوجوه و النظائر فى القرآن
- ٤٧٧ ..... (١) [الوجوه و النظائر فى اللغة]
- ٤٧٨ ..... (٢) [فائدة معرفة الوجوه و النظائر]
- ٤٧٨ ..... (٣) [اسباب انتشار الالفاظ المشتركة فى لغة العرب]
- ٤٧٩ ..... (٤) [طائفة من الالفاظ المشتركة]
- ٤٨١ ..... مبهمات القرآن
- ٤٨١ ..... (١) [ما هو المبهم]
- ٤٨١ ..... (٢) [المبهم فى كتاب الله]
- ٤٩٢ ..... موهم الاختلاف و التناقض
- ٤٩٢ ..... اشارة
- ٤٩٣ ..... [اسباب توهم التعارض]
- ٤٩٣ ..... اشارة
- ٤٩٣ ..... الأول: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة و تطويرات شتى:
- ٤٩٤ ..... الثانى من الأسباب: اختلاف الموضوع أو الموضع:
- ٤٩٤ ..... الثالث من الأسباب: اختلاف جهتى الفعل:
- ٤٩٨ ..... النسخ فى القرآن
- ٤٩٨ ..... (١) [معانى النسخ فى اللغة]
- ٤٩٨ ..... (٢) [اختلاف العلماء فى تعريف النسخ]

- ٤٩٨ ..... (٣) [استدلال جمهور العلماء على جواز النسخ]
- ٤٩٩ ..... (٤) [امور لا بد منه في تحقيق النسخ]
- ٤٩٩ ..... (٥) [موقع النسخ]
- ٥٠٠ ..... (٦) [طرق معرفة الناسخ و المنسوخ]
- ٥٠١ ..... (٧) [اقسام النسخ]
- ٥٠١ ..... اشارة
- ٥٠١ ..... الأول: ما نسخت تلاوته و بقي حكمه:
- ٥٠١ ..... الثاني من الأقسام: ما نسخ حكمه و بقيت تلاوته:
- ٥٠٢ ..... و الثالث من الأقسام: نسخ الحكم و التلاوة معا:
- ٥٠٣ ..... (٨) و ينقسم النسخ. أيضا. إلى قسمين: نسخ ببدل، و نسخ بغير بدل.
- ٥٠٤ ..... (٩) و ينقسم النسخ من جهة أخرى إلى ثلاثة أقسام:
- ٥١١ ..... الإعجاز البياني في القرآن الكريم
- ٥١١ ..... ١- الإعجاز في العصر النبوي:
- ٥١٢ ..... ٢- أول من نفى الإعجاز عن القرآن:
- ٥١٢ ..... ٣- القول بالصرفة:
- ٥٢٧ ..... الإعجاز المعاصر
- ٥٢٧ ..... مقدمة:
- ٥٢٨ ..... محمد فريد وجدى
- ٥٢٩ ..... مصطفى صادق الرافعى
- ٥٣٠ ..... عبد الله عفيفى
- ٥٣٢ ..... الدكتور محمد عبد الله دراز:
- ٥٣٤ ..... سيد قطب:
- ٥٣٧ ..... الإعجاز العلمى للقرآن الكريم
- ٥٣٧ ..... تعريف الإعجاز العلمى:

- \* الترقى فى فهم الإعجاز العلمى للقرآن الكرىم: ..... ٥٣٨
- \* ضوابط (منهج) البحث فى الإعجاز العلمى للقرآن الكرىم: ..... ٥٤١
- \* من أوجه الإعجاز العلمى للقرآن الكرىم: ..... ٥٤٢
- ١- فى آيات السماء: ..... ٥٤٢
- ٢- فى آيات الأرض: ..... ٥٤٤
- ٣- فى آيات الجبال: ..... ٥٤٥
- ٤- فى آيات البحار: ..... ٥٤٦
- ٥- فى عالم النبات: ..... ٥٤٧
- ٦- فى عالم الحىوان: ..... ٥٤٩
- ٧- فى عالم الحشرات: ..... ٥٥٠
- ٨- فى عالم الطيور: ..... ٥٥١
- ٩- فى الآفاق و فى الأنفس: ..... ٥٥٣
- ١٠- قضايا علمية معاصرة: ..... ٥٥٤
- (أ) الاستنساخ: ..... ٥٥٤
- (ب) التلوث البيئى: ..... ٥٥٥
- (ج) احتمالات الحىاة على كواكب أخرى فى الكون: ..... ٥٥٥
- مفردات قرآنية ..... ٥٥٩
- ١- الأرض المقدسة ..... ٥٥٩
- ٢- الآزفة ..... ٥٥٩
- ٣- أساطير الأولين ..... ٥٦١
- ٤- الأسباط ..... ٥٦١
- ٥- الإفك ..... ٥٦١
- ٦- الأكنة ..... ٥٦٢
- ٧- أصحاب الأيكة ..... ٥٦٢

- ٨- أصحاب الكهف ..... ٥٦٣
- ٩- الإنابة ..... ٥٦٤
- ١٠- الأنصاب و الأزلام ..... ٥٦٤
- ١١- الباقيات الصالحات ..... ٥٦٥
- ١٢- البحيرة ..... ٥٦٥
- ١٣- البر ..... ٥٦٦
- ١٤- التقوى ..... ٥٦٦
- ١٥- التناز بالألقاب ..... ٥٦٨
- ١٦- التوبة ..... ٥٦٩
- ١٧- الجبت و الطاغوت ..... ٥٧٠
- ١٨- الجوابى ..... ٥٧٠
- ١٩- الحاققة ..... ٥٧٠
- ٢٠- حدود الله تعالى ..... ٥٧١
- ٢١- الحرث ..... ٥٧١
- ٢٢- الحنفاء ..... ٥٧١
- ٢٣- الحملولة ..... ٥٧٢
- ٢٤- الحميم ..... ٥٧٢
- ٢٥- الحواريون ..... ٥٧٣
- ٢٦- الحور العين ..... ٥٧٣
- ٢٧- الخلود ..... ٥٧٤
- ٢٨- الخير ..... ٥٧٥
- ٢٩- الدين القيم ..... ٥٧٦
- ٣٠- روح القدس ..... ٥٧٦
- ٣١- الزقوم ..... ٥٧٦



- ٣٢- السائبة ..... ٥٧٧
- ٣٣- السبع الطرائق ..... ٥٧٨
- ٣٤- السكينة ..... ٥٧٨
- ٣٥- شعائر الله ..... ٥٧٩
- ٣٦- الشهر الحرام ..... ٥٧٩
- ٣٧- الصاخة ..... ٥٨٠
- ٣٨- الصاعقة ..... ٥٨١
- ٣٩- صبغة الله ..... ٥٨١
- ٤٠- الصيحة ..... ٥٨٢
- ٤١- الغيب ..... ٥٨٣
- ٤٢- الفتح ..... ٥٨٣
- ٤٣- الفتنة ..... ٥٨٤
- ٤٤- فطرة الله ..... ٥٨٤
- ٤٥- القارعة ..... ٥٨٦
- ٤٦- القرار المكين ..... ٥٨٦
- ٤٧- الماء المهين ..... ٥٨٧
- ٤٨- مجمع البحرين ..... ٥٨٧
- ٤٩- المعارج ..... ٥٨٨
- ٥٠- الموءودة ..... ٥٨٩
- ٥١- الموءودة في القربى ..... ٥٨٩
- ٥٢- الهداية ..... ٥٩٠
- ٥٣- الوادى المقدس ..... ٥٩١
- الهوامش و المصادر: ..... ٥٩١
- الإنسان فى القرآن الكريم ..... ٥٩٥

- ٥٩٦ ..... اشارة
- ٥٩٦ ..... تعريف
- ٥٩٧ ..... استخلاف الإنسان
- ٥٩٨ ..... تفضيل الإنسان
- ٥٩٨ ..... الغاية من خلق الإنسان
- ٥٩٩ ..... حرية الإنسان
- ٦٠٠ ..... أنواع الإنسان
- ٦٠١ ..... العدل و المساواة بين الذكر و الأثنى من الإنسان
- ٦٠٢ ..... خلق الإنسان
- ٦٠٢ ..... اشارة
- ٦٠٢ ..... أولا: الماء:
- ٦٠٣ ..... ثانيا: التراب:
- ٦٠٣ ..... ثالثا: الطين:
- ٦٠٣ ..... رابعا: نفخ الروح:
- ٦٠٤ ..... جسم الإنسان
- ٦٠٦ ..... خصائص الإنسان
- ٦٠٦ ..... \* خير بطبيعته:
- ٦٠٦ ..... \* متدين:
- ٦٠٧ ..... \* ناطق:
- ٦٠٧ ..... \* لديه القدرة على النظر و التفكير:
- ٦٠٨ ..... \* مخلوق من طين:
- ٦٠٨ ..... من صفات الإنسان
- ٦٠٨ ..... اشارة
- ٦٠٨ ..... \* خلقه فى أحسن تقويم:

- ٦٠٩ ..... \* ضعفه:
- ٦٠٩ ..... \* تعجله:
- ٦٠٩ ..... \* جداله:
- ٦٠٩ ..... \* يأسه و قنوطه:
- ٦٠٩ ..... \* بخله:
- ٦٠٩ ..... \* طغيانه:
- ٦٠٩ ..... \* نكرانه للنعم:
- ٦١٠ ..... \* فرحه و فخره:
- ٦١٠ ..... \* خصومته لربه:
- ٦١٠ ..... \* ظلمه:
- ٦١٠ ..... \* مبالغته فى كفره:
- ٦١٠ ..... الإنسان و التربية
- ٦١٠ ..... اشارة
- ٦١١ ..... أولا: الأسس التربوية للإنسان:
- ٦١١ ..... الأساس الأول- التدرج فى البناء التربوى:
- ٦١١ ..... الأساس الثانى- التوجيه و التحويل:
- ٦١١ ..... الأساس الثالث: التصعيد:
- ٦١٢ ..... الأساس الرابع- إيجاد الحافز الذاتى:
- ٦١٢ ..... اشارة
- ٦١٢ ..... ١- طريق الإيمان بالله و اليوم الآخر و بقضاء الله و قدره:
- ٦١٣ ..... ٢- طريق الإقناع الفكرى:
- ٦١٤ ..... ٣- طريق الترغيب و التهيب:
- ٦١٤ ..... ٤- طريق تربية الوجدان الأخلاقى:
- ٦١٥ ..... ثانيا: العناصر التكوينية للجيل الربانى:

- ٦١٥ ..... اشارة
- ٦١٥ ..... ١- التثقيف العقلي: .....
- ٦١٦ ..... ٢- الإيقاظ الروحي: .....
- ٦١٦ ..... ٣- الترابط الأخوي: .....
- ٦١٨ ..... علاقة الإنسان بالشیطان .....
- ٦١٨ ..... \* العداوة: .....
- ٦١٩ ..... \* الوسوسة: .....
- ٦٢٠ ..... العلاج الديني للتخلص من وساوس الشيطان: .....
- ٦٢٠ ..... نهاية الإنسان .....
- ٦٢٠ ..... \* تمهيد: .....
- ٦٢١ ..... \* مواقف الناس من هذه النهاية: .....
- ٦٢١ ..... \* حقيقة النهاية: .....
- ٦٢٣ ..... حجية السنن الإلهية .....
- ٦٢٣ ..... (١) في رحاب القرآن الكريم .....
- ٦٢٨ ..... (٢) مفهوم السنن الإلهية لغة و مصطلحا .....
- ٦٣٠ ..... (٣) سنن الإيمان بوحداية الله و تنزيهه سبحانه .....
- ٦٣١ ..... (٤) جزاء الإيمان بالله و ثوابه .....
- ٦٣٢ ..... (٥) سنة الله مع الكفر و الكافرين .....
- ٦٣٤ ..... (٦) توصيف القرآن لطوائف الكافرين .....
- ٦٣٧ ..... (٧) تتابع سنتي الإيمان و العصيان في آية واحدة أو أكثر .....
- ٦٣٩ ..... (٨) سنن الخلق .....
- ٦٣٩ ..... اشارة .....
- ٦٤٠ ..... سنن الله في الآيات الكونية: .....
- ٦٤٤ ..... اتساع الكون و زيادته بغير حدود. ....

- ٦٤٦ ..... (٩) السنن الإلهية في خلق الأرض
- ٦٤٦ ..... اشارة
- ٦٤٩ ..... السير في الأرض:
- ٦٥٠ ..... منحة إلهية مقرونة بمعجزات ربانية:
- ٦٥٤ ..... نهاية الحياة الدنيا، و قيام الساعة
- ٦٥٧ ..... ترجمة معاني القرآن الكريم ١
- ٦٥٧ ..... اشارة
- ٦٥٧ ..... ١- تعريف الترجمة
- ٦٥٧ ..... اشارة
- ٦٥٨ ..... الترجمة عرفا:
- ٦٥٩ ..... ٢- أقسام الترجمة
- ٦٥٩ ..... اشارة
- ٦٥٩ ..... فالترجمة الحرفية:
- ٦٥٩ ..... و الترجمة التفسيرية:
- ٦٦٠ ..... و تفرق الترجمة عن التفسير بفروق أبرزها ١٨:
- ٦٦١ ..... ٣- الحاجة إلى الترجمة
- ٦٦٢ ..... ٤- الترجمة الجائزة
- ٦٦٢ ..... اشارة
- ٦٦٢ ..... ١- ترجمة القرآن بمعنى تبليغ ألفاظه:
- ٦٦٣ ..... ٢- ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغته العربية:
- ٦٦٣ ..... ٣- ترجمته بمعنى تفسيره بلغة أجنبية:
- ٦٦٣ ..... ٤- ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة أخرى:
- ٦٦٤ ..... ٥- الصلاة بالترجم
- ٦٦٥ ..... ٦- تجربة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٦٧٨ ..... فهرس المحتويات

٦٧٨ ..... الفهرس الهجائي

٦٨٤ ..... تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

## الموسوعة القرآنية المتخصصة

## إشارة

نام كتاب: الموسوعة القرآنية المتخصصة

نويسنده: محمود حمدى زقروق

موضوع: دانشنامه علوم قرآن

تاريخ وفات مؤلف: معاصر

زبان: عربى

حجم: ١٧\* ٢٤

تعداد جلد: ١

ناشر: وزارة الاوقاف مصر

مكان چاپ: القاهرة

سال چاپ: ١٤٢٣ / ٢٠٠٢

نوبت چاپ: بى نا

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم أ. د. محمود حمدى زقروق وزير الأوقاف فى إطار مشروع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لإصدار موسوعات إسلامية متخصصة فى مجالات الفكر الإسلامى المتنوعة، قدم المجلس منذ عام مضى المجلد التمهيدى الأول بعنوان: (الموسوعة الإسلامية العامة). و المشروع - كما بينا فى مقدمة المجلد المشار إليه - مشروع طموح يشتمل على ستة عشر مجلدا تغطى جميع مجالات الفكر الإسلامى.

و اليوم يسعدنا أن نقدم للقارئ الكريم مجلدا آخر من هذه السلسلة بعنوان: (الموسوعة القرآنية المتخصصة) يشتمل على خمسة عشر مدخلا، و تحت كل منها العديد من الموضوعات التى شملت كل ما يتعلق بالقرآن الكريم، ليس فقط ما يتصل منها بعلوم القرآن التى أخذت حيزا كبيرا فى هذا المجلد، و إنما امتد البحث إلى موضوعات أخرى مثل: الإنسان فى القرآن، و السنن الإلهية فى القرآن، و المبادئ العامة و القيم فى القرآن، و الإعجاز العلمى و البيانى، و غير ذلك من موضوعات لا يجدها القارئ إلا فى العديد من المراجع المختلفة المتخصصة.

و لكننا أردنا أن نجمع كل ذلك فى مجلد واحد تيسيرا على الباحثين و المهتمين بالتعرف على كل ما يتعلق بالقرآن الكريم. و قد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، المقدمة، ص: ٢

اشترك فى كتابه مواد هذه الموسوعة صفوة مختارة من الأساتذة و العلماء المتخصصين، كل فى مجاله، ممن أمضوا الشطر الأكبر من حياتهم فى خدمة القرآن الكريم و علومه.

و حقيقة الأمر أن القرآن كان و لا يزال، و سيظل إلى آخر الزمان نبعيا فياضا لشتى العلوم الدينية و الدنيوية، لا ينقطع مدده، و لا يتوقف عطاؤه، و لا تنقضى عجائبه، و يكشف لكل من يتعمق فى بحثه، و يتوفر على دراسته بإخلاص و تجرد الأسرار تلو الأسرار. و من هنا كانت عناية المسلمين به على مر الزمان عناية لم يحظ بها كتاب سماوى آخر فى أى دين من الأديان. و لا عجب فى ذلك، فقد تكفل الله - سبحانه و تعالى - بحفظه حين قال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.

و من أجل ذلك ظل النص القرآني منذ نزل بعيدا عن التحريف مبرا من التبديل و التغيير. و يجد المرء النص القرآني ذاته دون تغيير حرف أو حركة لدى جميع الفرق الإسلامية مهما تباعدت مسافات الخلاف بينها. فهذه الفرق قد تختلف ربما في كل شيء إلا في الإجماع على النص القرآني الذي يجده الإنسان كما هو حتى لدى الفرق المنشقة.

و قد أردنا، في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بهذا المجلد ألاً نحرم من شرف خدمة القرآن الكريم فكانت هذه الموسوعة التي تقدم خدمة علمية جلية للباحثين و المتخصصين يجدون فيها ضالتهم، كما يجد فيها القارئ غير المتخصص المعلومات التي تزيده معرفة بالقرآن الكريم.

و إذا كنا، في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، نشعر بسعادة غامرة للتوفيق الرباني الذي صاحب إعداد هذه الموسوعة و الذي تم الموسوعة القرآنية المتخصصة، المقدمة، ص: ٣

في يسر و سهولة، فإننا نود أن نقدم خالص الشكر و التقدير للأساتذة الذين قدموا لنا في هذه الموسوعة القرآنية خلاصة فكرهم، و ما أفاء الله به عليهم من علم خدمة للقرآن الكريم، و خدمة لكل من يريد التعرف على شيء يتعلق بهذا القرآن العظيم. و لا يفوتنا أن نقدم خالص الشكر أيضا للعديد ممن أسهموا إسهاما بارزا في إخراج هذا المجلد، و نخص بالذكر الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق، و الأخ الكريم الأستاذ الدكتور على جمعة محمد الذي قام بمهمة الإعداد و التحرير، و الأستاذ أبو سليمان صالح الذي أشرف على طباعة هذه الموسوعة، و لكثيرين غيرهم ممن أسهموا بشكل أو بآخر في العمل على إخراج هذا المجلد، فلهم جميعا منا كل الشكر و التقدير، و من الله الأجر و الثواب الجزيل. و بالله التوفيق ..،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، المقدمة، ص: ٤

## كلمة التحرير

هذه هي الموسوعة القرآنية المتخصصة، و هي الكتاب الثاني بعد المجلد التمهيدي الذي صدر تحت عنوان (الموسوعة الإسلامية العامة)، و بذلك يعد أول الموسوعات المتخصصة، و التي ستصدر تباعا إن شاء الله تعالى، و في هذا المجلد سيجد القارئ الكريم أننا عالجت في صورة مقالات مطولة مستفيضة خمسة عشر موضوعا تتعلق كلها بالقرآن الكريم بدأناها بالوحي، ثم أسباب النزول، ثم المبادئ العامة و القيم في القرآن الكريم، ثم القرآن و ما يكتب فيه، ثم السور القرآنية، ثم التفسير و المفسرون ثم القراءات و القراء، ثم علم التجويد، ثم بلاغة القرآن، ثم علوم القرآن، ثم الإعجاز البياني، ثم الإعجاز المعاصر، ثم الإعجاز العلمي، ثم مفردات قرآنية، ثم الإنسان في القرآن، ثم السنن الإلهية في القرآن، ثم ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى غير العربية، و قام أساتذة كرام من كبار العلماء بكتابة هذه الموضوعات، و في نهاية الموسوعة كتبنا فهرسا بالمحتويات، ثم فهرسا هجائيا بمفردات ما ورد في الموسوعة من مواد، يستطيع القارئ ببسر مراجعته أي موضوع يريده بالبحث في هذا الفهرس التفصيلي، كما أنه يستطيع أن يراجع أي مقالة بحالها، و هذه الموسوعة تغيت جمهور خطابها في المثقفين الذين يريدون أن ينهلوا المعرفة الدقيقة الصافية مع الإحالة إلى المراجع الموثقة بشأن كل جزئية من الجزئيات.

و الله نسأل أن ينفع بها و أن يجعلها تسد حاجة طال انتظارها.

أ. د. على جمعة محمد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، المقدمة، ص: ٥

## السادة العلماء المشاركون في تحرير الموسوعة ١



- ١- أ. د. إبراهيم عبد الرحمن خليفة. أستاذ بجامعة الأزهر
- ٢- أ. د. أحمد فؤاد باشا. نائب رئيس جامعة القاهرة
- ٣- أ. د. جمال مصطفى المجار. أستاذ بجامعة الأزهر
- ٤- أ. د. جودة محمد أبو اليزيد المهدي. أستاذ بجامعة الأزهر
- ٥- أ. د. السيد إسماعيل على سليمان. أستاذ بجامعة الأزهر
- ٦- أ. د. عبد الحى الفرماوى. أستاذ بجامعة الأزهر
- ٧- أ. د. عبد السميع هاشم. أستاذ بجامعة الأزهر
- ٨- أ. د. عبد العظيم المطعنى. أستاذ بجامعة الأزهر
- ٩- أ. د. عبد الغفور محمود مصطفى. أستاذ بجامعة الأزهر
- ١٠- أ. د. على جمعة محمد. أستاذ بجامعة الأزهر
- ١١- أ. د. محمد بكر إسماعيل. أستاذ بجامعة الأزهر
- ١٢- أ. د. محمد رجب البيومى. أستاذ بجامعة الأزهر
- ١٣- أ. د. محمد السيد جبريل. أستاذ بجامعة الأزهر
- ١٤- أ. د. مصطفى الشكعة. أستاذ بجامعة عين شمس

الإعداد و التحرير:

أ. د. على جمعة محمد

الإشراف الفنى:

أ. أبو سليمان محمد صالح

(١) رتبت الأسماء طبقاً للترتيب الهجائى.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١

## الوحى

### إشارة

الإيمان بالوحى الإلهى ضرورة حتمية للإيمان بالقرآن و بالرسالة؛ لأن الوحى هو وسيلة إنزال القرآن على قلب النبى صلى الله عليه و سلم كما صرح بذلك فى قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ١ و من ثم كانت قضية الوحى بأبعادها المختلفة لها عظيم الأهمية فى مجال البحث القرآنى مما يستلزم إلقاء الضوء عليها و إزالة اللبس المكتنف لها. و يعرف الوحى لغةً: بأنه الإعلام فى خفاء، و أصله كما قال الراغب: الإشارة السريعة. و مجمع القول فى معناه اللغوى: أنه الإعلام الخفى السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره ٢. و يتفرع عن هذا المدلول اللغوى عدة معان للوحى كالإشارة و الكتاب و الرسالة و الأمر و التفهيم ٣.

أما الوحى بمعناه الشرعى: فهو إعلام الله تعالى لنبى من أنبيائه بحكم شرعى و نحوه بطريقة خفية غير معتادة للبشر ٤. و للوحى إطلاقات عديدة ورد بها فى القرآن الكريم مفرعة عن المدلول اللغوى الأصلى لمادة «الوحى» و «الإيحاء»:

فمن ذلك: إطلاق الوحي بمعنى الإلهام الفطري للإنسان كما في قوله تعالى:

وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ وَقوله تعالى: وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ۖ ٦.

و من ذلك: إطلاق الوحي بمعنى الإلهام الغريزي للحيوان؛ كما في قوله تعالى:

وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۗ ٧.

و من ذلك: إطلاق الوحي مراداً به الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء كما في قوله تعالى في حق نبي الله زكريا- عليه السلام:-

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۗ ٨.

و من ذلك: إطلاق الوحي بمعنى وسوسة الشيطان و تزينه الشر للإنسان؛ كما في قوله تعالى: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢

لِيَجَادِلُواكُمْ وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ٩.

و بنفس المعنى يأتي التعبير بالوحي للدلالة وسوسة شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض، أو بعض الإنس إلى

بعض، كما في قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَ لَوْ

شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ ١١٠.

و كذلك ورد الوحي- في التنزيل- بمعنى الإلهام أو الرؤيا المنامية، كما في قوله تعالى:

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ١٢ ١٣.

كما جاء إطلاق الوحي- في التنزيل.

بمعنى الأمر و التعليم، كما في قوله تعالى:

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحِينَا ١٤ ١٥.

و جاء إطلاق الوحي مراداً به إلقاء الله إلى الملائكة من أمره، و إجراء له مجرى القول، و ذلك في قوله تعالى: إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ

الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنَا الَّذِينَ آمَنُوا ١٦ ١٧.

ثم لقد جاء إطلاق الوحي بمعناه الشرعي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و إلى غيره من الأنبياء في آيات عديدة كما في قوله تعالى:

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَىٰ وَ

أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ١٨.

كما جاء إطلاق الوحي إلى جميع الرسل السابقين في قوله عز شأنه: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ ١٩.

\*\*\*\*\* و نتوقف عند وحي الله تعالى إلى الملائكة لنتعرف حقيقة:

فقد جاء وحي الله إلى الملائكة في قوله تعالى: إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنَا الَّذِينَ آمَنُوا ٢٠.

كما صرح القرآن العزيز بأنه تعالى يوحى إلى ملك الوحي ما يوحيه الملك إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، و ذلك في قوله

سبحانه: فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ٢١ أى: أوحى الله تعالى إلى عبده جبريل- عليه السلام- ما أوحاه جبريل إلى نبيه سيدنا محمد

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ٢٢.

\* و لأن وحي الله تعالى إلى ملائكته من الأمور الغيبية التي لا نعلم كيفيتها إلا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣

بالتوقيف و النقل عن صحيح السنه و مقبولها، فإننا نعمد إلى ما روى من السنه الصحيحة في هذا الصدد:

فيروى البخارى عن عبد الله بن مسعود- رضى الله عنه- أنه قال: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئاً، فإذا فرغ عن قلوبهم و

سكن الصوت عرفوا أنه الحق، و نادوا ما ذا قال ربكم؟ قالوا: الحق» ٢٣. ولا مريّة في أن أهل السماوات هم الملائكة. كما أخرج الإمام أحمد و أبو داود عن أبي معاوية أن النبي صَلَّى الله عليه و سلم قال: «إن الله - عز و جل - إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجّر السلسلة على الصفاء، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاء جبريل فزع عن قلوبهم. قال: و يقولون: يا جبريل ما ذا قال ربكم؟

قال: فيقول: الحق. قال فينادون: الحق، الحق» ٢٤.

هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الملائكة ذواتهم نورانية علوية، و يعترهم من أثر الوحي هذا الصعق، كما يعترى السماء ذاتها تلك الصلصلة، و لا عجب فإنه تجلى الحق تعالى بصفة الكلام القديم و أنى للمحدثات بالصمود لسطوتها!! إنهم من فزعهم يحسبون أن الساعة قد حان مرساها.

فقد أخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان، فيفزعون، و يرون أنه من أمر الساعة» ٢٥!!

و سيأتي مزيد تبيان لتلقى الملك الوحي سماعاً من الله تعالى في تناولنا للوحي القرآني خلال هذا البحث ياذن الله تعالى.

### \*\*\*\*\* أنواع الوحي و مراتبه:

ف نجد الأصل في معرفته ذلك - قرآنياً - قوله تعالى شأنه: «و ما كان ليشير أن يكلمه الله إلاّ وحيًا أو من وراء حجاب أو يُرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيمة» ٢٦. فقد استنبط أساطين المفسرين منها جملة أنواع للوحي الإلهي إلى من اصطفاهم الله تعالى من البشر:

النوع الأول: ما كان الوحي فيه إلقاء في القلب مناما، و هو ما يعرف بوحي الرؤيا الصادقة، كرؤيا خليل الرحمن - عليه السلام - التي قصّها القرآن في قوله تعالى: «فلما بلغ معه السعى قال يا بُنيّ إني أرى في المنام أنّي أدبحك فانظُرْ ما ذا ترى قال يا أبتِ أفعَلْ ما تؤمّر سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصّابِرِينَ» ٢٧.

و كرؤيا النبي صَلَّى الله عليه و سلم أنه يدخل المسجد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤

الحرام، حيث قال تعالى: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين» ٢٨.

النوع الثاني: ما كان الوحي فيه إلقاء في القلب يقظة، بالإلهام الذي يقذفه الله تعالى في قلب مصطفاه، على وجه من العلم الضروري الذي لا يستطيع له دفعا و لا يجد فيه شكاً و لا إشكالا، و من هذا النوع: ما رواه أبو نعيم عن أبي أمامة و الحاكم و صححه عن ابن مسعود عن النبي صَلَّى الله عليه و سلم أنه قال: «إن روح القدس نفث في روعي: أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها» ٢٩.

النوع الثالث: ما كان الإيحاء فيه يقظة من غير طريق الإلهام. و ذلك كإيحاء الزبور لنبي الله داود - عليه السلام - فقد روى عن مجاهد رضى الله عنه أن الزبور أوحى إليه في صدره إلقاء في اليقظة و ليس بإلهام، و الفرق في ذلك: أن الإلهام لا يستدعى صورة كلام نفسي حتما فقد و قد، و أما اللفظي: فلا.

و أما إيحاء الزبور فإنه يستدعيه ٣٠.

النوع الرابع: ما كان الوحي فيه بالتكليم مشافهة و مكافحة عيانا بغير حجاب و لا واسطة، كما وقع لبنينا صَلَّى الله عليه و سلم ليلة المعراج، فقد استشهد الأئمة من المفسرين لرؤية النبي صَلَّى الله عليه و سلم ربه عند تفسير قوله تعالى:

«و لقد رآه نزلته أخرى ٣١ بما في حديث أنس عند البخاري من قوله: «... ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدره

المنتهى، و دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه فيما أوحى خمسين صلاة...» ٣٢.

و مناط هذا الاستدلال: إرجاع الضمائر في:

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى و كذا الضمير المنصوب في وَ لَقَدْ رَأَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، و من ثم يتقرر ثبوت الوحي المباشر مع الرؤية عيانا و هو أرفع أنواع الوحي.

النوع الخامس: ما كان الوحي فيه من وراء حجاب، بغير واسطة و لكن لا بالمشافهة، بأن يسمع كلاما من الله من غير رؤية السامع من يكلمه، كما سمع سيدنا موسى - عليه السلام - من الشجرة، و من الفضاء في جبل الطور، قال تعالى: فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٣٣ و ليس المراد بالحجاب في قوله تعالى: أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ: حجاب الله تعالى عن عبده حسا، إذ لا حجاب بينه و بين خلقه حسا، و إنما المراد: المنع من رؤية الذات الأقدس بلا واسطة ٣٤.

النوع السادس: هو ما كان الوحي فيه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥

بواسطة ملك يرسله الله تعالى إلى مصطفاه من البشر، و هذا النوع هو المعروف بالوحي الجلي، و هو المذكور في قوله تعالى: أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ.

هذا: و وجه انحصار هذه الأنواع الستة في الأقسام الثلاثة المذكورة في الآية الكريمة - التي صدرنا بها هذا المبحث - أن القسم الأول - المستنبط من قوله سبحانه: إِلَّا وَحْيًا يَنْتَظِمُ الْأَنْوَاعَ الْأَرْبَعَةَ الْأُولَى، و هي:

الوحي المنامي، و الإلهامي - بالنفث في الروح - و الإلقائي في الصدر بصورة الكلام النفسى، و التكليم مشافهة مع الرؤية.

و القسم الثاني: المذكور في قوله تعالى:

أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ يَخْتَصُّ بِالنَّوْعِ الْخَامِسِ. و كذلك القسم الثالث - المأخوذ من قوله تعالى: أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا يَخْتَصُّ بِالنَّوْعِ السَّادِسِ الْآخِيرِ.

\* تلك هي الأنواع الرئيسية للوحي، على أن الإمام الحليمي قد ذكر أن الوحي كان يأتي النبي صلى الله عليه و سلم على ستة و أربعين نوعا، فذكرها، و غالبها من صفات حامل الوحي، و مجموعها يدخل فيما ذكر ٣٥.

\* و بناء على ما تقدم، فإن مراتب الوحي يمكن أن تصنف باعتبارين:

فباختبار المشافهة و التلقى من المصدر دون حجاب أو واسطة يكون ترتيب الأقسام في الآية الكريمة أولوية، حيث ذكر أولا: الكلام

بلا واسطة بل مشافهة، و يندرج تحته - أولويا - النوع الرابع - في تصنيفنا الآنف - ثم النوع الثالث، ثم النوع الثاني، ثم الأول.

ثم ذكر ما كان بغير واسطة و لكن لا بالمشافهة، بل من وراء الغيب، و هو النوع الخامس. ثم ذكر ثالثا: الكلام بواسطة الإرسال.

و أما بالاعتبار الثاني - و هو باعتبار الجلاء و الخفاء - فإن النوع السادس هاهنا و هو المصطلح على تسميته ب (الوحي الجلي) له الصدارة، إذ هو أشهر الأنواع و أكثرها.

و لذلك كان وحي القرآن الكريم جلّه - على المعتمد الراجح - من هذا النوع. و وجه تفضيله: أنه مخصوص بالأنبياء - عليهم السلام - و ليس لأنه أشرف من وحي المشافهة.

ثم يليه الوحي في اليقظة بدون حجاب سواء كان إحياء مع استدعاء صورة الكلام النفسى، أم إلهاما بالنفث في الروح، ثم الإلقاء المنامي في القلب - الذي أخرج فيه الشيخان - عن النبي صلى الله عليه و سلم: «رؤيا الأنبياء وحي» ٣٦. ثم التكليم من وراء حجاب.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦

**صور الوحي إلى النبي صلى الله عليه و سلم و كيفياته:**

فوجد العلماء قد ذكروا له تسع صور تجسد كفياته و صفاته:

فالصورة الأولى: أن يأتي ملك الوحي إلى النبي صلى الله عليه و سلم في مثل صلصلة الجرس، فقد روى البخارى فى صحيحه بسنده عن السيدة عائشة- رضى الله تعالى عنها- أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس- و هو أشده على- فيفصم عنى و قد وعيت ما قال ..». ٣٧

لقد شبه النبي صلى الله عليه و سلم صوت الملك لدى مجيئه بالوحي بصوت صلصلة الجرس.

و الصلصلة فى الأصل: صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين. و قيل: هو صوت متدارك لا يدرك فى أول وهلة، و لا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد.

و الجرس- بفتح الراء- مشتق من الجرس- بسكون الراء- و هو الحس، و يطلق على ناقوس صغير أو سطل فى داخله قطعة نحاس يعلق منكوسا على البعير، فإذا تحرك تحركت النحاسة فأصابت السطل فحدثت الصلصلة ٣٨.

و قال بعض العلماء: إن الصلصلة صوت خفق أجنحة الملك، و الحكمة فى تقدمه للوحي أن يقرع سمعه صلى الله عليه و سلم الوحي فلا يبقى مكان غيره، و لما كان الجرس لا يحصل صلصلة إلا متداركة، وقع التشبيه به دون غيره من الآلات.

فإن الكلام العظيم له مقدمات تأذن بتعظيمه للاهتمام به، و إنما كان شديدا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع ٣٩.

كذلك أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص- رضى الله عنهما- أنه قال: سألت النبي صلى الله عليه و سلم: هل تحس بالوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «نعم».

أسمع صلاصل، ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تفيض» ٤٠. و هذا الحديث يفسر قوله صلى الله عليه و سلم- فى حديث البخارى المتقدم- عن هذه الكيفية للوحي: «و هو أشده على»!!

و مع هذه الحالة المذكورة يكون النفث من الملك فى روع النبي صلى الله عليه و سلم كما تقدم، إذ يقول الحافظ ابن حجر: (و أما النفث فى الروع فيحتمل أن يرجع إلى إحدى الحالتين- أى الصلصلة و التمثل رجلا- فإذا أتاه الملك فى مثل صلصلة الجرس نفث حينئذ فى روعه) ٤١. و ظاهر ذلك خفاء ذات الملك لدى الصلصلة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧

و أما الصورة الثانية للوحي: فهى أن يأتي الملك للنبي صلى الله عليه و سلم فى صورة رجل، فيكلمه بالوحي، كما قال النبي صلى الله عليه و سلم- فى تنمة حديث البخارى الذى أوردنا صدره فى بيان الصورة الأولى:- «و أحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى، فأعنى ما يقول» و لقد رأيتته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه و إن جبينه ليتفصد عرقا!! و قد زاد أبو عوانة فى صحيحه: «و هو أهونه على». كما ذكر فى «الإتقان».

و فى توضيح تمثّل الملك النبي صلى الله عليه و سلم رجلا.

قال إمام الحرمين: معناه: أن الله أفنى الزائد من خلقه، أو أزاله عنه ثم يعيده إليه بعد.

و قال شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى:

إن ما ذكره إمام الحرمين لا ينحصر الحال فيه، بل يجوز أن يكون الآتى هو جبريل بشكله الأسمى، إلا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل، و إذا ترك: عاد إلى هيئته.

ثم قال الحافظ ابن حجر معقبا: و الحق أن تمثيل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا، بل معناه: أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه. و الظاهر أيضا:

أن القدر الزائد لا يزول و لا يفنى، بل يخفى على الرائي فقط. و الله أعلم ٤٢.

و نستحضر هنا: أن النفث في الروح يحتمل أن يكون مع هذه الحالة أيضا كما تقدم.

والصورة الثالثة: هي المقابلة للثانية- وهي أن ينخلع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صورته البشرية، ويدخل في الصورة الملكية بتمكين الله- تعالى- له ذلك، ويتلقى الوحي من الملك. وهذه- كما ذكر العلماء- أصعب الحالتين ٤٣.

ثم الصورة الرابعة: أن يوحى رب العزة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام بلا واسطة، كما جاء في سنن الترمذي مرفوعا: «أتاني الليلة ربي تبارك و تعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد، أتدرى فيم يختصم الملاء الأعلى؟ ...» ٤٤ الحديث.

ومما يجب التنبيه إليه هنا أن الحق- تعالى- منزه عن الصورة الحسية، فإذا رثى- سبحانه- على وصف يتعالى عنه كان لتلك الرؤيا ضرب من التأويل، كما نقل الحافظ ابن حجر عن الواسطي: أن من رأى ربه على صورة شيخ كان إشارة إلى وقار الرأى، وغير ذلك ٤٥.

والصورة الخامسة: أن يأتي ملك الوحي جبريل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم فيوحى إليه بما أمره الله تعالى به. وقد عدّ بعض العلماء من هذا القبيل سورة (الكوثر)، بيد أن التحقيق أنها نزلت في اليقظة ٤٦، كما سيأتى في تناول الوحي القرآنى في محله. والصورة السادسة: أن يأتي الملك

الموسوعه القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨

جبريل- عليه السلام- إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة على صورته الأصلية تماما بلا تمثل ولا تغير بانضمام ونحوه، فيراه بستمائه جناح ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت، ويوحى إليه على تلك الهيئة الملكية الأصلية كما نقله الإمام العيني عن السهيلي في بيان صورة الوحي من (عمدة القارى) ٤٧.

و يؤيده ما رواه الإمام مسلم عن السيدة عائشة- رضى الله عنها- مرفوعا: «لم أره- يعنى جبريل- على الصورة التى خلق عليها إلا مرتين ..» وفي رواية الترمذي عن السيدة عائشة: «لم ير محمد جبريل في صورته إلا مرتين: مرة عند سدره المنتهى، ومرة في أجياد». كما نقل الحافظ ابن حجر عن سيرة (سليمان التيمي): «أن جبريل أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حراء، وأقرأه: أقرأ باسم ربك ثم انصرف، فبقى مترددا، فأتاه من أمامه في صورته فرأى أمرا عظيما» ٤٨!!

ثم الصورة السابعة: هي وحي الملك إسرافيل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد جاء في «مسند أحمد»- بإسناد صحيح- عن الشعبي: «أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل- عليه السلام- ثلاث سنين، فكان

يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ...» ٤٩ وقد نقل الإمام السيوطى- عقب هذه الرواية- قول ابن عساكر: والحكمة فى توكيل إسرافيل: أنه الموكل بالصور الذى فيه هلاك الخلق وقيام الساعة، ونبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤذنه بقرب الساعة وانقطاع الوحي ٥٠.

والصورة الثامنة للوحي: أن يكلم الله تعالى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى اليقظة كفاحا بلا واسطة و يسمعه كلامه، كما حدث فى ليلة الإسراء والمعراج حيث أوحى إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خواتيم سورة البقرة، وقد استدلل الإمام السيوطى لذلك بما أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال:

«لما أسرى برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهى به إلى سدره المنتهى ...» إلى أن قال: «فأعطى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثا: أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا «المقدمات» أى: الكبائر التى تقحم أهلها فى النار» ٥١.

ثم الصورة التاسعة: هي النفث فى الزرع، بأن ينفث فى روح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكلام نفثا، أى ينفخ فى قلبه الوحي كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إن روح القدس نفث فى روعى ...» وقد مرّ بتخرجه متفرعا عن النوع الثانى من أنواع الوحي وهو الإلقاء الإلهامى فى اليقظة.

و من ثم: كانت الكيفيات و الصور الوصفية

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩

أخص من الأنواع لا مطابقتها لها. و قد عده الإمام السيوطي في كيفيات الوحي - و كذا الحافظ في «الفتح» عده في فنون الوحي الذي يأتي بحامل، و ذكرا أنه يحتمل أن يرجع إلى إحدى الحالتين (أى الصلصلة و تمثل الملك رجلا). و لا يخفى أن التعبير بالاحتمال و نحوه لا يحصل النفث فيهما، بل يحتمل أن يكون في حالة ثالثه مغايرة للحالتين.

و قد صرح الحافظ ابن حجر بأن للوحي حالات مغايرة لها، و هي: إما من صفه الوحي، كمجيئه كدوى النحل، و النفث في الروح، و الإلهام، و الرؤيا الصالحة، و التكليم ليله الإسراء بلا واسطه. و إما من صفة حامل الوحي كمجيئه في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، و رؤيته على كرسى بين السماء و الأرض، و قد سد الأفق. ٥٢

### الوحي القرآني:

أما عن (الوحي القرآني) بخصوصه، فإن له خصائص في نوعيته و كيفية تلقيه و الحالة التي يتنزل بها على النبي صلى الله عليه و سلم. فالخصيصه الأولى: أن جميع القرآن قد تلقاه النبي صلى الله عليه و سلم في اليقظة، و لم يكن شيء منه في المنام - على وجه الاستقلال - على القول الراجح و المعتمد لدى أساطين علماء التنزيل.

و لئن ذهب قوم إلى أن بعض الوحي القرآني كان مناميا احتجاجا بما رواه مسلم عن سيدنا أنس أنه قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءه ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: أنزل علي آتفا سورة، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم. إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)».

فإن هذا مردود عليه: بما نقله الإمام السيوطي ٥٣ عن الإمام الرافعي في «أماليه» إذ قال: فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الإغفاء، و قالوا: من الوحي ما كان يأتيه في النوم؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي. قال: و هذا (أى أن رؤيا الأنبياء وحي) صحيح، لكن الأشبه أن يقال: إن القرآن كله نزل في اليقظة، و كأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المتزلة في اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذي نزلت فيه السورة، فقرأها عليهم و فسرها لهم. ثم قال: و ورد في بعض الروايات أنه أغمى عليه، و قد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي، و يقال لها برحاء الوحي. انتهى.

(ثم عقب الإمام السيوطي بقوله): قلت:

الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه، و هو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٠

و التأويل الأخير أصح من الأول؛ لأن قوله:

«أنزل علي آتفا». يدفع كونها نزلت قبل ذلك.

بل نقول: نزلت تلك الحالة، و ليس الإغفاء إغفاء نوم، بل الحالة التي كانت تعتريه عند الوحي، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن

الدنيا ٥٣. و كذلك قال الإمام السيوطي عند ذكر الوحي المنامي: (و ليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم) ٥٤.

و من ثم: يترجح أن القرآن الكريم قد نزل كله على النبي صلى الله عليه و سلم في حالة اليقظة و لم يكن شيء من الوحي القرآني مناميا.

و الخصيصه الثانية: أن القرآن الكريم كله من قبيل ما اصطاح عليه علماء التنزيل ب (الوحي الجلي)، فكما أنه لم يقع شيء من الوحي



القرآني منا ما كذلك لم يكن شيء منه من قبيل الإلقاء الإلهامي الذي يقذف في القلب، مع أنه يكون على وجه من العلم الضروري الذي لا يداخله الشك أو الاشتباه، ولكن الحق - تعالى - جعله من قبيل التكليم الظاهر؛ للمبالغة في توثيقه على أكمل وجه و أوضحه .٥٥

و لسنا - من هذا المنطلق - مع قول من زعم أن الوحي القرآني لم يكن شيء منه من قبيل التكليم الشفاهي من الحق - تعالى - لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفاحا من غير حجاب ولا - واسطة ملك، فقد ذكر الإمام السيوطي أن الآيتين من آخر سورة البقرة نزلتا ليلة المعراج، كما عدّ من هذا النوع أيضا: بعض سورة (الضحى)، و أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؛ و استدلل بحديث ابن مسعود - الذي أوردناه في الصورة الثامنة للوحي، و بما أخرجه ابن أبي حاتم من حديث عدى بن ثابت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «سألت ربي مسألة؛ وددت أني لم أكن سألته؛ قلت: أي رب، اتخذت إبراهيم خليلا، و كلمت موسى تكليما؟ فقال: يا محمد، ألم أجدك يتيما فأويت؟ و ضالا فهديت؟ و عائلا فأغنيت؟ و شرحت لك صدرك، و حططت عنك وزرك، و رفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي؟» ٥٦.

كما نقل عن الهذلي أنه قال في «الكامل»:

«نزلت آمن الرسول إلى آخرها بقاب قوسين» ٥٧!!

و قد قدّمنا أن هذا النوع هو أشرف أنواع الوحي، فلا غرو أن يكون للوحي القرآني منه حظ معلوم. بيد أن فريقا من العلماء قد قرر - بعد التسليم بهذا الوحي القرآني الشفاهي لما مر من الأدلة - أنه يجوز أن يكون جبريل عليه السلام - قد نزل بهذه الآيات التي أوحى بها مشافهة مرة أخرى على سبيل التأكيد و التقرير، فتكون مما تكرر نزوله، و من ثم تتقرر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١١

الخصيصة الثالثة للوحي القرآني:

و هي أن الله تعالى قد وكل به جميعه أمين الوحي جبريل - عليه السلام - خاصة دون ملك سواه، لقوله تعالى شأنه: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ٥٨. فالروح الأمين هو سيدنا جبريل - عليه السلام - بإجماع المفسرين، و قد سماه الله تعالى روحا لأنه جسم لطيف روحاني خلق من الروح، أو لأنه روح كله لا كالنفس الذين في أبدانهم روح، أو لأنه لمجيئه بالوحي و الدين بمثابة الروح الذي تثبت معه الحياة ٥٩. و قد نعت بالأمين: لأنه الحفيظ المؤمن على وحي الله، و مبلغه لأنبيائه.

كذلك سماه الله تعالى (روح القدس) في قوله تعالى: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ٦٠.

و ذلك لأنه الروح المطهرة من أدناس البشرية، فالقدس: هو الطهر و النقاء، و الإضافة فيه من إضافة الموصوف إلى الصفة. و قد نقل عن النحاس أن القدس: هو الله تعالى، و المعنى: أن جبريل روح الله تعالى - و الإضافة للملكية - لأنه كان بتكوين الله تعالى له من غير ولادة ٦١، و في كل هاتيك المعاني كان لجبريل مزيد اختصاص بها من بين سائر الملائكة، إذ هو منهم كالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أفراد أمته، و لذلك اختاره الله - سبحانه - لأشرف المهام، فوكله بالكتب و الوحي إلى الأنبياء، و بالنصر عند الحروب، و بالمهلكات إذا أراد أن يهلك قوما، و قد أخرج ابن أبي حاتم عن عطاء: «أول ما يحاسب جبريل؛ لأنه كان أمين الله على رسله» ٦٢.

\* و إذا ما تساءلنا عن كيفية تلقي الأمين جبريل - عليه السلام - وحي القرآن من الله تعالى، و هل تلقاه مباشرة أو بواسطة؟ فإننا نجد للعلماء أقوالا أربعة في هذا الصدد:

أولها: أن جبريل - عليه السلام - قد تلقف التنزيل من الله تعالى تلقفا روحانيا، قال بذلك العلامة الطيبي، و القطب الرازي في حواشيه على «الكشاف»، حيث قال:



(و المراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا....) ٦٣.

و ثانيها: أن جبريل - عليه السلام - قد أخذ القرآن من اللوح المحفوظ و نزل به على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ. و هذا هو المعنى الثاني لإنزال الكتب على الرسل، حيث قال الطيبي: (لعل نزول القرآن على الملك: أن يتلقفه تلقفا روحانيا أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فيلقه إليه) ٦٤.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٢

و ثالثها: ما نقل عن الماوردي من أن الحفظه نَجَمَت القرآن على جبريل في عشرين ليلة، و أن جبريل نَجَمَه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في عشرين سنة ٦٥.

و رابعها: أن جبريل - عليه السلام - قد أخذ القرآن عن الله تعالى سماعا، فقد قال البيهقي في معنى قوله تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**: (يريد و الله أعلم: إنا أسمعنا الملك، و أفهمناه إياه، و أنزلناه بما سمع ... ) ٦٦.

و قد رجح الحافظ السيوطي هذا القول الأخير بقوله: (و يؤيد أن جبريل تلقفه سماعا من الله تعالى: ما أخرجه الطبراني - من حديث النواس بن سمعان مرفوعا - «إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا و خروا سجدا، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فينتهي به على الملائكة، فكلما مرّ بسماء سأله أهلها: ما ذا قال ربنا؟ قال: الحق، فينتهي به حيث أمر» ٦٧.

و لا شك أن هذا القول أحرى بالقبول، لقوة دليله من جهة، و لاقتضائه عدم الوساطة بين الله تعالى و بين جبريل في التلقى من جهة أخرى، و التحرز به من دعوى إنزال معناه دون لفظه بما تقضى إليه من موهومات من جهة ثالثة.

\* فلقد رصد الإمام السيوطي لعلماء التنزيل في بيان ما نزل به جبريل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ من الوحي القرآني ثلاثة أقوال؛ نثبتها بمزيد تبيان و تحليل على النحو التالي:

القول الأول: أنه نزل بلفظ القرآن و معناه، حيث إنه من المرجح أن جبريل قد تلقف القرآن سماعا من الله تعالى، و تكلما نفسيا بالصفة القديمة مع إلهامه بالألفاظ الدالة على المعاني القائمة بذاته تعالى، كما هو محصل تقرير الأصفهاني - في مقدمة تفسيره - و القطب الرازي.

أو أن جبريل - عليه السلام - قد حفظ القرآن - بلفظه و معناه - من اللوح المحفوظ، الذي أوجد الله تعالى فيه الكلمات و الحروف الدالة على معنى القرآن القائم بذات الله تبارك و تعالى، فنزل به لفظا و معنى على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ٦٨.

و القول الثاني: أن جبريل - عليه السلام - قد ألقى إليه المعنى فقط، و أنه عبر عنها بهذه الألفاظ بلغة العرب، و أن أهل السماء يقرءونه بالعربية، ثم إنه نزل به كذلك على النبي صلوات الله و سلامه عليه. و لم يثبت لأصحاب هذا الزعم الفاسد دليل عليه!!  
و القول الثالث: أن جبريل قد نزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عليه و سلم بالمعاني خاصة، و أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ علم تلك المعاني و عبر عنها بلغة العرب!!

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٣

و قد استدلل الذاهبون إلى هذا الرأي المتهافت بظاهر قوله تعالى: **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ ٦٩**. حيث إن تخصيص النزول بالقلب - على أن المراد به العضو المخصوص - موجه بأن المعاني الروحية تنزل على الروح ثم تنتقل به إلى القلب، لما بينهما من التعلق، ثم تتصعد منه إلى الدماغ، فينتقش بها لوح المتخيلة.

بيد أن هذا خلاف القول الصحيح عند المفسرين و المحدثين، الذين وجهوا لتخصيص القلب بالنزول: بأنه المدرك و المكلف دون سائر الجسد، و هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز.

و قد يقال: إنه لما كان له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ملكية يستفيض بها، و جهة بشرية يفيض بها، جعل الإنزال على روحه

صلى الله عليه وسلم المعبر عنها بالقلب، حيث قال الراغب: إنها أحد إطلاقاته؛ لأنها المتصفة بالصفات الملكية التي يفيض بها من الروح الأمين. وقد أشار إلى ذلك تعبير القرآن ب (على قلبك) دون (عليك).

وكذلك وجه تخصيص الإنزال بالقلب؛ بأنه إشارة إلى كمال تعلقه صلى الله عليه وسلم وفهمه ذلك المنزل، حيث لم تعتبر واسطة في وصوله إلى القلب الذي هو محل العقل كما يقتضيه ظاهر كثير من الآيات والأحاديث ٧٠.

ومن ثم يترجح القول الحق: وهو أن القرآن الكريم بلفظه ومعناه من عند الله تعالى لا- مدخل لجبريل ولا لغيره في ألفاظه، فالله- سبحانه- هو الذى أبرز ألفاظ القرآن وكلماته مرتبة على وفق ترتيب كلماته النفسية لأجل التفهيم والتفهم، كما نبرز نحن كلامنا اللفظي- والله المثل الأعلى- على وفق كلامنا النفسى لأجل التفهيم والتفهم، ولا ينسب الكلام بحال إلا إلى من رتبته في نفسه أولاً دون من اقتصر على حكايته وقراءته، وإننا لنؤازر العلامة الزرقانى في حكمه على زعم أن ألفاظ القرآن من عند جبريل أو النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (وعقيدتى أنه مدسوس على المسلمين فى كتبهم؛ وإلا- فكيف يكون القرآن حينئذ معجزاً واللفظ لمحمد أو لجبريل؟ ثم كيف تصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله؟ مع أن الله يقول: حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ٧١.

وللإمام الجوينى تقرير فى قضية الوحي القرآنى يؤكد فيه صدوره عن الله لفظاً ومعنى؛ يقول فيه: (كلام الله المنزل قسماً: قسم قال لجبريل: قل للنبي الذى أنت مرسل إليه: إن الله يقول: افعل كذا وكذا.... ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي، و قال له ما قاله ربه، ولم تكن العبارة تلك العبارة؛ كما يقول الملك لمن يثق به: قل لفلان:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٤

يقول لك الملك: اجتهد فى الخدمة، واجمع جندك للقتال، فإن قال الرسول: يقول الملك:

لا تتهاون فى خدمتى، ولا تترك الجند تتفرق، وحنهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير فى أداء الرسالة.

وقسم آخر: قال الله لجبريل: اقرأ على النبي هذا الكتاب، فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير، كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين ويقول: اقرأه على فلان، فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفاً) ٧٢.

وقد عقب على ذلك الإمام الحجة السيوطى شارحاً وموضحاً وموجهاً ومدلاً فقال: (قلت: القرآن هو القسم الثانى، والقسم الأول: هو السنة كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن، ومن هنا جاز روايه السنة بالمعنى لأن جبريل أداه بالمعنى ولم تجز بالقراءة (أى فى القرآن) بالمعنى؛ لأن جبريل أداه باللفظ، ولم يبح له إحياءه بالمعنى. والسر فى ذلك: أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به، فلا- يقدر أحد أن يأتى بلفظ يقوم مقامه، وإن تحت كل حرف منه معانى لا يحاط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتى بدله بما يشتمل عليه، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين، قسم يروونه بلفظ الموحى به، وقسم يروونه بالمعنى، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق، أو بالمعنى لم يؤمن التبدل والتحريف. فتأمل) ٧٣.

ولست أرى ما ارتآه العلامة الزرقانى فى نقده لكلام الإمام الجوينى المتقدم من أنه لا يوجد أمامنا دليل على أن جبريل كان يتصرف فى الألفاظ الموحاة إليه فى غير القرآن، كيف وقد قال الإمام السيوطى عقب تعقيبه السابق مباشرة: (وقد رأيت عن السلف ما يعضد كلام الجوينى، وأخرج ابن أبى حاتم من طريق عقيل عن الزهرى، أنه سأل عن الوحي فقال: الوحي ما يوحى الله إلى نبي من الأنبياء، فيثبته فى قلبه، فيتكلم به ويكتبه، وهو كلام الله، ومنه ما لا- يتكلم به ولا- يكتبه لأحد ولا- يأمر بكتابتها، ولكنه يحدث به الناس حديثاً، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه) ٧٤.

ومن ثم نقف على حقيقة الوحي القرآنى ونستيقن نزوله بلفظه ومعناه وبما حفل به من العظمة وقوة التأثير وجلال التنزيل، وتبارك منزل-ه- جل وعلا- إذ يقول: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ٧٥. قال بعض المفسرين فى تفسيرها: (لو كانت الجبال مقام الإنسان فى الخطاب (أى القرآنى) لتدكدكت الجبال وتررت، وانفلقت الصخور

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٥

الضّم، و انهدمت الشامخات العاليات فى سطوات أنواره و وجوم سنا أقداره!! ٧٦.

و لعنا نتصور حالة العالم قبل الوحي الشرعى و مدى احتياجه إليه، و لا سيما فى بداية النصف الثانى من القرن السادس الميلادى حيث كان العالم مترديا فى حضيض الظلمة و الضياع، و استبدت به أسباب الفساد من كل جانب، و عصفت به رياح الشرك و الكفران، فتداعى بناؤه العقدى و الخلقى، و سادته جاهلية عمياء، و صار يترقب الهدم الذى يعقبه البناء، إذ عمه الفساد فى كل الأرجاء كما قال تعالى: **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ٧٧، لقد فسر الإمام قتادة رضى الله عنه الفساد فى الآية الكريمة: بالضلالة و الظلم ٧٨، و هذا تفسير محكم، لأن الضلالة تعنى فساد القوة النظرية، لفقدان نور الوحي الإلهي، و الظلم:

يعنى فساد القوة العملية و الجانب السلوكي، لفقدان استرشادهما بالإشعاع المعرفي اليقيني الذى يضىء القوة النظرية، فصلاح القوتين إذن متوقف على الوحي الذى هو هدى الله لعباده.

\* من ثم: كان العالم قبل البعثة المحمدية متعطشا مستشرفا للوحي الذى يتوقف عليه رشده و صلاحه، أو بالأحرى: روحه و نوره، كما ينبى عنه قوله تعالى: **وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ٧٩.

فالتعبير عن الوحي القرآني- فى الآية الكريمة- بالروح يشير إلى أن العالم قبل هذا الوحي كان جثه هامدة بلا روح، و كذا التعبير عن هذا الوحي بأنه نور يشير إلى الظلمة الحالكه التى كان يريزح العالم فيها فى الجاهلية، ثم يشير قوله تعالى: **نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا** من الضلال الذى كان سائدا قبل الوحي المحمدي فى شتى الجوانب العقديّة و السلوكية.

\* و تتجسد حالة العالم قبل الوحي إليه جليا فى افتقاد مصدر الهداية فيما لا سبيل للعقل الوصول إليه من الجانب الغيبي فى أمور العقيدة، و أعلاها معرفة الله تعالى و صفاته القدسية و ما يجب له و ما يستحيل عليه و ما يجوز فى حقه تعالى.

كما تتجسد تلك الحاجة- فى توقف إدراك ما وراء الطبيعة من عالم ما بعد الموت من البرزخ و البعث و الحساب و الجزاء- على الأدلة السمعية التى تأتى بطريق الوحي.

و كذلك الهداية التشريعية التى تنظم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٦

العلاقة مع الله- تعالى- بالعبادات و مع الخلق بالمعاملات، و مع النفس بتركيتها بالأخلاق الصالحة و اقتلاع الأخلاق السيئة، كل ذلك عجزت عنه عقول البشر، لأن حقائق الأشياء و سبل إصلاحها لا يحيط بها- على الحقيقة- إلا موجدتها، **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؟** ٨٠

إن منطق العقل و التجربة يقضى بالرجوع- فى صيانة كل صنعة و إصلاحها- إلى صانعها لتظل فى وضعها الأمثل، و قد أودع الخالق- جل و علا- منهج إصلاح الخليفة فى دستوره العظيم (القرآن المجيد) الذى هو مصدر الهداية و الكمال الأعلى، و قد صرح بذلك- سبحانه- فى قوله تعالى: **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ٨١.

و لقد اتفقت كلمة ذوى العقول الصحيحة على أن العقل و العلم البشرى لا يغنيان إطلاقاً عن هداية الرسل بما أوحاه الله إليهم، مهما ارتقت مدارك الحكماء و المفكرين فى معارفهم العقلية، فإن حكمتهم و آراءهم و علومهم إنما هى آراء بشرية ناقصة، و ظنون لا تبلغ من عالم الغيب إلا أنه موجود مجهول ٨٢!! و هى عرضة للخطأ و التخطئة و الخلاف فيها على أية حال. و أحكامها نسبية، فالإمام التحاكم إذا عند الاختلاف الذى هو من سنن الأحكام الاجتهادية؟

هنا تتجسد ضرورة الوحي و البيان النبوي لحسم النزاع و الخلاف، كما نطق التنزيل فى قوله تعالى: **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ٨٣.

و إذا تحصل لنا من جملة ما سبق: أن صلاح البشر بالدين مبنى على الإيمان بالغيب و الوقوف فيه عند خبر الأنبياء - عليهم الصلاة و السلام- و لا يمكن إصلاحهم بالعلوم المادية الكسبية وحدها، فإنه يقع في دائرة اليقين أنه لا سبيل إلى إنقاذ البشرية في هذا العصر إلا بإثبات الوحي المحمدي الموحد لإنسانيتهم، المزكى لأنفسهم و اتباع هديه الذي هو مناط السعادتين الدنيوية و الأخروية ٨٤، و هو المخرج الوحيد لكل ما تعانیه الإنسانية من شقاء و ظلم و عناء و جموح و استبداد، و قد أوضح التنزيل منهج الهداية و النجاة بقوله تعالى: قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٨٥.

\*\*\*\*\*

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٧

### [كيف بدأ الوحي]

و لعلنا نتساءل عن (بدء الوحي): متى و كيف بدأ؟

و لقد تكفلت السنة الصحيحة في الجواب عن ذلك، فيروى الشيخان و الترمذي و النسائي و غيرهم بإسنادهم عن السيدة عائشة أم المؤمنين - رضی الله تعالى عنها - أنها قالت:

«أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب إليه الخلاء، و كان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - و هو التعبّد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، و يتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق و هو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال:

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه و سلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد - رضی الله عنها - فقال: زملوني ... زملوني ... فزملوه حتى ذهب عنه الروح، فقال لخديجة و أخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا و الله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، و تحمل الكل، و تكسب المعدوم، و تقري الضيف، و تعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، و كان امرأ تنصر في الجاهلية، و كان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، و كان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي، ما ذا ترى؟

فأخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، و إن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي و فتر الوحي» ٨٦.

\* و لنا في هذا الحديث الجامع و قفات عدة:-

فالوقفه الأولى: عند توقيت أوليئه الوحي و سرّ نوعيته في هذا البدء: فقد روى ابن سعد بإسناده أن نزول الملك على النبي صلى الله عليه و سلم بغار حراء كان يوم الاثنين لسبع عشرة خلت

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٨

من رمضان، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ ابن أربعين سنة. و نقل الحافظ ابن حجر عن البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة

أشهر. و على هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده و هو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة، و ابتداء وحي اليقظة وقع فى رمضان ٨٧.

\* أما عن حكمه بدء الوحي بالرؤيا الصادقة، فقد ذكر الإمام العيني أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتدأ بها لثلاثا يفجأه الملك، و يأتيه بصريح النبوة و لا تحتملها القوى البشرية، فبدأ بأول خصال النبوة و تباشير الكرامة من صدق الرؤيا مع سماع الصوت، و سلام الحجر و الشجر عليه بالنبوة، و رؤية الضوء، ثم أكمل الله له النبوة بإرسال الملك إليه فى اليقظة و كشف له عن الحقيقة كرامة له ٨٨.

\* و الوقفة الثانية: عند سر تحبيب الخلوة إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى غار حراء خلال فترة الوحي المنامي و قبل ظهور الملك بالوحي الجلى، يقول العلماء: إن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه له، و من ثم: فهى معينة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التفكير و التأمل إذ بها ينقطع عن مألوفات البشر و يخشع قلبه، فإن البشر لا ينتقل عن طبعه إلا بالرياضة البليغة، ثم إن الخلوة مبعث الصفاء الروحي الذى تستقبل الروح به فيوضات الأنوار الإلهية. و إنما كانت الخلوة و التعبد بجبل حراء بالذات؛ لأنه كان يرى منه بيت ربه و هذه الرؤية عبادة! ٨٩

\* و الوقفة الثالثة: عند حكمه غطه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرات، فقد قيل: إنها التهيئة لتلقى الوحي القرآنى، ليظهر فى ذلك الشدة و الاجتهاد فى الأمور، و إنما تكرر ثلاثا للمبالغة فى التثبيت ٩٠.

\* و الوقفة الرابعة: للجواب عن تساؤل:

من أين علم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الجائى إليه هو جبريل - عليه السلام -؟ و بما عرف أنه حق لا باطل؟ فقد أجيب عن ذلك: بأن الحق - تعالى - قد أقام للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليلا يقينيا على أن الجائى إليه ملك لا شيطان، كما أقام المعجزة دليلا لنا على صدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٩١.

و أقول أيضا: إن الله تعالى أوجد فى قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علما ضروريا بأنه ملك الوحي جبريل، و هذا العلم مستغنى عن الدليل.

\* ثم الوقفة الخامسة: عند قول الملك له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ حيث استدلل الجمهور على أن سورة (اقرأ) هى أول ما نزل من القرآن الكريم، و فيها دليل فقهى على وجوب استفتاح القراءة بيسم الله.

عند بعض العلماء كما قال السهيلي، و إن كان محل خلاف.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٩

\* و الوقفة السادسة: عند قول ورقة:

(هذا الناموس الذى نزل الله على موسى) فإن الناموس فى اللغة: هو صاحب سر الخير و هو هنا جبريل عليه السلام، و قد سمي به لخصوصه بالوحي و الغيب. و إنما خصص بالناموس الذى أنزله الله على موسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء مع أن لكل نبي ناموسا؛ لأنه أنزل عليه كتاب التوراة الذى هو أكبر كتب الأنبياء قبل القرآن، بخلاف سائر الأنبياء فإن منهم من نزل عليه صحف، و منهم من نبي ياخبار جبريل - عليه السلام.

\* و أما الوقفة السابعة: فهى مع أول من آمن بالوحي المحمدى و بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ و عايشه مع أول شعاع الإسلام! إنها السيدة خديجة - رضوان الله عليها - التى شهد حديث بدء الوحي بكمالها و جزالة رأيها و قوة نفسها، و عظم فقهها؛ حيث جمعت للرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميع أنواع أصول المكارم و أمهاتها فى وصفها له و هى تهدي روعه.

و إنه الصديق الأعظم سيدنا أبو بكر رضى الله عنه الذى جاء فى السيرة عن عمرو بن شرحبيل أنه دخل على السيدة خديجة إبان بدء الوحي القرآنى فذكرت له ما رآه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت له:

«يا عتيق، اذهب مع محمد إلى ورقة» - و ذلك فى مرة أخرى غير التى ذهبت فيها معه إلى ورقة - و إنه للحبر الجليل ورقة الذى شهد

للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوحي وبالرسالة، وقال فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيما روى الحاكم في «مستدرکه» عن السيدة عائشة - رضي الله عنها: «لا تسبوا ورقة فإنه كان له جنه أو جنتان».!! ٩٢

ثم كانت (فترة الوحي) التي صرح بها حديث بدء الوحي في نهايته، حيث قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثم لم ينشب ورقة - أي لم يلبث - أن توفي و فتر الوحي». فما المقصود بفترة الوحي؟ و ما مدتها؟ و ما حكمتها؟.

\* أما من حيث المعنى اللغوي: فالفترة مرة من الفتور، و في مفردات الراغب: الفتور سكون بعد حدة، و لين بعد شدة، و ضعف بعد قوة ٩٣.

و أما المقصود بفترة الوحي: فقد ذكر العلامة ابن حجر و غيره أنه ليس المراد بفترة الوحي عدم مجيء جبريل إليه؛ بل تأخر نزول القرآن فقط ٩٤.

\* و من ذلك يعلم: أن فترة الوحي القرآني لا تعني إطلاقاً انقطاع اتصال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بربه أو بملك الوحي جبريل عليه السلام، و لذلك لما تأخر الوحي عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و فهم الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٠

المشركون من ذلك أن الله ودَّعه و قلاه أنزل الله تعالى قوله: وَ الضُّحَى (١) وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى، و ذلك رداً على زعمهم الخاطيء، و ثمة مرويات أخرى تعاضد ذلك في سبب النزول، منها ما أخرجه الشيخان عن جندب أنه قال: «قالت امرأة من قريش للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أرى شيطانك إلا قد ودعك، فنزل: وَ الضُّحَى (١) وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى» ٩٥.

\* و أما عن مدة فترة الوحي: فقد قال الحافظ ابن حجر: (وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي: أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين، و به جزم ابن إسحاق، ثم قال:

(و ليس المراد بفترة الوحي المقدره بثلاث سنين - و هي ما بين نزول (اقرأ) و (يا أيها المدثر) عدم مجيء جبريل إليه، بل تأخر نزول القرآن فقط) ٩٦.

ثم نقل عن السهيلي أنه قال: (جاء في بعض الروايات المسنده أن مدة الفترة كانت سنتين و نصفاً).

ثم عقب عليه بقوله: (و هذا الذي اعتمده السهيلي من الاحتجاج بمرسل الشعبي لا يثبت، و قد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة المذكورة كانت أياماً) ٩٧، و هو يشير بهذا إلى رواية ابن سعد عن الإمام ابن عباس حيث قال: (..... مكث أياماً بعد مجيء الوحي لا يرى جبريل) ٩٨.

ثم حسم الحافظ الأمر بقوله - عند شرح أحاديث سبب نزول سورة (و الضحى):

(و الحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول سورة (و الضحى) - غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي؛ فإن تلك دامت أياماً، و هذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً) ٩٩.

\* و أما عن حكمه فترة الوحي: فقد ذكر العلماء فيها وجوها عدده:

فمنها: ما ذكره الحافظ ابن حجر: (أن هذه الفترة كانت من مقدمات تأسيس أمر النبوة، ليتدرج فيه و ليمرن عليه، و قد شق عليه فتوره حيث لم يكن خوطب عن الله بعد:

أنك رسوله و مبعوثه إلى عباده، فأشفق أن يكون ذلك أمراً بدئياً به ثم لم يرد استمراره.

فحزن لذلك، حتى تدرج على احتمال أعباء النبوة و الصبر على ثقل ما يرد عليه، فتح الله له من أمره بما فتح) ١٠٠.

و منها: ما ذكره شيخ الإسلام العيني: من أن فتور الوحي مدة إنما كان كذلك ليذهب ما كان - عليه الصلاة و السلام - وجده من الروع، و ليحصل له التشوق إلى العود).



و منها كذلك: دلالة قاطعة على أن هذا الوحي من عند الله - تعالى - و أن التنزيل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢١

القرآني مصحوب بانحاء الإرادة الشخصية للرسول صلى الله عليه و سلم و انسلاخه من الطبيعة البشرية حتى ما بقي له - صلوات الله و سلامه عليه - اختيار فيما ينزل عليه أو ينقطع عنه، فقد يتتابع الوحي و يحمى حتى يكثر عليه، و قد يفتر عنه و هو أحوج ما يكون إليه، فهو وحي الله تعالى لا ريب فيه ١٠١.

و إننا لنلمس - في دهشة - مدى حب النبي صلى الله عليه و سلم للوحي التنزيلي، و شوقه إليه في فترته، إلى ذلك الحد الذي صورته حديث السيدة عائشة إذ تقول - رضى الله عنها - في تممة الحديث المار في بدء الوحي: «..... و فتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه و سلم - فيما بلغنا - حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رءوس شواهد الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى منه نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد؛ إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه، و تقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك» ١٠٢.

و قد يقال هاهنا: كيف عزم النبي صلى الله عليه و سلم على إلقاء نفسه من الجبل مع أن ذلك يوجب قتلها، و العزم عليه من الكبراء، و الأنبياء جميعا و لا سيما حضرته صلى الله عليه و سلم معصومون من جميع المعاصي قبل البعث و بعدها؟؟ و الجواب عن ذلك أن يقال: إن هذا الخبر من بلاغات الزهري كما جزم بذلك ابن حجر، و أنه لو صح لكان مجرد تصوير مجازى لشوق النبي صلى الله عليه و سلم للوحي، و حزنه العميق على تأخره.

### \*\*\* [كتاب الوحي]

#### إشارة

ثم نتعرف على (كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه و سلم):

ف نجد من عناية الله بكتابه المجيد أن وجه الهمم و وفر الدواعى على تدوينه فى السطور، كما وجه عناية النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه إلى حفظه و استظهاره فى الصدور، فتحقق بالأمرين وعد الله - تعالى - بحفظه فى قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ١٠٣، فقد تضافرت الصورتان، و عاضدت كل منهما الأخرى فى الصحة و التوثيق، حيث كان النبي صلى الله عليه و سلم ينزل عليه القرآن شيئا فشيئا، و كان كلما نزل منه شيء بادر بتبليغه لأصحابه و حث على تعلمه و تعليمه، و كان يأمر كتاب الوحي بكتابه كل شيء ينزل من القرآن عقب نزوله مباشرة، فتمت كتابة القرآن كله فى عهده صلى الله عليه و سلم، و قد استنبط علماء التنزيل ما يدل على أن الكتابة من الصفات اللازمة للقرآن فى ذلك العهد من

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٢

قوله تعالى: رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ١٠٤.

كما سجلت السنة الصحيحة أمر النبي صلى الله عليه و سلم بكتابة القرآن: فيما رواه الإمام أحمد و أصحاب السنن الثلاثة و صححه ابن حبان و الحاكم من حديث الإمام ابن عباس عن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا» ١٠٥.

\* هذا: و قد تعددت أقوال العلماء فى عدد كتاب الوحي لسيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، فالعلامة الدكتور محمد عبد الله دراز يذكر أن العلماء الثقات قد ذكروا أن عدد كتاب الوحي قد بلغ تسعة و عشرين كتابا ١٠٦.

وقام المستشرق (بلاشير) باستطلاع كتاب الوحي في عديد من المصادر العربية والغربية و من تلك المصادر: ما ورد في طبقات ابن سعد و ما كتبه الطبري و النووي و الحلبي، و كذا شفالي و بهل و كازانوف، و استطاع أن يبلغ بكتاب الوحي إلى أربعين كتابا ١٠٧.

### [اقسام كتاب الوحي]

#### إشارة

و لقد قسم العلماء و أصحاب السير كتاب الوحي إلى ثلاثة أقسام:

#### فالقسم الأول: كتاب الوحي في العهد المكي و من أبرزهم:

- ١- الصحابي الجليل شرحبيل بن حسنة السهمي أو الكندي المتوفى سنة ١٨ هـ و له سبع و ستون سنة، و قد نص الحافظ الشامي في سيرته على أنه أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه و سلم ١٠٨.
- ٢- الصحابي الجليل خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي المتوفى يوم موقعة أجدادين سنة ١٣ هـ كما ذكره الذهبي في السير ١٠٩. و كان خامسا في الإسلام و أول من كتب (بسم الله الرحمن الرحيم)، كما رواه الذهبي عن ابنته أم خالد ١١٠.
- ٣- الصحابي الجليل أمير مصر عبد الله ابن سعد أبي السرح (ت ٣٦ هـ) و هو من السابقين الأولين - كما ذكر ابن العماد في ترجمته - و قد نص الحافظ ابن حجر على أنه أول من كتب للنبي صلى الله عليه و سلم بمكة من قريش، ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح و حسن إسلامه، و فتح الله على يديه شمال إفريقيا و بعض بلاد السودان ١١١.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٣
- ٤- الصحابي الجليل حنظلة بن الربيع بن صيفي بن رباح الأسدي. قال صاحب (أسد الغابة) في ترجمته: (و يقال له حنظلة الأسدي و الكاتب؛ لأنه كان يكتب للنبي صلى الله عليه و سلم، و هو ابن أخي أكنم بن صيفي) ١١٢، و هو الذي أرسله النبي صلى الله عليه و سلم إلى أهل الطائف قائلا لهم: (أ تريدون صلحا أم لا؟ فلما توجه إليهم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ائتموا بهذا و أشباهه!!)، ثم انتقل إلى قريشيا - و هي بلد على الفرات فمات بها ١١٣، و قد رجح قدم إسلامه بمكة بناء على تلك القرائن بالإضافة إلى كونه ليس أنصاريًا ١١٤.

#### و القسم الثاني: من كتب له صلى الله عليه و سلم في الجملة - على حد تعبير الحافظ ابن حجر - و ترجح اشتراك كل منهم في كتابة الوحي للنبي صلى الله عليه و سلم بمكة:

و هم سادتنا الصحابة الأجلاء: أبو بكر، و عمر، و عثمان، و علي، و طلحة بن عبيد الله، و الزبير بن العوام، و الأرقم بن أبي الأرقم، و حاطب بن عمرو، و عامر بن فهيرة، و أبو سلمة بن عبد الأسد، و معيقب الدوسي ١١٥ - رضي الله عنهم أجمعين.

#### و أما القسم الثالث: فهم كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه و سلم في العهد المدني، و من أبرزهم:

١- سيدنا أبي بن كعب بن قيس الأنصاري النجاري رضي الله عنه (ت سنة ٣٠ هـ) - و هو الملقب بسيد القراء، و قد نص الحافظ ابن حجر و غيره على أنه أول من كتب للنبي صلى الله عليه و سلم بالمدينة، و نص أيضا على أنه كتب له قبل زيد بن ثابت ١١٦ - رضي



اللّه تعالى عنهما.

٢- سيدنا زيد بن ثابت بن الضحّاك بن زيد الخزرجي النجاري الأنصاري رضي الله عنه (ت ٤٥ هـ) عن ست و خمسين سنة كما حكاه الذهبي عن الواقدي ١١٧، و ذكر أيضا أنه لما هاجر النبي صلى الله عليه و سلم إلى المدينة أسلم زيد و هو ابن إحدى عشرة سنة، فأمره النبي صلى الله عليه و سلم أن يتعلم خط اليهود ليقرا له كتبهم و قال: «فإني لا آمنهم» ١١٨. و روى الطبراني بإسناد حسن إليه أنه قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا نزل الوحي بعث إليّ فكتبت» ١١٩.

كما روى البخاري بإسناده أن ابن السباق قال: «إن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر رضي الله عنه قال: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و سلم فاتبع القرآن، فتتبع القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة- آيتين- مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع غيره» ١٢٠، و من ثم كان هو الذي جمع القرآن في صحف في عهد الصديق رضي الله عنه كما ندبه سيدنا الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤

عثمان رضي الله عنه إلى كتابة المصحف العثماني أيضا ١٢١.

هذا و قد حقق الأثبات أن سيدنا عثمان ابن عفان- رضي الله تعالى عنه- كان من أوثق مصادر التسجيل الفوري للوحي القرآني و لا سيما في العهد المدني أيضا، حيث قالت السيدة عائشة- رضي الله عنها-: «كان عثمان قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم و رسول الله مسند ظهره إليّ و جبريل يوحى إليه القرآن، و هو يقول: «اكتب يا عثيم»!! ١٢٢ ثم هنالك ثلّة من الصحابة الأجلاء الذين اشتركوا في كتابة الوحي للنبي صلى الله عليه و سلم بالمدينة المنورة، و من أبرزهم السادة الأجلاء:

أبان بن سعيد بن العاص (ت سنة ١٣ هـ)، و بريدة بن الحصيب الأسلمي، و ثابت بن قيس، و معاوية بن أبي سفيان، و خالد بن الوليد، و حذيفة بن اليمان، و حويطب بن عبد العزى، و عبد الله بن الأرقم، و عبد الله بن رواحة، و سعيد بن سعيد بن العاص، و عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول و غيرهم- رضي الله تعالى عنهم أجمعين- و بعض هؤلاء و صفتهم المصادر بالكتابة للنبي صلى الله عليه و سلم دون تقييد بعهود أو رسائل، و لم يكونوا قديمي الإسلام بمكة المكرمة ١٢٣.

\*\*\* و نتوقف أخيرا عند نقطة: إثبات الوحي و إبطال دعوى منكريه بالاستدلال العقلي بعد أن قدمنا نصوص الإثبات نقلا من الكتاب و السنّة، فنقول: قد أخبر بثبوت وقوع الوحي الصادق المعصوم سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم المؤيد بالمعجزة، و كل ما أخبر بوقوعه الصادق المعصوم فهو حق ثابت.

فإن المعجزة- و هي الأمر الخارق للعادة الخارج عن حدود الأسباب المعروفة يظهره الله على يد مدعى النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه- إنما هي بمثابة قول الله تعالى: (صدق عبدى فى كل ما يبلغه عنى، و من ذلك أنه يوحى إليه منى)!!

و من ثم: نستطيع أن نقرر بثبوت: أن الوحي القرآني بإعجازه هو بنفسه دليل عقلى على مصداقيته، و ذلك بما توافر له من براهين إعجازه بعد التحدى به و إعلان عجز الثقلين عن الإتيان بمثله، و صدق الله القائل فى كتابه المعجز: قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا!! ١٢٤

\* ثم لقد قدم العلماء- لإثبات الوحي بالعلم التجريبي و الفكر الفلسفي- دلائل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٥

ساطعة على جوازه و إمكانه فى مواجهة من ينكرون أدلة الشرع.

و منها التنويم المغناطيسى الذى كشفه الدكتور (مسمر) فى القرن الثامن عشر، و اعترف به العلماء، و أثبتوا بواسطته أن للإنسان عقلا باطنا أرقى و أسمى من عقله المعتاد، و أنه فى حالة التنويم يرى و يسمع من بعد شاسع، و يقرأ من وراء حجب، و يخبر عما سيحدث

مما لا يوجد في عالم الحس علامة لحدوثه.

ثم إننا في عصرنا الحديث وقد أصبح أمامنا التلفاز و الراديو و اللاسلكى و غير ذلك مما نشاهد و نتخاطب به عبر المسافات البعيدة، أ نستبعد بعد ذلك على قدرة الله- تعالى - إعلام الله- تعالى - لخواص عباده بما شاء من وحيه؟؟ ثم كيف ندعن لقول كبار الفلاسفة كأفلاطون أن هناك عبقرية، و قد عرفها بأنها إلهية مولدة للإلهامات العلوية للبشر، و يقرر الفلاسفة أنها لا شأن للعقل فيها، ثم نستبعد على خلاق القوى و القدر أن يمد بوحيه الإلهي من شاء من عباده؟ ١٢٥ و هناك الكثير و الكثير من الأدلة التى بسطها العلماء للاستدلال لصحة وقوع الوحي و الجواب عن الشبهات الواردة عليه فى العديد من المصادر القرآنية؛ «كالنبي العظيم» للدكتور محمد عبد الله دراز، و «الوحي المحمدي» للشيخ محمد رشيد رضا، و «مناهل العرفان» للعلامة الزرقاني و غيرها، فضلا عن أمهات التفاسير؛ للفخر الرازي و القرطبي و الآلوسی و غير ذلك، و الله تعالى أعلم.

أ. د./ جودة محمد أبو اليزيد المهدي هوامش موضوع الوحي

(١) سورة الشورى: الآية ٧.

(٢) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ٧ ط الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٣) د/ جودة محمد أبو اليزيد المهدي: فتح الجليل فى علوم التنزيل: ص ١٩١-١٩٢، ط/ دار الفاتح للتراث الإسلامى.

(٤) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ٨ ط/ الزهراء ١٤٠٨ هـ، و عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان ١/ ٥٦ ط/ الحلبي.

(٥) سورة القصص: الآية ٧.

(٦) سورة المائدة: الآية ١١١.

(٧) سورة النحل: الآية ٦٨.

(٨) سورة مريم: الآية ١١.

(٩) سورة الأنعام: الآية ١٢١.

(١٠) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

(١١) انظر تفسير البيضاوى (أنوار التنزيل) ١/ ٢٧٤ ط/ الحلبي ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٦

(١٢) سورة طه- عليه الصلاة و السلام- الآية ٣٨، و بعض الآية ٣٩.

(١٣) انظر (أنوار التنزيل) للبيضاوى ٢/ ٣٩ ط/ الحلبي ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م.

(١٤) سورة المؤمنون: الآية ٢٧.

(١٥) انظر (أنوار التنزيل) للبيضاوى ٢/ ٨٣ ط/ الحلبي ١٣٥٨ هـ.

(١٦) سورة الأنفال صدر الآية الكريمة ١٢.

(١٧) انظر (أنوار التنزيل) للبيضاوى ١/ ٣٢٣ ط/ الحلبي ١٣٥٨ هـ.

(١٨) سورة النساء: الآية ١٦٣.

(١٩) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٢٠) سورة الأنفال: صدر الآية الكريمة ١٢.

(٢١) سورة النجم: الآية ١٠، و انظر (أنوار التنزيل) للبيضاوى ١/ ٣٤٠.

- (٢٢) انظر (أنوار التنزيل) لليضاوى ١ / ٣٤٠ ط / الحلبي، و الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ص ٧ ط / الزهراء. (٢٣)،
- (٢٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ١٣ / ٣٨٩ ط / الهيئة المصرية ١٣٤٨ هـ.
- (٢٥) انظر تخريجه في (الإتقان) للإمام السيوطي بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١ / ١٢٧ ط / المشهد الحسيني ١٣٨٧ هـ.
- (٢٦) سورة الشورى: الآية ٥١.
- (٢٧) سورة الصافات: الآية ١٠٢.
- (٢٨) سورة الفتح: الآية ٢٧.
- (٢٩) انظر (الجامع الكبير) للحافظ السيوطي ١ / ٢٤٣، و انظر (فتح الباري) لابن حجر ١ / ١٦، و (مناهل العرفان) للزرقاني ١ / ٥٧.
- (٣٠) انظر (روح المعاني) للإمام الآلوسي ٢٥ / ٥٤ ط / المنيرية، و (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي ٢٧ / ١٨٧ ط / دار الفكر ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.
- (٣١) سورة النجم: الآية ١٣.
- (٣٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه ٤ / ١٩٩، ط / حجازي، و انظر (روح المعاني) للآلوسي ٢٨ / ٥٢.
- (٣٣) سورة القصص: الآية ٣٠.
- (٣٤) انظر (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) لابن عجيبة الحسني ٥ / ٣٣٠، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (٣٥) انظر (فتح الباري) لابن حجر ١ / ١٦، ط / الهيئة المصرية.
- (٣٦) أخرجه البخاري في باب (التخفيف في الوضوء) حديث ١٣٨، و خرجه الحافظ في فتح الباري عن مسلم (١ / ٢٨٩).
- (٣٧) انظر (فتح الباري) لابن حجر ١ / ١٥ - ١٦ ط / الهيئة المصرية.
- (٣٨)،
- (٣٩) نفس المصدر السابق.
- (٤٠) انظر مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٢٢، نشر دار صادر.
- (٤١)،
- (٤٢) انظر (فتح الباري) لابن حجر ١ / ٨٥، ١٧ ط / الهيئة المصرية.
- (٤٣) انظر (الإتقان) للإمام السيوطي بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١ / ١٢٥، ط / المشهد الحسيني.
- (٤٤) انظر (عمدة القاري) للإمام العيني ١ / ٤٤، ط / الحلبي، الأولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- (٤٥) انظر (فتح الباري) لابن حجر العسقلاني ١٢ / ٣٣٦، ط / الهيئة المصرية.
- (٤٦) انظر (الإتقان) للحافظ السيوطي بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١ / ١٢٩، ط / المشهد الحسيني.
- (٤٧) انظر (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) للإمام بدر الدين العيني ١ / ٤٤.
- (٤٨) انظر (فتح الباري) لابن حجر ١ / ١٩، ط / الهيئة المصرية.
- (٤٩)،
- (٥٠) انظر (عمدة القاري شرح البخاري) للإمام العيني ١ / ٤٤، ط / الحلبي، و انظر (الإتقان) للإمام السيوطي ١ / ١٢٩.
- (٥١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان: باب ذكر سدره المنتهى: ١ / ١٥٧، ط / دار الفكر - بيروت ١٣٩٨ هـ.
- (٥٢) انظر (فتح الباري) لابن حجر ١ / ١٥، ط / الهيئة المصرية.
- (٥٣)،

(٥٣)،

(٥٤) انظر (الإتقان) للإمام السيوطى بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم /١ /٦٥-٦٦، ١٢٩، ط /المشهد الحسينى.  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٧

(٥٥) انظر (مناهل العرفان) للزرقانى /١ /٥٧، ط /الحلبى.

(٥٦)،

(٥٧) انظر الإتقان للإمام السيوطى بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم /١ /٦٧، ١٢٩.

(٥٨) سورة الشعراء: الآيات ١٩٣-١٩٥.

(٥٩) انظر (مفاتيح الغيب) /٢٤ /١٦٦، و (روح البيان) /٦ /٣٠٦ و تفسير الشوكانى /٣ /١٩٤.

(٦٠) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٦١) انظر (تفسير الشوكانى) /٣ /١٩٤.

(٦٢) انظر (الإتقان) للإمام السيوطى بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم /١ /١٣٠.

(٦٣)،

(٦٤) نفس المصدر /١ /١٢٥-١٢٦ و (مناهل العرفان) للزرقانى /١ /٤٠، ط /الحلبى.

(٦٥) انظر (مناهل العرفان) للزرقانى /١ /٤٠-٤١.

(٦٦) انظر الإتقان للإمام السيوطى /١ /١٢٦.

(٦٧)،

(٦٨) نفس المصدر /١ /١٢٥-١٢٧.

(٦٩) سورة الشعراء: الآية ١٩٤.

(٧٠) انظر (مفاتيح الغيب) للفخر الرازى /٢٤ /١٦٦-١٦٧، ط /دار الفكر بيروت، و روح المعانى للآلوسى /١٩ /١٢٠-١٢١، ط /المنيرية.

(٧١) سورة التوبة: الآية ٦، و انظر (مناهل العرفان) للزرقانى /١ /٤٢، ط /الحلبى.

(٧٢)،

(٧٣)،

(٧٤) انظر (الإتقان) للإمام السيوطى /١ /١٢٧-١٢٨، ط /المنيرية.

(٧٥) سورة الحشر: الآية ٢١.

(٧٦) انظر (البحر المديد) للإمام ابن عجيبة /٦ /١١٩، ط /الهيئة العامة للكتاب.

(٧٧) سورة الروم: الآية ٤١.

(٧٨) انظر (أعظم المرسلين صلى الله عليه و سلم من المولد إلى المبعث) للدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدي ج ١ ص ٤٣، ط /دار غريب للطباعة و النشر بالقاهرة سنة ١٩٩٧ م.

(٧٩) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٨٠) سورة الملك: الآية ١٤.

(٨١) سورة الإسراء: الآية ٩.

- (٨٢) انظر: (الوحي المحمدي) لمحمد رشيد رضا ص ١٤، ط الزهراء ١٤٠٨ هـ.
- (٨٣) سورة النحل: الآية ٦٤.
- (٨٤) انظر (الوحي المحمدي) لمحمد رشيد رضا ص ١٢-١٧ بتصرف.
- (٨٥) سورة المائدة: الآيتان ١٥-١٦.
- (٨٦) انظر الحديث بتخرجه في (عمدة القارى) للإمام العيني ١/ ٥١-٥٣، ط/ الحلبي.
- (٨٧) انظر المصدر السابق ١/ ٦٨، و انظر (فتح البارى) لابن حجر ١/ ٢٢ ط/ الهيئة المصرية.
- (٨٨) انظر (عمدة القارى) للإمام العيني ١/ ٦٧.
- (٨٩)،
- (٩٠)،
- (٩١) المصدر نفسه ١/ ٦٨ و فتح البارى ١/ ١٨.
- (٩٢) انظر (عمدة القارى) للإمام العيني ١/ ١٧.
- (٩٣) انظر (المفردات) للراغب الأصفهاني ص ٣٧٣ ط/ دار المعارف.
- (٩٤) انظر (فتح البارى) لابن حجر ١/ ٢٢ ط الهيئة المصرية.
- (٩٥) انظر (أسباب النزول) للواحدي، بتحقيق السيد صقر ص ٤٨٩، ط/ الأولى، و (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي ٣٢/ ٢١٠، ط/ دار الفكر.
- (٩٦)-
- (٩٧) انظر (فتح البارى) لابن حجر ١/ ٢٢-٢٣.
- (٩٨) نفس المصدر ١٢/ ٣٠٣.
- (٩٩) نفس المصدر ٨/ ٥٧٧.
- (١٠٠) نفس المصدر ١٢/ ٣٠٣.
- (١٠١) انظر: (مباحث في علوم القرآن) للدكتور صبحي الصالح ص ٣٥-٣٦، ط/ دار العلم للملايين سنة ١٩٩٦ م.
- (١٠٢) انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) ١٢/ ٣٠٢-٣٠٣، ط/ الهيئة المصرية.
- (١٠٣) سورة الحجر: الآية ٩.
- (١٠٤) سورة البينة: الآية ٢.
- (١٠٥) انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) للحافظ ابن حجر ٩/ ١٨- و انظر (البيان في مباحث من علوم القرآن) للشيخ عبد الوهاب غزلان ص ١٦٠، ط/ دار التأليف.
- (١٠٦) انظر (مدخل إلى القرآن الكريم) للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٣٤، ط/ دار القرآن الكريم بالكويت سنة ١٣٩١ هـ.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٨
- 
- (١٠٧) انظر (مباحث في علوم القرآن) للدكتور صبحي الصالح ص ٦٩، ط/ دار العلم للملايين (السادسة).
- (١٠٨) انظر (سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد) للعلامة محمد بن يوسف الصالحى الشامى ١٢/ ٣٩٨.
- (١٠٩)،
- (١١٠) انظر (سير أعلام النبلاء) للذهبي ١/ ٢٦٠.

- (١١١) انظر (فتح الباري) لابن حجر ١٨ / ٩، ط / الهيئة المصرية، و (سبل الهدى و الرشاد) للشامى ١٢ / ٤٠٢، ط / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، و (شذرات الذهب) لابن العماد ١ / ٤٤، ط / المكتب التجارى بلبنان. (١١٢)،
- (١١٣) أنظر (أسد الغابة) لابن الأثير ٢ / ٦٥، ط / الشعب، و (فتح الباري) لابن حجر ١٨ / ٩.
- (١١٤) انظر (وثيقة نقل النص القرآنى من رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أمته) للأستاذ الدكتور محمد حسن جبل ص ١٦٢، ط / التركي بطنطا.
- (١١٥) انظر (فتح الباري) لابن حجر ١٨ / ٩. ط / الهيئة المصرية.
- (١١٦) نفس المصدر، و انظر (سير أعلام النبلاء) للذهبي ١ / ٣٨٩.
- (١١٧) سير أعلام النبلاء ٢ / ٤٤١، ط / الرسالة.
- (١١٨) نفس المصدر ٢ / ٤٢٨ - ٤٢٩.
- (١١٩) نفس المصدر ٢ / ٤٢٩.
- (١٢٠) انظر (فتح الباري بشرح صحيح البخارى) ١٨ / ٩، ط / الهيئة المصرية.
- (١٢١) انظر (سير أعلام النبلاء) ٢ / ٤٤١.
- (١٢٢) انظر (وثيقة نقل النص القرآنى) للأستاذ الدكتور محمد حسن جبل ص ١٦٦ و الأثر فيه معزو إلى (الرياض النضرة) للمحب الطبرى ج ٢ ص ٨٢ - ص ١٥٢.
- (١٢٣) المصدر السابق، و العزو فيه إلى (سبل الهدى و الرشاد) للصالحى ١٢ / ٣٨٢ - ٤٤١.
- (١٢٤) سورة الإسراء: الآية ٨٨.
- (١٢٥) انظر (النبا العظيم) للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٦٧، و (مناهل العرفان) للزرقانى ١ / ٦٦ - ٨٤.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٩

## أسباب النزول

### حقيقة سبب النزول (تعريف سبب النزول)

#### إشارة

من خصائص نزول القرآن الكريم أنه لم ينزل جملة واحدة على رسول الله صلى الله عليه و سلم و لكنه نزل مفرقا فى مدة الرسالة النبوية، سواء كان ذلك فى آياته أو سوره، و قد أشار القرآن الكريم إلى الحكمة من هذا التفريق فى النزول، و هى تتمثل فى تيسير قراءته و حفظه، و فهمه و العمل به، و ذلك فى قول الله تعالى: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا الإسراء / ١٠٦. كذلك فإن من خصائص نزول القرآن الكريم: أن منه ما نزل فى مواجهة الوقائع و الأحداث و المناسبات و لكن ليس معناه أن نلتمس لكل آية فى القرآن سببا لنزولها، أو قصة تلابس هذا النزول، بل إن منه ما كان كذلك، و منه ما نزل ابتداء من غير سبب، و قد نبه العلماء فى عبارة واضحة إلى هذا التقسيم، قال الإمام برهان الدين ابن عمر الجعبرى (ت سنة ٧٣٢ هـ): «نزل القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداء، و قسم نزل عقب واقعة أو سؤال» ١.

و هذا القسم الأخير فى مقولة الجعبرى هو مدار البحث فى سبب النزول.

و بداية فإنه لا يتسنى بحث تفاصيل هذا الموضوع ما لم يتحدد مفهوم سبب النزول بطريقة واضحة، و من ثم فإن أول ما ينبغى معالجته

فى هذا الصدد هو: تعريف سبب النزول، فما هو؟  
 جماع ما قاله العلماء فى تعريفه أنه: «ما نزلت الآية أو الآيات فى شأنه أيام وقوعه:  
 بياناً لحكمه إذا كان حادثه أو نحوها، أو جواباً عنه إذا كان سؤالاً موجهاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم» ٢.  
 وفى التعريف أمران يحتاج كل منهما إلى بيان:

### الأمر الأول: معاصرة السبب لما نزل فى شأنه من الآيات:

و هو ما عبر عنه فى التعريف بأنه: «ما نزلت الآية أو الآيات فى شأنه أيام وقوعه».  
 فالحادثة التى تعتبر فى اصطلاح العلماء سبباً لنزول آية أو آيات من القرآن هى تلك الحادثة التى تكون قد وقعت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم  
 الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٠  
 سواء نزل القرآن عقب حدوثها مباشرة، أو تراخى عن ذلك الحدوث زمناً لحكمه، ما دام الحدث قد وقع فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم.

و عليه فإنه من التوسع الذى لا- يتفق وهذا التحديد فى التعريف ما فعله بعض العلماء، أو ذهب إليه بعض المفسرين من اعتبار الحوادث الماضية، و الوقائع الغابرة التى نزل بها القرآن، و ساقها فى مجال العظة و العبرة من قبيل أسباب نزول ما جاء فى حكايتها و فى تفصيلها من الآيات، فما حدث بين الأنبياء السابقين و أقوامهم من اتباع هؤلاء الأقوام لهم، أو صدّهم عن رسلهم، و من تصديقهم أو تكذيبهم إياهم، و ما تخلل ذلك من إيذاء للرسل، لا يعتبر شىء من ذلك سبباً لما نزل بحكايته من آيات القرآن الكريم، بل إذا كان هناك من سبب للنزول فى أمثال هذه القصص فإنه بالقطع ليس تلك الأحداث فى ذاتها، و إنما ما سبقت لأجله من العظة و العبرة للمؤمنين من جهة، و لتهديد الكافرين من جهة أخرى، و لتثبيت قلب النبى صلى الله عليه وسلم من جهة ثالثة، و كثيراً ما نرى هذه الأسباب مصرحاً بها فى القرآن الكريم نفسه.

و ذلك كما جاء فى قول الله تعالى عقب حديث عن المشركين من قريش فيه تعريض بهم، و تهديد لهم: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصِيرُنَا فَجَعَى مَنْ نَشَاءُ وَ لَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَ لَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يوسف/ ١٠٩-١١١.

و من هذا القبيل: ما جاء عقب حديث القرآن الكريم عن أطراف من قصص نوح و هود، و صالح، و إبراهيم، و لوط، و شعيب، و موسى، من قول الحق تبارك و تعالى:

وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَ جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ هود/ ١٢٠.  
 و منه كذلك ما جاء تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم و هو قول الله سبحانه: قَدْ نَعَلِمَ إِنَّهُ لَيُخْزِنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَمَا نَهَمُ لَا يُكْذِبُونَكَ وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣١  
 وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصِيرُنَا وَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَ لَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ الْأَنْعَامُ/ ٣٣، ٣٤.

فهذه الآيات- كما تقدم- تصرح بأسباب نزول هذه القصص التى تتعلق بالوقائع الماضية، و ليست تلك الوقائع فى ذاتها سبباً لنزول

هذه الآيات، قال السيوطي رحمه الله تعالى: «و الذي يتحرر في سبب النزول: أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدى في تفسيره في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح و عاد و ثمود و بناء البيت و نحو ذلك، و كذلك في قوله: وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا النساء/ ١٢٥- سبب اتخاذه خليلاً، فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى» ٣.

كما أنه لا يعد من قبيل سبب النزول ما اشتملت عليه بعض آيات القرآن من الأمور المستقبلية كأحوال اليوم الآخر، و ما يكون فيه من ثواب أو عقاب ٤ نحو ما جاء في قول الله سبحانه: وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَ كَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَبِلْتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا الفرقان/ ٢٥-٢٩.

من أجل هذا كان النص في التعريف على معاصرة السبب لما نزل في شأنه من الآيات، و الذي عبر عنه بأنه: «ما نزلت الآية أو الآيات في شأنه أيام وقوعه» قيدها يحترز به عن مثل هذه الآيات التي وردت فيما سبق.

### الأمر الثاني: مجيء سبب النزول في إحدى صورتين:

الصورة الأولى: مجيئه في صورة حادثة تحدث فينزل القرآن ببيان الحكم، و من هذا القبيل ما ورد في سبب نزول قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثِ الْآيَةِ- الأحزاب/ ٥٣.

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «بنى رسول

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٢

الله صَلَّى الله عليه و سلم بامرأة من نسائه- في رواية البخارى: هي أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها- فأرسلنى فدعوت قوما إلى الطعام، فلما أكلوا و خرجوا قام رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم منطلقاً قبل بيت عائشة رضى الله عنها، فرأى رجلين جالسين فانصرف راجعاً، و قام الرجلان فخرجا، فأنزل الله عز و جل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ٥ (الأحزاب/ ٥٣)». و فى الحديث قصة.

الصورة الثانية: مجيء السبب في صورة سؤال يوجه إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم فى مسألة ما، فينزل القرآن بجواب هذا السؤال، و من هذا القبيل ما ورد فى سبب نزول قول الله تعالى:

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ الْبَقْرَةَ/ ٢٢٢.

فعن أنس رضى الله عنه: «أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، و لم يجامعوهن فى البيوت- أى و لم يخالطوهن و لم يساكنوهن فى بيت واحد- فسأل أصحاب النبي صَلَّى الله عليه و سلم النبي صَلَّى الله عليه و سلم فأنزل الله تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح». فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير و عباد بن بشر فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا و كذا، أ فلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم حتى ظننا أنه قد وجد عليهما- أى غضب عليهما- فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم فأرسل فى آثارهما فسقاها، فعرفنا أن لم يجد عليهما ٦».

وهذه الصورة و ما قبلها هى ما عبر عنها فى التعريف بأن الآيات تنزل: «بيانا لحكمه إذا كان حادثه أو نحوها، أو جوابا عنه إذا كان سؤالاً موجهاً إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم».

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٣



## أبرز المؤلفات في سبب النزول

اهتم علماء المسلمين اهتماما بالغا بأسباب النزول، و برغم أن موضوع هذا الفن يعتبر مبحثا من مباحث علوم القرآن، و قد عولج بالفعل فيما ألف فيها، إلا أنه لأهميته قد أفرده العلماء بالتصنيف، و ألفوا فيه مؤلفات استقصت الآيات التي نزلت على سبب، و ذكروا هذه الآيات معزوة إلى مصادرهما، و لنفس الأهمية توفر العلماء على هذه المؤلفات يحققون مروياتها، و يميزون صحيحها من سقيمها. فقد أفرده بالتصنيف جماعة من العلماء منهم:

١- علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) رحمه الله تعالى، و لكن كتابه غير موجود، بل أشار إليه السيوطي - رحمه الله تعالى - عند عده لأبرز المصنفات في أسباب النزول.

٢- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدى النيسابورى (ت ٤٦٨هـ) رحمه الله تعالى، و كتابه (أسباب النزول) من أشهر ما صنف فى هذا الباب و هو مرجع مهم للعلماء و لطلاب العلم.

٣- شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر بن على العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) رحمه الله تعالى، ألف كتابا فى أسباب النزول و لكنه مات عنه و هو مسودة لم يكتمل.

٤- الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد المعروف بالسيوطى (ت ٩١١هـ) ألف فى أسباب النزول كتابا سماه: (لباب النقول فى أسباب النزول) و هو من أشهر الكتب المسندة فى هذا الفن.

يقول السيوطي - رحمه الله - عن المصنفات فى أسباب النزول، و تطور الكتابة فيها: «أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم على بن المديني شيخ البخارى، و من أشهرها: كتاب الواحدى على ما فيه من إعواز، و قد اختصره الجعبرى، فحذف أسانيد و لم يزد عليه شيئا، و ألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر كتابا مات عنه مسودة فلم نقف عليه كاملا، و قد ألفت فيه كتابا حافلا موجزا محررا لم يؤلف مثله فى هذا النوع، سميته: (لباب النقول فى أسباب النزول)» ٧.

و إضافة إلى ذلك فهناك من اهتم بأسباب

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤

النزول فيما كتب و لكن ليس على استقلال، و إنما جاء ذلك ضمن ما كتبوا فى علوم القرآن أو التفسير، و من هؤلاء:

٥- الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (ت ٧٩٤هـ) رحمه الله تعالى فى كتابه: (البرهان فى علوم القرآن) فقد عنون لأول مباحث هذا الكتاب ب: (معرفة أسباب النزول).

٦- الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن الجوزى (ت ٥٩٧هـ) رحمه الله تعالى فى كتابه: (زاد المسير فى علم التفسير).

٧- الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح القرطبي (ت ٦٧١هـ) رحمه الله تعالى فى كتابه: (الجامع لأحكام القرآن).

٨- الإمام الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى فى كتابه: (تفسير القرآن العظيم).

٩- شهاب الدين الألوسى (ت ١٢٧٠هـ) رحمه الله تعالى فى كتابه (روح المعاني) و غير هؤلاء كثير.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٥

## طريق معرفة سبب النزول

معرفة سبب النزول من الأمور التي لا تقبل اجتهادا بحال من الأحوال، لأن ما ترتبط به هذه الأسباب من ملابسات ليس افتراضا عقليا يقوم على ضرب الأمثال، بل هى أحداث و وقائع حدثت بالفعل فى أوقات محدودة و فى ظروف معينة و ملابسات معروفة، و فى مثل

هذه الأحوال لا مجال للوقوف على معرفتها إلا بنقل واضح عن عاصر هذه الأحداث، و شاهد تلك الملابس.

و من ثم فإن العلماء قد قرروا أن المرجع في معرفة أسباب النزول يتحتم أن يكون عن طريق النقل الصحيح عن صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنهم هم الذين عاصروا الوحي، و عايشوا التنزيل، و وقفوا على الأحداث و الوقائع التي أحاطت بما نزل من آيات القرآن الكريم على سبب، كما أنهم سمعوا من الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم ما لم يسمعه غيرهم.

من أجل ذلك تعين أن ينفرد هؤلاء بكونهم المرجع في معرفة أسباب النزول، و عليه فإنه لا مجال لعمل العقل في هذا الأمر، اللهم إلا أن يكون في إطار ما ورد من أسباب النزول، و نقل عن الصحابة و تعدد في الحادثة الواحدة، فإن عمل العقل عندئذ يتمثل في محاولة الترجيح بين الروايات، أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها.

و لأن معرفة أسباب النزول يترتب عليها في مجال التشريع أمور هامة تعميما، أو تخصيصا، أو إثباتا، أو نفيًا، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم قد احتاطوا لهذا الأمر أشد الحيطه، فلم يقولوا في شيء مما قالوه برأى أو اجتهاد، و لكنهم قرروا أسباب النزول و أخبروا بها، مستندين إلى قرائن تحتم بقضايا هذه الأسباب و أحداثها. و مع هذا فإنهم ضاعفوا هذه الحيطه عند ما حددوا الألفاظ التي عبروا بها عما أخبروا من أسباب النزول تحديدا و واضحا، فإذا كان الصحابي لا يقطع - بناء على ملابسات و قرائن تعين ما يخبر به - بأن سبب آية ما هو هذا الحدث بعينه، فإن تعبيره عن سبب النزول يتضح فيه ذلك، فنراه لا يجزم بما قال، بل يقول: أحسب أن هذه الآية نزلت في كذا، و نحو ذلك.

مثال ذلك: ما أورده العلماء في سبب النزول

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٦

قول الله تبارك و تعالى: فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا النساء / ٦٥.

فقد ورد في الحديث عن الزبير بن العوام رضی الله عنه، أنه خاصم رجلا من الأنصار في شراج الحره ٨ كانا يسقيان به كلاهما النخل، فقال الأنصارى: سرح الماء يمر عليه، فأبى عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم ٩: «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك». فغضب الأنصارى و قال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك! فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر». فاستوفى رسول الله صلى الله عليه و سلم للزبير حقه، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى فيه سعه له و للأنصارى، فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه و سلم الأنصارى استوفى للزبير حقه في صريح الحكم، قال الزبير: لا أحسب هذه الآية إلا أنزلت في ذلك: فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ١٠.

و لقد توارثت أجيال العلماء هذا الاهتمام بأسباب النزول، فإذا كان الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - قد احتاطوا للإخبار به هذه الحيطه، فإن العلماء قد احتاطوا أيضا في التنبيه على أن النقل الصحيح عن هؤلاء الصحابة الأبرار هو المرجع الوحيد في معرفة أسباب النزول، و حذروا من سلوك غير هذا السبيل في طلبها.

قال الواحدى رحمه الله تعالى: «و لا- يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالروايه و السماع ممن شاهدوا التنزيل و وقفوا على الأسباب، و بحثوا عن علمها و جدوا في الطلاب - أى الطلب» ثم روى عن سعيد بن جبیر رحمه الله عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اتقوا الحديث إلا ما علمتم، فإن من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، و من كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار» ١١ ثم قال: «و السلف الماضون كانوا من أبعد الغايه احترازا عن القول في نزول الآية .. و ذكر عن محمد بن سيرين قوله: «سألت عبيده عن آية من القرآن، فقال: اتق الله و قل سدادا، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن، و أما اليوم فكل أحد يخترع شيئا، و يخلق إفكا و كذبا، ملقيا زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية» ١٢.

قال الشيخ مناع القطان رحمه الله تعالى بعد أن نقل قول الواحدى السابق معقبا:

«و إذا كان هذا قول ابن سيرين و هو من أعلام

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٧

علماء التابعين تحريا للرواية، و دقة فى الفصل، فإنه يدل على وجوب الوقوف عند أسباب النزول الصحيحة، و لهذا فإن المعتمد من ذلك فيما روى من أقوال الصحابة ما كانت صيغته جارية مجرى المسند، بحيث تكون هذه الصيغة جازمة بأنها سبب النزول» ١٣.

أما قول التابعى فإنه إذا كان صريحا فى سبب النزول، فقد قرر السيوطى رحمه الله تعالى أنه إذا صح سنده يقبل و يكون من قبيل المرفوع أيضا مثل قول الصحابى، لكنه مرسل، خاصة إذا كان القائل من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم: كمجاهد بن جبر المفسر رحمه الله تعالى (ت ١٠٤ هـ)، و أبى عبد الله عكرمة المدنى مولى ابن عباس رضى الله عنهما و أحد أوعيه العلم رحمه الله تعالى (ت ١٠٥ هـ)، و أبو عبد الله سعيد بن هشام الأسدى رحمه الله تعالى (ت ٩٥ هـ)، أو اعتضد بمرسل آخر ١٤ إن لم يكن من هؤلاء الأئمة الأعلام.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٨

## الصيغ التي يرد بها سبب النزول

### إشارة

أهمية بحث هذه المسألة مبعثها أن صيغة سبب النزول هي التي يتوقف عليها كيفية الجمع أو الترجيح بين الروايات المختلفة عند تعدد أسباب النزول للآية أو الآيات، كما سيأتى بحثه فيما بعد.

و لقد قرر العلماء انطلاقا من تتبع أسباب النزول فى القرآن الكريم أن العبارات الدالة على أسباب النزول تأتى على وجهين، لأنها إما أن تكون صريحة فى كون الحادثة أو نحوها سببا فى نزول الآية، فعندئذ تكون تلك الصيغة نصا فى السببية لا- يقبل التأويل أو الاحتمال، و إما أن تكون العبارة غير صريحة فى السببية فتكون عندئذ محتملة، فيجوز أن تكون تعبيرا عن السبب، كما يصلح أن تكون تعبيرا عن تفسير الآيات، و بيان معناها و ما تضمنته من أحكام، و فيما يلى بيان كل من الصيغتين فى التعبير عن سبب النزول:

### الصيغة الأولى:

هي التي يقول الصحابى مثلا: سبب نزول هذه الآية كذا. فهذه العبارة صيغة صريحة فى السببية، و كذلك إذا أتى بفاء التعقيب، و قرنها بعبارة الإنزال بعد ذكر حادثة أو سؤال، كأن يقول: حدث كذا و كذا، فأنزل الله تعالى آية كذا، أو فنزلت آية كذا، أو يقول: سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن كذا فنزلت آية كذا، فهذه الصيغة كذلك صريحة فى السببية، لأن قائلها أوضح فيها أن نزول الآية أو الآيات ترتب على وقوع تلك الحادثة، أو توجيه هذا السؤال، و معنى ذلك أن سبب النزول هو هذه الحادثة، أو ذلك السؤال. مثال قول الصحابى: «حدث كذا فنزلت آية كذا». ما ثبت فى الصحيح ١٥ عن مسروق قال: سمعت خباب بن الارت يقول: جئت العاص بن وائل السهمى أتقاضاه حقا لى عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث، قال: إني لميت ثم مبعوث؟ فقلت: نعم، فقال: إن لى هناك مالا و ولدا فنزلت: أفرأيت الذى كفر بآياتنا و قال لأوتين مالا و ولداً مريم / ٧٧.

و أما قول الصحابى: «سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن كذا فأنزل الله آية كذا» فمثاله ما جاء

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٩

عن أنس بن مالك رضى الله عنه: «أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت، و لم يؤاكلوها و لم يشاربوها و لم

يجامعوهن في البيوت، فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله سبحانه وتعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جامعوهن في البيوت، واصلعوا كل شيء غير النكاح» ١٦.

و في مقابل هذه الدلالة الصريحة على سبب النزول هناك من العبارات ما هو صريح في التفسير، لا يحتمل السبب بوجه، كأن يقول الصحابي مثلا: المراد من هذه الآية كذا، أو تدل هذه الآية على كذا، أو يؤخذ منها كذا. فهذه العبارات و أمثالها غير صريحة في السبب.

مثال ذلك، ما أورده ابن كثير رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنهما في تفسير قول الله تعالى: وَلَنَذِيقَنَّاهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ السجدة / ٢١.

قال: «قال ابن عباس: يعنى بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وآفاتا وأسقامها، وما يحل بأهلها مما يتلى الله به عباده ليتوبوا إليه .. و في روايه عنه: يعنى إقامة الحدود عليهم» ١٧.

### الصيغة الثانية:

هى التى تكون العبارة فيها محتملة، فتصلح لأن يراد بها سبب النزول، كما تصلح أن يراد بها التفسير، كأن يقول الصحابي رضى الله عنه: «نزلت هذه الآية في كذا» لكن لا ينبغي أن يفهم احتمال هذه العبارة للأمرين معا دفعة واحدة في الموضوع الواحد، بل المراد أنها إما أن يراد بها سبب النزول، أو يراد بها التفسير، فتارة يراد منها السبب، و تارة يراد منها بيان ما تشتمل عليه الآية، و عندئذ يتوقف فهم المراد منها على دليل أو قرينة توضح هذا المراد.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «قولهم:

نزلت هذه الآية في كذا. يراد به تارة سبب النزول، و يراد به تارة أن ذلك داخل في الآية و إن لم يكن السبب، كما تقول: عنى بهذه الآية كذا، و قد تنازع العلماء في قول الصحابي:

نزلت هذه الآية في كذا، هل يجرى مجرى المسند، كما لو ذكر السبب الذى أنزلت من أجله، أو يجرى مجرى التفسير منه الذى ليس بمسند؟ فالبخارى رحمه الله يدخله في المسند، و غيره لا يدخله في المسند، و أكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد و غيره، بخلاف ما إذا ذكر سببا نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند» ١٨.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٠

و نعود إلى بيان القرينة التى تحدد المراد، فإذا ذكر الصحابي في عبارته بعد حرف الجر (في) شخصا أو حادثه، أو ما يماثل ذلك، كأن يقول: نزلت هذه الآية في فلان، أو في قوم مثلا، أو في حادثه، كان المقصود بها ذكر سبب النزول. أما إذا ذكر بعد حرف الجر معنى تشتمل عليه الآية، أو حكما شرعيا مأخوذا منها، فالمقصود بعبارته التفسير في هذه الحالة.

مثال ذلك، قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدِّلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ المائدة / ١٠١.

فإنه إذا قيل: هذه الآية نزلت في رجل ١٩ قال: يا رسول الله، من أبى؟ فقال: أبوك فلان. كان ذلك بيانا لسبب نزولها، و إذا قيل:

هذه الآية نزلت في النهي عن كثرة مسألتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن السؤال عما لا يعنى و لا تدعو إليه الحاجة قد يكون سببا في عنت السائل و المشقة عليه، كان ذلك تفسيرا لها و بيانا لما تشتمل عليه.

و الظاهر غلبة استعمال هذه العبارة في المعنى الثانى المراد به التفسير، و من أجل ذلك يقول بدر الدين الزركشى رحمه الله تعالى:

«و قد عرف من عادة الصحابة و التابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يريد أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا

أن هذا كان السبب في نزولها» ٢٠.

وقد سبق ذكر ما قاله ابن تيمية رحمه الله تعالى عن حكم هذا التفسير من جهة اعتباره مسندا أو غير مسند.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤١

## تنوع أسباب النزول

تنقسم أسباب النزول من حيث ما نزل القرآن في شأنه إلى قسمين:

الأول: أسباب عامة على مستوى السور.

الثاني: أسباب خاصة على مستوى الآيات.

وفيما يلي بيان المقصود بكل قسم مع ذكر أمثلة توضح المراد منه:

أما القسم الأول: وهو المتعلق بالأسباب العامة: فالمراد به الأسباب أو الحوادث التي نزلت فيها سور بتمامها ٢١ وذلك موجود في القرآن الكريم في أكثر من سورة، ولما كان المجال ليس مجال حصر لهذه السور فسوف نكتفي بذكر أمثلة لهذا النوع مما صح النقل فيه تبين المراد منه، وهي كما يلي:

١- سورة الأنفال: فقد ذكر العلماء أن هذه السورة نزلت في شأن غزوة بدر الكبرى، التي حدثت في شهر رمضان من السنة الثانية

للهجرة. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٤١ تنوع أسباب النزول ..... ص: ٤١

ل ابن إسحاق رحمه الله تعالى (ت ١٥١ هـ) عقب ذكره لأحداث تلك الغزوة، و ذكر من شهداها من المسلمين و الكفار: «فلما انقضى أمر بدر أنزل الله فيه من القرآن الأنفال بأسرها» ٢٢.

و أخرج البخارى رحمه الله تعالى عن سعيد بن جبیر رحمه الله قلت لابن عباس رضی الله عنهما: «سورة الأنفال ٢٣؟ قال:

نزلت في بدر» ٢٤.

٢- سورة الفتح: أورد العلماء أنها نزلت في شأن الحديبية.

فعن المسور بن مخرمة و مروان بن الحكم قالوا: «أنزلت سورة الفتح بين مكة و المدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها» ٢٥.

٣- سورة الحشر: ذكر المفسرون أنها نزلت في بني النضير.

فعن سعيد بن جبیر رحمه الله تعالى قال:

«... قلت لابن عباس رضی الله عنهما: ...

سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير» ٢٦.

و أما القسم الثاني: وهو المتعلق بالأسباب الخاصة، فالمراد به الأسباب أو الحوادث التي نزلت فيها آية أو جملة من الآيات، وهذا هو

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٢

الأعم الأغلب في أسباب النزول، وفيما يلي أمثلة لهذا النوع:

١- ما ورد في سبب نزول قول الله تعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا

بَدَّلُوا تَبْدِيلًا الأحزاب/ ٢٣.

فقد أخرج مسلم- رحمه الله تعالى- عن ثابت قال: «قال أنس: عمى الذى سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

بدرًا، قال: فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبت عنه، و إن أرانى الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله

صلى الله عليه و سلم ليرانى الله ما أصنع. قال:

فهاب أن يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، قال: فاستقبل سعد ابن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو

أين؟

فقال: واهما لريح الجنة أجدته دون أحد. قال:

فقاتلهم حتى قتل، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربه و طعنه و رميه قال: فقالت أخته عمى الزبيع بنت النضر:

فما عرفت أحي إلا بنانه. و نزلت هذه الآية:

رَجَالٌ صِدْقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا قَالَ: فكانوا يرون أنها نزلت فيه و في أصحابه» ٢٧.

٢- ما ورد في سبب نزول قول الله تعالى: وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الحشر / ٩.

فقد أخرج البخارى- رحمه الله- عن أبي هريرة رضى الله عنه: «أن رجلا- أتى النبي صلى الله عليه و سلم فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من يضم- أو يضيف- هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: ما عندنا إلا قوت صيباني، فقال:

هيئى طعامك، و أصبحى سراجك، و نومى صيبانك إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها، و أصبحت سراجها، و نومت صيبانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأتها، فجعلها يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: ضحكك الله الليلة- أو عجب- من فعالكما، فأنزل الله: وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٢٨.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٣

### فوائد معرفة أسباب النزول

قد عرفنا فيما سبق ما هو سبب النزول، و ما الذى يرجع إليه في معرفته، و ما صيغته التى يرد بها، و قد آن لنا أن نعرف ما هى الثمرة المرجوة، و الفائدة المأمولة من وراء هذا البحث.

الحق أن البحث فى سبب النزول و فوائد معرفته بحث مهم، و لهذا نرى أن علماء الأمة قد أولوه عنايتهم كما سبقت الإشارة إليه فى كلام السيوطى- رحمه الله تعالى- فى بيان من أفرد هذا الموضوع بالبحث، كما نرى واحدا من أعلام هؤلاء العلماء، و هو بدر الدين الزركشى- رحمه الله تعالى- قد بدأ مصنفه القيم فى علوم القرآن الذى يعتبر عمدة فى هذا الفن، و هو كتاب (البرهان فى علوم القرآن) ٢٩ يبحث هذا الموضوع، فجعل النوع الأول مما بحثه فى كتابه من موضوعات: (معرفة أسباب النزول).

و إنه لمخطئ من يظن أنه ليس من وراء البحث فى أسباب النزول من فائدة؛ إذ يبنى ظنه على أن هذا الموضوع من قبيل ما يجرى مجرى التاريخ الذى مرت أحداثه، و انتهت ملابساته، و عليه فإن معرفة سبب النزول لا- تزيد عن كونها نوعا من الاطلاع و العلم المجرد بما وقع من أحداث، و كان سببا فى نزول بعض الآيات.

و لا شك أن هذا الظن خاطئ، بل لمعرفة أسباب النزول فى القرآن الكريم فوائد جلية، منها ما يلى:

أولا: بيان الحكمة الباعثة على تشريع كثير من الأحكام، و من ثم إدراك أن روح التشريع الإسلامى و جوهره يقوم على مراعاة هذا التشريع الحكيم لمصالح العباد فى معالجة ما يعرض لهم من أحداث و وقائع، و أن مراعاة هذه المصالح أمر ينطلق من رحمة الله تبارك و تعالى بعباده، و رأفته بهم، و تيسيره عليهم.

و لقد تجلت هذه الحكمة واضحة فيما ورد فى حادثه سبب نزول آية التيمم من جهة، و فى النص عليها فى نفس الآية من جهة



أخرى، وهذه الآية هي قول الله عز وجل:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٤

وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ  
المائدة/ ٦.

فعن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة- رضى الله عنها- زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه و أقام الناس معه، و ليسوا على ماء، و ليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقالوا: أ ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم و بالناس، و ليسوا على ماء، و ليس معهم ماء. فجاء أبو بكر رضى الله عنه و رسول الله صلى الله عليه وسلم و سلم و وضع رأسه على فخذى قد نام، فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم و الناس و ليسوا على ماء، و ليس معهم ماء! قالت عائشة- رضى الله عنها-: فعاتبنى أبو بكر، و قال ما شاء الله أن يقول و جعل يطعننى بيده فى خاصرتى، و لا ينعنى من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم، فقال أسيد بن حضير رضى الله عنه: ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر قالت: فبعثنا البعير الذى كنت عليه فإذا العقد تحته» ٣٠.

و المقصود بآية التيمم هنا: هى آية المائدة التى مر ذكرها قبل قليل، لأنه قد ورد فى نفس الباب عند البخارى رواية من طريق ابن وهب: عن عمرو عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه فى نفس القصة جاء فى نهايتها قول أم المؤمنين- رضى الله عنها-: «ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ و حضرت الصبح- أى صلاة الصبح- فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ الْآيَةَ فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: لَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِيكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا بِرَكَّةٍ لَهُمْ».

و قد أشكل على العلماء المقصود بآية التيمم فى قول أم المؤمنين عائشة- رضى الله عنها- و قد ساق ابن حجر- رحمه الله تعالى- هذا الإشكال من خلال مقولات العلماء فى المقصود بالآية، ثم حقق أنها آية المائدة، قال رحمه الله تعالى: «قال ابن العربى: هى معضلة ما وجدت لدائها من دواء، لأننا لا- نعلم أى الآيتين عنت عائشة- رضى الله عنها- قال ابن بطال: هى آية النساء ٣١ أو آية المائدة. و قال القرطبى: هى آية النساء، و وجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٥

و آية النساء لا ذكر فيها للوضوء، فيتجه تخصيصها بآية التيمم. و أورد الواحدى فى (أسباب النزول) ٣٢ هذا الحديث عند ذكر آية النساء أيضا، و خفى على الجميع ما ظهر للبخارى من أن المراد بها آية المائدة بغير تردد، لرواية عمرو بن الحارث، إذ صرح فيها بقوله: فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ الْآيَةَ» ٣٣.

ثانيا: تخصيص الحكم- فيما نزل بصيغة العموم- بصورة السبب التى نزل فيها- أى بالحادثه التى كان وقوعها سببا فى نزول الحكم- و ذلك عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

و معنى هذا الكلام: أن النص العام الوارد على سبب خاص لا يبقى على عمومته بعد نزوله على سببه الخاص، بل يكون مقصورا على حالة هذا السبب، بمعنى أن استفادة الحكم فى هذا السبب بذاته مما نزل تكون بطريق النص، فإذا عمل بهذا الحكم فى حادثه أو حوادث تشابه حادثه صورة السبب كان استفادة الحكم فى هذه الحوادث المشابهة بطريق القياس لا- بطريق النص، و لكن هذا التخصص مسألة خلافية سوف نعرض لها بالتفصيل عند بحث مسألة عموم اللفظ و خصوص السبب.

ثالثا: إذا كان اللفظ النازل في سبب ما عاما، وقام الدليل على تخصيصه، فإن معرفة سبب النزول تجعل التخصيص الوارد قاصرا على ما عدا الحادثة التي كانت صورة السبب، ذلك لأن صورة حادثة السبب لا يجوز إخراجها بالاجتهاد قياسا على صورة أخرى لا يجرى فيها الحكم الوارد في ذلك النص، ذلك أن دخول الحادثة التي هي صورة السبب في اللفظ العام قطعي، فلا يجوز إخراجها بالاجتهاد وهو ظني.

مثال ذلك: ما ذكره المفسرون في سبب نزول قول الله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يَزُومُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ النور/ ٢٣.

فقد أوردوا عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى، وابن عباس رضي الله عنهما: أن هذه الآية نزلت في رماة عائشة رضي الله عنها خاصة، أو فيها و سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عامة ٣٤ وهو وعيد لهؤلاء الرماة، عام في عذابهم في الدنيا والآخرة، مما يفيد عدم قبول توبتهم، ولكن هذا العموم قد خصص بقبول توبته من يقذف غيرهن من المؤمنات إذا تاب بدليل قول الله تعالى:

وَالَّذِينَ يَزُومُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٦

بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ النور/ ٤، ٥.

فهذه الآية مخصصة لعموم الآية السابقة، ولكن لا ينبغي أن يقاس في هذا التخصيص قبول توبته من يقذف عائشة رضي الله عنها أو إحدى أمهات المؤمنين على قبول توبته قاذف غيرهن، لأن قذف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم هو صورة السبب التي نزل عليها الحكم في قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَزُومُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْآيَةَ، وعليه فيمتنع أن تخرج صورة السبب من النص العام النازل عليها بالتخصيص الوارد في الآية الثانية، بل يقتصر هذا التخصيص على ما عدا صورة السبب، فلا يكون لقاذف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توبة.

قال السيوطي رحمه الله تعالى: «إن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعي، وإخراجها بالاجتهاد ممنوع، كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب، ولا التفات إلى من شذ فجوز ذلك» ٣٥.

لكن الآية التي معنا قد تخرج على اعتبار أن الوعيد الوارد فيها إنما هو لمن أصر على القذف ولم يتب، وأن ذلك يكون في حق القاذف المصرّ عموما سواء كان قذفه لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أو لغيرهن.

كما يمكن تخريجها على اعتبار أن الوعيد الوارد فيها خاص بمن قذف عائشة رضي الله عنها، أو إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعا، بعد نزول ما نزل في شأن عائشة رضي الله عنها من القرآن.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها - يعني بذلك عائشة رضي الله عنها - بعد هذا و رماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر، لأنه معاند للقرآن و في بقية أمهات المؤمنين قولان، أصحهما: أنهن كهى، و الله أعلم» ٣٦.

رابعا: من أهم فوائد معرفة أسباب النزول، بل من دواعي هذه المعرفة والحاجة إليها: أنها تعين في كثير من المواطن على فهم معنى الآيات، وإزالة ما قد يبدو فيها من إشكال، وبدون معرفة سبب النزول يمكن أن يخطئ المفسر في فهم معنى الآية فيحمله على غير المراد، وقد لا يعرفه على الإطلاق، و في هذا من الخطورة ما فيه، لأن الجهل في هذا الصدد يفتح الباب على مصراعيه أمام

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٧

الفتاوى الخاطئة، و يلبس على المؤمنين أمر دينهم، ولهذا نبه العلماء على أهمية معرفة سبب النزول من هذه الحيثية.



فقد أشار الواحدى - رحمه الله تعالى - إلى امتناع معرفة تفسير الآية، و معرفة ما تعنيه، دون الوقوف على قصتها و العلم بسبب النزول .٣٧

و قال ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى:

«بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القرآن» ٣٨.

و قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -:

«معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب» ٣٩.

و هناك أمثلة كثيرة من أسباب النزول توضح كيفية إزالة الإشكال فى فهم كثير من آيات القرآن الكريم، التى لم يكن يتأتى فهم معناها بدون معرفة هذه الأسباب.

و من بين الآيات التى يتضح فيها ذلك ما يلى:

١- قول الله تعالى: إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ البقرة / ١٥٨.

فإن ظاهر هذه الآية لم ينص على فرضية السعى بين الصفا و المروة، مما يفهم منه أن السعى بينهما مباح، من شاء فعله، و من شاء تركه و لا حرج عليه، لأن رفع الجناح يفيد الإباحة لا الإلزام، و هذا الفهم قد تبادر إلى عروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٤ هـ) رحمه الله تعالى، و صرح به لخالته أم المؤمنين الصديقة عائشة - رضى الله عنها - فلما سمعت منه ذلك بينت له ما تفيده الآية الكريمة على الوجه الصحيح، و كان ذلك ببيان سبب نزولها. و قد أوردت الصحاح قصة طويلة فى بيان ذلك نوردها بتمامها لما فيها من الفائدة.

فعن ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالى:

قال عروة: «سألت عائشة رضى الله عنها، فقلت لها: أ رأيت قول الله تعالى: إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا فو الله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصفا و المروة؟

قالت: بئس ما قلت يا ابن أختى، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت: لا جناح عليه ألا يطوف بهما، و لكنها أنزلت فى الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناء الطاغية، التى كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتخرج أن يطوف بالصفا و المروة، فلما أسلموا سألو رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتخرج أن نطوف بين الصفا و المروة، فأنزل الله تعالى: إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الآية، قالت عائشة رضى الله

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٨

عنها: و قد سن رسول الله صلى الله عليه و سلم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما، ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن، فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته، و لقد سمعت رجالا من أهل العلم يذكرون أن الناس - إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهمل بمناء - كانوا يطوفون كلهم بالصفا و المروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت و لم يذكر الصفا و المروة فى القرآن قالوا: يا رسول الله، كنا نطوف بالصفا و المروة، و إن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا و المروة؟ فأنزل الله تعالى:

إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الآية، قال أبو بكر: فأسمع هذه الآية نزلت فى الفريقين كليهما: فى الذين كانوا يتخرجون أن يطوفوا فى الجاهلية بالصفا و المروة، و الذين يطوفون ثم تخرجوا أن يطوفوا بهما فى الإسلام، من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت، و لم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت» ٤٠.

٢- قول الله سبحانه: وَ اللَّائِي يَسْتَبِينَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ وَ أَوْلَاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ الآية، الطلاق / ٤.

فقد أشكل معنى هذا الشرط (إن ارتبتم) على البعض، حتى قال الظاهرية ٤١ بأن الآية لا عدة عليها إذا لم ترتب ٤٢ و سبب ذلك أنهم فهموا أن الشرط مرتبط بالحيض، فحسبوا أن المعنى: إن ارتبتم في حيضهن.

و لكن ما ورد في سبب نزول هذه الآية يزيل هذا الإشكال، لأنه يجعل الارتباب في حكم عدة الآية و ليس في حيضها. فقد أخرج الحاكم ٤٣ و صححه عن أبي ابن كعب رضى الله عنه قال: «لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء، قالوا:

قد بقي من عدد النساء لم يذكرن، الصغار و الكبار، و لا من انقطعت عنهن الحيض، و ذوات الأحمال، فأنزل الله عز و جل: وَاللَّائِي يَيْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ». ٣- قول الله عز و جل: لا- تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ آل عمران/ ١٨٨.

فقد أشكل أمر هذه الآية على مروان بن الحكم، فأرسل إلى عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما، فأجابه فيها بيان سبب النزول، الذى أزال الإشكال و اللبس.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٩

فعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: أن مروان ابن الحكم قال: «أذهب يا رافع- لبوابه- إلى ابن عباس، فقل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتى- فى روايه مسلم: فرح بما أتى- و أحب أن يحمد بما لم يفعل لنعذبن أجمعون، قال ابن عباس: ما لكم و لهذه الآية، إنما أنزلت هذه فى أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ وَ تَلا: لا- تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَكْتَمُوهُ وَ أَخْبَرُوهُ بغيره، فخرجوا و قد أروه أنهم أخبروه بما قد سألهم عنه فاستحمدوا بذلك إليه، و فرحوا بما أوتوا من كتمانهم ما سألهم عنه» ٤٤.

٤- قول الله تبارك و تعالى: وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أُوْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَوْبَاهِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ البقرة/ ١٨٩.

فإن هذه الآية يصعب التوصل إلى المقصود فيها من قول الله تعالى: وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا إلا بمعرفة سبب نزولها، أو فى أى شىء نزلت.

و بالفعل فإنه قد ورد سبب يوضح المعنى المراد، أخرج البخارى ٤٥ عن أبي إسحاق السبيعي قال: سمعت البراء رضى الله عنه يقول: نزلت هذه الآية فىنا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، و لكن من ظهورها ٤٦ فجاء رجل من الأنصار، فدخل من قبل بابه، فكانه عير بذلك فنزلت:

وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أُوْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَوْبَاهِهَا.

خامسا: و من الفوائد المترتبة على معرفة سبب النزول: ما ذكره الزركشى من دفع توهم الحصر المتبادر من بعض الآيات، و قد فصل ذلك بقوله: (قال الشافعى ما معناه فى معنى قوله تعالى: قُلْ لَا أَجِدُ فى ما أُوحىَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاطِنٍ وَ لَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ- الآية ١٤٥ من سورة الأنعام: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، و أحلوا ما حرم الله، و كانوا على المضادة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٠

و المحادة، جاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكانه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، و لا حرام إلا ما أحلتموه، نازلا منزلة من يقول: لا- تأكل اليوم حلاوة، فتقول لا آكل اليوم إلا الحلاوة، و الغرض المضادة، لا النفى و الإثبات على الحقيقة، فكانه قال: لا حرام إلا ما

حللتموه من الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما أهل لغير الله به، و لم يقصد حل ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل. قال إمام الحرمين: و «هذا في غاية الحسن، و لو لا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكر في الآية» أ. ه. ما قاله الزركشى ٤٧.

قلت: و هذا يتوقف على ورود سبب صحيح في نزول الآية، يقضى بأن الكفار أحلوا ما حرّمته تلك الآية فجاءت الآية ردا عليهم، و لكن الزركشى لم يورد مثل هذا السبب صريحا، كما أن السيوطي في نقله ذلك عنه لم يصرح بهذا السبب كذلك، بل نقل عبارة الزركشى بنصها كما ذكرها صاحبها في البرهان. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥١

## عموم اللفظ و خصوص السبب

### إشارة

عنى بتحقيق هذه المسألة كثير من العلماء، و من أشدهم عناية بذلك الأصوليون و المفسرون، أما الأولون فلأن بحثهم في مجالهم يقوم على الاستدلال بألفاظ القرآن الكريم على الأحكام الشرعية، و أما الآخرون فلأن البحث في ذلك يساعدهم على فهم المعنى المراد من الآيات القرآنية.

و استقراء ما نزل من آيات القرآن الكريم على سبب في ضوء مطابقتها ألفاظ النازل لأفراد السبب من حيث التعميم أو التخصيص ينكشف عن أربع صور عقلية، لأن اللفظ النازل إما عام و إما خاص، و السبب الذى نزل عليه اللفظ إما عام و إما خاص كذلك، فنتج هذه الصور التى نذكرها فيما يلي:

أولاً: قد يكون سبب النزول عاماً، و اللفظ الذى نزل عاماً كذلك، و لا إشكال في هذه الصورة، لأن الحكم الوارد في الآية عام، و هو ثابت لكل أفراد السبب العام بطريق النص، و هذا محل اتفاق بين العلماء نظراً للتطابق بين اللفظ و السبب.

مثال ذلك: ما ورد في سبب نزول قول الله تبارك و تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْتَبُكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ البقرة/ ٢٢٠. فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال:

«لما أنزل الله عز و جل: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ - الإسراء/ ٣٤- وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا الْآيَةَ - النساء/ ١٠- انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه، و شرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم فأنزل الله عز و جل:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فخلطوا طعامهم بطعامهم، و شرابهم بشاربهم» ٤٨. ثانياً: قد يكون سبب النزول خاصاً و اللفظ الذى نزل في شأنه خاصاً كذلك، و هذا مثل سابقه لا إشكال فيه كذلك، لأن الحكم الخاص الوارد في الآية ثابت للفرد الخاص الذى نزل في شأنه، و ذلك للتطبيق

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٢

بينهما في جهة الخصوص و لا خلاف بين العلماء في ذلك.

مثال ذلك: ما ورد في سبب نزول قول الله تعالى: تَبَّتْ رِجْدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ إلى آخر سورة المسد.

فقد أخرج البخارى ٤٩ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «لما نزلت و أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ صعد النبي صلى الله عليه و سلم

الصفاء، فجعل ينادى: يا بنى فهر، يا بنى عدى- لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب و قريش، فقال: رأيتمكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أ كنتم مصدقني؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبأ لك سائر اليوم، أ لهذا جمعنا؟ فنزلت: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّتْ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ.

ثالثا: قد يكون السبب عاما و اللفظ خاصا: «و تلك صورة فرضية غير واقعة في القرآن، لأنها تتنافى و بلاغته، لعدم وفاء اللفظ للسبب، إذ السبب بمنزلة السؤال، و اللفظ المنزلة بمنزلة الجواب، و قصور الجواب عن مطلوب السؤال محل بالبلاغة» ٥٠. رابعا: قد يكون سبب النزول خاصا، و اللفظ الذي نزل في شأنه عاما، و هذه الصورة هي موضع خلاف العلماء، و قد تكررت هذه الصورة في القرآن الكريم في أكثر من سورة.

و اختلاف العلماء في شأن هذه الصورة يدور حول ما يعتبر عندهم، و يعتد به من الأمرين:

هل تكون العبرة بعموم اللفظ؟ و عندئذ يكون اللفظ العام باقيا على عمومته، فيتناول أفراد السبب الخاص و كل ما يكون مشابها له من أفراد غيره، أو تكون العبرة بخصوص السبب؟ فلا- يكون اللفظ باقيا على عمومته بل يكون مقصورا على أفراد السبب الخاص، و لا يدخل ما سوى ذلك في الحكم إلا بدليل آخر غير النص.

و لنذكر أولا- مثلا تتضح فيه صورة هذا الخلاف، ثم نذكر ما قاله العلماء في هذا الصدد مقرونا بالأدلة، ثم نبين أي القولين أولى بالاعتبار.

ففي الصحيح: عن ابن عباس- رضى الله عنهما: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه و سلم بشريك بن السحماء، فقال رسول الله

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٣

صلى الله عليه و سلم: «البينة و إلا حد في ظهرك». قال:

فقال هلال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا رجلا على امرأته، أ يلتمس البينة؟ فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «البينة و إلا فحد في ظهرك» قال: فقال هلال: و الذى بعثك بالحق إنى لصادق، و لينزلن الله فى أمرى ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل: وَ الَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَفَرَأَ حَتَّىٰ بَلَغَ: وَ الْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ النور/ من الآية: ٩-٦ قال: فانصرف النبي صلى الله عليه و سلم فأرسل إليهما فجاءا، فقام هلال بن أمية فشهد، و النبي صلى الله عليه و سلم يقول: إن الله يعلم أن أحكما كاذب، فهل منكما تائب؟ ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة: أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ قالوا لها: إنها موجبة فقال ابن عباس: فتلكأت و نكست حتى ظننا أنها سترجع، فقالت: لا أفصح قومي سائر اليوم، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين ٥١ سابغ الألتين ٥٢ خدلج الساقين ٥٣ فهو لشريك بن السحماء». فجاءت به كذلك، فقال النبي صلى الله عليه و سلم:

«لو لا ما مضى من كتاب الله عز و جل لكان لنا و لها شأن» ٥٤.

فالحديث كما هو واضح يصرح بأن سبب النزول هنا خاص، و هو قذف هلال بن أمية زوجته بشريك بن السحماء، و الآيات المذكورة نزلت بحكم اللعان بلفظ عام، لأنها مبدوءة بقول الله تعالى: وَ الَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ مِنَ الْآيَةِ، و اسم الموصول من صيغ العموم و موضوع خلاف العلماء هنا هو:

هل لفظ الآية العام يتناول بنصه كل قاذف لزوجته من غير شهود يشهدون معه؟ و لا حاجة مع هذا النص إلى أدلة أخرى من اجتهاد أو قياس فى تعميم هذا الحكم على غير هلال بن أمية، أى أن العبرة بعموم اللفظ فى الآيات، لا بخصوص السبب النازل عليه، أو أن لفظ الآيات العام قاصر فى حكمه على سببه الخاص، و هو قذف هلال بن أمية امرأته، و أما من عداه ممن يفعل فعله فلا ينطبق عليه الحكم

من خلال لفظ الآيات، وإنما ينطبق عليه بدليل آخر هو القياس، و العبرة عندئذ تكون بخصوص السبب لا- بعموم اللفظ؟ رأيان للعلماء: ذهب إلى الأول منهما جمهور العلماء، و ذهب إلى الثاني فريق منهم.

و قبل أن نستعرض أدلة كل فريق ينبغي التأكيد على أن الجميع متفقون على تعميم أحكام الآيات التي نزلت بألفاظ العموم، و إن كان سببها خاصا، ما دامت قد خلت عن قرينة تمنع من هذا التعميم، بمعنى أن اللفظ العام الموسوعه القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٤

الذى نزل بحكم ما على سبب خاص لا- خلاف في تعميم حكمه على كل الحالات التي يتناولها، من أفراد السبب و غيرها، لكن الخلاف في كيفية استفادة الحكم بالنسبة لأفراد غير السبب ٥٥: فالجمهور يرى أن استفادة الحكم فيها بطريق النص كما في أفراد السبب، أما غيرهم فيرون أن الحكم في صورة غير السبب يكون بطريق القياس و ليس بالنص، بمعنى أنهم لا- يقولون بامتناع ثبوت الحكم في غير صورة السبب مما هو من نوعه بل يقولون بتعديته إليه بطريق القياس، أما أدلتهم فهي كما يلي:

### أولا: أدلة الجمهور:

(أ) أن المعول في الاحتجاج على لفظ الشارع وحده- أى النص القرآني- لا على السؤال أو السبب الذي نزلت الآيات في شأنه؛ لهذا نرى أن اللفظ القرآني في بعض الأحوال قد يعدل بالجواب عن سنن السؤال و ذلك لحكمه و فائدة في مجال التوجيه و التريه، كأن يرد السؤال عن شيء بذاته، فيوجه الجواب السائل إلى شيء آخر هو أولى بالاهتمام و هو الذي كان من المفروض أن تتحرى معرفته، و ذلك كما في قول الله سبحانه: **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** البقرة/ ٢١٥.

فالسؤال في الآية قد توخى معرفة ما ينبغي أن ينفق، و الجواب توخى الإعلام بالجهات التي ينبغي أن توجه إليها النفقة لأنه أنسب في هذا الموضع.

(ب) أن اللفظ القرآني عام فيجب بقاءه على عمومته، لأن الأصل في الألفاظ حملها على معانيها الأصلية المتبادرة، و لا يجوز صرف اللفظ عن معناه الذي وضع له إلا لقرينة تمنع بقاءه على هذا الأصل، و كون اللفظ القرآني قد نزل على سبب خاص، فذلك ليس قرينة على التخصيص، لأنه لا مانع أن يكون السبب الخاص وسيلة لبيان حكمه، و حكم كل ما هو على شاكلته، بل إن العدول- في ذاته- عن ربط الحكم بالخاص إلى ربطه بالعام دليل على قصد العموم.

(ج) أن الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- و من بعدهم قد تمسكوا- فيما نزل على أسباب خاصة- بما أفادته ألفاظ القرآن النازل من العموم، و احتجوا بذلك على وقائع لم تكن أسبابا لنزول الآيات، بل شابهتها، و ذلك من غير حاجة إلى دليل آخر كالقياس و نحوه.

فزاهم قد استدلوا على حكم الظاهر، و ما

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٥

ينبغي أن يفعله من يظاهر من زوجته- عند العود- من الإتيان بالكفارة: من تحرير الرقبة، أو الصيام، أو الإطعام، و أن ذلك لكل مظاهر. أقول: استدلوا على ذلك بعموم ما ورد في قول الله تعالى: **وَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعُظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَةَ يَوْمِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** المجادلة/ ٣، ٤. مع أن السبب في نزول هذه الآيات هو فعل أوس بن الصامت رضى الله عنه، لما ظاهر من امرأته خولة بنت ثعلبة كما سيأتي بيانه في موضع قادم إن شاء الله تعالى.

و الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- من العرب الخُص، الذين يعرفون بسليقتهم ما تفيده الألفاظ العربية، و لو كان ورود العام على سبب خاص يستلزم قصره عليه- فيما عهدوه من لغتهم- لما ذهبوا إلى هذا التعميم و لوقفوا عند مقتضى التخصيص، و لكن ذلك لم ينقل عنهم.

بل أصرح من هذا: أنه قد ورد عنهم ما ينص على هذا التعميم، قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: «حدثني محمد بن أبي معشر، قال: أخبرني أبو معشر نجيح، قال: سمعت سعيدا المقبري يذكر محمد بن كعب، فقال: إن في بعض الكتب: إن لله عبادا ألسنتهم أحلى من العسل، و قلوبهم أمرّ من الصبر، لبسوا منسوك الضأن من اللين، يشترون الدنيا بالدين، قال الله تبارك و تعالى: أعلى يجترئون، و بي يغترون؟ و عزتي لأبعثن عليهم فتنة ترك الحليم منهم حيران. فقال محمد بن كعب: هذا في كتاب الله جل ثناؤه، فقال سعيد: و أين هو من كتاب الله؟ قال:

قول الله عز و جل: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ الْبَقْرَةَ/٢٠٤، ٢٠٥ فقال سعيد: قد عرفت فيمن أنزلت هذه الآية، فقال محمد بن كعب: إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد» ٥٦.

و شبيه بذلك ما صرح فيه عقب نزول بعض الآيات باعتبار عموم لفظه، على الرغم من خصوص سببه كما جاء في الحديث التالي: عن ابن مسعود رضى الله عنه: أن رجلا أصاب من امرأة قبله حرام، فأتى النبي صلى الله عليه و سلم فسأله عن كفارتها فنزلت: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٦

وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ - سورة هود/ ١١٤ فقال الرجل:

ألى هذه يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

«لك و لمن عمل بها من أمتي». و في بعض الروايات: فقال أصحابه: يا رسول الله، ألهذا خاصة، أم للناس عامة؟ فقال: «بل للناس عامة» ٥٧.

## ثانيا: أدلة المخالفين:

أما المخالفون: فليس لهم أدلة سوى بعض المحاذير التي يرون أنها تترتب على القول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، و هي محاذير يمكن الرد عليها جميعا، و من بين هذه المحاذير:

(أ) أنه يترتب على القول بعموم اللفظ: ألا- يكون هناك فائدة لأسباب النزول، أو لبيانها على الرغم من اجتهاد العلماء في نقل هذه الأسباب، و اهتمام علماء التفسير بها، و لا تظهر الفائدة من ذلك إلا بالقول بأن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

و يمكن الرد على ذلك: بأن لمعرفة أسباب النزول كثيرا من الفوائد الهامة غير هذه الفائدة التي أوردتها هؤلاء مثل معرفة حكمة التشريع، و إزالة ما قد يكون في الآيات من إشكال، و غير ذلك مما عالجاه في موضع آخر.

(ب) أنه يترتب على القول بعموم اللفظ:

أنه يحث من قال: و الله لا آكل، جوابا لمن قال: كل فاكهة. إذا حدث و أكل خبزا، لأن قوله: لا آكل. يعم كل أكل، مع أن الفقهاء على أنه لا يحث، فثبت أن العبرة بخصوص السبب، لا بعموم اللفظ.

و الرد على ذلك: أن التخصيص في هذا المثال إنما جاء من العرف، الذي يقضى بأن الحالف في مثل هذه الحالة لا يقصد نفى الأكل مطلقا، و إنما يقصد نفى أكل الفاكهة، فالتخصيص جاء من قرينة قضت به، لا من خصوص السبب، و لا نزاع في ذلك، إنما النزاع عند عدم القرينة.



(ج) أنه يترتب على القول بعموم اللفظ:

أن لا يكون لربط نزول الآية بسببها فائدة، لأن هذا الربط دليل على أن العبرة بخصوص السبب، و لو لا ذلك كانت الآيات تنزل إما قبل حدوث هذه الأسباب، أو بعدها بوقت طويل، حتى ينفك هذا الارتباط، فدل ذلك التعاقب على أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

و الرد على ذلك: أن هذا التعاقب بين السبب والآيات النازلة في شأنه يؤدي إلى تثبيت الحكم الشرعي وإظهار حكمه التشريعي، و توضيح المراد من الآيات عند ما يشكل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٧

معناها، و ليس المراد منه قصر الحكم على سببه الخاص.

(د) أنه يترتب على القول بعموم اللفظ:

جواز إخراج صورة السبب من اللفظ العام إذا ورد ما يخصه لأنه حينئذ كأي فرد من أفرادها، و قد أجمع العلماء على أنه لا يجوز إخراج صورة السبب من العام في هذه الحالة فدل ذلك على أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

و يجاب عن ذلك: بأن عدم جواز إخراج صورة السبب بما ورد من التخصيص إنما هو لمزيه في صورة السبب ليست في سائر الأفراد، و هي مع ذلك تدخل دخولا أوليا، و قد عولج ذلك بالتفصيل في بيان فوائد معرفة أسباب النزول.

(ه) أنه يترتب على القول بعموم اللفظ:

عدم مطابقة اللفظ العام الذي هو بمنزلة الجواب للسبب الذي هو بمنزلة السؤال، لأن السبب خاص و اللفظ عام، فلا تطابق بينهما، مع أن التطابق في مثل ذلك ضروري، انطلاقا من قواعد البلاغة، و إذا لم يتحقق هذا التطابق يكون مخلا بلاغة القرآن، و هو عندئذ نقص ينتزه عنه القرآن الكريم.

و الجواب على ذلك: أن التطابق المنشود يتحقق في حالة عموم اللفظ، لأنه يتضمن بيان حكم السبب الخاص، و هذا قدر متيقن، و يزيد عليه بيان حكم ما يشابهه، و لا يخل بأعلى مراتب البلاغة أن يكون اللفظ العام جوابا شاملا للسبب و لغيره، بل إن هذه مزية، لأنها فائدة زائدة ترفع من شأن الكلام، و تزيد من قيمته.

و حيث زالت هذه المحاذير بما لا- تكلف فيه: فإنه لا يبقى لهؤلاء دليل على رأيهم، و تبقى أدلة الجمهور سالمة ناطقة بصواب ما ذهبوا إليه، و هو أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

و إذا كان لهذا الخلاف من ثمره: فإن الثمرة تنحصر في تحديد مأخذ الحكم في غير صورة السبب الخاص و هي - كما قدمنا- مندرجة تحت الحكم قطاعا، و لكن جماهير العلماء يرون مأخذ الحكم فيها بطريق النص نفسه بينما يرى البعض مأخذه بطريق القياس، فالحكم في غير صورة السبب قائم في كلتا الحالتين على دليل شرعي ٥٨.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٨

## تعدد الروايات في سبب النزول

كثيرا ما يجد المفسر نفسه- فيما يتعلق بمعاني الآيات، أو بملاسات نزولها- في مواجهة روايات بأسباب متعددة لنزول الآية الواحدة، و سبيله عندئذ أن ينظر في الصيغ التي وردت بها تلك الروايات و القرائن التي تصاحبها، و هذه الصيغ أو تلك القرائن هي التي تحدد إمكان الجمع أو الترجيح بين هذه الروايات المتعددة، و قد تتبع العلماء أوجه هذا التعدد فوجدوها تأتي على النحو التالي:

(أ) أن تكون الصيغ الواردة ليست نصا في سبب النزول: بأن يقول بعضهم: (نزلت هذه الآية في كذا) و يذكر شيئا من مضمونها، و يقول الآخر: (نزلت هذه الآية في كذا) و يذكر شيئا آخر مما يحتمله مضمون الآية.

فها تان الصيغتان تقبلان معا على أنهما للتفسير و البيان، و ليس لبيان سبب النزول، و ذلك ما لم تقم قرينه على صيغه منهما تعينها سببا لنزول الآية، فلو قامت هذه القرينه تعينت تلك الصيغه سببا للنزول دون غيرها.

مثال ذلك: قول الله تبارك و تعالى:

الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ سورة البقرة / ٢٧٤.

فقد ورد فيها بيان لكل من ابن عباس رضى الله عنهما، و قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧ هـ) رحمه الله تعالى، فلو تأملنا فيها قول ابن عباس رضى الله عنهما: إنها فى الذين يعلفون الخيل فى سبيل الله تعالى.

و كذلك قول قتادة: إنها فىمن أنفقوا فى سبيل الله الذى افترض عليهم فى غير سرف و لا إملاق و لا تبذير ٥٩؛ لكان كل من القولين صحيحا، لأن الآية تتضمن هذا و ذاك، و لا منافاة بينهما.

و من هذا القبيل: ما يمكن أن يقال عند تدبر قول الله تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ آل عمران / ١٦٩، ١٧٠.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٩

فلو قال قائل: إن هذه الآية نزلت فى بيان منزلة الشهداء عند الله تعالى، و أنها من أعلى المنازل فى الجنة اعتبارا بما فى أول الآيات، و قال آخر: نزلت هذه الآيات فى الترغيب فى الجهاد لنيل الشهادة اعتبارا بما فى آخرها.

لكان كل من القولين صحيحا، لأن الآيات تتضمن هذا و ذاك، و لا تعارض بينهما.

(ب) أن تكون إحدى الصيغتين نضا فى سبب النزول: بمعنى أن يكون فيها ما يدل على ذلك مثل فاء التعقيب، و تكون الأخرى ليست نضا فى السببية، بل جاءت بعبارة:

نزلت الآية فى كذا، فإن الصيغه الأولى عندئذ تعتمد سببا لنزول الآية، أما الثانية فتحمل على أنها نوع من التفسير أو الاستنباط من الآية حسب فهم من سبقت عنه.

مثال ذلك: قول الله تبارك و تعالى:

وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ البقرة / ١٩٧.

فقد أخرج البخارى رحمه الله تعالى ٦٠ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان أهل اليمن يحجون و لا يتزودون، و يقولون:

نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا مكة، فأنزل الله تعالى: وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى».

كما ورد فى الآية كذلك أنها: فى الأمر بأخذ الزاد عند السفر، و الإخبار و الإعلام بأن خير ما يتزود به هو تقوى الله تعالى، حكاة الإمام عبد الرحمن بن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) عن أبى إسحاق الزجاج (ت ٣١١) رحمه الله تعالى ٦١.

فحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعتبر سببا فى نزول الآية لصراحة عبارته فى ذلك، و أما قول الزجاج فإنه يحمل على تفسير الآية.

(ج) أن يأتى فى الآية روايتان: و تكون كل منهما نضا فى سبب نزولها، و لكن إحداها إسنادها صحيح دون الأخرى، فالمعتمد عندئذ فى سبب النزول هو الرواية التى صح إسنادها.

مثال ذلك: ما ورد فى سبب نزول قول الله: وَالصُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى سورة الضحى / ١-٥.

فقد أخرج البخارى رحمه الله تعالى ٦٢ عن جندب بن سفيان رضى الله عنه، قال: «اشتكى رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يقم ليلة أو ليلتين، فجاءت امرأة- أى من الكفار- فقالت: يا محمد إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره



الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٠

قربك منذ ليلتين أو ثلاثا، فأنزل الله عز وجل: وَ الضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى.

وروى الواحدى ٦٣ عن حفص بن سعيد القرشى، قال: حدثتني أمى عن أمها خولة، و كانت خادمة رسول الله صلى الله عليه وسلم. «أن جروا دخل البيت، فدخل تحت السرير فمات، فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيتي؟ جبريل عليه السلام لا يأتي، قالت خولة، لو هيأت البيت وكنسبته فأهويت بالمكنسة تحت السرير، فإذا شيء ثقيل، فلم أزل حتى أخرجته فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه، و كان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة، فقال: يا خولة دثرتني.

فأنزل الله تعالى: وَ الضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى أن هذه القصة رواها الطبراني بإسناد فيه من لا يعرف، ثم قال: «وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت السرير مشهورة، لكن كونها سبب نزول الآية غريب، بل شاذ مردود بما فى الصحيح، والله أعلم» ٦٤. (د) أن يأتي فى الآية روايتان صحيحتان:

و كل منهما نص فى سبب نزولها، لكن فى إحداهما ما يرجحها على الأخرى مثل كونها أصح من الأخرى، أو أن راويها كان حاضرا مشاهدا للقصة بخلاف الآخر، فعندئذ يؤخذ فى سبب النزول بالرواية الراجحة دون الرواية المرجوحة.

مثال ذلك: ما ورد فى سبب نزول قول الله تعالى: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا الإسراء / ٨٥

فقد أخرج البخارى ٦٥ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «بيننا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى حرث، وهو متكئ على عسيب ٦٦- إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه؟- وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه- فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقامت مقامى، فلما نزل الوحي قال: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا.

و أخرج الترمذى ٦٧ و صححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦١

الروح، فأنزل الله تعالى: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا. قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

فالرواية الأولى تقتضى أن الآية نزلت بالمدينة، و الثانية تقتضى أنها نزلت بمكة.

وقد رجح العلماء الأولى لكونها من رواية البخارى، و ما رواه أصح، و بأن ابن مسعود كان حاضرا مشاهدا للقصة.

(ه) أن يأتي فى الآية روايتان كل منهما نص فى سبب النزول: و كل منهما مساوية للأخرى فى الصحة و لا مرجح عندئذ لإحداهما، لكن يمكن الجمع بينهما، لتقارب الزمن بين القصتين، فتكون الآية نازلة فى السببين أو الأسباب معا على هذا الوجه و ذلك الاعتبار.

مثال ذلك: ما ورد فى سبب نزول قول الله تعالى: وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحْسَنُ أَرْبَعٍ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِنَّ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعٍ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِنَّ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ الآيات سورة النور / ٦- ١٠.

فقد أخرج البخارى و غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى هلال بن أمية لما قذف زوجته عند النبي صلى الله عليه وسلم

سلم بشريك بن سحماء، وقد مرت هذه الرواية بالتفصيل من قبل عند بحث مسألة: عموم اللفظ و خصوص السبب. كما أخرج البخارى و مسلم ٦٨ من رواية سهل بن سعد الساعدي: أنها نزلت فى عويمر العجلاني، لما سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم قائلاً: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلاً، أ يقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قد أنزل الله فيك و فى صاحبك».

فأمرها رسول الله صلى الله عليه و سلم بالملاعنة بما سمي الله فى كتابه. إلى آخر الحديث. فيمكن الجمع بين الحادثتين: بالقول بأن حادثه هلال بن أمية وقعت أولاً، و صادف مجيء عويمر كذلك فنزلت الآية فى شأنهما معا بعد حادثتهما، إذ لا يجوز أن نرد الروايتين معا لصحتهما، كما لا يجوز أن نرد إحداهما و نأخذ بالأخرى، لأنه لا مرجح بينهما، فبقى أن نأخذ بهما معا كما قرر العلماء، سيما مع قرب زمانهما.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٢

(و) أن يأتى فى الآية روايتان صحيحتان:

كل منهما نص فى سبب النزول، و لا- مرجح لإحداهما على الأخرى، و لا يمكن الجمع بينهما على اعتبار قرب الزمان، لأن زمانهما متباعد، و عندئذ يحمل العلماء مثل هذه الصورة على تكرار النزول.

و قد مثل الزركشى لذلك- فى البرهان- بما ورد فى سبب النزول لقول الله تعالى:

وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ هود/١١٤، من أنها نزلت- كما فى الصحيحين ٦٩ فى رجل أصاب من امرأة قبله، فسأل النبي صلى الله عليه و سلم عن كفارتها، فنزلت الآية.

قال الزركشى معلقاً: «و الرجل قد ذكر الترمذى أو غيره ٧٠ أنه أبو اليسر، و سورة هود مكية باتفاق، و لهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا، و لا إشكال لأنها نزلت مرة بعد مرة» ٧١.

و الحق أن هذا الإشكال لا يحتم القول بتكرار النزول كما قال الزركشى، لأن كون السورة مكية لا يمنع أن تكون بعض آياتها مدنية، لأن الاعتبار فى تصنيف السور إلى مكى و مدنى بالأعم الأغلب، و القرآن نزل منجماً فى مكة و المدينة، و الراجح أن هذه الآية مدنية، و هذا ما قرره السيوطى رحمه الله و نص عليه فى بيان أن بعض السور التى نزلت بمكة فيها آيات نزلت بالمدينة، ذكر منها سورة هود، فقال: «هود: استثنى منها ثلاث آيات: فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ أَقْمَنَ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ قلت:

دليل الثالثة ما صح من عدة طرق أنها نزلت فى المدينة فى حق أبى اليسر» ٧٢.

كما ساق الزركشى مثلاً آخر لتكرار النزول فقال: «و كذلك ما ورد فى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ أنها جواب للمشركين بمكة، و أنها جواب لأهل الكتاب بالمدينة» ٧٣. و علل لتكرار النزول بقوله: «و قد ينزل الشىء مرتين تعظيماً لشأنه، و تذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه، و هذا كما قيل فى الفاتحة نزلت مرتين: مرة بمكة و أخرى بالمدينة» ٧٤.

و على كل ففى القول بتكرار النزول أقوال للعلماء، و لم يتفقوا جميعاً على القول به، بل منهم من أنكر وقوعه ٧٥.

هذه هى الأوجه التى تتأتى فى تعدد الروايات فى أسباب النزول، و هذه هى أمثلتها مقرونة بما يتأتى فيها من الجمع بينهما، أو ترجيح بعضها على بعض، مع بيان دواعى هذا الترجيح.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٣

## تعدد المنزل من القرآن و السبب واحد

و كما تتعدد الروايات فى أسباب الآية الواحدة، فإنه قد تتعدد الآيات النازلة على سبب واحد.

مثال ذلك: ما أخرجه الحاكم ٧٦ و صححه عن مجاهد، عن أم سلمة رضى الله عنها، قالت: «قلت يا رسول الله: يذكر الرجال، و لا

يذكر النساء؟ فأنزل الله عز و جل: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْآيَةَ- الأحزاب / ٣٥- و أنزل: أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ آل عمران / ١٩٥.

و من هذا القبيل: ما ورد عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما ٧٧ قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ظل حجرة، و قد كاد الظل أن يتقلص، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

«إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعين شيطان، فإذا جاءكم فلا تكلموه، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور، فقال حين رآه دعاه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: علام تشتمنى أنت و أصحابك؟ فقال: ذرنى آتك بهم، فانطلق فدعاهم، فحلفوا ما قالوا و ما فعلوا ...

فأنزل الله عز و جل: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ المجادلة / ١٨.

و فى القصة نفسها أورد ابن جرير: عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله: «كان رسول الله صلى الله عليه و سلم جالسا فى ظل شجرة، فقال: «إنه سيأتيكم إنسان، فينظر إليكم بعين شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه». فلم يلبث أن طلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: «علام تشتمنى أنت و أصحابك؟» فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما فعلوا، حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله عز و جل: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا التوبة / ٧٤ ثم نعتهم جميعا إلى آخر الآية ٧٨.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٤

### أثر الجهل بسبب النزول

سبق فى بحث مسألة العبرة فى سبب النزول هل هى بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟ بيان اتفاق الجميع على شمول الحكم فى اللفظ العام لسبب النزول و غيره، و أن القائلين بقصر العام على سببه لا يقولون بقصر الحكم على ذلك السبب و انتفاء شموله لما عداه، لأن اللفظ العام الوارد فى الآية و إن ارتبط عند هؤلاء بمعين، و هو السبب الذى نزل عليه، إلا أن الحكم لا يرتبط عندهم بعمل ذلك المعين بذاته بل بنوعه، كل ما فى الأمر: هو التفريق فيما يتعلق باستفادة الحكم للسبب المعين و غيره.

فالقائلون بعموم اللفظ: يرون أن استفادة الحكم فى الجميع بطريق النص، و القائلون بخصوص السبب: يرون أن استفادة الحكم فى السبب بطريق النص، و فى غيره بطريق القياس.

و يتفرع عن ذلك: أنه إذا كان المعتبر فى تطبيق الحكم نوع العمل فى أفرادها، لا صورة السبب بذاتها- و ذلك لما بين صورة السبب و غيرها من التشابه- فإن الجهل بسبب النزول لا يتأتى أن يترتب عليه تعطيل العمل بالحكم الوارد فى الآية، فليس معنى عدم الوقوف على أن هذه الآية قد نزلت فى هذا الشخص بذاته، أو هذه الحادثة بعينها ألا يطبق الحكم الذى تضمنته على من وجدت فيه علته تطبيق هذا الحكم، و ذلك يشبه أن يكون مسلمة فى مجال الاستدلال الشرعى.

لكن البعض ذهب إلى أن عدم معرفة سبب نزول الآية يترتب على الجهل بمن نزلت فيه أولا، و بما أن صورة السبب هى الأصل الذى يقاس عليه، فإن العمل يتعذر فيمن نزلت فيه من جهة لعدم معرفته، و يتعذر فى غيره لتعذر إمكان القياس على المجهول من جهة أخرى، و بذلك يودى الجهل بسبب النزول على التحديد إلى تعطيل العمل بما تضمنته الآيات من أحكام.

و ممن ذهب إلى ذلك: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى رحمه الله تعالى، فنراه يقول فى معرض حديثه عن رأى من يقول بخصوص السبب لا بعموم اللفظ: «فآيات الظهار فى مفتتح سورة المجادلة سببها أن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٥

أوس بن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت حكيم بن ثعلبة، و الحكم الذى تضمنته هذه الآيات خاص بهما و أحدهما- على هذا

الرأى - أما غيرهما فيعلم بدليل آخر: قياسا أو سواه، و بدهى أنه لا يمكن معرفة المقصود بالحكم، و لا القياس عليه إلا إذا علم السبب، و بدون معرفة السبب تصير الآية معطلة خالية عن الفائدة» ٧٩.

و الحق أن الشيخ رحمه الله تعالى قد أسرف في هذا الحكم، كما أن المثال الذى ساقه لا يساعده فى تقرير ما ذهب إليه، لأنه كما سبق مرارا: الحكم فى الآية منوط بأمر معين، إذا وقع هذا الأمر طبق الحكم، و ذلك فى الجميع (صورة السبب و غيرها) إلا أنه فى صورة السبب بالنص، و فى غيرها بالقياس، و ما دام الأمر كذلك فمن التجاوز القول بإهمال العمل بحكم الآية، لأن ما يجرى الحكم فيه نصا لم يتميز عما يجرى الحكم فيه قياسا، ما دام الاتفاق على ثبوت الحكم فى الجميع بدليل شرعى هو: النص أو القياس.

و بعبارة أخرى: فبالنسبة للمثال الذى ساقه الشيخ ٨٠: هل من المقبول: القول بإهمال العمل بما تضمنته الآية من حكم الظهار، و ما جاء فيها من وصفه بأنه منكر من القول و زور، و ما ينبغى على المظاهر من الكفارة المبينة قبل أن يمس امرأته .. إلى آخر ما فى الآية. أقول: هل من المقبول إهمال العمل بهذا الحكم رأسا إذا لم نعرف أن من نزلت فيه هذه الآية اسمه أوس بن الصامت، و أن زوجته اسمها خولة بنت ثعلبة، مع أن الحكم فى الآية ليس منوطا بمعرفة من نزلت فيه، بل بمن يظاهر من زوجته بالصيغة المعروفة.

و هل من المعقول كذلك: أن نهمل مثلا- العمل بحكم اللعان الوارد فى قول الله سبحانه: وَ الَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَ الْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَ يَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَ الْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ النور/ ٦- ٩، ما لم نعرف أن من نزلت فيه الآيات اسمه هلال بن أمية، أو عويمر العجلانى، أو هما معا كما سبق .. اللهم لا.

لكن .. لعله يكون لما قاله الشيخ الزرقانى، و من قال برأيه وجه فيما قدمناه عند الكلام عن فوائد معرفة أسباب النزول من أنه: قد يتوقف فهم الآية ذاتها على معرفة سبب

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٦

نزولها، أو يشكل أمرها ما لم يعرف هذا السبب، كما ذكرنا من قبل على سبيل المثال، فى قول الله سبحانه: وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ اتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ البقرة/ ١٨٩. و كذلك فى قول الله تبارك و تعالى: إِنَّ الصَّافَا وَ الْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ البقرة/ ١٥٨.

فالصحيح إذن: أن الجهل بسبب نزول الآية- أى آية- لا ينبغى أن يؤدى إلى تعطيل العمل بمقتضى هذه الآية، و ما تضمنته من أحكام عند القائلين بخصوص السبب لا بعموم اللفظ .. فضلا عن غيرهم.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٧

## النور أو التراخى فى سبب النزول

قد عرفنا- فى أول هذا البحث- مما قاله العلماء فى تعريف سبب النزول أنه: (ما نزلت الآية أو الآيات فى شأنه أيام وقوعه ..) إلى آخر التعريف، و بينا أنه لكى تعتبر الحادثة سببا للنزول لا بد من مزامنتها لعصر نزول القرآن، أو بعبارة أخرى: وقوعها فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم و قد اكتفى فى التعريف بهذا القيد.

أما السؤال المطروح هنا فهو: هل ينبغى أن تقوم هذه المعاصرة على تقارب زمنى واضح بين السبب و نزول الآيات فيه؟ أو بتعبير آخر: هل يشترط نزول الآيات فور حدوث سببها؟

أو يجوز أن يتراخى النزول عن الحدوث زمنًا، و هل يتحتم تقدم السبب على النزول؟ أو يجوز تقدم النزول على حدوث السبب، و هل

هناك في أسباب النزول المروية ما يدل لهذه الصور عند وجودها؟

إن الجواب على هذه الأسئلة يتطلب نوعاً من التتبع لأسباب النزول، وهذا التتبع يسفر عن عدم التلازم بين وقوع الحادث و فورية النزول، بل قد تنزل الآية أو الآيات فور حدوث السبب، وقد يتأخر النزول زمناً، و كل ذلك يعرف بالقرينة أو بالنص و قد لا يصرح بالفورية أو بالتراخي، و لا تقوم على أي منهما قرينة.

و عليه: فإنه يمكن تقسيم أسباب النزول باعتبار الفورية أو التراخي إلى أقسام:

الأول: ما صرح فيه بنزول الآيات فور حدوث السبب، و مثاله: ما ورد في سبب نزول قول الله تبارك و تعالى: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٢) وَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَةَ يَوْمَ شَهْرَيْنِ مُتتَابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٨

فِاطِمَاتٍ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ المجادلة/ ١-٤.

فقد أخرج ابن ماجه ٨١ عن عروة بن الزبير: قال: «قالت لي عائشة رضي الله تعالى عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة و يخفى عليّ بعضه، و هي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، و نثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، و انقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهذه الآيات: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ».

و من أمثلة هذا القسم أيضاً: ما ورد في سبب نزول قول الله تعالى: وَ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا الإسراء/ ٨٥.

فقد أخرج البخاري ٨٢ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «بيننا أنا مع النبي صلى الله عليه و سلم في حرث و هو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح: فقال:

ما رابكم إليه- و قال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه- فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي صلى الله عليه و سلم فلم يردّ عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقامت مقامى، فلما نزل الوحي قال: وَ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا».

فقد ورد في سياق هذا الحديث، و حديث عائشة رضي الله تعالى عنها الذي قبله: ما يدل على نزول الآيات في نفس الموقف أثناء حدوث أسباب النزول و دواعيها.

الثاني: ما صرح فيه بتراخي نزول الآيات عن حدوث سببها، بل و أكثر من ذلك حددت مدة هذا التراخي و ذلك كما ورد في سبب نزول قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ سورة النور/ ١١-٢٠.

فقد أخرج البخاري ٨٣ عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم و رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه و سلم معه». و الحديث طويل مفصل، ذكرت فيه أم المؤمنين رضي الله عنها قصة خروجها مع النبي صلى الله عليه و سلم في غزوة بني المصطلق، و قصت ما

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٩

ذكره المنافقون في شأنها، و ما رموها به من حديث الإفك و إشاعة ذلك بين الناس، و أنها لما عرفت الأمر بعد فترة بكت بكاء

شديداً، حتى ظن أبواها أن البكاء يفلق كبدها ... إلى أن قالت: «فينا نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأنى» و ذكرت ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجابت به، حتى قالت:

«ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرؤنى الله بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا - خرج أحد من البيت حتى أنزل عليه ...» إلى أن قالت: «وأنزل الله: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ الْعَشْرَ آيَاتِ كُلِّهَا».

فقول أم المؤمنين رضى الله عنها: (وقد لبث شهرا لا يوحى إليه فى شأنى) صريح فى تراخى نزول الآيات عن حدوث السبب، قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «حكى السهيلي أن بعض المفسرين ذكر أن المدة كانت سبعة و ثلاثين يوما، فألغى الكسر فى هذه الرواية. وعن ابن حزم: أن المدة كانت خمسين يوما أو يزيد، و يجمع بأنها المدة التى كانت بين قدومهم المدينة و نزول القرآن فى قصة الإفك، و أما التقييد بالشهر: فهو المدة التى أولها إتيان عائشة إلى بيت أبويها حين بلغها الخبر» ٨٤.

ولعل تأخر النزول فى هذه الحادثة - و الله أعلم - كان نوعا من الابتلاء لمجتمع المؤمنين، ليمحص إيمان المؤمنين، و يظهر نفاق الذين فى قلوبهم مرض، وليتم إعداد المؤمنين لتلقى الدرس الذى نزلت به الآيات فى شأن الأعراس و حرمتها، و التشنيع على من ينتهك تلك الحرمه و بيان قبح فعله، و عظيم عقوبته، و ذلك يتمثل فى قول الله تعالى ضمن الآيات النازلة: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. كما أن فيه تكريما لأم المؤمنين رضى الله عنها، بنزول براءتها فى القرآن الكريم، مع زيادة أجرها و مثبتها لما عانته من الأذى فى هذه الفترة العصيبة.

أما نزول آيات الظهار فور وقوع الحدث:

فلعل من حكمته - و الله تعالى أعلم - تلبية دواعى التشريع فى هذا الأمر الطارئ، الذى بدت فيه حاجة المرأة الماسة، و ظروفها المتمثلة فى: كبر سنها، و ضعف ذريتها، و قد تبدى ذلك كله فى مراجعتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما تذكر بعض الروايات، و كما جاء فى نص الآية الكريمة: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا الْآيَات. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٠

الثالث: ما لم يصرح فيه بنزول الآيات فور حدوث السبب أو بتراخى هذا النزول، فهو يحتمل الأمرين معا.

و مثال ذلك: ما ورد فى شأن نزول قول الله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا الْفَتْح / ٢٤.

فقد أخرج مسلم ٨٥ عن أنس بن مالك رضى الله عنه: «أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذهم سلما فاستحياهم، فأنزل الله عز و جل: وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا». فليس فى لفظ الحديث ما يدل على فورىة النزول أو تراخيه، و لكنه على كل حال تم بعد وقوع السبب، هذا هو الشأن فيما نزل من آيات القرآن الكريم على سبب: أن يتقدم السبب على ما ينزل فيه من الآيات.

ولكن الزركشى رحمه الله تعالى ذكر أنه:

قد يتقدم نزول الآيات على ما نزلت فى شأنه، و ذكر أمثلة لذلك فقال: «و اعلم أنه قد يكون النزول سابقا على الحكم» و هذا كقوله تعالى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَى الْأَعْلَى / ١٤.

فإنه يستدل بها على زكاة الفطر، روى البيهقى بسنده: أنها فى زكاة رمضان، ثم أسند مرفوعا نحوه، و قال بعضهم: لا أدرى ما وجه هذا



التأويل؟ لأن السورة مكية، و لم يكن بمكة عيد ولا زكاة.

(و أجاب البغوى فى تفسيره: بأنه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال لا أُقسِمُ بهذا البلد (١) و أنت حلُّ بهذا البلدِ سورة البلد / ١، ٢. فالسورة مكية و ظهر أثر الحل يوم فتح مكة حتى قال عليه السلام: «أحلت لى ساعة من نهار» ٨٦.

و كذلك نزل بمكة: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ القمر / ٤٥. قال عمر بن الخطاب: «كنت لا أدرى أى الجمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

سيهزم الجمع و يولون الدبر» أ.ه. كلام الزركشى رحمه الله تعالى ٨٧.

و ما ساقه الزركشى هنا- فيما عدا الآية الأولى التى قالوا إنها فى شأن زكاة الفطر- يمكن حمله على أنه من باب الإخبار بالمغيبات التى وقعت كما أخبر القرآن عنها تماما، و ذلك من أوجه إعجاز القرآن الكريم. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧١

## من نزل فيهم القرآن

### إشارة

المتتبع لأسباب النزول فى القرآن الكريم، يجد أنها تتنوع من جهة من نزلت فيهم آيات من القرآن، و يمكن تقسيم أسباب النزول بهذا الاعتبار إلى قسمين:

الأول: ما يتعلق بالمؤمنين.

الثانى: ما يتعلق بالكافرين: (من المشركين، و المنافقين، و اليهود، و النصارى).

و لما كان المجال ليس مجال تفصيل لقصص النزول و أسبابه فى جميع من أنزل الله تعالى فيهم قرآنا، فإننا سوف نكتفى بذكر مثالين ممن ذكرنا تفصيلا، ثم نشير إجمالا إلى أكثر من أنزل الله فيهم قرآنا من هؤلاء، ذاكرين أسماءهم، و أرقام الآيات التى قال المفسرون إن الله تعالى أنزلها فيهم، و أسماء سورها، و فيما يلى بيان ذلك كله:

## أولا: أمثلة ممن أنزل الله تعالى فيهم قرآنا من المؤمنين:

١- أبو بكر الصديق: رضى الله عنه.

و هو عبد الله بن أبى قحافة، أول السابقين إلى الإسلام من الرجال، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم و صاحبه فى الغار و رفيقه فى الهجرة (ت ١٣ هـ).

مما أنزل الله تعالى من القرآن فى شأن أبى بكر رضى الله عنه: قول الله تعالى: وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْيَةَ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيُغْفُوا وَلْيُغْفُوا أَلَا تَجْبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ النور / ٢٢.

أما قصة نزول هذه الآية: فإن المنافقين لما رموا الصديقة عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها بما رموها به من حديث الإفك، كان ممن وقع من المسلمين فى هذا الأمر، و تكلم فيه: قريب لأبى بكر يسمى (مسطح بن أثاثه ابن عبادة) و أمه بنت خاله أبى بكر الصديق ٨٨، و كان أبو بكر ينفق عليه لفقره، فلما أنزل الله تعالى براءة عائشة، أخذ أبى بكر رضى الله عنه من الألم النفسى و الغضب البشرى ما حمله على أن يحلف على قطع النفقة عن مسطح.

فقد أخرج البخارى رحمه الله تعالى ٨٩ فى سياق حديث قصة الإفك، عن عائشة رضى الله تعالى عنها قولها: «... فلما أنزل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٢

الله في براءتي، قال أبو بكر رضي الله عنه- و كان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه و فقره-:  
و الله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشه ما قال. فأنزل الله تعالى: **وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُعْثِقُوا وَيُلْصِقُوا فَحُوا أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** قال أبو بكر: بلى و الله إنى أحب أن يغفر الله لى، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه، و قال: و الله لا أنزعها منه أبدا.

٢- قيس بن صرمة الأنصاري: رضي الله عنه أحد صحابه رسول الله صلى الله عليه و سلم نزل في شأنه قول الله تعالى: **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ الْبَقْرَةَ/ ١٨٧.**

فقد أخرج الترمذى ٩٠ عن البراء رضي الله عنه، قال: « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته و لا يومه حتى يمسي، و إن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال: هل عندك طعام؟ قالت: لا، و لكن انطلق اطلب لك و كان يومه يعمل فغلبته عينه و جاءته امرأته، فلما رآته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشى عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه و سلم فنزلت هذه الآية: **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** ففرحوا بها فرحا شديدا و كلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر».

### ثانيا: أمثلة ممن أنزل الله تعالى في شأنهم قرآنا من الكافرين:

(أ) المشركون:

١- أبو جهل: أبو الحكم عمرو بن هشام.

كان من أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه و سلم و للمسلمين، و استمر على ذلك حتى قتل في غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ و قذف في قلبها مع بقية القتلى من المشركين.

مما نزل في شأنه من القرآن قول الله تعالى: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فُتْيُكُمْ شَيْئًا وَ لَوْ كَثُرَتْ وَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَنْفَال/ ١٩.**

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٣

فقد أخرج الحاكم ٩١ و صححه عن أبي صعير العذرى، قال: « كان المستفتح أبا جهل، فإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينما كان أقطع للرحم، و أتانا بما لا نعرف فأحنه- أى أهلكه- الغداة. فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ** إلى قوله: **وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**».

٢- العاص بن وائل السهمي: من عتاه قريش و من الذين آذوا المسلمين إيذاء شديدا.

مما نزل في شأنه من القرآن قول الله تعالى: **أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** سورة يس / ٧٧-٨٣.

فقد أخرج الحاكم ٩٢ و صححه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «جاء العاص ابن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بعظم حائل- أى متغير بالبلى- ففتته، فقال: يا محمد، أبيع الله هذا بعد ما أرم؟ قال: «نعم يبعث الله هذا، يميئك ثم يحييك، ثم يدخلك النار».



قال: فنزلت الآيات: أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ».

(ب) المنافقون:

١- عبد الله بن أبي بن سلول: رأس المنافقين في المدينة.

مما نزل في شأنه أكثر آيات- سورة المنافقون-

فقد أخرج البخارى ٩٣ عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: «كنت مع عمى ٩٤ فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال أيضا:

لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فذكرت ذلك لعمى، فذكر عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و كذبنى، فأصابنى هم لم يصبنى مثله، فجلست فى بيتى فأنزل الله عز وجل: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ إِلَى قَوْلِهِ:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٤

هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا- تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا إِلَى قَوْلِهِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها على، ثم قال: «إن الله قد صدقك».

٢- ما نزل من القرآن فى شأن المنافقين الذين كانوا يسخرون من صدقة الفقراء من المسلمين:

فقد أخرج البخارى ٩٥ رحمه الله تعالى عن أبى مسعود، قال: «لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغنى عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا- رياء فنزلت: الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ سورة التوبة/ ٧٩.

(ج) اليهود والنصارى:

١- التباش بن قيس:

نزل فى شأنه من القرآن قول الله تعالى:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ الْآيَةُ- المائدة/ ٦٤.

فقد ذكر الحافظ أبو بكر الهيثمى ٩٦ رحمه الله تعالى: ما رواه الطبرانى بسند رجاله ثقات، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: «قال رجل من اليهود- يقال له: التباش بن قيس-: إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله عز وجل: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ».

٢- ما نزل فى اليهود والنصارى: الذين قال كل منهما للآخر: إنه ليس على شىء.

فقد أخرج محمد بن جرير الطبرى رحمه الله تعالى ٩٧ عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: «لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع ابن حريملة: ما أنتم على شىء، و كفر بيسى ابن مريم وبالإنجيل: فقال رجل من أهل نجران من النصارى: ما أنتم على شىء و جحد نبوة موسى، و كفر بالتوراة، فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهما: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ إِلَى قَوْلِهِ: فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ الْبَقْرَةَ/ ١١٣».

و كما سبق التنبيه إليه: فإنه إذا كان المجال لم يتسع لذكر أسباب النزول فى كل من أنزل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٥

الله تعالى فيهم قرآنا على وجه التفصيل، فإننا نشير فى إجمال بعد هذه الأمثلة- كما وعدنا- إلى العديد ممن نزل فيهم القرآن- حسب

ما ذكره المفسرون في تفاسيرهم، و أصحاب كتب أسباب النزول في كتبهم - إضافة إلى من سبق ذكرهم في ثنايا البحث في جوانبه المتعددة.

- ١- قتادة بن النعمان: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيات: ١١٠-١١٢ من سورة النساء.
  - ٢- مرثد بن أبي مرثد: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآية: ٣ من سورة النور.
  - ٣- الأشعث بن قيس: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآية: ٧٧ من سورة آل عمران.
  - ٤- صهيب بن سنان الرومي: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآية: ٢٠٧ من سورة البقرة.
  - ٥- عثمان بن مظعون: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيتين: ٨٧، ٨٨ من سورة المائدة.
  - ٦- عياش بن ربيعة: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيتين: ٥٣، ٥٤ من سورة الزمر.
  - ٧- عثمان بن طلحة: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآية: ٥٨ من سورة النساء.
  - ٨- معقل بن يسار: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآية: ٢٣٢ من سورة البقرة.
  - ٩- جابر بن عبد الله: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآية: ٧٤ من سورة النساء.
  - ١٠- كعب بن مالك: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآية: ١١٨ من سورة التوبة.
  - ١١- النجاشي (ملك الحبشة): أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيات: ٨٢-٨٤ من سورة المائدة.
  - ١٢- عبد الله بن سلام: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآية: ١٤٦ من سورة البقرة.
  - ١٣- عمار بن ياسر: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآية: ١٠٦ من سورة النحل.
  - ١٤- سعد بن أبي وقاص: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيتين: ١٤، ١٥ من سورة لقمان.
  - ١٥- ثابت بن قيس: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآية: ٢ من سورة الحجرات.
  - ١٦- عمر بن الخطاب: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيتين: ١٤، ١٥ من سورة الجاثية.
  - ١٧- علي بن أبي طالب: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيات: ١٨-٢٠ من سورة السجدة.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٦

- ١٨- أبو لبابة بن عبد المنذر: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيتين: ٢٧، ٢٨ من سورة الأنفال.
  - ١٩- حاطب بن أبي بلتعة: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآية: ١ من سورة الممتحنة.
- هؤلاء جميعا من المؤمنين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم أجمعين، الذين أبلوا في سبيل الله أحسن البلاء.

- و هناك من الكفار من نزلت فيهم كذلك آيات من القرآن: تهديدا ووعيدا لهم، و تنديدا بأفعالهم.
- ١- الوليد بن المغيرة: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيات: ١١-٢٦ من سورة المدثر.
  - ٢- أبو لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) و امرأته: أنزل الله تعالى فيه من القرآن سورة المسد.
  - ٣- كعب بن الأشرف: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيتين: ٥١، ٥٢ من سورة النساء.
  - ٤- عقبه بن أبي معيط: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيات: ٢٧-٢٩ من سورة الفرقان.
  - ٥- عامر بن الطفيل: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيات: ١٠-١٣ من سورة الرعد.
  - ٦- أمية بن خلف: أنزل الله تعالى فيه من القرآن: سورة الهمزة.
  - ٧- النضر بن الحارث: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيات: ٣١-٣٣ من سورة الأنفال.

هذا و هناك كثير غير هؤلاء ذكر المفسرون: أنه قد أنزل الله تعالى فيهم آيات من القرآن، و لكن عند تأمل ما قالوه تبين أن أقوالهم

مبنية على تكلف واضح، أو أن هناك احتمالاً لنزول هذه الآيات في من ذكروهم أو في غيرهم، لذلك ضربنا عنها صفحاً، و لم نذكر إلا من كانت سببها النزول فيه واضحة، لا تكلف فيها، و لا لبس فيها و لا احتمال. و بالله التوفيق.

أ. د/ محمد السيد جبريل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٧

مراجع للاستزادة: (١) لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين أبو بكر عبد الرحمن بن محمد السيوطي، تحقيق: أ. د/ حمزة النشترتي و آخرين، دون طبعه أو تاريخ.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين أبو بكر عبد الرحمن بن محمد السيوطي، دار الفكر بيروت: ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

(٣) زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧.

(٤) مباحث في علوم القرآن: أ. د/ القصبى محمود زلط، دار القلم- الإمارات، الطبعة الثانية: ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

(٥) رجال أنزل الله فيهم قرآنا: أ. د/ عبد الرحمن عميرة: دار اللواء- الطبعة الخامسة: ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

الهوامش العامة:

(١) ذكر ذلك السيوطي رحمه الله تعالى في: (الإتقان في علوم القرآن) تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير للطباعة و النشر و التوزيع:

الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ: (١ / ٩٢).

(٢) انظر في ذلك: (الإتقان في علوم القرآن): مصدر سابق (١ / ١٠١) و (منهج الفرقان في علوم القرآن) للشيخ محمد علي سلامة- مطبعة شبرا / ١٩٣٧ م، ص: ٣٥ و (البيان في مباحث من علوم القرآن) للشيخ عبد الوهاب غزلان مطبعة دار التأليف / ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م، ص: ٩١.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: (١ / ١٠١).

(٤) راجع: (البيان في مباحث من علوم القرآن)، ص: ٩٢.

(٥) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه: ك: التفسير، ب: لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ حَدِيث / ٤٧٩١ و الترمذى في سننه: ك:

التفسير، ب: و من سورة الأحزاب، حديث / ٣٢١٩ و اللفظ للترمذى، الذى قال عقب ذكره للحديث: هذا حديث حسن غريب من حديث بيان، و روى ثابت عن أنس هذا الحديث بطوله.

(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: ك: الحيض، ب: جواز غسل الحائض رأس زوجها، حديث / ٣٠٢.

(٧) الإتقان في علوم القرآن: (١ / ٩٢).

(٨) شراج الحرة: شراج بكسر الشين، جمع مفردة: شرحه بفتح الشين، و سكون الراء، و هى مسيل الماء، و الحرة بفتح الحاء و تشديد الراء: أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنها أحرقت بالنار، انظر: غريب الحديث لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله تعالى فى مادتي: (حرر، شرح).

(٩) أى: عند ما اختلف الزبير مع الأنصارى لهذا السبب، و ذهب إلى النبى صلى الله عليه و سلم يختصمان كما صرحت بعض الروايات فعند الترمذى: (فأبى عليه، فاخصموا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال للزبير: اسق يا زبير ...).

(١٠) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه: ك: التفسير، ب: فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ حَدِيث / ٤٥٨٥،

و مسلم في صحيحه: ك: الفضائل، ب: وجوب اتباعه صَلَّى اللهُ اللهُ عليه و سلم حديث / ٢٣٥٧ و الترمذى في سننه: ك الأحكام، ب: ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر في الماء، حديث / ١٣٦٣ و النسائي في سننه: ك: آداب القضاء، ب: الرخصة للحاكم الأمين أن يحكم و هو غضبان:  
(٢٣٨ / ٨) و اللفظ هنا للنسائي.

(١١) هذا الحديث أخرجه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن رسول الله صَلَّى اللهُ اللهُ عليه و سلم بلفظ: (اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، و من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) سنن الترمذى: ك: تفسير القرآن، ب: ما جاء فى الذى يفسر القرآن برأيه، حديث / ٢٩٥١.

(١٢) أسباب النزول: لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى، طبع عالم الكتب بيروت: ص ٣، ٤.

(١٣) مباحث فى علوم القرآن: للشيخ مناع القطان، مؤسسه الرسالة، الطبعة الرابعة ١٣٩٦ هـ، ص: ٧٦، ٧٧.

(١٤) راجع: الإتقان فى علوم القرآن: (١ / ١٠١).

(١٥) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه: ك: التفسير، ب: أ فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَ وَلَدًا حديث / ٤٧٣٢، و الترمذى فى سننه: ك: التفسير، ب: و من سورة مريم حديث / ٣١٦٢ و اللفظ للترمذى.

(١٦) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه: ك: الحيض، ب: جواز غسل الحائض رأس زوجها و ترجيله، و طهارة سورها، و الاتكاء فى حجرها، و قراءة القرآن فيه، حديث / ٣٠٢ و أبو داود فى سننه: ك: النكاح، ب: إتيان الحائض و مباشرتها حديث / ٢١٦٥ لأبى داود.  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٨

(١٧) تفسير القرآن العظيم: لأبى الفداء إسماعيل بن كثير، دار المعرفة- بيروت- ١٤٠٣ هـ: (٣ / ٤٦٢).

(١٨) مقدمة التفسير: ضمن (الفتاوى الكبرى) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) طبع: ١٤٠٤ هـ بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين بالسعودية: (١٣ / ٣٣٩).

(١٩) إشارة إلى ما أخرجه البخارى فى صحيحه: ك: التفسير باب: لا تَسْمَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوُكُمْ حديث / ٤٦٢٢ و مسلم فى صحيحه: ك: الفضل، ب: توقيره صَلَّى اللهُ اللهُ عليه و سلم حديث / ٢٣٦٠ و الترمذى فى سننه: ك: التفسير ب: و من سورة المائدة حديث / ٣٠٥٦ عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال: قال رجل: يا رسول الله من أبى؟ قال: أبو ك فلان، فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْمَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوُكُمْ و الرجل السائل فى هذه المناسبة صرحت به رواية مسلم، و هو: عبد الله بن حذافة السهمى القرشى، و توفى بمصر فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه.

(٢٠) البرهان فى علوم القرآن: لبدر الدين الزركشى، تقديم و تعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط أولى: ١٤٠٨-١٩٨٨ (١ / ٥٦).

(٢١) لا نعننى بقولنا: (نزلت فيها سورة بتمامها) أن السورة نزلت فى هذا الحدث، أو لهذا السبب كلها آية آية، بل المراد: أن السورة فى مجملها نزلت فى هذا الموضوع، أو ذلك الحدث، و لا يعكز على ذلك أن تتطرق بعض آياتها إلى قضايا أخرى يقتضيهما السياق القرآنى.

(٢٢) السيرة النبوية: لأبى عبد الملك بن هشام، مكتبة النهضة ١٩٧٤ م: (٢ / ٢٢٤).

(٢٣) جاء ذلك فى سياق حديث سأله فيه عن سورة التوبة، و المراد بقوله: (سورة الأنفال) أى: فى أى شىء نزلت؟

(٢٤) صحيح البخارى: ك: التفسير، ب: سورة الحشر، حديث / ٤٨٨٢.

(٢٥) أخرجه الحاكم فى المستدرک: ك: التفسير ب: تفسير سورة الفتح: (٢ / ٤٥٩) و قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم

يخرجاه، و أقره الذهبي على صحته فى التلخيص.

(٢٦) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه: ك: التفسير، ب: سورة الحشر، حديث / ٤٨٨٢.

(٢٧) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه: ك: الإمارة، ب: ثبوت الجنة للشهيد، حديث / ١٩٠٣.

(٢٨) صحيح البخارى: ك: مناقب الأنصار، ب: قول الله عز و جل: وَ يُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ حديث / ٣٧٩٨.

(٢٩) يعتبر (البرهان) أول كتاب جامع يوضع فى هذا الفن، يقول مؤلفه: (و لما كانت علوم القرآن لا تنحصر و معانيه لا تنقضى، و جبت العناية بالقدر الممكن، و مما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه، كما وضع الناس ذلك بالنسبة لعلم الحديث، فاستخرت الله تعالى - و له الحمد - فى وضع كتاب فى ذلك، جامع لما تكلم الناس فى فنونه، و خاضوا فى نكته و عيونه) البرهان فى علوم القرآن: (١ / ٣٠).

و على هذا الكتاب بنى السيوطى سفره المشهور: (الإتقان فى علوم القرآن) قال رحمه الله تعالى بعد أن استعرض خطبة كتاب الزركشى، و كذلك موضوعات هذا الكتاب: (و لما وقفت على هذا الكتاب ازدادت به سرورا، و حمدت الله كثيرا و قوى العزم على ما أضمرت، و شددت الحزم فى إنشاء التصنيف الذى قصدته، فوضعت هذا الكتاب، العلى الشأن، الجلى البرهان، الكثير الفوائد و الإتقان، و رتبت أنواعه ترتيبا أحسن من ترتيب البرهان .. إلى أن يقول: و سميته الإتقان فى علوم القرآن) (الإتقان: (١ / ١٦).

(٣٠) صحيح البخارى: ك: التفسير، ب: فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا حديث / ٤٦٠٧.

(٣١) و هى قول الله تبارك و تعالى: وَ إِن كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَيْرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا النساء / ٤٣.

(٣٢) أسباب النزول: ص ١١٣.

(٣٣) فتح البارى: للحافظ ابن حجر العسقلانى: دار المعرفة - بيروت، بدون تاريخ: (١ / ٤٣٤).

(٣٤) راجع تفسير القرطبي: طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ (١٢ / ٢٠٩)، و فتح القدير: للشوكانى: دار الوفاء، الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م (٤ / ١٩).

(٣٥) الإتقان: (١ / ٩٢، ٩٣).

(٣٦) تفسير القرآن العظيم: دار المعرفة - بيروت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م (٣ / ٢٧٦).

(٣٧) راجع أسباب النزول: ص ٣.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٩

(٣٨) انظر الإتقان: (١ / ٩٣).

(٣٩) مقدمة التفسير: (ضمن مجموع الفتاوى) لشيخ الإسلام ابن تيمية: (١٣ / ٣٣٩).

(٤٠) هذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه: ك: الحج، ب: وجوب الصفا و المروة، و جعل من شعائر الله حديث / ١٦٤٣ و مسلم فى صحيحه:

ك: الحج، ب: بيان أن السعى بين الصفا و المروة ركن لا يصح الحج إلا به حديث / ١٢٧٧.

(٤١) الظاهرية: هم أصحاب المذهب الظاهرى الذى أسسه داود بن على الأصبهانى رحمه الله (ت ٢٧٠ هـ) الذى عرف بالظاهرى لانتحاله القول بظاهر الشريعة، فالمذهب الظاهرى يقرر أن المصدر الفقهي هو النصوص، فلا رأى فى حكم من أحكام الشرع، و قد نفى المعتنقون لهذا المذهب الرأى بكل أنواعه، فلم يأخذوا بالقياس و لا بالاستحسان، و لا بالمصالح المرسله و لا الذرائع، بل يأخذون بالنصوص وحدها، و إذا لم يكن النص أخذوا بحكم الاستصحاب، الذى هو الإباحة الأصلية الثابتة بقول الله تعالى: هُوَ الَّذِي

خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً الْبَقْرَةَ / ٢٩، و من فرسان هذا المذهب كذلك: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) رحمه الله تعالى، راجع في ذلك: (تاريخ المذاهب الإسلامية) للإمام محمد أبي زهرة، طبع: دار الفكر العربي، بدون تاريخ: ص ٥٤٤. (٤٢) الإتقان: (١/ ٩٤).

(٤٣) في المستدرک: (دار الباز للنشر و التوزيع - بدون تاريخ) ك: التفسير، ب: تفسير سورة الطلاق (٢/ ٤٩٢) و أقره الذهبي على تصحيحه في التلخيص.

(٤٤) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه: ك: التفسير، باب: لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا حُدُوثًا / ٤٥٦٨ و مسلم في صحيحه: ك:

صفات المنافقين، حديث/ ٢٧٧٨ و الترمذى في سننه: ك: تفسير القرآن ب: و من سورة آل عمران حديث/ ٣٠١٤ و اللفظ للترمذى، و لا- ينبغي أن يفهم من كلام ابن عباس رضى الله عنهما تخصيص الوعيد الوارد فى الآية بفعل اليهود، فليس هذا التخصيص من مقصودها، بل هى عامه فى كل من فعل فعل اليهود من ارتكاب الشر و إيهام فعل الخير، و طلب الحمد عليه، و الفرح بكل هذه الآثام. (٤٥) فى صحيحه: ك: العمرة، ب: و أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا حديث/ ١٨٠٣.

(٤٦) و ذلك حتى لا- يحول بينهم و بين السماء حائل من سقف أو نحوه، كما ذكر ابن حجر عن الزهرى فى شرح الحديث، انظر كتاب فتح البارى: (٣/ ٦٢٢).

(٤٧) البرهان فى علوم القرآن: (١/ ٤٦، ٤٧).

(٤٨) هذا الحديث أخرجه أبو داود فى سننه: ك: الوصايا، ب: مخالطة اليتيم، حديث/ ٢٨٧١.

(٤٩) فى صحيحه: ك: التفسير، ب: و أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ حديث/ ٤٧٧٠.

(٥٠) انظر: اللآلئ الحسان فى علوم القرآن: أ. د. موسى شاهين، مطبعة دار التأليف ١٣٨٨ هـ ص: ١٦٥.

(٥١) أكحل العينين: هو الذى يعلو جفن عينيه سواد مثل الكحل.

(٥٢) سابغ الأليتين: الأليتين تشبيه الألية بفتح الهمزة، و سكون اللام هى: العجيزة أو ما ركب من شحم أو لحم: أى تام الأليتين و عظيمهما.

(٥٣) خدلج الساقين: بخاء و دال مهملة و لام مشددة مفتوحة: أى عظيم الساقين.

(٥٤) هذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه: ك: التفسير، ب: و يَذْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَافِرِينَ حديث/ ٤٧٤٧ و أبو داود فى سننه: ك: الطلاق، باب فى اللعان، حديث/ ٢٢٥٤ و الترمذى فى سننه: ك: التفسير، ب: و من سورة النور، حديث/ ٣١٧٩ و اللفظ هنا للترمذى.

(٥٥) لأن الجميع متفقون على أن استفادة الحكم بالنسبة لأفراد السبب بطريق النص.

(٥٦) جامع البيان عن تأويل آى القرآن: لمحمد بن جرير الطبرى: دار الفكر بيروت، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨، (٢/ ٣٢٣).

(٥٧) هذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه: ك: التفسير، ب: و أَمِ الصَّلَاةَ طَرْفِي النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ حديث/ ٤٦٨٧ و مسلم فى صحيحه: ك: التوبة، باب قوله: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ حديث/ ٢٧٦٣ و الترمذى فى سننه: ك: التفسير، ب: و من سورة هود، حديث/ ٣١١٤ و اللفظ للترمذى الذى قال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥٨) راجع فى أدلة الفريقين: الإتقان: (١/ ٩٦، ٩٧) و البيان فى مباحث من علوم القرآن: ص ١١٥ - ١٢٠ و اللآلئ الحسان فى علوم القرآن: ص ١٦٦ - ١٦٩.

(٥٩) فتح القدير للشوكانى: (١/ ٣٧٠).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٠

- (٦٠) في صحيحه: ك: الحج، ب: قول الله تعالى وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى حديث/ ١٥٢٣.
- (٦١) زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج ابن الجوزي - المكتب الإسلامي - ط: رابعة ١٤٠٧ هـ (١/ ٢١٢).
- (٦٢) في صحيحه: ك: التفسير، ب: ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى حديث/ ٤٩٥٠.
- (٦٣) أسباب النزول: ص ٣٣٨.
- (٦٤) فتح الباري: (٨/ ٧١٠).
- (٦٥) في صحيحه: ك: التفسير، ب: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ حديث/ ٤٧٢١.
- (٦٦) العسيب هو: الجريد الذي لا خوص فيه.
- (٦٧) في سننه: ك: التفسير، ب: و من سورة بنى إسرائيل، حديث/ ٣١٤١.
- (٦٨) البخارى في صحيحه: ك: التفسير، ب وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ حديث/ ٤٧٤٥ و مسلم في صحيحه: ك:
- اللعان، حديث/ ١٤٩٢.
- (٦٩) سبق ذكر هذا الحديث عند بحث العبرة في سبب النزول: هل هي بعموم اللفظ، أو بخصوص السبب.
- (٧٠) هو الترمذى: في رواية له عن أبي اليسر قال: (أتنتى امرأة تبتاع تمرًا...) الحديث، سنن الترمذى: ك: التفسير باب: و من سورة هود، حديث/ ٣١١٥.
- (٧١) البرهان في علوم القرآن.
- (٧٢) الإتيان في علوم القرآن: (١/ ٤٥).
- (٧٣) البرهان في علوم القرآن: (١/ ٥٤).
- (٧٤) نفس المصدر: (١/ ٥٤).
- (٧٥) انظر الإتيان: (١/ ١٠٨).
- (٧٦) في المستدرک: ك: التفسير، ب: تفسير سورة الأحزاب: (٢/ ٤١٦) و أقره الذهبى على تصحيحه فى التلخيص.
- (٧٧) هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده، بإسناد حسن: ط: مؤسسه الرساله ضمن الموسوعه الحديثيه، تحقيق شعيب الأرناءوط و آخرين، ط: أولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م: (٤/ ٢٣١) حديث/ ٢٤٠٧ و الحاكم فى المستدرک و صححه: (٢/ ٤٨٢) و اللفظ للحاكم.
- (٧٨) جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى: (١٠/ ١٨٥).
- (٧٩) مناهل العرفان فى علوم القرآن: ط دار الفكر - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: (١/ ١١٢، ١١٣).
- (٨٠) أعنى آيه الظهار و هى: قول الله: الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَنَّهُمْ الآيات: سورة المجادلة:
- ٤-١.
- (٨١) فى سننه: ك: الطلاق، ب: الظهار، حديث/ ٢٠٦٣.
- (٨٢) سبق تخريج هذا الحديث عند الكلام فى (تعدد أسباب النزول و المنزل واحد) فليراجع.
- (٨٣) فى صحيحه: ك: التفسير، باب: وَ لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا حديث/ ٤٧٥٠.



(٨٤) فتح الباري: (٨ / ٤٧٥).

(٨٥) في صحيحه: ك: الجهاد، باب قول الله تعالى: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ حَديث ١٨٠٨.

(٨٦) المعنى الذى ذكره البغوى فى تفسيره لقول الله تعالى: وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ذكره ابن كثير كذلك فى تفسيره فقال: (و قال شيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس: لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ يعنى: مكة وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ قال أنت يا محمد: يحل لك أن تقاتل به) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥١١) و الحديث الذى نقله الزركشى: صحيح أخرجه البخارى فى صحيحه: ك: العلم، ب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب، حديث / ١٠٤ و مسلم فى صحيحه: ك: الحج، باب تحريم القتال فى مكة، حديث / ١٣٥٣ و اللفظ له عن ابن عباس رضى الله عنهما: عن النبى صلى الله عليه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨١

و سلم قال: (إن هذا البلد حرام، حرمة الله يوم خلق السموات و الأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، و إنه لم يحل لأحد قبلى، و لم يحل لى إلا ساعة من نهار ..) الحديث.

(٨٧) البرهان فى علوم القرآن: (١ / ٥٧، ٥٨).

(٨٨) الإصابة فى تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلانى، ط: دار صادر، ط أولى، ١٣٢٨ هـ: (٣ / ٤٠٨).

(٨٩) فى صحيحه: ك: التفسير، ب: و لَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا حَديث / ٤٧٥٠.

(٩٠) فى سننه: ك: التفسير، ب: و من سورة البقرة، حَديث / ٢٩٦٨ و قال: هذا حَديث حسن صحيح.

(٩١) فى مستدركه: ك: التفسير، ب: شأن نزول إِنْ تَشْتَفِحُوا الْآيَةَ: (٢ / ٣٢٨).

(٩٢) فى مستدركه: ك: التفسير، ب: تفسير سورة يونس: (٢ / ٤٢٩).

(٩٣) فى صحيحه: ك: التفسير، ب: اتخذوا أيمانهم جنة يجتنون بها، حَديث / ٤٩٠١.

(٩٤) كان ذلك فى غزوة بنى المصطلق التى وقعت فى شعبان: سنة ٦ للهجرة.

(٩٥) فى صحيحه: ك: التفسير، ب: الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ الْآيَةَ، حَديث / ٤٦٦٨.

(٩٦) فى مجمع الزوائد و منبع الفوائد: ك: التفسير، ب: سورة المائدة، حَديث / ١٠٩٧٩.

(٩٧) جامع البيان عن تأويل آى القرآن: (١ / ٤٩٥).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٢

## المبادئ العامة و القيم فى القرآن الكريم

### إشارة

أنزل الله سبحانه القرآن كتاب هداية للعالمين، و هو يعد الكلمة الأخيرة للبشرية من الله، حيث ختم الله الرسالة بنبيه محمد و انقطع وحي السماء و وصفه بأنه: رسول الله و خاتم النبيين بسورة الأحزاب.

و القرآن يشتمل على ١١٤ سورة تبدأ بالفاتحة و تنتهى بسورة الناس أصغر سورة مكونة من ٣ آيات، و أكبرها من ٢٨٦ آية و هى سورة البقرة، و يشتمل على ٦٢٣٦ آية طبقاً لرواية حفص عن عاصم، و اشتملت آياته على مسائل العقيدة من توحيد و نبوات و أخبار اليوم الآخر يوم الحساب، و على مسائل التشريع، و على مسائل القيم و الأخلاق التى تمثل عمود الدين و ذروة سنامه، كما صيغت هذه المحاور الثلاثة فى صورة قصص الأنبياء و ضرب الأمثال و وصف الإنسان و الأكوان و الأمر و النهى و غير ذلك.



إلا أن المتدبر في القرآن يجد طائفة غير قليلة من الآيات القرآنية أو بعض الآية يمكن أن تعد مبدأ عاما يمثل مكونا أساسيا من عقليته المسلم، وهذه المبادئ العامة إذا جمعت في نسق واحد و درس ما بينها من علاقات بينية؛ لمثل ذلك منهجا واضحا و أساسا متكاملا لتفكير المسلم سواء في الجانب الفقهي و التشريع القانوني أو كان في مجال الفكر و النظرة الكلية للإنسان و الكون و الحياة، أو كان في مجال القيم و الأخلاق على كافة المستويات، و تتبع هذه المبادئ يساعد أيضا على بناء النموذج المعرفي الإسلامي بصورة لافتة للنظر.

## أولا: المبادئ العامة في القرآن الكريم

### المبدأ العام:

كلمة مبدأ في العربية مصدر ميمي، و المصدر الميمي يصلح للدلالة على الزمان أو المكان أو الحدث، و هذا يعني أن كلمة (مبدأ) لغة تعني زمان البدء أو مكانه أو نفس البدء، و كلمة (عام) تعني الشمول لجزئيات تندرج تحتها، و المقصود بالمبدأ العام هنا: حقيقة تهيي الإنسان للتكليف) فالمبدأ يختلف عن مطلق الحقيقة التي كثيرا ما ينبه عنها القرآن الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٣

في مثل قوله تعالى: وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا أَوْ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ.

أو: وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ الْحَج: ٥.

أو غيرها من الحقائق الإيمانية أو الكونية حيث لا تشتمل على تكليف و لا تهيي الإنسان لذلك التكليف مباشرة كما سنرى في ضرب أمثلة المبادئ.

و المبدأ يختلف أيضا عن الحكم الشرعي الذي يشتمل مباشرة على التكليف مثل قوله تعالى: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا الإسراء: ٧٨.

فأقم الصلاة تكليف، و جملة إن قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا حقيقة إيمانية.

و المبدأ يختلف أيضا عن القاعدة الفقهية أو الأصولية من حيث المنشأ، فالقاعدة الفقهية نشأت بعد تفريع الفروع في الفقه الإسلامي و كأنها قد جردت فروعاً كثيرة و أخذت المشترك بينها و صاغته في صورة قاعدة مثل (لا ضرر و لا ضرار)، (الأمر بمقاصدها)، (الشك لا يرفع اليقين)، (العادة محكمة) ... إلى آخر ما اهتمت به كتب القواعد الفقهية و الأشباه و النظائر.

و كذلك القواعد الأصولية التي نشأت من تتبع اللغة العربية أو المصادر الشرعية مثل (الاستثناء معيار العموم) أو (الأمر للوجوب ما لم تصرفه قرينه تدل على غير ذلك) أو (النهي يقتضى الفساد) أو (المشترك لا يعم) .. إلخ مما نراه يرد في علم أصول الفقه.

### خصائص المبدأ:

المبدأ يشتمل على حقيقة، و على تكليف مباشر، و لا معنى لوجوده من غير وجود الإنسان، فالإنسان هو موضوعه.

المبادئ القرآنية التي نوردتها إنما هي على سبيل المثال تبيينها لهذا الجانب العظيم من القرآن الكريم، و هي تحتاج إلى تتبع و استقصاء مستقل، و بحث خاص يقوم بعد استقراءها بإيراد كلام أهل التفسير عنها، ثم يبين عناصر كل مبدأ و ما يلزمه من مقدمات و ما يترتب عليه من نتائج ثم يقوم ببيان العلاقة البينية بين كل هذه المبادئ لبناء النموذج المعرفي ثم يبين كيفية تشغيلها في المجالات المختلفة: السياسة، و القانون، و الاجتماع البشري، و التربية، و الفكر، و العبادة، و العقيدة، و الدعوة ... إلخ.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤

فمن تلك المبادئ:

١- لا إكراه في الدين البقرة ٢٥٦:

فهذه عبارة تبين حقيقة، لكنها حقيقة تهيب الإنسان للتكليف، فتمنعه من فرض العقائد بالقوة، و ترشد إلى الدعوة و الحوار و التعددية الدينية، و أن الإسلام لا يريد منافقين يؤمنون بألسنتهم و تأبى قلوبهم الإيمان بل فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ الكهف: ٢٩ و ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن النحل: ١٢٥ و لكم دينكم و لى دين الكافرون و إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار النساء ١٤٥ و هذا المبدأ يقرر حقيقة يترتب على تنفيذها عدة تكاليف و إجراءات و فى نفس الوقت يعد شعارا للإسلام و أساسا يمثل النموذج المعرفى الإسلامى الذى يعتبر معيارا لقبول و رفض الأفكار و الآراء فى الإسلام.

٢- كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ:

ورد فى قوله تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا الإسراء: ٧٠.

و الحمل فى البر و البحر، و رزق الله للناس من الطيبات حقائق مشاهدة، و لكن التكريم حقيقة تهيب الإنسان لتكليف و تلزمه بإجراءات و من هنا حق لها أن توصف بالمبدأ، و من عناصر هذا المبدأ أن الله فضل بنى آدم على كثير ممن خلق، و أكد ذلك باستعمال المفعول المطلق الذى يعد استعماله هنا تأكيداً للتفضيل، و بيانا أنه تفضيل حقيقى لا يدخله المجاز، كما تقرر فى علوم العربية من أن استعمال المصدر كمفعول مطلق يدل على الحقيقة، و ينبه لها، و يمنع دعوى المجاز.

تكريم بنى آدم يلزم منه أنه سيد فى هذا الكون، حتى و إن لم يكن سيدها له، فسيد الكون و خالقه هو الله، أما الإنسان فهو المخلوق المكلف الذى أسجد الله له الملائكة؛ تكريماً له، و إعلاناً لهذا التكريم بين الخلائق، و جعل الامتناع عن السجود إليه علامة بدء الشر و خراب الدنيا، و عداها معصية إبليس، طرد إبليس من أجلها، و جعله رجيماً.

و تكريم بنى آدم يمكن أن يكون أساساً لاعتباره حامل الأمانة كما فى قوله تعالى:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا الأحزاب: ٧٢ و هو أساس تكليفه بالعمارة هو أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٥

هود: ٦١ و أساس للخلافة إني جاعل في الأرض خليفته البقرة: ٣٠ و يمكن اعتباره أساساً لحقوق الإنسان، التى هى جزء من حقوق الأكوان عند المسلمين، حيث يرون للجماد و النبات و الحيوان حقوقاً متسقة مع حقوق الإنسان فى منظومة كليه هى حقوق الأكوان.

٣- أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ. الزمر: ٣:

و هو مبدأ قررتة السنة فى الحديث الذى افتتح البخارى به صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى ..

الحديث.

و هو الذى صاغه الفقهاء بعد تتبع الفروع الفقهية و تجريد المشترك بينها فى صورة قاعدة (الأمر بمقاصدها)، و هى قاعدة واسعة، مما يبين شدة اتصال الفقه الإسلامى بمصادره، و تبين من هذه القاعدة الفرق بين المبدأ و القاعدة، فالمبدأ منصوص عليه فى النص المقدس القرآن الكريم فهو أصل هذه القضية، أما القاعدة فهى من تتبع الفروع و تجريدها للبحث عن المشترك السارى فيها و هذا المبدأ يلزم منه تكاليف و إجراءات مبنوثة فى أكثر من سبعين باباً من أبواب الفقه الإسلامى.

٤- الْقِصَاصِ حَيَاةً. البقرة: ١٧٩:

فى قوله تعالى وَ لَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ وَ هو مبدأ يبنى عليه الفقه الجنائى و الضبط المجتمعى، و له تأثير فى علم النفس و علم نفس التربيئة، و هو يمثل حقيقة واقعة فى الحياة و أنه يجب القضاء على الشر حيثما كان.

٥- أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وَّزَرَ أُخْرَىٰ. النجم: ٣٨:

و هو مبدأ يتعلق بالعقيدة حيث لا يقر الإسلام الخطيئة الموروثة، و لا يقر مبدأ الجاهلية (الجار يؤخذ بجريرة الجار) و يؤكد المسئولية الشخصية فى كل المجالات فى القانون و فى الدين و العبادة، و على مستوى الأفراد و الجماعات و الدول، فهو مبدأ كبير جدا و مهم و له أثره فى كل المجالات.

٦- وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ. النجم: ٣٩:

مبدأ يمكن أن تقوم عليه قوانين العمل، و هو فى نفس الوقت شعار دينى و اجتماعى و سياسى.

٧- عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ. المائدة: ٩٥:

و هو مبدأ يؤكد فوروية القوانين، و أنها لا تكون بأثر رجعى، و أنه يجب البدء فى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٦

تنفيذها فوراً حتى مع عدم المؤاخذة على ما وقع فى الزمن الماضى.

٨- مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ.

و هو مبدأ رفع الحرج و يؤكده و مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ. الحج: ٧٨.

و يرتبط مع مبادئ أخرى فى الأخذ بالعرف، و المشقة تجلب التيسير و ذلك فى قوله: خُذِ الْعَفْوَ وَاْمُرْ بِالْعُرْفِ وَاَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ الأعراف: ١٩٩. و فى قوله: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا الشَّرْح: ٦. و فى البحث عن المبادئ العامة ينبغى البحث عن العلاقات البينية بين تلك المبادئ، للوصول إلى منظومة يمكن أن تمثل أساس النموذج المعرفى الإسلامى الذى به التقويم.

و المبادئ العامة كثيرة ١ لا يمكن حصرها فى هذه المقدمة، و إنما أردنا أن نبه إليها و من أمثلتها أيضا:

٩- وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ البقرة ١٩١.

١٠- وَ عَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ البقرة ٢١٦.

١١- الرُّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ النساء ٣٤.

١٢- مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ النساء ١٢٣.

١٣- وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ النساء ١٢٨.

١٤- لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا البقرة ٢٨٦.

١٥- وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ النحل ١٢٦.

١٦- إِنْ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا الإسراء ٣٤.

١٧- وَ السَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى طه ٤٧.

١٨- وَ يُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ الأعراف ١٥٧.

١٩- وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ الأعراف ١٥٧.

**ثانيا: القيم فى القرآن الكريم:**

تسرى القيم في كل آيات القرآن الكريم، بحيث يصدق قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).  
و القرآن يشتمل على مجموعة كبيرة من القيم نخص بالذكر منها:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٧

١- القيم الفردية.

٢- القيم الأسرية. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٨٧ ثانيا: القيم في القرآن الكريم: ..... ص: ٨٦

القيم الاجتماعية.

٤- قيم الدولة.

### أولاً: القيم الفردية، منها:

#### ١- اجتناب سوء الظن:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ الْحَجَرَات: آية ١٢.  
ولا يخفى ما يجره سوء الظن من وبال على الفرد.

#### ٢- إخلاص السريرة:

قال تعالى: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ الْبَيِّنَةُ: آية ٥.  
وقال تعالى: قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ الْأَنْعَام: ١٦٢.  
ويظهر أثر إخلاص السريرة في حياة الفرد ومدى ما يصلحه ذلك من سلوكه وأخلاقه.

#### ٣- الاستقامة:

قال تعالى: فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ فصلت: ٦.  
وقال عز وجل: فَاسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا هود: ١١٢.  
وهذه القيمة واضحة الأثر في السلوك الجاد للفرد وتكوين الشخصية البعيدة عن الانحراف.

#### ٤- الاعتدال:

قال تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا الْفُرْقَان ٦٧.  
وقال عز وجل: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ الْإِسْرَاء: ٢٩.  
والاعتدال الفردي نابع من وسطية الأمة التي أشار الله إليها بقوله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا الْبَقْرَةَ ١٤٣.

#### ٥- التنافس في الخير:

قال تعالى: وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ آل عمران: ١٣٣.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٨

وقال: وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ الْمُطْفَفِينَ: ٢٦.

ولا شك أن التنافس في الخير باعث على تهذيب النفس و تقويمها لما يرى الفرد من مثل عليا يحاول مجاراتها و السير على حذوها.

#### ٦- الثبات و الصبر:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ الأنفال: ٤٥.

وقال تعالى: وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ النحل: ١٢٧.

و في صبر الفرد و ثباته على مبادئه ما يقوى إرادته و يستلهم عزيمته.

#### ٧- الرقة و التواضع:

قال تعالى: وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا الفرقان: ٦٣.

وقال تعالى: وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ آل عمران: ١٥٩.

و لا يخفى ما تؤدي إليه الغلظة و الكبر من فساد النفس و تأتيتها على الإصلاح.

#### ٨- الصدق:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ التوبة: ١١٩ و قال تعالى: فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ محمد: ٢١.

و المؤمن لا يكون كذابا أبدا؛ فالصدق أساس كل فضيلة.

#### ٩- طهارة النفس:

قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا الشمس ٩- ١٠.

وقال تعالى: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ الشعراء: ٨٨- ٨٩.

و لا يستقيم سلوك الفرد إلا إذا نبغ من قلب سليم طاهر.

#### ١٠- العمل الصالح:

قال تعالى: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ فاطر: ١٠.

وقال: وَ الْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) سورة العصر.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٩

فالأعمال الصالحات مرقاة للعبد إلى رضوان الله و جنته.

#### ١١- العفة و الاحتشام و غض البصر:

قال تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ النور:

٣٠-٣١.

وقال تعالى: وَ لِيَسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْفِرَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ النور: ٣٣.  
وهي نعم الوقاية من وساوس الشيطان و مزالقه و كيده و شهواته.

## ١٢- كظم الغيظ:

قال تعالى: وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ آل عمران: ١٣٤.  
و كظم الغيظ يؤدي إلى طهارة النفس و سلامة الصدر.

## ثانيا: القيم الأسرية:

### ١- الإصلاح:

قال تعالى: وَ إِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا يُشْوَرًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ النساء: ١٢٨.  
وقال تعالى: وَ إِنْ تَصَلَّحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا النساء: ١٢٩.

### ٢- بر الوالدين:

قال تعالى: وَ قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا الإسراء: ٢٣.  
وقال عز و جل: وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا العنكبوت: ٨.

### ٣- تربية الأولاد:

قال تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمُ الطور ٢١.  
وقال تعالى: رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ الفرقان: ٧٤.

### ٤- الزوجية: سكن و مودة و رحمة:

قال تعالى: وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً الروم: ٢١.

### ٥- المساواة في الحقوق و الواجبات:

قال تعالى: وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ البقرة: ٢٢٨.  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٠

### ٦- المعاشرة بالمعروف:

قال تعالى: وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا النساء: ١٩.

**ثالثا: القيم الاجتماعية:****١- الإحسان للغير:**

قال تعالى: وَ أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ الْقِصَص: ٧٧.  
وقال تعالى: وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ البقرة: ١٩٥.

**٢- الأخوة:**

قال تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ الحجرات: ١٠.  
وقال تعالى: وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا آل عمران: ١٠٣.

**٣- أداء الأمانة:**

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا النَّسَاء: ٥٨.  
وقال: وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ الْمُؤْمِنُونَ: ٨.

**٤- أداء الشهادة الصادقة:**

قال تعالى: وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ البقرة: ٢٨٣.  
وقال عز وجل: وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ الطلاق: ٢.

**٥- الاستئذان:**

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَ تَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ النور: ٢٧.

**٦- إصلاح ذات البين:**

قال تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ الأنفال: ١.  
وقال: وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا الحجرات: ٩.

**٧- الإيثار:**

قال تعالى: وَ يُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الحشر: ٩.  
وقال تعالى: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ آل عمران: ٩٢.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩١

**٨- التحية:**

قال تعالى: وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها للنساء: ٨٦.  
وقال تعالى: وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ. الأنعام: ٥٤.

### ٩- التراحم:

قال تعالى: ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ الْبَلَد: ١٧.  
وقال عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ المائدة: ٥٤.  
وقال تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ الْفَتْح: ٢٩.

### ١٠- التعاون على البر والتقوى:

قال تعالى: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ الْمائدة: ٢.  
وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى الْمجادلة: ٩.

### ١١- التكافل:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ الْبقرة: ٢٦٧.  
وقال تعالى: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا الْإنسان: ٨.

### ١٢- التمسك بالحق:

قال تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ الشورى: ٣٩.  
وقال: وَلَمَنْ ائْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ الشورى: ٤١.

### ١٣- خفض الصوت:

قال تعالى: وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ لقمان: ١٩.  
وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ الْحجرات: ٤.  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٢

### ١٤- الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر:

قال تعالى: وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ آل عمران: ١٠٤.  
وقال: يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ لقمان: ١٧.



**١٥- الشفاعة الحسنه:**

قال تعالى: مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا النساء: ٨٥.

**١٦- العدل و الإنصاف:**

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا النساء: ١٣٥.

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ المائدة: ٨.

**١٧- العفو:**

قال تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ الأعراف: ١٩٩.

وقال تعالى: فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ الشورى: ٤٠.

وقال تعالى: وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ النور: ٢٢.

**١٨- الكرم:**

قال تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ جَنَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ البقرة: ٢٦١.

وقال تعالى: وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ائْتِنَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرْبُوهُ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ البقرة: ٢٦٥.

**١٩- مقابلة السيئة بالحسنة:**

قال تعالى: وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ المؤمنون: ٩٥-٩٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٣.

وقال تعالى: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ فصلت: ٣٤-٣٥.

**٢٠- نشر العلم:**

قال تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ الحجر: ٩٤.

وقال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ آل عمران: ١٨٧.

**٢١- الوفاء بالعهد:**

قال تعالى: وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا الْإِسْرَاءِ: ٣٤.  
وقال تعالى: وَ الْمُؤَفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا الْبَقْرَةَ: ١٧٧.

**رابعاً: أخلاق الدولة:****١- إقرار النظام:**

قال تعالى: قَالَ يَا بَنِ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي طه: ٩٤.  
وقال: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ النِّسَاء: ٨٣.

**٢- الإعداد للجهاد:**

قال تعالى: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عِدُّوا لِلَّهِ وَ عِدُّوْكُمْ وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَ مَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ الْأنفال: ٦٠.

**٣- تجنب الاستبداد و الفساد:**

قال تعالى: وَ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَ ادْعُوهُ خَوْفًا وَ طَمَعًا الْأعراف ٥٦.  
وقال: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لَا فَسَادًا الْقصص ٨٣.

**٤- تجنب موالاة العدو:**

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ الْممتحنه ١.  
وقال تعالى: لَا- تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُوْلَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ الْمجادله: ٢٢.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٤

**٥- الشورى:**

قال تعالى: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاورهُمْ فِي الْأَمْرِ آل عمران: ١٥٩  
وقال تعالى: وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ الشورى: ٣٨.

**٦- صون المال العام:**

قال تعالى: وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَ تَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْبقره: ١٨٨.  
وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ النِّسَاء: ٢٩.

وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ الانفال: ٢٧-٢٨.

## ٧- العدالة:

قال تعالى: وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ المائد: ٤٢.  
وقال تعالى: وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً النساء: ٥٨  
وقال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ النحل: ٩٠.

## ٨- الوفاء بالعهد والشرط:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ المائدة: ١.  
وقال تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا النحل: ٩١.  
أ. د/ علي جمعه محمد  
الهامش:

(١) نبه إليها الأستاذ الدكتور محمد السيد بدر- رحمه الله تعالى - أستاذ ورئيس قسم فلسفة القانون و تاريخه بكلية الحقوق جامعة عين شمس في كتاب له أسماه (المبادئ العامة في القرآن الكريم) طبع بالقاهرة ١٩٩٦ م في ٣٥٣ صفحة دون دار نشر، و تكلم عن المبادئ القرآنية من ص ٢٩٢ حتى ٣٥٣.  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٥

## القرآن و ما يكتب فيه

### أولاً: القرآن: أسماؤه و إطلاقاتها لغة و شرعا

#### إشارة

قال الجاحظ: «سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمي العرب كلامهم على الجملة و التفصيل. سمي جملته قرآنا، كما سموا ديوانا، و بعضه سورة كقصيدة، و بعضها آية كالبيت، و آخرها فاصلة كقافية ١.  
وقد أفرد البعض أسماء القرآن بالتصنيف، فصنف فيها الحرالي جزءا أنهى فيه أسامي القرآن إلى نيف و تسعين ٢ اسما.  
وقال أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذه ٣ في كتاب البرهان:  
«واعلم أن الله سمي القرآن بخمسة و خمسين اسما» أ. ه.

و إذا كانت كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى غالبا كما يقولون، فإنه لا أشرف من القرآن و لا أجدر منه بالحظوة بكل شرف و رفعة، بيد أن أولئك الذين قد بلغوا بأسماء القرآن إلى هذا الكم الهائل نيفا و تسعين أو خمسة و خمسين و ما إلى ذلك قد أسرفوا، و ما لزموا الجادة في التفرقة بين ما حقه أن يعدد اسما، و ما هو من قبيل الأوصاف التي لا ينبغي نظمها في سلك الأسماء، فلم يفرقوا بين القرآن الاسم، و الحكيم الوصف.

و إنما الجدير أن يعدّ من أسماء القرآن حقا خمسة أسماء:

أولها: وأشهرها على الإطلاق: «القرآن» و في بيان أصل هذا اللفظ و مأخذه نقول: لم يختلف أحد في علمية- أى كونه علما- كلمة القرآن على هذا الكتاب الحكيم المجموع بين دفتي المصحف، و إنما الخلاف الواقع بين أهله في هذه الكلمة في ثلاثة أمور:

أحدها: هل نقل عن معنى كان قبل العلمية أو لا؟

ثانيها: هل هو مشتق أو مأخوذ من شيء أو لا؟

ثالثها: هل يهمز أو لا يهمز؟ و إن همز فهل همزته أصلية و نونه زائدة أو العكس.

و هاك تفصيل ذلك كله:

١- قال قوم منهم اللحياني ٤: «هو

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٦

مصدر لقرأت، كالرجحان و الغفران، سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر». أه ٥.

و هذه المقالة من أصحابها تتضمن أمرين:

أولهما: أن الكلمة التي جعلت علما لهذا الكتاب هي بعينها الكلمة التي جاءت في اللغة مصدرا بمعنى القراءة، فتكون علميتها منقولة عن المعنى المصدرى، تسمية للمفعول بالمصدر، كاللفظ بمعنى الملفوظ، و المعنى المصدرى ظل مستعملا و لم يهجر مع استعمال

الكلمة في معنى المفعول أيضا.

و ثاني الأمرين و هو يترتب على أولهما:

أن هذه الكلمة في علميتها كما هي في مصدريتها مهموزة همزتها أصلية و نونها زائدة على زنة فعلان، و من حذف همزتها كقراءة ابن كثير و نطقها هكذا (قران) فهو من باب التخفيف بحذف الهمزة و نقل حركتها إلى الساكن قبلها على وزن (فعان). و هذا القول

بما يتضمنه من هذين الأمرين هو المختار الذي لا ينبغي التعويل إلا عليه ٦.

فمن ثم وفق الأستاذان الجليلان الزرقاني و غزلان كل التوفيق إذ اختاراه ٧.

و هذا الرأي هو ما عليه جمهور من كتب في علم الأصول كالسعد التفتازاني و الجلال المحلي.

٢- و ذهبت طائفة منهم الزجاج إلى أنه: وصف على وزن (فعلان) من القرء بمعنى الجمع.

و على ذلك يكون لفظه (القرآن) استعمالان في معنى المصدرية و تكون بمعنى القراءة الوصفية و تكون مشتقة من القرء بمعنى الجمع، و الثاني هو العلم على خصوص الذكر الكريم.

و عليه أيضا تكون الهمزة أصلية في الكلمة و النون زائدة، و من حذف الهمزة تخفيفا نقل حركتها للساكن قبلها فصارت على وزن (فعان).

و الذي أذهب إليه هو ضعف هذا الرأي و إن مال بعضهم إلى اختياره كالألوسي، و قد ردّ هذا القول أيضا الشيخ غزلان بأن هذه الصيغة غير مألوفة فهي سماعية لا يخرج عليها إلى عند الضرورة، و لا ضرورة هنا ٨.

٣- و نقل الزركشى عن بعض المتأخرين ٩ و السيوطي عن قطرب ١٠ أن:

مادة القرآن هي (قرأ) بمعنى أظهر و بين، و أنكر بعض المتأخرين أن تكون من القرء بمعنى الجمع لقوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، و هذا القول لم يبين أصحابه هل لفظه (القرآن) مصدر أم وصف على وزن فعلان، و إن كان المتعين من حكاية الزركشى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٧

أنهم يجعلونها مصدرا من الإظهار و ليس الجمع.

و على هذا القول تكون الهمزة من أصل الكلمة كسابقه، و لكن أصحاب هذا القول منعوا أن تكون لفظه (قرآنه) في قوله تعالى:

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ من القراء بمعنى الجمع أو مصدرا بمعنى القراءة.

والصحيح أن العطف للفظه (قرآنه) على (جمعه) لا- يلزم منه التكرار كما قالوا، بل (جمعه) يكون في قلبه صلى الله عليه وسلم، و (قرآنه) يكون في اللسان فيكون بمعنى القراءة، أو القراء بمعنى الجمع لحروفه بعضها البعض، و عليه يكون المعنى: أن يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ما جمعه الله له في صدره. وهذا المعنى هو الظاهر الراجح.

و لقد اتفقت الأقوال الثلاثة السابقة في أمرين هما: علمية لفظه (القرآن) على الذكر الحكيم، و كون الهمزة من أصل كلمة (القرآن).

٤- نقل الزركشى عن تاريخ الخطيب قول الشافعي: أنه قرأ القرآن على إسماعيل ابن قسطنطين و لم يكن يهزم (القرآن) و أنه كان يجعله اسما ليس مأخوذا من القراءة، و نقل عن الواحدى أيضا نسبة عدم الهمز لقراءة ابن كثير و الشافعي و إن همز الأخير (قرأت)، فهي علم مشتق كما قاله جماعة من الأئمة ١١.

٥- و نقل الزركشى أيضا عن البيهقي أنه: نقل عن جماعة أن (القرآن) مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته، لضمه السور و الآيات بعضها لبعض. و نقل عنه نسبة هذا المعنى للأشعري ١٢.

٦- و نقل السيوطى عن القراء أنه:

مشتق من القرائن ١٣، لأن الآيات يصدق بعضها بعضا.

و الأقوال الثلاثة الأخيرة تتفق في أمرين هما: أن لفظه (قرآن) لم تستعمل قبل التنزيل بل هي علم مرتجل و ليس منقولا، و أنها غير مهموزة و نونها أصلية فهي على وزن (فعال)، و من همز تكون على وزن (فعلال) بزيادة الهمزة. هذا كله في لفظه (قرآن) في غير آية القيامة.

و يختلف القول الثالث منها عن الآخرين في جعله لفظه (قرآن) علما غير مشتق، و هما يجعلانه مشتقا.

و هذه الأقوال الثلاثة ضعيفة؛ لمخالفتها ما أطبق عليه القراء- ما عدا ابن كثير- من إثبات الهمزة، و ادعاء زيادتها لأصحاب الأقوال الثلاثة بغير برهان؛ لأن الأصل عدم الزيادة، و هذا ما جعل الزجاج ينسب هذا الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٨

القول للسهو، و هو ما أشار إليه الفارسي في الحلبيات. ١٤

و مما يجب الالتفات إليه أن أصحاب الأقوال السابقة جميعها لا- ينكرون مجيء لفظه (قرآن) مصدرا في اللغة، و لكنهم عند ما يختلفون يتكلمون عن كلمة أخرى؛ لأنهم صرحوا بنسبة (القرآن) للاستعمال في المصدرية، صرح بذلك الفراء و القرطبي، و يصعب أن يغيب مثل هذا الثابت في اللغة عن أمثال الشافعي و الفراء.

و أما ثاني أسمائه: فهو: «الفرقان» و قد سماه الله به في قوله تعالى من سورة آل عمران: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ١٥ و قوله جل قائلًا: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ١٦. و في تفسير هذا الاسم يقول الزركشى في البرهان: «و أما تسميته «فرقانا»؛ فلأنه فرق بين الحق و الباطل، و المسلم و الكافر، و المؤمن و المنافق، و به سمي عمر بن الخطاب الفاروق». ١٧

و ذهب لمثل هذا المعنى الألوسى و إن زاد أنه قد يكون سمي بذلك لفصل بعضه عن بعضه الآخر، أو لكونه نزل مفصلا و ليس دفعة واحدة كغيره من الكتب، و زاد أيضا أنه مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول. ١٨

و مما سبق نقله تكون كلمة (الفرقان) تطلق و يراد منها الفاعل أى الفارق؛ لأنه يفرق بين الحق و الباطل، و تطلق و يراد منها المفعول أى المفروق بين سوره أو بين نجومه فى نزوله، أو المفروق فيه بين الحق و الباطل.

و قد رد العلامة الألوسى جميع أسماء القرآن و أوصافه لهذين الاسمين (القرآن و الفرقان)؛ و لذا اقتصر عليهما. ١٩

و أما ثالث هذه الأسماء الخمسة: فهو «الكتاب». قال الألوسى رحمه الله فى تفسيره من قوله تعالى سورة البقرة: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ

فيه (و الكتاب كالكتب مصدر كتب و يطلق على المكتوب كاللباس بمعنى الملبوس ١٩، و الكتب كما قال الراغب: ضم أديم إلى أديم بالخياطة. و في المتعارف: ضم الحروف بعضها إلى بعض. و الأصل في الكتابة النظم بالخط، و قد يقال ذلك للمضموم بعضه إلى بعض باللفظ، و لذا يستعار كل واحد للآخر، و لذا سُمي (كتاب الله) و إن لم يكن كتابا، و الكتاب هنا إما باق على المصدرية و سمي به المفعول للمبالغة أو هو بمعنى المفعول، و إطلاقه على المنظوم عبارة قبل أن تنتظم حروفه التي يتألف منها

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٩

في الخط تسمية بما يؤول إليه مع المناسبة.

و يطلق الكتاب كالقرآن على المجموع المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه و سلم و على القدر الشائع بين الكل و الجزء (٢٠ أ هـ. و بعد هذا التحرير لأمر هذه الأسماء الثلاثة، لم يبق غير ردّ دعوى بعض أتباع المستشرقين من أمثال بلاشير و كرنكو عند ما يذهبون إلى عدم أصالة هذه الألفاظ الثلاثة في اللغة العربية، و أنها ترد لأصل آرامي. ٢١

و هذا باطل أيضا من جهة أخرى: أن استعمال العرب هذه الألفاظ قبل التنزيل كان كافيا لتعريبها.

و أما رابع هذه الأسماء فهو «التنزيل» قال في تفسيره الزركشى رحمه الله: «و أما تسميته (تنزيلا)؛ فلأنه مصدر نزلته لأنه نزل من عند الله على لسان جبريل؛ لأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه و فهمه إياه كما شاء من غير وصف و لا كيفية، فنزل به على نبيه، فأداه هو كما فهمه و علمه» أ هـ ٢٢.

و قد جاء ذكر هذا اللفظ - أعنى لفظ التنزيل - في نحو قوله تعالى من سورة الشعراء: وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ و قوله في سورة الحاقة تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

و أما خامس هذه الأسماء فهو: «الذكر» كما في قوله تعالى فيما قال جوابا على المتهمكين على القرآن و نبيه صلى الله عليه و سلم: وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ الآية. و قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ. ٢٣ و قوله علا- و جل: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمُ الآية.

و قوله سبحانه: ذَلِكَ تَثْلُوهَ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ. و قوله جل من قائل: وَ إِنَّهُ لَمَذْكُرٌ لَكَ وَ لَقَوْمِكَ ٢٤. و قوله تعالى: وَ هذا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ. ٢٥

و الذكر مصدر ذكر يذكر، فإطلاقه على التنزيل المجيد إما لكونه ذاكرا للناس ما يصلح أمر معاشهم و معادهم مذكرا بما فيه من البشارة و النذارة، فيكون من إطلاق المصدر على الفاعل، و إما لكونه مذكورا بفضل و شرفه، و بالقلب و عيا و إجلالا، و باللسان تلاوة و علما، مذكورا فيه ما لا يستقيم أمر الخلق إلا به، فيكون من إطلاق المصدر على المفعول.

و يجوز أن يكون من الذكر بمعنى الشرف لكونه شريفا في نفسه مشرفا لمن انتسب إليه و تخلق به. قال تعالى: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ و قال: وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٠٠

لَكَ وَ لَقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ. فيكون من الإطلاق الأول - أعنى إطلاق المصدر على الفاعل -.

و عبارة الزركشى رحمه الله في تفسير هذا الاسم: «و أما تسميته ذكرا» فلما فيه من المواعظ و التحذير و أخبار الأمم الماضية، و هو مصدر ذكرت ذكرا.

و الذكر: الشرف. قال تعالى: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَى: شرفكم أ هـ. ٢٦

و بعد فهذه هي الأسماء الخمسة لهذا الكتاب العظيم أغفل الطبري رحمه الله منها رابعها و هو التنزيل، بيد أن هذا الاسم قد صار من أشهر أسمائه في عرف جميع المنتسبين إليه من العلماء فمن دونهم. قال الشيخ طاهر الجزائري في كتابه (التبيان):

«و قد كثر تداول العلماء لهذا الاسم: فتراهم يقولون: ورد في التنزيل كذا، و لم يرد في التنزيل كذا إلى غير ذلك، و هو يعنون

بالتنزيل القرآن» أه. ٢٧ قال شيخنا غزلان: «و هذه الأسماء الخمسة هي التي شاع على ألسنة العلماء استعمالها أسماء للنظم الكريم، و كلها أعلام بالغلبة، و لا ريب أن القرآن أشهرها و أكثرها جريانا على الألسنة» أه. ٢٨ الحقيقة الشرعية لهذه الأسماء و إطلاقاتها (علم الشخص - اسم الجنس) (القرآن): تعددت إطلاقات القرآن بالمعنى الشرعي تبعا لتعدد اعتبارات ما يراد منه، فتارة يراد باعتباره لفظا منظوقا، و تارة باعتباره نقشا مرموقا في المصحف، و ثالثا باعتباره الكلام النفسى القائم بذاته الأقدس جل جلاله.

و قد اتفق العلماء على صحة إطلاق (القرآن) على اللفظ المنطوق بالألسنة، و على النقش المرقوم فى المصحف، سواء كان هذا الإطلاق من خلال جعله علم شخص بأن يكون هذا الإطلاق على المجموع المؤلف من مائة و أربع عشرة سورة بحركاتها و سكناتها، أم كان من خلال اسم الجنس الذى يطلق فيه الاسم (القرآن) على كل القرآن أو بعضه؛ لأنهما يشتركان فى قدر مشترك و لكنهم يختلفون فى إطلاقه على الكلام النفسى القائم بذاته.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٠١

و بهذا التمهيد يصلح أن نفصل الكلام فى إطلاق القرآن باعتباره الثلاثة، فنبداً بموطن اتفاق العلماء، ثم نشئ بموطن الاختلاف.

### الإطلاق الأول القرآن باعتباره ألفاظاً منظوقاً

#### أولاً: القرآن بوصفه علم شخص على هذا الاعتبار:

إذا أردنا أن نعرف القرآن من حيث هو علم شخص فعلياً أن نعين مدلوله بإيراد أهم خصائصه التى اشتهر بها و لا سيما عند علماء أصول الفقه و منها:

١- الإنزال أو التنزيل على النبى صلى الله عليه و سلم.

٢- الإعجاز بسورة منه.

٣- النقل بالتواتر.

٤- الكتابة فى المصحف.

٥- التعبد بالتلاوة.

و ذكر بعض هذه الخصائص يكفى لتمييز مدلوله. و لنا أن نعرفه من خلال هذه الخصائص الخمسة بقولنا: القرآن هو «القول أو الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم للإعجاز بسورة منه المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب فى المصحف، المتعبد بتلاوته من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس».

و خرج (بالقول أو الكلام) الألفاظ المهملة، و ب (المنزل) ما لم ينزل من كلامه المذخور عند الذى لا ينفد كلامه، و الأحاديث النبوية. أما خروج الأحاديث القدسية فيتوقف على القول فى: هل نزلت على نبينا محمد صلى الله عليه و سلم بألفاظها أو لا؟ فبالأول: قال بعض المحققين مثل الأستاذ محمد عبد الله دراز فى «النبا العظيم». و عليه نحتاج إلى قيد لإخراج هذه الأحاديث القدسية.

و بالثانى: قال الجمهور، و عليه لا حاجة لقيد جديد لإخراجها. فالحديث النبوى سواء كان النبى صلى الله عليه و سلم فهمه من كلام الله و بتأمله حقائق الكون فهو كالتوقيفى، أم كان توقيفاً بأن تلقى مضمونه من الوحي فهو من حيث مضمونه منسوب له سبحانه و تعالى، و لكنه فى القسمين حرى بأن ينسب من حيث كونه كلاماً لفظياً لقائله و هو النبى صلى الله عليه و سلم. فخرج القسمان بالقيد الأول. و كذلك الحال فى الحديث القدسى؛ لأنه على القول الراجح منزل بمعناه فقط؛ لأنه لم يأخذ أحكام حرمة اللفظ كالقرآن من حرمة روايته بالمعنى، و مس المحدث لما حواه. و التحدى بالقرآن و عدمه بالحديث القدسى فارق آخر، و كذلك عدم التعبد



بتلاوته كلاهما يثبت عدم نزوله بلفظه.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٠٢

أما نسبة القول في الحديث القدسي له سبحانه و تعالى فنسبة مألوفة معروفة في العربية. وإنما لم نسّم بعض الحديث النبوي بالقدسي لأننا لم نقطع بنزول معناه كما قطعنا في الحديث القدسي؛ لورود النص بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القدسي: «قال الله تعالى». هذا مع تلقينا لكل سننه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقبول بقسميها التوفيقى و التوقيفى لقوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (الحشر ٧).

و جعل التنزيل متعلقا لقوله في التعريف (على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قيد ثان يخرج المنزل على غيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ملائكة و رسل و أنبياء آخرين كصحف إبراهيم، و توراة موسى.

و قولنا في هذا التعريف: (للإعجاز بسورة منه) المقصود به إظهار عجز المرسل إليهم و صدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و هذا الإعجاز يكون بأى سورة- و لو الكوثر أقصر سورة أو ما فى قدرها- و هذا المعنى يفيد أن الإعجاز لم يكن بالقرآن كله كما فى آية الإسراء، و لا بعشر سور كما فى آية هود، بل بسورة واحدة. و جاء بها نكرة فى سياق الشرط ليعمها كما فى آية البقرة: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عِبَادِنَا فَآتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ لِيَدُلَّ إِطْلَاقُهَا عَلَىٰ صِدْقِهَا بِأَيِّ سُوْرَةٍ و لو أقصرها، و يفيد أيضا أن المراد بالقرآن المعرف هو المجموع الشخصى الذى لا يقال إلا على كل القرآن دفعة واحدة، و يفيد أيضا منع توهم بعض الجاهلين أن الإعجاز لا يكون إلا بما هو أكبر من سورة الكوثر مثلا.

و عليه فقولنا: (للإعجاز بسورة منه) قيد ثالث اكتفى به بعض المعرفين؛ للاحتراز عن الكلام غير المعجز المنزل من عنده سبحانه و تعالى، و عن المنسوخ، و هذا صنيع ابن الحاجب، و رأى ابن السبكي فى «جمع الجوامع» عدم الاكتفاء به، و جعله مخرجا للأحاديث القدسيّة.

و قولنا: (المنقول إلينا بالتواتر) قيد رابع يخرج المنقول أحاديا، كمنسوخ التلاوة إن نقل آحادا بسند صحيح أو حسن، و يخرج أيضا القراءات الشاذة.

و أرى أن قيد التواتر فى التعريف إنما هو لبيان الواقع لا للإخراج؛ لأن القراءات الشاذة و منسوخ التلاوة خرجا بقيد الإعجاز السابق. و كذلك قولنا: (المكتوب فى المصحف) فإنه لا يخرج شيئا. و إن كان بعض الأئمة كأبى حامد الغزالي فى «المستصفى» ألف بين القيدين (التواتر و الكتابة فى المصحف) و اكتفى بهما عن غيرهما. و هو صنيع صدر الشريعة فى تنقيحه و توضيحه. فعرف هؤلاء

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٠٣

(القرآن) بأنه هو: «ما نقل بين دفتى المصحف تواترا».

و قولنا: (المتعبد بتلاوته) أيضا لبيان الواقع لا- للإخراج. و من قال: إنه لإخراج القراءات الشاذة أو منسوخ التلاوة كالجلال المحلى، فقول غير صحيح، بل هذه العبارة لا تصلح قيدها و لا يحتاج إليها فى التعريف؛ لأنه من أحكام القرآن، و من المقرر أن التعريفات تنزه عن ذكر الأحكام فيها، قال الأخضرى:

و عندهم من جملة المردود أن تدخل الأحكام فى الحدود و ذلك لأن اشتمال التعريف على الأحكام يوقع فى الدور؛ لأن الحكم على الشيء فرع تصور، و بهذا يكون تصور الشيء توقف على نفس تصويره. و لكن هذا لا يمكن لأن عددا من العلماء كالزرقانى و الشيخ غزلان و الجلال المحلى ذكروا (المتعبد بتلاوته) كقيد، و لكن العلامة الناصر استشكل هذا القيد، و مع ذلك فنحن نسلم للجلال و البنانى بأن الحكم المذكور فى التعريف إن ذكر للتمييز فحسب لا يضر.

و قولنا: (من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس) لبيان أنه علم شخص يطلق على القرآن كله. و يشبهه فى هذه الدلالة قول ابن السبكي فى آخر تعريفه: (المحتج بأبعاضه).



## ثانياً: القرآن بوصفه اسم جنس باعتبار اللفظ المنطوق:

و في هذا الحديث نتكلم عن (القرآن) بوصفه اسم جنس على هذا الاعتبار نفسه، فكيف نعرفه؟ و هل إطلاقه بوصفه اسم جنس حقيقة أو مجاز؟ و إن كان حقيقة فهل إطلاقه عليهما (علم الشخص و اسم الجنس) من قبيل الاشتراك اللفظي أى بوضع واحد، أو من المشترك المعنوي أى بأوضاع مختلفة؟

و يمكن أن نقول: إن لفظ (القرآن) كبقية أسمائه من المشترك اللفظي بين تمام المجموع «علم الشخص» و بين القدر المشترك بين الكل و البعض «اسم الجنس»، و التعريف الذى يظهر أنه اختيار التفاضل للقرآن بوصفه اسم جنس هو (الكلام المنقول فى المصحف تواتراً) و لعل مما لا يخفى أن كون هذا تعريفاً صحيحاً للقرآن بهذا الوصف - أعنى وصف كونه اسم جنس - لا يتم إلا لو أريد من (أل) فى قوله: (الكلام). تعريف الجنس لا تعريف العهد، و هذا هو قصده قطعاً، فأما حيث يراد منها تعريف العهد، فإن هذا التعريف إنما يكون القرآن بوصفه علم شخص.

و يحسن زيادة لفظ (مطلق) قبل هذا التعريف لنفى احتمال التردد بين الجنس و العهد فى (أل). و عند تجرد إطلاق لفظ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٠٤

(القرآن) عن القرينة فيحمل على معنى تمام المجموع الذى هو علم الشخص، و يحمل أيضاً عليه عند وجود القرينة المحتملة له كما فى قوله تعالى: شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ. أما إذا وجدت القرينة الصارفة له عن هذا المعنى فيحمل على اسم الجنس كما فى قوله تعالى: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ؛ لَأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنْ الِاسْتِمَاعَ مَطْلُوبٌ لِبَعْضِ الْقُرْآنِ كَمَا هُوَ مَطْلُوبٌ لِمَجْمُوعِهِ. و لقد كان للقرينة دورها فى حمل لفظ (القرآن) على أحد المعنيين؛ لأن شأن المشترك كذلك، لأنه من قبيل المجمل المحتاج للقرينة لتبينه. و وقوع لفظ (القرآن) نكرة فى سياق النفي و شبهه كالشرط و الاستفهام قرينة صارفة له عن المعنى الشخصى إلى الجنسى بسبب العموم الذى عرض له فى هذا السياق.

و كذلك فى سياق الإثبات لتبادر الإطلاق الصالح لأن يقال على كل فرد من أفراد جنسها على سبيل البدل كما فى قوله تعالى: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ.

و لقد نبه العلامة الفنارى على التلويح أن إطلاق المعنى الجنسى (للقرآن) على أبعاضه حقيقة؛ و ذلك لأن إطلاق العام و إرادة الخاص لا- بخصوصه لا- تخرجه عن حيز الحقيقة، إنما المخرج هو إرادة الخاص بخصوصه، و ذلك لبقاء المعنى الكلى فى الإطلاق الأول، و هو الحقيقة فى اسم الجنس و عدم بقائه فى الثانى لإرادة الجزئى الذى ينافى معنى الكلى.

## الإطلاق الثانى القرآن باعتباره نقشا مرقوما

### إشارة

النقوش الموجودة فى المصحف الدالة على ألفاظ القرآن لا على نفسها هى أحد الوجودات الأربعة و هى الوجود فى خط البنان، و هذه الألفاظ المنقوشة تعطى حكم نفس الألفاظ عرفاً و شرعاً.

و لعل من السهولة بمكان تعريف (القرآن) باعتباره نقشا مرقوما كعلم شخص أو اسم جنس، فالأول مثل قولنا: (ما بين دفتى المصحف من أول سورة الحمد إلى آخر سورة الناس). و الثانى مثل قولنا: (مطلق ما فى المصحف ...).

و لقد اتفقت الأمة على صحة إطلاق (القرآن) بالاعتبارين السابقين.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٠٥

## الفرق بين القرآن وبين كل من الحديثين القدسي والنبوي

- و خلاصة الفرق بين (القرآن) باعتبار اللفظ المنطوق والنقش المرقوم وبين الحديثين النبوي والقدسي:
- (أ) ألفاظ القرآن منزلة، والحديث النبوي غير منزلة، أما الحديث القدسي فالجمهور على أنها منزلة خلافا لبعض المحققين.
- (ب) القرآن لا تجوز روايته شيء منه بالمعنى، والحديث النبوي تجوز باتفاق، و الحديث القدسي تجوز على التحقيق.
- (ج) القرآن منزل للإعجاز منه بسورة، وكلا الحديثين ليس للإعجاز.
- (د) القرآن منقول كله بالتواتر، وكلا الحديثين ينقل بالتواتر والآحاد، وأغلب نقلها بالآحاد.
- (هـ) للقرآن أسماؤه الخمسة المخصوصة، وله اسم مخصوص لمجموعه المكتوب وهو (المصحف)، وكلا الحديثين ليس كذلك.
- (و) القرآن متعبد بتلاوته، والحديث بقسميه ليس كذلك، بل أقل القليل منه المتعبد بتلاوة لفظه وهو الأذكار إجماعا.
- (ز) القرآن مختلف في قراءة الجنب والحائض له والنساء: الجمهور يمنع، وفريق على جوازها، والحديث تجوز قراءة هؤلاء له باتفاق.
- (ح) مس المصحف للمحدث حدثا أصغر:
- الجمهور على منعه، وفريق على جوازه، و اتفقوا على جواز مس كتب الحديث للمحدث حدثا أصغر.

## الإطلاق الثالث للقرآن باعتباره كلاما نفسيا قائما بذاته (إطلاقه عند المتكلمين)

لقد ثار الخلاف حول النظر للقرآن من هذا الاعتبار، وهو اعتبار الكلام النفسى القائم بذاته قديما قدم الذات الأقدس، وذلك فى محاولة جميع العلماء تحديد العلاقة بين القرآن بهذا الاعتبار (الكلام النفسى القائم بذاته)، وبين القرآن بالاعتبارين السابقين (اللفظ المنطوق والنقش المرقوم).

وقد كان للعلامة السعد التفتازانى فى شرح مقاصده نص طويل، يوضح هذا الخلاف الواقع فى هذه المسألة، يحسن ذكره بطوله، فقد قال: «و بالجمله لا خلاف لأرباب الملل والمذاهب فى كون البارى تعالى متكلماً، وإنما الخلاف فى معنى كلامه وفى قدمه الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٠٦»

و حدوده، فعند أهل الحق: كلامه ليس من جنس الأصوات والحروف، بل صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى، منافية للسكوت والآفة كما فى الخرس والطفولة، هو بها أمر، ناه، مخبر، وغير ذلك يدل عليها بالعبارة أو الكتابة أو الإشارة، فإذا عبر عنها بالعربية فقرآن وبالسريانية فإنجيل، وبالعبرانية فتوراة، فالاختلاف فى العبارات دون المسمى، كما إذا ذكر الله تعالى بألسنة متعددة ولغات مختلفة. و خالفنا فى ذلك جميع الفرق، وزعموا أنه لا معنى للكلام إلا المنتظم من الحروف المسموعة الدال على المعانى المقصودة، وأن الكلام النفسى غير معقول، ثم قالت الحنابلة والحشوية: إن تلك الأصوات والحروف مع تواليها وترتب بعضها على بعض ويكون الحرف الثانى من كل كلمة مسبوقة بالحرف المتقدم عليه، كانت ثابتة فى الأزل قائمة بذات البارى تعالى وتقدس، وأن المسموع من أصوات القراءة والمرئى من أسطر الكتاب نفس كلام الله تعالى القديم.

وكفى شاهدا على جهلهم ما نقل عن بعضهم: أن الجلدة والغلاف أزليان. وعن بعضهم: أن الجسم الذى كتب به الفرقان فانتظم حروفا و رقوما هو عينه كلام الله تعالى، وقد صار قديما بعد ما كان حادثا.

ولما رأت الكرامية أن بعض الشر أهون من بعض، وأن مخالفة الضرورة أشنع من مخالفة الدليل ذهبوا إلى أن المنتظم من الحروف المسموعة مع حدوده قائم بذات الله تعالى، وأنه قول الله تعالى لا كلامه. وإنما كلامه قدرته على التكلم وهو قديم، وقوله حادث لا-محدث. و فرقوا بينهما بأن: كل ما له ابتداء إن كان قائما بالذات فهو حادث بالقدرة غير محدث، وإن كان مبينا للذات فهو

محدث بقوله: «كن» لا بالقدرة.

والمعتزلة لما قطعوا بأنه المنتظم من الحروف، و أنه حادث، و الحادث لا يقوم بذات الله تعالى، ذهبوا إلى أن معنى كونه متكلماً أنه خلق الكلام في بعض الأجسام. و احترز بعضهم من إطلاق لفظ المخلوق عليه لما فيه من إيها المخلوق و الافتراء، و جوزة الجمهور. ثم المختار عندهم - و هو مذهب أبي هاشم و من تبعه من المتأخرين - أنه من جنس الأصوات و الحروف، و لا يحتمل البقاء حتى أن ما خلق مرقوماً في اللوح المحفوظ أو كتب في المصحف لا- يكون قرآناً، وإنما القرآن ما قرأه القارئ و خلقه البارى من الأصوات المتقطعة و الحروف المنتظمة.

و ذهب الجبائي إلى أنه من جنس غير الحروف، يسمع عند سماع الأصوات، و يوجد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٠٧

بنظم الحروف و بكتبتها، و يبقى عند المكتوب و الحفظ و يقوم باللوح المحفوظ و بكل مصحف و كل لسان. و مع هذا فهو واحد لا يزداد بازدياد المصاحف و لا يتقص بنقصانها و لا يبطل ببطالانها.

و الحاصل أنه انتظم من هذه المقدمات قياساً: ينتج أحدهما قدم كلام الله تعالى، و هو أنه من صفات الله و هي قديمه، و الآخر حدوثه، و هو أنه من جنس الأصوات و هي حادثه. فاضطر القوم إلى القدح في أحد القياسين. و منع بعض المقدمات ضرورة امتناع حقيقة النقيضين فمنعت المعتزلة كونه من صفات الله، و الكرامية كون كل صفة قديمه، و الأشاعرة كونه من جنس الأصوات و الحروف، و الحشوية كون المنتظم من الحروف حادثاً.

و لا عبرة بكلام الكرامية و الحشوية، فبقى النزاع بيننا و بين المعتزلة و هو في التحقيق عائد إلى إثبات كلام النفس و نفيه، و أن القرآن هو هذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حى، و إلا فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسى، و لا لهم في قدم النفسى لو ثبت، و على البحث و المناظرة في ثبوت الكلام النفسى، و كونه هو القرآن ينبغى أن يحمل ما نقل من مناظرة أبي حنيفة و أبي يوسف ستته أشهر، ثم استقرار رأيهما على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر. ٢٩

أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٠٨

مصادر إضافية لمزيد من البحث و الاطلاع (١) الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعه عيسى الحلبي، الطبعة الأولى.

(٢) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعه عيسى الحلبي، الطبعة الأولى.

(٣) البيان في مباحث من علوم القرآن، للأستاذ الدكتور عبد الوهاب غزلان، ط دار التأليف، الطبعة الأولى.

(٤) التلويح، لسعد الدين التفتازانى، على التوضيح لصدر الشريعة و حواشيه للفنرى و ملا خسرو و غيرهما.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ط دار الكتاب، الطبعة الثانية.

(٦) حاشية البناني على شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع، لتاج الدين السبكي، ط مصطفى الحلبي، الطبعة الأولى.

(٧) حاشية سعد الدين التفتازانى على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(٨) حاشية الخضري على ابن عقيل، ط الحلبي، الطبعة الأولى.

(٩) حاشية الشيخ محمد عبده على شرح الجلال الدواني للعقائد العضدية، ط الخيرية.

(١٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، لمحمود بن عمر آلوسى، ط المنيرية.

(١١) شرح المقاصد للتفتازانى.

(١٢) شرح المواقف و حواشيه، ط اسطنبول، الطبعة الأولى.

- (١٣) مباحث في علوم القرآن، للدكتور صبحي الصالح، ط دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى.
- (١٤) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام الرازي، ط المنيرية.
- (١٥) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ط مصطفى الحلبي، الطبعة الأولى.
- (١٦) مناهل العرفان في علوم القرآن، للدكتور محمد عبد العظيم الزرقاني، ط عيسى الحلبي، الطبعة الثانية.
- (١٧) النبأ العظيم، للدكتور محمد عبد الله دراز، نشر مكتبة عمار.
- و غير ذلك.
- الهوامش:

- (١) الإتقان ج ١ ص ١٧٨.
- (٢) البرهان ج ١ ص ٢٧٣.
- (٣) في المطبوع «سيدلة» بالسين، تصحيف، و شيدلة، ضبطها ابن خلكان بفتح الشين و الذال و اللام، و قال: «و هو لقب عليه، معناه: مع كشفى عنه» و عزيزي، ضبطه أيضا بفتح العين، هو ابن عبد الله أحد فقهاء الشافعية، و صاحب كتاب البرهان في مشكلات القرآن. توفي سنة ٤٩٤ هـ. انظر ابن خلكان ج ١ ص ٣١٨، و شذرات الذهب ٣/ ٤٠١، و كشف الظنون ٢٤١.
- (٤) اللحياني: هو أبو الحسن علي بن حازم، اللغوي المشهور المتوفى سنة ٢١٥ هـ، و قد أفاد ابن سيده من كتبه في تأليف (المخصص).
- (٥) الإتقان ج ١ ص ١٨٢.
- (٦) انظر: المسألة التاسعة من تفسير قوله تعالى شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ (البقرة ١٨٥) من تفسير الجامع لأحكام القرآن (ج ٢ ص ٢٩٨).
- (٧) انظر: مناهل العرفان للزرقاني (ج ١ ص ١٤٠)، و البيان، للشيخ غزلان (ص ١٩-٢١).
- (٨) البيان في مباحث من علوم القرآن لغزلان (ص ٢٠).
- (٩) انظر: البرهان (ج ١ ص ٢٧٧).
- (١٠) انظر: الإتقان (ج ١ ص ١٨٢).
- (١١) انظر: البرهان (ج ١ ص ٢٧٧) و ما بعدها.
- (١٢) انظر: البرهان (ج ١ ص ٢٧٨).
- (١٣) و عبارة الزركشى عن هذا القول: «وقال القرطبي: القرآن- بغير همز- مأخوذ من القرائن». و هي أدق مما نقل عن الفراء؛ لأن الاشتقاق إما أن يكون من المصدر، و هو المختار الذي عليه مذهب البصريين، و إما أن يكون من الفعل الماضي على ما هو مذهب الكوفيين، و القرائن الذي هو جمع قرينة ليس بمصدر و لا بفعل حتى يشتق منه، فالقول من مثله غلط محض، أما الأخذ الذي عبر به القرطبي فيما نقل عنه الزركشى فهو أوسع دائرة من الاشتقاق فيصح.
- (١٤) انظر: البرهان (ج ١ ص ٢٧٨).
- (١٥) سورة آل عمران (٣، ٤).
- (١٦) سورة الفرقان آية (١).
- (١٧) انظر: البرهان (ج ١ ص ٢٨٠).
- (١٨) روح المعاني، للآلوسي (ج ١٨ ص ٢٣١).
- (١٩)-

- (١٩) روح المعاني، للآلوسي (ج ١ ص ٨).
- (٢٠) روح المعاني، للآلوسي (ج ١ ص ١٠٦).
- (٢١) انظر: مباحث في علوم القرآن (ص ١٧-١٩).
- (٢٢) انظر: البرهان (ج ١ ص ٢٨١).
- (٢٣) سورة الحجر آية (٩).
- (٢٤) سورة الزخرف آية (٤٤).
- (٢٥) سورة الأنبياء آية (٥٠).
- (٢٦) انظر: البرهان (ج ١ ص ٢٧٩).
- (٢٧) انظر: البيان (ص ١٢٣).
- (٢٨) البيان (ص ٢٢). وقوله رحمه الله: (وكلها أعلام بالغلبة) غلبة العلمية هي أن يكون للاسم عموم بحسب الوضع فيعرض له الخصوص في استعماله لغلبة إطلاقه على شيء بعينه، ثم إن كان استعمل في غير ما غلب عليه كالعقبة والنجم فالغلبة تحقيقية، وإن لم يستعمل في غيره أصلا مع صلوحه لذلك بحسب وضعه فتقديرية. انظر حاشية الخضري على ابن عقيل (ج ١ ص ٨٧). والأسماء الخمسة استعملت بالفعل في فرد آخر مندرج تحتها فهي من الغلبة الحقيقية.
- (٢٩) انظر: المقاصد (ج ٢ ص ٥).
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٠٩

### مسألة: «نزول القرآن على سبعة أحرف»

#### إشارة

هذا الموضوع من أصعب الموضوعات وأشدّها على المحدثين و علماء القرآن، فإنه على الرغم من رواية الجَمّ الغفير من الصحابة لهذه القضية عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى عدّ من روايتها السيوطي في كتابه «الإتقان» واحداً وعشرين صحابياً ١، بل حتى أورد السيوطي في «إتقانه» رواية أبي يعلى في «مسنده» الكبير أن عثمان قال على المنبر:

أذكر الله رجلا- سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف». لما قام فقاموا، حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك فقال: و أنا أشهد معهم ٢.

نقول: على الرغم من هذا، فإن أحداً من أولئك الصحابة لم يسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التحديد الضابط لهذه الأحرف السبعة، والمعين لها واحداً بعد واحد حتى تبلغ سبعة لا تزيد ولا تنقص، بل اكتفوا بتصويبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل من المختلفين في القراءة بقوله: «هكذا أنزلت». ونحوه، ودفعه لكل نزعة من شك يمكن أن يوسوس بها الشيطان في الصدور تجاه هذا التصويب، بإخباره إياهم أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، كما هي عادتهم- رضوان الله عليهم- في عدم إلحاح المسألة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا سيما فيما لا تدعو إليه الضرورة.

فمن ثم اختلف الناس في شأن هذه السبعة الأحرف اختلافاً عظيماً، بلغ به ابن حبان خمسة و ثلاثين قولاً، عدّ منها القرطبي خمسة في مقدمة «تفسيره» ٣، ثم زاد السيوطي على هذا كله فبلغ في «إتقانه» بهذا الاختلاف أربعين قولاً ذكرها جميعاً.

و الناظر إلى هذه الأقوال- المتشعبة الخلاف فيما بينها تشعباً شديداً- نظرة إجمالية، يجدها بين قائل بعدم انحصار عدد هذه الأحرف في سبعة، وإنما الأمر في هذا هو على التسهيل والتيسير، و لفظ (السبعة) يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في

العشرات، و السبعمائه في المئين ولا يراد العدد المعين. قال الحافظ في «الفتح»: (و إلى هذا جنح عياض و من تبعه) ٤. و بين قائل بانحصار العدد في سبعة بالفعل، ثم لا يحاول أن يخطو خطوة وراء هذا في تفسير هذه الأحرف، بل يقول: هذا الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١١٠

الحديث هو من المشكل الذي لا يدري معناه، من قبيل أن الحرف من المشترك اللفظي، فإن العرب تسمى الكلمة المنظومة حرفاً، و تسمى القصيدة بأسرها كلمة، و الحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة، و الحرف أيضاً: المعنى و الجهة. قاله أبو جعفر محمد ابن سعدان النحوي ٥. و هو أيضاً مختار السيوطي حسبما يفصح عنه قوله في «شرح سنن النسائي»: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، و المراد به أكثر من ثلاثين قولاً حكيتها في «الإتقان»، و المختار عندي: أنه من المتشابه الذي لا يدري تأويله ٦. و كذلك الشيخ ولي الله الدهلوي حيث قال في «شرحه على الموطأ» ما حاصله: «إن ما تقرر عندي و ترجح في هذا الاختلاف أن ذكر السبع في الحديث لبيان الكثرة لا للتحديد» ٧.

و بين قائل: هي سبعة مفسرة، ثم يتعدد القول في تفسيرها حتى تبلغ الأقوال بعد القولين الآنفين ثمانية و ثلاثين عدداً فيتممها أربعين على ما عددها السيوطي.

و نحن بطبيعة الحال ليس من مقصودنا في هذه الصفحات أن نستقصى جميع الأقوال مع ضعف أكثرها، بل مقصودنا تجلية المعنى المقصود بالأحرف السبعة، و تحقيق القول فيها، و سبيلنا إلى تحقيق هذه الغاية أن نسوق بعض الروايات الفصل عن النبي صلى الله عليه و سلم في قضيتنا هذه، لنستخلص منها ما يهدينا- إن شاء الله- إلى الصواب، على نحو ما صنع شيخ أسياننا الزرقاني في «مناهل»، و قد استوعب الروايات في هذه المسألة- أو كاد- الحافظ ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن» من ص ١٦ حتى ص ٢١. و سنقتصر من ذلك على أيسر ما يتم به مقصودنا:

روى الشيخان- و اللفظ للبخاري- عن ابن عباس- رضى الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعتة، فلم أزل أستزيده و يزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف». زاد مسلم: قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال و لا حرام ٨.

حديث آخر: روى الشيخان- و اللفظ للبخاري- من فضائل القرآن عن عمر بن الخطاب يقول: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه و سلم، فكادت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١١١

التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أرسله، اقرأ يا هشام». فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر»، فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «كذلك أنزلت».

إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فافقهوا ما تيسر منه» ٩.

و كذا وقع لأبيي مع آخرين، يقرأ كل منهما بغير قراءة صاحبه في سورة النحل- كما عند الطبري- و احتكامهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و تصويبه صلى الله عليه و سلم لقراءتهم جميعاً، و ضربه صلى الله عليه و سلم في صدر أبيي دفعا لما اعتراه من الشك، و قول النبي صلى الله عليه و سلم في آخر الحديث فقال لي: «يا أبيي، أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه: أن هوّن على أمتي، فردّ إلي الثانية:

اقرأ على حرفين، فرددت إليه: أن هوّن على أمتي، فردّ إلي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، و لك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها».



الحديث أخرجه مسلم.

و نحواً من هذا الاختلاف في القراءة و تصويب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لكل، وقع لعبد الله بن مسعود و عمرو بن العاص إلى غير ذلك من وقائع الاختلاف و التصويب التي صحت في هذه القضية.

حديث آخر: روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كان عند أضاءة بنى غفار.

قال: «فأتاه جبريل - عليه السلام - فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته و مغفرته، و إن أمتي لا - تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته و مغفرته، و إن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته و مغفرته، و إن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا» ١٠.

و قد بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ السبب الذي من أجله لا تطيق أمة نزول القرآن على ما دون سبعة أحرف في حديث الترمذي عن أبي قال: «لقى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ جبرائيل، فقال: يا جبرائيل إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز و الشيخ الكبير و الغلام و الجارية و الرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف». قال الترمذي: و في الباب عن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١١٢

عمر و حذيفة بن اليمان و أبي هريرة و أم أيوب - و هي امرأة أبي أيوب الأنصاري - و سمره و ابن عباس و أبي جهنم بن الحارث بن الصمة.

هذا حديث حسن صحيح قد روى عن أبي بن كعب من غير وجه ١١. أ. ه.

ما نستخلصه من هذه الأحاديث:

١- أن حقيقة العدد سبعة مرادة قطعاً، و من زعم عدم الانحصار فيه فقد خالف صريح المنطوق.

٢- أن السبعة أحرف كلها منزلة، متساوية في كل الأحكام الخاصة بالتلاوة و الإعجاز.

٣- أن نزول القرآن على سبعة أحرف سببه التيسير على الأمة و التخفيف عليها و إجابة لقصد نبينا حيث أتاه جبريل فأمره أن تقرأ أمة القرآن على حرف، فطلب منه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أن يسأل الله - سبحانه و تعالى - المعافاة لأمة لأنها لا تطيق ذلك، و لم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف. و لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أرسل للناس كافة فسيحس على الناس الانتقال من لغتهم إلى لغة أخرى؛ و لذلك خفف عن هذه الأمة بالأحرف السبعة؛ و لذا اختلف العلماء في جواز القراءة بلغة غير العربية على أقوال: ثالثها الجواز عند العجز عن العربية. نص على ذلك ابن الجزري في «نشره» ١٢. و ذكر أمثلة لذلك بقراءة الهذلي لقوله تعالى: حَتَّىٰ حِينٍ (عتى حين)، و قراءة الأسدي - (تعلمون) و (تعلم) (و تسود) بكسر تاء المضارعة، إلى غير ذلك من الأمثلة التي ذكرها.

كما أن هناك فوائد أخرى لنزول القرآن على سبعة أحرف: أن من تمام التيسير على الأمة جمع الأحرف السبعة لوجهات النظر المختلفة في التأمل البلاغي في النص القرآني، مما يبقى للقرآن مكانته السامية في الإعجاز؛ إذ كل قراءة بمنزلة آية، فيكون هذا التنوع بمثابة الجمع لمناحي الإعجاز اللغوي و البلاغي.

و من فوائد نزول القرآن على أحرف سبعة تعظيم ثواب هذه الأمة حيث إنهم يفرغون جهدهم ليلبغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك التنوع و التعدد، فالأجر على قدر المشقة.

و من فوائده أيضاً: بيان قدر هذه الأمة و شرفها، من حيث تلقيهم لكتاب ربهم بهذا التلقى، و حفظه لفظاً لفظاً، بصيغته و سكاناته و حركاته و تفخيم حروفه و تزيينها، فحفظوه من التحريف و التصحيف بما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، مما يؤكد اتصال سند هذه الأمة بكتاب ربها، مما يدفع ارتياب الملحدين في وصله. و هذا ما ذكره ابن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١١٣

الجزرى ١٣ من فوائد لنزول القرآن على سبعة أحرف.

٤- أن التيسير بتعدد الأحرف تأخر إلى العهد المدني، هذا ما يفهم من حديث أبي عند مسلم وفيه: (أن النبي صَلَّى الله عليه وسلم كان عند أضاء بنى غفار قال: فأتاه جبريل - عليه السلام - الحديث). حيث كانت هذه الأضاء بالمدينة كما قال الحافظ رحمه الله في (الفتح): وأضاء بنى غفار هي بفتح الهمزة والضاد المعجمة بغير همز و آخره تاء تأنيث:

مستنقع الماء كالغدِير و جمعه أضاء كعصا، و قيل بالمد ١٤ و الهمز كإناء، و هو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بنى غفار بكسر المعجمة و تخفيف الفاء - لأنهم نزلوا عنده» ١٥. و الظاهر أن هذا التأخر إنما كان لعدم الحاجة - فى العهد المكي - إلى تعدد الأحرف لعدم انتشار الإسلام و القرآن آنذ بين أحياء العرب، و قصوره على القلة المؤمنة به، و أغلبهم من قريش الذين أرسل النبي صَلَّى الله عليه وسلم بين ظهرانهم، و أن القرآن المكي كان على أفصح لهجة مشهورة و مستفيضة فى جميع بطون قريش، و أن هذه اللهجة كانت بالتالى مفهومة و ميسرة لأولئك القلة المؤمنين به، فلم تمس حاجتهم وقتئذ إلى المزيد من التيسير، فلما كانت الهجرة إلى المدينة و بدء انتشار الإسلام بين العرب و فيهم من يمكن ألا يتقن تلك اللهجة، مست الحاجة إلى التيسير بتعدد الأحرف، و شمل هذا التعدد عندئذ بطبيعة الحال جميع القرآن مكيه و مدنيه من قبل أن التكليف هو بكل القرآن لا ببعضه دون بعض، كما شمل تشريع هذا التعدد جميع الناس منذئذ لا فرق فى ذلك بين قرشى و غير قرشى من قبل أن الكل فى التشريع سواء.

و من هنا اختلفت الأحرف المقروء بها سورة الفرقان المكية مثلا بين عمر بن الخطاب و هشام بن حكيم بن حزام و هما قرشيان، كما اختلفت بين أبى الأنصارى و غيره فى سورة النحل المكية أيضا، و قراءة عبد الله بن مسعود و آخر فى سورة من حم المكيات كذلك، إلى آخر تلك الوقائع.

و هكذا وجدنا القراءات العشر المتواترة المنسوبة إلى القراء العشرة لا - تفرق فى تعددها و اختلافها بين مكي و مدنى من الذكر الحكيم، بل تعمها جميعا و على حد سواء، كما لا تفرق فى تلقيها و أدائها بين أحد من الناس، بل ورث القراءه بها فى الكل و الإقراء بها للكل كابرا عن كابر، ثم لم يزل الأمر على هذا الشمول للمقروء و قرائه إلى أن يرث الله الأرض و من عليها إن شاء الله تعالى.

و لعل ما قلناه من نزول القسم المكي من القرآن أول ما نزل بتلك اللهجة المستفيضة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١١٤

فى بطون قريش و المفهومة لها جميعا هو ما عناه عثمان رضى الله عنه من قوله للرهط القرشيين عند جمع القرآن: (إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت فى عريئة من عريئة القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم) ١٦. قال القاضى أبو بكر بن الباقلانى: (معنى قول عثمان: «نزل القرآن بلسان قريش. أى: معظمه، و أنه لم تقم دلالة قاطعة على أن جميعه بلسان قريش، فإن ظاهر قوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا أَنَّهُ نَزَلَ بِجَمِيعِ أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ، و من زعم أنه أراد مضر دون ربيعة، أو هما دون اليمن، أو قريشا دون غيرهم، فعليه البيان، لأن اسم العرب يتناول الجميع تناولا واحدا، و لو ساغت هذه الدعوى لساغ للآخر أن يقول بلسان بنى هاشم مثلا؛ لأنهم أقرب نسبا إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلم من سائر قريش ١٧.

و بالجملة، فليس للتيسير بالأحرف السبعة و نزولها بالمدينة وقت معلوم على التحديد، لكن الذى يظهر و يتفق مع طبيعة الأمور أن يكون ذلك قد تم بعد قدومه صَلَّى الله عليه وسلم المدينة و استقرار مقامه فيها بزمن يسير، حيث بادرت أحياء من العرب بالقدوم إلى المدينة و الدخول فى الإسلام كأسلم و غفار ١٨. فكان من المتجه إذن لهؤلاء و أمثالهم أن يكون لهم تيسير القرآن بنزوله على سبعة أحرف منذ هذا الوقت المبكر. و الله أعلم بحقيقته الحال.

و قد حاول عدد من العلماء بيان كيف كان التعدد، فذهب بعضهم إلى أن جبريل كان يقرأ النبي صَلَّى الله عليه وسلم فى كل عرضة بوجه أو حرف.

و هذا ما اختاره أبو عمرو الدانى ١٩. و لكننا نرى أن ذلك من الغيب المستور و نكل علمه إلى الله.



٥- أن الصحابة لا- محالة فهموا مراد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم من هذه الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، بل لقد أقرأهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بها، و نقلوها بالتواتر كما هو الحال في كل القرآن؛ لأن هذه الأحرف كجزء القرآن فما وجب في الكل وجب في الأجزاء. وليست الأحرف السبعة من قبيل المشكل أو المتشابه الذي لا يمكن تأويله كما ذهب إليه محمد بن سعدان النحوى و السيوطى فى «المجتبى» و لى الدهلوى و الألوسى ٢٠.

و السؤال: ما المعنى الذى فهمه الصحابة رضى الله عنهم للأحرف السبعة؟ هل هى أصناف مختلفة من الكلام كالزاجر و الأمر، و الحلال و الحرام، و المحكم و المتشابه، و الأمثال؟

و لقد جاء خبر عن ابن مسعود و رفعه للنبي صَلَّى الله عليه وسلم فى نفس المعنى السابق. و لكن إرادة هذه الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١١٥

الأصناف بالأحرف السبعة من الإحالة و وضوح البطلان بحيث لا يتسع لها عقل عاقل؛ لأنه لا يصح أن يقرأ القرآن كله بصنف واحد من هذه الأصناف المذكورة. و قد رد الحافظ هذا الخبر الوارد عن ابن مسعود بما ذكره عن ابن عبد البر من عدم ثبوته؛ لأن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يلق ابن مسعود و هو الراوى عنه. و قال: و قد أطنب ابن جرير الطبرى فى الرد على هذا الرأى بما حاصله أنه يستحيل أن يجتمع فى الحرف الواحد هذه الأوجه السبعة. ثم ذكر أن تصحيح ابن حبان و الحاكم لخبر ابن مسعود فيه نظر، و ذكر أنه رواه البيهقى مرسلًا. و حكم عليه بالجوذة. ثم ذكر أن المراد بالأحرف السبعة:

أن الكلمة الواحدة تقرأ على وجهين و ثلاثة و أربعة إلى سبعة تيسيرا. و نقل عن الأهوازى و الهمدانى ردهما لتأويل السبعة أحرف بالأصناف السبعة ٢١.

و اقتصر ابن الجزرى من أمر هذا الحديث على تأويله فقال: (فإن قيل): فما تقول فى الحديث ... و ذكره من رواية الطبرانى بلفظ مقارب فيه تقديم و تأخير ثم قال فالجواب عنه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن هذه السبعة غير السبعة الأحرف التى ذكرها النبي صَلَّى الله عليه وسلم فى تلك الأحاديث، و ذلك من حيث فسرها فى هذا الحديث فقال: حلال و حرام إلى آخره. ثم أكد ذلك بالأمر بقول: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا. فدل على أن هذه غير تلك القراءات.

الثانى: أن الأحرف السبعة فى هذا الحديث هى هذه المذكورة فى الأحاديث الأخرى التى هى الأوجه و القراءات، و يكون قوله: حلال و حرام إلى آخره تفسيرا للسبعة الأبواب. و الله أعلم.

الثالث: أن يكون قوله: حلال و حرام إلى آخره لا تعلق له بالسبعة الأحرف و لا بالسبعة الأبواب، بل إخبار عن القرآن أى هو كذا و كذا و اتفق كونه بصفات سبع كذلك (٢٢). أ. ه.

و كذلك صنع السيوطى من بعده و عبارته فى هذا المقام بعد ذكر الحديث و فيها المزيد من مقولات العلماء و موقفهم منه: (و قد أجاب عنه قوم، بأنه ليس المراد بالأحرف السبعة التى تقدم ذكرها فى الأحاديث الأخرى؛ لأن سياق تلك الأحاديث يابى حملها على هذا، بل هى: ظاهرة فى أن المراد أن الكلمة تقرأ على وجهين و ثلاثة إلى سبعة، تيسيرا و تهوينا، و الشىء الواحد لا يكون حلالا و حراما فى آية واحدة، و قال البيهقى ... و ذكر تأويله السابق فى نقل «الفتح» ثم قال: و قال غيره: من أول الأحرف السبعة بهذا، فهو فاسد؛ لأنه محال أن يكون الحرف فيها حراما لا ما سواه، أو

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١١٦

حلالا لا ما سواه، و لأنه لا يجوز أن يكون القرآن يقرأ على أنه حلال كله أو حرام كله، و أمثال كله.

و قال ابن عطية: هذا القول ضعيف؛ لأن الإجماع على أن التوسعة لم تقع فى تحريم حلال و لا تحليل حرام، و لا فى تغيير شىء من المعانى المذكورة. و قال الماوردى: هذا القول خطأ؛ لأنه صَلَّى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف، و

إبدال حرف بحرف، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام. و ذكر قول أبي على الأهوازي و أبي العلاء الهمداني السابق في نقل «الفتح» ٢٣.

و تلك الأصناف السبعة ليس لها سند بالمرء، و لقد وصل أصحاب هذا الرأي إلى أن جعلوا هذه الأصناف أربعين قولاً، و لقد أوجز الرد عليهم شيخ أشياخنا الزرقاني بعد ذكر هذه الأقوال الأربعين و التي جعلوا منها الناسخ و المنسوخ و الخاص و العام و المحكم و المتشابه - فردّه عليهم بردود خلاصتها:

١- أن سياق الأحاديث لا يساعد على حمل الأحرف السبعة على الأصناف السبعة؛ لأنها كلها تصرح بأن الأحرف إنما هي في القراءة و التلفظ.

٢- عدم وجود سند صحيح لهذا القول.

٣- التيسير المقصود من نزول القرآن على سبعة أحرف لا يتحقق مع هذه الأصناف و الأنواع.

٤- زيادة بعض تلك الآراء عن السبعة مما يعنى الخطأ في العد أو أنهم يعتقدون أن السبعة غير مقصودة و هذا باطل.

٥- أن أكثر ما ذكره في تلك الآراء يدخل بعضه في بعض، فمن المتعسر اعتبارها أقوالاً مستقلة. ثم نقل ما نقله السيوطي عن الشرف المرسي من رد في معنى الكلام السابق ٢٤.

و يورد أبو عمرو الداني في مقدمة «جامع البيان» في القراءات السبع تحت عنوان (معنى الأحرف السبعة) وجهين للمراد من الأحرف السبعة:

أولهما: أن الأحرف السبعة سبعة أوجه في اللغات، و مثل لها ب (أفلس، و فلس)، و الحرف يراد منه الوجه و منه قوله تعالى:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ أَى عَلَى وَجْهِهِ.

و ثانيهما: أن الأحرف السبعة هي القراءات السبعة، جريا على عادة العرب في تسمية الشيء باسم ما له علاقة به من مقارنة أو مقاربه أو مجاورة؛ و لذلك سمى النبي صلى الله عليه و سلم القراءة حرفاً و إن كان كلاماً كثيراً.

فقد سمى العرب القصيدة و الخطبة و الرسالة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١١٧

كلمة، و من هذا الاستعمال قوله تعالى:

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا فَقَالَ: إنما يعنى بالكلمة هاهنا قوله في سورة القصص:

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ فأطلق الكلمة على كل هذا الكلام؛ و من ثم خاطب النبي صلى الله عليه و سلم من بالحضرة و سائر العرب في هذا الخبر من تسمية القراءة حرفاً لما يستعملون في لغتهم و ما جرت عليه عادة منطقتهم ٢٥.

و عقب ابن الجزري في «النشر» على كلام أبي عمرو فذكر أن كلا- الوجهين محتمل، و فرق بينهما، و ذكر أن حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» يحتمله الوجه الأول، و حديث عمر مع هشام رضى الله عنهما يحتمله الوجه الثاني ٢٦.

و الصواب: أن المعنيين لا فرق بينهما؛ لأن عمر رضى الله عنه قال: سمعته يقرأ فيها أحرفاً لم يكن النبي صلى الله عليه و سلم أقرأنيها، فلو كان معنى الحرف يخالف معنى القراءة تعلم رسول الله صلى الله عليه و سلم عمر ذلك و لنبيه لحاجته إلى معرفة ذلك.

و إذا عدنا إلى كلام أبي عمرو الداني فنجد أن الوجه الأول اختاره جماعة من العلماء ذكرهم الزركشى في «البرهان» منهم أبو عبيد القاسم بن سلام و أحمد بن يحيى ثعلب، و نقله حكاية ابن دريد ٢٧ عن أبي حاتم السجستاني ٢٨، و بعضهم عن القاضي أبي بكر الباقلاني. و ذكر أن بعض القرآن نزل بلغة قريش و بعضه نزل بلغة هذيل، و بعضه بلغة تميم، و أزد، و ربيعة، و هوازن، و سعد بكر، و معانيها كلها واحدة. و احتج الأزهري ٢٩ لهذا القول بقول عثمان في جمع القرآن: «و ما اختلفتم أنتم و زيد فاكتبوه بلغة قريش، فإنه

أكثر ما نزل بلسانه». و في رواية: «إنما نزل بلسانهم».

فعلى فرض أن هذه الرواية الأخيرة هي المحفوظة، فإن الحصر ب (إنما) ليس حصراً حقيقياً بل إضافياً؛ لكثرة ما نزل بلغه قريش. ونقل الزركشى عن ابن قتيبة وغيره إنكارهم أن يكون في القرآن حرف من غير لغة قريش لقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ قَتَيْبَةَ قَوْلَهُ: وَلَا نَعْرِفُ فِي الْقُرْآنِ حَرْفًا وَاحِدًا يَقْرَأُ عَلَيْهِ سَبْعَةٌ أَوْجَه. ثم نقل تغليط ابن الأنباري لابن قتيبة بحروف منها قوله تعالى: وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: أَرْسَلْنَاهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِجُ وَيَلْعَبُ وَقَوْلُهُ بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١١٨

و نقل عن ابن عبد البر أنه نقل عن بعض أهل العلم إنكارهم لأن تكون السبعة أحرف سبع لغات؛ لأن عمرو هشام بن حكيم أهل لغة واحدة ومع ذلك وقع بينهم الاختلاف ٣٠.

و نرى أن ما احتج به ابن قتيبة لا ينهض حجة؛ لأن قوم النبي صلى الله عليه وسلم العرب والناس كافة وليسوا قريشا فقط؛ لأنه أرسل للناس كافة.

و أما ما احتج به ابن عبد البر فيدفعه أن شأن القراءة هو التلقى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا فرق بين أن يكون المتلقون من لغة واحدة أو من عدة لغات.

وقد أجاد الآلوسى في نقله لرد السيوطى على هذه الشبهة بأنه: هل من أحد يدعى أن الإنزال كان كما كان ثم أهل اللغات هذبوه و رشحوه بكلماتهم بعد الإذن لهم بذلك؟؛ ولذا لا يتصور اختلاف أهل اللغة الواحدة، والقبيلة الواحدة. ونقل عن الإمام السيوطى أن مرجع السبع الرواية لا الدراية بأن الصحابي قد يعي ما فى القراءة أو الرواية من لغات غير لغته وقد لا يدري، ومن ثم قد ينكر أحد الراويين رواية وقراءة الآخر ٣١.

نعم، إن القول بأن السبعة أحرف سبع لغات قد يتحقق معه التيسير المراد من إنزال القرآن على سبعة أحرف، ولكن الحديث عن السبعة أحرف ليس قاصراً على الكلام عن التيسير فحسب، بل هناك مقامات بلاغية تختلف فيها أنظار العرب، وكذلك مقام الإيجاز مع التفسير لتحقيق حجة الإعجاز لفهم الخصم، ولو كان تعدد القراءات بمثابة تعدد الآيات لذهب مقصد الإيجاز وتضخم القرآن و عاد النقض على المقصود من التيسير؛ ولذا فهذا الوجه ليس عندى بمرتضى.

ويشتد القصور والسقوط عن درجة القبول فى القول القائل بالاختصار على ضرب مخصوص من اللغات، وهو الألفاظ المترادفة وما يقاربها، وقد سبق أن نسبه القرطبي لأكثر أهل العلم. ولقد كان لأصحاب هذا القول حجج كثيرة أوضح من صرح بها وأطال فى سردها أبو جعفر الطبرى.

ولذا سنجمل ما جاء فى تفسيره من أدلة على هذا القول: فقد بدأ بإنكار وجود حرف فى كتاب الله قد قرئ بسبع لغات، وألزم الخصم بأنه لو قال بأن الأحرف السبعة سبع لغات مثبتة فى القرآن لما صح أن يقع الخلاف الوارد بين الصحابة فى القراءة، وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لهم على هذا الخلاف. وذكر أن مجرد الجمع بين هذا القول وحججه مفسد له؛ لأن أصحاب هذا القول يحتجون بما روى عن الصحابة والتابعين أنه قال: هو بمنزلة قولك: (تعال) و (هلم) و (أقبل)، أو هو بمثابة قراءة ابن مسعود (إلا زقية) و هى فى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١١٩

قراءتنا (إلا صيحة)، فهذه الحجج مبطله لمقاتلهم؛ لأن ذلك لا يعنى اللغات السبع فى حرف واحد أو كلمة واحدة، بل يعنى اختلاف الألفاظ مع اتفاق المعانى. ثم طالب أصحاب هذا القول بحرف واحد من الكتاب مقروء بسبع لغات.

ثم انتقل للجواب عن السؤال: أين الأحرف السبعة الآن التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة بها. هل نسخت و رفعت؟ فأجاب بأنها لم تنسخ و لم تضيعها الأمة؛ لأن الأمة أمرت بحفظ القرآن و خيرت فى قراءته و حفظه بأى الأحرف السبعة شاءت، كالحال فى الحث فى اليمين تأتى بأى الخصال الثلاث شئت، فتكون بذلك مصيبا مكفراً، و قد رأت الأمة لعله من العلل، الثبات على

حرف واحد دون سائر الحروف الستة الباقية. ثم ذكر أحاديث جمع القرآن، ثم ذكر أن هذه الأخبار التي يضيق عنها كتابه تكشف عن أن عثمان رضي الله عنه رأفه وشفقة بالأمه جمع الناس على حرف واحد لمنع الفتنة التي بدأت تظهر في عصره من إنكار بعض الناس لبعض الحروف في القرآن، فأطاعته الأمة في ذلك ووافقت عليه. حتى آل الأمر الآن إلى أنه لا قراءة إلا بالحرف الواحد الذي اختاره إمام المسلمين و أمير المؤمنين للأمة و وافقت عليه الأمة في عصره و أقرته.

ثم أجاب عن سؤال ملخصه كيف جاز للأمة ترك القراءة ببعض أحرف القرآن؟ فأجاب بأن القراءة بالأحرف السبعة كانت رخصة يباح استخدامها وليس فرضاً؛ لأنه لو كان فرضاً لوجب العلم بالأحرف السبعة على من تقوم الحجة بنقلهم، و لما لم يفعلوا ذلك علم عدم فرضيته.

أما جعل اختلاف القراءة في ضبط الكلمات مفسراً لقوله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف». فيراه الطبري غير صحيح؛ لأنهم اتفقوا على أن الخلاف في مثل هذه التوجيهات والضبط لا يوجب تكفير المماري فيه كما هو الحال في المماري في الأحرف السبعة.

ثم أجاب عن تساؤل عن علمه بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن و ألسنتها؟ فأجاب بأن الأحرف الستة الأخرى لا حاجة لنا بمعرفتها؛ لأننا إن عرفناها اليوم ما قرأنا بها للأسباب السابقة، و قيل: إن خمسة منها لعجز هوازن و اثنين لقريش و خزاعة. و ذكر روايات في ذلك عن ابن عباس و ذكر أنها لا يصح الاحتجاج بها ٣٢. و هذا مجمل ما أتى به الطبري من استدلال على رأيه.

و ما قاله الطبري و استدلل به ليس مأخوذاً عليه كله، بل منه ما نوافقه عليه و أخرنا ذكره

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٢٠

لحين كلام الطبري لموافقته ما نعتقه و خاصة في ردّه على القائلين بأن الأحرف السبعة كانت سبع لغات.

و لكن لنا رد آخر على القائلين بهذا الرأي و هو: هل كان للعرب لغات متنافرة لا يفهم بعضهم بعضاً حتى يحتاجوا إلى أن ينزل القرآن على سبع لغات في الكلمة الواحدة؟، فلو كان الأمر كذلك، كيف كانوا يحفظون قصائد شعراء القبائل، و إن لم يكن الشاعر من نفس قبيلة الحفاظ؟ و كيف كان الشاعر يجوب القبائل يعرض شعره بغير ترجمان، فالنابغة تارة عند الغساسنة في الشام، و أخرى عند المناذرة في العراق، و شعره يفهمه أهل القريتين، و المعلقات السبع على أستار الكعبة يفهمها القاصي و الداني، و أسواق العرب الجامعة يتعامل فيها الناس، و يتساجل فيها الشعراء، و هم من قبائل شتى. و النبي صلى الله عليه و سلم يقابل الوفود و يعرض عليهم الإسلام يفهمون كلامه.

و أيضاً الترادف، و إن كان القائلون به هم الأكثرون و لكنهم لم يذكروا من ثمراته أن العرب كانوا مضطرين إليه لفهم بعضهم بعضاً؛ و لذا فهذا الرأي رأى ساقط عند الطبري و عندنا.

و فيما نرى أن الطبري يقرر بكل وضوح و صراحة و صرامة أن اختلاف اللهجات و اللغات و القراءات في النطق لا علاقة لها بحديث تعدد الأحرف السبعة، و هذا هو مذهب الطبري الذي صرح به، فلا داعي للتفرقة بين اللازم الين و غيره؛ لأنه هو مذهب الرجل.

و الذي يدفعا للرد على كلام الطبري، أن مؤدى مذهبه هذا ضياع ستة أحرف من القرآن و أن القرآن في العصر المكي كان قاصراً على قريش، و أن من سواهم ممن عرض عليهم الإسلام معذورون غير مقصرين في الجحود و الكفر بمعجزته و شريعته لعدم فهمهم. و كل هذا مناف لما كان عليه العرب و واقعهم.

و الظاهر من كلام الطبري أنه يرى أن حكمه التيسير تقتضى أن تشمل الأحرف السبعة القرآن كله أو أكثره، و عليه يلزمه ما قدمناه، و لو عكس دعواه فجعل اختلاف اللهجات سبيلاً إلى اختلاف النطق، فهذا لا تكون هناك صلة بين دعواه و حديث الأحرف السبعة، بل بهذا يعود الاختلاف إلى حرف واحد و يلزمه ما لزمه من قبل.

و ما استدلل به من آثار لم يصح منها أثر واحد، على ما سبق أن وضحنا، و لم يجد فيها مثالا واحداً يؤيد دعواه حتى اخترع

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٢١

مثال (هلم، وأقبل، وتعال، وإلى، وقصدي، ونحوي، وقربي)، وحتى هذا المثال لا يصح إلا إذا أثبت أن هذه الألفاظ بألسنة مختلفة لا بلسان واحد.

أما استدلاله بأن اختلاف الناس في القراءة هو الذي دفع عثمان رضي الله عنه أن يجمع المصحف على حرف واحد لدرء الخلاف، و تشبيهه لما فعله عثمان بأنه مثل اختيار خصلة من خصال الكفارة، فلا نوافقه عليه؛ لأن السبب المعقول أن الصحابة لما تفرقوا في الأمصار وأقروا الناس بقراءاتهم التي سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم حفظ منهم أهل الأمصار المختلفة قراءتهم، فلما اجتمع أهل الأمصار المختلفة في غزاة سمع بعضهم قراءة بعض، فدفع الجهل والعصبيّة بعضهم إلى أن يقول: قراءة تى خير من قراءة تك. فرأى عثمان أن يجمع الناس على مصحف واحد بعد أن قال له حذيفة رضي الله عنه: أدرك أمتك قبل أن تختلف اختلاف اليهود والنصارى. فهل كان حذيفة يقصد أن يدرك عثمان الأمة من البلاء الذي ينزل عليهم بسبب الأحرف السبعة! بل الصواب أن عثمان رضي الله عنه جمعهم على مصحف واحد يجمع كل ما هو قرآن، وينفي عنه كل ما ليس بقرآن، فجمع المصحف على سبعة أحرف. وأما تشبيهه للأحرف بخصال الكفارة فهو لا يستقيم؛ لأن خصال الكفارة كلها مخلوقة من أفعال العباد، أما الأحرف السبعة فهي منزلة من عند الله - سبحانه وتعالى - فهي من القرآن المعجز؛ ولذا لم يرتض أهل التحقيق من المتكلمين والفقهاء والقراء ما ذهب إليه الطبري وشيعته، ونقل ابن الجزري أن جماعات الفقهاء والمتكلمين والقراء على أن المصاحف العثمانية جمعت الأحرف السبعة. ونقل البدر العيني عن أبي الحسن الأشعري الإجماع على عدم جواز تضيق ما وسعه الله على عبده من إنزاله القرآن على أحرف، ولا حرج أن يقرأ بأى حرف شاء مما نزل به القرآن. وقرر أبو شامة ذلك في «المرشد الوجيز» في غير ذات موضع: فمرة ينقل عن أبي بكر ابن الطيب أن مصحف عثمان جمع ما قرأ به النبي صلى الله عليه وسلم الناس، وصل إلينا متواترا، أما الأحاد فلم يدونه كقراءة ابن مسعود في: فَإِنْ فَاؤُ زَادَ فِي قِرَاءَتِهِ (فيهن). وفي موضع آخر يقرر أنه - عثمان - ما كان هو ولا أحد من أئمة المسلمين يستجيز المنع من القراءة بحرف ثبت أن الله - تعالى - أنزله. وموضع ثالث ينفي ما يتوهم من أن المصاحف العثمانية جمعت حرفا واحدا، بل جمعت الأحرف السبعة حتى يقرر أن عثمان رضي الله عنه عرف حاجة الناس للأحرف السبعة فأثبتها في مصحفه.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٢٢

أما اختياره لحرف زيد فلأنه اجتمع عليه المهاجرون والأنصار فكان مشهورا مستفيضا وأشار إلى أنه سمي بحرف زيد؛ لأنه هو الذي رسمه في المصاحف وتولى إقراءه دون غيره. ونقل الأبي في شرح مسلم عن القاضي عياض مثل ما نقلنا عن أبي شامة في اشتمال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة، ثم نقل الأبي عن ابن عرفة المالكي أن الأحرف باقية ومحفوظة مع مرور المئين من السنين.

### الوجه الرضى في الأحرف وكيف اكتملت به العدة سبعة:

الوجه الرضى عندي: أن المقصود بالحرف الوجه من وجوه القراءات، وهو الرأى الثانى الذى ذكره أبو عمرو الدانى. وقد أخفق بعض العلماء فى عدّ هذه الوجوه السبعة كأبى عمرو الدانى. ونجح بعضهم كابن الجزرى فقال: «وذلك أنى تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة من الاختلاف لا يخرج عنها وذلك: إما فى الحركات بلا تغيير فى الصورة والمعنى نحو (البخل) ٣٣ بأربعة (و بحسب) بوجهين ٣٤ أو بتغيير فى المعنى فقط نحو فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ، ٣٥ وَ اذْكَرَ بَعِيدَ أُمَّةٍ ٣٦ و أمه. وإما فى الحروف بتغيير المعنى لا- الصورة نحو: (تبلو و تلووا). ٣٧ وَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِنُكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ وَ (ننحيك بيدنك)، ٣٨ أو عكس ذلك نحو (بسطه و بسطة)، و (الصراط و السراط)، أو بتغييرهما نحو: (أشد منكم و منهم)، ٣٩ و (يأتل و يتأل)، ٤٠ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، و (فامضوا ٤١ إلى ذكر الله)، وإما فى التقديم و التأخير نحو: فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ٤٢ (و جاءت سكرة الحق بالموت) ٤٣ أو فى الزيادة و النقصان نحو:

(و أوصى و وصى، و الذكر و الأنتى). ٤٤ فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها. و أما نحو اختلاف الإظهار، و الإدغام، و الروم، و الإشمام، و التفخيم، و الترقيق، و المد، و القصر، و الإمالة، و الفتح، و التخفيف، و التسهيل، و الإبدال، و النقل، مما يعبر عنه بالأصول، فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فيه اللفظ و المعنى؛ لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا، و لئن فرض فيكون من الأول. ثم رأيت الإمام الكبير أبا الفضل الرازى حاول ما ذكرته فقال: إن الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه:

الأول: اختلاف الأسماء من الأفراد و التثنية و الجمع و التذكير و التأنيث و المبالغة و غيرها.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٢٣

الثانى: اختلاف تصريف الأفعال و ما يسند إليه من نحو الماضى و المضارع و الأمر و الإسناد إلى المذكر و المؤنث و المتكلم و المخاطب و الفاعل و المفعول به.

الثالث: وجوه الإعراب.

الرابع: الزيادة و النقص.

الخامس: التقديم و التأخير.

السادس: القلب و الإبدال فى كلمة بأخرى و فى حرف جر بآخر.

السابع: اختلاف اللغات من فتح و إمالة و ترقيق و تفخيم و تحقيق و تسهيل و إدغام و إظهار و نحو ذلك.

ثم وقفت على كلام ابن قتيبة- و قد حاول ما حاولنا بنحو آخر- فقال: و قد تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءات فوجدتها سبعة:

الأول: فى الإعراب بما لا- يزيل صورتها فى الخط و لا يغير معناها نحو: (هن أظهر لكم- و أظهر) ٤٥. (و هل يجازى إلا الكفور- و نجازى ٤٦ إلا الكفور)، و (البخل و البخل)، (و ميسرة و ميسرة). ٤٧

و الثانى: الاختلاف فى إعراب الكلمة و حركات بنائها بما يغير معناها و لا يزيلها عن صورتها نحو: (ربنا باعد، و ربنا باعد، ٤٨ و إذ تلقونه، و إذ تلقونه، ٤٩ و بعد أمه، و بعد أمه).

الثالث: الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها و لا يزيل صورتها نحو: (و انظر إلى العظام كيف ننشزها و ننشرها) ٥٠، (و إذ فرغ عن قلوبهم، و فرغ). ٥١

الرابع: أن يكون الاختلاف فى الكلمة يغير صورتها و معناها نحو: (طلع منضود) فى موضع و طَلَحٍ مَنضُودٍ فى آخر.

الخامس: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب و لا يغير معناها نحو: (إلا زقية واحد- و صيحة ٥٢ واحدة، و كالعهن المنقوش- و كالصوف). ٥٣

السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم و التأخير نحو: (و جاءت سكرة الحق بالموت- سكرة الموت بالحق-).

السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة و النقصان نحو (و ما عملت أيديهم- و عملته-) ٥٤، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٥٥ (و هذا أخى له تسع و تسعون نعمة أنثى). ٥٦

ثم قال ابن قتيبة: و كل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قلت: و هو حسن كما قلنا و هناك أمثلة أخرى لاختلاف القراءات أكثر وضوحا مثل:

(بضنين) بالضاد (و بظنين) بالطاء ٥٧ (و أشد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٢٤

منكم، و أشد منهم) على أنه قد فاته كما فات غيره أكثر أصول القراءات. كالإدغام، و الإظهار، و الإخفاء، و الإمالة، و التفخيم، و بين، و المد، و القصر، و بعض أحكام الهمز، كذلك الروم، و الإشمام، على اختلاف أنواعه، و كل ذلك من اختلاف القراءات، و



تغاير الألفاظ مما اختلف فيه أئمة القراء، وقد كانوا يترافعون بدون ذلك إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و يرد بعضهم على بعض، كما سيأتى تحقيقه و بيانه فى باب الهمز و النقل و الإمالة، و لكن يمكن أن يكون هذا من القسم الأول فيشمل الأوجه السبعة على ما قرناه ٥٨ أ هـ.

و ما نقله ابن الجزرى - رحمه الله - عن ابن قتيبة هو بعينه ما حكاه القاضى الباقلانى عن بعض أهل العلم، لكن مع نوع تغير فى العبارات و تصرف فى زيادة بعض الأمثلة، و ليس قولاً مستقلاً فى المسألة كما توهم شيخ أشياخنا الزرقانى، و لينظر قارئنا الكريم بشىء من الإمعان إلى هذا النص من تفسير القرطبي قال - رحمه الله: (القول الرابع: ما حكاه صاحب «الدلائل» عن بعض العلماء، و حكى نحوه القاضى ابن الطيب قال:

تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءة فوجدتها سبعة:

منها: ما تتغير حركته، و لا يزول معناه و لا صورته مثل: هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ و أَطْهَرُ، و يَضِيقُ صَدْرِي و يَضِيقُ.

و منها: ما لا تتغير صورته و يتغير معناه بالإعراب، مثل: رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا و بَاعِدْ.

و منها: ما تبقى صورته و يتغير معناه باختلاف الحروف، مثل قوله: نُشْرُهَا و نَشْرُهَا.

و منها: ما تتغير صورته و يبقى معناه:

كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ و كَالصَّوْفِ الْمَنْفُوشِ.

و منها: ما تتغير صورته و معناه؛ مثل:

وَ طَلْحٍ مَّنْضُودٍ و طَلَعٍ مَّنْضُودٍ.

و منها: بالتقديم و التأخير كقوله:

وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ، و جاءت سكرة الحق بالموت.

و منها: بالزيادة و النقصان، مثل قوله:

«تسع و تسعون نعجة أنثى»، و قوله: «و أما الغلام فكان كافراً و كان أبواه مؤمنين»، و قوله:

«فإن الله من بعد إكراههم لهن غفور رحيم» ٥٩ أ هـ.

فهذا حصر ثلاثة من أكابر العلماء للأحرف السبعة أو الوجوه السبعة بين القراءات، و إن كان بينهم ثمة خلاف فقد رأى العلماء الخضرى و الدمياطى و بخيت المطيعى أن الخلاف بينهم لفظى؛ لأن غاية الاختلاف بينهم اختلاف التعبير عن بعض الوجوه، و زيادة أبى الفضل الرازى اختلاف اللهجات،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٢٥

و هذه الزيادة يمكن ردها إلى الوجوه الأخرى فلا يبقى خلاف حقيقى؛ فابن الجزرى، و إن لم يذكر اختلاف اللهجات ضمن الوجوه، و لكنه أنكر على ابن قتيبة عدم ذكره.

أما انحصار أمر التيسير فى النطق فليس بشرط، كما سبق أن وضحنا، حتى لا ينحصر التيسير فى الوجه السابع فقط، و هو اختلاف اللهجات.

و هناك شبهة أوردها الحافظ و هى:

أن القرآن نزل و أكثر العرب أميون و كانوا لا يعرفون الحروف إلّا بمخارجها. و إن كانت هذه الشبهة قد تنال فى الظاهر مما ذهب إليه ابن قتيبة، فقد ردّ الحافظ بأن ذلك لا يلزم؛ لأن هذا قد يكون وقع اتفاقاً، و إنما اطلع عليه ابن قتيبة بالاستقراء.

و قد زاد الشيخ الزرقانى هذا وضوحاً حيث بين أن هذه الوجوه توصل إليها بالاستقراء، و كان يكفى المسلمين، و إن كانوا أميين فى هذا الوقت، أن يعرفوا أن وجوه الاختلاف سبعة، و إن لم يضعوا لهذه الوجوه عناوين؛ لأنهم يعرفون هذه الوجوه تطبيقاً فى كل

مفردات القرآن، و مثل ذلك عدم معرفتهم بالعناوين الخاصة بالإعراب و البناء، و لكنهم يعرفون النطق الصحيح الفصيح. و بذلك اتضح أن كون العرب أميين لا يعرفون العناوين التي ذكرت في الوجوه السبعة هذا لا يعنى عدم وجودها؛ لأن هذه العناوين أسماء لمسميات وجدت كوجوه اختلاف بين القراءات، فهي وصف للواقع، و ليست إنشاء له.

### بقاء الأحرف السبعة في المصحف على هذا الوجه:

بحثنا في هذه المسألة لا يشمل الكلام على قرآنية الأحرف السبعة النازلة، و لا أوجه الخلاف بين القراءات كما صنع الأئمة الثلاثة: ابن قتيبة و أبو الفضل الرازى و ابن الجزرى، لما كان في كلامهم من كفاية الكلام على ما ذهب إليه الشيخان الجليلان محمد بخيت المطيعى و الزرقانى من أن بعض الأحرف السبعة متواترة، و بعضها الآخر غير متواتر و مخالف للمصحف العثمانى فى الرسم فلم تكتب. حتى ادعى الشيخان نسخ ما لم يتواتر منها. و الصحيح أن إثبات أصل القرآنية يحتاج لدليل التواتر، فنحتاج إلى ثبوت التواتر أولاً فيما ادعيا فيه النسخ، و هذا هو المتسق لكلام الأصوليين و غيرهم و لمنطق العقل السليم. و نحن لا نوافق أيضاً على ما ذهب إليه الشيخ المطيعى من لفظية الخلاف بين القائلين ببقاء الأحرف السبعة فى المصحف و بين القائلين ببقاء حرف واحد فقط كما قال الطبرى و غيره. و حاولنا لتفهم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٢٦

كلام الشيخ أن نغض الطرف عن الخلاف بين القولين فى أن أحدهما يعقبه الكفر و الآخر لا، و أن أصحاب القول الثانى يقولون: إنما أثبت من القراءات المشهورة ما وافق الرسم العثمانى فقط كذلك غض النظر عن تفرقة الطبرى الغريبة بين جحد الحرف و جحد القراءة، إذا غضضنا الطرف عن هذا كله، سيبقى الخلاف عندنا حقيقياً، لما قلناه من عدم صحة دعوى النسخ لشيء من الأحرف السبعة النازلة. و كان سبيلنا لإثبات وجود الأحرف السبعة إيجاد مثال واحد فى القرآن، و قد كان تعليقنا على ما ذكرناه من نصوص الأئمة الثلاثة: ابن قتيبة و الرازى و ابن الجزرى ما فيه كفاية فى هذا الباب.

و نلاحظ فى المثل المذكور فى هذه النصوص و حواشئ عليها أن مثل الزيادة و النقص لا تكون من مصحف واحد. فلا تجتمع الزيادة و النقص فى مصحف واحد، و نلاحظ أيضاً قلة أمثلة الإبدال فى تغير الحرف و الصورة معاً سواء تغير المعنى أم لا.

### ليست قراءات الأئمة السبعة تمام الأحرف السبعة:

سبق لنا عرض نصّ الأبيّ فى شرح مسلم الذى نقل عن ابن عرفة المالكي أنه يرى أن الأحرف السبعة هى القراءات السبع، و أن قراءة يعقوب داخله فيها، و لكن الإمام ابن الجزرى فى النشر ردّ هذا القول و نسبه للعوام، و احتج على من قال بأن الأحرف السبعة وجدت قبل وجود القراء السبعة، و قبل جمعها على يد ابن مجاهد فى القرن الرابع.

و ذكر فى موضع آخر أن مسألة بقاء الأحرف السبعة مفرعة على مسألة هل يجوز للأمة ترك شيء من الأحرف المتواترة؟ فمن منع أوجب أن تكون الأمة تقرأ بالأحرف السبعة إلى اليوم، و إلا اجتمعت الأمة المعصومة على ضلالة. و لكنه ذكر أن القراءات السبعة أو العشرة المشهورة بالنسبة لما كان يقرأ به الصحابة و التابعون نزر من بحر.

و نحن نوافق ابن الجزرى فيما قاله من إنكار أن تكون القراءات سبعة؛ لأن التواتر للقراءات لم ينحصر فى السبعة المشهورة و هى قراءات نافع و ابن كثير و أبى عمرو و ابن عامر و عاصم و حمزة و الكسائى، بل تعدى إلى قراءات الأئمة الثلاثة المتممة للعشرة و هم: أبو جعفر و يعقوب و خلف أحد راوى حمزة، فقد ذكر الجلال المحلى أن الأخير كانت اختياراته من أوجه فى السبعة، و لكنه صار وجهاً مستقلاً به؛ و لذا صارت قراءة مستقلة.

و لكننا لا نوافق الإمام ابن الجزرى فيما ذكره من أن القراءات السبع بالنسبة للقراءات التي كان يقرأ بها الصحابة و التابعون نزر من



الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٢٧

بحر، و الذى حملة على ذلك هو انخداعه بقول سابقه من أمثال: أبى عباس المهدي، و أبى محمد مكي، و أبى شامة، و ابن تيمية، فى عدم اشتراط التواتر فى ضوابط القراءة المقبولة حتى نظم ابن الجزرى هذا الرأى فى «طيبة النشر» فقال:

و كل ما وافق وجه نحوى و كان للرسم احتمالاً يحوى

و صحّ إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

و حيثما يختل ركن أثبت شدوده لو أنه فى السبعة بل لقد أنكر ابن الجزرى على جماهير القراء و الفقهاء و المحدثين اشتراطهم التواتر فى القراءة.

و نحن نسأل ابن الجزرى: أين ذهب القراءات التى هى سوى العشرة المشهورة و التى كان يقرأ بها السلف، مع الأخذ فى الاعتبار أنه لا تصح دعوى النسخ إلا بإثبات أصل القرآنية بالتواتر، و إذا كان السلف يقرءون بها، فهى لم تنسخ لانقطاع الوحى، بل إن هذا القول يكذبه القرآن نفسه بقوله تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.**

و الخلاصة: أن القراءات السبع هى بعض أحرف القرآن السبعة لا- كلها، و أن القراءات العشر المشهورة بين أيدي الناس اليوم هى جميع الأحرف السبعة التى أنزل الله عليها القرآن. و إن شئت قلت: الأحرف السبعة هى القراءات العشر بلا أدنى فرق بين العبارتين. و الله أعلم.

أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفه مراجع للبحث و الاستزادة: (١) اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر، للشيخ أحمد الدمياطى الشهير بالبناء، طبع و نشر عبد الحميد أحمد حنفى.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى.

(٣) إكمال إكمال المعلم شرح مسلم، لأبى عبد الله الأبي، مكتبة طبرية، الرياض.

(٤) بذل المجهود فى حل أبى داود، للشيخ خليل أحمد السهارنفورى، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٥) البرهان فى علوم القرآن، لبدر الدين الزركشى.

(٦) جامع الترمذى.

(٧) جامع البيان عن تأويل آى القرآن، للطبرى.

(٨) جامع البيان فى القراءات السبع، لأبى عمر الدانى، قطعه من مقدمه حققها دكتور عبد المهيمن طحان و وضعها تحت عنوان «الأحرف السبعة للقرآن» دار المنارة للنشر و التوزيع، مكة المكرمة.

(٩) الجامع الصحيح، للبخارى.

(١٠) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.

(١١) روح المعانى، للآلوسى.

(١٢) زهر الربى شرح المجتبى، للسيوطى، ط المكتب العلمى، بيروت، لبنان.

(١٣) سنن أبى داود.

(١٤) شرح النووى لصحيح مسلم، مؤسسه مناهل العرفان، بيروت، نشر مكتبة الغزالي، دمشق.

(١٥) صحيح مسلم. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ١٢٨ ليست قراءات الأئمة السبعة تمام الأحرف السبعة: ..... ص: ١٢٦

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٢٨

(١٦) عمدة القارى شرح صحيح البخارى، لبدر الدين العيني، ط دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.

(١٧) عون المعبود شرح سنن أبى داود، لأبى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى، ط دار الحديث، القاهرة.

- (١٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني.
- (١٩) فضائل القرآن، للحافظ ابن كثير، ط عيسى البابي الحلبي.
- (٢٠) الكلمات الحسان في الحروف السبعة و جمع القرآن، للشيخ محمد بخيت المطيعي.
- (٢١) مجمع الزوائد و منبع الفوائد للحافظ الهيثمي، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- (٢٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف و الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- (٢٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة، د. طيار آلتى قولاج، دار وقف الديانة التركي للطباعة و النشر،- أنقرة.
- (٢٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط الحلبي.
- (٢٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.
- (٢٦) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، نشر عباس أحمد الباز، المروء، مكة المكرمة، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الهوامش:

- (١) انظر: (ج ١ ص ١٦٣).
- (٢) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي المنهال بلفظ مقارب بلاغا ثم قال: «رواه أبو يعلى في مسنده و الطبراني في الكبير و فيه راو لم يسم» (ج ٧ ص ١٥٢).
- (٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٤٢.
- (٤) فتح الباري ج ٩ ص ٢٣. و عبارة القاضي عياض حسبما نقلها عنه الإمام النووي في شرح صحيح مسلم هكذا: (قال القاضي عياض: قيل: هو توسعه و تسهيل لم يقصد به الحصر قال: و قال الأكثرون: هو حصر للعدد في سبعة) ج ١ ص ٩٩. و هذه العبارة من القاضي لا تفهم جنوحه إلى عدم الانحصار كما ذكر الحافظ لا نصا و لا ظاهرا إلا أن يكون الحافظ أخذ هذا من مجرد ابتداء القاضي به مع كونه غير متعين فيما ذكره، و لا سيما أنه جاء من القاضي على صورة التمريض (قيل)، أو يكون الحافظ قد اطلع من كلام القاضي في موضع آخر على ما هو أصرح من هذا فهو و ذلك. و الله اعلم.
- (٥) هو أحد القراء كان يقرأ بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة نسبت إليه توفي سنة ٢٣١ هـ. إنباه الرواة ٣ ص ١٤٠. و انظر البرهان ج ١ ص ٢١٣، و الإتيان ج ١ ص ١٦٤.
- (٦) انظر شرحه لسنن النسائي المسمى زهر الربى على المجتبى ج ٢ ص ١٥٢.
- (٧) انظر: بذل المجهود في حل ألفاظ أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري ج ٧ ص ٣٢.
- (٨) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، و صحيح مسلم كتاب صلاة المسافر باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف و بيان معناه.
- (٩) قال البدر العيني في عمدة القاري في شرح هذا الحديث من كتاب الخصومات من الجامع الصحيح تحت عنوان ذكر تعدد موضعه (أي من صحيح البخاري و من أخرجه غيره) أخرجه البخاري من فضائل القرآن عن سعيد بن عفير، و في التوحيد عن يحيى بن بكير عن ليث عن عقيل، و في استتابة المرتدين و قال الليث: حدثني يونس، و في فضائل القرآن أيضا عن أبي اليمان عن شعيب. و أخرجه مسلم في الصلاة عن يحيى بن يحيى عن مالك به، و عن حرملة عن ابن وهب، و عن إسحاق بن إبراهيم و عبد الله بن حميد، و أخرجه أبو داود عن العقبي عن مالك به، و أخرجه الترمذي في القراءة عن الحسن بن علي العلال و أخرجه النسائي في الصلاة عن

يونس بن عبد الأعلى و عن محمد بن سلمة و الحارث بن مسكين، و في فضائل القرآن أيضا عنهما. ج ١٢ ص ٢٥٨.  
و قوله: أساوره أي أوائبه، و قوله: فلببته بردائه، أي: جمعته عليه عند لبته و هي النحر. أي: أخذت بخناقه.

(١٠) صحيح المسلم الموضع السابق.

(١١) أخرجه الترمذى (أبواب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه و سلم - باب ما جاء أن القرآن نزل على سبعة أحرف).

(١٢) النشر في القراءات العشر: (ح ١ ص ٢٢) و ما بعدها.

(١٣) النشر في القراءات العشر، (ح ١ ص ٥٢ - ص ٥٤).

(١٤) قول الحافظ و قيل: بالمد و الهمز إلخ راجع للجمع لا للمفرد، و عبارة النووى من شرح مسلم فى بيان هذه اللفظة (عند أضاء بنى غفار) هى بفتح الهمزة و بضاد معجمة مقصورة، و هى الماء المستتق كالغدير و جمعها أيضا كحصاة و حصا، و إضاء بكسر الهمزة و المد كأكمة و إكام. ح ٦ ص ١٠٤.

(١٥) فتح البارى ج ٩ ص ٢٨.

(١٦) صحيح البخارى (كتاب فضائل القرآن - باب بيان نزول القرآن بلسان العرب و باب جمع القرآن).

(١٧) فتح البارى: (ح ٩ ص ٩).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٢٩

(١٨) فى حديث إسلام أبى ذر عند مسلم قوله: (و قال نصفهم «يعنى قومه غفارا» إذا قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة أسلمنا، فقدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة فأسلم نصفهم الباقي، و جاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله! إخواننا - نسلم على الذى أسلموا عليه فأسلموا. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «غفار غفر الله لها. و أسلم سالمها الله» صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم، باب فضائل أبى ذر رضى الله عنه.

(١٩) انظر: مقدمة جامع البيان لأبى عمرو الدانى (المحققه منفصلة باسم الأحرف السبعة) د. عبد المهيمن الطحان، (ص ٤٦).

(٢٠) انظر مثلا: روح المعانى، للآلوسى: (ح ١ ص ٢٠).

(٢١) انظر: فتح البارى، للحافظ ابن حجر (ح ١ ص ٢٩).

(٢٢) النشر فى القراءات العشر، لابن الجزرى: (ح ١ ص ١٧١).

(٢٣) الإتيان: (ح ١ ص ١٧١).

(٢٤) مناهل العرفان: (ح ١ ص ١٨٢ - ص ١٨٤).

(٢٥) القطعة التى حققها د. عبد المهيمن الطحان (ص ٢٧ - ٣٠).

(٢٦) النشر فى القراءات العشر: (ح ١ ص ٢٤).

(٢٧) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد: صاحب كتاب «الجمهرة فى اللغة» و ناظم المقصورة (ت ٣٢١ هـ ببغداد) - إنباء الرواة (ح ٣ ص ٩٢).

(٢٨) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني صاحب المبرد، مات بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ.

(٢٩) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى، صاحب كتاب «التهذيب» توفى سنة ٣٧٠ هـ (اللباب: ح ١ ص ٣٨).

(٣٠) البرهان: (ح ١ ص ٢١٨) و ما بعدها.

(٣١) روح المعانى: (ح ١ ص ٢١).

(٣٢) انظر: تفسير الطبرى (الطبعة المحققة): (ح ١ ص ٥٥ ص ٥٩) (ح ١ ص ٦٣ - ص ٦٦).

- (٣٣) هي ضم فسكون و ضمتان، و فتح فسكون و فتحتان، و المتواتر من ذلك أول الأربعة و آخرها.
- (٣٤) كسر السين و فتحها، و القراءتان متواترتان.
- (٣٥) برفع آدم و نصب كلمات و بالعكس، و القراءتان متواترتان.
- (٣٦) بضم الهمزة و تشديد الميم و بعدها تاء تأنيث بمعنى حين، و هي المتواترة، و أمه بفتحات آخره هاء وصلًا و وقفًا بمعنى النسيان و هو شاذ لا يقرأ به.
- (٣٧) أي من قوله تعالى في سورة يونس: هُنَالِكَ تَبْلُغُوا كُلَّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ و القراءه باللفظين متواترة.
- (٣٨) ننحيك بالجيم و هي المتواترة و ننحيك بالحاء و هي شاذة.
- (٣٩) في موضعين من سورة غافر آية ٢١، آية ٨٢ و القراءتان متواترتان.
- (٤٠) الأولى بصورة الافعال من الألو بمعنى التقصير، و الثانية بصورة الفعل من الآلية بمعنى الحلف، فيختلف المعنى كما اختلفت الصورة. هذا مراده، و لا- يتعين لإمكان أن تكون الصورتان معا بمعنى الحلف فيكونا من تغير الصورة دون المعنى و القراءتان متواترتان.
- (٤١) الأولى هي المتواترة، و الثانية بالغة الشذوذ، و قد مشى ابن الجزرى هنا على أن السعى يفيد معنى الإسراع، و المضى يفيد السير العادي، و من ثم اختلف المعنيان على هذا.
- (٤٢) بتقديم المبني للمعلوم على المبني للمجهول و عكسه، و القراءتان متواترتان.
- (٤٣) بالغة الشذوذ، و المتواتر ما في المصحف.
- (٤٤) أي مع و ما خلق الذكر و الأنثى، و النقصان بالغ الشذوذ.
- (٤٥) هود آية ٧٨. قرأ لفظ (أطهر) بالرفع على الخبرية، و هي القراءة المتواترة، و بالنصب على الحالية و هي ضعيفة بالغة الشذوذ.
- (٤٦) أي بالغيبة و البناء للمجهول و بنون العظمة، و القراءتان متواترتان.
- (٤٧) فَظَرُّهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ الْبَقْرَةَ ٢٨٠. قرأت مَيْسَرَةٍ بفتح السين و ضمها، و القراءتان متواترتان.
- (٤٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا- سبأ- بنصب ربنا على النداء و سكون دال باعد على الطلب، و برفع ربنا على الابتداء و فتح دال باعد على المضى، و القراءتان متواترتان.
- (٤٩) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ النور آية ١٥ قرئ (تلقونه) بحذف إحدى التاءين من التلقى أي (تلقونه)، و هي القراءة المتواترة، و قرئ شذوذًا (تلقونه) بضم تاء المضارعة و تسكين اللام أي يلقيه بعضكم إلى بعض من الإلقاء، (و تلقونه) بفتح و كسر اللام و تخفيف القاف مع ضمها من (الولق)، هو الكذب، و هما شاذتان.
- (٥٠) وَ أَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا الْبَقْرَةَ ٢٥٩ قرئ (ننشزها) بالزاي أي نرفعها و نضم بعضها إلى بعض، و (ننشزها) بالراء أي نبعثها و نحياها، و القراءتان متواترتان.
- (٥١) في سبأ قرئ (فزع) بالبناء للمعلوم و للمجهول. و هما متواترتان، و قرئ (فرغ) بالراء و الغين و هي شاذة.
- (٥٢) يس و ص و المتواتر (صيحة و زقية) و إن كانت بمعناها هي بالغة الشذوذ مخالفة لرسم المصحف.
- (٥٣) القارعة و المتواتر ما في المصحف.
- (٥٤) وَ مَا عَمَلْتَهُ أَيْدِيهِمْ ب يس قرئ بحذف الهاء و إثباتها، و هما متواترتان.
- (٥٥) و من يقول فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ الْحديد ٢٤ قرئ بحذف هو و إثباتها و القراءتان متواترتان.
- (٥٦) كلمة (أنثى) زائدة على الرسم و هي في غاية الشذوذ و المتواتر حذفها.
- (٥٧) وَ مَا هِيَ عَلَى الْغَيْبِ بَصْنَيْنِ- التكوير قرئ بالضاد من الضن بمعنى البخل و الكتمان، و بالطاء من الظنة و هي التهمة، و هما

متواترتان.

(٥٨) النشر في القراءات العشر، لابن الجزرى (ج ١ ص ٢٦- ص ٢٨).

(٥٩) مقدمة تفسير القرطبي (ج ١ ص ٤٥ و ما بعدها).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٣٠

### عروبة لغة القرآن، و هل يقدر فيها المعرب؟

ترجم البخارى فى «جامعه الصحيح» بابا بعنوان (نزل القرآن بلسان قريش و العرب) و ذكر فيه قوله تعالى: قُرْآنًا عَرَبِيًّا، و قوله تعالى: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ثم ذكر طرفا من حديث أنس رضى الله عنه فى جمع القرآن، و فيه قول عثمان: (إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت فى عريية من عريية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم). و ما ذكره الإمام البخارى يكشف عن أنه يرى أن قريشا لم يقتصر القرآن على لسانها، و إن كانت هى أسعد حظا به من غيرها؛ و لذا قدم لسان قريش ثم سائر العرب.

و لا يعنى هذا عندى ما ذهب إليه الطبرى من تناكر ألسنة العرب و عدم اثلافاها بما يسبب اختلافا فى جواهر ألفاظها، و إنما أفهم منه اختلاف اللهجات فى النطق بالألفاظ؛ و لذا لم أره حسنا ما صنعه بعض الأئمة من عقد أنواع مخصوصة فى كتبهم لما ورد فى القرآن بغير لغة الحجاز، منهم الزركشى و السيوطى، فعدوا سبعا و ثلاثين لغة. و ما أحسب إلّا الاتفاق فى جواهر الألفاظ هو الذى سوغ جمع هذه الألسنة فى لسان واحد فى قوله تعالى: لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، و قوله فى سورة الشعراء: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، و لو كانت مختلفه الجواهر لجمعها كما فى قوله تعالى: وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ. و لكن هذا لا يعنى استيعاب القرآن لكل لهجات العرب، بل اصطفى منها ما لا تنفر الأذان منه، فقد نقل الزركشى عن قاسم بن ثابت ١ فى كتابه «الدلائل» أن من الأحرف ما لقريش و لكنانة و لأسد و هذيل و تميم و ضبة و ألافها و قيس.

و نقل قولاً آخر: أن مضر تستوعب اللغات التى نزل بها القرآن؛ لأن قبائل مضر تستوعب سبع لغات و تزيد.

و نقل الزركشى عن ابن عبد البر: أن قوما أنكروا كون كل لغات مضر فى القرآن؛ لأنها تشتمل على شواذ لا يقرأ بها.

كشكشة قيس و هى قلب الكاف شينا، و عنعنة تميم و هى قلب الهمزة عينا، و كذلك

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٣١

إبدالهم السين تاء. و ما نقل عن عثمان أن القرآن نزل بلسان مضر. معارض بحديث أنس أنه نزل بلغة قريش. ٢

و قد ذكر أبو نصر الفارابى فى كتابه (الألفاظ و الحروف) أن أحسن لسان لسان قريش و أجوده و أسهله، و عنها أخذ اللسان العربى من قيس و تميم و أسد، فهؤلاء هم أكثر من أخذ عنهم، و تركت قبائل لمجاورتها الأعاجم و غير العرب، و لم يؤخذ عن حضرى و لا أحد من سكان البرارى. ٣

و المقصود من هذا البحث: أن القرآن الكريم جاء بأصفي ألفاظ اللغة العربية و أعذبها و أفصحها، مما لا يمكن أن يخدم عريية لغة القرآن، بحيث لا تجد لفظا واحدا فيه إلّا و له أصالة فى العربية، أما ما يدعيه البعض من وجود ألفاظ أعجمية فى القرآن، فليس فى القرآن لفظ أعجمى لا يعرفه العربى أو لم يستعمله، و كيف يصح خلاف ذلك و القرآن يكذبه عند ما يبين أنه نزل بلسان عربى، و هذا يقتضى أن اسم الشىء و وصفه المخلوع على اسمه معا يجب أن يحمل على جميعه كما هو متبادر، و عليه يكون جميع القرآن عربيا، و قد قال - عزّ و جلّ - فى رده على من زعم أن النبى يعلمه بشر فقال: لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ٤ و قال عزّ و جلّ:

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ٥. فالكلمة إذا كانت عريية و لكنها حوشية مجهولة لم تكن

توصف بالفصاحة، فكيف بالكلام الأعجمي مجهول اللفظ والمعنى، و لو كان في القرآن أعجمي لبادر العرب بإنكاره على القرآن. فمن ينفي وجود الأعجمي في القرآن إنما يقصد الذي لا تعرفه العرب و لا تستعمله، و من قال بوجوده فهو يقصد الذي عرفه العرب و استعملوه حتى لان و انقاد للسانهم، و هكذا يكون الخلاف بين الفريقين لفظياً؛ لأنه توارد على محلين لا محل واحد.

و على هذا التحرير يحمل ما نقله الزركشى عن جمهور العلماء، من عدم وجود غير العربي في القرآن، و منهم: أبو عبيدة و الطبرى و القاضى أبو بكر بن الطيب فى «التقريب» و ابن فارس اللغوى و الشافعى فى «الرساله»، و نقل عن الشافعى رده على القائلين بوقوع الأعجمى فى القرآن. ٦ و حكى عن ابن فارس عن أبى عبيدة أنه أنكر قول القائلين بوقوع غير العربي فى القرآن؛ لأنه لو كان واقعا لتوهم متوهم أن العرب عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه يشتمل على غير لغاتهم؛ و لذا أبطل القراءة بالفارسية فى الصلاة لعدم الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٣٢

إعجاز الترجمة، و رأى أن من جوز القراءة بالفارسية فليجوزها بكتب التفسير. ثم نقل عن ابن عباس و عكرمة و غيرهما القول بوقوع غير العربي فيه. ٧

أما السيوطى فقد ذكر أنه أفرد هذه المسألة بالتصنيف فى كتاب «المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب» ملخصه: أن العلماء اختلفوا فى وقوع المعرب فى القرآن، فالأكثر منهم: الشافعى، و الطبرى، و أبو عبيدة، و القاضى أبو بكر، و ابن فارس، على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى: قُرْآنًا عَرَبِيًّا و قوله تعالى: وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيًّا وَعَرَبِيًّا. و شدد الشافعى النكير ثم ذكر قول أبى عبيدة السابق ذكره، و ذكر أن ابن جرير نقل عن ابن عباس و غيره تفسير بعض ألفاظ القرآن بأنها حبشية أو فارسية أو نبطية، من باب توارد اللغات، فقد تكلم العرب و الفرس و الحبش بلفظ واحد، و نقل قولاً آخر أن ذلك جاء لنزول القرآن بلغة العرب العاربة، الذين كانت لهم مخالطة بالسنه غيرهم فى الأسفار، و نقل ثالثاً يقول: إن هذه الألفاظ عربية صرفه، و لغة العرب متسعة فقد تخفى على الأكابر. و نقل ذلك عن أبى المعالى عزيزى بن عبد الملك، و نقل قولاً رابعاً بوقوعه فيه، و أجابوا عن قوله تعالى: قُرْآنًا عَرَبِيًّا أنها كلمات يسيرة لا تخرجه عن كونه عربياً، و عن قوله تعالى: أَعْجَمِيًّا وَعَرَبِيًّا أن المعنى أ كلام أعجمى و مخاطب عربى، و استدلو أيضاً باتفاق النحاء على منع صرف (إبراهيم) للعلمية و العجمة. و ردّ هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل الخلاف، و لكنهم و جهوه بأن تجويزه فى الأعلام يجوز فى الأجناس.

و نقل السيوطى أن أقوى دليل لهم - و هو اختياره - ما رواه الطبرى عن أبى ميسرة التابعى قال: فى القرآن من كل لسان. بسند صحيح. و روى مثله عن سعيد بن جبير و وهب ابن منبه، و عليه يكون فى القرآن إشارة إلى أنواع اللغات و الألسنة لئتم إحاطته بكل شىء. ثم ذكر عن ابن النقيب قوله فى أن القرآن جمع كل اللغات. ثم استدلل السيوطى بأن الرسول صلى الله عليه و سلم مرسل للعالمين، فلا بد أن يجمع القرآن كل اللغات.

و نقل عن الخويّى ٨ أنه ذكر فائدة أخرى لوقوع المعرب فى القرآن، و هو: أن المعرب الواقع فى القرآن لا يسع الفصحى إلا استعماله، و ضرب لذلك مثلاً ب (إستبرق) بأن عظمة الوعد تكون بالوعد بالملبس الناعم، و الحرير كلما كان أثقل كان أرفع، فوجب على الفصحى أن يذكر الحرير الأثخن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٣٣

الأثقل، و هذا هو الإستبرق، و لو أراد أن يأتى بكلمة عربية واحدة فلن يستطيع؛ لأنها لن تكون فى نفس درجة الفصاحة، أو لا توجد؛ لأن العرب عرفوا الحرير عن العجم و الديداج الثقيل لا وضع لهم فيه، فافتقروا بتعريب (الإستبرق)، و لو لم يستعمل (الإستبرق) لتكلم بكلمتين، و الكلمة الواحدة أوجز. ثم نقل عن أبى عبيد القاسم بن سلام حكايته القول بالوقوع عن الفقهاء، ثم نقل جمعه بين القولين بأن جعل هذه الكلمات أصولها أعجمية، و هذا به يصدق قول الفقهاء، و لكن العرب عزبوا فصارت عربية. و إلى هذا الجمع ذهب

الجوالقى و ابن الجزرى و آخرون أه. ٩

قلت: ما ذكره السيوطي عن أبي عبيد عَقَب عليه ابن فارس فأنكر على أبي عبيد أنه نسب القائلين بوقوع المعرب في القرآن للجهل، و لكنه وافقه في الجمع فقال: «فالقول إذن ما قاله أبو عبيد، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره». ١٠ و الكلام في هذه المسألة مبسوط في كتب فقه اللغة و أصول الفقه و فيه مصنفات مفردة كالجواليقي و ما ذكره السيوطي في كتابه. و قد جمعنا لك خلاصته. ثم السيوطي جمع كل ما قيل فيه معرب و رتبها على حروف المعجم، و نحن نكتفي بالمثل الذي أوردناه عن الخويّ في (الإستبرق). أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة

الهوامش:

(١) هو القاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف بن سليمان العوفي السرقسطي الأندلسي أبو محمد، عالم بالحديث و اللغة و الفقه، توفي سنة ٣٢٠ هـ. فهرست ابن خير ص ١٩١، بغية الوعاة ص ٣٧٤؛ نفع الطيب ١/ ٢٥٥. و كتابه الدلائل في غريب الحديث و معانيه.

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج ١، ص ٢١٩ فما بعدها.

(٣) البيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن عن طريق الإلتقان، للشيخ طاهر الجزائري، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص ٨٤ و ما بعدها.

(٤) سورة النحل آية (١٠٣).

(٥) سورة فصلت آية (٤٤).

(٦) الرسالة (ص ٤٠)، تحقيق أ. أحمد محمد شاكر، ط مصطفى الحلبي سنة ١٩٤٠ م.

(٧) البرهان في علوم القرآن: (ج ١ ص ٢٨٧) و ما بعدها.

(٨) الخويّ: بضم الخاء و فتح الواو و تشديد الباء و هو شمس الدين أحمد بن حنبل بن سعادة الخويّ الشافعي، صاحب الإمام فخر الدين الرازي، كان فقيها مناظرا و أستاذا في الطب و الحكمة. توفي سنة ٦٣٨ هـ و نسبه إلى خوي مدينة بآذربيجان (شذرات الذهب ٥/ ١٨٣).

(٩) الإلتقان في علوم القرآن: (ج ٢ ص ١٢٥-١٢٩).

(١٠) انظر: الصاحبى، لابن فارس، (ص ٢٩).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٣٤

## غريب القرآن

عرّف السعد التفتازاني في شرحه «لتلخيص المفتاح» الغرابة بأنها: «كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى و لا مأنوسة الاستعمال» ثم قال: «لا يقال الغرابة كما يفهم من كتبهم: الكلمة، غير مشهورة الاستعمال، و هما في مقابلة المعتادة، و هى بحسب قوم دون قوم. و الوحشية، هى المشتملة على تركيب ينفر الطبع منه و هى في مقابلة العذبة، فالغريب يجوز أن يكون عذبا، فلا يحسن تفسيره بالوحشية، بل الوحشية قيد زائد لفصاحة المفرد، و إن أريد بالوحشية غير ما ذكرنا، فلا نسلم أن الغرابة بذلك المعنى تخل بالفصاحة، لأننا نقول هذا أيضا اصطلاح مذكور في كتبهم، حيث قالوا:

الوحشى منسوب إلى الوحش الذى يسكن القفار استعيرت للألفاظ التى لم يؤنس استعمالها. و الوحشى قسمان: غريب حسن، و غريب قبيح. فالغريب الحسن: هو الذى لا يعاب استعماله على العرب؛ لأنه لم يكن وحشيا عندهم، و ذلك مثل: شرنبث و اشمخر و اقمطر. و هى فى النظم أحسن منها فى النثر، و منه غريب القرآن و الحديث. و الغريب القبيح: يعاب استعماله مطلقا، و يسمى الوحشى



الغليظ، و هو: أن يكون مع كونه غريب الاستعمال ثقيلًا على السمع كريها على الذوق و يسمى المتوعر ١ أيضا» أه. و قال عبد الحكيم السالكوتي - رحمه الله - تعقيبًا على قول السعد: «فالغريب الحسن هو الذى لا يعاب استعماله على العرب. اعلم أن الألفاظ على ثلاثة أقسام: منها ما هي مستعملة مطلقًا كالأرض و السماء، فلا يعاب استعماله على أحد، و منها ما هي مستعملة فى العرب العرباء غير مستعملة فى غيرهم، فلا يعاب استعمالها عليهم و يعاب على غيرهم، و منه غريب القرآن و الحديث - و منها ما هي غير مستعملة مطلقًا، فيعاب استعمالها على الكل، فمنه ما هو كريبه على الذوق و السمع كجحيش ٢، و منه ما هو غير مكروه كتكأ كآتم و افرنقوا» ٣، و إليه أشار الشارح رحمه الله بقوله - فيما سيأتى فى وجه النظر - من أن الجرشى ٤ إما من قبيل تكأ كآتم أو جحيش، فعلم مما ذكرنا أن قوله:

و الوحشى قسمان ليس المقصود منه الحصر بل مجرد إطلاق الغريب على الوحشى.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٣٥

ثم ذكر أن عدم الغرابة المعتبرة «هي عند العرب العاربة لا عند غيرهم، فلا تعتبر الغرابة عند غيرهم وجودًا و لا عدما ٥» إذن الغريب قسمان: (١) قبيح غير مأنوس الاستعمال لدى جمهور العرب العاربة، و هو عيب يخل بالفصاحة، و لذا لا يشتمل القرآن على شىء منه؛ لأنه إن وجد جرّ لنسبة الجهل أو العجز له سبحانه و تعالى عن ذلك علوا كبيرا، كما يقول السعد فى شرحه «لمختصر التلخيص» ٦ قلت: «أو السفه و العبث؛ لأنه - سبحانه و تعالى - إن لم يعلم بعدم فصاحة الكلمة لزم نسبة الجهل إليه، و إن علم فلم يستطع وضع الفصيح لزم العجز، أو استطاع و لم يضع، لزم العبث بتعريض القرآن لما يسقط حجيته، و نبيه لما يذهب نبوته؛ و لذا لا شىء منه فى كلام الله - سبحانه و تعالى - و لا كلام نبيه صلى الله عليه و سلم.»

(٢) حسن مأنوس لدى جمهور العرب الخالص، و إن غمض على من سواهم بقدر ما يجهلون من مدلول اللغء، أما العرب لا يتصور فى حقهم الجهل بهذا القسم، و إلا - صار كأول و للزمت منه مفسدة فوق ما ذكرنا، و هي التناقض بأن نجعله عند العرب حسنا مأنوس الاستعمال، و نجعله كذلك عندهم قبيحا مهجور الاستعمال، و كذلك يستلزم اختلال القسمة؛ لأن المقسوم ليس أعم من أقسامه، بل القسم الواحد هو عين مقسومة و هو عين القسم الآخر فالغريب ليس أعم من القبيح بل هو عين القبيح، و القبيح هو عين الحسن فليس هناك قسمة.

و الذى دفعنا لهذا التفصيل هو غفلة بعض أصحاب الرواية عنه، و هم الذين يشترطون لصحة الحديث خلوه من الشذوذ و العلة، و مع ذلك ينقلون عن جماهير الصحابة أنهم كانوا - و هم العرب الخالص - يجهلون مدلول اللغء، و هذا يستلزم جميع المعانى السابق ذكرها، و دفعهم إلى ذلك حرفيتهم فى اتباع صحة السند ما رواه أبو عبيد القاسم و ابن سعد عن أبى بكر الصديق و عمر - رضى الله عنهما - فى عدم معرفة (الأب) فى قوله تعالى:

وَ فَكِّهَةٌ وَ أَبَا، و إن كان ابن كثير أعلّ الأثر المروى عن أبى بكر بالانقطاع؛ لعدم إدراك إبراهيم التيمى - الراوى عن أبى بكر - أبى بكر الصديق، و لكنه لعله رفعه لدرجة الحسن بالأثرين الشاهدين له عن عمر رضى الله عنه، و تكلف ابن كثير فى تأويل الأثر بأن عمر رضى الله عنه أراد استكشاف علم كيفية الأب، و إلا - فكونه نبتا فى الأرض معلوم لقوله تعالى: فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا و كان يكفى الحافظ إعلال متن الأثر بما سبق أن ذكرنا من علة متمثلة فى المفاصد السابقة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٣٦

أسباب أخرى لغرابة هذا القسم الحسن لدى العرب الخالص: قدمنا بأن جهل العرب الخالص بمدلول القسم الحسن من الغريب غير مقصود؛ لذا فهناك أسباب أخرى غير الجهل منها:

(أ) تعنت مشركى قريش و تجاهلهم فى فهم الواضحات تليسا على القرآن و النبى صلى الله عليه و سلم كسؤالهم عن الرحمن فيما أورده القرآن فى قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُم اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَ زَادَهُمْ نُفُورًا ٧. و قد بين أبو حيان



فى «تفسيره» أنهم استفهموا عن (الرحمن) و هم عالمون به ٨. و ذلك كما صنع فرعون حيث جحد الحقيقة عند ما سأل عن رب العالمين و هو يعلم حقيقة الأمر و حقيقة الإطلاق و الاستعمال.

و ما استظهره أبو حيان هو عين ما استظهره آلوسى و هو الحق الذى لا ريب فيه.

فهم يعلمون من الاشتقاق أن هذا الاسم مشتق من صفة الرحمة للدلالة على المبالغة فيها.

(ب) و استهداف المشركين إظهار القرآن فى مظهر السابق المتهافت و العابث اللاهى، و يظهر هذا بوضوح عند تشبيههم على شجرة الزقوم و هم يقولون: النار تأكل الشجر فكيف تنبت فيه شجرة. و قال آخر: ما الزقوم إلا التمر بالزبد و أنا أتزقه فردّ عليه القرآن بقوله

تعالى: أ ذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤْسُ

السَّيِّطِينَ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ٩

و قد ذكر البغوى فى تفسير هذه الآيات أن ابن الزبعرى قال لصناديد قريش: إن محمدا يخوفنا بالزقوم؛ فجمعهم أبو جهل فى بيته و قال لجارية: زقمينا، فأتتهم بالزبد و التمر فقال: ترقموا فهذا ما يوعدكم به محمدا فقال تعالى: إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ١٠.

و غير ذلك من النماذج من هذا النمط الخبيث، من نحو سخرتهم من عدد التسعة عشر لخزنة النار، على ما جاء فى سورة المدثر، و حمل اليهود استقرار الله خلقه على حقيقته لا- على مجازه أو الاستعارة التمثيلية حتى قالوا: إِنَّ اللَّهَ فَكِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ، و استشكال

نصارى نجران من أخوة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٣٧

مريم لهارون، و هى أخت موسى- عليهما السلام- فكان القرآن يرد بحسم على تشبيهاتهم و سفههم. و كذلك النبى صلى الله عليه و سلم عند ما ردّ على نصارى نجران بأنهم كانوا يسمون بأنبيائهم و صالحهم ١١.

(ج) الفهم الخاطى عن حسن قصد لبعض نصوص التنزيل؛ بسبب النقص فى أدوات الاجتهاد الأخرى، مما يدفع للتسرع و العجل، و قد وقعت نماذج من ذلك من الصحابة رضى الله عنهم، و كأنه- سبحانه- أراد أن ينبه على وجود التزام أقصى غايات الاحتياط و بذل

الجهد فى فهم الكتاب العزيز؛ لأن الصحابة الذين شهدوا منازل الوحي يقع منهم مثل هذا، فعلى الجميع أن يتحروا التقوى و بذل أقصى الجهد فى فهم الكتاب، و سنعرض نموذجين فقط من هذه النماذج و هما:

(١) ما وقع فى فهم بعض الصحابة لقوله تعالى: وَ كُلُّوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ، فالمجاز المشهور الذى يكاد يلحق بالحقيقة، أن المقصود بالخيط الأبيض بياض النهار، و الخيط الأسود سواد الليل، ثم نزل البيان المانع من حمل معنى

الخيطين على الحقيقة، و هو قوله- تعالى-: مِنَ الْفَجْرِ وَ لَكِنْ بَعْضُ الصَّحَابَةِ حَمَلُوا الْمَعْنَى عَلَى الْحَقِيقَةِ فَجَاءَ بِخَيْطَيْنِ: أبيض و أسود، و ربطهما فى قدميه، و ظل يأكل حتى يتبين كل واحد من الآخر، حتى نزل البيان بقوله: مِنَ الْفَجْرِ هَكَذَا فى رواية البخارى ١٢ التى

نقلها الحافظ ابن كثير فى تفسيره، ثم ذكر روايات أخرى فقال:

«و قال الإمام أحمد: حدثنا هشام أخبرنا حصين عن الشعبي أخبرنى عدى بن حاتم قال لما نزلت هذا الآية: وَ كُلُّوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ عمدت إلى عقالين: أحدهما أسود، و الآخر أبيض فجعلتهما تحت و سادتى. قال:

فجعلت أنظر إليهما، فلما تبين لى الأبيض من الأسود أمسكت، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرته بالذى صنعت فقال:

إن و سادك إذا لعريض، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل». أخرجاه فى الصحيحين ١٣ من غير وجه عن عدى.

و يعنى قوله: «إن و سادك إذا لعريض أى:

إن كان ليسع الخيطين الأسود و الأبيض المراد بهذه الآية تحته، فيقتضى أن يكون بعرض المشرق و المغرب.

و هكذا وقع فى رواية البخارى ١٤ مفسرا بهذا: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٣٨

عوانه عن حصين عن الشعبي عن عدى قال:

أخذ عدى عقلا أبيض و عقلا أسود حتى إذا كان بعض الليل نظر فلم يستينا، فلما أصبح قال: يا رسول الله جعلت تحت و سادتي ... قال: «إن و سادك إذا عريض، إن كان الخيط الأبيض و الأسود تحت و سادتك».

و جاء في بعض الألفاظ «إنك لعريض القفا». ففسره بعضهم بالبلادة. و هو ضعيف، بل إذا صح فإنه يرجع إلى هذا؛ لأنه إذا كان و ساد عريضا ففناه أيضا عريض. و الله أعلم.

و يفسره رواية البخارى ١٥ أيضا: حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن مطرف عن الشعبي عن عدى بن حاتم قال: قلت يا رسول الله، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما الخيطان؟ قال «إنك لعريض القفا، إن أبصرت الخيطين، ثم قال لا بل هو سواد الليل و بياض النهار». انتهى المقصود منه ١٦.

(٢) النموذج الثانى: ما وقع من بعض الصحابة فى فهم قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ١٧ فقد فهمت عائشة- رضى الله عنها- أن المنه و النعمة من الله فى تخفيف الحساب، فوقع عندها تعارض بين معنى الآية و حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من نوقش الحساب عذب». فبين لها رسول الله صلى الله عليه و سلم وجه الصواب. و القصة كما أخرجها البخارى و مسلم و الترمذى و أبو داود من حديث ابن أبى مليكة قال: إن عائشة كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، و إن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «من نوقش الحساب عذب». فقالت: أليس يقول الله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا، فقال: «إنما ذلك العرض، و ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك». و فى روايه: «و ليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب». و فى أخرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ليس أحد يحاسب إلا- هلك». قلت: يا رسول الله، جعلنى الله فداك، أليس الله تعالى يقول: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا قال: «ذلك العرض تعرضون، و من نوقش الحساب هلك» ١٨ إلى غير ذلك من نماذج هذا اللون الواقعة فى عهده صلى الله عليه و سلم و هى أفراد قليلة على أية حال.

(د) أن يقع عام يراد به الخصوص، أو يخصص بما يقع به البيان من كتاب أو سنه فلا يعلم المراد إلا بذلك البيان.

(ه) أن يقع مطلق فيقع تقييده من بيان القرآن أو السنه فيحتاجون لمعرفة البيان.

(و) أن يقع مجمل بينه الكتاب أو السنه كذلك فيتوقف فهم المراد على هذا البيان.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٣٩

(ز) أن يأتى مبهم من مبهمات القرآن وقع بيانها فى الكتاب أو السنه، كتفسير لفظ:

(خليفة) فى قوله تعالى: وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً فِجاء البيان فى القرآن بأنه (آدم) عليه السلام، و كذلك (العبد الصالح) فى آيه الكهف: فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا، فِجاء البيان فى السنه فى حديث البخارى الطويل بأنه الخضر عليه السلام.

(ح) تبادر أن للمنطوق مفهوما ثم يبين صاحب الشريعة أنه لا مفهوم له- كما فى حديث آيه قصر الصلاة فى السفر: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَإِنْ قِيدَ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لا مفهوم له، بين لهم ذلك المصطفى صلى الله عليه و سلم حين قال:

«صدقة تصدق الله بها عليكم فأقبلوا صدقته» ١٩ و ذلك جواب على استفسار بعض الصحابة الذين أشكل عليهم فهم الآية؛ لأن القيد هنا خرج مخرج الغالب؛ لأن غالب أسفارهم كانت مخوفة. و كذلك خرج القيد مخرج الغالب فى قوله تعالى: وَ لَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا وَ قَوْلَهُ تَعَالَى: وَ رَبَّائِكُمْ اللَّاتِي فِى حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ.

(ط) أن تراد الحقيقة الشرعية (عند القائلين بوقوعها) و هي دون الحقيقة اللغوية فيحتاجون للبيان من الشارع.

فهذه تسعة أسباب لوقوع هذا القسم من الغريب للعرب الخالص من الصحابة، ثم امتنعت خطوات الحديث عن الغريب بعد عصر النبوة، و في عصر الصحابة و من بعدهم من التابعين و تابعيهم، و كلما طال الزمان على الناس، احتاجوا إلى البيان و إلى المزيد منه، ثم اتسعت الدولة الإسلامية و ظهر المولدون و ذهب العرب الخالص، فصار الاحتياج إلى ما كان ظاهرا بينا، حتى سرى إلى كثير من العامة و إلى بعض الخاصة، فصنفت كتب النحو و الصرف و البلاغة و المعاجم و فقه اللغة، و أفردت المصنفات في غريب القرآن، و بيان أن اللفظ لا تتوقف معرفته على معرفة حقيقته؛ لأن حمله على الحقيقة اللغوية قد يسبب مفاصد عظيمة في فهم النص الشرعي، و أوضح من دلل على فائدة معرفة معاني مفردات غريب القرآن الراغب الأصفهاني في مقدمته كتابه «المفردات»، فقد بين أن أول درجات الوصول لمعاني القرآن فهم مفرداته، بل هي أول درجات إتقان العلوم المختلفة؛ لأن ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب، و ذكر أنه في كتابه سيبين الألفاظ القرآنية و يبين مناسبتها لسياقها و الاشتقاقات و كذلك الألفاظ المستعارات منها ٢٠.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٤٠

و قال السيوطي في «الإتقان»: «أفرده (يعنى بيان الغريب) بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم: أبو عبيدة، و أبو عمر الزاهد، و ابن دريد، و من أشهرها (كتاب العزيزي)؛ فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة، يحرره هو و شيخه أبو بكر بن الأنباري، و من أحسنها (المفردات) للراغب، و لأبي حيان في ذلك تأليف مختصر في كراسين. قال ابن الصلاح: و حيث رأيت في كتب التفسير:

(قال أهل المعاني)، فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن، كالزجاج، و الفراء، و الأخفش، و ابن الأنباري». انتهى.

و ينبغي الاعتناء به، فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا: «أعربوا القرآن، و التمسوا غرائبها»، و أخرج من حديث ابن عمر مرفوعا: «من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة، و من قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنة».

المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، و ليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، و هو ما يقابل اللحن؛ لأن القراءة مع فقدته ليست قراءة، و لا ثواب فيها. و على الخائض في ذلك التثبت، و الرجوع إلى كتب أهل الفن و عدم الخوض بالظن ٢١ أه. و قد قام مجمع اللغة العربية بمصر بتصنيف مصنف نفيس في هذا الباب باسم (معجم ألفاظ القرآن الكريم) استفاد واضعوه من جميع كتب التفسير.

أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٤١

مصادر و مراجع للاستزادة و البحث في: (١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي.

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان، ط ١ دار الفكر، بيروت.

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي.

(٤) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان، للشيخ ظاهر الجزائري، تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.

(٦) جامع الترمذي.

(٧) الجامع الصحيح للبخاري.

(٨) حاشية السالكوتي على المطول، ج ١، استنبول.

(٩) الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق و شرح الأستاذ أحمد شاکر.

(١٠) روح المعاني، للآلوسي.

(١١) الصاحبى فى فقه اللغة، لابن فارس.

(١٢) صحيح مسلم.

(١٣) مختصر السعد التفتازانى ضمن شروح التلخيص ط/ عيسى الحلبي.

(١٤) المطول فى شرح تلخيص المفتاح له، ج ١ بهمن بقم- نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجف بقم- إيران.

(١٥) معالم التنزيل للبعوى بهامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل ج ١ مصطفى الحلبي.

(١٦) المفردات فى غريب القرآن، للراغب الأصبهاني ط ١ مصطفى الحلبي.

الهوامش:

(١) ص ١٨ وقوله مثل: شربنا و اشمخ و اقمطر قال عبد الحكيم السيالكوتى فى حاشيته على المطول: أى غليظ الكفين و الرجلين، و يراد به الأسد، و النون فيه زائدة بدليل شراى و اشمخ ارتفع و اقمطر تفرق و اشتد أو وفر و اجتمع. ص ٣٠.

(٢) هو كالفريد و زنا و معنى و هو المتنحى عن الناس، قال أبو حنيفة ابن النعمان اللغوى: الجحيش: الفريد الذى لا يزحمه فى داره مزاحم يقال: نزل جحيشا، كما يقال: نزل حريدا فريدا. انظر: اللسان فى هذه المادة.

(٣) تكأ كأتى أى اجتمعتم (و افرنقوا) أى تفرقوا أو انصرفوا كما فى شرح السعد نفسه.

(٤) الجرشى- هى بكسر الجيم و الراء و فتح الشين مع تشديدها بعدها ألف (النفس) كما أفاده السعد نفسه انظر المطول ص ١٩: و انظر:

القاموس و اللسان فى هذه المادة.

(٥) انظر: المصدر نفسه.

(٦) انظر: شروح التلخيص (ص ٨٢) من أعلى.

(٧) سورة الفرقان آية (٦٠).

(٨) البحر المحيط (ج ٦ ص ٥٠٩).

(٩) سورة الصافات آيات (٦٢-٦٨).

(١٠) تفسير البغوى المسمى بمعالم التنزيل، بهامش تفسير الخازن المسمى ب (لباب التأويل فى معانى التنزيل) (ج ٦ ص ٢٣) و ما بعدها.

(١١) أخرجه مسلم (كتاب الآداب- باب النهى عن التكنى بأبى القاسم ...)، و الترمذى (كتاب التفسير- باب من سورة مريم) و قال: (حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن إدريس).

(١٢) صحيح البخارى (كتاب التفسير- سورة البقرة باب (و كلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) .. إلخ).

(١٣) انظر نفس المصدر السابق، و صحيح مسلم كتاب الصيام باب بيان أن الدخول فى الصوم يحصل بطلوع الفجر ... إلخ).

(١٤) نفس الموضوع من الجامع الصحيح.

(١٥) نفس الموضوع.

(١٦) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٢١.

(١٧) سورة الانشقاق آية (٧-٩).

(١٨) رواه البخارى (١٧٦/١) فى كتاب العلم- باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه (...)، و مسلم فى (الرقاق- باب من نوقش الحساب

عذب) (رقم ٢٨٧٦)، و أبو داود (رقم ٣٠٩٣) في الجنائز (باب عيادة النساء)، و الترمذى (رقم ٢٤٢٨)، في (صفة القيامة- باب من نوقش الحساب عذب) انظر جامع الأصول (ج ١٠ ص ٤٣٢) و ما بعدها.  
 (١٩) الحديث أخرجه البخارى و مسلم و أصحاب السنن.  
 (٢٠) مقدمة المفردات: (ص. د، ه).  
 (٢١) الإتيان في علوم القرآن: (ج ٢ ص ٣).  
 الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٤٢

## منطوق القرآن و مفهومه

المنطوق لغة: اسم مفعول من النطق، فهو كالملفوظ وزنا و معنى، ففى «القاموس»: النطق: التكلم بصوت مرتفع و حروف تعرف بها المعانى.  
 و المفهوم لغة: المعنى المستفاد من اللفظ المنطوق، فهو اسم مفعول من الفهم بمعنى العلم، فالمنطوق: اللفظ، و المفهوم: معناه. و لأهل أصول الفقه اصطلاحان مشهوران فيهما:  
 أحدهما لابن الحاجب يخالف فيه الآمدى و الجمهور، فيعرف المنطوق بأنه: دلالة اللفظ على معنى فى محل النطق بأن يكون ذلك المعنى حكما للمذكور. و يعرف المفهوم بأنه: دلالة (أى اللفظ) على معنى لا محل النطق بأن يكون ذلك المعنى حكما لغير المذكور. فالمنطوق و المفهوم عنده قسمان للدلالة اللفظية. و ثانيهما للآمدى و الجمهور فيعرفون المنطوق بأنه: ما (أى معنى) دل عليه اللفظ فى محل النطق. و المفهوم بأنه: ما دل عليه اللفظ لا فى محل النطق.  
 و بهذا هم يجعلونهما من أقسام المدلول لا للدلالة. و الفرق بين الدلالة و المدلول: أن الدلالة كون اللفظ. بحيث يفهم منه المعنى، أما المدلول فهو نفس معنى اللفظ. و لا شك أن الجمهور لا يقصر المنطوق على الحكم بل يعديه ليشمل الذوات. و كذلك يشمل عندهم:  
 (النص):  
 و هو ما لا يحتمل إلا وجهها واحدا من التأويل.  
 و (الظاهر): ما يحتمل وجهين و أريد الراجح منهما لتبادره للفهم بنفسه.  
 و (المؤول): و هو ما احتمل وجهين و حمل على المرجوح منهما لدليل استوجب صرفه عن الراجح إليه. و بهذا يتضح أن المنطوق عندهم يكون حقيقة كما فى النص و الظاهر يكون مجازا كما فى المؤول.  
 و لقد حرر هذه المسألة تحريرا بديعا العلامة الشريينى فى تقريره على «حاشية البنانى على شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع» عند تعريف ابن السبكي للمنطوق بأنه ما دل عليه اللفظ فى محل النطق.  
 الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٤٣

فقال: «اعلم أن ابن الحاجب جعل المنطوق و المفهوم أقساما للدلالة قال: المنطوق: دلالة اللفظ على معنى فى محل النطق، بأن يكون ذلك المعنى حكما للمذكور. و دلالة على معنى لا فى محل النطق بأن يكون ذلك المعنى حكما لغير المذكور. ثم قسم المنطوق- و هو تلك الدلالة- إلى صريح، و غير صريح، فالصريح: دلالة اللفظ بالمطابقة أو التضمن. و غير الصريح دلالة على ما لم يوضع له بل يدل عليه بالالتزام و هو دلالة الاقتضاء و الإيماء و الإشارة. فدلالة فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ عَلَى

تحريم التأنيف منطوق صريح، و على تحريم الضرب مفهوم و دلالة، «تمكث إحداهن شطر دهرها لا تصلى». على أن أكثر الحيض و أقل الطهر خمسة عشر يوما منطوقا غير صريح، و على هذا فالمنطوق خاص بالحكم دون الذوات.

و قال الآمدى بعد ذكر الاقتضاء و غيره من هذه الأنواع التى جعلها ابن الحاجب أقساما لغير الصريح قبل ذكر المنطوق و المفهوم: أما المنطوق، فقد قال بعضهم: هو ما فهم من اللفظ فى محل النطق و ليس بصحيح، فإن الأحكام المضمرة فى دلالة الاقتضاء - كما ذكرناه - مفهومه من اللفظ فى محل النطق، و لا - يقال لشيء من ذلك منطوق اللفظ، فالواجب أن يقال: المنطوق: ما فهم من دلالة اللفظ نطقا فى محل النطق. انتهى.

قال العلامة التفتازانى: «جعل المنطوق و المفهوم من أقسام الدلالة يحوج إلى تكلف عظيم فى تصحيح عبارات القوم، لكونها صريحة فى كونها من أقسام المدلول - كما فى كلام الآمدى - فالمصنف - رحمه الله - تابع القوم فى ذلك لعدم التكلف مع قصور عبارة ابن الحاجب عن تناول مدلول نحو: زيد، مما هو ذات لا حكم مع تصريح إمام الحرمين و غيره بأن النص و الظاهر من أقسام المنطوق، و لا - خفاء فى أن نحو: زيد و الأسد، من جملة النص و الظاهر ١، إلا - أنه أبدل ما فهم من اللفظ بما يدل عليه إشارة للرد على ابن الحاجب بأن المنطوق مدلول لا دلالة، و إشارة إلى اندفاع اعتراض الآمدى، فإن ما دل عليه اللفظ فى محل النطق معناه أن الدلالة على ذلك المدلول ثابتة فى اللفظ الذى هو محل النطق أى: المنطوق به، بمعنى أنها ناشئة من وضعه لا من خارج، بخلاف دلالة الاقتضاء و الإشارة فإنها ليست ناشئة من وضع اللفظ بل من توقف صحة المنطوق على المقتضى ٢، أو لزوم المعنى للمدلول ٣.

و هذا المعنى لا يفيد قولهم: ما فهم من اللفظ فى محل النطق. فإن الفهم منه قد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٤٤

يكون بواسطة اللزوم العقلى أو الشرعى، ثم إن هذا المنطوق بالمعنى الذى أراه المصنف لا يكون إلا صريحا، و أما المدلول اقتضاء أو إشارة فليس من المنطوق عند أحد، أما ابن الحاجب فإن المنطوق عنده: الدلالة لا المدلول. و أما المصنف و القوم فليس من المنطوق عندهم. لأن الدلالة عليه ليست فى محل النطق، و إنما هو عند المصنف من توابع المنطوق، فالمدلولات عنده ثلاثة: منطوق، و توابعه، و مفهوم. و قد صرح بتثليث الأقسام الآمدى و بعض شروح المنهاج، فإن قلت: ما الفرق بين المفهوم و توابع المنطوق؟ قلت: المفهوم يقصد التنبية بالمنطوق عليه إما تنبيها بالأعلى على الأدنى و بالعكس، أو التنبية بالشيء على ما يساويه، و كل ذلك للمناسبة بينهما، بخلاف توابع المنطوق كما يعرفه الذكى المحقق، ثم إن المصنف ترك من توابع المنطوق دلالة الإيماء، و سيأتى بيان وجهه إن شاء الله تعالى إلى المقصود منه ٤. أه.

ثم وفى هذا العلامة - رحمه الله - بما وعد به من حديث دلالة الإيماء فقال: «و اعلم أن المصنف - رحمه الله - ترك دلالة الإيماء هى: أن يقترن المنطوق بحكم أى وصف لو لم يكن ذلك الوصف لتعليل ذلك المنطوق لكان اقترانه به بعيدا؛ فيفهم منه التعليل و يدل عليه، و إن لم يصرح به، و يسمى تنبيها و إيماء مثل اقتران الأمر بالإعتاق و بالوقاع الذى لو لم يكن هو علة لوجوب الإعتاق لكان بعيدا.

لأن هذا إنما يفهم من سياق الكلام لا من اللفظ. و أيضا سيأتى مفصلا فى باب القياس ٥. أه.

و من يطالع النص السابق و ما قبله يظهر له أن المنطوق قد يكون فى المفردات كما فى النص و الظاهر و المؤول أيضا، و كذلك يكون فى المركبات إذا كان المدلول حكما؛ لأن الحكم لا يتصور إلا فى المركبات.

و هناك تقسيم آخر ذكر للمنطوق و هو: أن اللفظ إما أن يدل على تمام المعنى الذى وضع له، و تسمى هذه الدلالة دلالة مطابقة، و إما أن يدل على جزء معناه الذى وضع له، و تسمى هذه الدلالة دلالة تضمن، و إما يدل على لازم معناه الذى وضع له، و تسمى هذه الدلالة دلالة التزام.

أما المفهوم - كما سبق - له اصطلاحان:



فهو عند ابن الحاجب من قبيل الدلالة، و عند الجمهور من قبيل المدلول، و لكن هناك أمور مهمة ننبه عليها:

أولاً: المفهوم يطلق على الحكم تارة، و على محل الحكم أخرى، و على الحكم و محله معا ثلثة، مثل (تحريم الضرب)، فالتحريم

الحكم، و الضرب محله، و المفهوم جمع بينهما

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٤٥

فصار (تحريم الضرب)، و لكن المنطوق يطلق على الحكم أو محله فقط.

ثانياً: المفهوم ينقسم إلى قسمين: مفهوم موافقة، و مفهوم مخالفة. فالأول: ما وافق حكمه حكم المنطوق، و الثاني: ما خالف حكمه

حكم المنطوق. و الحكم فى الموافقة قد يكون أولى من حكم المنطوق و هذا يسمى فحوى الخطاب؛ لأنه كالريح تجده بمجرد سماع

الخطاب، و قد يكون مساويا لحكم المنطوق و يسمى لحن الخطاب، فتحريم ضرب الوالدين أولى من تحريم التأفيف لما يشتمل عليه

من شدة الإيذاء، و حرق مال اليتيم مساو لأكل ماله؛ لأنهما يتساويان فى إضاعة ماله و إتلافه. و هناك من قسم المفهوم إلى ثلاثة

أقسام: الموافقة و قصرها على الأولى، و المساوى، و المخالفة. و لكننا نرد هذا التقسيم لأمرين:

(أ) أنه سلب اسم الموافقة: عن المساوى، و هذا لا يصح؛ لأن المساوى موافق.

(ب) أن من أخرج المساوى من الموافقة احتج كما يحتج بالموافقة فلا معنى لإخراجه- و من ثم فمفهوم الموافقة يشتمل على الأولى

و المساوى- و ليس فى هذا المفهوم الأدون.

و الحكم الثابت بالمفهوم كالثابت بالمنطوق، فإذا كان حكم المنطوق قطعياً لاستناده لنظم اللغة فكذلك المفهوم، فالحكم الثابت

بالمفهوم فوق الثابت بالقياس؛ لأن الثابت بالقياس يدرك بالرأى و الاجتهاد، و المفهوم يدرك باللغة الموضوع لإفادة المعنى. كذا

فى «التوضيح و التلويح». و من ذهب إلى أن دلالة المنطوق قد تكون قطعياً و دلالة المفهوم ظنية إنما أخطئوا فى ضرب الأمثلة؛ لأنها

أمثلة كلها لأحكام تدرك بالقياس.

ثالثاً: اتفق الكل على حجية مفهوم الموافقة، و لكنهم اختلفوا بعد ذلك فى مواطن منها: طريق الدلالة هل القياس الجلى أم الدلالة

اللفظية؟، و إذا كانت الدلالة اللفظية فهل بالمنطوق و المفهوم فى الحقيقة أم بالمفهوم؟ و فى «تحرير الجلال المحلى» لتلك المواطن

ينقل عن الشافعى و إمام الحرمين و الرازى. إن دلالة الموافقة قياسية سواء كان الأولى أو المساوى الجلى، و تكون العلة فى تحريم

الضرب الإيذاء، و فى حرق مال اليتيم الإتلاف، و إن كان الشافعى و إمام الحرمين لم يجعلوا المساوى من الموافقة، و الرازى لم

يصرح، و يرى الغزالى و الآمدى أنها دلالة لفظية تفهم بالسياق و القرائن لا مجرد اللفظ، ففى تحريم الضرب فهم تعظيمها و احترامها

فحرم الضرب و التأفيف، و كذلك حرق مال اليتيم فالمراد حفظه؛ و لذا منع الحرق و الأكل، و عليه تكون دلالة مجازية

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٤٦

لإطلاق الأخص على الأعم، كإطلاق منع التأفيف على منع الإيذاء، و قيل: بل نقل اللفظ لهما عرفاً فصار حرق مال اليتيم عرفاً يطلق

على إضاعته، و على القولين هما من المنطوق. و كثير من العلماء- منهم الحنفية- على أن الموافقة مفهوم لا- منطوق و لا قياسى، و

منهم من تردد فيجعله تارة مفهوماً و أخرى قياسياً كالليضاوى، و رأى الصفى الهندى عدم التناقض فكلاهما مسكوت عنه. و رأى ابن

السبكى أنهما مختلفان فالمفهوم مدلول اللفظ، و المقيس غير مدلول له.

و بعد نقل تحرير الجلال المحلى أرى أن الصواب: أنها دلالة لفظية بطريق المفهوم؛ لأن من يقول: إنها دلالة قياسية يجعل هناك

مفهوماً أدون، و سبق ذكر منع ذلك، و كذلك لو كانت دلالة قياسية لمنعها من يمنع الاحتجاج بالقياس، و لكنهم احتجوا بها؛ و لأن

من قال بأنها دلالة لفظية بطريق المنطوق فإن هذا يحوجه إلى ارتكاب المجاز أو النقل، و الأصل عدمهما إلا بموجب و لا موجب

لهما.

رابعاً: شرط مفهوم المخالفة: شرط العمل بمفهوم المخالفة أن يكون القيد فى اللفظ متعينا للاحتراز عما ينافضه، أى: جاء لإخراج ما

عداه، و لا تكون فائدة غير هذا، فلو كانت له فائدة غيره قدمناها؛ لأن هذه الفائدة ستكون ظاهرة و مفهوم المخالفة خفية. فمن ذلك لو كان القيد لبيان الغالب كما في قوله تعالى: وَ رَبَّائِكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ فَقوله تعالى: فِي حُجُورِكُمْ لا يعنى أن الربيبه التي ليست في الحجر جائز نكاحها، الغالب أن الربيبه تكون في الحجر. و كذلك قوله تعالى: وَ لَا تُكْرِهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا فَالْبِغَاءُ حرام سواء مع الإكراه أو مع عدمه، و سواء مع إرادتهن أو مع عدمها، فإنما جاء قيد الإكراه ليصف الواقع الذى كانوا عليه فحسب، و هذا يعنى أن البغاء مع عدم الإكراه أيضا حرام؛ لأن القيد ليس للإخراج. و كذلك قوله تعالى: لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ فَقوله تعالى: مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ليس معناه أن موالاة الكافرين مع المؤمنين جائزة، بل موالاة الكافرين على كل حال حرام.

فكل هذه القيود قصد بها فوائد أخرى غير إخراج ما سوى المنطوق؛ و لذا فهى لا مفهوم لها أى: ليست لها مفهوم مخالفة، لفقد شرط الاحتجاج به و هو تعين القيد فى إخراج سوى المنطوق، و من ثم فالاسم المجرد من القيد و المسمى (اللقب) لا مفهوم له؛ لأنه لا قيد له، و هذا هو الصحيح عند العلماء.

خامسا: الصحيح أن طريق الدلالة فى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٤٧

مفاهيم المخالفة هى اللغة، قال المحلى: (يقول كثير من أئمة اللغة بها منهم أبو عبيدة و عبيد تلميذه قالا فى حديث «الصحيحين» مثلا: «مطل الغنى ظلم» أنه يدل على أن مطل غير الغنى ليس بظلم، و هم إنما يقولون فى مثل ذلك ما يعرفونه من لسان العرب) أ. ه. و أنه لذلك حجة لدى الجمهور، و خالف فى ذلك الحنفية و هم محجوجون بما سبق من حتمية أن تكون للقيد فائدة.

و بعد- فقبل أن نفض أيدينا من هذا البحث، نرى أن نطلع القارئ الكريم على ما كتبه فيه أهل علوم القرآن، مجتريين فى ذلك بقول السيوطى، فيه- فوق التلخيص لمعظم ما سبق مما نقلناه من كلام أهل الأصول- فوائد أخرى تضاف إليه، قال رحمه الله:

المنطوق: ما دل عليه اللفظ فى محل النطق، فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص، نحو:

فَصِيَّةٌ يَوْمَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ٦، و قد نقل عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا بندور النص جدا فى الكتاب و السنة. و قد بالغ إمام الحرمين ٧ و غيره فى الرد عليهم، قال: لأن الغرض من النص الاستقلال بإفادة المعنى على قطع، مع انحسار جهات التأويل و الاحتمال؛ و هذا و إن عز حصوله بوضع الصيغ رد إلى اللغة، فما أكثره مع القرائن الحالية و المقالية؛ انتهى. أو مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا، فالظاهر نحو: فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ ٨، فإن الباغى يطلق على الجاهل و على الظالم، و هو فيه أظهر و أغلب، و نحو: وَ لَا تَقْرُبُوهُنَّ حَيْثُ يَطْهَرْنَ ٩، فإنه يقال للانقطاع: طهر، و للوضوء و الغسل، و هو فى الثانى أظهر، فإن حمل على المرجوح لدليل فهو تأويل، و يسمى المرجوح المحمول عليه مؤولا، كقوله: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ١٠؛ فإنه يستحيل حمل المعية على القرب بالذات، فتعين صرفه عن ذلك و حمله على القدرة و العلم، أو على الحفظ و الرعاية، و كقوله: وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ١١ فإنه يستحيل حمله على الظاهر، لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة، فيحمل على الخضوع و حسن الخلق. و قد يكون مشتركا بين حقيقتين، أو حقيقته و مجاز، و يصلح حمله عليهما جميعا، سواء قلنا بجواز استعمال اللفظ فى معنيه أو لا. و وجهه على هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين: مرة أريد هذا، و مرة أريد هذا. و من أمثله: وَ لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَ لَا شَهِيدٌ ١٢؛ فإنه يحتمل: لا- يضار الكاتب و الشهيد صاحب الحق بجور فى الكتابة و الشهادة «و لا- يضار» بالفتح، أى: لا يضرهما صاحب الحق بإلزامهما ما لا يلزمهما، و إجبارهما على الكتابة و الشهادة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٤٨

ثم إن توقفت صحة دلالة اللفظ على إضمار سميت دلالة اقتضاء، نحو: وَ سَلِّ الْقَرْيَةَ ١٣، أى: أهلها، و إن لم تتوقف و دل اللفظ على ما لم يقصد به سميت دلالة إشارة كدلالة قوله تعالى: أُجِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ ١٤ على صحة صوم من أصبح جنبا، إذ



إباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جنبا في جزء من النهار. وقد حكى هذا الاستنباط عن محمد ابن كعب القرظي.

والمفهوم: ما دل عليه اللفظ، لا في محل النطق و هو قسمان: مفهوم موافقة، و مفهوم مخالفة:

فالأول: ما يوافق حكمه المنطوق؛ فإن كان أولى سمي فحوى الخطاب كدلالة: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّةٌ ١٥ على تحريم الضرب؛ لأنه أشد و إن كان مساويا سمي لحن الخطاب، أى معناه، كدلالة: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ١٦ على تحريم الإحراق؛ لأنه مساو للأكل فى الإتلاف. و اختلف: هل دلالة ذلك قياسية أو لفظية مجازية أو حقيقية؟

على أقوال بينها فى كتبنا الأصولية.

و الثانى: ما يخالف حكمه المنطوق، و هو أنواع: مفهوم صفة، نعتا كان أو حالا أو ظرفا أو عددا، نحو: إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا ١٧، مفهومه أن غير الفاسق لا- يجب التبيين فى خبره؛ فيجب قبول خبر الواحد العدل. و حال نحو: وَلَا تَبَايَسْتُمْ زُرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِى الْمَسَاجِدِ ١٨، الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ١٩ أى فلا يصح الإحرام به فى غيرها: فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ٢٠ أى فالذكر عند غيره ليس محصلا للمطلوب، فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ٢١ أى: لا أقل و لا أكثر. و شرط نحو:

وَإِنْ كُنَّ أَوْلَاتٍ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ ٢٢ أى فغير أولات الحمل لا يجب الإنفاق عليهن. و غاية نحو: فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ٢٣ أى: فإذا نكحته تحل للأول بشرطه. و حصر نحو: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ٢٤. إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ ٢٥؛ أى: فغيره ليس بإله، فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ٢٦، أى: فغيره ليس بولى، لِلَّهِ تُحْشَرُونَ ٢٧، أى: لا إلى غيره، إِيَّاكَ نَعْبُدُ ٢٨ أى: لا غيرك.

و اختلف فى الاحتجاج بهذه المفاهيم على أقوال كثيرة، و الأصح فى الجملة أنها كلها حجة بشروط:

منها: ألا يكون المذكور (خرج للغالب) و من ثم لم يعتبر الأكثرون مفهوم قوله: وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِى حُجُورِكُمْ ٢٩؛ فإن الغالب كون الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٤٩

الربائب فى حجور الأزواج فلا مفهوم له؛ لأنه إنما خص بالذكر لغلبة حضوره فى الذهن.

و ألا- يكون موافقا للواقع، و من ثم لا مفهوم لقوله: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ٣٠ و قوله: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ٣١ و قوله: وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ٣٢ و الاطلاع على ذلك من فوائد معرفته أسباب النزول.

(فائدة). قال بعضهم: الألفاظ إما أن تدل بمنطوقها أو بفحواها و مفهومها أو باقتضائها و ضرورتها، أو بمعقولها المستنبط منها. حكاها ابن الحصار، و قال: هذا الكلام حسن. قلت:

فالأول دلالة المنطوق، و الثانى دلالة المفهوم، و الثالث دلالة الاقتضاء، و الرابع دلالة الإشارة. ٣٣. أ. ه. و الله أعلم.

أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفه

الهوامش:

(١) (زيد) نص لأنه علم شخص لا- يحتمل غير مسماه، و (أسد)، ظاهر لأنه يحتمل وجهين: الحيوان المفترس المعروف، و الرجل الشجاع، و أول الوجهين راجح يجب الحمل عليه عند التجرد من القرينة لتبادره بنفسه- و ثانيهما مرجوح لا يصح الحمل عليه إلا عند القرينة الصارفة عن الراجح إلى المرجوح و بحيث يصير فيه لفظ الأسد مؤولا.

(٢) هذه هى دلالة الاقتضاء قال الجلال المحلى فى شرحها من «جمع الجوامع» (ثم المنطوق إن توقف الصدق فيه أو الصحة له عقلا أو شرعا على إضمار أى تقدير فيما دل عليه (فدلالة اقتضاء) أى: فدلالة اللفظ الدال على المنطوق على ذلك المضمرة المقصود تسمى دلالة اقتضاء. و الأول كما فى مسند أخى عاصم الآتى فى مبحث المجمل «رفع عن أمتى الخطأ و النسيان» أى: المؤاخذه بهما لتوقف صدقه على ذلك لوقوعهما. و الثانى كما فى قوله تعالى: وَ سَيَلِّ الْقَرْيَةَ أَى: أهلها، إذ القرية و هى الأبنية المجتمعة لا يصح سؤالها

عقلاء، و الثالث كما فى قولك لمالك عبد: أعتق عبدك عنى. ففعل فإنه يصح عنك أى ملكه لى فأعتقه عنى لتوقف صحة العتق شرعا على المالک). أ ه. و قوله كما فى مسند أخى عاصم يريد به الحافظ أبا القاسم التميمى كما فى حاشية البنانى عليه. انظر ج ١ ص ٢٣٩.

(٣) و هذه هى دلالة الإشارة قال المحلى فى شرحها (و إن لم يتوقف) أى الصدق فى المنطوق و لا الصحة على إضمار (و دل) اللفظ المفيد له (على ما لم يقصد) به (فدلالة إشارة) أى فدلالة اللفظ على ذلك المعنى الذى لم يقصد به تسمى دلالة إشارة كدلالة قوله تعالى: أُجِّلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ عَلَى صِحَّةِ صَوْمٍ مِنْ أَصْبَحٍ جَنِبًا لِلزُّومِ لِلْمَقْصُودِ بِهِ مِنْ جَوَازِ جَمَاعِهِنَّ فِي اللَّيْلِ الصَّادِقِ بآخر جزء منه). أ، ه. المصدر نفسه ص ٢٣٩ فما بعدها من أعلى.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٧ بالهامش.

(٥) المصدر نفسه (ص ٢٤٠).

(٦) البقرة: ١٩٦.

(٧) هو أبو المعالى عبد الله بن أبى عبد الله بن يوسف الجوينى، شيخ الغزالى، و أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى. توفى سنة ٤٧٨ هـ. ابن خلكان ١/ ٢٨٧.

(٨) البقرة: ١٧٣.

(٩) البقرة: ٢٢٢.

(١٠) الحديد: ٤.

(١١) الإسراء: ٢٤.

(١٢) البقرة: ٢٨٢.

(١٣) يوسف: ٨٢.

(١٤) البقرة: ١٨٧.

(١٥) الإسراء: ٢٣.

(١٦) النساء: ١٠.

(١٧) الحجرات: ٦.

(١٨) البقرة: ١٨٧.

(١٩) البقرة: ١٩٨.

(٢٠) البقرة: ١٩٧.

(٢١) النور: ٤.

(٢٢) الطلاق: ٦.

(٢٣) البقرة: ٢٣٠.

(٢٤) الصافات: ٣٥.

(٢٥) طه: ٩٨.

(٢٦) الشورى: ٩.

(٢٧) آل عمران: ١٥٨.

(٢٨) الفاتحة: ٥.

(٢٩) النساء: ٢٣.

(٣٠) المؤمنون: ١١٧.

(٣١) آل عمران: ٢٨.

(٣٢) النور: ٢٣.

(٣٣) ج ٣ من ص ١٠٤ إلى ص ١٠٨.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٥٠

**عام القرآن و خاصة**

العامّ و الخاصّ: اسم فاعل من العموم و الخصوص و لا-خلاف في كونهما من عوارض الألفاظ، و لكن الخلاف في كونهما من عوارض المعنى، و تحقيق العلامة الشرييني يجعل الخلاف بين الفريقين خلافا لفظيا أو يكاد، و ذلك بأنّ العموم يقصد به تناول تارة، و بهذا يكون من عوارض الألفاظ فقط، و تارة يقع بمعنى الشمول، فيتصف به اللفظ و المعنى. فمن قال: العموم ليس من عوارض المعاني صحّ، إذا كان العموم بمعنى التناول أى: إفادة اللفظ للشيء، و من قال: العموم من عوارضها صحّ، إذا كان بمعنى الشمول.

و حيث كان الخصوص قسيما للعموم، فما قيل في العموم يقال في الخصوص، بمعنى أن الخصوص يكون من عوارض الألفاظ فقط عند ما يكون معنى الخصوص التناول، و يكون من عوارض المعاني أيضا الجزئية مقابل الكلية. و لما كان هناك اتفاق بين العلماء على أن العموم و الخصوص من عوارض الألفاظ اتجهوا في تعريفاتهم للعام و الخاص إلى هذا الاتجاه، فعرف ابن السبكي العام بأنه: (لفظ يستغرق الصالح له غير حصر) فقولهم (لفظ) أخرج الألفاظ المتعددة الدالة على معان متعددة بتعدددها. و قولهم:

(يستغرق) أى يتناول جميع أفرادة دفعة واحدة، فهو قيد أول أخرج ما لا يستغرق كالنكرة في سياق الإثبات و اسم العدد؛ لأنه يتناول أفرادة بالبدلية لا الاستغراق. و قولهم:

(الصالح له) قيد لبيان الماهية؛ لأنه ليس هناك لفظ يستغرق غير الصالح له ليحترز عنه. و قولهم (من غير حصر) قيد ثان يخرج اسم العدد؛ لأنه يتناول بحصر كعشرة و مائة، و النكرة المثناة في الإثبات و كذلك المجموعة.

فكل ما خرج بالقيد فهو من الخاص بحيث يمكن صياغة تعريف الخاص بأنه: (اللفظ الذى لا يستغرق ما يصلح له أو يستغرقه مع الحصر)، و به يفهم معنى قولهم التخصيص هو «قصر العام على بعض أفرادة».

و قد تكلم الأصوليون كلاما طويلا في هذا الباب؛ و لذا سنهتم بما يناسب بحثنا في علوم القرآن، و سنعتمد على ما قدمه السيوطى فى كتابه «الإتقان» مع التعليق على ما يستحق ذلك.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٥١

فبدأ الإمام السيوطى بذكر تعريف العام الذى ذكرنا من كلام ابن السبكي - دون شرح له، ثم ثنى ببيان صيغته، من غير خوض فى خلاف أن للعام صيغا موضوعة أو لا، و خوض فى العديد من تلك الصيغ أ هى للعموم أم للخصوص؟ فذكر منها «كل» مبتدأة نحو: كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّهُ، أو تابعه، نحو:

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٢ أ. ه.

و ترك - رحمه الله - من استعمالات (كل):

الظرفية الموصولة ب (ما) الزائدة المستعملة فى الجملة الشرطية كقوله تعالى: كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْا فِيهِ ٣. كما ترك ما هو بمعنى «كل» كأجمع و جميع و كافة و عامة، و طرا، و قاطبة، و بأسر، و نحو ذلك. و قد استعمل من ذلك فى القرآن أجمع تابعا «لكل» كما مثل

هو «لكل» التابعة. و منفردا كقوله تعالى: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ٤، و جميع: كقوله تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٥، و كافة: كقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ٦. ثم ذكر من صيغه (الذى و التى و تثنيتهما و جمعهما) أى: ما لم يقد عهد بقريته، و إن لم يبنه الشيخ على ذلك، فإن قامت قريته على العهد فهى للخصوص.

فمثال العام: وَ الَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ ٧ فإن المراد به كل من صدر منه هذا القول، بدليل قوله بعد: أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ٨، وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ٩، وَ اللَّائِي يَنسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ ١٠ الآية، وَ اللَّائِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا ١١ الآية وَ الَّذِينَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا ١٢ و مثال ما جاء من ذلك خاصا لقيام قريته العهد، و لم يعرض له السيوطى هنا قوله تعالى: وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ١٣ و قوله: وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ١٤ الآية، و قوله: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ١٥ الآية، نزلت فيمن كان من المنافقين مع النبى صلى الله عليه و سلم فى غزوة بنى المصطلق كما هو معلوم فى محله من كتب التفسير و أسباب النزول.

ثم واصل حديثه فى ذكر الصيغ فذكر منها (أى، و ما، و من شرطاً و استفهاماً و موصولاً) نحو: أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٥٢

الحسنى ١٦ فهذا مثال الشرط فى أى، و عليه اقتصر السيوطى فيها، و مثال الاستفهام قوله تعالى فيما قص عن سليمان عليه السلام: أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ١٧ و مثال الموصولة، قوله تعالى: ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ١٨ و مثال الشرط فى (ما) قوله تعالى: وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ١٩ و مثال الاستفهام فيها قول امرأه العزيز فيما قص الله عنها: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَيِّجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٠ فإن السؤال بها يعم أنواع الجزاء كلها، بدليل الاستثناء المتصل الذى هو معيار العموم كما يقولون، و مثال الموصولة، و عليه اقتصر السيوطى: إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ٢١ و مثال الشرطية فى (من) قوله تعالى: مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ٢٢- و عليه اقتصر السيوطى، و مثال الاستفهامية فيها قوله تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ٢٣ و مثال الموصولة فيها قوله تعالى: وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَسْتَحْسِرُونَ ٢٤ ثم ذكر من الصيغ (الجمع المضاف) نحو يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ٢٥، و (المعرف بأل) نحو قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ٢٦ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ٢٧ أى: و مثل الجمع اسمه (أى اسم الجمع) كالقوم، و اسم الجنس الجمعى كالشجر، و اسم الجنس المضاف، نحو: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ٢٨ أى:

كل أمر الله. و (المعرف بأل) نحو: وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ٢٩ أى كل بيع، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ أى كل إنسان بدليل: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ٣٠ و النكرة فى سياق النفى و النهى نحو: فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا ٣١، فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ٣٢ و إِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ٣٣، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ٣٤، فَلَا رَفْثَ وَ لَا فُسُوقَ وَ لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ٣٥ و فى سياق الشرط نحو: وَ إِنِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ٣٦ و فى الامتنان نحو: وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ٣٧ و كالفعل فى سياق النفى و النهى كقوله تعالى:

وَ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ٣٨ و قوله: وَ مَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ، ٣٩ و اسم الفعل فى سياق النهى كقوله تعالى: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أ. ٤٠

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٥٣

و ترك السيوطى - رحمه الله - من صيغ العام المستعملة فى القرآن.

(أ) (مهما) و هى كلفظة (ما) لغير العاقل، و لا تستعمل إلا شرطية كقوله تعالى: وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْبِخَنَا بِهَا مَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ٤١.

(ب) (كيف) لعموم الأحوال استفهاماً، و شرطاً، و لم يأت فى القرآن، و متجردة عنهما. فمثالها استفهاماً قوله تعالى وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ

أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ٤٢، و مثالها متجردة قوله تعالى: هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ٤٣.

(ج) (أين) لعموم المكان شرطا و استفهاما و مجردة منهما، فمثالها شرطا قوله تعالى:

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ، ٤٤ و مثالها استفهاما: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، ٤٥ و مثالها مجردة منهما: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ٤٦.

(د) (أنى) لعموم الأحوال تارة ككيف، و لعموم الأماكن كمن أين، و تأتي شرطا و لم يقع فى القرآن. و استفهاما بالمعنيين الآنفين، و مجردة منها بهذين المعنيين. فمثالها استفهاما بمعنى كيف: قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ٤٧ الآية، و مثالها استفهاما بمعنى من أين: قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ٤٨، و مثالها مجردة منهما: فَأَتُوا حَزَنًا أَنَّى شِئْتُمْ ٤٩، و هى محتملة للمعنيين.

(هـ) (حين) كأين فى عموم المكان، مجرورة بمن، أو ظرفا موصولة بما، أو بدونها، و قد تكون على ظرفيتها شرطية إن وصلت بما، و مثالها قوله تعالى: وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ٥٠.

(و) (متى) لعموم الزمان ماضيا فى الاستفهام و مستقبلا فيه و فى الشرط، و لم تستعمل فى القرآن إلا مستقبلة فى الاستفهام كقوله تعالى: وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٥١.

(ز) (أيان) لعموم الزمان المستقبل شرطا و استفهاما، و لم تستعمل فى القرآن إلا استفهاما كقوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ٥٢.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٥٤

(ح) (كم) لعموم العدد استفهاما، و فى الكثرة غير المحصورة خبرية، فمن الأول قوله تعالى: قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ ٥٣، و من الثانى قوله تعالى: وَ كَمْ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَا ٥٤ و الأمران محتملان فى نحو قوله سبحانه: أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٥٥.

(ط) (كأين) و هى ككم الخبرية فى نحو قوله تعالى: وَ كَأَيِّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرًا ٥٦

ثم عقد السيوطى - رحمه الله - فصلا فى مخاطبات القرآن بالعام بين عام باق على عمومته، و عام مراد به الخصوص، و عام مخصوص، فقال - رحمه الله: «العام على ثلاثة أقسام:

الأول: الباقي على عمومته: قال القاضى جلال البلقينى: و مثاله عزيز، إذ ما من عام إلا و يدخل فيه التخصيص فقوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ٥٧ قد يخص منه غير المكلف، و حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ٥٨ خص منها حالة الاضطراب، و ميتة السمك و الجراد، و حرم الربا خص منه العرايا. ٥٩ و ذكر الزركشى فى «البرهان» أنه كثير فى القرآن، و أورد منه: وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، ٦٠ إِنْ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا، ٦١ وَ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا، ٦٢ وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ، ٦٣ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا. ٦٤ قلت: هذه الآيات كلها فى غير الأحكام الفرعية، فالظاهر أن مراد البلقينى أنه عزيز فى الأحكام الفرعية، و قد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها، و هى قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ٦٥ الآية، فإنه لا خصوص فيها».

الثانى: العام المراد به الخصوص.

الثالث: العام المخصوص. و للناس بينهما فروق. أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد، لا من جهة تناول اللفظ، و لا من جهة الحكم، بل هو ذو أفراد استعمل فى فرد منها.

و الثانى أريد عمومته و شموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها، لا من جهة الحكم، و منها أن الأول مجاز قطعاً لنقل اللفظ عن موضعه الأصلي بخلاف الثانى فإن فيه مذاهب أصحابها: أنه حقيقة، و عليه أكثر الشافعية و كثير من الحنفية و جميع الحنابلة، و نقله إمام الحرمين عن جميع الفقهاء. و قال الشيخ أبو حامد: إنه مذهب الشافعى و أصحابه. و صححه السبكي؛ لأن تناول

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٥٥

اللفظ للبعض الباقي بعد التخصيص كتناوله له بلا تخصيص. و ذلك التناول حقيقى اتفقا، فليكن هذا التناول حقيقيا أيضا.  
و منها أن قرينة الأول عقلية و الثانية لفظية.

و منها أن قرينة الأول لا تنفك عنه، و قرينة الثانية قد تنفك عنه. و منها أن الأول يصح أن يراد به واحد اتفقا، و فى الثانية خلاف، و من أمثلة المراد به الخصوص قوله تعالى:

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ. ٦٦

و القائل واحد (هو) نعيم بن مسعود الأشجعى أو أعرابى من خزاعه، كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبى رافع؛ لقيامه مقام كثير فى تثبيط المؤمنين عن ملاقة أبى سفیان قال الفارسى: و مما يقوى أن المراد به واحد قوله: إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ ٦٧، فوقت الإشارة بقوله: (ذلكم) إلى واحد بعينه، و لو كان المعنى جمعا لقال: (إنما أولئك الشيطان)، فهذه دلالة ظاهرة فى اللفظ.

و منها قوله تعالى: أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّ النَّاسَ ٦٨ أى: رسول الله صلى الله عليه و سلم لجمعه ما فى الناس من الخصال الحميدة. و منها قوله: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ٦٩. أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس فى قوله:

مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ. قال: إبراهيم عليه السلام. و من الغريب قراءة سعيد بن جبیر: مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ قال فى «المحتسب»: يعنى آدم لقوله: فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ٧٠، و منه قوله تعالى:

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ٧١. أى: جبريل كما فى قراءة ابن مسعود» أ. ه.

و أقول: ذكر السيوطى - كما ترى - للعام المراد به الخصوص أربعة أمثلة لا تنازعه منها إلا فى ثالثها، و إن كان فى بعضها كلام، و أعنى بهذا الثالث ما عزا فيه إلى الطبرى الرواية عن الضحاك عن ابن عباس: من أن الناس فى ثانية آتى الإفاضة يراد بهم إبراهيم، فإن النسخ المطبوعة بطبعات مختلفة من تفسير الطبرى فى تفسير هذه الآية من سورة البقرة ليس فيها الرواية عن الضحاك موصولة إلى ابن عباس، بل الرواية فيها جميعا هى عن الضحاك موقوفة عليه، و هكذا رواها عن الطبرى الحافظ ابن كثير ٧٢، و كذا رواها الحفاظ من أمثال الحافظ ابن حجر فى «الفتح» عن ابن أبى حاتم و غيره. فهذه واحدة.

و ثانية هى أطم من الأولى و أعظم، و هى أن هذا القول أحد قولين فى الآية حكاها

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٥٦

الطبرى و اختار غيره لما قال من إجماع الحجة عليه، و أنه لو لا إجماع الحجة على هذا الغير لاختاره. هذا معنى كلامه، و إنما القول المعتمد فى تفسير الآية أن يراد من الإفاضة فيها عين ما أريد منها فى سابقتها، و من قوله: مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ عرفات كما وقع التصريح به فى سابقتها على ما روى البخارى - رحمه الله - عن عائشة - رضى الله عنها: «كانت قريش و من دان دينها يقفون بالمزدلفة، و كانوا يسمون الخمس و كان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه و سلم أن يأتى عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى:

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ أ. ه كذا أخرجه البخارى فى الحج و فى التفسير، و اللفظ من التفسير فى تفسير الآية من سورة البقرة. تريد - رضى الله عنها: أن الأمور بالإفاضة فى هذه الآية هو النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه، أمروا أن تكون إفاضتهم من حيث يفيض جمهور العرب أى من عرفه - لا من حيث كان يفيض قريش و من دان دينها من المزدلفة أى أن يكون موقف النبى صلى الله عليه و سلم الذى صدر منه الإفاضة هو عرفه لا المزدلفة على ما كانت تفعل قريش، و توجيه (ثم) على هذا القول المعتمد - و الذى اختاره الطبرى نفسه و حكى الإجماع عليه - ما قاله الحافظ ابن حجر فى شرح هذا الحديث من كتاب الحج قال رحمه الله ٧٣: (و أما الإتيان فى الآية بقوله: (ثم) ففيل: هى بمعنى الواو. و هذا اختيار الطحاوى، و قيل: لقصد التأكيد لا لمحض الترتيب، و المعنى: فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام، ثم اجعلوا الإفاضة التى تفيضونها من حيث أفاض الناس لا من حيث كنتم تفيضون. قال الزمخشري: و موقع (ثم) هنا موقعها من قولك: «أحسن إلى الناس ثم لا - تحسن إلى غير الكريم»، فتأتى (ثم) لتفاوت ما بين



الإحسان إلى الكريم و الإحسان إلى غيره، فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات بين لهم مكان الإفاضة فقال: ثم أفيضوا. لتفاوت ما بين الإفاضتين، و أن إحداهما صواب و الأخرى خطأ.

قال الخطابي: «تضمن قوله تعالى ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ الأمر بالوقوف بعرفة لأن الإفاضة إما تكون عند اجتماع قبله، و كذا قال ابن بطال و زاد: و بين الشارع مبتدأ الوقوف بعرفة و منتهاه» أ. ه.

نعم قد جاء الآخر رواية عن ابن عباس عند البخارى أيضا فى تفسير الآية من كتاب التفسير و الذى حاصله أن الإفاضة فى هذه الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٥٧

الآية غيرها فى سابقتها، و أنها الإفاضة من «جمع» أى: المزدلفة إلى منى لرمى الجمرات، و لكن المقصود بالناس فى هذه الرواية ليس ما فى رواية الضحاك، و إنما هو العموم الشامل لجماهير الناس جميعا، أو هم قريش على أقل تقدير. ففى هذا الحديث عند البخارى: ثم ليدفعوا من عرفات فإذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جمعا الذى يتبرر فيه، ثم ليدكروا الله كثيرا أو أكثروا التكبير و التهليل قبل أن تصبحوا، ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يفيضون. و قال الله تعالى: و تلا الآية ثم قال: حتى ترموا الجمره أ. ه.

فلا تشترك هذه الرواية مع ما قال الضحاك إذن، إلا فى مجرد أن الإفاضة فى الآية يراد بها الإفاضة من المزدلفة، و أما أن الناس فيها يراد بهم إبراهيم عليه السلام فشىء لم يعرف عن ابن عباس و لا عن غيره، و إنما هو قصر على الضحاك وحده، و شتان ما بين الأمرين، و مع هذا فإن هذا القول عن ابن عباس - و إن بقيت فيه (ثم) التى صدرت بها الآية على حقيقتها من إفادة الترتيب، ليس هو القول المعتمد فى تفسير الآية، و الذى وصفنا من قول عائشة، بل الذى نطق به رواية أخرى عن ابن عباس فى تفسير الطبرى نفسه، كما جاءت به الرواية عند الطبرى عن عروة بن الزبير و عطاء و قتادة و مجاهد و السدى و الربيع و ابن أبى نجیح.

و من ثم حكى الطبرى إجماع الحجة عليه كما سبق. و إنما كان الذى وصفنا من قول هؤلاء المعتمد؛ لأنه فوق كونه قول الجمهور نص فى إلغاء صنيع قريش، و إيجاب أن يكون موقف الجميع؛ قريش و غير قريش بعرفة، بخلاف ما فى هذه الرواية عن ابن عباس، فإنه و إن أفاد إيجاب الإفاضة إلى منى لم يعرض من قليل أو كثير لما هو أهم منه بدرجات - أعنى إبطال الباطل - و لا سيما أن الإفاضة من المزدلفة إلى منى كان أمرا معروفا و مشتركا متفقا فيه من الكل؛ قريش، و غير قريش، فلم تضاف الآية جديدا.

و أيضا فإن أمر منى سيأتى الحديث عنه بعد هذا بقليل فى قوله تعالى: وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ٧٤ الآية. و فى هذا الرد: (أ) على ما زعم الطبرى من ترجيح أن تراد الإفاضة إلى منى لو لا إجماع الحجة على الأول.

(ب) و على علامة مفسرى العصر الطاهر ابن عاشور فيما زعم من ذلك لو لا الحديث، كما قال فى تفسيره الجليل «التحرير و التنوير» يريد حديث عائشة المتضمن للقول المعتمد.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٥٨

(ج) و على موقف الحافظ ابن كثير الحائر بين القولين و المتمثل فى قوله بعد إيراده لروايتى عائشة و ابن عباس من البخارى (فأله أعلم) أ. ه.

و أما ما حكى فى هذا المثال من قراءة ابن جبير بالياء يريد آدم كما فسره ابن جنى فى «المحتسب»، فقد كفانا مؤنتها بعدها من الغريب، فإنها قراءة بالغه الشذوذ خارجة أتم الخروج عن القرآنية، فلا يبال بها و لا بما تضمنته من هذا المعنى هنا.

ثم شرع السيوطى بعد هذا فى الحديث عن العام المخصوص و بيان المخصص المتصل منه و المنفصل فقال: «و أما المخصوص فأمثلته فى القرآن كثيرة جدا، و هو أكثر من المنسوخ، إذ ما من عام إلا و قد خص، ثم المخصص له:

إما متصل و إما منفصل، فالمتصل: خمسة وقعت فى القرآن: أحدها: الاستثناء» (يريد المتصل) و ذكر له أمثلة خمسة نختر من بينها آخرها و هو قوله تعالى: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ٧٥.

ثم قال السيوطي: «الثاني: الوصف نحو:

وَرَبَابِكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ٧٦ الثالث: الشرط، نحو وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ٧٧، كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَيُوتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ٧٨. الرابع: الغاية و ذكر لها أمثلة أربعة آخرها: وَ كَلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ٧٩ الآية. و الخامس:

بدل البعض من الكل نحو: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنَ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا ٨٠. ثم قال: و المنفصل آية أخرى في محل آخر، أو حديث، أو إجماع، أو قياس. و من أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى: وَ الْمُطَّلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ٨١ خص بقوله: إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ مِنْ عِدَّتِهِ ٨٢ و بقوله: وَ أُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ٨٣ و قوله:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ ٨٤ خص من الميتة السمك بقوله: أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ ٨٥ و من الدم الجامد بقوله: أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ٨٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٥٩

و قوله: وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ٨٧ الآية خص بقوله تعالى: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ٨٨. و قوله:

الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ٨٩. خص بقوله: فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ٩٠.

و قوله: فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ٩١، خص بقوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ٩٢ الآية. و من أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى: وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ٩٣ خص منه البيوع الفاسدة- و هي كثيرة بالسنة- وَ حَرَّمَ الرِّبَا، خص منه العرايا ٩٤ بالسنة، و آيات المواريث خص فيها القاتل و المخالف في الدين بالسنة. و آية تحريم الميتة خص منها الجراد بالسنة، و آية ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ٩٥ خص منها الأمة بالسنة ٩٦.

و قوله: مَاءٌ طَهُورًا ٩٧ خص منه المتغير بالسنة، و قوله: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا ٩٨، خص منه من سرق دون ربع دينار بالسنة. و من أمثلة ما خص بالإجماع:

آية المواريث خص منها الرقيق فلا يرث بالإجماع، ذكره مكي. و من أمثلة ما خص بالقياس: آية الزنا فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ٩٩ خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة في قوله: فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ١٠٠ المخصص لعموم الآية، ذكره مكي أيضا.

ثم قال السيوطي: «فصل من خاص القرآن: ما كان مخصصا لعموم السنة و هو عزيز، و من أمثلته قوله تعالى: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ١٠١ خص عموم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله).

و قوله: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى ١٠٢، خص عموم نهيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عن الصلاة في الأوقات المكروهة بإخراج الفرائض، و قوله: وَ مِنْ أَصْوَافِهَا وَ أَوْبَارِهَا ١٠٣ الآية خص عموم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «ما أبين من حى فهو ميت»، و قوله:

وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ ١٠٤.

خص عموم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: (لا تحل الصدقة لغنى و لا لذى مرء سوى). و قوله: فَقاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى ١٠٥. خص عموم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: (إذا التقى المسلمان بالسيف، فالقاتل و المقتول في النار).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٦٠

ثم قال السيوطي: فروع منثورة تتعلق بالعموم و الخصوص: الأول: إذا سيق العام للمدح أو الذم، فهل هو باق على عمومته؟ فيه مذاهب: أحدها: (نعم) إذ لا صارف عنه، و لا تنافى بين العموم و بين المدح أو الذم.

و الثاني: لا؛ لأنه لم يسق للتعميم بل للمدح أو الذم.



و الثالث: و هو الأصح: التفصيل، فهو إن لم يعارضه عام آخر لم يسق لذلك، و لا- يعم إن عارضه ذلك، جمعا بينهما. مثاله- و لا معارض- قوله تعالى: إِنَّ الْبَابِرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَ إِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ ١٠٦ و مع المعارض قوله تعالى: وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ١٠٧. فإنه سيق للمدح، و ظاهره يعم الأختين بملك اليمين جمعا، و عارضه في ذلك: وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ١٠٨؛ فإنه شامل لجمعهما بملك اليمين، و لم يسق للمدح فحمل الأول على غير ذلك بأنه لم يرد تناوله له. و مثاله في الذم: وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ ١٠٩ الآية فإنه سيق للذم، و ظاهره يعم الحلى المباح. و عارضه في ذلك حديث جابر: «ليس في الحلى زكاة». فحمل الأول على غير ذلك.

الثاني: اختلف في الخطاب الخاص به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، نحو: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ هل يشمل الأمة؟ فقيل: نعم؛ لأن أمر القدوة أمر لأتباعه معه عرفا، و الأصح في الأصول المنع لاختصاص الصيغة به.

الثالث: اختلف في الخطاب ب يا أَيُّهَا النَّاسُ، هل يشمل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ؟ على مذاهب: أصحها- و عليه الأكثرون: نعم لعموم الصيغة له؛ أخرج ابن أبي حاتم عن الزهري قال: إذا قال الله: «يا أيها الذين آمنوا افعلوا» فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ منهم. و الثاني: لا؛ لأنه ورد على لسانه لتبليغ غيره، و لما له من الخصائص.

و الثالث: إن اقترن ب «قل» لم يشمله لظهوره في التبليغ، و ذلك قرينه عدم شموله؛ و إلا فيشملة. الرابع: الأصح في الأصول أن الخطاب ب «أيها الناس» يشمل الكافر و العبد لعموم اللفظ، و قيل: لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع. و لا العبد؛ لصرف منافعه إلى سيده شرعا.

الخامس: اختلف في «من» هل تتناول

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٦١

الأئمة؟ فالأصح نعم، خلافا للحنفية، لنا قوله تعالى: وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ١١٠ فالتفسير بهما دال على تناول «من» لهما، و قوله: وَ مَنْ يَقْتُلْ مُنْكَرًا لِلَّهِ ١١١. و اختلف في جمع المذكر السالم هل يتناولهما؟ فالأصح لا، و إنما يدخلن فيه بقرينه، أما المكسر فلا خلاف في دخولهن فيه.

السادس: اختلف في الخطاب ب «يا أهل الكتاب» هل يشمل المؤمنين؟ فالأصح لا؛ لأن اللفظ قاصر على من ذكر. و قيل: إن شاركوهم في المعنى شملهم و إلا فلا.

و اختلف في الخطاب ب «يا أيها الذين آمنوا» هل يشمل أهل الكتاب؟ فقيل: لا، بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع، و قيل: نعم؛ و اختاره ابن السمعاني قال: و قوله: «يا أيها الذين آمنوا» خطاب تشریف لا تخصيص ١١٢ أ. هـ.

و قوله في سادس هذه الفروع بما قال من اختيار ابن السمعاني في نحو يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قد فصل الزركشى- رحمه الله- القول في هذه القضية و كشف فيه عن شبهة ابن السمعاني و أجاب عنها فقال في كتابه البحر المحيط: (الخامسة: «يعنى من مسائل اشتغال العموم على بعض ما يشكل تناوله»:

الخطاب ب «يا أيها المؤمنون» حكى ابن السمعاني في «الاصطلام» عن بعض الحنفية أنه لا يشمل غيرهم من الكفار لأنه صريح، ثم اختار التعميم لهم و لغيرهم لعموم التكليف بهذه الأمور، و أن المؤمنين إنما خصوا بالذكر من باب خطاب التشریف لا- خطاب التخصيص بدليل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ١١٣ و قد ثبت تحريم الربا في حق أهل الذممة. قلت: و فيه نظر؛ لأن الكلام في تناول بالصيغة لا بأمر خارج. و قال بعضهم:

لا يتناولهم لفظا، و إن قلنا: إنهم مخاطبون إلا بدليل منفصل أو من عدم الفرق بينهم و بين غيرهم و إلا كيف يقال بعموم الشريعة لهم و لغيرهم، و أما حيث يظهر الفرق أو يمكن معنى غير شامل لهم، فلا يقال بثبوت ذلك الحكم لهم؛ لأنه يكون إثبات حكم بغير دليل، و التعلق قدر زائد على الوجوب فلا يثبت في حقهم بغير دليل و لا معنى ١١٤ أ. هـ و الله أعلم.

أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفه  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٦٢  
الهوامش:

- 
- (١) الرحمن: ٢٦.  
 (٢) الحجر: ٣٠.  
 (٣) البقرة: ٢٠.  
 (٤) الحجر: ٤٣.  
 (٥) الأعراف: ١٥٨.  
 (٦) سبأ: ٢٨.  
 (٧) الأحقاف: ١٧.  
 (٨) الأحقاف: ١٨.  
 (٩) البقرة: ٨٢.  
 (١٠) الطلاق: ٤.  
 (١١) النساء: ١٥.  
 (١٢) النساء: ١٦.  
 (١٣) الحجر: ٦.  
 (١٤) الأنبياء: ٩١.  
 (١٥) المنافقون: ٧.  
 (١٦) الإسراء: ١١٠.  
 (١٧) النمل: ٣٨.  
 (١٨) مريم: ٦٩- العتي: الطغيان و مجاوزة الحد في العدوان.  
 (١٩) البقرة: ١٩٧.  
 (٢٠) يوسف: ٢٥.  
 (٢١) الأنبياء: ٩٨.  
 (٢٢) النساء: ١٢٣.  
 (٢٣) البقرة: ٢٥٥.  
 (٢٤) الأنبياء: ١٩.  
 (٢٥) النساء: ١١.  
 (٢٦) المؤمنون: ١.  
 (٢٧) التوبة: ٥.  
 (٢٨) النور: ٦٣.  
 (٢٩) البقرة: ٢٧٥.

(٣٠) العصر: ٢، ٣.

(٣١) البقرة: ٢٢.

(٣٢) النساء: ٢٠. وهذا خير من تمثيل السيوطي بقوله تعالى فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ لِمَا سَيَأْتِي.

(٣٣) الحجر: ٢١.

(٣٤) البقرة: ٢.

(٣٥) البقرة: ١٩٧.

(٣٦) التوبة: ٦.

(٣٧) الفرقان: ٤٨.

(٣٨) الأعراف: ٥٦.

(٣٩) مريم: ٦٤.

(٤٠) الإسراء: ٢٣.

(٤١) الأعراف: ١٣٢.

(٤٢) آل عمران: ١٠١.

(٤٣) آل عمران: ٦.

(٤٤) النساء: ٧٨.

(٤٥) التكويد: ٢٦.

(٤٦) الحديد: ٤.

(٤٧) البقرة: ٢٤٧.

(٤٨) آل عمران: ٣٧.

(٤٩) البقرة: ٢٢٣.

(٥٠) البقرة: ١٥٠.

(٥١) يونس: ٤٨.

(٥٢) الأعراف: ١٨٧.

(٥٣) الكهف: ١٩.

(٥٤) الأعراف: ٤.

(٥٥) الشعراء: ٧.

(٥٦) آل عمران: ١٤٦.

(٥٧) الحج: ١.

(٥٨) المائدة: ٣.

(٥٩) هي بيع الرطب على النخل بخرصها تمرًا على الأرض ممن يتقن الخرص، و التقدير بحسب الإمكان: أرخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم للعذر كما في حديث الصحيحين وغيرهما. أنظر بلوغ المرام للحافظ ابن حجر العسقلاني و شرحه سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ج ٣ من ص ٥٨ إلى ص ٦٠.

(٦٠) المائدة: ٩٧.

- (٦١) يونس: ٤٤.
- (٦٢) الكهف: ٤٩.
- (٦٣) فاطر: ١١.
- (٦٤) غافر: ٦٤.
- (٦٥) النساء: ٢٣.
- (٦٦) آل عمران: ١٧٣.
- (٦٧) آل عمران: ١٧٥.
- (٦٨) النساء: ٥٤.
- (٦٩) البقرة: ١٩٩.
- (٧٠) طه: ١١٥.
- (٧١) آل عمران: ٣٩.
- (٧٢) أنظر تفسيره ج ١ ص ٢٤٢.
- (٧٣) فتح الباري ج ٣ ص ٥١٧. فما بعدها.
- (٧٤) البقرة: ٢٠٣.
- (٧٥) القصص: ٨٨. والمراد من الوجه الذات أو العمل الصالح الذي أريد به وجهه تعالى.
- (٧٦) النساء: ٢٣.
- (٧٧) النور: ٣٣.
- (٧٨) البقرة: ١٨٠.
- (٧٩) البقرة: ١٨٧.
- (٨٠) آل عمران: ٩٧.
- (٨١) البقرة: ٢٢٨.
- (٨٢) الأحزاب: ٤٩.
- (٨٣) الطلاق: ٤.
- (٨٤) المائدة: ٣.
- (٨٥) المائدة: ٩٦.
- (٨٦) الأنعام: ١٤٥.
- (٨٧) النساء: ٢٠.
- (٨٨) البقرة: ٢٢٩.
- (٨٩) النور: ٢.
- (٩٠) النساء: ٢٥. والمقصود الإماء المتزوجات إن أتين بفاحشة الزنا فعليهن نصف ما على الحرائر الأبيكار من العذاب، أي خمسون جلدة نصف حد الحرّة البكر كما هو مقرر في محله من كتب الفقه والتفسير. وخص أيضا عموم الآية المحصن بالسنة فحده الرجم، و سيأتي فيه تخصيص آخر بالقياس.
- (٩١) النساء: ٣.

(٩٢) النساء: ٢٣.

(٩٣) البقرة: ٢٧٥.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٦٣

(٩٤) قال في اللسان: «في حديث أنه رخص في العريء والعرايا، قال أبو عبيد: العرايا واحدتها عريء، وهي النخلة يعريها صاحبها رجلا محتاجا.

والإعراء أن يجعل له ثمر عامها. والمقصود: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رخص لهم في بيع الرطب على النخل بالتمر على الأرض. حرصا وتقديرا حسب الإمكان، كما في حديث الصحيحين وغيرهما. وانظر بلوغ المرام للحافظ ابن حجر وشرحه سبل السلام للصنعاني ج ٥٨ إلى ص ٦٠.

(٩٥) البقرة: ٢٢٨.

(٩٦) أي فعدتها قرآن.

(٩٧) الفرقان: ٤٨.

(٩٨) المائدة: ٣٨.

(٩٩) النور: ٢.

(١٠٠) النساء: ٢٥.

(١٠١) التوبة: ٢٩.

(١٠٢) البقرة: ٢٣٨.

(١٠٣) النحل: ٨٠.

(١٠٤) التوبة: ٦٠.

(١٠٥) الحجرات: ٩.

(١٠٦) الانفطار: ١٣، ١٤.

(١٠٧) المؤمنون: ٥، ٦.

(١٠٨) النساء: ٢٣.

(١٠٩) التوبة: ٣٤.

(١١٠) النساء: ١٢٤.

(١١١) سورة الأحزاب: ٣١.

(١١٢) الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي: ج ٣ من ص ٤٨ إلى ص ٥٨.

(١١٣) البقرة: ٢٧٨.

(١١٤) البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين الزركشي: (ج ٣ ص ١٨٣).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٦٤

**مطلق القرآن و مقيده****أولا: ما هو المطلق:**

هو لغة: (التحرر من القيد). و اصطلاحاً:

(اللفظ الدال على الماهية بلا قيد من وحدة أو غيرها) كذا عرّفه ابن السبكي وغيره.

وبعضهم يقيد الماهية فيقول: (الماهية من حيث هي). و يتساوى في ذلك جعلنا الماهية المقرونة بالعوارض عين هوية الموجود في الخارج، فتصير الإنسانية هي عين هوية المشخص (محمد)، أو جعلنا الماهية جزءه - كاختيار بعض الحكماء - ففي الحالتين يكون طلب المطلق من العبد شرعاً بأن قال له الشارع: اعتق رقبة، فإن هذا المطلق يتحقق في فرد ذي هوية مخصوصة؛ لأن الماهية المجردة من المشخصات لا يمكن طلبها من العبد؛ لعدم تمكنه من تحصيلها في الخارج إلا بالهوية المخصوصة في فرد خارجي. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ١٦٤ أولاً: ما هو المطلق: ..... ص: ١٦٤

عليه لم تكن هناك حاجة لعدول الآمدى لتعريفه المطلق بأنه (لنكرة في الإثبات)، و عدول تلميذه إلى تعريفه بأنه: (ما دلّ على شائع في جنسه)؛ لأن ما قالاه أمر كلي ذهني لا يحصل في الخارج مجرداً، و لأن التعريفات وضعت للوصول للحقيقة لا لما في الخارج. و قد أحسن صاحب «الكشف» في تفريقه بين بعض الألفاظ فقال: «الماهية في ذاتها لا واحدة و لا متكررة، و اللفظ الدال عليها من غير تعرض لقيد ما هو المطلق، و مع التعرض لكثرة معينة هو اسم العدد، و غير معينة هو العام، و لوحدة معينة هو المعرفة، و لوحدة غير معينة هو النكرة».

### ثانياً: حكم المطلق مع المقيد:

الأقسام الممكنة في مسألة حمل المطلق على المقيد أو عديمه تأتي من النظر إلى الحكم و السبب في المطلق و المقيد، و هما: المطلق و المقيد إما أن يتفقا في الحكم و السبب، و إما أن يختلفا فيهما، و إما أن يتفقا في الحكم و يختلفا في السبب، أو العكس، فالأقسام أربعة، و كل قسم منها إما أن يكون المطلق و المقيد مثبتين و إما منفيين و إما أحدهما مثبتاً و الآخر منفيًا. فمجموع الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٦٥

الأقسام: اثنا عشر قسماً من ضرب أربعة في ثلاثة. فما اختلفا فيه في الحكم و السبب فلا يحمل المطلق على المقيد فيه باتفاق. و بهذا ذهبت أقسام ثلاثة و بقيت تسعة، يظهر الحكم فيها من كلام ابن السبكي و شارحه «المحلى»، مع ملاحظة حمل ما لم يذكر من هذا الفصل على ما ذكر. قالوا رحمهما الله:

«مسألة المطلق و المقيد كالعام و الخاص» فما جاز تخصيص العام به يجوز تقييد المطلق به و ما لا فلا. فيجوز تقييد الكتاب بالكتاب و بالسنة، و السنة بالكتاب و السنة، و تقييدهما بالقياس و المفهومين و فعل النبي عليه الصلاة و السلام و تقريره، بخلاف مذهب الراوى، و ذكر بعض جزئيات المطلق على الأصح في الجميع. (و) يزيد المطلق و المقيد «أنهما إن اتحد حكمهما و موجبهما» بكسر الجيم أى سببهما «و كانا مثبتين» كأن يقال في كفارة الظهار: أعتق رقبة مؤمنة «و تأخر المقيد عن وقت العمل بالمطلق فهو» أى المقيد «ناسخ» للمطلق بالنسبة إلى صدقه بغير المقيد «و إلا» بأن تأخر عن وقت الخطاب بالمطلق دون العمل أو تأخر المطلق عن المقيد مطلقاً أو تقارنا أو جهل تاريخهما «حمل المطلق عليه» أى: على المقيد جمعاً بين الدليلين. «و قيل المقيد ناسخ» للمطلق «إن تأخر» عن وقت الخطاب به كما لو تأخر عن وقت العمل به بجامع التأخر، «و قيل: يحمل المقيد على المطلق» بأن يلغى القيد؛ لأن ذكر المقيد ذكر الجزئي من المطلق فلا يقيد، كما أن ذكر فرد من العام لا يخصه.

قلنا: الفرق بينهما أن مفهوم القيد حجة بخلاف مفهوم اللقب الذي ذكر فرد من العام منه - كما تقدم - «و إن كانا منفيين» يعنى: غير مثبتين (منفيين أو منهيين) نحو لا - يجزى عتق مكاتب. لا - يجزى عتق مكاتب كافر، لا - تعتق مكاتباً، لا - تعتق مكاتباً كافراً «فقائل المفهوم» أى القائل بحجية مفهوم المخالفة و هو الراجح «يقيد به» أى يقيد المطلق بالمقيد في ذلك «و هي» أى المسألة حينئذ «خاص و عام» لعموم المطلق في سياق النفي، و نافي المفهوم يلغى القيد و يجرى المطلق على إطلاقه «و إن كان أحدهما أمراً و الآخر

نها» نحو: أعتق رقبة، لا تعتق رقبة كافر، أعتقا رقبة مؤمنة، لا تعتق رقبة «فالمطلق مقيد بضد الصفة» في المقيد ليجتمعا، فالمطلق في المثال الأول مقيد بالإيمان، و في الثاني مقيد بالكفر «و إن اختلف السبب مع اتحاد الحكم» كما في قوله تعالى في كفارة الظهار: فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٦٦

و في كفارة القتل: فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ.

فقال أبو حنيفة: «لا يحمل المطلق على المقيد في ذلك لاختلاف السبب، فيبقى المطلق على إطلاقه»، «و قيل يحمل» عليه «لفظا» أى بمجرد ورود اللفظ المقيد من غير حاجة إلى جامع. وقال الشافعي رضى الله عنه يحمل عليه «قياسا» فلا بد من جامع بينهما، و هو في المثال المذكور حرمة سببهما، أى: الظهار و القتل «و إن اتحد الموجب» فيهما و اختلف حكمهما» كما في قوله تعالى في التيمم: فَامْسِجُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ و في الوضوء فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ و الموجب لهما الحدث و اختلاف الحكم من مسح المطلق و غسل المقيد بالمرافق واضح «فعلى الخلاف» من أنه لا يحمل المطلق على المقيد، أو يحمل عليه لفظا أو قياسا و هو الراجح و الجامع بينهما في المثال المذكور اشتراكهما في سبب حكمهما «و المقيد» في موضعين «بمتناهيين» و قد أطلق في موضع كما في قوله تعالى في قضاء أيام رمضان: فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ و في كفارة الظهار فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ و في صوم التمتع فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَيْضِ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ «يستغنى» فيما أطلق فيه «عنهما إن لم يكن أولى بأحدهما من الآخر قياسا» كما في المثال المذكور بأن يبقى على إطلاقه لامتناع تقيده بهما لتنافيهما، و بواحد منهما لانتفاء مرجحه فلا يجب في قضاء رمضان تتابع و لا تفريق، أما إذا كان أولى بالتقييد بأحدهما من الآخر من حيث القياس كأن وجد الجامع بينه و بين مقيده دون الآخر قيد به بناء على الراجح من أن الحمل قياس، فإن قيل: لفظي. فلا.

و قول ابن السبكي - رحمه الله - في شأن ما اتحد فيه السبب و الحكم و اختلف المطلق و المقيد نفا و إثباتا: «فالمطلق مقيد بضد الصفة» علق عليه العلامة الشرييني فقال:

«ظاهره أنه لا نسخ هنا، و إن تأخر المقيد عن وقت العمل، و الظاهر خلافه، فلعل معناه: أنه مقيد بضد الصفة، ثم إن تأخر عن العمل كان نسخا و إلا كان تقييدا» أه.

ثم لا يخفى بعد هذا على فطانه القارئ الكريم أن شأن ما اختلف فيه السبب دون الحكم أو الحكم دون السبب شأن ما اتحد فيه من حيث تفصيل الإثبات و النفي لكن مع بعض فروق طفيفة تطلب من مراجعة تقارير العلامة الشرييني في هذا المقام ١ أه.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٦٧

بقي أن يقف القارئ الكريم على ثانی التنبهين اللذين ختم بهما السيوطي حديثه الموجز عن هذا النوع من علوم القرآن. قال رحمه الله: «ما تقدم: يعنى من حمل المطلق على المقيد و عدمه - محله، إذا كان الحكمان بمعنى واحد، و إنما اختلفا في الإطلاق و التقييد؛ فأما إذا حكم في شىء بأمر، ثم في آخر ببعضها، و سكت فيه عن بعضها، فلا يقتضى الإلحاق، كالأمر بغسل الأعضاء الأربعة في الوضوء و ذكر في التيمم عضوين، فلا- يقال بالحمل، و مسح الرأس و الرجلين بالتراب فيه أيضا، و كذلك ذكر العتق و الصوم و الإطعام في كفارة الظهار، و اقتصر في كفارة القتل على الأولين، و لم يذكر الإطعام، فلا يقال بالحمل و إبدال الصيام بالطعام ٢» أه.

أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفه

الهوامش:

(١) انظر: المصدر نفسه (ص ٤٨ - ص ٥٢).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (ج ٣ ص ١٠٣).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٦٨

## مجل القرآن و مبينه

### أولا: المجل:

#### إشارة

لغة: اسم مفعول من أجمل الشيء (إذا جمعه حتى اختلط بعضه ببعض فلم تتضح تفاصيله). و اصطلاحا: (ما لم تتضح دلالاته).  
فقولهم: (ما) يدخل فيها مع اللفظ الفعل و التقرير، و يخرج المهمل لعدم دلالاته أصلا.  
و سنعرض لبعض مسائل الإجمال:

### إحداها: أسباب الإجمال:

و قد أجمل السيوطي في «الإتقان» أسباب الإجمال في ما ملخصه: أن من أسباب الإجمال: (الاشترائك) كما في قوله تعالى:  
ثَلَاثَةٌ قُرُوءٍ ١. فإن القرء موضوع للطهر و الحيض.  
و منها: (الحذف) كما في قوله تعالى:  
و تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ٢ فيحتمل المحذوف أن يكون (في) أو (عن).  
و منها: (اختلاف مرجع الضمير) نحو:  
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ٣ فالضمير في يرفعه يحتمل عوده على الضمير في (إليه) العائد عليه - سبحانه و تعالى -  
و يحتمل أن يعود للعمل.  
و منها: (احتمال العطف و الاستئناف) نحو قوله تعالى: إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ٤.  
و منها: (غرابه اللفظ) نحو: فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ٥.  
و منها: (عدم كثرة الاستعمال الآن) نحو:  
ثَانِي عَطْفِهِ ٦ أى متكبرا.  
و منها: (التقديم و التأخير) نحو:  
يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا ٧ أى:  
يسألونك عنها كأنك خفي.  
و منها: (قلب المنقول) نحو: وَ طُورِ سِينِينَ ٨ أى: سينا.  
و منها: (التكرير القاطع لوصول الكلام في الظاهر) نحو: لِلَّذِينَ اسْتُضْجِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ٩ ١٠ هـ. ملخصا. واضح مما عرضنا من  
أسباب الإجمال نسيه هذه  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٦٩  
الأسباب حتى إنها قد يتلاشى الإجمال في بعضها.

### ثانيها: هل المجل واقع في القرآن؟:



يتضح من الأمثلة السابقة عند عرض أسباب الإجمال وقوع المجمل في القرآن خلافا لدواد الظاهري. و لكن هل يبقى على إجماله؟ خلاف بين العلماء، و الصواب عندي:

أنه لا- يكون كذلك، على ما أثبتناه من أن الحق في المتشابه علم الراسخين بتأويله، و قيل: يبقى مطلقا، و قيل: لا يبقى في مواطن التكليف. و كل هذا ضعيف سوى الأول.

### ثالثها: آيات اختلف فيها هل من قبيل المجمل أم المبين؟

ذكر السيوطي نماذج: منها: آية السرقة قيل: مجمله؛ لأن اليد تطلق على العضو إلى الكوع و إلى المرفق و إلى المنكب، و لا ظهور لواحد منها، و أبان الشارع المراد، و قيل: لا إجمال فيها؛ لأن القطع ظاهر في الإبانة.

و منها و أمْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ ١١ قيل: إنها مجمله لتردها بين مسح الكل و البعض، و مسح الشارع على الناصية مبين، و قيل: لا، إنما هي لمطلق المسح الصادق بأقل مسح.

و منها: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ١٢ بنسب الحرمة للعين، و لا حرمة فيها، فهي مجمله؛ لأنه لا بد من تقدير لفعل و هو محتمل. و قيل: لا، لوجود المرجح و هو العرف بتحريم الاستمتاع.

و منها: وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا ١٣ قيل: مجمله؛ لأن ما من بيع إلا و فيه زيادة، و قيل: لا؛ لأن البيع منقول شرعا فحمل على إطلاقه و عمومه.

و منها: وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ١٤ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ١٥.

و الآيات التي فيها الأسماء الشرعية لاحتمال إرادة معانيها اللغوية فافتقرت للبيان، و قيل: لا، بل تحمل على الشرعية إلا بدليل.

### رابعها: التفرقة بين المجمل و المحتمل لمعنيين:

فرق بينهما ابن الحصار ١٦- بعد أن ذكر أن من الناس من ساوى بينهما- بأن المجمل:

اللفظ المبهم الذي لا- يفهم المراد منه، و المحتمل: الواقع بالوضع الأول على معنيين مفهومين فصاعدا. و المجمل يدل على أمور معروفة، و المحتمل متردد بينها، و الشارع لم يفوض لأحد بيان المجمل بخلاف المحتمل ١٧.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٧٠

### خامسها: حكمة إيراد المجمل:

الحاصل أن لإيراد المجمل الذي هو أحد قسمي المتشابه فوائد عظيمة منها: حكم الابتلاء و حفز العقول على النظر و تحصيل العلوم و نبيل شرف العلم، و التعرض لنيل درجات علمية من الفضل بقدر ما يبذل من جهد في التوصل إلى الحق، و مزيد طمأنينة القلوب بالبرهان على أحقية كون القرآن من عند الله. و قد أشار إلى هذه الفوائد الزمخشري في «كشافه» ١٨. و لحجة الإسلام الغزالي و الرازي في تفسيره و القاضي عبد الجبار في «متشابه القرآن» كلام في هذه المسألة فيراجع في رسالتنا «المحكم و المتشابه في القرآن».

### ثانيا: المبين:

في بيان حقيقته: يذكر العصد في شرحه «لمختصر ابن الحاجب» أن البيان يطلق ويراد به فعل المبين، وهو التبيين من بان: إذا ظهر و انفصل، و يطلق ويراد ما حصل به التبيين و هو الدليل، و يطلق ويراد متعلق التبيين و محله و هو المدلول. فعرفه الصيرفي بالنظر للأول بأنه: الإخراج من حيز الإشكال إلى التجلي و الوضوح ١٩. و أورد على هذا التعريف إيرادات واهية، و سنعرض فيما يلي بالتفصيل لمسألتين من مسائل هذا المبحث:

### أولاهما: بم يقع البيان؟

ذكر الإمام السيوطي ما يقع به البيان بالأمثلة ما ملخصه: أن بيان آي القرآن قد يقع بالمتصل كما وقع لقوله تعالى: **الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ** بقوله: **مِنَ الْفَجْرِ ٢٠**، و قد يكون البيان بالمنفصل كما في قوله تعالى: **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ٢١** فقد بينه قوله تعالى: **فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ٢٢**، فإنه بين أن المراد بالطلاق في الآية الأولى: الذي يملك الرجعة بعده، و لو لا الآية الثانية لكان الطلاق منحصرًا في الطلقتين.

ثم ذكر الإمام السيوطي أمثلة كثيرة من البيان المنفصل. ثم ذكر أن البيان قد يكون أيضا بالسنة مثل قوله تعالى: **وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ٢٣**، و قوله تعالى: **وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ** قد بينت السنة أفعال الصلاة و الحج و مقادير الزكاة في أنواعها ٢٤.

### ثانيهما: تأخير البيان:

ذكر الإمام ابن السبكي أقوالا في هذه المسألة ملخصها: أن أولها: يرى أصحابه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٧١

عدم وقوع تأخير البيان عن وقت الفعل، و إن جاز عند المجوزين للتكليف بما لا يطلق.

و ثانيها: يرى أصحابه أن تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الفعل واقع و جائز سواء كان مبينا أم مجملا، قول الجمهور.

و ثالثها: يمتنع في المبين بخلاف المجمال.

و رابعها: يمتنع تأخير البيان الإجمالي فيما له ظاهر دون التفصيلي، و يجوز في المجمال تأخيرهما.

و خامسها: يمتنع تأخير البيان في غير النسخ.

و سادسها: لا يجوز تأخير بعض البيان دون بعض، لعدم إيهام المخاطب بأن المقدم هو البيان فقط.

ثم اختار الجلال المحلى رأى الجمهور بأن تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الفعل واقع و جائز، و استدل على الوقوع بالغنيمه

في قوله تعالى: **وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ٢٥** فإنه عام فيما يغنم خصص بحديث الصحيحين: «من قتل قتيلا فله

سلبه». و ذكر ابن السبكي أن الحديث كان في غزوة حنين، و أن الآية كانت في بدر. و بين أن الأقوال السابقة على القول بالجواز، أما

القول بالمنع من التأخير فالمختار جواز تأخير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ التبليغ إلى وقت الحاجة، و قيل: لا يجوز لقوله: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**

**بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ٢٦** أى على الفور، و ذكر أن كلام الرازي و الآمدى يقتضى المنع في القرآن، و لم يقع في كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ

سليم لما علم أنه كان يسأل فيجب تارة و يقف انتظارا للوحي أخرى. ثم بين أن المختار على المنع أنه يجوز أن لا يعلم المكلف

الموجود بالمخصص بذاته أو بوصفه أنه مخصص. و قيل: لا- يجوز في المخصص السمعي لما فيه من تأخير إعلامه بالبيان، و في

العقلي اتفقوا على الجواز، و ذكر أنه وقع من بعض الصحابة عدم سماع المخصص السمعي إلا بعد حين، كعدم سماع عمر رضی اللهُ

عنه ما يخصص المجوس حتى سمع عبد الرحمن بن عوف يخبره عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أنه قال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»،

- و أنه أخذ الجزية ٢٧.
- أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٧٢
- مصادر للبحث و الاستزادة (١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى.
- (٢) البحر المحيط لبدر الدين الزركشى، ط الكويت.
- (٣) التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور.
- (٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
- (٥) جامع البيان عن تأويل أى القرآن للطبرى.
- (٦) الجامع الصحيح لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى.
- (٧) حاشية البنانى على شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع لابن السبكي.
- (٨) شرح العضد على مختصر ابن الحاجب، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالصنادقية.
- (٩) فتح البارى لابن حجر العسقلانى.
- (١٠) الكشف للزمخشري.
- (١١) معالم التنزيل للبعوى بهامش تفسير الخازن، ط مصطفى الحلبي.
- الهوامش:

- (١) سورة البقرة: ٢٢٨.
- (٢) سورة النساء: ١٢٧.
- (٣) سورة فاطر: ١٠.
- (٤) سورة آل عمران: ٧.
- (٥) سورة البقرة: ٢٣٢.
- (٦) سورة الحج: ٩.
- (٧) سورة الأعراف: ١٨٧.
- (٨) سورة التين: ٢.
- (٩) سورة الأعراف: ٧٥.
- (١٠) الإتقان فى علوم القرآن: (ج ٣ ص ٥٩) فما بعدها.
- (١١) سورة المائدة: ٦.
- (١٢) سورة النساء: ٢٣.
- (١٣) سورة البقرة: ٢٧٥.
- (١٤) سورة البقرة: ٤٣.
- (١٥) سورة آل عمران: ٩٧.

(١٦) هو على بن محمد بن محمد بن إبراهيم الخزرجى الإشبلى له مؤلفات منها «أصول الفقه»، و «الناسخ و المنسوخ»، و «البيان فى تنقيح البرهان». توفى سنة ٦١١ هـ (التكملة لابن الأبار ص ٦٨٦).

(١٧) انظر: الإتقان في علوم القرآن: (ج ٣ ص ٦٢: ص ٦٥).

(١٨) انظر: الكشاف: (ج ١ ص ٢٥٩).

(١٩) انظر شرح العنود على مختصر ابن الحاجب: (ج ٢ ص ١٦٢).

(٢٠) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢١) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٢٢) سورة البقرة: ٢٣٠.

(٢٣) سورة البقرة: ٤٣.

(٢٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن: (ج ٣ ص ٦٠: ٦٢).

(٢٥) سورة الأنفال: ٤١.

(٢٦) سورة المائدة: ٦٧.

(٢٧) انظر: شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: (ج ٢ ص ٦٩: ٧٤).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٧٣

## أحكام القرآن

### إشارة

الأحكام: جمع حكم. و هو لغة: بمعنى المنع و القضاء، يقال: حكمت بكذا. أى: منعت من الخلاف. و الحكمة تمنع صاحبها من فعل الرذائل. كما فى «المصباح و القاموس».

و اصطلاحاً: الذى نقصده هو الحكم الشرعى، و قد اقتصر بعض الأصوليين كالبيضاوى و ابن السبكى على الحكم التكليفى فى تعريف الحكم الشرعى، و لكنها طريقة ضعيفة عند الأصوليين، نص على ذلك شيخ أشياخنا محمد بخيت المطيعى. و عرفها ابن الحاجب فزاد الحكم الوضعى، و هو الصواب.

نرى أن أمثل التعاريف هو: الحكم: خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالقتضاء أو التخيير أو الوضع، فقولهم: (خطاب الله) يقصد به توجيه الخطاب أى: الكلام المخاطب به كلام الله النفسى القديم، و خرج به كل خطاب لغيره - سبحانه - و من قال لا يشمل الأحكام الثابتة بالسنة و الإجماع و القياس، قلنا هذه الأدلة معارف للخطاب و ليست مثبتات له. و قولهم: (المتعلق بفعل المكلف) أى: تعلقاً معنوياً فى الأزل و تنجيزياً بعد البعث، و وجود المكلف على شرط التكليف، و خرج خطاب الله المتعلق بالذوات و الصفات و الجمادات، و قولهم: (بالقتضاء) و هو الطلب فىكون للفعل و الترك، و للفعل قد يكون جازماً فهو الإيجاب، أو غير جازم فهو الندب، و للترك فىكون جازماً و هو التحريم، أو غير جازم و هو الكراهة. و هو - بالقتضاء - قيد أخرج خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الإخبار، كما فى قوله تعالى:

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ.

و قولهم: (أو التخيير) هو الإباحة فصارت الأحكام التكليفية خمسة، و هى كذلك عند الجمهور - و قولهم (أو الوضع) أى: جعل الشئ سبباً كالسرقة سبب فى القطع، أو شرطاً كالطهارة شرط فى الصلاة، أو مانعاً كالسكر و الجنابة المانعين من الصلاة، أو صحيحاً فتترتب عليه آثاره، أو فاسداً فلا تترتب.

فأقسام الحكم الوضعى خمسة أيضاً، و هى المعتمدة عند الجمهور. و كل واحد من أقسام الحكم التكليفى الخمسة، تتأتى معه أقسام

الوضعي الخمسة فيكون حاصل أقسام

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٧٤

الحكم الشرعي خمسة وعشرين قسما من ضرب خمسة التكليفي في خمسة الوضعي.

أما الفقهاء فيجعلون الحكم الشرعي مدلول ذلك الخطاب أو قل: صفة فعل المكلف، فالحكم عند الأصوليين الإيجاب الذي هو صفة قائمة بذاته سبحانه، والوجوب الذي هو صفة فعل المكلف هو الحكم عند الفقهاء.

وقد اعتنى معظم المفسرين - ولا سيما أصحاب التفاسير المبسوطة منهم - بهذا النوع من مقاصد القرآن كل حسب مشربه ومذهبه، بل أفرده بالتصنيف جماعة كثيرة في القديم والحديث. قال الزركشي في «البرهان»: (أولهم: الشافعي، ثم تلاه من أصحابنا الكيا الهراس، ومن الحنفية أبو بكر الرازي، ومن المالكية القاضي إسماعيل، وبكر ابن العلاء القشيري، وابن بكر، ومكي، وابن العربي، ومن الحنابلة القاضي أبو يعلى الكبير) ١، بل إن من المفسرين من جعل من أعظم غاياته في تصنيف تفسيره العناية بهذا النوع حتى سمي كتابه «بالجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان» فصدر العنوان عن كتابه كما ترى بالجامع لأحكام القرآن، وذلك هو أبو عبد الله القرطبي في تفسيره الضخم المشهور بين أيدي الناس حتى صار كل من يريد التوسع في معرفة حكم من أحكام القرآن يرجع إلى هذا التفسير باعتباره أعظم مصدر للوفاء بهذه الطلبة.

### منهج القرآن العظيم في سياق أحكامه

بين العلماء منهج القرآن في سياق أحكامه و يتلخص هذا المنهج في نظرتين هما:

إحدهما: أن القرآن أتى جامعا للأحكام بطريقة كلية إجمالية دون النظر إلى واحد من أقسام الأحكام الشرعية. هذا ما نص عليه الشاطبي في «الموافقات»، وذكر أن السنة جاءت مفسرة لأحكامه الكلية؛ ولذا تضمن القرآن الكليات المعنوية على الكمال، وهي الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وكذلك أتى بأصول العبادات والمعاملات، فكل ما استنبط من الأحكام بالسنة أو الإجماع أو القياس وإنما نشأ عن القرآن، واستدل الشاطبي لذلك، ثم ذكر أنه لا ينبغي في الاستنباط الاقتصار على القرآن دون النظر في شرحه وهو السنة ٢.

ولو لا كلية تناول للأحكام لتضخم القرآن وعسر على الأمة حفظه. ولو لا هذه الكلية ما اتصف القرآن بالمرونة والصلاحية لكل عصر، وكذلك لولاها ما حصل علماء المسلمين هذه الرتب العلية بالاجتهاد. هذه أولى النظرتين.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٧٥

أما ثانيتهما: هي أن القرآن أتى بأحكام مفصلة، وهذا هو القليل في تناوله للأحكام، وتتمثل هذه النظرة في مقولة السيوطي ونقله عن العز بن عبد السلام، قال: «قال عز الدين ابن عبد السلام في كتاب «الإمام في أدلة الأحكام»: (معظم آي القرآن لا يخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة، وأخلاق جميلة، ثم من الآيات ما صرح فيه بالأحكام، ومنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط، إما بلا ضم إلى آية أخرى كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله: وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٣، وصحة صوم الجنب من قوله: فَالْمَانَ بَاشِرُوهُنَّ إِلَى قَوْلِهِ: حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ ٤ الآية، وإما به كاستنباط أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله: وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا، مع قوله: وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ٥).

قال: (و يستدل على الأحكام تارة بالصيغة وهو ظاهر، وتارة بالإخبار مثل: أُحِلَّ لَكُمْ ٦ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ٧، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ٨ وتارة بما رتب عليها في العاجل أو الآجل من خير أو شر، أو نفع أو ضرر، وقد نوع الشارع ذلك أنواعا كثيرة، ترغيبا لعباده وترهيبا، وتقريبا إلى أفهامهم، فكل فعل عظمه الشرع أو مدحه أو مدح فاعله لأجله أو أحبه أو أحب فاعله، أو رضى به أو رضى عن فاعله، أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب، أو أقسم به أو بفاعله كالإقسام بالشفع والوتر، وبخيل المجاهدين، وبالنفس اللوامة، أو نصبه

سببا لذكره لعبده أو لمحبه أو لثواب عاجل أو آجل، أو لشكره له، أو لهديته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو لمغفرة ذنبه و تكفير سيئاته، أو لقبوله، أو لنصرة فاعله، أو بشارته، أو وصف فاعله بالطيب، أو وصف الفعل بكونه معروفاً، أو نفى الحزن و الخوف عن فاعله، أو وعده بالأمن، أو نصب سببا لولايته، أو أخبر عن دعاء الرسول بحصوله، أو وصفه بكونه قربة، أو بصفه مدح كالحياة و النور و الشفاء، فهو دليل على مشروعيتها المشتركة بين الوجوب و الندب، و كل فعل طلب الشارع تركه، أو ذمه أو ذم فاعله، أو عتب عليه أو مقت فاعله أو لعنه، أو نفى محبه أو محبة فاعله، أو الرضا به أو عن فاعله، أو شبه فاعله بالبهايم أو بالشياطين، أو جعله مانعا من الهدى، أو من القبول، أو وصفه بسوء أو كراهية، أو استعاذة الأنبياء منه أو أبغضوه، أو جعله سببا لنفى الفلاح، أو لعذاب عاجل أو آجل، أو لدم أو لوم أو ضلالة أو معصية، أو وصف بخبث أو

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٧٦

رجس، أو لعن أو غضب، أو زوال نعمه، أو حلول نقمة، أو حد من الحدود، أو قسوة أو خزي أو ارتهان نفس، أو لعداوة الله و محاربه، أو لاستهزائه أو سخريته، أو جعله الله سببا لنسيانه فاعله، أو وصفه نفسه بالصبر عليه أو بالحلم، أو بالصفح عنه، أو دعاء إلى التوبة منه، أو وصف فاعله بخبث أو احتقار، أو نسبه إلى عمل الشيطان أو تزيينه، أو تولى الشيطان لفاعله، أو وصفه بصفه ذم ككونه ظلما أو بغيا أو عدوانا أو إثما أو مرضا، أو تبرأ الأنبياء منه أو من فاعله، أو شكوا إلى الله من فاعله، أو جأهروا فاعله بالعداوة، أو نهوا عن الأسى و الحزن عليه، أو نصب سببا لخيبه فاعله عاجلا أو آجلا، أو رتب عليه حرمان الجنة و ما فيها، أو وصف فاعله بأنه عدو لله، أو بأن الله عدوه، أو أعلم فاعله بحرب من الله و رسوله، أو حمل فاعله إثما، أو قيل فيه:

لا- ينبغى هذا أو لا- يكون، أو أمر بالتقوى عند السؤال عنه، أو أمر بفعل مضاده أو بهجر فاعله، أو تلاعن فاعلوه فى الآخرة أو تبرأ بعضهم من بعض، أو دعا بعضهم على بعض أو وصف فاعله بالضلالة و أنه ليس من الله فى شىء أو ليس من الرسول و أصحابه، أو جعل اجتنابه سببا للفلاح، أو جعله سببا لإيقاع العداوة و البغضاء بين المسلمين، أو قيل: هل أنت منته، أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله، أو رتب عليه إبعادا أو طردا أو لفظه «قتل من فعله» أو «قاتله الله»، أو أخبر أن فاعله لا يكلمه الله يوم القيامة، و لا ينظر إليه و لا يزيه، و لا يصلح عمله و لا يهدى كيده أو لا يفلح، أو قيص له الشيطان، أو جعل سببا لإزاعة قلب فاعله، أو صرفه عن آيات الله و سؤاله عن علة الفعل. فهو دليل على المنع من الفعل و دلالة على التحريم أظهر من دلالة على مجرد الكراهة. و تستفاد الإباحة من لفظ الإحلال و نفى الجناح و الحرج و الإثم و المؤاخذه، و من الإذن فيه و العفو عنه، و من الامتنان بما فى الأعيان من المنافع و من السكوت عن التحريم و من الإنكار على من حرم الشىء مع الإخبار بأنه خلق أو جعل لنا، و الإخبار عن فعل من قبلنا من غير ذم لهم عليه، فإن اقترن بإخباره مدح دل على مشروعيته وجوبا أو استحبابا). انتهى كلام الشيخ عز الدين ٩.

### الأحكام الشرعية بين القطعية و الظنية:

إن الأحكام الشرعية منها ما هو قطعى و منها ما هو ظنى. فالقطعى قسمان: قسم يكفر جاحده و هو المعلوم من الدين بالضرورة؛ كوجوب الصلاة و الزكاة و حرمة الزنا. و قسم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٧٧

لا يكفر جاحده، و تتحقق القطعية فيه بأحد أمرين: بالإجماع، و يكون لا سند له غيره كإجماعهم على أن الرق من موانع الإرث، و لم يكفر جاحده للاختلاف الشديد فى مسائل الإجماع (وقوعه- و جوازه)، أو بالتواتر عند قوم و عدمه عند آخرين كالبسمة آية من أول كل سورة.

و الظنى: و هو كل حكم دلّ عليه الظنى الثبوت أو الدلالة، و هو كثير جدا فى الفروع، و له أثر عظيم فى اجتهاد الأمة، و من فوائده العظيمة:

- ١- تحقيق رحمة الأمة بتوسيع الأمر على أفرادها من خلال الفقهاء، حتى يأخذ كل فرد ما يلائمه، ما لم يكن بلغ درجة الاجتهاد. وقد عنى عدد من العلماء بهذه الفائدة فصنف فيها أبو عبد الله الدمشقي (رحمة الأمة في اختلاف الأئمة)، والشيخ عبد الوهاب الشعراني (الميزان الكبرى).
- ٢- ما قدمه علماء الأمة من مسائل فقهية فرضية تفيد بشدة في واقعنا المعاصر سواء بأحكام أم بطرق معالجة الفقهاء فيها لعملية استنباط الأحكام. والله أعلم.
- أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفه
- مصادر البحث والاستزادة في الموضوع (١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي.
- (٢) البرهان في علوم القرآن للزر كشي.
- (٣) الجامع الصحيح للبخاري.
- (٤) جمع الجوامع لابن السبكي.
- (٥) حاشية الشيخ بخيت المطيعي على نهاية السؤل للأسنوي، ط السلفية.
- (٦) شرح الكوكب المنير لابن النجار تحقيق الدكتور محمد الزحيلي و الدكتور نزيه حماد، مكتبة العبيكان الرياض السعودية.
- (٧) مختصر ابن الحاجب.
- (٨) منهاج الوصول إلى علم الأصول لليضاوي.
- (٩) الموافقات لأبي اسحاق الشاطبي، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، نشر دار ابن عفان، الخبر، العنبرية، السعودية.

الهوامش

- (١) البرهان في علوم القرآن: (ج ٢ ص ٣).
  - (٢) الموافقات، للشاطبي: (ج ٤ ص ١٨٠-١٨٣).
  - (٣) سورة المسد: ٤.
  - (٤) سورة البقرة: ١٨٧.
  - (٥) سورة لقمان: ١٤.
  - (٦) سورة البقرة: ١٨٧.
  - (٧) سورة المائدة: ٣.
  - (٨) سورة البقرة: ١٨٣.
  - (٩) الإتيان في علوم القرآن: (ج ٤ ص ٤٠-٤٣).
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٧٨

### قصص القرآن

القصص: مصدر كالقص أو اسم مصدر منه. وقصّ فلان الشيء- من باب قتل- إذا تتبع أثره، وفي التنزيل: وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ١، و خرج فلان في إثر فلان قصصا و منه: فَازْتَدَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصِيًّا ٢، وقصّ الخير: حدث به على وجهه، والقصة- بالكسر- الشأن و الأمر، و لم يأت في القرآن لفظ القصة و لكن أتى لفظ (القصص): إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصِيُّ صُ الْحَقُّ ٣، و سواء كان هذا اللفظ مصدرا أو



اسم مصدر فهو بمعنى المفعول أى: الخبر المقصوص المحدث به على وجهه. وقد أخطأ بعض الباحثين عند ما يطلبون فى القصص القرآنى أن يستكمل أركان القصة بالمعنى المحدث التى هى مستمدة من الخيال و مبنية على قواعد فنون الكتابة ٤؛ و ذلك لأنهم لم يفرقوا بين القصة بمعنى الحكاية و القصة بمعنى الخبر المحدث به على وجهه، و الثانى هو المراد فى القصص القرآنى؛ لأن الأشخاص و الزمان و المكان ليست بالضرورة أركاناً للخبر المحدث به، فقد يهتم المكان و الزمان كما فى قوله تعالى:

وَ جَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ٥، و قد يهتم الزمان كما فى قوله تعالى: اذْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ٦، و قد يهتم الشخص أو الأشخاص كما فى قوله تعالى: إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ٧، فالذى يجب وجوده فى القصص القرآنى هو الحدث و العبرة، أما بقية عناصر القصة المحدثه فإنما توجد بحسب الحاجة إليها و أهميتها فى القصة (الخبر)، فلو كان للشخصية مدخل كبير فى الحدث فإنها تذكر كمریم- عليها السلام- فى قصتها، و الهدهد فى قصة سبأ، و كثيرا ما تأتى الشخصية بصورة التنكير كما فى قصة النملة، لأن الحدث مبناه منطق النملة و سماع سليمان عليه السلام لها. و قد يهتم بإبراز الزمان كما فى قصة أهل الكهف فى قوله تعالى: وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ اذْدَادُوا تِسْعًا ٨ و كذلك فى قوله تعالى: فَأَمَّا تَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ٩ فالزمان المذكور إنما يذكر بمقدار ما يحتاجه الحدث.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٧٩

و كذلك المكان كمصر و الأحقاف و الكهف، و هذه تعد الميزة الأولى فى القصص القرآنى التى تميزه عن سائر القصص. أما الميزة الثانية للقصص القرآنى فهى الواقعية الصادقة الحقة، فليس فيه شىء من نسج الخيال و الأساطير، أو ما يكذبه الواقع أو التاريخ، و سواء فى هذا الصدق ما جاء لضرب المثل أو لم يكن كذلك، و إن جَوَّز بعض علمائنا التقدير فى الأول فى المثل مع احتمال التحقيق، منهم: العلامة أبو السعود العمادى فى قصة القرية الآمنة فى سورة النحل ١٠ و فى قصة الرجلين ١١، و لكن هذا لا يصح، فإن مجرد القراءة بدون تأمل تكشف زيف احتمال التقدير فى القصة. و لكن العلامة أبا السعود لم يكن يعلم أن خبث الطوية سيدفع بعضهم إلى ادعاء تبنى الإسلام للأساطير متبعين فى ذلك خطوات أعداء الإسلام.

و ثالثة هذه الميزات تغيب القرآن فى قصصه أسمى الغايات، فلا يستهدف كغيره من القصص الترويح و لا الإيناس حتى و لو طلب بعض أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم ذلك منه، فيردهم القرآن عن ذلك بقوله تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقُصَصِ ١٢. و كذلك عند ما قالوا له صلى الله عليه و سلم: لو لا حدثتنا. فنزل قوله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ١٣ و رويت روايات أخرى فى سبب نزول الآية- مع التسليم بفرض صحتها- نجد أن الصحابة إنما سألت ذلك لدفع الملل، فدلهم- سبحانه- على أحسن القصص.

و كذلك لا يقصد القصص القرآنى سرد الأحداث التاريخية لمجرد ذكر التاريخ أو المساهمة فى دراسات العمران البشرى، بل يقصد ما هو أسمى، و هو وضع المعيار لما يجب أن يكون و كيف تكون عاقبة من يخالفه.

و لقد استوفى صاحب «التحرير و التنوير» المزيد مما ذكرنا من ميزات القصص القرآنى، فقد ذكر أن القصص القرآنى لا تقف أهدافه عند العبرة و العظة مما يقع لأهل الصلاح و أهل الفساد و عاقبة كل، بل يتعدى ذلك ليأخذ من كل قصة أشرفها و أسماها ليكون منزها عن التفكك؛ و لذا تأتى القصص متفرقة على غير سنن كتب التاريخ لمناسبة الفوائد العظيمة فى كل موضع، و هذا يجعل القصة القرآنية تكتسب صفتين هما: صفة البرهان، و صفة البيان.

و ذكر من ميزات القصص القرآنى نسجه على أسلوب الإيجاز يجعله شبيها بالتذكير أقوى، مثال ذلك قوله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ ١٤ فجاء قوله لهم موجزا ليناسب مقام التذكير.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٨٠

و من ميزاته أيضا التى ذكرها: طى ما يقتضيه الكلام الوارد فى قوله تعالى:



وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ١٥ فقد طوى حضور سيدها و طرقه للباب و إسرعهما إليه لفتحته.

و من ميزاته أيضا: أنه- القصص- مثبت بأسلوب بديع إذ ساقها في مظان الإيقاظ مع المحافظة على الغرض الأصلي من تشريع، فتوفرت في ذلك عشر فوائد:

الأولى: كانت غاية علم أهل الكتاب نقل أخبار الأولين، فلما جاء القرآن بقصصه متحديا و معجزا لهم؛ لأن هذه الأخبار كان لا يعلمها إلا الراسخون في العلم منهم فقال تعالى: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ١٦ فنفى عن المسلمين صفة الأمية التي ادعتها اليهود، و صفة الجهل التي ادعتها النصارى.

الثانية: تكليل هامة التشريع الإسلامى بذكر تاريخ المشرعين و ذلك من أدب الشريعة؛ لأنه لا يتعرض لقصص السابقين إلا لذكر ثبات إيمانهم و صبرهم، كما ذكر في قصة أهل الكهف، و لا يذكر نسبهم و لا حسبهم.

الثالثة: فائدة ظهور المثل العليا في الفضيلة و زكاء النفوس كفائدة من التاريخ و ترتب الأحداث و العلاقة بين التعمير و التخريب و الشر و الخير.

الرابعة: عظة المشركين بإعلام ما حدث لأسلافهم ليعودوا لربهم فَأَقْصِصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٧.

الخامسة: استخدام القصص القرآنى لأسلوب التوصيف و المحاوره الذى لم يعتده العرب، فهم يعترفون بأنه أسلوب بديع، و لكنهم لا يستطيعون الإتيان بمثله.

السادسة: توسيع علم العرب الذين كانوا يتصفون بالجهل و الأمية باطلاعهم على أحوال الأمم السابقة ليساعدهم ذلك في تطهير أخلاقهم و تهذيبها.

السابعة: تعويد المسلمين على سعة العالم و عظمة الأمم، و الاعتراف لكل ذى حق بحقه؛ فإذا علمت الأمة ذلك جمعت ميزات هذه الأمم و ما يلائم حياتها.

الثامنة: إنشاء هممة السعى إلى سيادة العالم في نفوس المسلمين كما سعى إلى ذلك أمم سابقة.

التاسعة: معرفه أن قوة الله فوق كل قوة، فيساعد ذلك المسلمين على التمسك بوسيلتى البقاء: الاستعداد، و الاعتماد، و هما وسيلتا السلامة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٨١

العاشرة: تحصيل الفوائد التبعية مثل معرفه تاريخ التشريعات و الحضارات الذى يفيد فى الإلمام بفوائد المدينة. كعلمنا بأن الشريعة القبطية كان يسترى فيها السارق من قصة يوسف فى قوله تعالى: مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ١٨.

ثم أجب عن تساؤل: لما ذا لم يكتف بالقصة الواحدة فى تحصيل المقصود منها، و ما فائدة التكرار فى سور كثيرة؟

فذكر أن هذا الهاجس قد يكون تطرق من المناهج الإلحادية فى نظرتها للقرآن. و لكننا نقول: إن القرآن أقرب إلى الوعظ منه إلى التأليف، فالخطيب لو قام يعظ لو أعاد المعانى لم يعد الألفاظ، فالقرآن تارة تأتى القصة للبرهان و تارة للتبيان فيحصل بها مقاصد الخطبة و الوعظ و تحصل معه مقاصد أخرى:

أحدها: الرسوخ فى الأذهان.

الثانى: إظهار البلاغة بتعدد الأساليب البديعة فى التعبير عن الغرض الواحد، فذلك وجه من وجوه الإعجاز.

الثالث: أن يسمع من تأخر إسلامه القصة التى نزلت فى وقت سبق إسلامه؛ لأن سماعه للقصة عند نزولها أوقع فى نفسه.

الرابع: لم يكن المسلمون كلهم يحفظون القرآن بأكمله، بل يحفظ البعض بعض السور، و عليه يكون من حفظ سورة فيها القصة لم يفت الآخر الذى حفظ سورة أخرى معرفة نفس القصة؛ لأنها مكررة فى السورة التى حفظها.

الخامس: أن فى كل مرة تكرر فيها القصة يذكر فيها ما لم يذكر فى غيرها؛ و ذلك تجنباً للتطويل و مناسبة للحالة المقصودة من

سامعيها، فتارة تساق للمؤمنين، وتارة تساق للكافرين، وبذلك يتفاوت الأسلوب بين الإطناب والإيجاز على حسب المقام، فقصة موسى عليه السلام التي بسطت في سورة طه والشعراء أوجزت في سورة الفرقان في آيتين هما: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ١٩ انتهى. تحرير الطاهر بن عاشور.

ولا شك أن الفوائد التي ذكرها بعضها أعظم من بعض، وإن لاحظنا العموم عليها بحيث تشمل جميع القصص القرآني، ولكن هذا لا يمنع أن يكون لكل قصة فائدها الخاصة بها. ومن أراد ذلك فليطالع على سبيل المثال ما ذكره القاسمي في تفسيره لسورة يوسف في الآية الأخيرة منها.

أ. د. / إبراهيم عبد الرحمن خليفة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٨٢

- مصادر البحث والاستزادة في الموضوع (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للعلامة أبي السعود العمادى، ط القاهرة.
- (٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.
- (٣) تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ محمد عوامة- نشر دار الرشيد- سوريا، حلب.
- (٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري.
- (٥) الفن القصصي في القرآن، للدكتور محمد خلف الله. طبع القاهرة.
- (٦) القاموس المحيط للفيروز آبادي و شرحه، تاج العروس للزبيدي.
- (٧) القصص القرآني في مفهومه و منطوقه للأستاذ عبد الكريم الخطيب، ط دار المعرفة، بيروت.
- (٨) المستدرک على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم و تلخيصه للحافظ الذهبي.
- (٩) محاسن التأويل للقاسمي ط مؤسسه التاريخ العربى بيروت، لبنان.
- (١٠) المعجم الوسيط، وضع مجمع اللغة العربية- القاهرة.
- الهوامش:

(١) سورة القصص (١١).

(٢) سورة الكهف: (٦٤).

(٣) سورة آل عمران (٦٢).

(٤) انظر: تاج العروس و اللسان و المصباح المنير و المعجم الوسيط في هذه المادة.

(٥) سورة يوسف (١٦).

(٦) سورة يوسف (٩٩).

(٧) سورة القلم (١٧).

(٨) سورة الكهف (٢٥).

(٩) سورة البقرة (٢٥٩).

(١٠) انظر: تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) أول آيات هذه القصة (ج ٥ ص ١٤٤).

(١١) السابق نفسه في أولى آيات هذه القصة (ص ٢٢١).

(١٢) سورة يوسف (٣).

(١٣) سورة الزمر (٢٣).

(١٤) سورة القلم (٢٤-٢٨).

(١٥) سورة يوسف (٢٥).

(١٦) سورة هود (٤٩).

(١٧) سورة الأعراف (١٧٦).

(١٨) سورة يوسف (٧٦).

(١٩) سورة الفرقان: (٣٥-٣٦).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٨٣

## محاورات القرآن و جدله

المحاورة: مصدر من (حاور) بمعنى تراجع الكلام تقول: حاور الرجل صاحبه أى: راجعه الكلام. كذا فى «المصباح».

وفيه أيضا: جدل الرجل جدلا، من باب تعب: إذا اشتدت خصومته، و جادل مجادله و جدالا: إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق و وضوح الصواب. و فى لسان حملة الشرع:

مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، و هو محمود إن كان للوقوف على الحق و إلّا فمذموم.

والمحاورة: تكون خصومة أو لا، و كذلك تكون فى مقابلة دليل أو لا. أما الجدل فعلى خلاف المحاورة فى الاثنين. فكل جدل حوار لا-العكس. و من استعمال الحوار فى الخصومة قوله تعالى: قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ١، و من مقابلة الدليل قصة المجادلة لزوجها فى الظهار، فى قوله تعالى:

وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ٢. و لم يأت الحوار الخالى من الخصومة و من مقابلة الدليل فى القرآن.

والمحاورة المستعملة فى لغة الكاتيب فى عصرنا لا يكادون يستعملونها فى معنى الجدل، و كأن الجدل ليس فردا من أفرادها؛ لأنهم يقصرونه على اللدد فى الخصومة، مع أن الجدل منه ما هو محمود حسن، و منه ما هو مذموم قبيح، فمن المذموم: جدال الكفار بغير علم و هم أتباع للشيطان فيه؛ لأنه هو الذى بدأه فى استكبار السجود لآدم قال تعالى فى هذا النوع: وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ٣ و من الجدل المحمود الحسن: ما كان مبعثه الرحمة و الشفقة، كما فى قوله تعالى: فَلَمَّا ذَهَبَ عَن إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَ جَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ٤، و الجدل فى نصفه النفس كما فى قصة المرأة المجادلة عن نفسها.

و أعظم الجدل المحمود هو ما كان فى نصره الحق و دحض الباطل كما فى أمره سبحانه و تعالى لنبيه: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٥، إذا كان الخصم ليس لهدا مصرا، أما إذا كان كذلك فىكون الصواب قوله تعالى: وَ إِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٨٤

و من الكاتيب من خصوا هذا النوع السابق باسم الجدل فى القرآن. و لقد أجاد الإمام السيوطى فى كلامه عن هذا النوع من علوم القرآن فذكر ما ملخصه: أن نجم الدين الطوفى أفرد الجدل فى القرآن بالتصنيف، و نقل عن العلماء: أن القرآن اشتمل على جميع أنواع البراهين و الأدلة، و لكن أوردها على عادة العرب مبتعدا عن دقائق طرق المتكلمين لأمرين هما: قوله تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ٧، و أن مخاطبته فى محجة خلقه جاءت فى أجلى صورة ليفهمها العامة لا القليلون، فتلزم الجميع الحجة. و نقل عن ابن أبى الأصبغ أن الجاحظ زعم أن المذهب الكلامى لا يوجد منه شىء فى القرآن. ورد عليه بأنه مشحون به.

ثم عرف الجدل بأنه: (احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام). و منه نوع منطقى

تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، فالإسلاميون ذكروا أن أول سورة الحج إلى قوله تعالى: وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ٨ خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات: قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ٩؛ لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظمها لها، وذلك مقطوع بصحته، لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عن ثبت قدرته، منقول إلينا بالتواتر، فهو حق، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق، فالله هو الحق. وأخبر تعالى أنه يحيى الموتى؛ لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر، و حصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى، ليشهدوا تلك الأهوال التي يعملها الله من أجلهم؛ وقد ثبت أنه قادر على كل شيء، ومن الأشياء إحياء الموتى، فهو يحيى الموتى، وأخبر أنه على كل شيء قدير، لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين، ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير، فهو على كل شيء قدير، وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها، لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب إلى قوله: لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ١٠، و ضرب لذلك مثلاً بالأرض الهامدة التي ينزل عليها الماء، فتتهتر وتربو، وتبت من كل زوج بهيج، و من خلق الإنسان على ما أخبر به فأوجده بالخلق ثم أعدمه بالموت، ثم يعيده بالبعث، و أوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخلق، ثم أماتها بالجذب، ثم أحياها بالخصب، و صدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع المشاهد على المتوقع الغائب؛ حتى انقلب الخبر عيانا صدق خبره في الإتيان بالساعة، ولا يأتي بالساعة إلا من الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٨٥

يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة، فهي آتية لا ريب فيها، و هو - سبحانه و تعالى - يبعث من في القبور ١١.

وقال: وقال غيره: استدل - سبحانه - على المعاد الجسماني بضروب أحدها: قياس الإعادة على الابتداء كما في قوله تعالى: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ١٢، و ثانيها:

قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى: أ و لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ ١٣، و ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات، و رابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر، و خامسها: أن الاختلاف جبلة في الدنيا، فلا بد من حياة أخرى غير هذه الحياة، يرتفع فيها الخلاف والعناد، و هذا ما وعد الله به في قوله تعالى: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ ١٤.

ثم ذكر استدلالهم على أن الله صانع العالم، و هو واحد بدليل التمانع في قوله تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ١٥. ثم أخذ السيوطي بين طرفا من المصطلحات المعروفة في علم الجدل، فذكر منها: السبر و التقسيم، و من أمثلته في القرآن قوله تعالى: ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ١٦ الآيتين، فقد رد الله - سبحانه - في الآيتين على الكفار في تحريمهم ذكور الأنعام بالسبر و التقسيم، و كأنه بين لهم أنه لا تصح أى علة للتحريم، فإما أن تكون العلة الأنوثة، أو الذكورة، أو اشتمال الرحم لهما، أو لا تدرى لها علة، فهو التعبدى، و هم لا يتلقون عن الله ليزعموا ذلك. و منها - أى المصطلحات: القول بالموجب.

و نقل عن ابن أبي الأصبغ تعريفه: بأنه رد كلام الخصم من فحوى كلامه.

وقال غيره هو قسمان: أحدهما: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكما، فيثبتها لغير ذلك الشيء كقوله تعالى: يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ ١٧، فالأعز في كلام المنافقين كناية عنهم، فثبتها لغير ذلك و هو الله و رسوله (فالأعز) الله رسوله صلى الله عليه و سلم و (الأذل) المنافقون.

ثانيهما: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه.

و ذكر له مثلا ظفر به في قوله تعالى:

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلٍّ أَدْنَىٰ خَيْرٍ لَكُمْ ١٨ فحمل لفظ (أذن) التي للسبب، على (الأذن) الحاسة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٨٦

و منها: التسليم و هو قبول وقوع المحال افتراضا ثم التدليل على عدم فائدته و إن وقع كما في قوله تعالى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ١٩.

فلما كان الواقع على خلاف ذلك- مع التسليم فرضا بوقوعه- فلا يصح وجود إلهين لما يلزم منه المحال.

و منها: الإسجال و هو: الإتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به، كما في قوله تعالى: رَبَّنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ٢٠.

و منها: الانتقال و هو: أن ينتقل من استدلال لآخر لعدم فهم الخصم له كما في قوله تعالى: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ٢١، بعد عدم فهمه لقوله: رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، فقال و هو لا يفهم: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ.

و منها: المناقضة و هو: تعليقه على مستحيل إشارة لاستحالة، كما في قوله تعالى: وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ٢٢.

و منها: مجاراة الخصم، كما في قوله تعالى: قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ٢٣. و بها يعسر عليهم بعد هذا التبكيت و الإلزام المجاراة في الجدل ٢٤.

أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفه

الهوامش

(١) سورة الكهف (٣٧).

(٢) سورة المجادلة (١).

(٣) سورة الحج (٨).

(٤) سورة هود (٧٤) و الآيات حتى (٧٦).

(٥) سورة النحل (١٢٥).

(٦) سورة الحج (٦٨).

(٧) سورة إبراهيم (٤).

(٨) سورة الحج (٧).

(٩) سورة الحج (٦).

(١٠) سورة الحج (٥).

(١١) بديع القرآن: (ص ٣٧، ٤٨).

(١٢) سورة الأنبياء (١٠٤).

(١٣) سورة يس (٨١).

(١٤) سورة الأعراف (٤٣).

(١٥) سورة الأنبياء (٢٢).

(١٦) سورة الأنعام (١٤٣).

(١٧) سورة المنافقون (٨).

(١٨) سورة التوبة (٦١).

- (١٩) سورة المؤمنون (٩١).  
 (٢٠) سورة آل عمران (١٩٤).  
 (٢١) سورة البقرة (٢٥٨).  
 (٢٢) سورة الأعراف (٤٠).  
 (٢٣) سورة إبراهيم (١٠، ١١).  
 (٢٤) الإتيان في علوم القرآن: (ج ٤ ص ٦٠: ٦٦).  
 الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٨٧

## أقسام القرآن

### إشارة

القسم: الحلف، اسم مصدر من أقسم إقساماً: إذا حلف. كذا في «المصباح»- وهو الغاية القصوى في الكلام، و لذا لا يخاطب به خالى الذهن، و إنما يخاطب به المكذب و المنكر. و علماء المعانى يجعلونه من الإنشاء الذى ليس لنسبته مدلول فى الخارج بل معناه قائم بنفس المتكلم.

و أركانه أربعة: (مقسم- و مقسم به- مقسم عليه- و أداة القسم). و قد أورد بعضهم شبهة مفادها ما حكمة قسمه- سبحانه- أو قسم نبيه صلى الله عليه و سلم؛ لأن قسمه- سبحانه- و قسم نبيه صلى الله عليه و سلم لمؤمن فلا حاجة له، أو لكافر فلا ينفعه بل ينفعه الدليل؟ و قد أجاب السيوطى عن هذه الشبهة بأن لغة العرب من عاداتها القسم عند التأكيد، و القرآن نزل بلغتهم، و نقل جواب القشيري بأن ذكر القسم لكمال الحجّة و التأكيد؛ لأن الحكم يفصل فيه بالشهادة أو القسم، و قد جاء بهما- سبحانه- فى كتابه فقال تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُو الْعِلْمِ ١، و قال سبحانه و تعالى: قُلْ إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ ٢. و أرى أن أمثل ما يجاب به: أن القسم إنما جاء لفرط أهمية المقسم عليه عند المقسم، و هذه فائدة يجدر بك أن تبينها للمؤمن و الكافر على حد سواء.

و جواب آخر أعظم من السابق: أن القسم منه دليل و برهان على قدرته على فعل المقسم عليه.

## أركان القسم:

أولاً: المقسم: المقسم فى القرآن أربعة:

- (أ) الله تعالى نفسه، و هو كثير و لب موضوعنا كقوله تعالى: فَو رَبِّكَ لَنَسْتَلْتَنَّهُمَّ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٣.  
 (ب) رسول الله صلى الله عليه و سلم أو غيره من الرسل كقوله تعالى: قُلْ إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ ٤، و قول إبراهيم: وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ٥.  
 (ج) غير الرسل كما فى قوله تعالى: إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ٦.  
 (د) غير البشر، كالذى جاء عن رأس الكفر

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٨٨

إبليس فى قوله تعالى: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٧.

ثانياً: المقسم به: جاء القسم فى القرآن بالله- سبحانه- أو أحد صفاته، أو بصفه فعله كبناء السماء و طحو الأرض، و بالمخلوقات

كالصافات والذاريات والطور، و حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة في قوله تعالى: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ٨. فالحلف به - سبحانه وتعالى - أو بصفته أو صفة فعله لا إشكال فيها، و ينعقد اليمين بها، و لزمته الكفارة في الحنث، و لكن الكلام في حلفه بمخلوقاته - سبحانه. و الجواب ذكره السيوطي فذكر أوجه له:

أحدها: أنه على حلف مضاف تقديره (و رب التين).

و الثاني: العرب تعظم الأشياء و تقسم بها، فنزل بلغة العرب.

و الثالث: أن القسم بما يعظمه المقسم، و عليه فالقسم بالمخلوق هو قسم بالخالق.

و نقل السيوطي مثل هذا المعنى عن ابن أبي الأصبح في (أسرار الفواتح) - ثم ذكر آثارا عن الصحابة و التابعين في القسم بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و أنه كان لبيان مكانته عند ربه - سبحانه.

و أرى: أن ثاني الأجوبة التي ذكرها السيوطي لا معنى له؛ و لذا لم يذكره الحافظ ابن حجر مع استيفائه لأحاديث هذه المسألة فأورد الجواب الأول و هو حذف المضاف، و الثالث: و هو أنه خاص بالله لتعظيم المقسم به. و نقل الحافظ عن ابن عبد البر جعل لفظ (أفلح و أبيه) من الحديث غير محفوظ، و ترددها الأحاديث الصحيحة. و قد ورد في غير حديث مرفوع القسم بقوله: (و أيبك) في مثل إجابته عن أي الصدقة أفضل؟ فقال:

«و أيبك لتبأن». فإذا ثبت ذلك، فالجواب عليه بأجوبة:

الأول: أنه كان يجري على ألسنتهم دون قصد القسم و المنهى عنه قصد القسم بها.

و إليه مال البيهقي و ارتضاه النووي.

و الثاني: أنه يقع في كلامهم للتعظيم و التأكيد، و النهي كان عن التعظيم. فمن أمثلة ما وقع في كلامهم للتأكيد لا للتعظيم قول الشاعر:

فإن تلك ليلى استودعتني أمانة فلا و أبي أعدائها لا أذيعها فلا يمكن أن يكون معظما لأبي أعدائها، بل قصد تأكيد كلامه.

و الثالث: أن هذا كان جائزا ثم نسخ، قاله الماوردي، و حكاه البيهقي، و قال السبكي: أكثر الشراح عليه. و قال ابن العربي: و روى أن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٨٩

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحلف بأبيه ثم نهى عن ذلك.

و قال المنذري: دعوى النسخ ضعيفة لعدم تحقق التاريخ.

و الرابع: أن في الجواب حذف تقديره (أفلح و رب أبيه). قاله البيهقي.

و الخامس: أنه للتعجب. قاله السهيلي.

و السادس: أنه خاص بالشارع دون أمته.

ورد بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال.

ثم تكلم الحافظ ابن حجر عن القسم بغير الله، و ذهب إلى أنه لا ينعقد، و نقل عن بعض الحنابلة استثناءهم للحلف بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه و سلم القول بالانعقاد في الحلف به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و وجوب الكفارة في الحنث، لأنه أحد ركني الشهادة. و أطلق ابن العربي النسبة لمذهب أحمد و رد هذا.

ثم استنبط من الحديث المشروح - (أفلح و أبيه) - أن من قال: إن فعلت كذا فهو يهودي أو نصراني. انعقد يمينه. ثم ذكر عن ابن المنذر أنه نقل الخلاف في الحلف بغير الله، فنقل عن طائفة أن النهي خاص بأيمان الجاهلية لتعظيمهم فيها الأوثان، فهذه يأثم صاحبها و لا تنعقد.

و أما ما كان يؤول إلى تعظيمه - سبحانه وتعالى - و القربة إليه ليس داخلا في النهي، و من قال به أبو عبيد و طائفة، و دليله إيجاب الصحابة على الحالف بالهدى و الصدقة و العتق، و هذا يعني أنهم فهموا النهي ليس عاما، و تعقبه ابن عبد البر بأنه ليس حلفا.



و نقل عن الطبري عدم انعقاد الحلف بغير الله، و أن ابن عباس علل قسمه - سبحانه - بالمخلوقات ليعجب بها المخلوقين و يعرفهم قدرته لعظم شأنها عندهم. و نقل الإجماع عن ابن هبيرة على انعقاد الحلف بالله - و الاتفاق على عدم جواز الحلف بمعظم، و نقل انفراد أحمد بانعقاد الحلف بالنبي صلى الله عليه و سلم، و نقل عن عياض عدم الخلاف بين الفقهاء من انعقاد الحلف بالله أو بصفاته إلا ما روى عن الشافعي باشتراط نية الحالف بالصفات.

و هذا النقل عن الشافعي غير صحيح؛ لأن الشافعي يشترط النية في ما يصح إطلاقه عليه - سبحانه و تعالى - و على غيره. و نقل عن وجه للشافعية أن اليمين الصريح عندهم بلفظ (الله)، و عن المالكية التعميم، و كذلك الحنابلة ٩.

ثالثا: أداة القسم: الغالب فيها أن تكون فعلا كأقسم، و يجب حذف هذا الفعل من الواو القسمية ك (و الله)؛ لأن هذه الواو لا تدخل إلّا على الاسم الظاهر، و كذلك يجب حذفه مع التاء، و هي مختصة بلفظ الجلالة (تالله) و تفيد مع القسم معنى التعجب كقول أخوة يوسف: تَاللهِ تَفْتُوْنَا تَذُكُرُ يُوْسُفَ ١٠، و غالبا يذكر الفعل مع الباء القسمية ك (أقسم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٩٠

بالله لأفعلن كذا)، و قلما يحذف كما في قوله تعالى: فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُنَّ أَجْمَعِينَ ١١.

و لقد ذكر جار الله الزمخشري الفرق بين الباء و التاء: أن الباء الأصل، و التاء مبدلة من الواو التي مبدلة منها، و في التاء زيادة معنى التعجب ١٢. فالغالب في أداة القسم ائتلافها من فعل و حرف على ما وصفنا.

و قد يكون القسم جملة اسمية، فيحذف خبرها و جوبا إذا كان المبتدأ نصا في اليمين كقولهم: (لعمركم بالله لأفعلن كذا)، و قوله تعالى: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٣ و تقدير المحذوف: يميني أو قسمي، فإن لم يكن نصا في اليمين أو القسم جاز حذف الخبر و ذكره، كما في قولهم: (عهد الله لأفعلن كذا). نص على ذلك ابن عقيل في شرحه «الألفية ابن مالك».

و «في حاشية الخضري» شرح معنى قولهم: (نصا في القسم) بأن يكثر و يغلب استعماله في القسم. و بين أن (عهد الله) يعتبرها بعضهم (نصا في القسم)، فلا إشكال في تسوية الفقهاء بينها و بين (العمركم)؛ لأنهما كناية يمين، و لا ينعقد بهما إلّا مع النية ١٤ و قد تحذف أداة القسم و المقسم به معا و يدلّ عليهما باللام الموطئة للقسم كقوله تعالى: لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَ لَتَسْتَمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا ١٥، و قد يحذفان فلا يدلّ عليهما إلّا المعنى، قال السيوطي نحو: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ١٦.

رابعا: المقسم عليه: الأصل فيه و هو جواب القسم، أن يذكر كما سبق في الأمثلة، و قد يحذف، فقد ذكر أبو على الفارسي أن الألفاظ الجارية مجرى القسم قسمان:

أولهما: التي كغيرها من الأخبار و ليست بقسم، فلا تجاب بجواب، كما في قوله:

وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا ١٧. فتجوز أن تكون قسما أو حالا للخلو من الجواب.

و ثانيهما: ما يتلقى بجواب القسم كقوله تعالى: وَ أَقْسِمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ ١٨. بل يحذف جواب القسم مع هذا الثاني لحكمة. و قد بين شمس الدين ابن القيم في (التيبان في أقسام القرآن) أن القسم في القرآن بأمر: على أمور، فيقسم - سبحانه - بذاته و صفاته، و آياته المستلزمة لذاته و صفاته، و بعض المخلوقات ليدل على عظيم آياته، ثم بين أن الغالب على القسم الجملة الخبرية، و قد تكون طلبية كقوله تعالى: فَو رَبِّكَ لَنَسْتَلَنَّهٗمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٩، و قد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٩١

يراد تحقيق المقسم عليه، فيكون من باب الخبر، و قد يراد به تحقيق القسم.

و الأشياء الواضحة الجلية يقسم بها لا عليها، و يجوز ذلك في القرآن. و ذكر أن في القرآن تارة يذكر جواب القسم، و تارة يحذف، و الأول الغالب. و الحالف لا يعيد المقسم عليه و لو كرر القسم، و لما كان القسم يكثر في الكلام حذف فعله و اكتفى بالباء، ثم



حذفت و عوض عنها بالواو في الأسماء الظاهرة و التاء في أسماء الله. فسبحانه و تعالى يقسم على أصول الإيمان و أن الرسول حق، و أن الجزاء و الوعد و الوعيد حق، و حال الإنسان.

فمن الأول: وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا ٢٠ إلى قوله: إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ٢١، و من الثاني:

يس (١) وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢٢، و من الثالث: وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ٢٣ إلى قوله تعالى: إِنَّمَا تُوَعَّدُونَ لِصَادِقٍ (٥) وَ إِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعٌ ٢٤، و من الرابع: وَ الْعَصِيرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٢٥.

ثم ذكر أن الجواب يحذف تارة و لا- يراد ذكره، بل يراد تعظيم المقسم به، و هذا يذكر معه الفعل مع حرف القسم كقولك: (فلان يحلف بالله وحده)، و قد يكون بحرف القسم فقط كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «لا، و مقلب القلوب»، و تارة يحذف الجواب، و هو مراده لظهوره بدلالة الحال، أو بدلالة السياق، و يكثر إذا كان في نفس المقسم به ما يدل عليه، و هي طريقة القرآن؛ لأن المقصود يحصل بذكر المقسم به، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ، كمن أراد أن يقسم على أن الرسول حق فقال: و الذي أرسل محمدا بالهدى و دين الحق و أيده بالآيات البيّنات ... فلا يكون في حاجة إلى جواب.

و من ذلك قوله تعالى: ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ٢٦. انتهى ملخصه.

تنبيهات: أحدها: قد تقع (لا) قبل فعل القسم كقوله تعالى: لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ٢٧ و اختلف العلماء في تفسير المراد عندئذ على ثلاثة أقوال مبناها اختلاف في (لا):

١- أن (لا) نافية فهو نفى للجمله، و ليس نفيا لاستحقاقها القسم بها.

٢- أن (لا) نافية نفت الكلام السابق و جمله القسم مثبتة و هو أضعفها.

٣- أن (لا) زائدة لمجرد التأكيد، و جمله القسم مثبتة.

و عليه يكون القسم حاصلًا على قولين و غير حاصل على قول.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٩٢

ثانيها: (المسميات الإيمانية و التربوية للقسم):

جعل الله من مقتضى الإيمان الكامل عدم جعل اسم الله عرضه للقسم، فقال تعالى:

وَ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٨، و الجعل متعلق بالاسم لا بالذات كما نص عليه الطاهر بن عاشور.

و العرضة: على وزن الفعل و وزن دال على المفعول. و هو مشتق من عرضه إذا وضعه على العرض أى الجانب. و المقصود جعل الشيء حاجزا. فالعرضة تطلق على المعنيين، و يمكن حمل الآية على المعنيين. و المعنى الثانى شاع حتى ساوى الحقيقة. و اللام في (لأيمانكم) لتعديء الفعل. أى تحلفوا بالله على الامتناع عن التقوى و البر و الإصلاح. و سمي الحلف يمينا؛ لأن العرب كانت من عادتهم أن يمسك المتحالفان كل واحد منهما يمين الآخر.

ثم اختصروا فقالوا: صدرت منه يمين أو حلف يمينا، فهى من تسمية الشيء بما يقارنه و يلازمه، فلما كان أغلب حلفهم معاهدة بحيث يضع المتعاهدون أيديهم بعضا على بعض، فشاع إطلاق اليمين على الحلف. و هو يرجع إلى إظهار الله على صدق الحالف.

و معنى الآية- لو كانت العرضة بمعنى الحائل- أى لا تجعلوا اسم الله حائلا معنويا بينكم و بين فعل البر و التقوى و الإصلاح. كما وقع من أبى بكر عند ما أقسم ألا ينال مسطحا بخير بعد أن خاض في الإفك. و أما على تقدير أن تكون العرضة بمعنى الشيء المعرض، فالمعنى: لا تجعلوا اسم الله معرضا لأن تحلفوا به فى الامتناع عن البر و التقوى و الإصلاح.

و قدّرت (لا) بعد (أن) فصار المعنى أن لا تبروا كما فى قوله تعالى: يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ٢٩ لأن تعظيم الله يجب أن لا يكون سببا

في قطع ما أمر به ونهى عن عدم البر والتقوى والإصلاح. وهذا النهى يستلزم أن الحلف لو وقع على ترك البر فلا حرج من تركه. و عليه يكون قوله: «أَنْ تَبْرُوا مَفْعُولًا لِأَجْلِهِ فَهُوَ عَلَهُ النَّهْيُ أَيْ إِنَّمَا نَهَيْتُمْ لِتَكُونُوا أَتْقِيَاءَ أَبْرَارًا مُصْلِحِينَ. فعلى التقدير الأول يكون هناك عذر في الحنث، وعلى التقدير الثاني يكون هناك تحذير من الحلف. و من تمام ما يتعلق بالآية السابقة من آداب سامية في الحلف معالجة المشقة التي تقع على الذين جرت الأيمان على ألسنتهم، فما حكم أيمانهم؟ و يظهر الحاجة إلى فهم قوله تعالى لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٩٣

يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٣٠.

وقد ذكر الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية ما ملخصه: أن النفوس بعد سماع الآية السابقة ترداد الهواجس من كثرة تردد الأيمان على الألسنة. فجاء قوله تعالى لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ ٣١ الآية. و المؤاخذه مفاعلة من الأخذ بمعنى المحاسبة.

فالمفاعلة للمبالغة في الأخذ و المحاسبة، و اللغو مصدر من لغا: إذا قال كلاما باطلا.

و يقال: لغا يلغو لغوا، كدعا، و لغا يلغى لغيا كسعى. و لغة القرآن بالواو، و في اللسان «أنه لا نظير له إلا قولهم أسوته أسوا و أسى».

و يطلق اللغو أيضا على الكلام الساقط الذي لا يعتد به و هو الخطأ و هو إطلاق شائع.

و اقتصر عليه الزمخشري في «الأساس» و في «الكشاف». و (في) للظرفية المجازية يراد بها الملايسة، و هي صفة للغو أو حال منه، و كذلك قدره الكواشي فيكون المعنى: لا يؤاخذكم الله بأن تلغوا لغوا ملايسا للأيمان.

هذا إن جعلت اللغو مصدرا، أما إذا جعلته اسما للكلام الساقط فيكون المعنى: لا يؤاخذكم الله في أيمانكم باللغو. فكثرة جريان الحلف على الألسنة جعلته يشبه اللغو في الكلام.

وقد اختلف العلماء في مراد اليمين في الآية: الجمهور على أنها الأيمان الجارية على الألسنة بغير قصد الحلف، و هذا قول عائشة و الشعبي و أبي قلابه، و عكرمة، و مجاهد، و أبي صالح و به أخذ الشافعي. و دليله أن اللغو وردت في الآية في مقابلة المنعقدة، فلا بد أن هذه التي لا- قصد فيها أي غير منعقدة فلا إثم و لا كفارة عليها، و في غيرها الكفارة المذكورة في سورة المائدة: فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامٌ عَشْرَةَ مَسَاكِينَ ٣٢ فيكون في الغموس، و المعلق، و على الظن الذي يتبين خلافه.

و ذهب مالك إلى أن اللغو هو الذي يقسم فيه على شيء يظنه كذلك، أو يتبين خلافه ظنه، و هو مروى في غير «الموطأ» عن أبي هريرة، و قال به الحسن، و إبراهيم، و قتادة و السدي، و مكحول، و ابن أبي نجيح، و دليله من الآية المؤاخذه على كسب القلب لا على أصل القسم، فعلم أن المراد بكسبه كسب الحنث أي تعمده، فالحالف على ظن يظهر خطؤه لا يتعمد الحنث، فهو الملغو و لا مؤاخذه فيه.

و من قال: لا- و الله. و هو كاذب فهو قسم عنده، و جاءت عليه الكفارة؛ لأنه حلف حين حلف و هو حانث، و إنما جعلنا تفسير (ما كسبت قلوبكم) كسب الحنث، لأن مساق الآية للحنث، لأن قوله تعالى: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٩٤

عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ٣٣ إما إذن في الحنث، أو نهى عن الحلف خشية الحنث.

و قال جماعة: اللغو لم يقصد به الكذب، فشمّل القسمين: ما كان بلا قصد، و ما كان بقصد مع اعتقاد الصدق، و ممن قال به ابن عباس، و الشعبي، و أبو حنيفة و علله بمثل ما سبق ذكره من عدم تعلق المؤاخذه بأصل الحلف.

و المنعقدة من العقد، و هو في اللغة بمعنى:

الربط - فهي يمين فيه تعليق، و مقابل اللغو؛ المنعقدة و الغموس، فالمنعقدة و الغموس نوعان، و في الحنث بالمنعقدة الكفارة. و قوله: وَ

اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٣٤ تدليل لحكم نفي المؤاخذه.

ثالثها: كما وقع القسم في الدنيا يقع في الآخرة، و من ذلك قول أهل الجنة: تَاللَّهِ إِنَّ كِدْتَ لَتَزِدِينَ ٣٥. و كذلك يقع من الكافرين في قولهم: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ٣٦. و الله أعلم.

أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفه

مصادر هذ الموضوع (١) الإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى.

(٢) التبيان فى أقسام القرآن، لشمس الدين ابن القيم، ط دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان.

(٣) التحرير و التنوير، للطاهر بن عاشور.

(٤) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير.

(٥) الجامع الصحيح، للبخارى.

(٦) شرح ابن عقيل لألفيه بن مالك و حاشية الخضرى عليه، ط عيسى الحلبي.

(٧) صحيح مسلم.

(٨) فتح البارى شرح صحيح البخارى، للحافظ ابن حجر العسقلانى.

(٩) الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأفاويل فى وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري.

الهوامش:

(١) سورة آل عمران (١٨).

(٢) سورة يونس (٥٣).

(٣) سورة الحجر (٩٢، ٩٣).

(٤) سورة يونس: (٥٣).

(٥) سورة الأنبياء (٥٧).

(٦) سورة القلم (١٧).

(٧) سورة ص (٨٢).

(٨) سورة الحجر (٧٢).

(٩) فتح البارى: (ج ١١ ص ٥٣٣-٥٣٥).

(١٠) سورة يوسف (٨٥).

(١١) سورة ص (٨٢).

(١٢) الكشاف (ج ٣ ص ١٤).

(١٣) سورة الحجر (٧٢).

(١٤) حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل (ج ١ ص ١٠٧).

(١٥) سورة آل عمران (١٨٦).

(١٦) سورة مريم (٧١).

(١٧) سورة البقرة (٩٣).

(١٨) سورة النور (٥٣).

- (١٩) سورة الحجر (٩٢، ٩٣).  
 (٢٠) سورة الصفات (١).  
 (٢١) سورة الصفات (٣).  
 (٢٢) سورة يس (١-٣).  
 (٢٣) سورة الذاريات (١).  
 (٢٤) سورة الذاريات (٥، ٦).  
 (٢٥) سورة العصر (١-٣).  
 (٢٦) سورة ص (١).  
 (٢٧) سورة القيامة (١).  
 (٢٨) سورة البقرة (٢٢٤).  
 (٢٩) سورة النساء (١٧٦).  
 (٣٠) سورة البقرة (٢٢٥).  
 (٣١) سورة البقرة (٢٢٥).  
 (٣٢) سورة المائدة (٨٩).  
 (٣٣) سورة البقرة (٢٢٤).  
 (٣٤) سورة المائدة (١٠١).  
 (٣٥) سورة الصفات (٥٦).  
 (٣٦) سورة الأنعام (٢٣).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٩٥

## الأسماء والكنى والألقاب في القرآن

### إشارة

في هذا النوع من علوم القرآن، حفل كلام السيوطي بالكثير من الأخبار المنكرة والباطلة، وما لا أصل له، وما هو من الإسرائيليات التي لا أصل لها في الكتاب والسنة؛ ولذا فإننا نطرح كل ذلك، ونكتفي بمجرد المس الخفيف لما عرض له القرآن من هذه الأنواع الثلاثة، دون الدخول في الشرح التفصيلي لمعنى أى منها، فضلا عما وراء ذلك من سبب التسمية و ذكر الأنساب وغيرهما، على ما وقع من السيوطي في الكثير من هذا.

### أولا: الأسماء:

ذكر الله - تعالى - من الأسماء في القرآن العظيم أعلاما و أسماء أجناس، فمن الأعلام: و أشرفها، أسماء القرآن، و قد مرت، و أسماء الكتب المتقدمة (التوراة كتاب موسى، و الزبور كتاب داود، و الإنجيل كتاب عيسى، عليهم السلام)، و يلي ذلك في الشرف أسماء الأنبياء و بعض الملائكة عليهم السلام. فأما أسماء الأنبياء، فقد ذكر الله منها ستة و عشرين اسما لخمسة و عشرين نبيا، منهم ثمانية عشر اسما في قوله: وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا

إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَزَّعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَ نُوْحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ كُلًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ١ وَ بَقِيَ سَبْعَةٌ وَ هُمُ إِدْرِيسُ وَ هُودُ وَ شَعِيبُ وَ ذُو الْكُفْلِ وَ صَالِحٌ وَ آدَمُ، وَ قَدْ نَظَّمَهُمْ بَعْضُهُمْ فَقَالَ:

فِي تِلْكَ حِجَّتِنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرِ وَ بَقِيَ سَبْعَةٌ وَ هُمُ إِدْرِيسُ هُودُ شَعِيبُ صَالِحٌ وَ كَذَا ذُو الْكُفْلِ آدَمُ بِالْمَخْتَارِ قَدْ خْتَمُوا وَ إِنَّمَا كَانَتِ الْأَسْمَاءُ سِتَّةً وَ عَشْرِينَ مَعَ كَوْنِ الْمَسْمُومِينَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - خَمْسَةً وَ عَشْرِينَ، لِأَنَّ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ اسْمَيْنِ مَذْكُورَيْنِ فِي الْقُرْآنِ «مُحَمَّدٌ» فِي أَرْبَعِ سُورٍ (آلِ عِمْرَانَ - وَ الْأَحْزَابِ الْمَوْسُوعَةُ الْقُرْآنِيَّةُ الْمُتَخَصُّصَةُ، النَّصُّ، ص: ١٩٦ - وَ مُحَمَّدٌ - وَ الْفَتْحُ) «وَ أَحْمَدُ» فِي (سُورَةِ الصَّفِّ).

وَ أَمَّا مَا جَاءَ مِنْ أَسْمَاءِ بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ فَجَبْرِيْلُ، وَ مِيكَالُ أَوْ مِيكَائِيلُ - وَ قَرِيْبُهُمَا - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَ مِنْهَا أَعْلَامٌ لِبَشَرٍ غَيْرِ أَنْبِيَاءٍ، كَلَقْمَانَ فِي سُورَتِهِ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ غَيْرُ نَبِيٍّ، «وَ كَزَيْدُ» أَيْ ابْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَقَعَ التَّنْصِيصُ عَلَى اسْمِهِ لِيَكُونَ وَاقِعَةً عَيْنَ مَشْهُودَةٍ فِي قَاعِدَةِ إِبْطَالِ التَّنْبِيِّ، وَ هَدْمُ مَا كَانَ مَعْرُوفًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ تَوْرِيثِ الْمُتَنَبِّئِي وَ تَحْرِيمِ زَوَاجٍ مِنْ تَبْنَاهُ بِأَمْرَاتِهِ، عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ مِنْ تَرْوِيحِ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيَّهُ بَزِينَةَ امْرَأَةِ زَيْدِ الَّذِي كَانَ مُتَبْنَاهُ. وَ مِنْ تِلْكَ الْأَعْلَامِ: «مَرْيَمُ» أُمُّ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَ لَهَا سُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ مَسْمُومَةٌ بِاسْمِهَا، وَ لَمْ يَذْكَرْ عِلْمٌ لِأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهَا؛ لِكُونِهَا وَ ابْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ. وَ هُوَ لَاءُ جَمِيعًا مِنَ الْبَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَ مِنْ أَعْلَامِ كُفَّارِ الْبَشَرِ: «آزَرُ» أَبُو إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَلْفَهُ حَقًّا وَ حَقِيقَةً، لَا مَجَازًا عَلَى مَا يَدْعِيهِ الْبَعْضُ. وَ مِنْهُمْ: «قَارُونَ وَ هَامَانَ» وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي «الْقِصَصِ» وَ «غَافِرٍ».

وَ مِنْهُمْ: «جَالُوتُ» الَّذِي قَتَلَهُ دَاوُدُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى مَا جَاءَ فِي قِصَّةِ طَالُوتَ وَ جُنُودِهِ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. وَ مِنْ غَيْرِ الْبَشَرِ وَ الْمَلَائِكَةِ جَاءَ عِلْمٌ لَجَنِي وَاحِدٍ هُوَ إِبْلِيسُ رَأْسُ الْكُفْرِ - لَعْنَةُ اللَّهِ. وَ مِنْ أَعْلَامِ الْقَبَائِلِ: (عَادُ، وَ ثَمُودُ، وَ مَدْيَنُ) فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَ (يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ) فِي الْكُهْفِ. وَ الْأَنْبِيَاءُ وَ (سَبَأُ) فِي سُورَتِهَا. وَ (قُرَيْشُ) فِي سُورَتِهَا. وَ كَمَا رَأَى الْقَارِيءُ الْكَرِيمُ، فَإِنَّ مَا ذَكَرْنَا إِلَى الْآنِ أَعْلَامَ أَشْخَاصٍ لِلْعُقَلَاءِ أَفْرَادًا كَانُوا أَوْ جَمَاعَاتٍ. وَ مِنْ الْأَعْلَامِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ لِغَيْرِ الْعَاقِلِ:

(أ) أَعْلَامٌ لِلْأَصْنَامِ - وَ قَدْ جَاءَ مِنْ هَذَا:

وَدُ، وَ سِوَاعُ، وَ يَغُوثُ، وَ يَعُوقُ، وَ نَسْرُ، أَصْنَامُ قَوْمِ نُوحٍ عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَ اللَّاتُ، وَ الْعِزَّى، وَ مَنَاةُ. أَصْنَامُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَ الْعَرَبِ، وَ ذَكَرْنَا فِي سُورَةِ النَّجْمِ.

(ب) وَ مِنْهَا أَعْلَامُ الْأَمْكَنَةِ وَ الْبُلْدَانِ وَ الْأَنْهَارِ وَ الْوُدْيَانِ وَ مَا إِلَى ذَلِكَ. فَمِنْ الْبُلْدَانِ: مَكَّةُ وَ بَكَّةُ، بِالْمِيمِ وَ الْبَاءِ. وَ الْمَدِينَةُ لِمَدِينَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، وَ هُوَ عِلْمٌ بِالْغَلْبَةِ، وَ يَثْرِبُ لَهَا أَيْضًا. وَ مِصْرُ الْمَمْنُوعَةِ مِنَ الصَّرْفِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ: مَوْضِعٌ فِي يُونُسَ، وَ اثْنَانِ فِي يُوسُفَ، وَ رَابِعٌ فِي الزَّخْرَفِ. وَ بَابِلُ فِي قِصَّةِ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وَ مِنْ الْأَمْكَنَةِ: بَدْرُ، وَ حَنِينُ، وَ الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ - وَ هُوَ عِلْمٌ بِالْغَلْبَةِ عَلَى الْمَزْدَلْفَةِ، أَوْ عَلَى جَبَلِ

الْمَوْسُوعَةُ الْقُرْآنِيَّةُ الْمُتَخَصُّصَةُ، النَّصُّ، ص: ١٩٧

بِهَا، وَ الصَّوَابُ الْأَوَّلُ. وَ الْحَجْرُ: مَسَاكِنُ قَوْمِ صَالِحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَ فِي التَّنْزِيلِ سُورَةٌ بِاسْمِهِ. وَ الْأَحْقَافُ: مَسَاكِنُ عَادَ قَوْمِ هُودَ، وَ فِي الْقُرْآنِ سُورَةٌ بِهَذَا الْاسْمِ كَذَلِكَ. وَ الْكُهْفُ:

علم بالغلبة على الذى أوى إليه الفتية و له سورة باسمه كذلك. و عرفات: اسم للمكان المخصوص أو للجبل و الصواب الأول.  
و من الجبال: «طور سيناء».

و من أسماء الأنهار: «الكوثر»: نهر فى الجنة.

و سلسيل و تسنيم عينان فى الجنة كذلك.

و من الأودية: «ويل»: اسم واد فى جهنم، على ما أخرج الترمذى بسند حسن من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعا.

و أشرف أعلام الأمكنة على الإطلاق- (العرش العظيم)، ثم الفردوس: اسم لأعلى الجنة و أوسطها، و فوقها- بالضم أى سقفها- عرش الرحمن. ثم مكة، فالمدينة. فهذه هى الأعلام.

و أما أسماء الأجناس فهى كثيرة جدا كالإنس، و الجان، و الملائكة، و الطير، و الشمس، و القمر، و النجوم، و الكواكب، و الجبال، و الشجر، و الدواب إلى غير ذلك مما يطول ذكره و لا يفيد استقصاؤه.

### ثانيا: الكنى:

و لم يأت منها فى القرآن إلا واحدة فى قوله تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ لَعَمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ اسْمُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ عَلَى مَا هُوَ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ فِي السَّيْرِ وَ الْمَغَازِي.

### ثالثا: الألقاب:

و أما الألقاب فكثيرة منها: النبى، و الرسول، و الخليل لإبراهيم عليه السلام، و إسرائيل بمعنى عبد الله ليعقوب عليه السلام، و المسيح لعيسى عليه السلام.

و منها: فرعون لقب لمن ملك مصر قديما و منهم فرعون موسى، و تبع لمن ملك اليمن.

و من الألقاب غير البشر و شرها على الإطلاق: الشيطان: لقب لإبليس - لعنه الله - ثم استعمل فى كل من بلغ من الشر أقصى غاية- كشياطين الجن و الإنس، و كذلك الوسواس الخناس مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ.

و الله أعلم

أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفه

الهوامش:

(١) الأنعام الآيات من ٨٣ إلى ٨٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٩٨

### الموصول لفظا المفصول معنى

أفرد السيوطى نوعا و ذكر أنه جدير بالإفراد بالتصنيف، و به تحصل فوائد و حل إشكالات، و حاصل هذا النوع فى أمرين:

أحدهما: أن يتبادر معنى لا يصلح أن يكون مرادا و يندفع الإشكال بحمله على آخر.

ثانيهما: أن يتوهم أن صاحب الكلام واحد فيندفع هذا التوهم ببيان قائله. و المعنى الجامع لهما هو: قطع آخر الكلام عن أوله لحكمة،

و من مثل الأمر الأول التى صدر بها السيوطى بحته قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا

حتى قوله: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. فالحديث فى قصة آدم كما جاء التصريح بذلك، أخرجه ابن أبى حاتم و غيره عن ابن عباس

بسند صحيح، وعند أحمد و الترمذى و حسنه، و الحاكم و صححه من طريق الحسن عن سمرة مرفوعا. ولكن آخر الآية مشكل لما فيه من نسبة الإشراك لآدم. و هناك من حمل الآية على غير آدم، و علل الحديث- أى جعله معلولا- و حكم ببنكارته، و حاصل ما دفع به السيوطى الإشكال مستندا إلى قولى السدى و أبى مالك أن قوله تعالى: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ مفصول عما قبله و هو مختص بمشركى العرب.

ثم نقل السيوطى ثلاث روايات عند ابن أبى حاتم بهذا المعنى فاتضحت المعضلة. و يوضح ذلك تحول الضمير من التثنية العائد لآدم و حواء فى قوله تعالى: آتَاهُمَا إِلَى الْجَمْعِ فى قوله تعالى: يُشْرِكُونَ. و أرى أن الإشكال ما زال قائما لقوله تعالى:

جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا. و من خير ما وقفت عليه فى تفسير هذه الآية ما قاله جمال الدين القاسمى فى تفسيرها حيث ذكر تنبيهها: بأن هذه الآية سيقى لتوبيخ المشركين فى جنائتهم بالشرك، و ذلك أن الله أنعم عليهم بالخلق، و جعل الزوج للسكينة، فتدرج فى الخلق من العدم إلى الوجود، و من الضعف إلى القوة، ثم أخذ المواثيق عليهم إن آتاهم ما يطلبون أن يشكروه و لا يكفروا. و نقل عن المفسرين أحاديث و آثارا تشير إلى أن المراد من القصة آدم و حواء، و حكم على هذه الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ١٩٩

الروايات بأنها واهية معللة، و نقل ذلك عن الحافظ ابن كثير، و قال: إنها من أقاصيص مسلمة أهل الكتاب. ثم بين ما ارتضاه فى تفسير الآية الذى قاله غير واحد، منهم الحسن و هو: أن المعنى به: ذرية آدم و من أشرك بعدهم، و نقل تحسين ابن كثير لهذه الروايات عن الحسن، و نقل عن القفال أن القصة على جهة ضرب المثل، و نقل عن الناصر فى (الانتصاف) متعقبا على الزمخشري: الأسلم أن يكون المراد جنس الذكر و الأنثى، و إنما نسب هذه المقالة إلى الجنس، و إن كان فيهم موحدون من باب (بنو فلان قتلوا قتيلا) فالنسبة للبعض ١.

و الحاصل: أنه إن أريد بالنفس الواحدة الأب و زوجها الأم بما يشمل كل أم و أب فلا إشكال. و إن أريد آدم و حواء فالوجه أن فى الكلام استخدام ٢- و هو محسن بديعى- بأن يعود الضمير فى (يسكن) على آدم و فى (إليها) إلى حواء، ثم يعود فى أول الضميرين فى (يغشاها) للذكر و ثانيهما للأنثى. فينحل الإشكال بالكلية.

ثم إن السيوطى نقل مثلا لمثل ما قاله و لكنه لا يسلم فى سورة يوسف فى قول امرأة العزيز: أَلَا نَحْضَحِصُ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٣.

و الصحيح الذى نذهب إليه: أن الجميع كلام امرأة العزيز، و إن كان الأكثرون على أن كلامها انتهى عند قوله: وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ فليس فى الكلام وصل و فصل فى آية يوسف ٤.

أ. د./ إبراهيم عبد الرحمن خليفة  
الهوامش:

(١) محاسن التأويل (ح ٣ ص ٦٧٨: ٦٨٠).

(٢) انظر: التحرير و التنوير (ح ٩ ص ٢١٠) فما بعدها.

(٣) سورة يوسف: ٥١: ٥٣.

(٤) انظر: هذا النوع فى الإتقان (ح ١ ص ٣٠٩: ٣١٢).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٠٠



أفرد الإمام الغزالي بالتصنيف (خواص القرآن)، و يقصد بها ما لآى القرآن من خواص مادية فى الشفاء من الأمراض، و إبطال السحر، و النجاة من العدو، و كل هذا توصل إليه العلماء من تجاربهم الشخصية؛ لأنهم يعتقدون البركة فى القرآن، و هذا لا ينفع إلا من اعتقد اعتقادهم، و إن كان فعل هؤلاء العلماء له أصل فى السنة، فى حديث رقية أبى سعيد لديغا بالفاتحة فبراً، فأقره النبى صلى الله عليه و سلم و قال: «ما يدريك أنها رقية»، على ما فى البخارى من فضائل الفاتحة. و ثبت أن آية الكرسي تحرز من الشيطان، على ما فى نفس المصدر، و كذلك أن سور الإخلاص و المعوذتين تشفى من الوجع على وجه مخصوص، هذا ما ذكره الكتاتون فى هذا المعنى من أمثال الزركشى فى «برهانه» و السيوطى فى «إتقانه»، و لو عمم المسلمون ذلك ليشمل القرآن بخواصه جميع مناحى الحياة- لأن القرآن كتاب جميع أصول الخيرات من أصول اعتقاد و تشريع، كما جمع محاسن الأخلاق- لدفعهم إلى التقدم و الرقى الحضارى.

أ. د./ إبراهيم عبد الرحمن خليفة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٠١

## جمع القرآن

### إشارة

ذكر الشيخ غزلان فى كتابه (البيان فى مباحث القرآن) أن جمع الشىء فى اللغة هو:

استقصاؤه و الإحاطة به. فجمع القرآن معناه:

استيعابه و الإحاطة به. و ذلك بطريقتين هما:

حفظه كله، أو كتابته كله، فالأولى فى الصدور، و الثانية فى السطور.

و قد وردت الروايات الصحيحة باستخدام لفظ (الجمع) فى التعبير عن الطريقتين: فقد روى عن أنس أنه سئل عن جمع القرآن فى

عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم أى: أتم حفظه. و قول عبد الله بن عمرو: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة.

و من الثانى: قول أبى بكر لزيد بن ثابت رضى الله عنه: (تبع القرآن فاجمعه) أى اكتبه. و قد توفر للقرآن الجمع بنوعيه منذ أول عهده إلى الآن تحقيقاً لقوله تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ١.**

### أولاً: جمع القرآن بمعنى حفظه:

بدأ هذا الجمع من أول نزول القرآن، و بالطبع كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أول الحفاظ و سيدهم، و قد تكفل الله- سبحانه و تعالى- بجمعه له فى صدره قال تعالى: **لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُحْجَلَ بِهَ الْآيَاتِ الثَّلاث ٢.** فكان يمليه و يقرأ به صلى الله عليه و سلم فى قيامه، و كان يعارضه به جبريل فى كل عام مرة.

أما صحابته- رضى الله عنهم- فكانوا أهل حفظ، و عرباً خلصاً، لهم من صفاء القريحة ما ساعدهم على حفظه، هذا بجانب حرصهم الشديد على القرآن؛ لأنه معجزة الله الباهرة، و مصدر الشريعة، و حفظه و قراءته و تلاوته لها الثواب و الأجر العظيم، و قد وعد الله- سبحانه- النبى صلى الله عليه و سلم بأن يكون الكتاب المنزل عليه لا يغسله الماء، ففى صحيح مسلم فى كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها فيه:

«و قال: إنما بعثتك لأبتليك و أبتلى بك و أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرأه نائماً و يقظان». الحديث؛ و لذا قال الحافظ ابن الجزرى: «إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب و الصدور لا على خط المصاحف و الكتب، و هذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة». ٣ ثم بين أن أهل الكتب السابقة لم تكن لهم نفس الخصيصة،



الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٠٢

فكل قراءتهم كانت من الكتب، ولكن هذه الأمة تحفظ كتابها بحركاته و سكناته. و نقل عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه في أول كتابه «القراءات» ذكر كثيرا من الصحابة الذين رويت عنهم القراءة. و ذكر ابن الجزرى أن هذه الكثرة التي ذكرها أبو عبيد كانت على جهة المثال فقط لا الحصر. فلا شك أن عددا كبيرا من الصحابة كان يحفظ القرآن.

أما ما روى من أحاديث في حصر من جمع القرآن في أربعة هم: أبي بن كعب، و معاذ بن جبل، و زيد بن ثابت، و أبو زيد. الحديث في صحيح البخارى عن أنس ٤.

و في رواية أخرى: استبدال أبي بأبي الدرداء، و في الرواية الثانية: حصر الجامعين بالنفى في الأربعة فقال: مات رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يجمع القرآن غير أربعة. فقد ذهب بعض العلماء إلى اضطراب هذه الروايات و تضعيفها، مع ملاحظة كونها موقوفة على الصحابي. و هذا ما مال إليه القاضى الباقلانى في «الانتصار» و لكنه ذكر أوجهها متكلفه في تأويله.

و من أمثل ما قيل في توجيه روايتى أنس، ما ذكره الحافظ ابن حجر و ملخصه: أن أول الحديث كان فيه نوع تفاخر بين الأوس و الخزرج، فتفاخر الأوس بأربعة، و تفاخر الخزرج بأربعة جمعوا القرآن. ثم ذكر أنه قد يراد هذا الحصر في الخزرج فقط، فلا ينفي ذلك عن غيرهم من الصحابة. و نقل احتمال التوجيه بأن أنسا اقتصر عليهم لتعلق غرضه بهم، و حكم عليه بالبعد. ثم ذكر أن الظاهر من أحاديث كثيرة حفظ أبي بكر الصديق للقرآن في حياة النبي صلى الله عليه و سلم، و قد قدمه رسول الله صلى الله عليه و سلم للصلاة بالناس و كان قد قال: «يؤم الناس أقرؤهم لكتاب الله».

و ذكر عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول بعد وفاته صلى الله عليه و سلم. و عبد الله بن عمر، و ابن مسعود، و سالم مولى أبي حذيفة روى عنهم جمعهم للقرآن. و قد ذكر ابن أبي داود في كتاب «الشريعة» تميم بن أوس الدارى، و عقبه بن عامر أنهما جمعا. و عدّ معهم أبو عمرو الدانى: عمرو بن العاص، و سعد بن عباد، و أم ورقة.

### ثانيا: جمع القرآن بمعنى كتابته:

#### إشارة

لكتابة القرآن ثلاثة عهود: أحدها: عهد النبي صلى الله عليه و سلم، ثانيها: عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه، ثالثها: عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه.

#### (أ) عهد النبي صلى الله عليه و سلم:

#### إشارة

وقعت الكتابة للقرآن رسميا و شخصيا، فقد كتب القرآن بأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم على

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٠٣

المستوى الرسمى بكتابة القرآن، و اتخذ كتابا للوحى، و قد بوب البخارى بابا سماه (كاتب النبي صلى الله عليه و سلم) لم يذكر فيه إلّا زيد بن ثابت، و ذكر الحافظ أربعة عشر. و ما يدل على الكتابة الرسمية ما رواه أحمد و أصحاب السنن و صححه ابن حبان من حديث ابن عباس عن عثمان بن عفان قال: «كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نزل يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا» ٥.

و ما أخرجه الحاكم عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: «كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم نؤلف القرآن من الرقاع» ٦ الحديث. قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، و وافقه الذهبي.

فهذان الحديثان فوق دالتهما على الكتابة الرسمية يدلان على التوقيف فى ترتيب آيات السور.

و تأليف القرآن المقصود: جمعه و ترتيبه كما صرح بذلك الحافظ فى «الفتح» ٧.

أما الكتابة على المستوى الشخصى، فلا شك أن الصحابى الذى كان يعرف الكتابة كان يكتب لنفسه، و يدل على وقوع تلك الكتابة حديث أبى سعيد عند مسلم فى (كتاب الزهد باب التثبث و حكم كتابة العلم)، أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «لا تكتبوا عنى، و من كتب عنى غير القرآن فليمحاه». و سواء كان النهى لعدم اختلاف الكتاب بالسنة، أم كان النهى بخصوص كتابة السنة مع القرآن، أم لتوجيه الهمة للقرآن وحده سواء علينا أ كان هذا أم ذاك، فإن الحديث صريح فى كتابة القرآن، بل فيه حض عليه. فالكتابة على المستويين تمت و وقعت فى عهده صلى الله عليه و سلم.

و السؤال: على أى شىء كانوا يكتبون؟

يقول زيد بن ثابت فى حديثه فى جمع القرآن: «فتبعت القرآن أجمعه من العسب، و اللخاف، و صدور الرجال». و قد شرح الحافظ بعض هذه الألفاظ فذكر: أن العسب - بضمين ثم موحدة - جمع عسيب، و هو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص و يكتبون فى الطرف العريض. و قيل: العسيب طرف الجريدة العريض الذى لم ينبت عليه الخوص، و الذى ينبت عليه الخوص هو السعف.

و وقع فى رواية ابن عيينة عن ابن شهاب:

«القصب، و العسب، و الكرايف، و جرائد النخل». و وقع فى رواية شعيب «من الرقاع جمع رقعة، و قد تكون من جلد أو ورق أو كاغد». و فى رواية عمار بن غزيرة: «و قطع الأديم» و فى رواية ابن أبى داود من طريق أبى داود الطيالسى عن إبراهيم بن سعد: «و الصحف».

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٠٤

قوله: «و اللخاف» بكسر اللام ثم خاء معجمة خفيفة و آخره فاء، جمع لخفة، بفتح اللام و سكون المعجمة، و وقع فى رواية أبى داود الطيالسى فى روايته: هى «الحجارة الرقاق» و قال الخطابى: صفائح الحجارة الرقاق. قال الأصمعى: فيها عرض و دقة. و سيأتى للمصنف فى الأحكام عن أبى ثابت أحد شيوخه أنه فسره بالخزف - بفتح المعجمة و الزاى ثم فاء - و هى الآنية التى تصنع من الطين المشوى، و وقع فى رواية شعيب:

«و الأكتاف» جمع كتف و هو العظم الذى للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا فيه. و فى رواية عمارة «و كسر الأكتاف»، و فى رواية ابن مجمع عن ابن شهاب عند ابن أبى داود «و الأضلاع»، و عنده من وجه آخر «و الأقتاب» - بقاف و مشاء و آخره موحدة - جمع قتب - بفتحين «و هو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه، و عند ابن أبى داود أيضا فى «المصاحف» من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: «قام عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئا من القرآن فليأت به.

و كانوا يكتبون ذلك فى الصحف و الألواح و العسب». ٨ انتهى المقصود منه. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٢٠٤ (أ) عهد النبى صلى الله عليه و سلم: ..... ص: ٢٠٢

ترك الحافظ - رحمه الله - مما يستحق الشرح كلمتى «الكرايف، و القصب»، أما الكرايف: ففى اللسان: (الكرفان و الكرفان) أى بكسر الكاف و ضمها، أصول الكرف التى تبقى فى جذع السعف و ما قطع من السعف فهو الكرف - الواحدة كرفانة - و فيه قول ابن سيده: الكرفانة و الكرفونة - أصل السعفة الغليظ الملتزق بجذع النخلة، و قيل: الكرايف:

أصول السعف الغلاظ العراض التى إذا يبست صارت أمثال الأكتاف. و فى حديث الزهرى: و القرآن فى الكرايف، يعنى: أنه كان مكتوبا عليها قبل جمعه فى الصحف).

و أما القصب فإنما يصلح من معانيه هنا ما فى اللسان و غيره من كونه ثياب الكتان الرقاق الناعمة. فيحتمل أنهم كانوا يكتبون أيضا على قطع من قماش الكتان الرقيق الناعم.

كيف كانت كتابتهم؟: لا نعرف للقوم كيفية معينة يومئذ فى الكتابة. كما لا نعرف هذه الكيفية فى كتابتهم للصحف البكرية. و الظاهر أنها كانت مماثلة أو عين الكيفية التى كتبوا بها المصاحف العثمانية، فإن أحدا لم ينقل فرقا فى كيفية الكتابة بين العهود الثلاثة فيما أعلم.

### الباعث على كتابة القرآن فى هذا العهد:

على الرغم من أن القرآن كان محفوظا بأكمله للنبي صلى الله عليه و سلم و محفوظا بالتواتر عند أصحابه، فقد كتب القرآن فى هذا العهد، و ذكر الشيخ غزلان لهذه الكتابة أسبابا ثلاثة:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٠٥

أحدها: المحافظة على النص القرآنى من أن يطرأ عليه تغير؛ لأن الكتابة تظاهر الحفظ.

ثانيها: تمام العناية به و زيادة التوثق له فلا يكون لخوف الضياع عليه أدنى شائبة.

ثالثها: الفائدة العظيمة التى ظهرت بعد وفاته صلى الله عليه و سلم عند جمع القرآن فى العصر البكرى، حيث كان للصحابة فى هذا الجمع مصدران اعتمدوا عليهما.

لما ذا لم يجمع النبي صلى الله عليه و سلم القرآن فى مصحف واحد؟ السؤال: لم لم يتحد نوع ما كتب عليه ليسهل الرجوع إليه؟ أول جواب على ذلك: أن فى عهده صلى الله عليه و سلم كان على التيسير و رفع الحرج؛ فمن ثم اختلف النوع؛ لأن المهم هو سرعه التدوين و الكتابة، بخلاف ما كان عليه الأمر فى عهد الصديق أبى بكر.

و قد جلى الجواب الشيخ غزلان فذكر: أن القرآن كان يتتابع نزوله، فكان صعبا أن نجعله فى كتاب واحد، و أن القرآن فى عهده صلى الله عليه و سلم كان عرضة للنسخ، و عليه يكون عرضة لتغيير الكتابة بعد الجمع و الترتيب. و كانت الآيات الكثيرة تنزل ثم يعلم الترتيب فلو وضعت فى مصحف واحد لكان فى المشقة ما فيه.

### (ب) ما وقع من الجمع الكتابى فى عهد أبى بكر للقرآن:

قتل أثناء حروب الردة سبعون من حفاظ القرآن الكريم فى يوم اليمامة خاصة، فخشى على القرآن أن يضيع منه شيء، و خاصة أن ما كتب فى عهد النبي صلى الله عليه و سلم كان أشتاتا فيمكن أن يضيع منه شيء مع من مات، فمن ثم كان الجمع فى العهد البكرى. فقد أخرج البخارى من صحيحه فى كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن عن زيد بن ثابت قال: «أرسل إلى أبى بكر الصديق بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبى بكر رضى الله عنه: إن عمر أتانى فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، و إنى أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، و إنى أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قال عمر: هذا و الله خير. فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك، و رأيت فى ذلك الذى رأى عمر. قال زيد: قال أبى بكر: إنك رجل شاب عاقل لا تنهكك، و قد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فتتبع القرآن فاجمعه. فو الله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قال: هو و الله خير.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٠٦

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر و عمر رضى الله عنهما. فتتبع القرآن أجمعه من العصب و اللخاف و صدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمه الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ، حتى خاتمه براءة فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه.

و يستفاد من هذا الحديث أمور:

أولها: إعطاء كل حال حكمها اللائق بها؛ و لذا عملوا على جمع القرآن؛ لأن الحال تغير عنه فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم؛ فخوفا من ضياع شىء من القرآن جمع أبو بكر الصديق القرآن بعد أن شرح الله صدره و صدر عمر و زيد بن ثابت لذلك.

ثانيها: اختيار الأكفاء فى المهام الصعبة كاختيار أبى بكر زيد بن ثابت لجمع القرآن لتوفر العقل و الأمانة و الديانة و الشباب فيه.

و الممارسة و الخبرة التى لها دخل عظيم فى إنجاح الأعمال.

ثالثها: الشعور عند العمل العظيم بالمسئولية الجسيمة.

رابعها: دفع شبهة كيف لم يجد زيد بن ثابت هاتين الآيتين، و كيف اكتفى برجل واحد فى نقل قرآنيتهما؟

و قد دفع شيخنا غزلان هذه الشبهة بأن بدأ بذكر ما يجب مراعاته عند التعرض لهذه الشبهة:

١- عدم إمكان أن يكون النبى صلى الله عليه و سلم خصّ أبا خزيمه لتبليغ هاتين الآيتين؛ لأن القرآن لا يحل روايته بالمعنى، فلا يمكن الاطمئنان إلى روايته بلفظه دون تغيير حرف منه إلا تبليغ جماعة كبيرة.

٢- أن إجماع الصحابة على أن كتابتهما فى المصحف لا تكون برواية الواحد؛ و لذا لا بدّ أن الصحابة كتبوها بعد روايتهما عن جماعة كثيرة، و يكون معنى كلام زيد: «لم أجدهما مع أحد غيره» دائرا بين أمرين: إما أن يكون مراده أنه لم يجدهما مكتوبتين عند أحد غير أبى خزيمه، فهو انفراد بكتابتهما فقط.

و إما أن يكون مراده أنه انفرد بكتابتهما و حفظهما، فلم يجدهما عند غير أبى خزيمه، فظل أبو خزيمه لما علم ذلك يحدث بهما و يحدث بهما أيضا زيد بن ثابت، حتى حفظها من لم يحفظها و تذكرها من نسيها حتى تواتر نقلها، فتوفر شرط القرآنية لهاتين الآيتين فأثبتهما زيد فى المصحف.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٠٧

و قد نقل الحافظ أن هناك روايات عن الصحابة تكشف عن أن منهم من كانت معه هاتان الآيتان، منها عن خزيمه بن ثابت، و عثمان، و أبى بن كعب- رضى الله عنهم ٩.

فأبو خزيمه لم ينفرد بتلقيهما، بل تلقاهما الكثير. و قد ذهب إلى ذلك أيضا أبو حيان.

و أرى: أن نفى زيد بن ثابت لوجود الآيتين كان نفيا لوجودهما من كل وجه. و لكن من المعقول أن يكون زيد بن ثابت قد اقتصر فى بحثه على أهل المدينة، و لا يعقل أنه ذهب لكل الأماكن لتقصي ذلك، و الصحابة فى المدينة كانوا قليلين. و نحن لا نوافق شيخنا غزلان فى افتراض ذهول الأكثرين مع اشتراطه فى أول الكلام أن يكون النقلة من حيث العدد ممن تحيل العادة عليهم النسيان.

و خلاصة القول: أن هاتين الآيتين توفر لهما من شروط النقل ما توفر لسائر آى القرآن. و لقد حققت الكتابة غايتها المقصودة.

و الظاهر أن زيد بن ثابت لم ينفرد بمهمة الجمع وحده، بل عاونه غيره كأبى بكر و عمر و أبى كما تفيده الروايات المتعددة كما ذكر الحافظ فى «الفتح». و لقد تم الجمع فى العهد البكرى على أمثل ما يكون فى الاحتياط و العناية اللائقين بجلال القرآن.

و لقد عرف الصحابة لأبى بكر الصديق فضله حتى قال فيه على: «أعظم الناس فى المصاحف أجرا أبو بكر، هو أول من جمع كتاب الله».

و من أعظم فوائد الجمع فوق ما هو مقصود من حكمته الرئيسية الداعية إليه، اتصال السند الكتابى بالأخذ عن الصحف التى كتبت بين

يدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاتصال السند المتواتر فى الرواية و التلقى على الشيوخ.

### (ج) الجمع العثماني للقرآن:

إذا كان الجمع الكتابى فى الصحف للقرآن قد تم فى العصر البكرى ليكون مرجعا للحفاظ عند إرادة العودة إليه، فقد كان الجمع العثماني لغرض وداع آخر هو: تجريد جميع المصاحف و الصحف مما ليس بقرآن كالدعوات المأثورة، و التفسير، و ما نسخت تلاوته، و حاشا أن يلبسوا على من بعدهم، و لكن ذلك كان بغرض حفظ القرآن و ذلك بعد تفرق الصحابة الذين تلقيت القراءات على أيديهم فى الأمصار، و ربما فسر صحابى لفظا غريبا أو معنى و ألحقه تلامذته على مصاحفهم فوجدت فى المصاحف أشياء مذكورة و دعوات مثل دعاء الحفد و الخلع، حتى استفحل الأمر، و اتسع الخرق؛ فرأى الخليفة الراشد عثمان تدارك هذا الأمر، و جمع الناس على مصحف واحد جرده من كل هذه المصاحف، و نفى عنه كل ما ليس بقرآن، فى مصحف واحد يجرده من عين المصاحف البكرية التى لم يكن فيها إلا القرآن فحسب، على ما أخرج البخارى رضى الله عنه فى جمع القرآن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٠٨

من «صحيحه» من حديث ابن شهاب - يعنى الزهرى أن أنس بن مالك حدثه «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، و كان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق، فأفرع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود و النصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فسخوها فى المصاحف، و قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أقب بمصحف مما نسخوا، و أمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق».

هذا هو الباعث على جمع عثمان للمصاحف فى مصحف واحد، و ليس كما قال بعضهم: من أن السبب فى الاختلاف كانت الأحرف السبعة. و قد فندنا هذه الدعوى فى مبحث الأحرف السبعة. و لا نريد أن نعيد استدلالا، و لكن لو كانت الأحرف قد أخذ عثمان بحرف واحد منها فكيف وصلت القراءات إلينا بالتواتر. و دعوى أن هذا كله حرف قريش مكابرة. و لو كان كذلك لجمعهم على حرف واحد بدون اختلاف فى أدائه، و إلا لكان بقاء القراءات مانعا من الوصول لدرء الخلاف على زعمهم، و المصحف العثماني كالمصحف البكرى فى جمعه للأحرف السبعة.

فخبرنى بربك إذا كان من القراءات التى تركها عثمان ما قد يختلف معناه اختلافا بينا عن القراءة الأخرى، إلى حد يصل إلى عدم جواز اجتماع المعنيين أحيانا فى شىء واحد؛ لكونهما نفيًا و إثباتًا مثلا، و إنما تتفق القراءتان إذ ذاك من وجه آخر لا يقتضى التضاد، و ذلك كقراءة «إِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۝١٠ بِكسر اللام الأولى من (لتزول) و فتح الثانية على أن «إِنْ» نافية نفت إزالة مكرهم للجبال، و قرئت بفتح اللام الأولى و رفع الأخرى على أن «إِنْ» مخففة من الثقيلة و اللام الأولى المفتوحة هى الفارقة بين «إِنْ» النافية و «إِنْ» المخففة المهملة. و المعنى على هذه القراءة: «إِنْ مَكْرَهُمْ يَزِيلُ الْجِبَالَ».

و القراءتان سبعيتان متواترتان بلا شبهة و معناهما لا يمكن أن يجتمع فى شىء واحد كما ترى. و إن اتفقا من وجه آخر لا يقتضى التضاد، بل تكون معه الآية على غاية من الاستقامة و السداد، فيراد من الجبال على

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٠٩

قراءة النفى أمر محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و دين الإسلام، و يراد منها على قراءة الإثبات الجبال الحقيقية - و المسألة مبسوطه فى كتب التفسير و فى «النشر» لابن الجزرى.

نقول: إذا كان من القراءات ما قد يختلف فأيهما كان أدعى للخلاف على النحو الذى زعموا، و أيهما كان أرفع له؟. أ هو اختلاف المعنى البالغ هذا الحد. أم هو مجرد اختلاف الألفاظ المترادفة المتفقة المعنى تماما على ما زعموا فى المراد من الأحرف؟ أ فيقع الخلاف بسبب تعدد تلك الألفاظ المترادفة ليرفعه عثمان بإبقاء واحد فقط من تلك الألفاظ؟ أم يقع بسبب مثل هذا الاختلاف البالغ فى المعنى و يكون أجدد بدرجات أن يرفع لأجله عثمان إحدى القراءتين؟. فإذا أبقى عثمان رضى الله عنه هاتين القراءتين جميعا- مع أن الأمر فيهما هو على الاختيار لأى منهما- فما ذاك إلا لكونه لا يستجيز، بل لا يجرؤ هو ولا غيره حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه و سلم نفسه على حذف شىء مما أنزله الله و لم يأذن برفعه. و هكذا كان رضى الأصحاب أيضا، إذن- معالجة عثمان للخلاف هو على النحو الذى وصفنا من هذا الخلاف، و دفعه- أعنى تجريد عثمان للمصحف- من كل ما ليس بقرآن، و إحراق كل ما يشتمل مع القرآن على غيره من الصحف أو المصاحف، أخرج ابن أبى داود فى «المصاحف» بسند صحيح- كما قال الحافظ- من طريق سويد بن غفلة قال: «قال على: لا- تقولوا فى عثمان إلا خيرا، فو الله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملامنا، قال: ما تقولون فى هذه القراءة، فقد بلغنى أن بعضهم يقول: إن قراءتى خير من قراءتك، و هذا يكاد أن يكون كفرا، قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن نجتمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة و لا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت».

و هكذا تم لعثمان ما أراد من هذا الجمع بمرضاة من الصحابة.

مشكلة عرضت فى هذا الجمع شبيهة بأختها فى الجمع البكرى و الحل هو نفس الحل:

أخرج البخارى فى سورة الأحزاب من كتاب التفسير عن زيد بن ثابت أنه قال: «لما نسخنا المصحف فى المصاحف، فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمه الأنصارى الذى جعل رسول الله صلى الله عليه و سلم شهادته شهادة رجلين: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. قال الحافظ فى «الفتح»:

«هذا يدل على أن زيدا لم يكن يعتمد فى جمع القرآن على علمه و لا يقتصر على حفظه، لكن فيه إشكال، لأن ظاهره أنه اكتفى مع ذلك بخزيمة وحده و القرآن إنما يثبت

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢١٠

بالتواتر، و الذى يظهر فى الجواب أن الذى أشار إليه أن فقدته فقد وجودها مكتوبة لا فقد وجودها محفوظة، بل كانت محفوظة عنده و عند غيره، و «يدل على هذا قوله فى حديث جمع القرآن: فأخذت أتبعه من الرقاع و العسب».

كم مصحفا نسخ عثمان من الصحف البكرية؟ اختلف الناس فى عدد المصاحف التى نسخها عثمان من الصحف، و أقل ما قيل فى العدد: أربعة، و أكثر ما قيل تسعة، و الظاهر الذى يتفق مع طبيعة الأمور هو وفرة العدد و لا سيما مع قول أنس بن مالك فى حديث البخارى الذى نقلناه لك فى هذا الجمع:

«و أرسل إلى كل أفق بمصحف»، فإنه صريح فى أن المصاحف كانت بعدد الأقطار التى انتشر فيها الإسلام، و إنما كان هذا متفقا مع طبيعة الأمور لأن الغرض هو القضاء على خلاف المختلفين و جمع الكل على مصحف واحد، و لا يتحقق هذا على الوجه الصحيح إلا بأن يرسل إلى كل أفق بمصحف كما قال أنس رضى الله عنه.

أين ذهب الصحف البكرية؟ تبين من حديث زيد بن ثابت فى الجمع البكرى أن الصحف التى جمع فيها القرآن ظلت عند أبى بكر حتى مات، ثم عند عمر حتى مات، ثم عند حفصة. كما تبين من حديث أنس فى الجمع العثمانى أنهم لما نسخوا الصحف فى المصاحف ردها عثمان إلى حفصة. فبقيت عند حفصة طول حياتها دون أن تبالى- رضى الله عنها- بطلب مروان بن الحكم- الذى ولى المدينة بعد وفاة على من قبل معاوية بعد أن آل الأمر إليه- المتكرر لتلك الصحف، فلما مات أرسل إلى أخيها عبد الله ابن عمر بالعزيمة أن يرسل إليه بالمصحف ففعل، فشققها مروان ثم غسلها بعد ذلك، أو حرقها، أو فعل الأمرين على ما تفيد الروايات التى ذكر الحافظ فى «الفتح» فى هذا المقام.



و الله أعلم.

أ. د. / إبراهيم عبد الرحمن خليفة

الهوامش

- (١) البيان في مباحث القرآن: (ص ١٤٥) و ما بعدها.
  - (٢) سورة القيامة: ١٧ - ١٩.
  - (٣) النشر في القراءات العشر (ص ٦).
  - (٤) الجامع الصحيح (كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).
  - (٥) انظر: فتح الباري: (ح ٩ ص ٢٢).
  - (٦) انظر: كتاب التفسير من المستدرک على الصحيحين تحت عنوان: جمع القرآن لم يكن مرة واحدة.
  - (٧) انظر: الفتح (ح ٩ ص ٣٩).
  - (٨) فتح الباري: (ح ٩ ص ١٤).
  - (٩) انظر: فتح الباري: (ح ٩ ص ١١ - ١٢).
  - (١٠) سورة إبراهيم ٤٦.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢١١

## كتابة القرآن

لا يعرف بالضبط و التحديد الدقيق متى بدأت الكتابة عند العرب الذين هم أمه أمية لا تكتب و لا تحسب كما وصفهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في صحيح سننه، بل وصفهم بذلك القرآن العظيم في غير ما موضع منه، و جميع الروايات التي يذكر الناس في هذا المقام لا تقوم على قدم أو تعتمد على ساق، و المهم أنه حين نزول القرآن كان من العرب من يكتبون، حتى اتخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ الحافظ سلم من المؤمنين به كتابا للوحي، أولهم: في مكة- عبد الله بن سعد بن أبي سرح، و أولهم بالمدينة أبي بن كعب، كما قال الحافظ في «الفتح». و من أبرزهم: زيد بن ثابت الذي قال أبو بكر في حديث البخاري الذي نقلناه لك في الجمع البكري: «و قد كنت تكتب الوحي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ».

و لكون الكتابة عند العرب كانت محدثة و في الأقلين منهم، فإنهم حين كتبوا القرآن كتبوه على ما تيسر لهم من تعلم الخط، و لم تكن هذه الصناعة محكمة لديهم إذ ذاك، فخالفوا في رسم القرآن أصل قاعدة الكتابة المعروفة الآن أحيانا أو في الكثير من الأحيان، فتارة كانت مخالفتهم بحذف ما حقه أن يثبت و أخرى بإثبات ما حقه أن يحذف، و ثالثه بإبدال حرف مكان آخر، و رابعة بقطع الحرف عما بعده حيناً و وصله به آخر، و الحرفان هما في الموضوعين أو المواضع، إلى غير ذلك من المخالفات لقاعدة الكتابة.

و من هنا فقد اختلف الناس في رسم المصحف: أ هو توقيفي واجب الاتباع بحيث تحرم مخالفته؟، و هو قول مالك و أحمد كما صرح به السيوطي في «الإتقان» في النوع الذي تحدث فيه عن مرسوم الخط. و لا حجة لأصحاب هذا المقام البتة، فإنه لم يثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أمرهم بكيفية مخصوصة في الكتابة، بل و كلهم في ذلك إلى ما يحسنون و يطبقون. و ما زعم من نحو قوله لبعض كتابه في كتابة بسم الله الرحمن الرحيم: «ألق الدواة و حرف القلم، و أقم الباء، و فرق السين، و لا تقور الميم» فحديث خرافة من نقلته. و على الجملة فقد ضعف الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث عمرة القضاء من «الفتح» جميع الأحاديث الواردة في

تعلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢١٢

الكتابة ١، و ما زعموا من تقرير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكتابه على هذا الرسم، فيكون حجة على توقيفيتها، فخلط فاحش في قواعد الأصول، فإن التقرير إن كان لقول كان حجة على ما تضمنه ذلك القول، فإن كان ما تضمنه القول واجبا كأن قال قائل أمام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هذا واجب. فلم ينكره النبي عليه، دل على وجوبه، وإن كان حراما فكذلك إلى آخر ما تعرف من أقسام الحكم الشرعي. وإن كان التقرير على فعل لم يدل على أكثر من إباحة ذلك الفعل. فكيف لو كان الفعل مجرد صناعة كالكتابة هنا، وقال الكثير من المحققين بعدم توقيفية هذا الرسم، وأنه مجرد صناعة، وتكليف المرء ما لا يحسنه فيها من التكليف بما لا يطاق، ومن هؤلاء المحققين القاضي أبو بكر الباقلاني في «الانتصار» وابن خلدون في «مقدمته» والكرمانى في «عجائبه» والنيسابورى في مقدمة تفسيره، وإليه مال الحافظ ابن كثير في «فضائل القرآن» والعز بن عبد السلام حتى إن الأخير قال بحرمة اتباعه في أيامه لما يؤدي إليه من اللبس على غير حافظ القرآن حين يقرأه من المصحف، ومنهم الزركشى في «البرهان» الذى فصل بين الخاصة والعامة، فاستحب للخاصة اتباع هذا الرسم، وللعامة كتابته على حسب القواعد المعروفة التى توافق حالهم ٢.

والتحقيق الذى لا محيد عنه لمنصف هو:

أن الرسم مجرد صناعة لا أثر فيها للتوقيف، وما يذكر أصحاب هذا العلم من نكات اختيار الصحابة لكذا دون كذا فى هذا الرسم فسراب. وليت الناس ما شغلوا أنفسهم بهذا فضلا عن أن يجعلوا منه علما حيث لا مبنى لهذا العلم ولا أساس.

أ. د. / إبراهيم عبد الرحمن خليفه

الهوامش

(١) فتح البارى ح ٧ ص ٥٠٤.

(٢) انظر: البرهان فى علوم القرآن، للزركشى ح ١، ص ٣٧٩.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢١٣

### المصحف نقطه و شكله

رسم المصحف أول ما رسم دون نقط أو شكل لسبب يسير جدا هو: أنه لم يكن شىء من ذلك معروفا فى الكتابة عندئذ، وكانت سليقة العربى الخالص و فطرته النقية أمانا له من الالتباس و النطق بغير ما يصح فى العربيه، فلما اتسعت الفتوحات و اختلط العرب بالعجم سرت اللكنة إلى ألسنة البعض و خفى ما كان بدهى الظهور، فاحتاج الناس إلى ما يؤمنهم اللبس و لا سيما فى قراءة القرآن من المصحف. ١ و لسنا نعرف بالضبط و التحديد الدقيق متى تم هذا النقط و الشكل، و لا أول من وقع على يديه. قال السيوطى فيما ذكر من مسائل مرسوم الخط، و فيه أيضا حكم النقط و الشكل و حكم ما أضيف من غيرهما إلى المصاحف: (مسألة: اختلف فى نقط المصحف و شكله. و يقال: أول من فعل ذلك: أبو الأسود الدؤلى بأمر عبد الملك بن مروان، و قيل: الحسن البصرى و يحيى بن يعمر، و قيل: نصر بن عاصم الليثى. و أول من وضع الهمز و التشديد و الروم و الإشمام الخليل. و قال قتادة: بدءوا فنقطوا، ثم خمسوا، ثم عشروا. و قال غيره: أول ما أحدثوا النقط عند آخر الآى، ثم الفواتح و الخواتم. و قال يحيى بن أبى كثير: ما كانوا يعرفون شيئا مما أحدث فى المصاحف إلا-النقط الثلاث على رءوس الآى. أخرجه ابن أبى داود. و قد أخرج أبو عبيد و غيره عن ابن مسعود، قال: جردوا القرآن و لا-تخلطوه بشىء. و أخرج عن النخعى أنه كره نقط المصاحف. و عن ابن مسعود و مجاهد أنهما كرها التعشير. و أخرج ابن أبى داود عن النخعى أنه كان يكره العواشر و الفواتح و تصغير المصحف، و أن يكتب فيه سورة كذا و كذا. و أخرج عنه



أنه أتى بمصحف مكتوب فيه سورة كذا و كذا آية، فقال: امح هذا فإن ابن مسعود كان يكرهه. و أخرج عن أبي العالية أنه كان يكره الجمل في المصحف، و سورة كذا، و فاتحة سورة كذا، و قال مالك:

لا بأس بالنقط في المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان، أما الأمهات فلا. و قال الحلبي -

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢١٤

تكره كتابة الأعشار و الأحماس ٢ و أسماء السور و عدد الآيات فيه، لقوله: «جردوا القرآن». و أما النقط فيجوز، لأنه ليس له صورة فلا يتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآنا.

و إنما هي دلالات على هيئة المقروء فلا- يضر إثباتها لمن يحتاج إليها. و قال البيهقي: من آداب القرآن: أن يفخم، فيكتب مفرجا بأحسن خط فلا يصغر و لا تقرمط ٣ حروفه، و لا- يخلط به ما ليس منه- كعدد الآيات و السجدة و العشرات و الوقوف و اختلاف القراءات و معاني الآيات.

و قد أخرج ابن أبي داود عن الحسن و ابن سيرين أنهما قالا: لا بأس بنقط المصاحف.

و أخرج عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال: لا بأس بشكله.

و قال النووي: نقط المصحف و شكله يستحب؛ لأنه صيانته له من اللحن و التحريف.

و قال ابن مجاهد: ينبغي ألا يشكّل إلا ما يشكّل. و قال الداني: لا أستجيز النقط بالسواد؛ لما فيه من التغيير لصورة الرسم، و لا أستجيز جمع قراءات شتى في مصحف واحد بألوان مختلفة؛ لأنه من أعظم التخليط و التغيير للمرسوم، و أرى أن تكون الحركات و التنوين و التشديد و السكون و المد بالحمرة، و الهمزات بالصفرة. و قال الجرجاني من أصحابنا في «الشافعي»: من المذموم كتابة تفسير كلمات القرآن بين أسطوره.

ثم قال السيوطي: «فائدة»: كان الشكل في الصور الأول نقطا، فالفاتحة نقطة على أول الحرف، و الضمة على آخره، و الكسرة تحت أوله، و عليه مشى الداني. و الذي اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف، و هو الذي أخرجه الخليل، و هو أكثر و أوضح، و عليه العمل، فالفتح شكله مستطيلة فوق الحرف، و الكسر كذلك تحته، و الضم و او صغرى فوقه، و التنوين زيادة مثلها؛ فإن كان مظهرا- و ذلك قبل حرف حلق ركب فوقها، و إلا جعلت بينهما، و تكتب الألف المحذوفة و المبدل و التنوين قبل الباء علامة الإقلاب «م» حمراء، و قبل الحلق سكون، و تعرى عند الإدغام و الإخفاء، و يسكن كل مسكن، و يعرى المدغم، و يشدد ما بعده إلا الطاء قبل التاء، فيكتب عليها السكون نحو: «فرطت»، و مطة الممدود لا تجاوزه. أه.

على أن الأمر قد صار بعد أمد محل تساهل شريطة أمن اللبس، حتى كتب الناس في مصاحفهم أسماء السور و عدد آياتها، و كونها مكية أو مدنية، بل قسموا القرآن إلى ثلاثين جزءا، و الجزء إلى حزبين، و الحزب إلى أربعة أرباع، و كل ذلك وضعوا له عناوين في

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢١٥

المصاحف دون نكير من الأوساط العلمية ذات الشأن ما دام اللبس مأمونا و القرآن مميزا لا يختلط بشيء من تلك الإضافات.

أحكام أخرى تتعلق بالمصحف ذكرها صاحب «الإتقان»: قال السيوطي - رحمه الله: «فصل في آداب كتابته»: يستحب كتابة المصحف و تحسين كتابته و تبيينها و إيضاها و تحقيق الخط دون مشقه، و أما تعليقه فيكرهه. و كذا كتابته في الشيء الصغير. أخرج أبو عبيد في

«فضائله» عن عمر أنه وجد مع رجل مصحفا قد كتبه بقلم دقيق، فكره ذلك و ضربه، و قال:

عظموا كتاب الله.

و كان عمر إذا رأى مصحفا عظيما سرّ به.

و أخرج عبد الرزاق عن عليّ: أنه كان يكره أن تتخذ المصاحف صغارا و أخرج أبو عبيد عنه أنه كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير.

وأخرج هو و البيهقي في «الشعب» عن أبي حكيم العبدى، قال: مر بى علىّ و أنا أكتب مصحفا، فقال: أجل قلمك، فقضمت من قلمى قضمة، ثم جعلت أكتب فقال: نعم، هكذا نوره كما نوره الله. و أخرج البيهقي عن علىّ موقوفا، قال: تنوق رجل فى «بسم الله الرحمن الرحيم» فغفر له. و أخرج أبو نعيم فى تاريخ «أصبهان» و ابن أشتة فى «المصاحف» من طريق أبان، عن أنس مرفوعا: «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم مجودة غفر الله له». و أخرج ابن أشتة عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عماله: إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم، فليمد «الرحمن». و أخرج عن زيد بن ثابت: أنه كان يكره أن تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» ليس لها سين. و أخرج عن يزيد بن أبى حبيب أن كاتب عمرو بن العاص كتب إلى عمر فكتب: «بسم الله» و لم يكتب لها سينا، فضربه عمر، فقيل له: فيم ضربك أمير المؤمنين؟

قال: ضربنى فى سين. و أخرج عن ابن سيرين: أنه كان يكره أن تمتد الباء إلى الميم حتى تكتب السين. و أخرج ابن أبى داود فى «المصاحف» عن ابن سيرين: أنه كره أن يكتب المصحف مشقا ٤؛ قيل: لم؟ قال: لأن فيه نقصا. و تحرم كتابته بشيء نجس، و أما بالذهب فهو حسن، كما قاله الغزالي. و أخرج أبو عبيد عن ابن عباس و أبى ذر و أبى الدرداء أنهم كرهوا ذلك. و أخرج عن ابن مسعود: أنه مر عليه مصحف زين بالذهب. فقال: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق. قال أصحابنا: و تكره كتابته على الحيطان

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢١٦

و الجدران و على السقوف أشد كراهة: لأنه يوطأ. و أخرج أبو عبيد عن عمر بن العزيز قال: (لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ).

و هل تجوز كتابته بقلم غير العربى ٥؟ قال الزركشى: لم أر فيه كلاما لأحد من العلماء.

قال: و يحتمل الجواز، لأنه قد يحسنه من لا يقرأ بالعربية، و الأقرب المنع كما تحرم بغير لسان العرب، و لقولهم: القلم أحد اللسانين.

و العرب لا تعرف قلما غير العربى، و قد قال تعالى: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ انتهى.

و قد كفانا الله هذا كله بما أتاح لنا من المطابع التى بلغت من الجودة مبلغا عظيما.

ثم قال السيوطى بعد مسألة النقط و الشكل:

(فرع): أخرج ابن أبى داود فى كتاب المصاحف عن ابن عباس، أنه كره أخذ الأجرة على كتابة المصحف. و أخرج مثله عن أيوب السخيتانى، و أخرج عن ابن عمر و ابن مسعود أنهما كرها بيع المصاحف و شراءها و أن يستأجر على كتابتها، و أخرج عن محمد ابن سيرين: أنه كره بيع المصاحف و شراءها و أن يستأجر على كتابتها، و أخرج عن مجاهد و ابن المسيب و الحسن أنهم قالوا: لا بأس بالثلاثة. و أخرج عن سعيد بن جبير أنه سئل عن بيع المصاحف فقال: لا بأس، إنما يأخذون أجور أيديهم. و أخرج عن ابن الحنفية أنه سئل عن بيع المصحف قال:

لا بأس، إنما يبيع الورق.

و أخرج عن عبد الله بن شفيق قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يشددون فى بيع المصاحف. و أخرج عن النخعي قال: المصحف لا يباع و لا يورث. و أخرج عن ابن المسيب: أنه كره بيع المصاحف، و قال: أعن أخاك بالكتاب أو هب له. و أخرج عن عطاء عن ابن عباس، قال: اشتر المصاحف و لا تبعها. و أخرج عن مجاهد أنه نهى عن بيع المصاحف و رخص فى شرائها. و قد حصل من ذلك ثلاثة أقوال للسلف ثالثها: كراهة البيع دون الشراء، و هو أصح الأوجه عندنا، كما صححه فى «شرح المذهب»، و نقله فى «زوائد الروضة» عن نص الشافعى، قال الرافعى: و قد قيل: إن الثمن متوجه إلى الدفتين، لأن كلام الله لا يباع، و قيل: إنه بدل من أجرة النسخ. انتهى.

و قد تقدم إسناد القولين إلى ابن الحنفية و ابن جبير، و فيه قول ثالث: أنه بدل منهما معا. أخرج ابن أبى داود عن الشعبي، قال: لا بأس ببيع المصاحف، إنما يبيع الورق و عمل يديه. أ. ه. قلت: الصواب مع المجوزين.

ثم قال السيوطي: «فرع»: قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في «القواعد»: القيام

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢١٧

للمصحف بدعة لم تعهد في الصدر الأول.

و الصواب ما قاله النووي في التبيان من استحباب ذلك لما فيه من التعظيم و عدم التهاون به.

ثم قال السيوطي: «فرع»: يستحب تقبيل المصحف؛ لأن عكرمة بن أبي جهل - رضى الله عنه - كان يفعل. و بالقياس على تقبيل الحجر

الأسود. ذكره بعضهم؛ و لأنه هدية من الله تعالى، فشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير. و عن أحمد ثلاث روايات:

الجواز، و الاستحباب، و التوقف، و إن كان فيه رفعة و إكرام لأنه لا يدخله قياس، و لهذا قال عمر في الحجر: لو لا أنى رأيت رسول

الله صلى الله عليه و سلم يقبلك ما قبلتك.

ثم قال السيوطي: «فرع»: يستحب تطيب المصحف، و جعله على كرسى، و يحرم توسده، لأن فيه إذلالا و امتهاناً. قال الزركشى: و كذا

مد الرجلين إليه. و أخرج ابن أبي داود في «المصاحف» عن سفيان، أنه كره أن تعلق المصاحف. و أخرج عن الضحاك، قال:

لا تتخذوا للحديث كراسى ككراسى المصاحف.

ثم قال السيوطي: (فرع): يجوز تحليته بالفضة إكراماً له على الصحيح، أخرج البيهقي عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالكا عن

تفضيض المصاحف. فأخرج إلينا مصحفاً فقال: حدثني أبي عن جدى: أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان، و أنهم فضضوا المصاحف

على هذا أو نحوه.

و أما بالذهب فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل، و خص بعضهم الجواز بنفس المصحف، دون غلافه المنفصل عنه، و الأظهر التسوية.

ثم قال السيوطي: (فرع): إذا احتيج إلى تعطيل بعض أوراق المصحف لبلى و نحوه، فلا يجوز وضعها فى شق أو غيره؛ لأنه قد يسقط و

يوطأ، و لا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف و تفرقة الكلم، و فى ذلك إزراء بالمكتوب. كذا قال الحلبي. قال: و له غسلها

بالماء؛ و إن أحرقتها بالنار فلا بأس؛ أحرقت عثمان مصاحف كان فيها آيات و قراءات منسوخة، و لم ينكر عليه. و ذكر غيره أن الإحراق

أولى من الغسل. لأن الغسالة قد تقع على الأرض. و جزم القاضى حسين فى «تعليقه» بامتناع الإحراق، لأنه خلاف الاحترام، و النووي

بالكراهة.

و فى بعض كتب الحنفية: أن المصحف إذا بلى لا يحرق، بل يحفر له فى الأرض و يدفن.

و فيه وقفة لتعرضه للوطء بالأقدام.

ثم قال السيوطي: (فرع): روى ابن أبي داود عن ابن المسيب، قال: لا يقول أحدكم:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢١٨

مصيحف و لا مسيجد؛ ما كان لله تعالى فهو عظيم.

ثم قال السيوطي: (فرع): مذهبنا و مذهب جمهور العلماء تحريم مس المصحف للمحدث، سواء كان أصغر أم أكبر، لقوله تعالى: لا

يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ٦.

و حديث الترمذى و غيره: «لا يمس القرآن إلا طاهر».

ثم قال السيوطي: «خاتمة» روى ابن ماجه و غيره عن أنس مرفوعاً: «سبع يجرى للعبد أجرهن بعد موته و هو فى قبره: من علم علماً، أو

أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ترك ولداً يستغفر له من بعد موته، أو ورث مصحفاً». و الله أعلم.

أ. د. / إبراهيم عبد الرحمن خليفة

(بعض مصادر هذا البحث مرتبة على حروف المعجم): (١) الإتيان فى علوم القرآن، للسيوطي.

(٢) البرهان فى علوم القرآن، للزركشى.

- (٣) البيان في مباحث من علوم القرآن، للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عبد المجيد غزلان.
- (٤) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري، ط ١ مصطفى الحلبي.
- (٥) الجامع الصحيح، للبخاري.
- (٦) صحيح مسلم.
- (٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني.
- (٨) فضائل القرآن، للحافظ ابن كثير.
- (٩) المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم.
- (١٠) مقدمة ابن خلدون.
- (١١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.
- (١٢) الانتصار للقرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني.
- (١٣) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري.
- الهوامش:

- (١) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ح ١، ص ٣٧٩.
- (٢) الأعرشار هي أن يكتبوا بعد كل عشر آيات كلمة عشر، أو الرمز إليها بحرف «ع»، و يسمى هذا العمل تعشيرا. و الأخماس: أن يكتبوا بعد كل خمس آيات كلمة خمس، أو الرمز إليها بحرف «خ»، و يسمى هذا العمل تخميسا.
- (٣) يقال: قرط الكاتب في الكتابة: جعلها دقيقة متقاربة الحروف و السطور. كما في المعجم الوسيط.
- (٤) في المصباح: «و مشتق الكتاب مشقا، من باب قتل: أسرع في فعله» أه. أي فهو يؤدي بما فيه من العجلة إلى إمكان وقوع نقص في كلمة أو حرف، و هذا هو ما قصده ابن سيرين رحمه الله فيما ذكر من علة كراهته.
- (٥) يريد كتابة كلمات القرآن العربية بحروف غير عربية كاللاتينية في هذه الأيام مثلا. أي مع نطقها بالعربية كما هي. فتنبه.
- (٦) سورة الواقعة: ٧٩.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢١٩

## السور القرآنية

### السورة لغة:

قال ابن منظور ١: «و السورة: المنزلة، و الجمع سور، و السورة من البناء: ما حسن و طال. و قال الجوهري: و السور جمع سورة، مثل بسرة و بسر، و هي كل منزلة من البناء، و منه سورة القرآن، لأنها منزلة بعد منزلة، مقطوعة عن الأخرى، و الجمع سور ... و يجوز أن يجمع على سورات، و سورات. و قال ابن سيده:

سميت السورة من القرآن سورة لأنها درجة إلى غيرها، و من همزها جعلها بمعنى بقيه من القرآن و قطعه، و أكثر القراء على ترك الهمزة فيها. من سورة المال، ترك همزه لما كثر في الكلام ...

و أنشد النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب معناه: أعطاك رفعة و شرفا و منزلة.

وقال ابن فارس ٢: «سور: السين و الواو و الراء أصل واحد يدل على علو و ارتفاع، من ذلك: سار يسور، إذا غضب و ثار، و إن لغضبه لسورة، و السور جمع سورة كل منزلة من البناء».

السورة اصطلاحاً: طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع و مقطع. يعنى بداية و نهاية ٣.

### المناسبة بين المعنى اللغوي و الاصطلاحى:

سميت جملة الآيات القرآنية ذات المطلع و المقطع سورة لكمالها و تمامها، و شرفها و ارتفاعها، فإنها تحيط بآياتها إحاطة السور بالبناء، و ترتفع بقارئها و حافظها حيث الشرف فى الدنيا و الآخرة.

### مصدر معرفة تحديد السورة:

تحددت السورة القرآنية بفاتحتها و خاتمتها بتوقيف من الله تعالى، و ليس باجتهاد من بشر أيا كان، و كان الصحابة- رضى الله عنهم- يعرفون السورة الجديدة بنزول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كما بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و سلم ذلك من خلال قراءته. يقول الزرقانى ٤- رحمه الله- «و مرجع الطول و القصر و التوسط، و تحديد المطلع و المقطع إلى الله وحده لحكم سامية». الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٢٠

### عدد سور القرآن:

يقول الإمام الزركشى: «و اعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل و العقد مائة و أربع عشرة سورة، كما هى فى المصحف العثمانى، أولها الفاتحة و آخرها الناس. و قال مجاهد: و ثلاث عشرة، بجعل الأنفال و التوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين و عدم البسمة. و يرد تسمية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و سلم كلا منهما ٥. و الأول هو المعتمد بإجماع الأمة، و لا نزاع فيه.

### أسماء السور

#### سر التسمية:

ذهب جل علماء علوم القرآن إلى أن تسمية سور القرآن الكريم إنما كانت على نسق تسمية العرب لقصائدهم و نحوها، فيقول الإمام الزركشى: «ينبغى النظر فى وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، و لا شك أن العرب تراعى فى الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون فى الشىء من خلق أو صفة تخصه أو صفة تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، و يسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، و على ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقربنة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها و عجب الحكمة فيها، و سميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء» ٦.

أقول: بل إن الأمر على خلاف ذلك، و يعرف هذا بتدبر اسم السورة الذى عرفت به، و تلمس المناسبة بينه و بين كل موضوع من موضوعات السورة، فيبدو جلياً أن أسماء السور لها أسرارها الحكيمه، مما يدل على حكمه منزل القرآن، و يشير إلى المناسبة اللطيفة بين اسم السورة و جميع موضوعاتها.

أما ما ذهبوا إليه من محاكاة عادة العرب في تسميتهم، فإنه يجعل الاسم عنوانا على موضوعه فقط لا على السورة كلها، أو كما يقول أهل التصنيف: إنه يجعل الاسم أخص من المسمى.

فما معنى تخصيص سورة البقرة بهذا الاسم وقد ذكر فيها. على سبيل المثال- هاروت وماروت، و تحويل القبلة، و القصاص، و الصيام، و الإيلاء، و الرضاع، و التحريم الصريح للربا كله، و آية الدين، بما لم يذكر الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٢١

في سورة أخرى، و لم توسم السورة بشيء من هذا كله، رغم أن ذكر شيء من ذلك عنوانا على السورة أشرف من ذكر كلمة البقرة، لو لا أن الله الحكمة البالغة في تخصيص التسمية بهذا الاسم.

بدا منها أن نكول بنى إسرائيل عن طاعة الله تعالى و رسوله موسى عليه السلام ظهر بأقبح صورته و أغرب مناظرة في قصة أمرهم بذبح بقرة، و حين يدور المتفكر بهذا العنوان [نكول بنى إسرائيل عن أمر الله و رسالته] على كل جزء من السورة يجد له ظلا- يتفيؤا بين جنبات السورة.

### تعدد أسماء السورة:

قد يكون للسورة اسم واحد و هو كثير، و قد يكون لها أكثر من اسم كسورة البقرة، يقال لها: فسواط القرآن. لعظمها و بهائها. و يقال لها: سورة النساء العظمى لما اشتملت عليه من أحكام النساء، و كسورة المائدة، يقال لها:

سورة العقود، و المنقذة، و سورة براءة، تسمى التوبة، و الفاضحة، و الحافرة، و العذاب، و المقشقة، و البحوث، و المبعثرة.

قال الزركشى: و ينبغي البحث عن تعداد الأسماء، هل هو توقيفى، أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثانى فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معانى كثيرة تقتضى اشتقاق أسمائها و هو بعيد. أه ٧.

قلت: بل هذا من قبيل ما يظهر من المناسبات و ليس على سبيل التسمية فى الغالب الأعم، بل هو من قبيل الوصف، أو الإشارة إلى خصوص معين.

### أسماء السور بين التوقيف و الاجتهاد:

للعلماء فى ذلك مذهبان:

المذهب الأول: أن أسماء السور توقيفية.

و استدلووا لذلك بذكر النبى صلى الله عليه و سلم لأسماء بعض السور، كفاتحة الكتاب، و سورة البقرة، و آل عمران، و النساء، و غيرها. و بشهرة السور بأسمائها بين الصحابة- رضى الله عنهم- و تواترها بين أجيال الأمة حتى هذا الحين ...

دون أن يختلف عليها أهل قرن عن غيرهم، و لا أهل مكان عن سواهم.

قال الإمام السيوطى ٨: «و قد ثبتت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث و الآثار، و لو لا خشية الإطالة لبيت ذلك، و مما يدل لذلك ما أخرجه ابن أبى حاتم عن عكرمة قال: كان المشركون يقولون: سورة البقرة، سورة العنكبوت، يستهزون بها، فنزل: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ.»

و تعقبه الدكتور/ إبراهيم خليفه بقوله:

«إن كان مراد الحافظ- طيب الله ثراه- من الثبوت الذى زعم مجيء الحديث فى كل اسم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٢٢

من أسماء سور القرآن على درجة صالحة للحجية من تواتر أو صحة أو حسن فغير مسلم، فإن الباحث المتقصى فى كتب السنة و كتب

التفسير بالمأثور يدرك لا محالة أن هذا مطلب عزيز المنال، و أن أقصى ما يظفر به في أسماء بعض السور آثار ضعيفة فردة لا ينحبر ضعفها موقوفة أو مقطوعة في كثير من الأحيان مما يدل على أن مثل هذه الدعوى من صاحبها لو كانت قصده - رحمه الله - مجازفة. و ما أورده من حديث ابن أبي حاتم هنا أعم من المدعى، فإن أقصى ما يدل عليه ثبوت التوقيف في خصوص ما سماه من البقرة و العنكبوت، فأما ما وراء ذلك فليس في هذا الحديث عنه عين و لا أثر، و يزيد على ذلك أن الحديث مرسل ٩. قلت: هذا كلام جليل، غير أنه يبدو لي رجحان القول بالتوقيف و ذلك لعدة قرائن:

- ١- لا معنى لأن يسمى الله بعض السور دون البعض.
  - ٢- لا يمكن القول بأن النبي صلى الله عليه و سلم ذكر ما ذكر من أسماء السور بغرض تحديد أسمائها، و إنما ربما كان هذا لمناسبة قراءتها أو التنبه على فضلها.
  - ٣- أسامي سور القرآن جاءت على خلاف ما يسمى به الناس، فإن كانت السورة الأولى سميت بالفاتحة فلم تسم السورة الأخيرة بالخاتمة. و إن سميت بعض السور بأوائلها فلم يطرد ذلك في البعض الأكثر. و إن سميت بعضها بأغرب ما فيها فلم يتوافر ذلك في كل السور. فلو عرضت سورة النمل على اجتهادات البشر لذهبوا إلى تسميتها بسورة الهدهد مثلا لأن قصته أعجب من قصة النملة، و دوره أغرب من دورها.
  - ٤- السر الحكيم وراء أسماء السور، و المناسبة الدقيقة بين اسم السورة و موضوعها العام، و نحو ذلك من وجوه الإعجاز في هذا الخصوص؛ كل ذلك يحيل أن تكون أسماء السور اجتهادية.
- المذهب الثاني: أن أسماء السور اجتهادية، و لعلمهم اعتمدوا في هذا على عدم ورود اسم كل سورة من طريق التوقيف، و إن وقع هذا لبعض السور.
- و يقول بعض المحققين: إن السور التي وردت أسماؤها بطريق التوقيف فتسميتها توقيفية، و ما لم يبلغنا في اسمها توقيف فلا يقال فيها بالتوقيف.

### ألقاب السور:

لقب العلماء السور القرآنية مجملة بألقاب صنفت السور إلى أربعة أصناف:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٢٣

١- السبع الطوال. ٢- المئون.

٣- المثنى. ٤- المفصل.

و لعلمهم اعتمدوا في هذا على ما أخرج أحمد و أبو عبيد من رواية سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح عن وائل بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «أعطيت السبع الطول مكان التوراة، و أعطيت المئين مكان الإنجيل، و أعطيت المثنى مكان الزبور، و فضلت بالمفصل» ١٠.

أما الطوال: و يقال لها الطول، فسميت بذلك لطولها، و هي سبع سور: البقرة و آل عمران و النساء و المائدة و الأنعام و الأعراف، و السابعة: الأنفال مع التوبة، لقصر كل منهما على حدثها، و لاتحاد موضوعهما و عدم الفصل بينهما بالبسملة، فكانتا كالسورة الواحدة. و صحح صاحب «الإتقان» رواية ابن أبي حاتم و غيره عن سعيد بن جبير، و غيره أن السورة السابعة هي سورة يونس، بدلا من الأنفال و التوبة ١١.

و أما المئون: فهي السور التالية للسبع الطوال إلى سورة الشعراء، و سميت بذلك لأن كل سورة منها مائة آية أو نحوها.

و أما المثنى: فهي السور التالية للمئين إلى سورة الحجرات أو سورة [ق]، و سميت بهذا الوصف لأنها ثانية بعد المئين، و المئون أولى



بالنسبة لها.

«و قال الفراء: هي السورة التي آيها أقل من مائة، ولأنها تثني أكثر وأسرع مما يثنى الطوال والمئون، أي تطوى بالقراءة». وقيل لتثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر، وجاء في «جمال القراء»: هي السور التي تثبت فيها القصص. وقد تطلق على القرآن كله وعلى الفاتحة ١٢.

و أما المفصل: فهو ما ولى المثنى من السور القصار، من سورة الحجرات أو (ق) إلى سورة الناس - على ما رجحه العلماء و رواه أحمد وغيره من حديث حذيفة الثقفي، وفيه:

أن الذين أسلموا من ثقيف سألو الصحابة - رضى الله عنهم: كيف تحزبون القرآن؟

قالوا: نحزبه ثلاث سور، و خمس سور، و سبع سور، و تسع سور، و إحدى عشرة، و ثلاث عشرة، و حزب المفصل من (ق) حتى نختم ١٣.

و سمي المفصل بذلك لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، لقصرها و كثرتها.

وقيل: لقله المنسوخ منه، و لهذا يسمى:

بالمحكم، كما رواه البخارى عن سعيد بن جبير ١٤.

و هذا المفصل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٢٤

١- طوال ٢- أوساط ٣- قصار.

و طوال المفصل: من أول سورة الحجرات أو (ق) إلى سورة البروج.

و أوساطه: من سورة الطارق إلى سورة لم يكن.

و قصاره: من سورة الزلزلة إلى آخر سورة الناس.

### ألقاب أخرى:

جاء في كتاب «جمال القراء» عن بعض السلف أنهم كانوا يقولون:

فى القرآن: ميادين، و بساتين، و مقاصير، و عرائس، و دياييج، و رياض.

فميادينه: جمع ميدان، و هو ما افتتح ب (الم).

و بساتينه: جمع بستان، و هو ما افتتح ب (الر).

و مقاصيره: جمع مقصورة، و هى الحامدات، أى السور المبدوءة ب (الحمد لله).

و عرائسه: هى المسبحات، أى السور المبدوءة بصيغة من صيغ التسبيح.

و دياييجه: جمع دياجج، و هى آل عمران.

و رياضه: جمع روضة و هى المفصل.

### ترتيب السور:

#### إشارة

لقد جاء ترتيب السور القرآنية على نسق غير مألوف، و أبرز ما يميز ذلك، أن ترتيب السور فى المصحف كان على خلاف ترتيب



النزول، فتجد السورة المدنية المتأخرة نزولا مقدمة في المصحف على السورة المكية المتقدمة نزولا، والعكس كذلك، بل ربما وقع هذا في الآيات نفسها كما يتى عدة المرأ المتوفى عنها زوجها.

كما تتقدم السورة القصيرة على الطويلة، والعكس أيضا، وتجتمع سور متشابهات في نسق متتابع، مثل السور التي تبدأ ب (حم)، بينما تأتي في مقام آخر في نسق متفرق، مثل المسبحات، ومع هذا فقد اختلف العلماء في كون هذا الترتيب بالتوقيف، أو بالتوفيق و الاجتهاد، و ذهبوا في ذلك إلى ثلاثة مذاهب:

### المذهب الأول:

أن ترتيب السور كان باجتهاد من الصحابة- رضى الله عنهم- و استدلووا لذلك باختلاف الترتيب في مصاحف الصحابة، فكان مصحف على رضى الله عنه مرتبا على حسب النزول، فأوله سورة اقرأ، فالمدثر، ف (ق)، فالمزمل، فتبت، فالتكوير. و كان مصحف ابن مسعود رضى الله عنه أوله: البقرة، فالنساء، قال عمران.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٢٥

و مصحف أبى بن كعب رضى الله عنه كان يبدأ بسورة الفاتحة، فالبقرة، فالنساء، قال عمران.

كما استدلووا بحديث ابن عباس رضى الله عنه عند أحمد و الترمذى و غيرهما، قال: «قلت لعثمان:

ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال و هى من المثاني، و إلى براءة و هى من المثين فقرنتم بينهما و لم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم و وضعتموها فى السبع الطوال، قال عثمان رضى الله عنه: كانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة و كانت براءة من آخر القرآن نزولا، و كانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، و لم أكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم و وضعتهما فى السبع الطوال ١٥.

قلت: و هذا و ذاك استدلال ضعيف، ذلك لأن ترتيب مصاحف الصحابة- رضى الله عنهم- جاء مختلفا حيث كانوا يكتبون لأنفسهم لا للأمة، و لم يؤمروا بترتيب معين، و لهذا أقروا بالإجماع على ترتيب السور فى مصحف أبى بكر، بل سلموا صحفهم هذه لعثمان بن عفان رضى الله عنه ليحرقها إجماعا منهم على الترتيب فى مصاحف عثمان الذى وافق ترتيب مصحف أبى بكر، و من قبل قراءة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا سيما فى العرضة الأخيرة.

هذا رد لاستدلالهم الأول، أما استدلالهم الثانى بحديث ابن عباس رضى الله عنه فلا تقوم به حجة، لأنه حديث ضعيف، قال فيه الإمام الترمذى- رحمه الله تعالى:- لا نعرفه إلا من حديث عوف بن زيد الفارسى. و قد ذكره البخارى فى كتابه "الضعفاء الصغير" و اشتبه فيه: هل هو ابن هرمز، أو غيره؟

كما أن فى متن الحديث ما يردده، مثل قوله: "فقبض رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يبين لنا أنها منها، لأن هذا لا يخلو أن يكون تقصيرا من النبى صلى الله عليه و سلم أو قصورا فى الرسالة. و كلا الأمرين باطل محال.

### المذهب الثانى:

أن ترتيب بعض السور توقيفى، و هو ما ورد فيه توقيف، و ما عداه فليس توقيفيا، و هو ما لم يرد فيه توقيف.

و استدل أصحاب هذا المذهب بما ورد من أحاديث فيها ذكر لبعض السور مرتبا، مثل:

ما روى الإمام مسلم عن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اقرأوا الزهراوين: البقرة و آل عمران ١٦.

و عند الإمام البخارى- رحمه الله- أن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٢٦

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ (قل هو الله أحد، و المعوذتين) ١٧. و أقول: إن الأحاديث الواردة بالتوقيف في ترتيب بعض السور و إن دلت على التوقيف فيها، فإنها لا- تدل ضرورة على أن ترتيب البعض الآخر كان بالاجتهاد، بل غاية ما يمكن أن يدل عليه هو احتمال أن يكون ترتيب هذا البعض الآخر اجتهادياً، و يبقى احتمال أن يكون أيضاً بالتوقيف.

### المذهب الثالث:

أن ترتيب السور كان بالتوقيف، نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و علمه كذلك لأصحابه- رضى الله عنهم- فحفظوه و بلغوه لمن بعدهم على ذلك.

قال ابن حجر- رحمه الله- «ترتيب بعض السور على بعضها، أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفياً، و الأدلة على ذلك:

١- قول الله تعالى أ فَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا [النساء ٨٢] و فى عموم هذه الآية أقول: لو كان ترتيب سور القرآن باجتهاد الناس لتنوع و اختلف على اختلاف نظر كل قائم بهذا العمل، كما اختلف ترتيب مصاحف كتبه الوحي حين كانوا يكتبون القرآن على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى صحفهم الخاصة بهم، فلم تكن على ترتيب واحد، و بالتالى فوحدة ترتيب سور القرآن منذ عهد النبوة- قراءة- و إلى الآن- قراءة و كتابة- دليل على توقيف هذا الترتيب.

٢- أخرج الإمام البخارى- رحمه الله- عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال عن سور «بنى إسرائيل- يعنى الإسراء- و الكهف و مريم و طه و الأنبياء: إنهن من العتاق الأول و هن من تлады» ١٨.

و روى أحمد و أبو داود ١٩ من حديث حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأخر عليهم و لم يخرج، و لما خرج سأله فقال:

«طراً على حزبي من القرآن فأردت أن لا- أخرج حتى أفضيه. "فسألنا أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا:

نحزبه ثلاث سور، و خمس سور، و سبع سور، و تسع سور، و إحدى عشرة، و ثلاث عشرة، و حزب المفصل حتى نختم."

٣- إجماع الأمة قاطبة على هذا الترتيب، و على حرمة مخالفته فى كتابة المصاحف، و بهذا كله يتبين رجحان القول بتوقيف ترتيب السور القرآنية فى المصحف، و اختار هذا المذهب الإمام أبو جعفر النحاس، و عزاه إلى علي بن أبى طالب رضى الله عنه.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٢٧

٤- قال صاحب البرهان: «تبيينه: لترتيب وضع السور فى المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفى صادر عن حكيم؛ أحدها: بحسب الحروف، كما فى الحواميم. و ثانيها: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد فى المعنى و أول البقرة. و ثالثها: للوزن فى اللفظ، كآخر (تبت) و أول الإخلاص. و رابعها:

لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل (و الضحى) و (ألم نشرح).

### تناسب السور القرآنية:

إن سور القرآن كلها مترابطة فيما بينها برباط وثيق، و مناسبة لطيفة، يدر كها المتدبرون، قال الله سبحانه و تعالى: أ فَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا [النساء: ٨٢]، و يلاحظ العلماء هذا التناسب على وجهين:

الوجه الأول: مناسبة السورة لما قبلها و ما بعدها.

و لهذا الوجه مسلكان:

المسلك الأول: تناسب لفظي حيث الفواتح و الخواتم.

فواتح السور و خواتمها وجه مشرق من وجوه الإعجاز القرآني، و لذلك اهتم بها العلماء أيما اهتمام، فقاموا يتلمسون التناسب الدقيق بين أجزاء التركيب القرآني، فأبرزوا ذلك بشكل جلي واضح، و كان من ذلك وجه التناسب بين فاتحة السورة و خاتمة غيرها، و بالنظرة العامة إلى سور القرآن تتميز فواتح السور على أشكال:

١- الثناء على الله، مثل: الإسراء و الكهف.

٢- الأحرف المفردة، مثل: البقرة و آل عمران و العنكبوت و الروم.

٣- النداء، مثل: النساء و المائدة، و الطلاق و التحريم.

٤- الشرط، مثل: التكوير و الانفطار.

٥- الأمر، مثل: الإخلاص و الفلق و الناس.

٦- الاستفهام، مثل: الإنسان و النبأ.

٧- الدعاء، مثل: المعوذتين.

٨- القسم، مثل: الفجر و البلد و الشمس و الليل و الضحى.

٩- الخبر، مثل: القمر و الرحمن، و الحديد و المجادلة.

١٠- الحمد، مثل: سبأ و فاطر.

١١- التسييح، مثل: الصف و الجمعة.

و خواتم السور كذلك على أشكال:

١- الدعاء، مثل: الفاتحة و البقرة.

٢- وحدانية الله، مثل: التكوير

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٢٨

وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ و الانفطار يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا و الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ.

٣- خبر الكافرين، مثل: النازعات كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا و عبس أَوْلَيْكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجْرَةُ.

٤- خبر المؤمنين، مثل: سورة المطففين فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ و الانشقاق إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا و عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ.

٥- الثناء على الله، مثل الأنبياء و رَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ و الحج هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى و نِعْمَ النَّصِيرُ.

٦- التسييح، مثل سورة يس فَمِئْبَحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ و إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، و الصفات سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) و سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) و الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٧- التنبية، مثل فصلت إِلَّا إِنَّهُمْ فِي مَرِيئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ إِلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و الشورى إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ.

٨- ذكر الخاص بعد العام، مثل الحجرات إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ و الْأَرْضِ و اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ مع سورة ق نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ و مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ و عِيدَ.

و التناسب قائم بوضوح بين السور المسبحات، التي افتتحها الله تعالى بإحدى صيغ التسييح، و كذا بين الحامدات المفتحة بصيغة الحمد لله، و السور المفتحة ب حم، و مثلها الطواسين، و هي السور التي بدأها الله بأحرف (طس) و ما زاد عليها، و ذلك من حيث التشابه في البدء و في الموضوع.

و من أمثلة تناسب فاتحة السورة مع خاتمة السورة التي قبلها:

خاتمة الإسراء وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ الْآيَةَ) مع فاتحة الكهف الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا.

و خاتمة الطور وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحُهُ وَ إِذْ بَارَ النَّجْمِ مع فاتحة سورة النجم وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى.

و خاتمة الواقعة فَسَبَّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ مع فاتحة الحديد سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٢٩

السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

و ربما كانت المناسبة من هذا النوع دقيقة بعض الشيء بما يحتاج إلى تدبر؛ نحو ما يمكن أن يقال فيما بين سورتي الحج والمؤمنون من أن آخر الحج أمر للمؤمنين بالإخلاص لله والاعتصام بدينه، و أول سورة المؤمنون يقدم البشرى بالفلاح على ذلك.

كما يمكن أن يقال فيما بين العنكبوت والروم: فخاتمة العنكبوت ذكرت المجاهدين في سبيل الله و معونته لهم، و فاتحة الروم ذكرت أن الحرب سجال و دول غير أن العاقبة لأصحاب الشريعة السماوية.

المسلك الثاني: التناسب بين الموضوع الرئيس في كل سورة:

و هذا مسلك أعمق و أدق في الملاحظة، حيث يربط بين الروحين السارين في السورتين، و من أمثلة ذلك ما يلي:

- بين سورة الفاتحة و البقرة: يمكن القول بأن سورة البقرة تفصيل لإجمال سورة الفاتحة.

- و بين سورتي البقرة و آل عمران: يمكن القول بأن سورة البقرة بينت قبح اليهود، بيانا واقعيًا من خلال واقع حياتهم، مما يبعث في النفوس المطمئنة بغضا عظيما، و نفورا بعيدا من اليهود، ثم جاءت سورة آل عمران لتعلن أن اليهود (ليسوا سواء) فلقد كان منهم آل عمران الذين اصطفاهم الله (مع آدم و نوح و آل إبراهيم) كما قال في سورتهم إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ الْآيَةَ ٣٣ فعمران، و امرأته، و ابنتهما مريم، و حفيدهما عيسى ابن مريم كل أولئك كانوا صالحين على خلاف بني إسرائيل، بدليل أنه جاء منهم عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه.

- و بين سورة الطلاق و التحريم و الملك، يمكن أن يقال:

في سورة التحريم يقرر الله قاعدة عقديّة عظيمة، و هي أن التحريم حق خالص لله، لا يجوز لأحد- مهما كان- أن ينازع الله فيها و لو كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، كما قال سبحانه و تعالى:

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَ هَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ [النحل ١١٦]

و في سورة الطلاق قبلها أمر بأن يكون التحريم- فيما أذن الله فيه لعباده أن يحرموه- على منهج الله- سبحانه و تعالى- في التحريم،

على حد قوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ لِأَوَّلِ إِقْبَالِ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٣٠

عدتهن و هو الطهر الطاهر الذي لم يقع فيه جماع.

ثم تأتي سورة الملك لتثبت أن الملك كله لله لا- ينازعه فيه أحد، و كأنها بذلك تقدم تبريرا لانفراد الله بتحريم الحرام و إباحة الحلال.

فهذه السور الثلاث بهذا الترتيب تتلخص في جمل متراضة:

- إذا حرمت شيئا مما أذن الله لكم بتحريمه فلا- تحرموا إلا- على منهج الله، فإنه لا يجوز لأحد أن يحرم شيئا من دون الله، لأن الله- سبحانه و تعالى- هو مالك الملك كله، لقوله سبحانه و تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ.

الوجه الثاني: التناسب داخل السورة الواحدة:

و هذا التناسب نوعان:

النوع الأول: التناسب بين فاتحة السورة و خاتمتها.

و هذا يسمى: ترابط الأطراف، أو: رد العجز على الصدر.

يقول الدكتور القيعي - رحمه الله " - و مما تجدر الإشارة له: التعرف على الانسجام الكامل بين أول السورة و نهايتها ٢٠.

و من أمثلة هذا النوع في سورة البقرة مثلاً: فاتحتها ثناء على المتقين الذين آمنوا بالقرآن و ما فيه حتى ما لم يعرفوه مثل (الم)، و اهتدوا بهداه، و خاتمة السورة شهادة لهم بالإيمان الذي حققوه: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

و سورة النور: لما كان أولها: سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ؛ و لما كان معلوماً لله تعالى أن الكافرين و أمثالهم سيقولون: و ما شأن الله أن يفرض علينا و لنا عقولنا التي نعقل بها أمورنا و ندبر بها حياتنا جاء ختام السورة: أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُزْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. و هذا كالجواب على السؤال المثار على أول السورة، أي أن الله أنزل ما أنزله و فرضه لأنه مالك السموات و الأرض و هو بكل شيء عليم.

و نحوها سورة الممتحنة: فأولها و آخرها اجتماعاً على شيء واحد و هو نهى المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء، أما أولها فقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٣١

وَ عَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ و أما آخرها فقول الله سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ.

النوع الثاني: التناسب بين اسم السورة و موضوعها:

و هذا مبحث عظيم يبرز الأسرار الكامنة وراء أسماء السور القرآنية، بما يقتضيه ذلك من كون أسماء السور توقيفية من عند الله. و مثال ذلك:

- سورة يوسف تشتمل على عبر و عظات تتلخص في قوله تعالى في نفس السورة:

إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ فليس موضوع السورة الأسف و الحزن الذي يدل عليه معنى كلمة يوسف، ألا يكون المناسب أنه هو النبي الذي تدور حوله أحداث السورة تناسب أن تسمى باسمه؟.

- و كذلك سورة الحجرات، فمعنى هذا الاسم مأخوذ من الحجر بمعنى المنع، و الحجرات جمع حجرة، و هي: المكان المحجور عليه بجدار محيط به، و المراد بالحجرات هنا بيوت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و السورة الكريمة في مجمل موضوعها تدور في فلك الحجر على بعض السلوكيات الاجتماعية السيئة و تطهير المجتمع المسلم منها، مثل سوء الاستئذان على البيوت، و الأخذ بنميمة الفاسق، و التفاتل، و الاستهزاء، و التنازب بالألقاب، و الغيبة، و نحو ذلك مما يتنافى مع الآداب الإسلامية العظيمة.

## الآيات القرآنية:

### إشارة

الآية في اللغة: لها عدة معان، منها:

١- الدليل و البرهان: كما في قوله عز و جل: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ [الروم ٢٠].

٢- العبرة: كما في قوله عز وجل: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ [هود ١٠٣].

٣- المعجزة: كما في الآية: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ [الإسراء ١٠١].

٤- البناء الرفيع: كما في قوله عز وجل:

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ:

[الشعراء ١٢٨].

و في الاصطلاح: تعنى: جملة من كلمات القرآن ذات مطلع و مقطع، مندرجه في سورة قرآنية.

و بهذا المعنى وردت كلمة آية في قول الله

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٣٢

عز وجل: وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [النحل ١٠١].

### المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحى:

هى أن الآية القرآنية دليل على إثبات عديد من الحقائق مثل وحدانية الله، و هى حامله للعبر و المواعظ النافعة، و هى معجزة تؤيد صدق نبوة الرسول صلى الله عليه و سلم، و تعلن ربانية القرآن الكريم، كما أنها بناء رفيع جدا فى اختيار و تركيب حروف كلماتها، و فى ترتيب الكلمات فى سياقها، و هى مع آيات سورتها لبنه تكون بناءها.

### عدد آيات القرآن الكريم:

اتفق العلماء على أن عدد الآيات القرآنية (٦٢٠٠) ستة آلاف و مائتا آية، و اختلفوا فيما زاد على ذلك ما بين أربع، إلى ست و ثلاثين آية.

و يجدر التنبيه هنا إلى أن هذا الاختلاف لا يمس حقيقة القرآن فى شىء، حيث إن القرآن المقروء، أو المكتوب واحد عند جميع العلماء فى المشرق و المغرب، فى القديم و الحديث، لا ينقص كلمة هنا و لا حرفا هناك، و إنما غاية الأمر أنهم اختلفوا فى عد و تقسيم هذا الكم القرآنى إلى آيات، و من أسباب ذلك:

- اختلافهم فى اعتبار الحروف الفواتح مثل الم طه يس ق آية، أو جزءا من آية.

- اختلافهم فى اعتبار البسمله آية، أو فاتحة للسورة فحسب.

- اختلافهم فى عد ما وقف عليه النبى صلى الله عليه و سلم أثناء قراءته للقرآن، و ما وصله.

و على هذا فالاختلاف بين العلماء فى هذا الشأن إنما هو اختلاف شكلى. و الله أعلم.

### ترتيب الآيات القرآنية:

قال الزرقانى - رحمه الله -: «انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذى نراه اليوم بالمصاحف كان بتوقيف من النبى صلى الله عليه و سلم عن الله - سبحانه و تعالى - و أنه لا مجال للرأى و الاجتهاد فيه. بل كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و يرشده إلى موضع كل آية من سورتها، ثم يقرأها النبى صلى الله عليه و سلم على أصحابه - رضى الله عنهم - و يأمر كتاب الوحي بكتابتها معينا لهم السورة التى تكون فيها الآية، و موضع الآية من هذه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٣٣

السورة، و كان يتلوه عليهم مرارا و تكرارا فى صلاته و عظاته و فى حكمه و أحكامه، و كان يعارض به جبريل كل عام مرة، و عارضه

به في العام الأخير مرتين، و كل ذلك كان على الترتيب المعروف لنا في المصاحف».

و من الأدلة على ذلك:

ما أخرجه الشيخان عن أبي مسعود قال:

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليله كفتاه».

و عند مسلم عن أبي الدرداء: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال». و في رواية: «العشر الأواخر من سورة الكهف».

كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر الم (١) تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ.

و عند مسلم عن أبي واقد الليثي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقرأ في الأضحى و الفطر ب ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انشَقَّ الْقَمَرُ.

و أخرج الإمام مسلم عن عمر رضى الله عنه قال:

ما سألت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بإصبعه في صدرى، و قال: «تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء».

و روى الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: «أتانى جبريل فأمرنى أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى. و هذا كله، و غيره كثير .. يدل على أن الآيات القرآنية نزلت بهذا الترتيب الموجود في المصحف.

### تناسب الآيات:

إن آيات القرآن الكريم لترتبط فيما بينها ارتباطا وثيقا، يعتبر مظهرا جليلا من مظاهر الإعجاز القرآني، و تبدو آيات السورة الواحدة بهذا الترابط حلقات في سلسلة، سلك فيها عقد جميل، و من جمال تناسب الآيات أن كان على أشكال متنوعة أنظمتها في نوعين: النوع الأول: تناسب أجزاء الآية الواحدة، و لهذا النوع أشكال:

أحدها: تناسب القسم مع المقسم به، مثل: وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا عَوَى وَ الْمُنَاسِبَةُ هُنَا هِيَ تَشْبِيهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّجْمِ فِي الْاهْتِدَاءِ بِهِ.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٣٤

ثانيها: السؤال و الجواب، مثل الآية أ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ [يس ٨١]. فأخرها جواب على أولها.

ثالثها: تناسب ألفاظ الآية مع حالها و معناها، مثل آية سورة البقرة وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّجَرَاتِ [١٢٦] بالتنظير مع آية سورة إبراهيم: وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ [٣٥]، ففي الآية الأولى حيث كانت مكة مكانا منكرا غير معروف جاء لفظه نكرة (بلدا)، و لما أصبح مكانا معروفا يرتاده الناس و يستوطنونه جاء اللفظ المعبر عنه معرفة (البلد) كما في الآية الثانية.

و مثل قوله: وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ [الأنعام ١٥١]، بالتنظير مع آية الإسراء وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ [٣١].

فحيث كان الفقر واقعا جاء التعبير مِنْ إِمْلَاقٍ وَ طمأن الأسرة على رزقها فقدم خبرها نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ، و حيث كان الفقر متوقعا



أشار إلى ذلك فقال: خَشِيَّةٌ إِمْلَاقٍ كما أشار إلى أن الأولاد يخلقهم ربهم وقد قدر لهم أرزاقهم، فقدم خبرهم فقال: نَحْنُ نَزَرُ قُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ.

رابعها: تناسب خاتمة الآية مع موضوعها ... مثل قول الله - سبحانه و تعالى:

فَمَا إِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَمَا عَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة ٢٠٩]، ذكر الإمام القرطبي حكاية عن النقاش: أن كعب الأبحار لما أسلم كان يتعلم القرآن، فأقرأه الذي كان يعلمه (فاعلموا أن الله غفور رحيم) على سبيل الخطأ- فقال كعب: إني لأستنكر أن يكون هكذا، و مر بهما رجل فقال كعب: كيف تقرأ هذه الآية؟ فقال الرجل: فاعلموا أن الله عزيرٌ حَكِيمٌ فقال كعب: هكذا ينبغي. وقيل: سئل كعب:

و كيف عرفت و أنت لا تحفظها؟ فقال: ما كان لمن توعده و تهدد أن يغفر و يرحم، و إنما يعز و يحكم.

النوع الثاني: تناسب الآيات مع بعضها داخل السورة الواحدة:

و لهذا النوع أيضا أشكال:

أولها: البيان و التفسير: كما في الآيات:

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٣٥

جَزُوعًا (٢٠) وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا [المعارج ١٩- ٢١]. فقوله: هلوعا فسرته ما بعده.

الثاني: التأكيد: مثل قول مؤمن آل فرعون: وَ يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ [غافر ٤١، ٤٢]، فالآية الثانية تؤكد موضوع الآية الأولى.

الثالث: المقابلة: مثل قوله - سبحانه و تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَ إِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار ١٣، ١٤].

الرابع: البدل للإيضاح لا للطرح: مثل قوله - سبحانه و تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ [الفاتحة].

الخامس: جواب الشرط: كما في أول سورة النصر: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ (١) وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

## فواصل الآيات:

فاصلة الآية تطلق على الجملة أو الكلمة الأخيرة منها، و هي سر من أسرار القرآن الكريم، و هي قرينة القافية في الشعر، و اللازمة في السجع، مع الفارق حيث إن الفاصلة في القرآن لا تقصد لذاتها، و إنما تتبع المعاني، بينما نظائرها في كلام الناس تقصد لذاتها، و يتوقف عليها المعنى، و على ذلك فالفاصلة بلاغة، و نظائرها عجز و نقص.

و حصر الإمام الزركشي فواصل الآيات في أربعة أمور: التمكين، و التصدير، و التوشيح، و الإيغال.

أما التمكين فمعناه: أن تكون الفاصلة خالصة مركزة لما قبلها، مما يعتبر تمهيدا لها، بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ و مثال ذلك قول الله عز و جل: وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا [الأحزاب ٢٥] فلولا الفاصلة لربما ظن أحد أن رد الكافرين كان أمرا انفاقيا [يعنى صدفة] فأعلن الله بالفاصلة عن قدرته، تطمينا للمؤمنين، و تهديدا للكافرين.

و أما التصدير فمعناه: أن يكون لفظ الفاصلة مذكورا في لفظ الآية، كما في قوله - عز و جل: وَ مَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ فِيهَا يَخْتَلِفُونَ [يونس ١٩]، و في

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٣٦



الآية العاشرة من سورة نوح: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.

و أما التوشيح فيعني: أن تكون الفاصلة المذكورة بمعناها في صدر الآية- فيبينه و بين التصدير شبه قريب، غير أن التصدير يكون باللفظ و التوشيح يكون بالمعنى. كما قال الزركشى:

«و يسمى به لكون نفس الكلام يدل على آخره، نزل المعنى منزلة الوشاح، و نزل أول الكلام و آخره منزلة العاتق و الكشح، اللذين يجول عليهما الوشاح».

و ذلك مثل: وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلَمُونَ [يس ٣٧]، وَ أَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [الملك ١٣].

و أما الإيغال فهو: أن تفيد الفاصلة معنى جديدا بعد تمام معنى صدر الآية، في مضمونه. و مثال ذلك: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [الإسراء ٨٨]، فقد تم الكلام عند قوله: لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ يصح الاكتفاء به، ثم جاءت الفاصلة لتضيف معنى جديدا، و هو أنهم لا يأتون بمثل القرآن و لو تعاونوا على ذلك جميعا. و مثاله في قول الله- عز و جل: أَ فَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ المائدة ٥٠. و مما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام:

تلك الفواصل المشتملة على وصف لله مركب من اسمين من أسمائه، أو صفتين من صفاته، مثل غَفُورٌ رَحِيمٌ عَلِيمٌ حَكِيمٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ و هكذا، و من أعظم و أبرز مظاهر الإبداع في هذا التركيب:

إثبات كمال الصفة لله بما يدفع توهم نقصانها أو طغيانها، فالعزيز- مثلا- و هو القوى الذي لا يغلبه غيره، قد تغطيه قوته، و أمان ذلك أن يكون القوى حكيما، فلا تدفعه قوته إلى ظلم أبدا، كما قال الله عن نفسه: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَ إِنَّ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعَفْهَا وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا [النساء ٤٠].

### البسمة آية أم لا؟

#### إشارة

البسمة: هي قول القائل: بسم الله الرحمن الرحيم، و يعرف هذا بالتوليد، و مثلها الحوقلة، و هي: لا حول و لا قوة إلا بالله، و السبحلة، و هي: سبحان الله، و الحمدلله، و التهليل، و هكذا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٣٧

#### معناها:

قال جله من العلماء: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قسم من ربنا أنزله عند رأس كل سورة، يقسم لعباده: إن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، و إنى أوفى لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدى و لطفى و بڑى. القرطبي (١ / ٧٩).

و قيل: معناها الاستعانة، أى: أستعين على قراءة، و نحوها ب (اسم الله الرحمن الرحيم).

و يقال: للتبرك عند البدء و الشروع فى الشيء، أى أبدأ عملى متبركا ب (اسم الله الرحمن الرحيم).

#### منزلتها من القرآن:

اختلف العلماء حول إن كانت البسملة قرآنا، أو مجرد افتتاح للسور القرآنية كما هي افتتاح لكل عمل ذي بال: فقال الإمام مالك: ليست البسملة آية من الفاتحة ولا من غيرها.

وقال الإمام عبد الله بن المبارك: إنها آية من كل سورة.

وقال الإمام الشافعي: هي آية من الفاتحة، و تردد قوله في سائر السور، فقال مرة: هي آية من كل سورة، وقال مرة أخرى: ليست آية إلا في الفاتحة فقط.

غير أنهم أجمعوا على كونها بعض آية من سورة النمل: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [الآية ٣٠]. و أرجح هذه الأقوال ما ذهب إليه الإمام مالك، فمستنده أقوى من مستند غيره، ولا يعترض عليه بأن البسملة مثبتة في المصاحف و ليس فيها إلا ما هو قرآن، لأن الخلاف حول كونها من كل سورة، و ليس حول قرآنتها، و لا ينفي الإمام مالك كونها قرآنا، و إنما لا يعدها آية من كل سورة، و يؤيد هذا القول اختلاف العلماء حولها، و لو كانت قرآنا متواترا معدودا في آيات السور القرآنية لما ترك النبي صلى الله عليه و سلم قراءتها عند قراءته لأول السورة كما صح ذلك عنه كثيرا، و لما ساغ للعلماء أن يختلفوا فيها هذا الاختلاف. و يتفرع على هذا الاختلاف تنوع القول في حكم قراءتها في الصلاة و خارجها، و بسط ذلك في كتب فقه الفروع.

### الحروف المفردة في فواتح السور:

افتتح الله - تعالى - تسعا و عشرين سورة ببعض الحروف الهجائية، بلغ عددها بدون تكرار أربعة عشر حرفا. مثالها ق طه الم المص كهيعص.

و لما كان التعبير بها عجيبا اختلف العلماء

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٣٨

حول معناها و المراد بها اختلافا يمكن إجماله في قولين:

أحدهما: أن هذه الحروف سر من أسرار الله في قرآنه، لا سبيل إلى كشفه، بل هو من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، فلم يطلبوا لها معنى، و لم يلتمسوا لها في الإعراب وجهها، و نسب هذا القول إلى الخلفاء الأربعة و ابن مسعود و غيرهم من الصحابة - رضي الله عنهم - و تبعهم على هذا جماعة من الخلف.

ثم جاء من يقول أيضا: إنها سر و لكنه من قبيل الرمز الذي يمكن الوصول إليه بالتدبر، فقال بعضهم: إنها حروف مقتضبة من أسماء الله و صفاته، فقالوا في الم: الألف إشارة إلى أحد، و اللام إشارة إلى لطيف، و الميم إشارة إلى ملك.

وقيل: إنها لأسماء الله - جل جلاله - و الرسول صلى الله عليه و سلم و الملك عليه السلام، فالألف من الله، و اللام من جبريل، و الميم من محمد.

وقيل غير ذلك.

القول الآخر: قول جمهور العلماء، و هو: أنه لا يليق بالقرآن العربي المبين أن يكون فيه شيء غير مفهوم، و إنما جاء الأمر على هذا الوجه من الغموض طلبا للتدبر، كما قال تعالى: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [محمد ٢٤].

و لما كان الأمر قائما على التدبر لا جرم تنوعت كلمات العلماء في بيان ذلك، و منه:

قول البعض: إنها أسماء للسور التي افتتحت بها، فهذه سورة ن، يس و هكذا.

و لكن يردده أنه ليس أمرا مطردا في جميع سور القرآن، و أن التسمية التي يطلب بها التمييز لا - يتحقق مطلوبها هنا، فهناك عدة سور تسمى - على هذا - ب الم، و مجموعة سور أيضا تسمى ب حم، و مثلها تسمى ب الر.

وقيل: إنها أسماء للقرآن، بدعوى أنه يتبعها في سورها تعظيم للقرآن مثل: الم (١) ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ [أول

البقرة].

و إنما يبطل هذا القول أن هذا ليس مطردا في كل المواضع مثل سورة العنكبوت:

الم (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ.

وقيل: هي أقسام أقسم الله بها. و رده العلماء بحجة حذف حرف القسم، و هو لا يحذف إلا مع اسم الجلالة عند البصريين، و بأنه يلزم على هذا القول الجمع بين قسمين،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٣٩

كما في ن وَ الْقَلَمِ. يس (١) وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَ قد كره العلماء هذا.

و أرجح الأقوال في هذا الشأن: أن معنى هذه الحروف هو ما تصدق عليه من حروف الهجاء، ف الم هي: الألف و اللام و الميم، و هكذا دواليك.

و المراد بها على هذا الوجه هو الإعجاز، بمعنى: كأن الله يقول للمنكرين لربانية القرآن: هذه هي الحروف التي تركبت منها كلمات

القرآن، و منها تركيبون كلامكم، فإن كان القرآن- كما تزعمون- افتراء محمد، أو من تعليم بشر، أو سحر يؤثر، و ليس من عند الله،

فافتروا قرآنا مثله، كما جاء ذلك صريحا في قول الله- سبحانه و تعالى: أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ

كَانُوا صَادِقِينَ [الطور ٣٣- ٣٤] أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنْ اسْتَبَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

[هود ١٣]، وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [البقرة ٢٣].

و لم يستطيعوا شيئا من ذلك، بل لم يرفعوا بذلك رأسا و لا- عقيرة، فوقع الحق و ظهر أمر الله، كما قال- سبحانه و تعالى: قُلْ لَنْ

اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [الإسراء ٨٨].

و استأنس البعض لهذا القول ببعض النكات الحسان منها:

١- أن هذه الحروف أربعة عشر حرفا، على النصف من عدد الحروف الهجائية الثمانية و العشرين، و عدد السور المفتحة بها تسع و

عشرون سورة، على عدد حروف الهجاء عند من يعتبر الألف المهموز حرفا، و غير المهموز حرفا آخر.

٢- أنها اشتملت أنصاف الحروف من حيث الصفات، ففيها نصف حروف الهمس، و الجهر، و الشدة، و الرخاوة، و الإطباق، و

الانفتاح، و غير ذلك.

٣- أن عددها الأربعة عشر، مطرد في كثير من الخلق، مثل مفاصل كل يد في جسم الإنسان، و منازل القمر في البروج الشمالية، أو

الجنوبية ... و هكذا.

هذا و الله تعالى أعلى و أعلم

و هو ولي الهداية و التوفيق

د./ عبد البديع أبو هاشم محمد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤٠

مراجع للتوسع: (١) البرهان في علوم القرآن. للإمام بدر الدين الزركشى.

(٢) الإتقان في علوم القرآن. للإمام جلال الدين السيوطي.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن. للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.

(٤) مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان.

\*\*\* الهوامش:

- (١) «لسان العرب لابن منظور. ط ٣ دار إحياء التراث العربي ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م».
- (٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ص ٤٧٥، مادة (سور) طبعه أولى، دار إحياء التراث العربي.
- (٣) «الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني. مناهل العرفان ١ / ٣٥٠ ط دار الكتب العلمية ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م».
- (٤) مناهل العرفان ١ / ٣٥١.
- (٥) «الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت ٧٩٤ هـ - البرهان في علوم القرآن ١ / ٣١٧ ط أولى دار الفكر ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م».
- (٦) البرهان ١ / ٣٤٠.
- (٧) البرهان ١ / ٣٣٩.
- (٨) «الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٦٦ ط الأولى دار ابن كثير. بتحقيق د/ مصطفى ديب البغا».
- (٩) تفسير سورة النور، ص ٦، ٧ بتصرف.
- (١٠) البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٠٧.
- (١١) الإتقان ١ / ١٩٩.
- (١٢) «الإتقان ١ / ١٩٩».
- (١٣) الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد، ك / أبواب تحزيب القرآن، و أبو داود في السنن، ك / الصلاة ... أبواب قراءة القرآن و تحزيبه.
- (١٤) «صحيح البخاري: ك / فضائل القرآن، ب / تعليم الصبيان القرآن».
- (١٥) الفتح الرباني ١٨ / ٢٩٠.
- (١٦) صحيح مسلم، ك / صلاة المسافرين، ب / فضل قراءة القرآن و سورة البقرة.
- (١٧) صحيح البخاري، ك / فضائل القرآن، ب / فضل المعوذات.
- (١٨) البخاري، ك / التفسير، ب / سورة بني إسرائيل. و معنى العتاق: السور الجيدة القديمة في نزولها. و تلادى: يعنى معهوداتى و محفوظاتى.
- (١٩) الفتح الرباني بترتيب المسند ١٨ / ٢٩، و أبو داود، ك / الصلاة، ب / قراءة القرآن و تحزيبه. و قال الشيخ البنا: و حسن إسناده الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن.
- (٢٠) الأعلان ص ٦٣».
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤١

## التفسير و المفسرون

### ١- التفسير لغة و اصطلاحاً و وجه الحاجة إليه

#### إشارة

التفسير و المفسرون:

١- التفسير لغة و اصطلاحاً و وجه الحاجة إليه:

التفسير لغة: الكشف و الإيضاح، سواء أ كان لمحسوس أم لمعقول، و إن كان استعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول.

و من استعماله في المحسوس قولهم:

فسرت الفرس، إذا عريته لينطلق في حصره ١، أى كشفت ظهره، و هو مشدود بالحصار- و هو اللجام- ليسرع في عدوه. و من استعماله في المعنويات قوله تعالى:

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا [الفرقان: ٣٣] أى أحسن إيضاحا و تفصيلا.

### معنى التفسير اصطلاحا:

أما معناه اصطلاحا، فقد اختلفت عبارات العلماء في ذلك، و من أشهرها:

١- ما قاله أبو حيان في مقدمة تفسيره:

«التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن و مدلولاتها، و أحكامها الإفرادية و التركيبية، و معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، و تتمات لذلك».

ثم شرحه بقوله: «فقولنا: (علم) هو جنس يشمل سائر العلوم، و قولنا: (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن) هذا هو علم القراءات، و قولنا: (و مدلولاتها) أى مدلولات تلك الألفاظ، و هذا هو علم اللغة، و قولنا:

(و أحكامها الإفرادية و التركيبية) هذا يشمل علم التصريف، و علم الإعراب، و علم البيان، و علم البديع، و قولنا: (و معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب) يشمل ما دللته بالحقيقة و ما دللته بالمجاز، و قولنا: (و تتمات لذلك) هو معرفة النسخ، و سبب النزول، و قصة توضح ما انبهم في القرآن، و نحو ذلك» ٢.

٢- و عرفه الزركشى بقوله: «علم يعرف به

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤٢

فهم كتاب الله تعالى، المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم، و بيان معانيه، و استخراج أحكامه و حكمه» ٣.

و قد ذكر السيوطى في إتقانه عدة تعريفات كثيرة للتفسير، و اعتبر في كتابه «التحبير في علم التفسير» تعريف أبى حيان أحسن تعريف.

٤

و لعل خير ما يجمع تلك التعاريف كلها، ذلك الذى ذكره الزرقانى في مناهله، حيث يقول: «و التفسير فى الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم، من حيث دللته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية» ٥.

و هذا التعريف- على الرغم من إيجاز عبارته- تعريف جامع مانع، يناسب المطلوب من الصياغة فى مثل هذا المقام.

ثم شرح الزرقانى تعريفه هذا شرحا وافيا، ثم بين لنا سبب تسمية هذا العلم بذلك الاسم، و وجه اختصاصه بها دون بقية العلوم، فقال: «و سمي علم التفسير لما فيه من الكشف و التبيين، و اختص بهذا الاسم دون بقية العلوم- مع أنها كلها مشتملة على الكشف و التبيين- لأنه لجلالة قدره، و احتياجه إلى زيادة الاستعداد، و قصده إلى تبيين مراد الله من كلامه، كان كأنه هو التفسير وحده، دون ما عداه» ٦.

### وجه الحاجة إلى التفسير:

أولا: من أهداف نزول القرآن الكريم الدلالة على صدق النبوة و الرسالة، أى أنه نزل ليكون المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه و سلم، و معرفة أوجه إعجازه لا تتم إلا عن طريق تفسيره.

ثانيا: و من أهداف القرآن الكريم كذلك أن الله أنزله ليكون روحا لهذه الحياة، و نورا للناس يهديهم إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا، و فلاحهم فى الآخرة، أنزله ليكون منهج حياتهم فى أمور العقيدة و العبادات و المعاملات و الأخلاق، و سائر شئون الدين و الدنيا و الآخرة، و لن يتأتى للأمم و الجماعات و الأفراد الرقى فى مدارج الكمالات إلا بالعمل بهذا القرآن، و لن يتأتى العمل به إلا بعد فهمه فهما صحيحا، و هذا الفهم الصحيح لا يتأتى إلا بتفسير القرآن.

ثالثاً: معلوم أن العلوم تنقسم إلى علوم دنيوية، وعلوم شرعية، وعلوم الدنيوية يتوقف الانتفاع بها على الوجه الأكمل والأصلح للبشرية على العلوم الشرعية، والتخلق بالآداب الإلهية، وإلا كانت دماراً للموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤٣

للبشرية، وهذا ما نراه في عصرنا، حينما تحللت تلك العلوم من الأخلاق الربانية، فكانت نعمةً وبالاً على أهلها، وعلى الدنيا كلها، و العلوم الشرعية متوقفة أيضاً بدورها على القرآن الكريم، والقرآن الكريم لا يمكن الاستفادة منه - كما ذكرنا - إلا بتفسيره، فثبت من هذا أن كل كمال ديني أو دنيوي متوقف على تفسير القرآن الكريم.

## ٢- التأويل والتفسير:

### إشارة

التأويل لغة: مأخوذ من الأول، وهو الرجوع، قال ابن منظور: «الأول: الرجوع، آل الشيء يؤول أولاً، ومآلاً: رجع، وقال أبو عبيد: التأويل: المرجع والمصير». ٧

وقيل: إن التأويل مأخوذ من الإيالة، وهي السياسة، قال الزبيدي: «آل الملك رعيته يؤول إيالاً: ساسهم وأحسن رعايتهم، وآل المال: أصلحه و ساسه» ٨.

وعلى ذلك: فإن قلنا: إن التأويل مأخوذ من الأول، وهو الرجوع، فلأن فيه إرجاع الآية إلى ما تحتمله من المعاني، وإن قلنا: إنه مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، فلأن المؤول يسوس الكلام، ويضعه في معناه اللائق به.

أما استعمالات التأويل، فإنه يطلق على ما يأتي:

١- يطلق على التفسير، وهو الإيضاح والتبيين، فيكون التفسير والتأويل بمعنى واحد، وهذا ما جرى عليه ابن جرير الطبري في تفسيره، حينما يقول: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا، وبقوله: اختلف أهل التأويل في هذه الآية.

٢- ويطلق على حقيقة الشيء ذاته، ونفس المراد بالكلام، فإذا قيل: غربت الشمس، فتأويل هذا هو نفس غروبها، وهذا - في نظر ابن تيمية رحمه الله ٩- هو لغة القرآن التي نزل بها.

٣- ويطلق على صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معنى آخر مرجوح، وهو بهذا الإطلاق نوعان: صحيح، و فاسد.

## الفرق بين التفسير والتأويل:

يرى بعض العلماء أن التأويل مرادف للتفسير، ويرى الآخرون أن هناك فرقا بينهما، ولكن هؤلاء اختلفوا في هذا الفرق. فمنهم من يقول: إن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص، فالتفسير أعم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤٤

من التأويل، وكأنه يريد من التفسير بيان مدلول اللفظ مطلقاً، سواء كان بالمتبادر، أم بغير المتبادر، ويريد من التأويل بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل.

ومنهم من يرى أن الاختلاف بينهما إنما هو بالتباين، فكل منهما مبين للآخر، ولكن إلى أي شيء يرجع هذا التباين؟ هنا تختلف عبارات العلماء.

فمنهم من يقول: التفسير: بيان وضع اللفظ، إما حقيقةً، وإما مجازاً، والتأويل: بيان باطن اللفظ.

ومنهم من يقول: التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية.

و منهم من يقول: التفسير للمحكمات، و التأويل يتعلق بالدراية.  
و منهم من يقول: التفسير للمحكمات، و التأويل للمتشابهات.  
و منهم من يقول: التفسير هو القطع بأن مراد الله كذا، و التأويل ترجيح أحد المحتملات، بدون قطع.  
و منهم من يقول: التفسير هو بيان المعانى التى تستفاد من وضع العبارة، و التأويل هو بيان المعانى التى تستفاد بطريق الإشارة ١٠.

### المتشابه فى أسماء الله و صفاته:

التشابه فى اللغة: يطلق على معنيين، على التماثل، و على الالتباس، جاء فى لسان العرب: أشبه الشيء الشيء: ماثله، و فى التنزيل: مُتَشَابِهًا وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ [الأنعام: ١٤١]، و الشبهة: الالتباس ١١.  
و الآيات و الأحاديث الخاصة بصفات الله تعالى - مثل: الاستواء، و اليد، و العين، و القدم، و نحوها - من هذا القبيل الثانى، أى من الأمور المشككة، و لذلك اختلف فى فهمها:  
١- فالسلف كان منهجهم تجاه تلك النصوص، الإقرار و الإثبات و الإمرار، من غير تعرض لتأويلها، مع تنزيهه تعالى عن التمثيل و التشبيه.

يقول ابن قدامة: «قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - رضى الله عنه - فى قول النبى صلى الله عليه و سلم: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، و إن الله يرى فى القيامة»، و ما أشبه هذه الأحاديث: تؤمن بها، و نصدق بها، لا كيف و لا معنى، و لا نرد شيئاً منها، و نعلم أن ما جاء به الرسول حق، و لا نرد على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، و بلا حدّ و لا غاية، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى: ١١]، و نقول كما قال، و نصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، و لا يبلغه وصف الواصفين، تؤمن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤٥

بالقرآن كله، محكمه و متشابهه، و لا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه و سلم، و تثبيت القرآن». و قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى - رضى الله عنه: «آمنت بالله و بما جاء عن الله، على مراد الله، و آمنت برسول الله، و بما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله». و على هذا درج السلف و أئمة الخلف - رضى الله عنهم - كلهم متفقون على الإقرار و الإمرار و الإثبات، لما ورد من الصفات فى كتاب الله و سنة رسوله من غير تعرض لتأويله» ١٢. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٢٤٥ المتشابه فى أسماء الله و صفاته: ..... ص: ٢٤٤

أما الخلف: فقد أول جمهوره هذه الصفات بمعان لم يقل بها السلف.

حيث أولوا الاستواء بمعنى الاستيلاء أو القهر، و اليد بمعنى القدرة، و مجيئه تعالى بمجىء أمره، و عين الله بمعنى عنايته و رعايته، و لفظ اليمين بالقوة، و الفوقية بالعلو المعنوى لا الحسى، و العندية فى مثل قوله تعالى فى سورة الأنعام: وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ بِالْإِحْاطَةِ وَ التمكن، و هكذا.

و حجة هؤلاء: أنه يجب تنزيه الله - تعالى - عن مماثلة خلقه، و لكن الحقيقة أن مذهب السلف لا يقتضى المماثلة، فإذا كان للخلق علم و سمع و بصر و رحمة، فله تعالى أيضا علم و سمع و بصر و رحمة، و لكن من قال من السلف أو الخلف إن علم الله و سمعه و بصره و رحمته مثل علم خلقه و سمعهم و بصرهم و رحمتهم؟ و هل يعقل أن يكون فهم الخلف لآيات الصفات أحسن من فهم السلف؟

### تأويل ما يمتنع - عقلا أو شرعا - حملة على ظاهره:

و إذا كان هذا موقف السلف و الخلف من نصوص الصفات، فإن الأمر يختلف مع تلك النصوص التى يمتنع عقلا و شرعا حملها على



ظاهرها، مثل نصوص معية الله - تعالى - كقوله عز وجل: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ [الحديد: ٤]. فالله تعالى منزّه عن أن يكون معنا بذاته في حجراتنا و داخل دورات مياهننا، و حماماتنا و نحو ذلك، فالمراد بمعيتة هنا معيتة بالعلم و السمع و البصر، فهو يعلم كل ما يصدر عنا و يسمعه و يبصره.

### تأويل المتشابه اللفظي:

يقصد بالمتشابه اللفظي: ما تكرر من القرآن لفظاً، أو مع اختلاف في العبارة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤٦

و التركيب بأى صورة من الصور، كالتقديم و التأخير، و الزيادة و النقصان، و إبدال حرف بآخر، أو كلمة بأخرى، و غير ذلك. و مثاله: قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ [البقرة: ٥٨]، مع قوله تعالى: وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ [الأعراف: ١٦١]. و المقصود بتأويل المتشابه اللفظي هنا:

بيان السر في التكرار، و في اختلاف التركيب في كل موضع من المواضع المكررة، بحيث يظهر لنا وجه إعجاز القرآن، الذي صرف فيه القول بأساليب متعددة، عجز الخلق جميعاً عن مجاراته و لو بأسلوب واحد منها. و على هذا: فإن المقصود بتأويل المتشابه اللفظي يختلف عن المقصود بتأويل متشابه الصفات، و لقد اعتنى العلماء بدراسة هذه الناحية في القرآن عناية فائقة و كان على رأسهم الخطيب الإسكافي في كتابه «دره التنزيل و غره التأويل»، و محمود بن حمزة الكرمانى في كتابه «البرهان في توجيه متشابه القرآن»، و ابن الزبير الغرناطى في كتابه «ملاك التأويل».

### المصنفات في التأويل:

أما المصنفات في تأويل الصفات فبلغت من الكثرة مبلغاً فائقاً، نقتصر منها على ما يلي:

- ١- تأويلات القرآن لأبى منصور الماتريدى.
- ٢- تأويل المتشابهات في الأخبار و الآيات لعبد القاهر البغدادى.
- ٣- مجالس في المتشابه من الآيات القرآنية، لابن الجوزى.
- ٤- الإكليل في المتشابه و التأويل، لابن تيمية.
- ٥- القواعد المثلى في صفات الله و أسمائه الحسنى، لمحمد الصالح العثيمين.

### ٣- نشأة علم التفسير:

القرآن الكريم هو منهج الله - تعالى - للناس فى كل ما يتعلق بأمر دينهم و دنياهم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤٧

و آخرهم، من اتبع هداة فلا يضل و لا يشقى، و من أعرض عنه فإن له معيشة ضنكا، و يحشر يوم القيامة أعمى، و لما كان العمل به متوقفاً على بيان نضه، و توضيح غرضه، فقد تكفل الله بذلك، حتى لا يكون للناس على الله حجة، قال تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ [القيامة: ١٧ - ١٩].

و من هذا المنطلق فقد قبض الله للبشر فى كل عصر من يبين لهم هذا النص القرآنى، و يوضح لهم المقصود منه، و بدأ هذا التقييض



واضحاً منذ عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْآنَ، قَالَ تَعَالَى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل ٤٤].

جلس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، لِيُفَصِّلَ لَهُمْ مَا أَجْمَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلِيُزِيلَ عَنْ أَذْهَانِهِمْ مَا عُلِقَ بِهَا مِنْ لِبْسٍ، وَ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ تَخْصِيصَ الْعَامِ، وَ تَقْيِيدَ الْمَطْلُوقِ، وَ تَوْضِيحَ الْمُبْهَمِ، وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا سَنُوضِّحُهُ - إِنْ شَاءَ اللهُ - فِي حَدِيثِنَا عَنِ التَّفْسِيرِ النَّبَوِيِّ. وَ كَانَ الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ - حَرِيصِينَ كُلِّ الْحَرَصِ عَلَى مَلَازِمَةِ مَجْلِسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ وَجَدْنَا بَعْضَهُمْ كَانَ يَتَنَاوَبُ مَعَ صَاحِبِهِ حُضُورَ الْمَجْلِسِ النَّبَوِيِّ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَلَازِمَةَ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَنتُ أَنَا وَ جَارِ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمِيَّةَ بْنِ زَيْدٍ - وَ هِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ - نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَ أَنْزَلَ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلَتْ جِئْتُهُ بِخَبْرٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ الْوَحْيِ وَ غَيْرِهِ، وَ إِذَا نَزَلَ فَعَلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ» ١٣.

فَلَمَّا انْتَقَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى قِيضَ اللهُ - عَزَّ وَ جَلَّ - لِلنَّاسِ صَحَابَتَهُ الْكِرَامَ، لِيُبَيِّنُوا لَهُمْ مَرَادَهُ مِنْ كَلَامِهِ. وَ قَدْ ظَلَّ الصَّحَابَةُ يَفْسِرُونَ لِلنَّاسِ مَا احْتَجَّوْا إِلَى تَفْسِيرِهِ. فَلَمَّا جَاءَ عَصْرُ التَّابِعِينَ قِيضَ اللهُ مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ الْعِلْمَ عَلَى أَيْدِي الْمَفْسِّرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، حَتَّى صَارُوا عُلَمَاءَ نَابِغِينَ، بَلْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَفْتِي فِي وَجُودِ أَسَاتِذِهِ بِأَمْرٍ مِنْهُ. وَ كَانَ لِلتَّابِعِينَ مَقُومَاتٌ جَيِّدَةٌ كَانُوا يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا فِي تَفْسِيرِهِمْ، سَوْفَ نَتَحَدَّثُ عَنْهَا - إِنْ شَاءَ اللهُ - قَرِيبًا، وَ لَقَدْ أَنْتَجْنَا لَنَا التَّابِعُونَ كَمَا عَظِيمًا مِنَ التَّفْسِيرِ.

وَ ظَلَّ التَّفْسِيرُ بِالْمَأْثُورِ - قُرْآنَ، وَ سُنَّةَ،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤٨

وَ أَقْوَالٌ لِلصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ - يَتَنَاوَلُ شَفْهِيَا، حَتَّى دَخَلَ عَصْرُ التَّدْوِينِ، ثُمَّ دَخَلَ التَّفْسِيرُ فِي أَطْوَارٍ أُخْرَى مِنْ عَصْرِ إِلَى عَصْرِ، تَتَلَوْنَ أَلْوَانَهُ بِتَلَوْنِ اتِّجَاهَاتِ أَصْحَابِهَا، حَتَّى وَصَلَ إِلَى عَصْرِنَا هَذَا، وَ قَدْ أَخَذَ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ، وَ لَا غُرُوفٍ فِي ذَلِكَ، فَهُوَ مَاسَةٌ رَبَانِيَّةٌ، يَنْظُرُ كُلُّ مَنْهُمْ إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، فَتَسْتَهْوِيهِ، وَ لَا يَكَادُ يَصْرِفُ نَظْرَهُ عَنْهَا، وَ هُوَ الْبَحْرُ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ وَ لَا قَرَارَ، وَ بِقَدْرِ مَا عِنْدَ الصَّيَادِ مِنَ اسْتِعْدَادٍ وَ أَدْوَاتٍ، بِقَدْرِ مَا يَصْطَادُ مِنْهُ، لِأَكْلِ وَ بَيْعِ وَ يِقْتَاتِ.

#### ٤- تدوين التفسير:

##### إشارة

التدوين في بداية الأمر كان خاصاً بالقرآن الكريم، دون الحديث النبوي، حتى لا يلتبس شيء من القرآن بغيره، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَ مِنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحَهُ» ١٤.

فَلَمَّا أَمِنَ اللَّبْسَ أَبَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَةَ الْحَدِيثِ أَيْضًا، وَ يَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، لَمَّا طَلَبَ أَبُو شَاةَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ خُطْبَتَهُ:

«اكتبوا لأبي شاة». ١٥

وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقِفَ عَلَى بَدَايَةِ تَدْوِينِ التَّفْسِيرِ، وَ تَطَوَّرَ هَذَا التَّدْوِينُ، فَإِنَّا نَقَرُّ مَا يَلِي:

أَوَّلًا: إِنْ تَدْوِينِ التَّفْسِيرِ كَعِلْمٍ مُسْتَقِلٍّ عَنِ الْحَدِيثِ، وَ لَيْسَ كِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ بَدَأَ فِي مَرَحَلَةٍ مُبَكَّرَةٍ، عَلَى أَيْدِي التَّابِعِينَ، الَّذِينَ جَمَعُوا قَدْرًا كَبِيرًا مِنْهُ عَلَى أَيْدِي الصَّحَابَةِ، وَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: مَا جَاءَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، وَ مُجَاهِدٍ، وَ أَبِي الْعَالِيَةِ، وَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ.

فأما سعيد بن جبير فقد ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمته لعطاء بن دينار الهذلي، أن عبد الملك بن مروان سأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير، فوجده عطاء في الديوان، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير. ١٦

و أما مجاهد فقد روى عنه الذهبي أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية أسأله، فيم نزلت؟ وكيف نزلت؟ ١٧. و روى ابن جرير الطبري عن أبي مليكة قال: «رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن، و معه ألواح، فقال ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله». ١٨

و أما أبو العالیه - و هو رفيع بن مهران، أحد تلامذة ابن عباس و أبي بن كعب - فقد الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤٩

كتب نسخة في التفسير عن أبي، بإسناد قال عنه السيوطي في «الإتقان»: «و هذا إسناد صحيح». و قد أخرج من هذه النسخة جماعة من العلماء، كالإمام أحمد في مسنده، و الحاكم في مستدرکه، و غيرهما. ١٩

أما الحسن البصري، فقد جاء في «وفيات الأعيان»: أن شيخا من شيوخ المعتزلة، و هو عمرو بن عبيد كتب تفسيرا للقرآن عنه. ٢٠

ثانيا: و بناء على ما سبق، فإن ما فعله الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، حينما أمر واليه على المدينة، أبا بكر بن حزم (سنه مائة)، بجمع الحديث، فكلف أبو بكر ابن شهاب الزهري بذلك، لا- يعتبر الحلقة الأولى لتدوين التفسير، حتى و إن كان بابا من أبواب الحديث، فالتدوين للتفسير - و كعلم مستقل أيضا - كان سابقا لخلافه عمر بن عبد العزيز - رحمه الله.

ثالثا: ثم تأتي مرحلة ابن جريج، فقد كتب في التفسير ثلاثة أجزاء كبار، عن ابن عباس رضی اللہ عنہما. ٢٢

رابعا: ثم خطا التفسير بعد ذلك خطوة أقرب إلى الشمولية لمعظم آيات القرآن الكريم، حيث كتب الفراء (المتوفى سنة ٢٠٧ هـ) كتابا في معاني القرآن، متبعا آيات القرآن، حسب كتابتها في المصحف الشريف، كما ظهر تفسير ليحيى بن سلام المتوفى سنة ٢٠٠ هـ، اهتم فيه بإيراد الأخبار و تعقبها بالنقد و الاختيار، كما اهتم فيه بالنواحي الإعرابية و القراءات و توجيهها. ٢٣

خامسا: و ما زال التفسير ينمو و يزدهر، حتى وصل إلى مرحلة الاستقصاء لكل آية من آياته، و ظهر ذلك على أيدي مجموعة من العلماء، و كان من أشهرهم محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ، و تفسيره يعتبر أقدم تفسير وصل إلينا، و ابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧ هـ، و ابن مردويه المتوفى سنة ٤١٠ هـ، و غيرهم من الأئمة الفضلاء.

و لكن الملاحظ على هذه التفاسير التي دوت حتى هذه الفترة أنها كانت لا تهتم إلا بالمأثور فقط، ما عدا تفسير ابن جرير، فإنه كان يزيد على المأثور توجيه الأقوال، و ترجيح بعضها على بعض، و ذكر الإعراب و القراءات، و استنباط الأحكام و غير ذلك، فلذلك كان عظيم الفائدة.

سادسا: ثم بعد ذلك اتسعت دائرة التفسير الكامل للقرآن كله، و كثرت فيه الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٥٠

التصانيف المستقلة، و تعددت ألوانه، و رأينا كما هائلا من التفسير، يتناسب مع مكانه و أهميته الكتاب المفسر، و هو القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

### خطان شائعان:

و في هذا المقام لاحظت خطأين شائعين في كتب من صنف في مناهج المفسرين:

الخطأ الأول: هو القول بوجود مرحلتين منفصلتين للتفسير، مرحلة شفهية، شملت عصر الصحابة و التابعين، تليها مرحلة تدوينية لم تظهر إلا في عصر تابعي التابعين، و لعل أول من وقع في هذا الخطأ أستاذ العصر بلا منازع في مجال مناهج المفسرين، و هو أستاذ أساتذتنا الشيخ الدكتور / محمد الذهبي - رحمه الله، حيث نص صراحة في سفره القيم «التفسير و المفسرون»، على وجود هذا الانفصال الزمني،

بين التفسير في مرحلة الرواية، و التفسير في مرحلة التدوين. ٢٤

أما الخطأ الثاني: فهو قولهم: إن استقلال التفسير عن السنة بالتدوين، كان في عصر تابعي التابعين، أو بعد هذا العصر. فها هو ذا أحد أساتذتنا الأجلاء ٢٥- أكرمهم الله- يقول عن ابن جريج- و هو من تابعي التابعين-: «فهو أول من صنف في تفسير القرآن على استقلال، فكتب فيه ثلاثة أجزاء كبار، عن ابن عباس- رضى الله عنهما».

بل إن الدكتور محمد الذهبي- رحمه الله- ليذهب إلى تأخير هذا الاستقلال إلى ما بعد جيل ابن جريج- رحمه الله. ٢٦ فالروايات التي ذكرناها سابقا، و التي تنص صراحة على أن جماعة من التابعين، كسعيد ابن جبير، و مجاهد، و أبي العالبي، و الحسن البصرى الذين أخذوا التفسير عن الصحابة، كانوا يدونونه في نفس الوقت الذي كانت الروايات التفسيرية تتناقل شفها، في عصر الصحابة و التابعين، كما تدل الروايات عن هؤلاء التابعين بصراحة على أن تدوينهم للتفسير كان على جهة الاستقلال، و ليس على أنه باب من أبواب السنة كما قيل، و لا يعنى هذا إنكار وجود من دون التفسير بعد ذلك مختلطا بالسنة، على أنه باب من أبوابها، ثم انتهى الأمر بعد هذا الاختلاط إلى الاستقلال التام، و الاستقصاء الكامل، لتفسير كل آيات القرآن و سوره، على حسب الترتيب المعروف في المصحف الشريف.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٥١

## ٥- مصادر التفسير:

للتفسير خمسة مصادر مرتبة، لا يجوز لأحد أن يتخطى المقدم منها إلى ما بعده، إلا إذا لم يجد بغيته في هذا المقدم، و المصادر الخمسة هي:

أولا: القرآن نفسه، إذ أن الموضوع الواحد قد يكون له عدة آيات متناثرة في ثنايا القرآن. فقد يجد المفسر فيها مطلقا فيحمله على المقيد، أو عاما فيحمله على الخاص، أو مجملا- فيحمله على المبين، أو موجزا فيوضحه بما جاء مطنبا، و نحو ذلك من صور تفسير القرآن بالقرآن.

ثانيا: السنة النبوية، و هذا أمر بدهى، لأن السنة النبوية مبينة للقرآن، مع ضرورة الاقتصار على الصحيح، و البعد عن الموضوع الضعيف.

ثالثا: أقوال الصحابة- رضى الله عنهم أجمعين، لأنهم هم الذين عاصروا الوحى و التنزيل، و شاهدوا ملاسبات القرآن الكريم.

رابعا: أقوال التابعين، فهي موروث عظيم، لجيل تربى على أيدي الصحابة الكرام، و عنهم أخذوا القرآن و سنة النبي- عليه الصلاة و السلام.

خامسا: و بعد مرور المفسر بالمصادر السابقة، و عدم وجوده بغيته فيها يأتى المصدر الخامس، ألا و هو إعمال عقله، و كد ذهنه، للوصول إلى مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، بعد توافر شروط التفسير فيه، و مراعاة الضوابط المطلوبة لسلامة تفسيره، و اتباعه خطوات المنهج الأمثل فى التفسير، التى خصصنا لكل منها قدرا معيناً فى هذا المدخل، فليرجع إليها.

## ٦- مناهج المفسرين:

### إشارة

مصطلح «مناهج المفسرين» مركب إضافي مكون من جزئين:

أما الجزء الأول، و هو كلمة «مناهج» فى اللغة فهى جمع «منهج»، و المنهج هو الطريق الواضح، سواء كان حسيا، أم معنويا، بل إنه فى

الأصل كان يطلق على الطريق الحسى، ثم استعمل بعد ذلك فى الطريق المعنوى، ثم غلب عليه بعد ذلك، حتى أضحى الآن لا يكاد يستعمل إلا فى الطريق المعنوى. ٢٧

أما الجزء الثانى، و هو كلمة «المفسرين»، فهى جمع مفسر، و المفسر و إن كان يطلق على كل من يفسر و يوضح أى شىء، فإن المراد به الآن عند الإطلاق: هو المشتغل بتفسير كلام خاص، و هو القرآن الكريم.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٥٢

و بناء عليه: فإن المراد بمناهج المفسرين اصطلاحاً: هو ذلك العلم الذى يبحث فيه عن طرق المفسرين، فى تناولهم بيان المراد من النص القرآنى، و الحكم على كل طريقة من طرق هؤلاء المفسرين، بالصواب أو الخطأ، كما يبحث فيه عن تتمات لا بدّ منها، تتعلق بالتفسير و المفسرين، كتعريف التفسير، و أقسامه، و مصادره، و شروطه، و فائده، و وجه الحاجة إليه، و الفرق بينه و بين التأويل، و غير ذلك.

و لقد صار علما مستقلا يدرس بكليات أصول الدين بجامعة الأزهر.

### شروط المفسر:

التفسير هو الترجمة عن الله - تعالى - لبيان مراده - عز و جل - من كلامه، لذلك لا يجوز لأى أحد اقتحام هذا المجال إلا بعد أن تتوافر فيه شروط خاصة نص عليها علماء الأمة، ألخصها فيما يأتى:

(أ) الإسلام، لأن الكافر غير مؤتمن على الدنيا، فكيف نأتمنه على الدين؟

(ب) اتباع مذهب السلف الصالح - رضى الله عنهم - فمن كان صاحب بدعة لبس على الناس مقصود الله - تعالى - ليحملهم على اعتقاد بدعته.

(ج) صحه المقصد، بأن يتغنى بتفسيره وجه الله - تعالى - دون سمعه أو رياء، ليلقى السداد و القبول.

(د) أن يعتمد أول ما يعتمد على المأثور، فلا يجوز إعمال عقله، و ترك المأثور.

(ه) أن يقف على العلوم الواجب توافرها فيمن يتصدى لتفسير القرآن، و هى خمسة عشر علما، على النحو التالى: ٢٨

١- علم اللغة؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ و مدلولاتها، بحسب الوضع.

٢- النحو، لأن المعنى يتغير و يختلف باختلاف الإعراب.

٣- التصريف، لأن به تعرف الأبنية و الصيغ، فكلمة (وجد) مثلا كلمة مبهمه، فإذا صرفناها اتضحت بمصدرها.

٤- الاشتقاق، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما، كالمسيح، هل هو من السياحه أم من المسح؟

٥، ٦، ٧- علوم البلاغة الثلاثة، «المعاني

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٥٣

و البيان و البديع» لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، و بالثانى خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة و خفائها، و بالثالث وجوه تحسين الكلام، و لأن إعجاز القرآن البلاغى لا يدرك إلا بهذه العلوم.

٨- علم القراءات، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، و بالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

٩- علم أصول الدين، ليعلم ما يجب لله - تعالى - و ما يستحيل عليه، و ما يجوز فى حقه، و كذلك بالنسبة للأنبياء، ما يجب لهم، و ما يستحيل عليهم، و ما يجوز فى حقهم.

١٠- أصول الفقه، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام و الاستنباط.

١١- أسباب النزول، و القصص، لأن بعض الآيات لا يمكن فهمها إلا به.

١٢- الناسخ و المنسوخ، ليعلم المحكم من غيره.

١٣- الفقه.

١٤- الأحاديث المبينة للمجمل و المبهم.

١٥- علم الموهبة، و هو علم يورثه الله- تعالى- لمن عمل بما علم.

## ٧- التفسير بالمأثور:

### إشارة

كلمة (مأثور) في اللغة- مأخوذة من الأثر، و الأثر يطلق- كما قال ابن منظور في «اللسان»- على أمرين: على بقية الشيء، و على الخبر، أى على الكلام المخبر به عن شخص آخر. ٢٩  
و المعنى الثانى من معانى المأثور هو المراد عند المفسرين، حينما يطلقون مصطلح التفسير بالمأثور، إلا أن دائرته عندهم محدودة، و ليست عامة.

فالتفسير بالمأثور عند العلماء يراد به:

ما جاء فى القرآن الكريم نفسه من آيات تبين آيات أخرى، و ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحابته الكرام، و كذلك عن التابعين، على اختلاف بين العلماء، فيما جاء عن التابعين، على ما سنوضحه فى موضعه قريبا إن شاء الله- تعالى.

### حتمية الأخذ بالتفسير المأثور و تقديمه على التفسير بالرأى:

لا يجوز لأحد بحال من الأحوال أن يفسر القرآن الكريم قبل أن يمر على كل مصدر من مصادر التفسير بالمأثور الأربعة، مرتبة ترتيبا وجوبيا على النحو الذى ذكرناه سابقا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٥٤

فيجب أن نبحت فى القرآن أولا عن المعنى الذى نريده، فقد نجد فيه بغيتنا، و إنما قلنا يجب ذلك لما يأتى:

١- لأن صاحب أى كلام أدرى بمقصوده من غيره، فما بالناس إذا كان المبين هو الله تعالى؟

٢- و لأن الشرع أمر باتباع ما جاء عن الله- تعالى- و نهى عن التقديم بين يديه- عز و جل.

فإن لم يجد المفسر بيانا و إيضاحا لمعنى الآية فى القرآن، فعليه أن يلجأ إلى سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، قبل أى شىء، لما يأتى:

١- لقيام الأدلة المتعددة على حجية السنة.

٢- و أيضا فإن الإجماع قد قام على حجية السنة، أطبق على ذلك السلف و الخلف، فى جميع العصور.

٣- و أيضا فإن وظيفة الرسول صلى الله عليه و سلم هى تبين القرآن.

٤- و أيضا فإن الرسول صلى الله عليه و سلم معصوم عن الخطأ فى أمور الوحي.

من أجل هذا لا يجوز للمفسر أن يتخطى البيان النبوى لغيره، إن وجد.

فإن لم يجد المفسر بيانا نبويا ذهب إلى أقوال الصحابة، فإنهم شاهدوا الوحي و التنزيل، و رأوا التفسير العملى للقرآن متجسدا فى أقوال الرسول صلى الله عليه و سلم، و أفعاله، و أيضا لما خصوا به من الفهم التام، و العلم الصحيح، و الدراية بعادات العرب و أحوالهم، و إتقان لغتهم.

فإن لم يجد المفسر بغيته في أقوال الصحابة انتقل إلى أقوال التابعين، الذين تتلمذوا على أيدي الصحابة، و عليهم أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم و صحابته الكرام خيرا، على خلاف بين العلماء في مدى حجية أقوالهم.

فإن فقد المفسر مطلوبه في هذه المصادر الأربعة انتقل إلى التفسير بالرأى، بعد توافر الشروط المطلوبة، و الضوابط الواجب مراعاتها.

### المصنفات فى التفسير بالمأثور:

و المصنفات فى التفسير بالمأثور خاصة، أو التى غلب فيها المأثور كثيرة، يأتى على رأسها ما يلى:

١- جامع البيان عن تأويل القرآن، لابن جرير الطبرى.

٢- بحر العلوم، لأبى الليث، نصر بن محمد السمرقندى.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٥٥

٣- معالم التنزيل، لأبى محمد الحسن بن مسعود البغوى.

٤- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية.

٥- تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.

٦- الجواهر الحسان فى تفسير القرآن، لأبى زيد عبد الرحمن بن محمد الثعلبى.

٧- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى.

٨- فتح القدير، الجامع بين فنى الرواية و الدراية من علم التفسير، لمحمد بن على الشوكانى، و هو- كما هو ظاهر من عنوانه- شامل للتفسير بالمأثور، و التفسير بالرأى.

٩- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطى.

### مضان التفسير بالمأثور فى غير المصنفات الخاصة به:

التفسير بالرأى لا- يعنى ترك صاحبه للتفسير المأثور، فإن جل التفاسير بالرأى- إن لم تكن كلها- تحوى كثيرا من روايات التفسير بالمأثور تقوية لمعنى أو ترجيحاً لرأى على آخر، و نحو ذلك، و من هذه التفاسير ما يأتى:

١- الكشاف، للزمخشرى.

٢- مفاتيح الغيب، للفخر الرازى.

٣- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى.

٤- روح المعانى، للآلوسى.

٥- التحرير و التنوير، للطاهر بن عاشور.

٦- محاسن التأويل، للقاسمى.

### ٨- تفسير القرآن بالقرآن:

#### إشارة

ذكرنا قريبا أن تفسير القرآن بالقرآن يعتبر المصدر الأول من مصادر التفسير بالمأثور، الذى لا ينبغى لأحد أن يتعداه إلى غيره، ما لم يجد مقصوده فيه، و ذلك أرقى أنواع التفسير.

و لتفسير القرآن بالقرآن عدة وسائل، نوضح أبرزها فيما يلي:

### أولاً: شرح الموجز بالمطنب:

فقارئ القرآن يرى فيه نصوصاً موجزة في بعض المواضع، و يرى في الوقت نفسه نصوصاً مطنبة في الموضوع ذاته، في مواضع الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٥٦

أخرى، كما ورد في قصص الأنبياء، مثل قصة آدم، و نوح، و إبراهيم، و هود، و صالح، و موسى، و عيسى، و غيرهم، كما يرى موضوعات أخرى تفرقت أجزاءها في ثنايا القرآن، كموضوعات الربا و الخمر، و مشاهد يوم القيامة و المرأة و نحوها.

فعلى المفسر أن يجمع أجزاء الموضوع الواحد، من كل مكان، ليكتمل الموضوع كله أمامه، ثم يشرع في تفسيره، في ضوء جميع هذه الأجزاء، حتى لا يلتبس عليه الأمر، أو يخرج ناقص التصور، أو مخطئاً في الحكم.

### ثانياً: تفسير المجمل بالمبين:

#### إشارة

الناظر في القرآن يجده ينقسم - من حيث وضوح الدلالة على المراد، و عدم هذا الوضوح - إلى قسمين:

١- قسم بين واضح، غير مفتقر إلى ما بينه. مثل: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.

٢- و قسم يحتاج إلى بيان، لأنه غير واضح الدلالة على المراد.

### صور التبيين القرآني للمجمل:

و هذا المجمل الذي يأتي تبيينه بالقرآن له ثلاث صور كالاتي:

- ١- إما أن يكون متصلاً باللفظ المجمل.
  - ٢- و إما أن يكون منفصلاً عنه، و لكن في السورة نفسها.
  - ٣- و إما أن يكون منفصلاً عنه في سورة أخرى.
- فمثال ما جاء متصلاً بالمجمل عقبه مباشرة قوله تعالى: وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

أما المجمل الذي انفصل عنه ما بينه، و لكن في السورة نفسها، فمثاله قوله تعالى:

أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمِيَّةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ [المائدة: ١] فالمستثنى المحرّم مجمل، فسرته الآية الثالثة من السورة نفسها، و هي قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ الْآيَةَ.

أما ما جاء مبيناً و لكنه منفصل عن المجمل في سورة أخرى، فكثير، منه قوله تعالى:

وَ هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ [الحج: ٢٤]، بين بقوله تعالى: وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٥٧

هَدَانَا لِهَذَا وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ [الأعراف: ٤٣].

### ثالثاً: حمل العام على الخاص:

## إشارة

و من تفسير القرآن بالقرآن حمل العام على الخاص.

و المراد بالعام- على ما عرفه السرخسى:

«كل لفظ ينتظم جمعا من الأسماء، لفظا أو معنى، فلفظا مثل زيدون، و معنى مثل (من) و (ما) و ما أشبههما. ٣٠»

أما الخاص: فيطلق- كما قال الأمدى- على اللفظ الواحد، الذى لا يصلح مدلوله لاشتراك كثيرين فيه، كأسماء الأعلام، مثل زيد، و عمرو و نحوه. ٣١

## المخصص المتصل:

و العام قد يخص بمتصل، أو منفصل.

و المخصص المتصل أنواع، أشهرها ما يلى:

الأول: الاستثناء.

الثانى: التخصيص بالشرط.

مثاله: قوله تعالى: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا [النور: ٣٣]، فلا يجب على السيد مكاتبه عبده إلا بالشرط المذكور.

الثالث: التخصيص بالغاية، مثل قوله تعالى: وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ [البقرة: ٢٢٢].

الرابع: التخصيص ببدل البعض من الكل، كقوله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا [آل عمران: ٩٧].

## المخصص المنفصل:

أما المخصص القرآنى المنفصل، فمن أمثله: قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ الْآيَةُ ٢٣ من النساء، حيث خصت الآية

الثالثة من السورة نفسها، و هى قوله تعالى: فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ.

## رابعاً: حمل المطلق على المقيد:

و من تفسير القرآن بالقرآن حمل مطلقه على مقيده.

و المطلق عبارة عن: النكرة فى سياق الإثبات، أو هو اللفظ الدال على مدلول شائع فى جنسه، مثل رقبة، و عبد، و نحوهما.

و المقيد يطلق باعتبارين، الأول: ما كان من الألفاظ الدالة على مدلول معين، كزيد و عمرو، و هذا الرجل، و نحوه.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٥٨

و الثانى: ما كان من الألفاظ دالا على وصف مدلوله المطلق، بصفة زائدة عليه، كقولك: دينار مصرى، و درهم مكى.

و الفرق بين العام و المطلق: أن المطلق يدل على فرد شائع، أو أفراد شائعة فى جنسه، لا على جميع الأفراد، بينما العام يدل على شمول

اللفظ لجميع أفرادها، من غير حصر.

و إنما يحمل المطلق على المقيد إذا لم يكن للمطلق إلا أصل واحد.

مثال ذلك: إطلاق الشهادة فى البيوع و غيرها، و اشتراط العدالة فيها فى الرجعة و الوصية، فيحمل المطلق على المقيد، فتكون العدالة

شرطاً فى كل شهادة، و كذا إطلاق الميراث فيما أطلق فيه، و تقييد ميراث الزوجين بقوله تعالى: مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنِ

(النساء: ١١-١٢) فيحمل المطلق على المقيد، و لا يوزع الميراث فى أى حالة، إلا بعد تنفيذ الوصية، و سداد الدين.



فإن كان للمطلق أصلاً، فلا يحمل المطلق على المقيد، وإنما يبقى المطلق على إطلاقه، و المقيد على تقيده. مثاله: كفارة اليمين، و قضاء رمضان، جاء مطلقاً دون تقييد بالتتابع أو بالتفريق، بينما جاء صوم كفارة التمتع في الحج مقيداً بالتفريق، ثلاثة أيام في الحج، و سبعة بعد الرجوع، و جاء صوم كفارة القتل مقيداً بالتتابع، فهذان أصلاً، تقييداً بالتفريق، و تقييداً بالتتابع، فماذا نعمل في إطلاق صوم كفارة اليمين، و قضاء رمضان؟ إلى أي أصل من الأصلين يرد هذا الإطلاق؟ إلى التقييد بالتفريق أم إلى التقييد بالتتابع؟ هنا نقول:

يبقى هذا المطلق على إطلاقه، و لا يقيد بأحد القيدين، لأن حملهما على أحدهما ليس بأولى من حمليه على الآخر.

#### خامساً: الجمع بين ما يوهم ظاهره التناقض:

و من تفسير القرآن بالقرآن بالجمع بين ما يوهم التعارض من آياته، لأن الاختلاف نوعان:

- ١- اختلاف حقيقي، و هو ما لا يمكن الجمع فيه بين الشئين، بأي وجه من الوجوه، و هذا غير موجود في القرآن على الإطلاق.
- ٢- اختلاف غير حقيقي، و هو الذي يبدو للناظر في بعض الآيات من أول نظرة سطحية لها، و حين التدقيق بين النصوص يتضح عدم التعارض.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٥٩

فيجب على المفسر أن ينظر إلى الأسباب التي أدت إلى هذا الإيهام، ثم يقوم بإزالة هذا التعارض الظاهري.

#### سادساً: بيان الناسخ و المنسوخ:

و من وسائل تفسير القرآن بالقرآن، بيان ناسخه من منسوخه، و المراد من النسخ هنا:

رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر.

و إنما يجب على المفسر بيان ذلك، حتى لا يظن جاهل أن هناك تعارضاً بين نصوص القرآن الكريم في الحكم على الشيء الواحد بأكثر من حكم، بالجواز و المنع، أو بالحل و الحرمة، أو بالأمر و النهي، و حتى يعرف المسلم آخر حكم استقر عليه الأمر في نهاية المطاف، فيعمل بالناسخ، و يترك المنسوخ، دون أن يفعل العكس.

#### ٩- التفسير النبوي:

##### إشارة

ذكرنا قريباً أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التفسير بالمأثور، الذي يجب أن لا يتخطاه المفسر، بعد أن لم يجد ما يفسر به من خلال القرآن ذاته.

و إنما قلنا: إنه لا يجوز للمفسر أن يتخطى التفسير النبوي لتوافر الأدلة على ذلك، من القرآن و السنة و الإجماع.

فمن الأدلة القرآنية: قوله تعالى: **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** [النساء: ٦٥].

و قوله تعالى: **وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** [النحل: ٤٤].

و من الأدلة النبوية: قوله صلى الله عليه و سلم: (ألا إني أوتيت الكتاب و مثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم

بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، و ما وجدتم فيه من حرام فحرموه، و إن ما حرم رسول الله كما حرم الله). ٣٢

أما الإجماع: فإن الأمة سلفا و خلفا انعقد قولها على حجية السنة، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس». ٣٣

### الرسول صلى الله عليه و سلم لم يفسر كل القرآن الكريم:

و من البدهى الذى نود تقريره هنا أن الرسول صلى الله عليه و سلم لم يفسر كل القرآن الكريم، و الأدلة على ذلك كثيرة، من القرآن و السنة و العقل:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٦٠

فمن القرآن: تلك الآيات التى تدل على أن فى القرآن ما يستنبطه أولو العلم باجتهادهم، كقوله تعالى: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ [النساء: ٨٣].

قال أبو حامد الغزالي: «فأثبت لأهل العلم استنباطا، و معلوم أنه وراء السماع. ٣٤ فلو كان الرسول صلى الله عليه و سلم قد بين كل معانى القرآن فما ذا بقى لأولى العلم؟».

و من السنة: دعاء النبى صلى الله عليه و سلم لابن عباس بقوله: «اللهم فقهه فى الدين، و علمه التأويل» ٣٥.

قال أبو حامد الغزالي - معلقا على هذا الحديث: «فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل، و محفوظا مثله، فما معنى تخصيصه بذلك؟» ٣٦. و من الأدلة العقلية: ١- اختلاف الصحابة فى التفسير، و تعدد أقوالهم، فلو كان الرسول صلى الله عليه و سلم قد فسر القرآن كله لما وجدنا ذلك الاختلاف، بل لما وجدنا لهم تفسيراً من أصله.

٢- و أيضا: فإنه لو كان للرسول صلى الله عليه و سلم تفسير كامل للقرآن لنقل إلينا، كما نقل عنه كل شىء، يتعلق بالدين و الدنيا معا، مثل ما يتعلق بآداب النوم و قضاء الحاجة و غيرهما.

و ليس من حق أحد أن يدعى أن الرسول صلى الله عليه و سلم قد فسر القرآن كله لفظاً لفظاً، ثم فقد كله إلا القليل منه، أو النادر، لأن التفسير النبوى الكامل مما تتوافر الدواعى على نقله، فأين أهمية نقل آداب النوم، و قضاء الحاجة، من أهمية نقل تفسير كامل للقرآن، لو أثر عنه صلى الله عليه و سلم؟

و ليس من حق أحد أيضا أن يدعى أنه أثر عنه صلى الله عليه و سلم تفسير كامل للقرآن، لكن الصحابة لم يبلغوه لمن خلفهم، لأن هذا قاذح فى عدالة الصحابة التى ثبتت بالكتاب و السنة و إجماع الأمة، و لتنافى ذلك مع كفاهم فى نشر كتاب الله - تعالى - و تبيينه للناس.

### القدر الذى بينه النبى صلى الله عليه و سلم:

من خلال الواقع الذى نقل شفها و كتابه، عن طريق الرواة و كتب السنة و التفسير، يتضح لنا بجلاء أن الرسول صلى الله عليه و سلم لم يفسر من القرآن إلا قادرا يسيرا، لو قيس بما لم يفسره، و إن كان فى حد ذاته كثيرا.

و السبب فى ذلك: أنه لم يكن فى عصر النبوة من داع لتفسير نبوى كامل للقرآن، و خاصة إذا علمنا أن هناك من القرآن الكريم ما قد استأثر الله - تعالى - بعلمه، و أن منه ما يعلم معناه من له أدنى دراية بلغة العرب،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٦١

و يؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير الطبرى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - حيث يقول:

(التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، و تفسير لا يعذر أحد بجهالته، و تفسير يعلمه العلماء، و تفسير لا يعلمه إلا

## أوجه بيان السنة للقرآن:

### إشارة

ليبيان السنة للقرآن أنواع كثيرة، نذكر أشهرها فيما يأتي:

### أولاً: تفصيل المجمل:

فقد ورد في القرآن مجمل كثير، لا يستطيع الإنسان فهمه إلا من خلال السنة، كآيات الصلاة، و الزكاة، و الصيام، و الحج، فلم يرد في القرآن عدد فروض الصلاة موضحة، و لا- عدد ركعاتها، و لا- بيان أوقاتها، و لا كيفيتها و لا مبطلاتها، و غير ذلك، و الزكاة أيضا كذلك، من ناحية الأنواع و النصاب، و المقادير، و سائر تفصيلاتها، و كذلك الحج، لم يرد في القرآن كيفيته، أو مبطلاته، و غير ذلك من سائر أحكامه. قال تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر: ٧].

### ثانياً: إزالة اللبس:

و من أمثلة ذلك: ما أخرجه مسلم و غيره عن المغيرة بن شعبه قال: «بعثنى رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى نجران، فقالوا: أ رأيت ما تقرأون يا أخت هارون [مريم: ٢٨]، و موسى قبل عيسى بكذا و كذا، فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: «أ لا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء و الصالحين قبلهم». ٣٨

### ثالثاً: تخصيص العام:

و مثاله: أنه قد ورد في القرآن تحريم الميتة و الدم على العموم، و لكن السنة خصصت هذا العموم، حيث قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أحلت لنا ميتتان: السمك، و الجراد، و أحل لنا دمان: الكبد، و الطحال» ٣٩.

### رابعاً: تقييد المطلق:

و من أمثله: قوله تعالى: مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوصِي بِهَا أَوْ ذَيْنِ [النساء: ١١، ١٢] فقد وردت الوصية هنا مطلقة بدون تحديد، فقيدها الرسول صلى الله عليه و سلم بالثلث، في حديث سعد ابن أبي وقاص حيث جاء فيه: «قلت: يا رسول الله، أوصى بمالى كله؟ قال: لا، قلت: فالشطر؟ قال: لا، قلت: فالثلث؟ قال: فالثلث و الثلث كثير» ٤٠.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٦٢

قال ابن حجر عن هذا الحديث: «فيه تقييد مطلق القرآن بالسنة». ٤١

### خامساً: بيانه صلى الله عليه و سلم أن المنطوق لا مفهوم له:

و يظهر هذا إذا كان في الآية قيد لم يقصد به الاحتراز، و إنما خرج مخرج الغالب.

و من أمثلة ذلك: قيد السفر في الرهان المقبوضة، في قوله تعالى: وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَيْرٍ فَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ [البقرة: ٢٨٣] قال الشوكاني: «قال أهل العلم: الرهن في السفر ثابت بنص التنزيل، و في الحضر بفعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في الصحيح، أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رهن درعا له عند يهودي». ٤٢

### سادسا: توضيح المبهم:

و ذلك يتناول أشياء كثيرة، منها:

- ١- تعيين أشخاص.
  - ٢- تعيين جماعات أو أقوال.
  - ٣- تعيين أماكن.
  - ٤- تعيين أوقات.
  - ٥- تعيين أعمال.
  - ٦- تعيين أشجار.
  - ٧- تعيين أقوال.
  - ٨- تعيين مواقف.
  - ٩- تعيين كيفية من الكيفيات.
  - ١٠- تعيين مسافة من المسافات.
  - ١١- تعيين معيشة من المعيشات.
  - ١٢- تعيين صلاة من الصلوات.
  - ١٣- تعليل تسمية من التسميات.
- و لنضرب لذلك بعضا من الأمثلة، لبعض هذه الأنواع: ٤٣

- ١- في تعيين أقوام: عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ، وَ إِنْ الضَّالِّينَ هُمُ النَّصَارَى». ٤٤
- ٢- في تعيين أماكن: عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكُوْثِرُ نَهْرٌ، أُعْطَانِيَهُ رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الْجَنَّةِ». ٤٥
- ٣- في تعيين أعمال: عن أم هانئ - رضي الله عنها - عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ [العنكبوت: ٢٩] قال: «كَانُوا يَحْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ، وَ يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ». ٤٦
- ٤- في تعيين أشجار: عن أنس - رضي الله عنه - عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ [إبراهيم: ٢٤] قال: «هِيَ «النَّخْلَةُ» وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ [إبراهيم: ٢٤] قال: «هِيَ الْحَنْظَلُ» ٤٧.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٤٣

- ٥- في تعيين أقوال: عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَ أَلْزَمَهُمُ الْتَقْوَى [الفتح: ٢٤] قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». ٤٨
- ٦- في تعيين مواقف: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا

[الإسراء: ٧٩] قال: «هو المقام الذى أشفع لأمتى فيه». ٤٩.

٧- فى تعيين مسافة: عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى: وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ [الواقعة:

٣٤] قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام». ٥٠.

٨- فى تعيين صلاة: قال صلى الله عليه وسلم: «الصلاة الوسطى صلاة العصر» ٥١.

### سابعاً: بيان المراد من لفظ أو ما يتعلق به:

و من أمثلة ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى:

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا [البقرة: ١٤٣] قال: «عدلاً». ٥٢.

### ثامناً: التأكيد لما جاء فى القرآن:

و من أمثلة ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم فى قصة موسى والخضر: «كانت الأولى من موسى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً» ٥٣. فهذا تأكيد لما حدث بالفعل من موسى، كما أخبر القرآن الكريم.

### تاسعاً: بيان أحكام لم يرد ذكرها فى القرآن:

و هذا من قبيل: ما جاء فى قوله تعالى:

وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر: ٧]، و من أمثلة ذلك:

(أ) تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، أو بينها وبين خالتها.

(ب) ميراث الجدة.

(ج) الحكم بشاهد ويمين.

(د) صدقة الفطر.

(هـ) أحكام الشفعة.

(و) تحريم كل ذى ناب من السباع، و كل ذى مخلب من الطيور، و الحمر الأهلية.

(ز) حرمان الكافر من ميراث قريبه المسلم، و كذلك حرمان القاتل و الرقيق.

### ١٠- تفسير الصحابة:

#### إشارة

أقوال الصحابة فى التفسير هى المصدر الثالث من مصادر التفسير بالمأثور، بعد القرآن الكريم، و التفسير النبوى، كما سبق

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٦٤

ذكره؛ لأن علمهم مقدم على علم كل من أتى بعدهم.

### مقومات اجتهاد الصحابة فى التفسير:

و الصحابة حينما كانوا يفسرون، فإنما كان ذلك لارتكازهم على عدة مقومات، أبرزها ما يلي:

- ١- قوة حافظتهم، ودقة فهمهم.
- ٢- وقوفهم على مفردات اللغة و تراكيبيها، و معرفتهم أساليبها و مراميها، و بلوغهم قمة الفصاحة، و سنام البلاغة.
- ٣- معرفتهم لعادات العرب و طبائعها.

### سمات تفسير الصحابة:

اتسم تفسير الصحابة للقرآن بعدة سمات، من أهمها ما يأتي:

- ١- كانوا يكتفون في الغالب الأعم بمدلول الآية العام، أو المراد منها باختصار، دون التطرق إلى تفاصيل ليسوا في حاجة إليها، أو التفرع في أمور بعيدة الصلة عن الآية.
- ٢- البعد عن الإسرائيليات، حتى يظل للإسلام نبعه الصافي.
- ٣- قلة الاختلاف بينهم في التفسير، و معظم اختلافهم كان اختلاف عبارة، و من الممكن الجمع بين أقوالهم فيه.
- ٤- عدم تطويع الآيات لمذهب معين، لأن تشتت الأمة و تمذهبها بمذاهب دينية و سياسية متعددة لم يحدث إلا بعد عصرهم.
- ٥- كان غالب التفسير في عهدهم شفهيًا، فلم يدون منه إلا القليل، على أيدي نفر من الصحابة، على هوامش مصاحفهم، أو في صحيفة خاصة بصاحبها.
- ٦- عدم الاهتمام بذكر السند، لأن الصحابة عدول، و ما وقع من تشدد في بعض الوقائع فإنما كان لزيادة الثبوت، و ليس للشك في أحدهم.
- ٧- لم يرو عن الصحابة تفسير كامل للقرآن، لعدم اقتضاء ما يوجب ذلك.

### مدى حجية تفسير الصحابة:

اتفق العلماء على أن تفسير الصحابي يأخذ حكم الحديث المرفوع إذا:

- ١- شهد الصحابي الوحي و التنزيل.
  - ٢- و كان كلامه فيما لا مجال للرأي و الاجتهاد فيه، كالحديث عن أسباب النزول، أو عن مشاهد يوم القيامة، و الجنة و النار، و الملائكة الأعلى، و نحو ذلك.
  - ٣- و كان الصحابي غير معروف بالأخذ عن ثقافة بني إسرائيل.
  - ٤- و صح السند إلى هذا الصحابي.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٦٥

مثال ذلك: ما أخرجه البخاري و غيره عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أنه قال: «كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله - عز و جل: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ» [البقرة: ٢٢٣].

### الموقف على الصحابة:

أما الموقف على الصحابة فقد اختلف العلماء في حكم الأخذ به:

- ١- فمنهم من قال: لا يجب الأخذ به، لأنهم في اجتهادهم كسائر المجتهدين، الذين يصيبون و يخطئون، فكيف يجب تقليدهم؟
- ٢- و من العلماء من رأى ضرورة الأخذ بتفسيرهم، لأنهم عاشوا عصر تنزيل القرآن، و شاهدوا التفسير العملي له، من خلال حياة

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولبلوغهم قمة الفصاحة والبلاغة.

رأينا في المسألة: ما ورد في التفسير عن الصحابة لا يخلو من أحوال ثلاث:

١- إما إجماع منهم.

٢- وإما اختلاف بينهم.

٣- وإما قول لا يعرف له مخالف أو موافق.

فإن أجمعوا على شيء؛ كان إجماعهم حجة، يجب الأخذ به، لأن إجماع الأمة في أي وقت على أمر ما يجب الانقياد له، فكيف

بإجماع أشرف قرن على الإطلاق، بخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «خير الناس قرني». ٥٥

أما إذا اختلفوا، بحيث تعددت أقوالهم:

حاولنا أن نجتمع بينها، لأن أغلب اختلافهم اختلاف تنوع وعبارة، وليس اختلاف تضاد، فإن لم يمكن الجمع اخترنا الراجح وفقا لضوابط الترجيح، ولا نخرج عن أقوالهم.

وإن كان في الآية قول لصحابي، لم يعرف له مخالف ولا موافق، فالأحوط والأولى أن نأخذ به، لما امتازوا به من أمور لم تتوافر لغيرهم.

قال الشافعي - رحمه الله - عن الصحابة: ٥٦

«أدوا إلينا سنن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٦٦

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عاما وخصوصا، وعزما وإرشادا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم، واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى، أو حكى لنا عنه ببلدنا، صاروا - فيما لم يعلموا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه سنة - إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول، ولم نخرج عن أقوالهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره، أخذنا بقوله».

### المفسرون من الصحابة:

رغم الكثرة الكاثرة، والآلاف المؤلفنة، من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين عاصروا الوحي، وشاهدوا التنزيل، وأحاطوا بملايسات القرآن وأسباب نزوله، فإننا لم نر منهم من اشتهر بالتفسير إلا عددا قليلا، عددهم السيوطي في إتقانه بأنتهم عشرة.

حيث يقول رحمه الله: «اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، و عبد الله بن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، و عبد الله بن الزبير، أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزره جدا، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب في قلته رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث، ولا أحفظ عن

أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثارا قليلة جدا، لا تكاد تجاوز العشرة». ٥٧

و إذا كان هؤلاء العشرة هم الذين اشتهروا بالتفسير، فإن هناك من الصحابة من تكلم في التفسير، ولكن ليس بدرجة هؤلاء العشرة، و على رأس هؤلاء: أبو هريرة، وعائشة، و عبد الله بن عمر، و عبد الله بن عمرو بن العاص، و جابر بن عبد الله.

بل إن هؤلاء العشرة لم يكونوا على درجة واحدة من التكلم في التفسير، كما صرح السيوطي سابقا.

فإذا نظرنا إلى الخلفاء الأربعة، وجدنا الرواية عن أبي بكر و عمر و عثمان في التفسير قليلة، و يرجع ذلك إلى عدة أسباب، أبرزها ما يلي:

١- اشتغالهم بأمور الحكم ومصالح العباد، في الداخل، وإرسال الجيوش في الخارج.

٢- لم يكن لمعاصريهم حاجة شديدة إلى التفسير، حيث كان هؤلاء المعاصرون عربا يتمتعون بالسليقة العربية، بالإضافة إلى وقوفهم على أسباب النزول.

٣- تقدم وفاتهم، فلم يعمرُوا كثيرا كما عمّر غيرهم.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٦٧

أما الخليفة الرابع، فالرواية عنه في التفسير أكثر من الثلاثة السابقين، لما يأتي:

١- لم يشتغل بأمور الخلافة، طيلة العهود الثلاثة السابقة.

٢- اشتدت حاجة معاصريه لما عنده من التفسير، لاتساع الفتوحات الإسلامية، واعتناق كثير من الأعاجم دين الإسلام.

٣- تأخر وفاته رضي الله عنه.

أما الستة الباقون، فمنهم ثلاثة مكثرون، و ثلاثة دونهم في الكثرة، أما المكثرون فعبد الله بن عباس، و عبد الله بن مسعود، و أبي بن كعب، و أما الثلاثة الأقل منهم تفسيرا، فهم زيد بن ثابت، و أبو موسى الأشعري، و عبد الله ابن الزبير.

و بناء على ما سبق: فإن هناك أربعة من العشرة فاقوا إخوانهم في الكثرة لأسباب خاصة، هؤلاء الأربعة هم: علي بن أبي طالب، و عبد الله بن مسعود، و أبي بن كعب، و عبد الله ابن عباس، و إذا أردنا ترتيبهم من ناحية الكثرة في الرواية بدأنا بعبد الله بن عباس، ثم بعبد الله بن مسعود، ثم علي بن أبي طالب، ثم أبي بن كعب، رضي الله عنهم أجمعين.

## ١١- تفسير التابعين:

### إشارة

التابعون: جمع تابع، و يقال له تابعي أيضا.

و التابعي - في نظر بعضهم كالخطيب البغدادي و الحافظ ابن كثير - من صحب الصحابي ٥٨، و على ذلك: فلا يكتفى بمجرد رؤية الصحابي و لقائه، بل لا بد له من الصحبة.

و ذهب أكثر أهل الحديث إلى عدم اشتراط الصحبة، و الاكتفاء باللقى و الرواية. و أيّا ما كان الأمر فالمراد بالتابعين هنا: هم تلاميذ صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم الذين تعلموا العلم على أيديهم، و علموه المسلمين.

### مقومات التفسير عند التابعين:

كان للتابعين عدة مقومات، ارتكزوا عليها في تفسيرهم، على رأسها ما يلي:

١- القرآن الكريم نفسه.

٢- السنة النبوية.

٣- أقوال الصحابة.

٤- أقوال من أسلم من أهل الكتاب.

٥- إجادتهم للغة العرب التي أتقنوها تمام الإتقان.

٦- توافر أدوات الاجتهاد عندهم، حيث وقفوا على تلك العلوم الواجب توافرها، فيمن يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى.

### سمات تفسير التابعين:



- وقد تميز تفسيرهم بعدة سمات، أبرزها ما يلي:
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٦٨
- ١- غلبة الطابع الشفهي للتفسير.
  - ٢- عدم ورود تفسير كامل للقرآن عنهم.
  - ٣- اتساع رقعة الاختلاف في التفسير بينهم، ولكنه أقل مما حدث بعدهم.
  - ٤- احتشاد تفسير التابعين بالإسرائيليات، نتيجة لدخول عدد من أهل الكتاب في الإسلام، و توقان بعض المسلمين لسماح تفاصيل ما رأوه مجملا في القصص القرآني.
  - ٥- حمل تفسير التابعين نواة الاختلاف المذهبي، و اصطبغ به، نتيجة لظهور الفرق الإسلامية على مسرح الأحداث بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

### مدى حجية تفسير التابعين:

ذهب كثير من العلماء إلى ضرورة الأخذ بأقوال التابعين في التفسير. و حجيتهم في ذلك: أن التابعين تتلمذوا على أيدي الصحابة، و حفظوا القرآن على أيديهم، و عنهم أخذوا تفسيره، و عليهم أثنى الرسول صلى الله عليه و سلم بقوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». ٥٩ و سعيد بن جبير مثلاً، يقول عنه أستاذه ابن عباس لأهل الكوفة الذين جاءوا يستفتونه: «أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير» ٦٠.

و هذا مجاهد يقول: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة». ٦١ أي لتمام ضبطه، و حسن قراءته و أدائه، و يقول أيضا: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، و أسأله عنها». ٦٢ و هذا عكرمة مولى ابن عباس يقول:

ما زلت أبين له- أي لأستاذه ابن عباس- نجاه من قالوا: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا [الأعراف: ١٦٤] عرف أنهم نجوا، فكساني حله». ٦٣

و بينما يذهب كثير من العلماء إلى ضرورة الأخذ بتفسير التابعين، نرى بعضا آخر يرى عدم الأخذ به، و حجيتهم في ذلك:

- ١- أن التابعين لم يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى يمكن حمل ما قالوه على سماعهم منه صلى الله عليه و سلم، كما قيل عن تفسير الصحابي.

- ٢- أن التابعين لم يشاهدوا الوحي و التنزيل، و لم يعيشوا ملابسات القرآن، مثل الصحابة، فتفسيرهم عرضة للخطأ.

- ٣- عدالة التابعين غير ثابتة، كما ثبتت عدالة الصحابة، بالكتاب و السنة.

و الذي نميل إليه:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٦٩

- ١- أن التابعين إذا أجمعوا على شيء كان إجماعهم حجة، و يجب الأخذ بقولهم، لأن الإجماع لا بد و أن يستند إلى دليل شرعي، و لا تجتمع الأمة على ضلالة.
- ٢- أما إذا اختلفوا فلا يكون قولهم حجة.
- ٣- فإن قال أحدهم بتفسير، و لم يأت تفسير غيره:

(أ) فإن كان مما لا- مجال فيه للرأى والاجتهاد، و لم يعلم عن هذا التابعى أخذ عن ثقافة أهل الكتاب، فالأخذ به أولى من تركه، لاحتمال أن يكون سمعه من صحابى، أخذه هو الآخر بدوره من رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
(ب) أما إذا كان فيه مجال للرأى والاجتهاد، فنحن مخيرون بين قبوله و رده.

### المفسرون من التابعين:

و لقد شهد جيل التابعين عددا عظيما من المفسرين، نذكر منهم: سعيد بن جبير، و مجاهد بن جبر، و عكرمة البربرى، و عطاء ابن أبى رباح، و طاوس بن كيسان، و علقمة بن قيس، و مسروق بن الأجدع، و عبيدة بن عمرو، و عبيد بن نضيلة، و الأسود بن يزيد، و أبى عبد الرحمن السلمى، و عامر الشعبى، و الحسن البصرى، و قتادة بن دعامة، و أبى العالية، و سعيد بن المسيب، و زيد بن أسلم، و غيرهم ممن أسهم فى محيط التفسير بما لا يزال و سيظل - إن شاء الله - ثروة تفسيرية، ينتفع بها طلاب العلم و رواد الثقافة إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، فجزاهم الله خير الجزاء، و رضى عنهم فى الأولين و الآخرين، و فى الملاء الأعلى إلى يوم الدين.

### ١٢- اختلاف السلف فى التفسير:

#### إشارة

قلنا سابقا: إن من سمات تفسير الصحابة قلة اختلافهم فيه، و هو و إن ازدادت رقعة بين التابعين إلا أنه إذا قيس باختلاف من بعدهم يعتبر قليلا، و يمكن أن نقول: إن الاختلاف بين السلف معظمه اختلاف تنوع فى العبارة، و ليس اختلاف تضاد، و يمكن إرجاعه إلى الأسباب الآتية: ٦٤

السبب الأول: تنوع الأسماء و الصفات، بأن يعبر كل مفسر عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى فى المسمى، غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمى، مثل أسماء الله الحسنى، و أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أسماء القرآن.

فأسماء الله الحسنى كلها تدل على مسمى واحد، فليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى مضادا لدعائه باسم آخر، قال تعالى: قل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٧٠

ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى [الإسراء: ١١٠].

فكل اسم من أسماء المولى - عز و جل - يدل على شيئين، على ذات الله - عز و جل - و على الصفة التى تضمنها هذا الاسم، كالرحيم يدل على الله، و يدل على صفة الرحمة، و القدير يدل على الله، و يدل على صفة القدرة، و هكذا.

و الأمر كذلك مع أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أسماء القرآن، فالرسول صلى الله عليه وسلم له أسماء متعددة، كمحمد، و أحمد، و الماحى، و الحاشر، و العاقب، و القرآن له أسماء متعددة كذلك، مثل القرآن، و الكتاب، و الفرقان، و الشفاء، و البرهان.

و من أمثلة هذا النوع: اختلاف المفسرين فى معنى الصراط المستقيم، فقد قال بعضهم: هو القرآن، و قال بعضهم: هو الإسلام، و قال بعضهم: هو السنة و الجماعة، و قال بعضهم: هو طريق العبودية، و قال آخرون، هو طاعة الله و رسوله، و لا- تنافى بين جميع هذه

الأقوال، لأنهم جميعا أشاروا إلى ذات واحدة، و لكن كل واحد منهم وصفها بصفة من صفاتها.

السبب الثانى: التعبير بالمثل، حيث يذكر كل واحد منهم من الاسم العام بعض أنواعه، لا على سبيل مطابقة الحد للمحدود، فى عمومه و خصوصه، و لكن على سبيل التمثيل، بتنبية الإنسان على النوع، كسائل أعجمى سأل عن مسمى لفظ البرتقال، فأرى برتقاله، و قيل له:

البرتقال هذا، فالإشارة هنا إلى النوع، لا إلى البرتقاله وحدها.

مثال ذلك: قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ [فاطر:

[٣٢]

فالمعروف أن الظالم لنفسه هو الذى ترك المأمورات، و ارتكب المحظورات، و أن المقتصد هو الذى اقتصر على فعل المأمورات و ترك المحظورات، و أما السابق فهو الذى زاد على أداء الواجبات فعل المستحبات، و زاد على ترك المحظورات توقي الشبهات، و لكن المفسرين اختلفت عباراتهم فى تفسيرها، فقد قال بعضهم: السابق الذى يصلى فى أول الوقت، و المقتصد الذى يصلى فى أثنائه، و الظالم لنفسه الذى يؤخر العصر إلى الاصفرار.

و قال بعضهم: الظالم آكل الربا، أو مانع الزكاة، و المقتصد الذى يؤدي الزكاة المفروضة، و لا يأكل الربا، و السابق المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات، إلى غير ذلك من عباراتهم.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٧١

فكل نوع من هذه الأنواع التى ذكرها داخل تحت الآيه، و أنه أريد به التنبيه على مثيله، لأن التعريف بالمثل قد يكون فى بعض الأحوال أفضل من التعريف بالحد المطابق.

السبب الثالث: ما كان الاختلاف فيه راجعا إلى احتمال أمرين أو أكثر، كلفظ «قسورة»، فيحتمل أن يراد به الرامى، و يحتمل أن يراد به الأسد، و نحو ذلك من الألفاظ المشتركة، التى اتحد لفظها و اختلف معناها، كلفظ اليمين، يطلق على اليد، و على القوة، و على القسم، و كلفظ العين، يطلق على البئر، و على الباصرة، و على الجاسوس، و نحوها.

السبب الرابع: التفسير بألفاظ متقاربة، لا مترادفة.

فقد يعبر المفسر عن اللفظ بلفظ قريب، لا بلفظ مرادف له، لأن الترادف فى لغة العرب قليل، و قد يندر وجوده فى القرآن، أو ربما يندم.

و مثال ذلك: ما ذكره المفسرون فى قوله تعالى: وَ ذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبَسِّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ [الأنعام: ٧٠]، فقد فسر بعضهم قوله: (تبسل) بمعنى تحبس، و قال بعضهم:

ترتهن، و ليس هناك تضاد بين القولين، فإن المحبوس قد يكون مرتهنا، و قد لا يكون، فالمفسر حين يفسر إنما يريد تقريب المعنى.

### اختلاف التضاد:

هذا عن اختلاف التنوع، الذى يوجد بكثرة فى أقوال السلف، فإن معظم اختلافهم يندرج تحته، أما اختلاف التضاد، و هو ما كانت

العبارات فيه متعارضة، بحيث إذا أخذ بأحد الأقوال لا يؤخذ بغيره، فهو قليل بين السلف.

و مثال ذلك: تعيين الصلاة الوسطى، فقد قيل فيها أقوال متعددة شملت الصلوات كلها.

فما موقفنا تجاه تلك الأقوال؟ و كيف نرجح قولاً على ما عداه؟

هذا ما سوف نجيب عنه- إن شاء الله- فى موضوع الترجيحات فى التفسير.

### ١٣- التفسير بالرأى:

#### إشارة

التفسير بالرأى قسيم التفسير بالمأثور، و لكن علام يطلق الرأى؟ و ما المراد بالتفسير بالرأى؟

يطلق الرأى على المعانى الآتية:

١- على الاعتقاد، يقال: هذا رأى فى كذا، أى اعتقادى فيه.

٢- و على الاجتهاد.

٣- و على القياس، و المحدثون يسمون أصحاب القياس أصحاب الرأي. ٦٥

و لكن العلماء خصوه- كما يقول ابن القيم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٧٢

رحمه الله:- «بما يراه القلب بعد فكر و تأمل، و طلب لمعرفة وجه الصواب، مما تتعارض فيه الأمارات، فلا يقال لمن رأى بقلبه أمراً غائباً عنه مما يحس به إنه رأيه، و لا- يقال أيضاً للأمر المعقول الذي لا تختلف فيه العقول، و لا تتعارض فيه الأمارات إنه رأى، و إن احتاج إلى فكر و تأمل، كدقائق الحساب و نحوها». ٦٦

### معنى التفسير بالرأى:

و التفسير بالرأى يراد به: بيان معاني الآيات القرآنية، بغير المأثور، من القرآن، أو السنة، أو أقوال الصحابة و التابعين.

### التفسير بالرأى قسماً:

المفسر بغير المأثور إن توافرت فيه شروط التفسير و ضوابطه، كان تفسيره محموداً، و إلا كان مذموماً.

فالتفسير بالرأى المحمود هو: ذلك التفسير الذى أعمل فيه المفسر عقله، للوصول إلى مراد الله- تعالى- بقدر الطاقة البشرية، مستعيناً فى ذلك بكل الأدوات و الشروط و العلوم الواجب توافرها فى مجال التفسير، على نحو ما بيناه سابقاً، و ما سنبينه أكثر لاحقاً- إن شاء الله- أثناء حديثنا عن ضوابط سلامة التفسير.

أما التفسير بالرأى المذموم: فهو ما خالف فيه المفسر تلك الشروط، و لم يكن ملماً بتلك الأدوات، أو لم يراع تلك الضوابط.

### اختلاف العلماء فى جواز التفسير بالرأى المحمود:

اتفق علماء الأمة سلفاً و خلفاً على منع التفسير بالرأى المذموم، أما التفسير بالرأى المحمود، فقد اختلفوا فى جوازه- اختلافًا حقيقياً لا لفظياً كما فهم بعض الباحثين و بعض المؤلفين- إلى فريقين: فريق يمنعه منعاً باتاً، مهما كان المفسر ملماً بعلوم الأولين و الآخرين، و متوافراً فيه شروط و أدوات التفسير، و فريق يرى جوازه لمن توافرت فيه تلك العلوم و الشروط و الأدوات، يقول الراغب الأصفهاني: «اختلف الناس فى تفسير القرآن، هل يجوز لكل ذى علم الخوض فيه؟

فبعض تشدد فى ذلك و قال: لا يجوز لأحد تفسير شىء من القرآن، و إن كان عالماً أديباً متسعاً فى معرفة الأدلة، و الفقه، و النحو، و الأخبار و الآثار، و إنما له أن ينتهى إلى ما روى له عن النبي صلى الله عليه و سلم، و عن الذين شهدوا التنزيل، من الصحابة- رضى الله عنهم- أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين، و ذكر آخرون أن من كان ذا أدب و سيع فموسع له أن يفسره، فالعقلاء و الأدباء فوضى ٦٧ فى معرفة الأغراض». ٦٨

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٧٣

و للسيوطى فى إتيانه عبارة تحمل معنى ما قاله الراغب بالتمام. ٦٩

و إنما قلنا: إن الخلاف بين الرأيين حقيقى لا لفظى، لعدة اعتبارات، على رأسها ما يأتى:

١- العبارتان الصريحتان لكل من الراغب الأصفهاني، و الحافظ السيوطى فى ذلك، و اللتان تنصان صراحة على أن المانعين أرادوا منع أى تفسير بغير المأثور، بصرف النظر عن كونه بالرأى المحمود أو بالرأى المذموم.

٢- أدلة المانعين، و ردود المجيزين تفيد التعميم، و سيتضح ذلك التعميم من خلال ما يأتى:

**أدلة المانعين و مناقشتها:**

استدل المانعون لتفسير القرآن بغير المأثور- و لو مع توافر كل الشروط و الأدوات و العلوم- بأدلة من القرآن و السنة، و آثار عن الصحابة و التابعين.

**الأدلة من القرآن:**

١- استدلووا بقوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْأَثَمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [الأعراف: ٣٣].

حيث قالوا: إن القول على الله بغير علم محرم؛ لأنه في الآية معطوف على محرم، و التفسير بالرأى قول على الله بغير علم، فيكون محرماً. و يرد على هذا الاستدلال: بأن التفسير بالرأى المحمود ليس قولاً على الله بغير علم، و إنما هو إدراك الطرف الراجح، باستخدام العلوم التي يحتاج إليها المفسر بعد انعدام العلم اليقيني، فالقول بغلبة الظن حينئذ يكفي، لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْرَهَا [البقرة: ٢٨٦] بل إن المجتهد حينئذ مأجور، حتى لو لم يحالفه التوفيق، كما صح في الحديث.

٢- و استدل المانعون أيضاً بقوله تعالى:

وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ [الإسراء:

٣٦] حيث قالوا: التفسير بالرأى قول بغير علم، فيكون منها عنه.

و يرد عليهم في ذلك بما رددنا عليهم في استدلالهم السابق.

٣- كما استدلووا بقوله تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [النحل: ٤٤]، حيث قالوا: إنه ليس لغير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أن يتكلم في شيء من معاني القرآن، لأن النبي هو المبين له.

و يرد عليهم في ذلك: بأن الآية ليس فيها

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٧٤

قصر البيان عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، لأنه كان مأموراً ببيان ما خفى عليهم، أو اختلفوا في فهمه، كما نصت الآية ٦٤ من السورة ذاتها، حيث يقول تعالى: وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَ أَمَا مَا كَانَ وَاضِحاً فِي عَصْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، فلم يكن مأموراً ببيانه، و لكن لما اتسعت الفتوحات الإسلامية، و دخل العجم في دين الله، و بعد الناس عن عهد النبوة، و فشا الجهل فيهم بلغة العرب، و أسباب النزول، و ملابسات القرآن احتاجوا إلى بيان، حيث لم يفهموا ما نقل من طريق السماع.

**أدلة المانعين من السنة:**

استدل المانعون بحديثين عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

١- الحديث الأول: رواه الترمذى عن ابن عباس - رضى الله عنهما- أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قال: «اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم، فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، و من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». ٧٠

٢- الحديث الثانى: أخرجه الترمذى و أبو داود عن جندب أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ». ٧١

و هذان الحديثان لا يدلان فى الواقع على المنع، لا سنداً و لا متناً.

أما سند الأول منهما، ففيه عبد الأعلى ابن عامر الثعلبى، و الترمذى و إن حسن له إلا أن العلماء ضعفوه، كما نقل الحافظ ابن حجر

عنهم في تهذيبه أثناء ترجمته له. ٧٢

أما سند الحديث الثاني، فهو ضعيف أيضا، لوجود سهيل بن أبي حازم القطعي فيه، وقد ضعفه العلماء، كما نقل عنهم الذهبي في ميزانه، وابن حجر في تهذيبه. ٧٣

أما من ناحية المتن: فإن المراد بالرأى في هذين الحديثين لا يخرج عن الصور الآتية:

١- الرأى القائم على غير علم، بأن صدر من شخص لم تتوافر فيه شروط المفسر، ولا ضوابط التفسير، و يدل لصحة هذا التوجيه ما أخرجه ابن جرير الطبري من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار». ٧٤

٢- أو أن المراد من الرأى: الخوض فيما استأثر الله - تعالى - بعلمه، و جعله من المتشابه الذى لا يعلمه إلا هو، كالروح و نحو ذلك.

٣- أو أن المراد من الرأى: الرأى الذى يجعل المذهب أصلا و متبوعا، و التفسير فرعا و تابعا، كما يفعله مفسرو الفرق المبتدعة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٧٥

٤- أو أن المراد من الرأى: الهوى و الاستحسان، كما يفعله بعض الوعاظ، حينما يقصدون أغراضا صحيحة، فيلجئون إلى آراء خاصة، ترغيبا و ترهيبا للمستمع.

٥- أو أن المراد من الرأى: الرأى القائم على ترك المأثور، و الأخذ بظاهر العربية، فإن الأخذ بظاهر العربية فقط لا يكفى، بل لا بد من الاعتقاد على المأثور أولا.

### أدلة المانعين من آثار الصحابة و التابعين:

كما استدل المانعون بآثار عن الصحابة و التابعين، منها:

١- قول أبى بكر رضى الله عنه: «أى أرض تقلنى، و أى سماء تظلمنى إن قلت فى آية من كتاب الله برأى، أو بما لا أعلم». ٧٥

٢- و عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «إنما هو كتاب الله و سنه رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فمن قال بعد ذلك برأيه فما أدرى أ فى حسناته يجد ذلك، أم فى سيئاته؟». ٧٦

و يمكن أن يرد على هذه الآثار و ما شاكلها بما يأتى:

أولا: إن امتناع السلف عن التفسير إنما كان فيما لا علم لهم به، أما ما كانوا يعلمونه فكانوا يقولون به و لا يكتمونونه، و إلا لكانوا من الذين يكتمون العلم، و الذين هددهم الله و رسوله صَلَّى الله عليه و سلم بالعذاب الأليم.

و الدليل على ذلك:

(أ) أن كتب الحديث و التفسير مملوءة بتفاسير صحيحة عنهم.

(ب) و بدليل أن الروايات الواردة عنهم فى ذم التفسير بالرأى تنص على أن المراد التفسير بغير علم، كما جاء عن أبى بكر و غيره قوله: «بما لا علم لى».

ثانيا: أو أن امتناع من امتنع منهم كان على سبيل التورع و الاحتياط، خوفا من عدم إصابه قول الحق.

ثالثا: أو أن امتناع من امتنع إنما كان لعدم وجوب ذلك عليهم، نظرا لوجود آخرين يسدون مسده، كما كانوا يفعلون مع من يطلق امرأته ثلاثا، كل منهم يدفعه للآخر.

و بناء عليه: فإن ما استدل به المانعون لا يدل لهم بحال من الأحوال.

### القائلون بالجواز:

## إشارة

أما القائلون بجواز التفسير بالرأى المتوافر له شروطه، فقد استدلوا لصحة مذهبهم بأدلة من القرآن و السنة، و آثار عن السلف الصالح، و بأدلة عقلية.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٧٦

## فمن الأدلة القرآنية:

١- تلك الآيات التي تدعو إلى التدبر و التذكر، كقوله تعالى: أ فَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ [النساء: ٨٢، و محمد: ٢٤]، فقد دلت هذه الآيات و أمثالها على أن تفسير ما لم يستأثر الله- تعالى- بعلمه ليس محظورا على العلماء، و أهل الفكر و النظر.

٢- تلك الآيات التي تدل على أن في القرآن ما يستنبطه أولو العلم باجتهادهم، مثل قوله تعالى: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ [النساء: ٨٣].

قال الغزالي: «فأثبت لأهل العلم استنباطا، و معلوم أنه وراء السماع». ٧٧

## و من الأدلة النبوية:

دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لابن عباس بقوله: «اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل». ٧٨

قال الغزالي معقبا على هذا الدعاء: «فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل، و محفوظا مثله، فما معنى تخصيصه بذلك؟». ٧٩

## و من آثار السلف:

قول أبي بكر في الكلاله: «أقول فيها برأبي» ٨٠. و قول مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، و أسأله عنها». ٨١

## و من الأدلة العقلية على الجواز:

١- اختلاف الصحابة في التفسير، فلو كان التفسير بالرأى ممنوعا عليهم، و مقصورا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لما تجرأوا على التفسير، و لما حدث بينهم هذا الاختلاف.

٢- لو منع التفسير بالرأى لمنع الاجتهاد في الدين، و لو منع الاجتهاد في الدين لتعطل كثير من الأحكام، و لوقع الناس في حرج عظيم، لكن التالي باطل لقوله تعالى: وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ [الحج]:

[٧٨]، فما أدى إليه و هو منع التفسير بالرأى باطل، خاصة أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مات و لم يتعرض لتفسير كل الآيات القرآنية، و لم يؤثر عنه استنباط لكل الأحكام الفقهية التي يمكن أن تشملها الآيات.

## الرأى الراجح:

من عرضنا لأدلة المانعين، و ردودنا عليها، و لأدلة المجيزين و وضوحها و دلالتها على الجواز، يترجح لدينا جواز التفسير بالرأى، إذا توافرت في المفسر الشروط الواجب توافرها في هذا المجال.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٧٧

### اختلاف مشارب العلماء في التفسير بالرأى:

نتيجة لتنوع البشر في ميولهم واتجاهاتهم، وكذلك اختلاف صبغتهم واهتماماتهم، فقد رأينا المفسرين بالرأى يتجهون بتفاسيرهم اتجاهات شتى، ولا يمكن لاتجاه من هذه الاتجاهات المحموده أن يستغنى عنه باتجاه آخر. فمنهم من غلبت عليه الناحية الفقهية، ومنهم من طغت عليه النزعة الصوفية، ومنهم من انغمس في الآراء الفلسفية، ومنهم من كان جلّ اهتمامه النواحي العقلية والكونية، ومنهم من ألبس تفسيره ثوب ما يعرف بالنزعة العلمية، ومنهم من أضفى على تفسيره الصبغة الأدبية، ومنهم من آثر المسحة البلاغية، ومنهم من نظر إلى موضوع بذاته من موضوعات القرآن، تناثرت آياته في ثناياه، ليخرج لنا بأحكام عامة، تمثل لنا منهج الله في كل زاوية من زوايا هذه الحياة، ولهذا وجدنا أمانا كما هائلا من التفاسير، في المجال الفقهي و الصوفي و البلاغى و الأدبى و الفلسفى، و غير ذلك، مما سوف نتعرض لبعضه قريبا- إن شاء الله.

### أبرز المصنفات في التفسير بالرأى المحمود:

- ١- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى.
- ٢- أنوار التنزيل و أسرار التأويل، للقاضى عبد الله بن عمر البيضاوى.
- ٣- مدارك التنزيل و حقائق التأويل، لأبى البركات عبد الله بن أحمد النسفى.
- ٤- لباب التأويل فى معانى التنزيل، لعلاء الدين على بن محمد الخازن.
- ٥- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبى حيان.
- ٦- غرائب القرآن و رغائب الفرقان، لنظام الدين بن الحسن النيسابورى.

### و من تفاسير الرأى المذموم، أو الفرق المبتدعة:

- ١- تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضى عبد الجبار المعتزلى.
- ٢- الكشاف، لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري، جار الله المعتزلى.
- ٣- مجمع البيان لعلوم القرآن، لأبى على الفضل بن الحسن الطبرسى، الشيعى.

### ١٤- تفاسير القرآن:

المتصفح لكتب التفاسير التى خلفها لنا علماء أمتنا الفضلاء، يرى تنوعا كبيرا بينها، بحيث يمكن تقسيمها إلى عدة أقسام، بالنظر إلى عدة اعتبارات، و نستطيع أن نرجع أهم تلك الأقسام إلى اعتبارات ثلاثة:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٧٨

- ١- الاعتبار الأول: من حيث المصادر التى يستمد منها التفسير، و هو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين، تفسير بالمأثور، و تفسير بالرأى، و يدخل تحت التفسير بالرأى كل أنواع التفسير بالرأى المحمود، و المذموم، بسائر اتجاهاته الفقهية، و الصوفية، و البلاغية، و الأدبية، و الموضوعية، و التحليلية، و الإجمالية، و العلمية، و غير ذلك.
- ٢- الاعتبار الثانى: من حيث التوسع و الإيجاز فى التفسير، و هو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين، تفسير تحليلى، و تفسير إجمالى.
- ٣- الاعتبار الثالث: من حيث عموم موضوعات التفسير، التى تقابل المفسر فى كل سورة، و من حيث خصوص موضوع بعينه فى



القرآن كله، و هو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين، تفسير عام، و تفسير موضوعي. و لا شك في أنه لا مانع أن يدرج تفسير معين، تحت أكثر من قسم من هذه الأقسام، باعتبارات مختلفة، لأن هذه الاعتبارات لم يراع فيها المقابلة، فلم تكن العلاقة بينها علاقة تناقض.

## ١٥- التفسير التحليلي والإجمالي:

### إشارة

ينقسم التفسير من حيث التوسع في بيان ألفاظ القرآن و معانيه، و عدم التوسع في ذلك إلى قسمين: تحليلي، و إجمالي. أما التفسير التحليلي: فهو مأخوذ من الحل بمعنى: الفتح، و نقض المنعقد. قال ابن منظور: «و حلّ العقده يحلها حلا، فتحها و نقضها، فانحلت». ٨٢ و هو في الاصطلاح قريب من هذا المعنى اللغوي، حيث يراد به: بيان الآيات القرآنية بيانا مستفيضا من جميع نواحيها، بحيث يسير المفسر في هذا البيان مع آيات السورة آية آية، شارحا مفرداتها، و موجهها إعرابها، و موضحا معاني جملها، و ما تهدف إليه تراكيبها من أسرار و أحكام، و مبينا أوجه المناسبات بين الآيات و السور، مستعينا في ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة، و بأسباب النزول، و بالأحاديث النبوية، و بما صح عن الصحابة و التابعين، و بغير ذلك من العلوم التي تعينه على فهم النص القرآني و توضيحه للقرءاء، مازجا ذلك بما يستنبطه عقله، و تمليه عليه نزعه.

### المصنفات فيه:

لما كانت الاعتبارات مختلفة في تقسيم التفاسير، فإنه من البدهي إمكان إدراج تفسير واحد تحت أكثر من قسم، بأكثر من اعتبار، فمثلا يمكن إدراج تفسير ابن جرير الطبري ضمن كتب التفسير بالمأثور، و ضمن الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٧٩ كتب التفسير التحليلي، و يمكن إدراج تفسير القرطبي ضمن كتب التفسير بالرأى، و ضمن كتب التفسير التحليلي، و ضمن كتب التفسير الفقهي و هكذا، لأن العلاقة بين كل اعتبار و آخر ليست قائمة على المقابلة أو التضاد، و بالتالي فإن معظم ما ذكرناه من كتب التفسير بالرأى يصح أن يكون نموذجا للمصنفات في التفسير التحليلي.

### التفسير الإجمالي:

### إشارة

أما التفسير الإجمالي فإنه في الغالب يكون موجه للقاعدة العريضة من الناس، و بالتالي فلا يدخل المفسر في التفاصيل الدقيقة، و المباحث المتخصصة. و إنما يهتم ببيان المعنى العام باختصار، سائرا مع الآيات حسب ترتيبها في المصحف الشريف، و هو- أي المفسر- كما يقول الدكتور أحمد السيد الكومي- رحمه الله:- «إذ ينطق بعبارته التي صاغها من ألفاظه يأتي- بين الفينة و الفينة- بلفظ من ألفاظ القرآن، حتى يشعر السامع أنه لم يكن بعيدا في تعبيره عن سياق القرآن، و لا مجانباً لمجموع ألفاظه، و حتى يحقق التفسير من جانب، آخر، و يكون رابطا نفسه بنظم القرآن من جانب آخر، و يكون في الموضع الذي يجانب فيه لفظ القرآن آتيا بلفظ أوضح عند السامعين، و أيسر في الفهم عند المخاطبين» ٨٣

والمفسر- في سبيل ما تهدف إليه الجمل من معان، و ما ترمى إليه من مقاصد- لا بد له من الاستعانة بما يحتاج إليه من آية أخرى، أو حديث نبوي، أو أثر صحيح عن السلف، أو بيت من أشعار العرب، أو حكمة مأثورة عن الحكماء و البلاغ.

هذا هو الغالب عند من يفسرون القرآن تفسيراً إجمالياً، لأنهم يخاطبون به الجانب الأعظم من المسلمين، فلذلك لا يتعرضون لمعالجة الجزئيات و التفاصيل بصورة متخصصة، و لكننا وجدنا بعضاً ممن كتب في التفسير الإجمالي يتعرض لبعض المسائل التي لا يفهمها إلا المتخصصون، كما فعل الجلالان، جلال الدين المحلي، و جلال الدين السيوطي في «تفسير الجلالين»، حيث تعرضا لأوجه الإعراب، و نبها على بعض القراءات، و نحو ذلك مما لا يفهمه إلا المتخصصون، و لا يدركه غيرهم.

### أهم كتب التفسير الإجمالي:

معظم كتب هذا الاتجاه ظهرت في العصر الحديث، و يأتي على رأسها التفاسير التالية:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٨٠

١- المصحف المفسر، للأستاذ محمد فريد و جدي.

٢- التفسير الوسيط، إصدار مجمع البحوث الإسلامية.

٣- التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزه.

٤- التفسير الواضح، للدكتور محمد محمود حجازي. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ١٦ ٢٨٠ - التفسير الفقهي: ..... ص: ٢٨٠

### ١٦- التفسير الفقهي:

#### إشارة

و من العلماء من اتجهت همته في تفسير القرآن إلى تفسيره تفسيراً فقهياً.

و المقصود من هذا الاتجاه: الاعتناء بآيات الأحكام، و استنباط القواعد منها و الأصول، و اكتشاف الثروة التشريعية لبيان أحكام الله- تعالى- التي كلف عباده الامتثال لها، و مدى حاجة جميع الأزمنة و الأماكن إلى هذه الثروة التشريعية، ليضمنوا السعادة في الدنيا، و الفوز بالآخرة.

و التفسير الفقهي بدت جذوره واضحة منذ العهد النبوي على يدي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، كيانه صَلَّى الله عليه و سلم للخيط الأبيض و الأسود بأنهما بياض النهار و سواد الليل، حين التبس الأمر على عدى بن حاتم، لما أحضر خيطين؛ أبيض و أسود، فلما توفي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم جدت للصحابة أمور لم تقع من قبل، فاتجهت عقولهم لإيجاد الحكم الشرعي لها من القرآن، فإن وجدوا فيه الحكم أنزلوه على الحادثة، و إلا انتقلوا إلى السنة النبوية، فإن لم يجدوا فيها حكماً أعملوا عقولهم، و اجتهدوا بما عندهم من مقومات الاجتهاد، حتى يخرجوا بالحكم المناسب.

و ظل الأمر هكذا في عهد الصحابة و عهد التابعين إلى عهد أئمة المذاهب الأربعة و غيرها.

هذا العصر شهد أموراً و حوادث كثيرة لم يكن لها مثيل من قبل، فاجتهد هؤلاء الأئمة في ضوء القرآن و السنة و غيرهما من مصادر التشريع، و قد ضرب لنا هؤلاء الأئمة المثل العليا في التسامح و عدم التعصب لآرائهم.

فلما خلف جيل الأئمة جيل المقلدين، رأينا التعصب الأعمى على أشده، و كأن قول من قلدوه قرآن لا يقبل المناقشة، أو سنة قاطعة لا يجوز مخالفتها.

و إحقاقاً للحق، و إنصافاً لأهل الفضل، فقد وجدنا من هؤلاء المقلدين من كان عفيف اللسان، و دائراً مع الدليل حيث يدور.

## المصنفات في التفسير الفقهي:

## إشارة

قبل عصر التدوين لم نر مصنفات في التفسير الفقهي، باستثناء مسائل متفرقة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٨١

يرويها أصحاب الكتب المختلفة عن الصحابة و التابعين، أما بعد عصر التدوين، فقد وجدنا كثيرا من المصنفات في ذلك، على اختلاف مذاهب العلماء الفقيهية، و نستطيع أن نذكر أهم المصنفات في التفسير الفقهي على النحو التالي:

## أولا: من الأحناف:

١- تفسير «أحكام القرآن»، لأبي بكر الرازي المعروف بالجصاص، و المتوفى سنة ٣٧٠ هـ.

٢- تفسير «التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية» لأحمد أبي سعيد المدعوب (ملاجيون) من علماء القرن الحادي عشر الهجري.

## ثانيا: الشافعية:

١- «أحكام القرآن»، للشافعي، من جمع أبي بكر البيهقي صاحب السنن.

٢- تفسير «أحكام القرآن» للكي الهراسي المتوفى سنة ٥٠٤ هـ.

## ثالثا: المالكية:

١- «أحكام القرآن» لابن العربي، المتوفى سنة ٥٤٣ هـ.

٢- «الجامع لأحكام القرآن»، للإمام القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ.

هذه أهم المصنفات في التفسير الفقهي لأئمة المذاهب من أهل السنة، أما الفرق الأخرى من الشيعة و غيرها فلها مؤلفات في ذلك، و لكنها لا تخلو من التعصب الشديد، بحيث تؤول النصوص القرآنية تأويلا يخدم مبادئها، أو على الأقل لا تتعارض معها، بما يخرج في النهاية بالألفاظ القرآنية عن معانيها و مدلولاتها.

## ١٧- التفسير البلاغي:

و من اتجاهات المفسرين للقرآن الكريم، الاتجاه البلاغي، حيث قصد أصحابه بيان إعجاز القرآن للناس جميعا في هذه الناحية، فإذا كان العرب قد اشتهروا بتباريهم في الفصاحة، و تسابقهم في البلاغة، و إذا كانوا قد جعلوا للكلام مملكة بدون ملك، فإنهم حينما جاءهم القرآن وجدوا فيه ذلك الملك الذي ينصاعون لنظامه، و يحتكمون لبيانه، فما فتى إلا و قد ملك قلوبهم، و بهر عقولهم، فانحنت هذه العقول لفصاحته راعية، و خرت تلك القلوب لبلاغته ساجدة.

و التفاسير جميعها تكاد لا تخلو من الاعتناء بهذه الناحية البلاغية، و لكن هناك تفاسير فاقت غيرها فيها، و يأتي على رأسها:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٨٢

١- «تفسير الكشاف»، لمحمود بن عمر الخوارزمي، المعتزلي، الملقب بجار الله الزمخشري، و هذا التفسير - بصرف النظر عما فيه من

اعتزاليات- أبرز بلاغة القرآن، من معان و بيان، بما يتضح لكل منصف كيف فاقت بلاغة القرآن كل بلاغة، و كيف أن القرآن صار للعرب معجم بلغاتهم، فما من نوع راق من أنواع البلاغة إلا رأوه قد جنح فيه إلى الوضع و التأصيل، و حينما قارنوا بينه و بين أسمى ما نطق به أعظم بلغاتهم، وجدوا الفرق بين البلاغتين كالفرق بين الناخب و المقلد، و إن دقت قلت: كالفرق بين الخالق و المخلوق.

٢- و من التفاسير البلاغية أيضا: تفسير «أنوار التنزيل، و أسرار التأويل» للقاضي البيضاوي.

و مع أنه اختصر تفسيره من الكشاف، إلا أنه أعمل فيه عقله، و ضمنه نكتا بارعة، و لطائف رائعة، و استنباطات دقيقة.

٣- و من هذه التفاسير البلاغية أيضا:

تفسير «إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم»، لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العماد الحنفي.

و قد اهتم أبو السعود في تفسيره هذا بإبراز النواحي البلاغية للقرآن، حيث كشف لنا عن أسرار التقديم و التأخير، و الإيجاز و الإطناب، و الفصل و الوقف، و التعبير بلفظ دون آخر، و استنباط المعاني الدقيقة المستورة في خبايا المفردات و التراكيب، و غير ذلك من أسرار علوم البلاغة الثلاثة، المعاني و البيان و البديع، التي لا يهتدى إليها إلا من منحه الله بصيرة نافذة، و حسا ثاقبا، و ممن تأثر بتفسير أبي السعود في الناحية البلاغية تأثرا عظيما، الإمام الألوسي- رحمه الله تعالى- في تفسيره «روح المعاني».

و يأتي في المكانة- بعد تلك التفاسير- من الاهتمام بالناحية البلاغية تفاسير أخرى، نقرأ فيها كثيرا من أسرار بلاغة القرآن، كتفسير أبي البركات النسفي، و تفسير «البحر المحيط» لأبي حيان، و «غرائب القرآن» للنيسابوري، و «تفسير الجلالين»، لجلال الدين المحلي، و جلال الدين السيوطي، و غيرها قديما و حديثا.

## ١٨- التفسير الصوفي:

### إشارة

و من التفاسير التي ظهرت على ساحة الثقافة الإسلامية تفاسير الصوفيين، و كلمة (صوفي) اختلف العلماء في أصلها اللغوي الذي اشتقت منه، على عدة أقوال لم تسلم كلها من النقد و الاعتراض، إما لغة و إما واقعا تاريخيا، ما عدا القول الذي ينص على أنه الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٨٣

مشتق من الصوف، فاللغة تؤيده، و الواقع يؤكد، لأنهم لبسوه زهدا في الحياة، و تخشنا في المعيشة.

و التصوف في نظر أصحابه يعني الزهد و الورع، و مجاهدة الهوى و النفس و الشيطان، للوصول بالروح إلى أعلى درجات الصفاء بقدر الإمكان.

و أول ما ظهرت الصوفية- كطريقة لها جماعة خاصة، و نظام معين- بالبصرة، و عرفوا آنذاك بالمبالغة في الزهد و العبادة أكثر من غيرهم، لذلك كان يقال: فقه كوفي و عبادة بصرية.

## الصوفية و تفسير القرآن:

تحت شعار «للقرآن ظاهر و باطن» انطلق الصوفيون يفسرون القرآن، و هو شعار ظالم باطل، لأن القرآن عربي، نزل يخاطب الناس بلغتهم، فإذا كانت ألفاظه تمثل الظاهر، فإن المراد من الباطن تلك المعاني التي تدل عليها تلك الألفاظ، أما أن تكون أفهام هؤلاء القوم- التي لم تؤسس على قوانين اللغة، و لم تراعى مدلولات الألفاظ وفق استعمال العرب الذين نزل القرآن بلغتهم- هي المرادة بهذا الباطن، فذلك هو الشذوذ في الفهم، و التطرف في الفكر.

و لقد أنتجت لنا مراحل التطور الصوفي نوعين من التفسير: أحدهما: التفسير الصوفي النظري، و يعتبر ابن عربي إمام هذا النوع، و

ثانيهما: التفسير الصوفي العملي الإشاري.

أما التفسير الصوفي النظري فهو عبارة عن: صرف معاني القرآن الظاهرة إلى معان فلسفية وافده من مجتمعات كافرة، تتعارض مع الإسلام.

و من أبرز المصنفات في هذا النوع ما جاء في كتابي «الفتوحات المكية» و «الفصوص» لابن عربي، و التفسير المنسوب إليه.

أما التفسير الإشاري: فهو شرح الآيات بخلاف ما يظهر منها عن طريق الإلهامات و المكاشفات، التي لا يمن الله بها إلا على أرباب السلوك- كما يقولون- دون نفي الظاهر، الذي تدل عليه لغة العرب.

و أهم المؤلفات في التفسير الإشاري:

١- «حقائق التفسير»، لأبي عبد الرحمن السلمي.

٢- «تفسير القرآن العظيم»، لسهل التستري.

٣- «غرائب القرآن و رغائب الفرقان» للنيسابوري، و إن كان غالب اهتمامه بغير التفسير الإشاري.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٨٤

٤- «روح المعاني» للآلوسي، و هو كسابقه أيضا، غالب اهتمامه بغير التفسير الإشاري.

بالإضافة إلى التفسير المنسوب لابن عربي، فكما اهتم فيه بالتفسير الصوفي النظري اهتم فيه أيضا بالتفسير الإشاري.

موقفنا من التفسير الصوفي: بالنسبة للتفسير الصوفي النظري: فإنه بالتأمل فيه، و بخاصة فيما ورد عن إمام هذا النوع في التفسير المنسوب إليه، و في كتابيه «الفتوحات المكية» و «الفصوص» لا يمكننا أن نعتبر ذلك تفسيرا للقرآن، و إنما هو فكر شاذ أريد به الذيوع، عن طريق التستر بزى تفسير الكلام الإلهي، و عباءة البيان القرآني، لأن هذا التفسير قائم على القول بوحدة الوجود، و معناه عندهم أنه ليس هناك إلا وجود واحد، كل العالم مظاهر و مجال له، فالله عندهم هو الموجود بحق، و كل ما عداه أوهاام و خيالات، و وصفها بالوجود إنما هو على سبيل المجاز، فإذا أضيف إلى ذلك بقية الأفكار الفلسفية التي تتعارض مع الإسلام، و التي قام عليها هذا التفسير، كان ذلك أدعى إلى نبذ هذا التفسير، لأنه انحراف ظاهر، و شذوذ واضح.

أما التفسير الإشاري: فرغم أنه لا ينفي الظاهر المراد، فقد رأينا فيه أيضا العجب العجيب، بحيث إنه لا يمكننا في كثير منه- إن لم يكن في أكثره- الجمع بين ما يقال إنه إشارات إلهية و الظاهر المراد، و أرى أن الأولى لنا- فيما لم يكن ظاهره البطلان و الفساد- التوقف في قبوله، لأنه مبنى على الوجدان، و هذا أمر لا نقطع بصحته لصالحه، إضافة إلى أنه يفتح المجال واسعا لادعاء الكاذبين في القول على الله- تعالى- بغير علم.

و إذا كان الآلوسي يقول في مقدمته تفسيره: «فالإلصاف كل الإلصاف التسليم للسادة الصوفية، الذين هم مركز للدائرة المحمدية ما هم عليه، و اتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل لكثرة العوائق و العلائق إليه.

و إذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار». ٨٤

فإن الدكتور/ محمد الذهبي- رحمه الله- يعقب على قوله هذا و على قول مثله لابن عربي بقوله: «و مثل هذه الأقوال أشبه ما تكون بالإكراه لنا على قبول وجدانيات القوم و شطحاتهم مهما أوغلت في البعد و الغرابة، و توريط لنا بتسليم كل ما يقولون تحت تأثير ما لهم في نفوسنا من المكانة العلمية و الدينية». إلى أن يقول: «إن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن مزلة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم، وليتهم احتفظوا بها

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٨٥

عند أنفسهم، و لم يذيعوها على الناس فيوقعهم في حيرة و اختلاف، إذا أراحونا من هذه الحيرة و أراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم، و قذف البعض لهم بالكفر و الإلحاد في آيات الله». ٨٥

## ١٩- التفسير الفلسفي:

## إشارة

و من العلماء من اتجه في تفسير القرآن اتجاها فلسفيا.

ففي العهد العباسي شجع العباسيون حركة الترجمة إلى العربية بصورة كبيرة و خطيرة في الوقت ذاته، حتى أضحت بغداد كعبة علمية و جامعة ثقافية، يمد إليها طلاب العلم من كل حدب ينسلون، و من الكتب التي ترجمت كتب الفلسفة، التي وقف حيالها علماء المسلمين فريقين:

(أ) فريق معارض محارب، حيث رآها تتعارض مع القرآن الكريم، و كان على قمة هذا الفريق الإمام أبو حامد الغزالي، و الفخر الرازي، الذي امتلأ تفسيره بالرد على هذه الفلسفة، في المواضع المناسبة.

(ب) و فريق أعجب بها إلى حد كبير، رغم هذا التعارض الظاهر، لأنه رأى أنه يمكن التوفيق بين القرآن و الفلسفة بإحدى وسيلتين:  
 ١- الوسيلة الأولى: تأويل النص القرآني بما يساير أقوال الفلاسفة، و هذا من الخطورة بمكان، لأن فيه لئنا لعنق الآية الكريمة، و إكراه ألفاظها على معان لا تحتملها، و ليست مرادة لله - عز و جل - من قرآنه، هذا فوق ما فيه من شطط واضح، و إلحاد ظاهر في آيات الله.  
 ٢- الوسيلة الثانية: شرح النصوص القرآنية بآراء الفلاسفة، و تلك أخطر من سابقتها، حيث تجعل كلام الفيلسوف هو الأصل المتبوع، و كلام الله - عز و جل - هو الفرع التابع، و في هذا قلب للموازن، و إلحاد أعظم و أخطر من سابقه.  
 و لكن هذا التوفيق رغم الجهد الجهيد من أصحابه، كان في غاية الضعف و الهزال، و لذلك لم يجد من تصدى لهدم تلك الآراء الفلسفية صعوبة في الإتيان عليها من قواعدها، فخر عليها سقفها من فوقها.

## المؤلفات في التفسير الفلسفي:

المتتبع لمؤلفات من طغت عليهم تلك النزعة التفسيرية، لا يرى لهم تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم، و إنما هي شروح مبنوثة لهم ضمن مؤلفاتهم، و من أبرز هؤلاء:

١- أبو نصر الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ، في كتابه «فصوص الحكم». ٨٤

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٨٤

٢- إخوان الصفا، الذين يمتون في أغلب الظن بصلة إلى الباطنية الإسماعيلية، حيث كانت لهم رسائل عرفت باسمهم «رسائل إخوان الصفا»، ضمنوها كثيرا من هذه التأويلات الملحدة. ٨٧

٣- ابن سينا المتوفى سنة ٣٧٠ هـ، و يعتبر بطل هذه النزعة، و كان له مسلك خطير في ذلك، حيث كان يقوم على إلغاء الظاهر، و اعتباره رمزا لمعان أخرى، ففسر الجنة و النار و الصراط، و الملائكة و الشياطين، و غير ذلك تفسيراً يخرج بالإنسان عن ملة الإسلام، حيث يسلبه الفهم الصحيح لأركان الإسلام، و مقومات الإيمان. ٨٨

## ٢٠- التفسير الأدبي الاجتماعي:

## إشارة

و هو لون جديد من ألوان التفسير ظهر في العصر الحديث، أراد به رواده البعد عن المباحث التحليلية الدقيقة، و المصطلحات و التخصصات العميقة، التي ربما تقف حائلا دون هداية الناس إلى المراد من إنزال القرآن الكريم. فتناولوا بيان النص القرآني بطريقة

تظهر مواضع دقته و بلاغته، بأسلوب شائق جذاب، ثم طبقوا ذلك النص على ما فى الكون من نظم العمران، و سنن الاجتماع، بما يظهر للناس أن سعادتهم فى الدنيا و فوزهم فى الآخرة رهن العمل بهذا القرآن.

### رواد هذا الاتجاه:

و أهم رواد هذا الاتجاه:

الشيخ محمد عبده، الذى يعتبر زعيم و عميد هذا الاتجاه، و تلميذه البار به الشيخ الأستاذ محمد رشيد رضا، و الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر.

و من أبرز مزايا هذا الاتجاه: ٨٩

- ١- بيان أن القرآن الكريم هو الأصل فى التشريع.
- ٢- إظهار ما فى القرآن الكريم من شفاء لكل الأمراض الاجتماعية.
- ٣- تفنيد كل الشبهات التى أثرت حول الإسلام.
- ٤- البعد عن الأحاديث الموضوعه و الضعيفة.
- ٥- تحذير الناس من الإسرائيليات، لما لها من آثار خطيرة فى التفسير، بل فى العقيدة ذاتها، لأنها تصور الإسلام على أنه دين خرافات و أوهام.

و لكن أصحاب هذه الاتجاه، وقعوا فيما حذروا الناس منه، فرأيناهم فى بعض المواضع يروون تلك الإسرائيليات و لا يعقبون عليها، كذلك رأيناهم يرجعون إلى التوراه و الإنجيل، و يفسرون بهما مبهمات القرآن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٨٧

و مجمله، بل تجاوزوا حدهم حينما رأيناهم أحيانا يصرفون المعنى المتبادر من ظاهر النص القرآنى، ليوافق ما جاء فى التوراه.

٦- عدم الخوض فيما استأثر الله - تعالى - بعلمه، و عدم التكلف - غالباً - فى تعيين مبهمات القرآن، حتى يظل للإسلام نبعه الصافى بعيداً عن الظنون و التخيلات.

٧- سهولة العبارة و بلاغتها، و عدم استخدام مصطلحات العلوم و الفنون، إلا بقدر الضرورة، لأن الزج بتلك المصطلحات يصرف الناس عن تدبر القرآن، و العمل به.

أما عن عيوب هذا الاتجاه فىأتى على رأسها ما يلى:

١- الحرية المطلقة للعقل فى فهم النصوص الشرعية، فلئن قال الزمخشري المعتزلى قديماً: «امش فى دينك تحت رايه السلطان - أى العقل - و لا تقنع بالروايه عن فلان و فلان». ٩٠ فإن عميد هذا الاتجاه و هو الشيخ محمد عبده حيث يقول عن العقل:

«و من قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه». ٩١

و يقول أيضاً: «إذا تعارض العقل و النقل أخذ بما دل عليه العقل». ٩٢

بل إن الشيخ عبد العزيز جاويش أحد أتباع هذا الاتجاه يقول: «إن من الممكن أن تصل العقول البشرية بالبحث و التنقيب و التجارب إلى ما تصبو إليه النفس الإنسانية من مراتب الكمال فى الأحكام و التصورات، و النظم الاجتماعية، و المسائل العلمية، و الآداب

الخليقة». ٩٣

لقد نسى هؤلاء أو تناسوا أنه لا تعارض على الإطلاق بين الدين و العقل، أو بين الدين و العلم، و إذا كان العقل يستطيع أن يصل إلى قمة التشريع فى كل نواحي الحياة فلما ذا أرسل الله الرسل؟ و لما ذا قال تعالى:

وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء: ١٥]؟



٢- و نتيجة لهذا الخطأ القاتل وجدناهم يقعون في خطأ آخر و هو: صرف النصوص الشرعية عن ظواهرها لتتفق مع عقولهم القاصرة، بما أدى بهم في النهاية إلى إنكار أشياء ثابتة بالشرع ثبوتاً حقيقياً، و متواترة باللفظ و المعنى من جيل إلى جيل، و تذرعوها في ذلك بالتمثيل و التخيل، فأنكروا الملائكة، و الجن، و السحر، و المعجزات الحسية.

٣- و من عيوب هذا الاتجاه أيضاً: رد الأحاديث الصحيحة، التي تتعارض مع مبادئهم، بزعم أنها أحاديث آحاد، أو باحتمال الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٨٨

أن الصحابة حدثوا بها عن أهل الكتاب، و نحو ذلك من التعليقات الباطلة التي لا تستطيع الصمود أمام النقد العلمي النزيه.

### أهم المصنفات في هذا الاتجاه:

- ١- تفسير جزء «عم» للشيخ محمد عبده.
- ٢- «تفسير المنار» لرشيد رضا.
- ٣- «تفسير المراغي» للشيخ محمد مصطفى المراغي.
- ٤- «تفسير القرآن الكريم» للشيخ محمود شلتوت من أول الجزء الأول من القرآن إلى نهاية الجزء العاشر منه.

### ٢١- التفسير الموضوعي:

#### إشارة

كما اهتم العلماء بدراسة السورة القرآنية كلها من أول آية منها إلى آخر آية فيها، مهما تعددت موضوعاتها، فقد اهتموا كذلك بإفراد موضوع خاص بالبحث و التحليل، و عرف ذلك في الوسط التفسيري ب «التفسير الموضوعي». و قد بدا ذلك الاهتمام في نواح ثلاث:

١- دراسة موضوعات تتعلق بمفردات القرآن، أو أساليبه، أو بيان ناسخه و منسوخه، أو أسباب نزوله، و نحو ذلك. مثل: «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني، و «التيبان في أقسام القرآن» لابن القيم، و «الناسخ و المنسوخ» لأبي جعفر النحاس، و «أسباب النزول»، لكل من الواحدى و السيوطى.

٢- الوحدة الموضوعية للسورة، و ذلك بالكلام عن السورة ككل، من ناحية أغراضها العامة و الخاصة، مع ربط موضوعاتها، بعضها ببعض، حتى تبدو السورة، و هى فى منتهى التناسق و الإحكام، و كأنها عقد من لؤلؤ منظوم فى غاية الإبداع. يقول الشاطبى: «إن السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها فهى تكون قضية واحدة، تهدف إلى غرض واحد، أو تسعى لإتمامه، و إن اشتملت على عديد من المعانى». ٩٤

و من أبرز من اهتم بهذه الناحية الفخر الرازى - رحمه الله - فى تفسيره «مفاتيح الغيب» ثم البقاعى فى تفسيره «نظم الدرر» ثم سيد قطب فى تفسيره «فى ظلال القرآن» بصورة لم يسبق إليها، و لم يقاربه فيها أحد إلى الآن، و كذلك الدكتور محمد محمود حجازى فى رسالة الدكتوراة «الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم»، و فى تفسيره المسمى ب «التفسير الواضح».

٣- جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد من موضوعات العقيدة و العبادات و المعاملات و الأخلاق و غيرها، الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٨٩

و بيانها بالشرح و التحليل و الاستنباط، و ذلك منهج حديث معاصر، اهتمت به كلية أصول الدين فى جامعة الأزهر، اهتماماً عظيماً، حيث قعدت قواعده، و أصلت أصوله، و خطت منهجه الواضح من خلال جعله مادة مقرر على طلابها، و من خلال توجيه همه طلاب



الدراسات العليا في مرحلتى الماجستير و الدكتوراه لإعداد رسائل في موضوعات هذا النوع من التفسير.

و هذه الأنواع الثلاثة التى تهتم بإفراد موضوع خاص من الموضوعات التى تتعلق بالقرآن الكريم لم تظهر فى وقت واحد، و إنما ظهرت على مراحل متدرجه، فأقدمها النوع الأول، يليه الثانى، ثم الثالث، و إن كان الثالث يضرب بجذوره فى القدم، ليصل إلى العهد النبوى، و يدل على ذلك تفسيره صلى الله عليه و سلم للظلم المراد فى قوله تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ [الأنعام: ٨٢] بقوله تعالى: إِنَّ الشُّرُوكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [لقمان: ١٣]، فقد جمع الرسول صلى الله عليه و سلم الآيات التى تتحدث عن موضوع واحد و هو الظلم، و خرج لنا بالمعنى المراد لله - تعالى - منه فى سورة الأنعام.

و لكن هذا النوع الثالث، لم تكتمل صورته، و لم يأخذ سماته الأخيرة و شكله النهائى و منهجه الواضح إلا فى هذا العصر الحديث على أيدى أساتذة كلية أصول الدين جامعة الأزهر كما سبق ذكره.

(ملاحظة): مصطلح التفسير الموضوعى إذا أطلق الآن لم يرد منه إلا هذا النوع الثالث، الذى نستطيع وضع تعريف له على النحو التالى: التفسير الموضوعى هو: بيان مراد الله - تعالى - بقدر الطاقة البشرية - فى موضوع معين من موضوعات القرآن الكريم، عن طريق جمع الآيات الخاصة به، و دراستها وفق منهج خاص، يبرز لنا هدف هذا الموضوع و أبعاده، و يبين غنى الإسلام تماما عن كل منهج سواه، و يوضح أن السعادة كل السعادة فى اتباع المنهج الإلهى، و الشقاء كل الشقاء فى الإعراض عنه.

### منهج الدراسة فى التفسير الموضوعى:

تتمثل أبرز نقاط هذا المنهج فى الخطوات الآتية:

١- اختيار الموضوع القرآنى المراد دراسته دراسة موضوعية، و وضع اسم خاص له.

٢- حصر آيات هذا الموضوع مكيفا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٩٠

و مدنيها، و عدم ترك آية منه، فقد تمثل تلك الآية الحكم النهائى فى الموضوع، فيخرج الحكم خاطئا.

٣- ترتيب آيات هذا الموضوع ترتيبا زمانيا قدر الإمكان، حسب نزولها على النبى صلى الله عليه و سلم.

٤- الاستعانة بأسباب نزول هذه الآيات.

٥- الاستعانة بالأحاديث النبوية و آثار السلف الخاصة بالموضوع.

٦- بيان مناسبة كل آية من هذه الآيات فى سورها.

٧- دراسة هذه الآيات دراسة موضوعية متكاملة، يراعى فيها التوفيق بين مطلقها و مقيدها، و عامها و خاصها، و دفع ما يوهم التعارض

بين ظاهرها، و التنبه على ناسخها و منسوخها، بحيث تلتقى الآيات و ما استعين به من أحاديث و آثار فى مصب واحد، دون لى عنق

إحداها على معنى لا تحتمله.

٨- و فى النهاية يصاغ الموضوع صياغة جيدة بأسلوب شائق، و يوضع فى إطار جميل، و هيكل متناسق.

### المصنفات فى التفسير الموضوعى:

و المصنفات فى التفسير الموضوعى بمعناه الشائع الذى وضحنه بلغت من الكثرة ما يفوق الحصر، خاصة بعد أن حذت الجامعات الإسلامية، و أقسام الدراسات الإسلامية و العربية فى مصر و فى جميع أنحاء العالم حذو - كلية أصول الدين - بجامعة الأزهر فى هذا الاتجاه، و فتحت أعين المهتمين بالدراسات القرآنية فى هذا المجال، بالدرجة التى يستحيل على أى باحث حصر الإنتاج العلمى العالمى فى التفسير الموضوعى، و لكننا نذكر على سبيل المثال بعضا من هذه المصنفات:

- ١- «المرأة في القرآن الكريم»، لعباس العقاد.
- ٢- «الربا في القرآن الكريم»، لأبى الأعلى المودودي.
- ٣- «الوصايا العشر»، لشيخ الأزهر الأسبق، الشيخ محمود شلتوت.
- ٤- «البداية في التفسير الموضوعي»، للدكتور/ عبد الحى الفرماوى.
- ٥- «الجدل في القرآن الكريم»، للدكتور/ زاهر عواض الألمعى.
- ٦- «الجيش المسلم، غايته و قيادته و جنده في ضوء القرآن الكريم»، للدكتور/ جمال مصطفى عبد الحميد النجار.

## ٢٢- الترجيحات في التفسير:

### إشارة

قلنا سابقا إن الاختلاف بين المفسرين قسمان: اختلاف تنوع، و اختلاف تضاد،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٩١

و اختلاف التنوع يمكن لنا الجمع بين الأقوال فيه، أما اختلاف التضاد فلا يمكن لنا الجمع فيه بين تلك الأقوال. و موقفنا مع روايات السلف التي لا يمكن الجمع بينها كالاتى:

(أ) إن كان فى الروايتين أو الروايات صحيح و ضعيف، قدم الصحيح على الضعيف.

(ب) و إن كانت الروايات كلها صحيحة رجحنا ما كان منها معتمدا على الشرع، فإن لم يكن شرع يقوى أيا منها أخذنا ما اعتمد على دليل من اللغة أو غيرها.

فإن تعارضت الأدلة أو لم نستطع ترجيح قول على آخر بأى وسيلة فوضنا الأمر لله - تعالى - و آمننا بما جاء فى كتابه، و يعامل هذا النص القرآنى معاملة المتشابه.

قال الإمام أبو طالب الطبرى - فيما نقله عنه السيوطى فى شأن اختلاف الصحابة:

«و إذا تعارضت أقوالهم و أمكن الجمع بينها فعل، نحو أن يتكلم على الصراط المستقيم، و أقوالهم فيه ترجع إلى شىء واحد، فيدخل منها ما يدخل فى الجمع، فلا تنافى بين القرآن، و طريق الأنبياء، و طريق السنة، و طريق النبى صلى الله عليه و سلم، و طريق أبى بكر و عمر، فأى هذه الأقوال أفرده كان محسنا.

و إن تعارضت رد الأمر إلى ما ثبت فيه السمع، فإن لم يجد سمعا و كان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدها رجح ما قوى الاستدلال فيه، و إن تعارضت الأدلة فى المراد، علم أنه قد اشتبه عليهم، فيؤمن بمراد الله - تعالى - و لا يتجهج على تعيينه، و ينزله منزلة المجمل قبل تفصيله، و المتشابه قبل تبينه». ٩٥

هذا كله إذا كانت الروايات واردة عن شخصين أو أكثر، فإن كانت واردة عن شخص واحد قدمنا الصحيح على غيره، فإن كانت مستوية فى الصحة قدم المتأخر على المتقدم، فإن لم نعرف المتأخر من هذه الروايات الصحيحة سلطنا معها مثل ما سلطنا مع الروايات الصحيحة الواردة عن شخصين أو أكثر.

و يرى بعض العلماء - كالزركشى - أنه إذا تعذر الجمع بين أقوال الصحابة قدم قول ابن عباس - رضى الله عنهما - على غيره، لدعاء النبى صلى الله عليه و سلم له، بينما يرى الشافعى - رحمه الله - تقديم قول زيد بن ثابت فى مسائل المواريث، لشهادة رسول الله صلى الله عليه و سلم له فيها. ٩٦

## المرجحات فى التفسير ٩٧:

**إشارة**

بالإضافة إلى ما قررناه الآن يوجد عدة مرجحات يرجع إليها، لترجيح رأى على غيره، و يأتي على رأس هذه المرجحات:  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٩٢

١- مرجحات قرآنية.

٢- مرجحات حديثة.

٣- مرجحات إجماعية.

٤- مرجحات تاريخية.

٥- مرجحات لغوية.

**أولاً: مرجحات قرآنية:**

و أبرز هذه المرجحات ما يأتي:

١- قبول ما وافق القرآن، ورد ما خالفه.

٢- ترجيح ما تأيد بالقرآن على غيره.

٣- قبول القول المبني على قراءة متواترة، ورد ما بني على قراءة شاذة.

٤- القول المبني على قراءة ثابتة مقدم على القول المبني على ردّ هذه القراءة.

٥- ترجيح ما وافق رسم المصحف، على ما خالفه.

٦- ترجيح ما كان موافقاً للسياق القرآني على غيره.

**ثانياً: مرجحات حديثة:**

و أبرزها ما يلي:

١- القول المؤيد بالحديث مرجح على غيره.

٢- ترجيح ما وافق السنة على ما خالفها.

٣- القول المؤيد بسبب النزول مقدم على غيره.

**ثالثاً: مرجحات إجماعية:**

و يأتي على رأسها: كل ما خالف الإجماع فهو مردود.

**رابعاً: مرجحات تاريخية:**

و يأتي على رأسها: القول المؤيد بالتاريخ مقدم على المخالف للتاريخ.

**خامساً: مرجحات لغوية:**

و يأتي على رأسها:

- ١- تقديم ما كان موافقا لظاهر اللفظ القرآني المعهود، على ما كان مخالفا له.
  - ٢- تقديم المعهود من كلام العرب على غيره.
  - ٣- تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي.
  - ٤- القول بالحقيقة مقدم على القول بالمجاز، إن لم تكن قرينة تؤيد المجاز.
  - ٥- تقديم المعنى العرفي على المعنى اللغوي.
  - ٦- الأصل وجوب حمل الكلام على الترتيب دون ادعاء تقديم أو تأخير في الألفاظ.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٩٣
- ٧- متى صح القول بعدم القلب فلا يجوز القول به. ٩٨
  - ٨- القول بعدم الزيادة أرجح من القول بها.
  - ٩- القول بالتغاير أولى من القول بالترادف.
  - ١٠- تقديم القول بالعموم على القول بالخصوص، بدون دليل.
  - ١١- تقديم القول بالإطلاق على القول بالتقييد بدون دليل.
  - ١٢- القول بعدم الحذف مقدم على القول بالحذف.
  - ١٣- ترجيح المؤيد بالتصريف أو الاشتقاق على غيره.
  - ١٤- الأصل في الأمر الوجوب، وفي النهي التحريم.
  - ١٥- تقديم القول بالتأسيس على القول بالتأكيد.

## ٢٣- الدخيل في التفسير:

### إشارة

حينما يسمع الإنسان كلمة (دخيل) يتبادر إلى ذهنه كلمة (أصيل)، و بيانهما هنا في غاية الأهمية، لأننا لا نستطيع أن نقف على الدخيل في التفسير إلا إذا وقفنا على الأصيل فيه. و كلمة الأصيل لغة تطلق على عدة معان يجمعها قدر مشترك، و هو: ما له أساس متين، و أصل ثابت مكين. ٩٩

أما في مجال التفسير فيطلق على: ما ثبت عن طريق القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة أو التابعين ثبوتا مقبولا، و على ما ورد عن طريق التفسير بالرأى المحمود.

و ذلك لأن نظر المفسر يتجه أول ما يتجه في بيان المراد إلى القرآن ذاته فإن لم يجد فيه ما يفسر به نظر إلى السنة، فإن لم يجد فيها اتجه إلى أقوال الصحابة ثم أقوال التابعين، فإن لم يجد، أعمل رأيه و كدّ ذهنه للوصول إلى المراد بعد توافر شروط و أدوات و علوم المفسر فيه.

أما الدخيل فيطلق لغة على عدة معان، يقول ابن منظور: «و الدّخل: ما داخل الإنسان من فساد في عقل، أو جسم، و الدّخل و الدّخل: العيب الداخل في الحسب، و فلان دخيل في بني فلان، إذا كان من غيرهم، فتدخل فيهم». ١٠٠

و على ذلك فالدخيل لغة: يطلق على ما ليس له أصل ثابت، و لم يقم على أساس متين أو ركن ركين، في ذلك المجال الذي اقتحمه.

و بناء على تقسيمنا الأصيل إلى الأصيل في المأثور (القرآن و السنة و أقوال الصحابة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٩٤

و التابعين) و أصيل في الرأي، و هو الرأي المحمود، فإننا نستطيع أن نقسم الدخيل إلى دخيل في المأثور، و دخيل في الرأي، و نقول إن الدخيل في الاصطلاح هو:

ما نسب كذبا إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلم، أو إلى صحابي، أو تابعي، أو ما ثبتت روايته عن صحابي أو تابعي، و لكن هذه الرواية فقدت شروط القبول، و على ما صدر عن رأى فاسد، لم تتوافر فيه شروط التفسير بالرأى المحمود.

### أنواع الدخيل في المأثور:

و يضم الدخيل في المأثور الأنواع التالية:

١- الأحاديث الموضوعة على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلم.

٢- الأحاديث الضعيفة، خاصة إذا كان ضعفها لا ينجبر بحال، وفق ما قرره علماء الحديث.

٣- الإسرائيليات المخالفة للقرآن و السنة، و كذلك التي يعبر عنها بالمسكوت عنه، حيث لا مؤيد لها و لا مخالف لها في شرعنا.

٤- ما نسب إلى الصحابة و لم يثبت عنهم.

٥- ما نسب إلى التابعين و لم يثبت عنهم.

٦- ما تعارض من أقوال الصحابة أو أقوال التابعين مع القرآن أو السنة أو العقل تعارضا حقيقيا لا يمكن الجمع بينه و بين هذه الأشياء.

### أنواع الدخيل في الرأي:

تتعدد أنواع الدخيل في الرأي وفقا لسبب الخطأ في التفسير بالرأى، فهذه الأسباب متعددة يأتي على رأسها ما يلي:

١- الإلحاد في آيات الله - تعالى - مع سوء القصد.

٢- الأخذ بظاهر المنقول، دون النظر إلى ما يليق بذاته - تعالى - و ما لا يليق.

٣- تحريف النصوص الشرعية عن مواضعها، و تعطيلها و صرفها عن ظواهرها.

٤- التنطع في استخراج معان من بطون النصوص، دون دليل عليها.

٥- التنطع في اللغة و النحو، و الخروج عن القواعد المألوفة فيهما.

٦- تفسير القرآن مع فقد شروط و أدوات و علوم المفسر.

٧- التكلف في التوفيق بين النصوص القرآنية، و مكتشفات العلم الحديث.

و بناء على تلك الأسباب، فإن لكل سبب نوعا من أنواع الدخيل على النحو التالي:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٩٥

١- الدخيل عن طريق الملاحظة، و يأتي على رأس هؤلاء فرق الباطنية قديما، و البهائية و القاديانية حديثا.

٢- الدخيل عن طريق المشبهة و المجسمة.

٣- الدخيل عن طريق الفرق الإسلامية المبتدعة، كالشيعة و المعتزلة و الخوارج.

٤- الدخيل عن طريق الشطحات الصوفية.

٥- الدخيل عن طريق اللغة و النحو.

٦- الدخيل عن طريق افتقاد المفسر لأدوات التفسير.

٧- الدخيل عن طريق التفسير العلمى، كما وقع و يقع لكثير ممن يتحدثون فى الإعجاز العلمى للقرآن، بدعوى أن القرآن سبق العلماء بأكثر من أربعة عشر قرناً فى الحديث عن أمور تتعلق بالكون و النفس، و لم يعرف عنها العلماء شيئاً إلا فى أيامنا هذه.

## ٢٤- الإسرائيليات فى التفسير:

### إشارة

هذا النوع من أخطر أنواع الدخيل فى التفسير بالمأثور.

و لفظه (الإسرائيليات) جمع، مفردها إسرائيلية، و هى فى أصل إطلاقها حكاية أو قصة تذكر عن مصدر إسرائيلي، نسبة إلى بنى إسرائيل، و بنو إسرائيل ينسبون إلى جددهم الأعلى إسرائيل عليه السلام، و هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله تعالى. و لفظ بنى إسرائيل يطلق على كل من جاء من ذرية إسرائيل عليه السلام إلى عصر رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لكن غلب إطلاق لفظ اليهود على من تناسل من أبناء يعقوب و لم يؤمن بعبسى عليه السلام، أما من آمن بعبسى منهم فيطلق عليهم النصارى. و قد توسع العلماء فى إطلاق تلك التسمية (الإسرائيليات) حتى صارت تطلق على كل ما تطرق إلى التفسير و الحديث من أساطير قديمة، يهودية أو نصرانية و غيرها، و على ما لا أصل له فى مصدر قديم، و على ما دسّه أعداء الإسلام كذباً و زوراً ليشوهوا به صورة هذا الدين العظيم.

و إنما غلب اللون اليهودى على غيره، لأن غالب ما دخل من الخرافات و الأباطيل فى كتب التفسير كان عن طريق اليهود.

و كان من أبرز أسباب دخول الإسرائيليات فى حقل الثقافة الإسلامية ما يأتى:

١- اعتناق طائفة من اليهود الإسلام نفاقاً، ليحاربوا الإسلام، من داخل صفوفه بعد أن عجزوا عن محاربتة وجهاً لوجه، كما حدث من عبد الله بن سبأ اليهودى.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٩٦

٢- اعتناق جماعة من أهل الكتاب الإسلام عن حب و اقتناع، مثل عبد الله بن سلام، و تميم الدارى، و كعب الأحمار، و جلوس بعض من المسلمين إليهم ليحدثوهم عن تفصيل بعض ما أجمل فى القرآن، من قصص الأنبياء، و الأمم السابقة.

### أقسام الإسرائيليات:

تنقسم الإسرائيليات من حيث صدقها و كذبها إلى ثلاثة أقسام:

١- القسم الأول: ما جاء موافقاً لما فى شرعنا، فهذا يؤمن به و نصدقها، و مثاله: ما جاء فى «صحيح البخارى» و غيره فى صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى التوراة، و أنه موصوف فيها كصفته فى القرآن، حيث قال عطاء بن يسار لعبد الله بن عمرو: «أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى التوراة، فقال له: و الله إنه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن...».

الخ ١٠١

٢- القسم الثانى: ما جاء مخالفاً لما فى شرعنا، كتلك الروايات التى تصف الله - تعالى - و رسله - عليهم السلام - بما لا يليق، كتعب الله - تعالى - من خلق السموات و الأرض، و حزنه على خلق الإنسان لما رأى كثرة ذنوبه، و زنا لوط بابتنتيه، و حملهما و إنجابهما منه، و زنا داود بامرأة أوريا و حملها منه سفاحاً، و صنع هارون العجل الذى عبده بنو إسرائيل، فهذا القسم مرفوض مردود، لا يجوز تصديقه بحال من الأحوال.

٣- القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لعدم وجود دليل فى شرعنا يؤيده، أو يرفضه، و هذا القسم غالبه مما لا فائدة فيه، مثل تعيين

بعض البقرة الذي ضرب به قتييل بنى إسرائيل، و الشجرة التي أكل منها آدم- عليه السلام. و هذا القسم نتوقف فى الحكم عليه، فلا نصفه بالصدق أو الكذب، لعدم وجود دليل يبين لنا صدقه من كذبه، و عليه يحمل حديث «لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم».

١٠٢

### حكم رواية الإسرائيليات:

١- القسم الأول و هو الموافق لشرعنا:

تجوز روايته، و عليه يحمل حديث: «و حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج». ١٠٣ و سائر النصوص المشابهة.

٢- أما القسم الثانى و هو المخالف لشرعنا: فلا تجوز روايته، و لا يعقل أن تحمل عليه النصوص الدالة على التحديث عنهم، لأن رواية المكذوب لا تجوز إلا إذا اقترنت ببيان كذبها.

٣- أما القسم الثالث و هو المسكوت عنه:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٩٧

فإن بعض العلماء، كابن تيمية و الدكتور محمد الذهبى ١٠٤- رحمهما الله تعالى- يرى جواز روايته، استنادا لما فهموه من الإباحة فى حديث «حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج» و لكن بعضا من العلماء رفضوا رواية هذا القسم، و قالوا كما توقفنا فى تصديقه نتوقف فى روايته، فأى تصديق لروايته أقوى من أن نقرنها بالقرآن الكريم، فيتوهم القارئ أن فيها تفصيلا لما أجمل، و تبينا لما أبهم؟ و على رأس هؤلاء الراضين الدكتور محمد أبو زهو، و الشيخ أحمد شاكرو الدكتور/ عبد الوهاب عبد الوهاب فائد- رحمهم الله جميعا- ١٠٥ و هو رأى فى غاية القوة، و أحق أن يتبع، سدا للذريعة، و صيانة لصورة الإسلام العظيم، و كتابه الحكيم.

### ٢٥- بدع التفاسير و غرائب:

#### إشارة

و يقصد بهذا العنوان تلك المفاهيم التى استحدثها بعض الناس، و وضعوها لمعان عجيب و دخيلة على فهم السلف الصالح، و علماء الأمة المعتد بهم، فى بيان المعنى المراد من النص القرآنى. و على هذا: فإن بدع التفاسير و غرائب تعتبر من الدخيل فى التفسير بالرأى.

### أسباب هذه البدع و الغرائب:

يمكننا أن نعتبر كل ما ذكرناه من أسباب الدخيل فى التفسير بالرأى أسبابا لهذه البدع و الغرائب، و لكننا نخص بعضها هنا بالذكر، و على رأسها ما يأتى:

١- عدم اجتناب الأمور التى يجب على المفسر اجتنابها.

٢- تفسير القرآن باللغات الغربية النادرة.

٣- تخريج إعراب القرآن على الوجوه الضعيفة أو الشاذة.

٤- عدم مراعاة سياق الآية.

٥- تحريف الكلم عن موضعه، بتقطيع اللفظة الواحدة إلى لفظتين، أو تحويل اللفظتين إلى لفظة واحدة.

و من أمثلة تلك البدع و الغرائب:

- ١- ما ذكره الزمخشري و المعتزلة في تفسير قوله تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ [البقرة: ٢٥٥] بأن المراد بالكرسى: علم الله تعالى.
- ٢- ما ذكره بعض المتصوفة في الآية نفسها، في قوله تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ بِأَنَّ الْمَعْنَى (من ذل)، من الذل (ذى) يعنى النفس (يشف) من الشفاء، (ع) من الوعى، فقطعوا الكلمة الواحدة إلى أجزاء، و على عكس ذلك جعلوا الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٩٨
- الكلمتين كلمة واحدة، في تفسير قوله تعالى:
- وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت: ٦٩] حيث جعلوا من (اللام) و (مع) التى تفيد المعية كلمة واحدة، من اللعان، فقالوا: إن (مع) بمعنى أضاء. ١٠٦
- ٣- و ما ذكره بعضهم فى تفسير قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: وَلَكِنْ لِيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي [البقرة: ٢٦٠] من أن إبراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه، أى ليسكن هذا الصديق إذا عاين الإحياء. ١٠٧
- و من الكتب التى اهتمت ببيان هذه البدع و الغرائب كتاب «العجائب و الغرائب» لمحمود الكرمانى، و كتاب «بدع التفاسير» لعبد الله الغمارى، و خصص لها السيوطى النوع التاسع و السبعين فى إتقانه.

## ٢٦- ضوابط سلامة التفسير:

لكى يضمن المفسر سلامة تفسيره، عليه أن يراعى الضوابط الآتية:

- ١- أن يتجنب ما يأتى:
    - (أ) التفسير من غير حصول العلوم التى يجوز معها التفسير.
    - (ب) تفسير المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله تعالى.
    - (ج) التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بأن يجعل مذهبه أصلاً، و تفسيره فرعاً.
    - (د) التفسير مع الجزم بأن مراد الله كذا، من غير دليل قاطع.
    - (ه) التفسير بالهوى و الاستحسان. ١٠٨
  - ٢- مراعاة سبب النزول، فإن كثيراً من الآيات يتوقف فهمها على معرفته.
  - ٣- مطابقة التفسير لهدى النبى صلى الله عليه و سلم و سيرته.
  - ٤- مراعاة ما هو معروف، من نظام الكون، و سنن الاجتماع، و تاريخ البشرية العام و تاريخ العرب الخاص، و وقت نزول القرآن.
  - ٥- مراعاة المؤاخذة بين المفردات فى النص القرآنى.
  - ٦- ملاحظة المعانى المستعملة زمن نزول القرآن الكريم.
  - ٧- مراعاة المعنى الحقيقى و المعنى المجازى، فقد يكون أحدهما هو المراد دون الآخر، مع ملاحظة أن الأصل هو تقديم المعنى الحقيقى، إلا لقرينة ترجح المعنى المجازى.
  - ٨- مراعاة سياق الكلام.
  - ٩- مراعاة الغرض الذى سيق له الكلام.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٢٩٩
- ١٠- تقديم المعنى الشرعى على المعنى اللغوى.
  - ١١- تقديم المعنى العرفى على المعنى اللغوى.



- ١٢- عدم القول بالترادف ما أمكن، فإن للتركيب معنى غير معنى الأفراد.
- ١٣- اجتناب ادعاء التكرار ما أمكن، فإن التركيب يحدث معنى زائدا، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ.
- ١٤- ترك ما لا يصح سنده من أسباب النزول و أحاديث الفضائل، ففيما صحّ غنيه عما لم يصح.
- ١٥- ترك الإسرائيليات المخالفة لما في شرعنا، وكذلك المسكوت عنها، ففيها من الخطر على العقيدة و الإسلام الكثير و الكثير.
- ١٦- استعمال قواعد الترجيح، إذا تعددت الأقوال.
- ١٧- عدم التسرع إلى التفسير بظاهر العربية، من غير نظر إلى القرآن نفسه، و المنزل عليه، و المخاطب.
- ١٨- حمل كلام الله - تعالى - على المعنى الأغلب و الأشهر من اللغات، دون توجيهه إلى الأنكر أو الشاذ، ما وجد إلى ذلك سبيلا.
- ١٩- حمل كلام الله تعالى على عرف القرآن الخاص، و معانيه المعهودة دون غيرها.
- ٢٠- الاعتناء بتدبر الألفاظ، و معاني الدلالات، و معرفه معاني الأدوات، من الأسماء و الأفعال و الحروف و الظروف، لأن الأداة ترد بمعان مختلفة، يختلف معها المعنى باختلاف موقعها.
- ٢١- أن يراعى ضوابط إعراب القرآن. ١٠٩
- ٢٢- معرفه موضوع القرآن و هدفه، فهدف القرآن: هداية الناس إلى أحسن حال، و أفضل مآل، و كذلك التدليل على صحة نبوة النبي صلى الله عليه و سلم، فإخراجه عن هذين الهدفين لا يجوز بحال من الأحوال، كما يلتمس بعض أصحاب التفسير العلمي لكل نظرية علمية آية من القرآن.
- ٢٣- الوقوف على عادات العرب، فإن بعض الآيات لا يمكن فهمها إلا من خلال معرفه هذه العادات.
- ٢٤- استحضار جميع الآيات التي تندرج ضمن موضوع واحد، قبل البدء في تفسير أى آية منها، حتى يخرج بحكم صحيح.
- ٢٥- مراعاة الربط بين الآيه و تذييلها، فهذا يساعد على إدراك الإعجاز القرآني.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٠٠
- ٢٦- الوقوف على موهم الاختلاف و التناقض، و معرفه إزالة هذا التناقض الظاهري.
- ٢٧- معرفه الكليات و الأفراد في القرآن الكريم، و المراد بالكليات: الألفاظ و الأساليب الواردة في القرآن على معنى مطرد، أما الأفراد: فهي تلك الألفاظ أو الأساليب التي أتت بمعنى غير المستعمل عادة.

## ٢٧- خطوات المنهج الأمثل في التفسير:

- بعد أن يراعى المفسر:
- ١- توافر شروط المفسر فيه و إمامه بالعلوم المطلوبة منه.
  - ٢- و اجتنابه الأمور المحظورة في التفسير.
  - ٣- و الضوابط المطلوبة لسلامة تفسيره، و التي تحدثنا عن كل منها سابقا، عليه اتباع ما يلي:
- أولا: المرور بمصادر التفسير بالمأثور، على الترتيب الواجب، فيطلب المعنى أولا من القرآن نفسه، فإن لم يجده فمن السنة، و إلا فمن أقوال الصحابة، ثم من أقوال التابعين، على التفصيل الذي بيناه في موضعه.
- ثانيا: إن لم يجد المفسر المعنى في مصادر التفسير بالمأثور، فعليه إعمال عقله، مستعينا بالعلوم المطلوبة للمفسر، مراعيًا الأمور المحظورة، و ضوابط السلامة السابقة.
- ثالثا: ذكر مناسبة الآيه لما قبلها.

رابعاً: ذكر سبب النزول.

وقد وقع خلاف بين العلماء فى بأيهما يبدأ؟ ولعل التفصيل الذى ذكره الزركشى فى «البرهان» هو الأفضل، حيث قال- رحمه الله: «و اعلم أنه جرت عادة المفسرين أن يبدأوا بذكر سبب النزول، و وقع البحث فى أنه أيهما أولى البداءة به، بتقديم السبب على المسبب؟ أو بالمناسبة؟ لأنها المصححة لنظم الكلام و هى سابقة على النزول، و التحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول، كآلية السابقة فى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا [النساء: ٥٨]، فهذا ينبغى فيه تقديم ذكر السبب، لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد، و إن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة». ١١٠

خامساً: ثم البداءة بعد ذلك بالمفردات، من جهة اللغة و التصريف و الاشتقاق.

سادساً: ثم التعرض لما يتعلق بتراكيب الكلام، فيبدأ بإعراب ما يتوقف المعنى على إعرابه، ثم ما يتعلق بعلوم البلاغة الثلاثة،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٠١

المعاني، فالبيان، فالبدیع، لإظهار أسرار الإعجاز البلاغى.

سابعاً: ثم يبين المعنى المراد بعبارة سلسلة بليغة، مطابقة للنص المفسر، دون تزيد على معناه، أو إنقاص شىء من محتواه.

ثامناً: استنباط ما يمكن استنباطه، من أمور تتعلق بالعقيدة، أو بالأحكام الفقهية، أو البلاغية، أو غير ذلك، فى حدود القوانين الشرعية، و القواعد اللغوية.

مع ملاحظة أمرين فى غاية الأهمية:

أولهما: اجتناب كل ما يعتبر من قبيل الحشو، فلا يشحن تفسيره بمسائل الإعراب، و علل النحو، و دلائل أصول الفقه، و دلائل مسائل الفقه، فكل ذلك مقرر فى تأليف هذه العلوم، و إنما يؤخذ ذلك مسلماً به فى علم التفسير، دون استدلال عليه.

ثانيهما: التركيز على العنصر العملى فى القرآن، ببيان أن القرآن ليس كتاب تلاوة و ثقافة فقط، و لكنه كتاب علم و عمل، فيجب على المسلمين أن يتحركوا به فى دنيا الواقع، كما فعل الرسول صلى الله عليه و سلم و صحابته الكرام- رضى الله عنهم أجمعين.

## ٢٨- طبقات المفسرين و مدارسهم:

لما أنزل الله- تعالى- القرآن على رسول الله صلى الله عليه و سلم أمره بتبليغ ألفاظه، و تبين ما احتاج الناس إلى بيانه، قال تعالى: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [المائدة: ٦٧]، و قال أيضاً: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [النحل: ٤٤].

فامتثل النبى صلى الله عليه و سلم لأمر ربه، فبين لهم ما كان خافياً عليهم، و أزال عن قرآنه ما التبس منه، ففهم الصحابة قرآن ربهم و عملوا به، و لما انتقل الرسول صلى الله عليه و سلم إلى جوار ربه ترك عبء الدعوة الإسلامية، و تبليغ كتاب الله- عز و جل- و تبينه على عاتق أصحابه الكرام، فكان هؤلاء الصحب عند حسن الظن بهم، فانتشروا فى البلاد شرقاً و غرباً، و أسسوا للناس مدارس، تعلمهم كتاب ربهم، و تفقههم فى أمور دينهم.

و قد اشتهر من بين هؤلاء الصحابة:

الخلفاء الراشدون الأربعة، و عبد الله بن عباس، و عبد الله بن مسعود، و أبى بن كعب، و أبو موسى الأشعري، و عبد الله بن الزبير، و زيد بن ثابت، و أبو هريرة، و عائشة، و عبد الله ابن عمر، و عبد الله بن عمرو بن العاص، و جابر بن عبد الله.

ثم جاء بعد طبقة الصحابة طبقة التابعين الذين تتلمذوا على أيدي صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ما هى إلا سنوات قليلة إلا و قد وجدنا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٠٢

لجهد الصحابة الثمرة المرجوة منه، حيث لم يخلد هؤلاء الصحابة للراحة فى المدينة أو فى الأمصار المفتوحة، و إنما كانوا منارات علم

و تعليم، فأسسوا المدارس من أجل إنشاء جيل صار خير الأجيال بلا منازع بعد جيل الصحابة- رضى الله عن الجميع. و كان من أبرز تلك المدارس ثلاث مدارس، أثرت فى الحركة التفسيرية تأثيرا منقطع النظر، هذه المدارس هى: (أ) مدرسة مكة: و كان أستاذها عبد الله ابن عباس، و كان أبرز طلابها: سعيد بن جبير، و مجاهد بن جبر، و عكرمة أبو عبد الله البربرى، و عطاء بن أبى رباح، و طاوس بن كيسان.

(ب) مدرسة الكوفة: و أستاذها عبد الله ابن مسعود، و كان من أبرز تلاميذ هذه المدرسة الذين صاروا أئمة فى التفسير: علقمة بن قيس، و زر بن حبيش، و مسروق بن الأجدع، و عبيدة بن عمرو، و عبيد بن نضيلة، و الأسود بن يزيد، و أبو عبد الرحمن السلمى، و عامر الشعبي، و الحسن البصرى، و قتادة بن دعامة السدوسى.

(ج) مدرسة المدينة: و مؤسسها و أستاذها أبى بن كعب، و من أبرز تلاميذ هذه المدرسة الذين صاروا أئمة فى التفسير: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحى البصرى، و سعيد بن المسيب، و محمد بن كعب القرظى، و زيد بن أسلم. ثم بعد هذه الطبقة جاءت طبقة أخرى اهتمت بجمع أقوال الصحابة و التابعين فى التفسير، و على رأس هذه الطبقة: سفيان بن عيينة، و كيع بن الجراح، و شعبة بن الحجاج، و آخرون.

ثم جاءت بعدها طبقة أخرى، و على رأسها: محمد بن جرير الطبرى، و ابن أبى حاتم، و ابن ماجه، و الحاكم، و ابن مردويه، و ابن حبان، و ابن المنذر، و هذه التفاسير كلها بالمأثور، ليس فيها غيره، إلا تفسير ابن جرير الطبرى، فإنه فى معظم الأحيان يتعرض لتوجيه الأقوال التى يذكرها و يرجح بعضها على بعض، كما يتعرض للمسائل الفقهية، و أصول الفقه و القراءات و الإعراب و غير ذلك، مما جعل تفسيره فى غاية الأهمية لدى المشتغلين بالمأثور و بالرأى على حد سواء، و إن كانت الصبغة المأثورية هى الغالبة عليه.

و بعد هذه الطبقة التى كانت تهتم بذكر السند جاءت طبقة أخرى، أهملوا الإسناد، فالتبس الصحيح بالعليل، و تسلل الدخيل إلى التفسير.

إلى أن جاءت طبقة أخرى كان الواحد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٠٣

منهم أشبه بحاطب ليل، ثم خطا المفسرون بعد ذلك خطوة متخصصة، أو قريبة منها، حيث رأينا الواحد منهم يصبغ تفسيره بالصبغة التى برع فيها، أو طغت عليه، فوجدنا بعضهم يهتم بالإعراب و قواعد النحو و فروعها، كما هو صنيع الزجاج، و الواحدى، و أبى حيان، و وجدنا آخرين جعلوا كل همهم سرد القصص عن السابقين، بصرف النظر عن صحتها أو بطلانها، كما فعل الثعلبى، و وجدنا صنفا آخر صب اهتمامه على مسائل الفقه، و كأنه أراد بتفسيره أن يكون موسوعة فقهية، كما فعل القرطبى، كما رأينا صنفا آخر جعل العلوم العقلية و الفلسفية بؤرة اهتمامه فى التفسير، كالفخر الرازى.

أما أصحاب البدع، كالمعتزلة و الخوارج، فمتى لاحت لهم شاردة تخدم بدعتهم و خيل لهم أن لها موقعا فى تفسير الآيه سارعوا فى وضعها، كما فعل الزمخشري فى كشافه، و كذلك فعل الملاحدة، كالباطنية فى تفاسيرهم.

و مع امتداد الزمان و تنوع العلوم، و وقوف العلماء على كثير من أسرار هذا الكون، و مع تعدد نظم الاجتماع و العمران، رأينا فى كل عصر طبقة تهتم بناحية أو أكثر من نواحي القرآن.

أ. د. جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٠٤

مراجع الاستزادة: للاستزادة و التوسع فى موضوعات هذا المدخل يرجع إلى:

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى.

(٢) الإسرائيليات فى التفسير و الحديث للدكتور/ محمد الذهبى.

- (٣) أصول الدخيل في تفسير أي التنزيل، للدكتور/ جمال مصطفى النجار.
- (٤) البرهان في علوم القرآن للزر كشي.
- (٥) التفسير بالرأى، للدكتور/ جمال مصطفى النجار.
- (٦) التفسير بالمأثور، للدكتور/ جمال مصطفى النجار.
- (٧) التفسير و المفسرون، للدكتور/ محمد الذهبي.
- (٨) الدخيل في تفسير القرآن الكريم، للدكتور/ عبد الوهاب فائد.
- (٩) دراسات في مناهج المفسرين، للدكتور/ إبراهيم خليفة.
- (١٠) لمعة الاعتقاد، لابن قدامة.
- (١١) مدخل إلى مناهج المفسرين، للدكتور/ محمد جبريل.
- (١٢) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية.
- (١٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.
- الهوامش:

- (١) انظر القواميس، مادة (فسر)، و البحر المحيط لأبي حيان: ١٣/١، ط./ دار الفكر.
- (٢) البحر المحيط: ١٣/١، ١٤ باختصار يسير.
- (٣) البرهان: ٢/١٠٤، ١٠٥، ط./ دار المعرفة.
- (٤) التحرير ٣٦، ط./ دار المنار.
- (٥) مناهل العرفان: ٣/٢، ط./ الغنية المتحدة بالقاهرة.
- (٦) المصدر السابق: ١٠/٢.
- (٧) لسان العرب (أول) ط./ دار المعارف.
- (٨) تاج العروس للزبيدي (أول) ط./ الكويت.
- (٩) كما يقول الدكتور محمد الذهبي في: التفسير و المفسرون: ١/٢٠، طبعه المدني.
- (١٠) انظر في ذلك: التيسير في علم التفسير، لعمر النسفي: ١/٥٤ من تحقيق د. جمال مصطفى النجار، رسالة دكتوراه، و تاج العروس ٧/٢١٥، و البرهان للزر كشي: ٢/٢٨٦، و الإتقان للسيوطي: ٢/١٧٣، طبعه دار الندوة الجديدة ببيروت، و مناهل العرفان: ٢/٥.
- (١١) لسان العرب: (شبه).
- (١٢) لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، ٣٥، ٣٦ بشرح محمد العثيمين: طبعه الدار السلفية بالإسماعيلية.
- (١٣) البخاري: كتاب العلم، باب التناوب في العلم، طبعه عيسى الحلبي.
- (١٤) مسلم، كتاب الزهد، باب التثيت في الحديث، و حكم كتابه العلم، طبعه/ دار إحياء الكتب العربية.
- (١٥) البخاري، كتاب اللقطة، باب كيف تعرف لقطه أهل مكة.
- (١٦) انظر تهذيب التهذيب: ٥/٥٦٦ ط/ دار الفكر.
- (١٧) تذكرة الحفاظ: ١/٩٢ طبعه/ حيدرآباد بالهند.
- (١٨) تفسير ابن جرير الطبري: ١/٩٠ ط/ دار المعارف.
- (١٩) انظر الإتقان: ٢/١٨٩.

- (٢٠) وفيات الأعيان: ٣ / ٤٦٢ ط / دار صادر.
- (٢١) انظر صحيح البخارى، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم.
- (٢٢) انظر الإتقان: ٢ / ١٨٨.
- (٢٣) نص على هذا الشيخ محمد الفاضل بن عاشور فى كتابه: «التفسير و رجاله» ٢٩، ط / مجمع البحوث الإسلامية.
- (٢٤) انظر: التفسير و المفسرون: ١ / ١٥١.
- (٢٥) هو فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد جبريل فى كتابه القيم: «مدخل إلى مناهج المفسرين» ٨٣، طبعه الرسالة بالباب الأخضر بالقاهرة.
- (٢٦) انظر التفسير و المفسرون: ١ / ١٥٢ و هو يتحدث عن الخطوتين الثانية و الثالثة.
- (٢٧) انظر لسان العرب، و القاموس المحيط للفيروز آبادى، طبعه الرسالة، و مفردات الراغب الأصفهاني، مادة (نهج)، طبعه دار القلم.
- (٢٨) انظر الإتقان: ٢ / ١٨١.
- (٢٩) لسان العرب: (أثر).
- (٣٠) أصول الفقه للسرخسى: ١ / ١٥٢، طبعه دار الكتاب العربى بالقاهرة.
- (٣١) الإحكام فى أصول الأحكام للآمدى: ٢ / ٥٥، طبعه / محمد صبيح.
- (٣٢) سنن أبى داود، كتاب السنة، باب (٥)، طبعه / دار الفكر، و سنن الترمذى، كتاب العلم، باب (١٠)، طبع دار الكتب العلمية.
- (٣٣) إعلام الموقعين: ٢ / ٣٦١ طبعه / دار الجيل.
- (٣٤) إحياء علوم الدين: ١ / ٢٩٠، طبعه / دار البيان العربى.
- (٣٥) مسند أحمد: ١ / ٣٣٥ طبعه / دار الفكر.
- (٣٦) إحياء علوم الدين: ١ / ٢٩٠.
- (٣٧) تفسير ابن جرير: ١ / ٣٤ معارف.
- (٣٨) مسلم: كتاب الآداب، باب (٩).
- (٣٩) أبو داود: كتاب الأئمة، باب (٣٤)، و سنن ابن ماجه: كتاب الأئمة، باب (٣١)، طبعه / دار الفكر العربى.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٠٥

- (٤٠) البخارى: كتاب الوصايا، باب (٢).
- (٤١) فتح البارى: ٥ / ٤٣٤، طبعه / الريان.
- (٤٢) فتح القدير للشوكانى: ١ / ٣٣٥، طبعه / دار الخير، و الحديث فى صحيح البخارى كتاب الجهاد باب (٨٩) و فى كتاب المغازى، باب (٨٦).
- (٤٣) انظر فى تفصيل تلك الأنواع: التفسير بالمأثور: للدكتور جمال مصطفى النجار: ١١٧ و ما بعدها، طبعه / الحسين الإسلامية.
- (٤٤) مسند أحمد: ٤ / ٣٧٨، و سنن الترمذى: كتاب التفسير، تفسير الفاتحة.
- (٤٥) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب (٥٣، ٥٤).
- (٤٦) سنن الترمذى: كتاب التفسير، تفسير سورة العنكبوت.
- (٤٧) المصدر السابق فى تفسير سورة إبراهيم.
- (٤٨) المصدر السابق فى تفسير سورة الفتح.

- (٤٩) مسند أحمد: ٢ / ٤٤١.
- (٥٠) سنن الترمذى: كتاب التفسير، تفسير سورة الواقعة.
- (٥١) مسند أحمد: ٥ / ١٢، و الترمذى: فى كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة الآية: ٢٣٨.
- (٥٢) سنن الترمذى، كتاب التفسير، باب تفسير سورة البقرة.
- (٥٣) البخارى، كتاب التفسير، تفسير سورة الكهف.
- (٥٤) صحيح البخارى، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، و مسلم فى كتاب النكاح، باب (١١٧، ١١٨).
- (٥٥) البخارى، كتاب فضائل الصحابة، باب (١).
- (٥٦) كما فى إعلام الموقعين: ١ / ٨٠، ط. دار الجيل.
- (٥٧) الإتيقان: ٢ / ١٨٧.
- (٥٨) الكفاية فى علم الرواية، للخطيب البغدادي: ٤٨، طبعه / دار الكتب الحديثه.
- (٥٩) البخارى: كتاب فضائل الصحابة، باب (١).
- (٦٠) تهذيب التهذيب: ٤ / ١٢، طبعه / دار الفكر.
- (٦١) ميزان الاعتدال: ٣ / ٩، طبعه / عيسى الحلبي.
- (٦٢) تفسير الطبرى: ١ / ٩٠، ط. / المعارف.
- (٦٣) تهذيب التهذيب: ٧ / ٢٦٥.
- (٦٤) انظر فى ذلك مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية: ٣٨-٥٠، طبعه / دار ابن حزم.
- (٦٥) انظر فى ذلك: القاموس المحيط و لسان العرب (رأى)، و تفسير ابن جرير الطبرى: / ٨، ٣٥، ط / المعارف.
- (٦٦) إعلام الموقعين ١ / ٦٦.
- (٦٧) أى شركاء، كما فى لسان العرب (فوض)، طبعه / دار القلم.
- (٦٨) مقدمة جامع التفاسير للأصفهاني: ٩٣، طبعه / دار الدعوة.
- (٦٩) انظر الإتيقان: ٢ / ١٨٠.
- (٧٠) سنن الترمذى: كتاب التفسير، باب (١).
- (٧١) الترمذى فى الموضوع السابق، و أبو داود فى كتاب العلم، باب (٥).
- (٧٢) تهذيب التهذيب: ٥ / ٤، ط / دار الفكر.
- (٧٣) ميزان الاعتدال: ١ / ٤٣٢، و تهذيب التهذيب ٤ / ٢٦١.
- (٧٤) تفسير ابن جرير: ١ / ٧٨- ط / المعارف.
- (٧٥) الموضوع السابق.
- (٧٦) جامع بيان العلم و فضله لابن عبد البر: ٢ / ١٣٦، طبعه المنيرية.
- (٧٧) إحياء علوم الدين: ١ / ٢٩٠.
- (٧٨) مسند أحمد ١ / ٢٦٦.
- (٧٩) الإحياء: ١ / ٢٩٠.
- (٨٠) تفسير ابن جرير: ٨ / ٥٣، ط / المعارف.
- (٨١) تفسير ابن جرير: ١ / ٩٠، ط. / المعارف.

- (٨٢) لسان العرب (حل).
- (٨٣) التفسير الموضوعي، للدكتور أحمد الكومي: ٤، مذكرة مقررّة على طلاب كلية أصول الدين.
- (٨٤) روح المعاني: ١/ ١٨، ط./ دار الفكر.
- (٨٥) التفسير و المفسرون: ٢/ ٤٠٨ بشيء من الاختصار.
- (٨٦) انظر نماذج لذلك في «فصوص الحكم»: ١٤٦-١٧٥، ط/ السعادة.
- (٨٧) انظر نماذج لذلك في رسائل إخوان الصفا: ١/ ٩١، ٩٨، ١١٠ / ٤، ١٧٢-١٨٥، ط. تحفة الأخبار.
- (٨٨) انظر نماذج لذلك في رسائل ابن سينا: ١٢٤-١٣٢، طبعه/ الهند ١٩٠٨.
- (٨٩) انظر ذلك بالتفصيل في كتابنا: التفسير بالرأى: ٣١١-٣٤١، طبعه/ الحسين الإسلامية.
- (٩٠) أطواق الذهب للزمخشري: ١١٠، ط./ دار الفضيلة.
- (٩١) الإسلام و النصرانية للشيخ محمد عبده: ٥١، طبعه/ محمد صبيح.
- (٩٢) المصدر السابق: ٥٢، ٥٣.
- (٩٣) الإسلام دين الفطرة و الحرية، لعبد العزيز جاويش ١٣٧، ط./ دار المعارف.
- (٩٤) الموافقات: ٣/ ٢٤٩، ط./ محمد صبيح.
- (٩٥) الإتيقان: ٢/ ١٧٦.
- (٩٦) البرهان: ٢/ ٣١٣.
- (٩٧) انظر هذا الموضوع بتوسع في كتابنا: التفسير بالرأى ١١٥-٢٢٦.
- (٩٨) المقصود من قلب الكلام: أن بعض ألفاظه قد حلّ مكان بعض آخر منه، و أخذ حكمه أيضا، أما التقديم و التأخير فلا يأخذ أحدهما حكم الآخر.
- (٩٩) انظر لسان العرب، و القاموس المحيط، و المصباح المنير، مادة (أصل).
- (١٠٠) لسان لعرب (دخل). باختصار.
- (١٠١) انظر صحيح البخارى، كتاب التفسير، تفسير سورة الفتح، و كتاب البيوع، باب كراهية الصخب فى السوق.
- (١٠٢) البخارى: كتاب التفسير، باب (و قالوا اتخذ الله ولدا).
- (١٠٣) البخارى: كتاب الأنبياء (فتح البارى: ٦/ ٤٩٦).
- (١٠٤) انظر: مقدمة فى أصول التفسير: ٣٤، و الإسرائيليات للذهبي: ٨٦، ٨٧، طبعه/ مجمع البحوث الإسلامية.
- (١٠٥) انظر رأيهم فى: عمدة التفسير، للشيخ أحمد شاكر: ١/ ١٥، طبعه/ دار المعارف، و الدخيل للدكتور فائد: ١/ ١٥٧، طبعه/ حسان.
- (١٠٦) انظر التفسير و المفسرون: ٢/ ٤٠٩.
- (١٠٧) الإتيقان: ٢/ ١٨٦.
- (١٠٨) الإتيقان: ٢/ ٨٣ نقلا عن ابن النقيب.
- (١٠٩) انظر فى ضوابط إعراب القرآن، كتاب: تفسير القرآن الكريم، أصوله و ضوابطه، للدكتور على العبيد، طبعه/ الرياض.
- (١١٠) البرهان: ١/ ١٢٩، ط. دار المعرفة.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٠٦

## حقيقة القراءات، و حدّها:

### القراءات لغة:

جمع قراءة. و هي (مصدر قرأ أى نطق باللفظ. فهى: التلفظ). ١.  
(و تستعمل بمعنى اسم المفعول، فيراد بها:  
اللفظ المنطوق) ٢.

## و قراءات القرآن هي:

### إشارة

(صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، المنسوبة إلى أئمة معينين ناقلين لها) ٣، كقراءات نافع، و ابن كثير، و  
أبى عمرو.

فقراءة القرآن الواحدة هي:

(صورة نظم كلام الله تعالى من حيث ما فيها من وجوه الاختلافات المتواترة، المنسوبة إلى إمام معين ناقل لها)، كقراءة نافع، أو ابن  
كثير، أو أبى عمرو.

- و قد يراد من القراءات: الصور الواردة بالتبادل على اللفظ، كقولنا: قراءات لفظ الصُّرَاط (الفاتحه: ٦) ثلاث: الصاد الخالصة، و الصاد  
المخلوطة بصوت الزاى، و السين ٤.

- و قد يراد من القراءات: الكلمات و الكيفيات الواردة فى قراءة واحد معين - كابن كثير مثلاً- المختلفه عما ورد فى قراءة غيره،  
كقولنا: قراءات ابن كثير فى سورة الفاتحه هي: الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (الفاتحه: ٣-٤) بإظهار اليمين - خلافاً لمن أدغمهما-  
(ملك) بدون ألف - خلافاً لمن قرأها (مالك) بالألف، و (الصراط) بالسين من رواية قبل عنه - خلافاً لمن قرأها بالصاد الخالصة، و  
خلافاً لمن قرأها بالصاد المخلوطة بصوت الزاى-، و (عليهم) بكسر الهاء - خلافاً لمن ضمها-، و بصله ميم الجمع - خلافاً لمن أسكنها  
٥.

- و يتبين مما سلف أن حقيقة هذا المركب:

(قراءات القرآن) تعنى الأجزاء، و الكيفيات المخصوصه الداخلة فى ذات القرآن و صفاته ٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٠٧

و هي - حينئذ-: ما يستحق أن يسمى قراءات حقيقة، و يسمى قرآناً، و هي المتواترة، المجمع عليها، المعمول بها فى التلاوة التعبديّة، لا  
غير ذلك.

- و هذه أمثلة من (صور النظم، و الكلمات، و الكيفيات)، أى من (القراءات):

- فمن صور النظم: (قراءة فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ الْبَقْرَةَ: ٣٧) بنصب (آدم)، و رفع (كلمات) لابن كثير، و برفع (آدم)، و نصب  
(كلمات) بالكسر لغيره) ٧.

- و من الكلمات المختلفه المتوارده على الموضع الواحد: الواو فى قراءة وَ لَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (الشمس: ١٥) بالواو لغير نافع و ابن عامر و  
أبى جعفر، و الفاء فى قراءتها بها لهؤلاء الثلاثة) ٨.

- و من الكيفيات: إدغام اليمين فى الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ (الفاتحه: ٣-٤) لبعض القراء العشرة، و الإظهار للبعض الآخر ٩، و ضم الهاء



فِي عَلَيِّهِمْ (الْفَاتِحَةُ: ٧) لِحَمْزَةٍ، وَ كَسْرَهَا لِغَيْرِهِ ١٠.

## الحروف:

قد تسمى القراءات- أعنى الكلمات المختلفة و ما إليها- حروفا، فيقال: حروف القرآن، حروف القراء السبعة- مثلا- حروف نافع.  
- وقد أطلق العلماء لفظ حرف، و حروف، و قراءة، و قراءات بأكثر من إطلاق، فعلينا أن نتعرف على المراد من اللفظ المستعمل بمعونه السياق و المقام، فقد يراد من لفظ (القراءات) مثلا ما هو أعم من المتواترات، و إليك بيان المراد من قولهم في كتب الفن:

## فرش الحروف:

قال ابن القاصح: «القراء يسمون ما قل دوره من حروف القراءات المختلف فيها فرشاً، لأنها لما كانت مذكورة في أماكنها من السور فهي كالمفروشة، بخلاف الأصول، لأن الأصل الواحد منها ينطوي على الجميع، و سمي بعضهم الفرش فروعاً، مقابلة للأصول» ١١.  
و من أمثلة الفرش: إمالة التوراة (آل عمران: ٣) لأبي عمرو و الكسائي و من وافقهما إمالة كبرى، و الفتح لعاصم و من وافقه ١٢.  
و من أمثلة الأصول: إمالة كل ألف بعدها راء متطرفه مكسورة لأبي عمرو و من وافقه، و فتحها لابن كثير و من وافقه، مثل عُقْبَى الدَّارِ (الرعد: ٢٢) إلى آخر ما يشبه ذلك ١٣.

\*\*\*

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٠٨

## توقيف القراءات:

القراءات العشر المعمول بها، المعروفة في هذا الفن توقيفية.

و معنى التوقيف: التعليم.

و هو تعليم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ للأمة.

و الأدلة على التوقيف عديدة، و الفقرات التالية تتضمن قدراً من تلك الأدلة:

- قال الله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر: ٩) فالقرآن منزل من عند الله تعالى، و لا قرآن بدون قراءة، و القراءات العشر متساوية- كما بيناه في موضعه- فهي منزلة من عند الله تعالى، فهي توقيفية، و الذي علمها لنا هو الله تعالى، و قد قال سبحانه: الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (الرحمن: ١- ٢). و أول من تعلم القرآن من البشر هو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، و قد قال الله تعالى له: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (القيامة: ١٧- ١٨).

و قام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بتعليم الأمة، قال تعالى:

وَ قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (الإسراء: ١٠٦).

و أمر الله الأمة بقبول تعليم القرآن و الشريعة، قال تعالى: وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ (الحشر: ٧). و أمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بتلاوة القرآن، كما دلّ عليه قوله تعالى:

وَ أَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَ أَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ (النمل: ٩١- ٩٢)، كما أمر سبحانه الأمة بقراءته فقال: فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ (المزمل: ٢٠)، و مدح المشتغلين بتلاوته فقال: إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (فاطر: ٢٩- ٣٠). فقامت الأمة بواجبها، و اتبعوا، و لم يبتدعوا، و تعلموا من نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، ثم علم بعضهم بعضاً، و يبقى أمر التوقيف على نمطه هذا إلى ما شاء الله تعالى.

- و اشتملت كتب الحديث على جزئيات كثيرة من القراءات، مسنده إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سالكة طرقا غير طرق القراء، إذ هي طرق المحدثين- و لكل قوم طرقهم، و هذه طائفة من تلك الجزئيات نذكرها تدليلا على التوقيف، و استثناسا- و إن كانت هي و سائر ما روه لم يقصدوا به رواية ختمة:

عن أنس- رضى الله عنه- أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ (الفاحة: ٤) بالألف.

و عن أم سلمة- رضى الله عنها- أنه قرأه بدون ألف. (و الضمير فى (أنه) هنا و فيما يأتى للنبي- عليه الصلاة و السلام).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٠٩

و روى أبى- رضى الله عنه- أنه قرأ و لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ (البقرة: ٤٨، ٥٨) بالتاء. و لا تقبل.

و أنه قرأ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ (البقرة):

(٢٨٣) بدون ألف، و بضم كل من الراء و الهاء.

و أنه أقرأه بقراءتين: الياء، و التاء، فى:

فَلْيَنْفِرْ حَوْا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (يونس: ٥٨).

و أنه أقرأه فى عَيْنِ حَمِيَّةٍ (الكهف):

(٨٦) بالهمز.

و روى أيضا عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حامية بالألف بدون همز.

و قرأ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (الكهف: ٧٧) بتشديد التاء الأولى فى لَاتَّخَذْتَ، و إدغام الذال فى التاء، و

قرأها أيضا لتخذت بحذف همزة الوصل، و تخفيف التاء، و إظهار الذال، و كسر الخاء.

و كل ذلك فى قراءات العشرة. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٣٠٩ توقيف القراءات: ..... ص: ٣٠٨

ى غير ذلك من جزئيات كثيرة فى أكثر من مائة و أربعين حديثا شريفا ١٤.

- و اشتملت المصاحف العثمانية على جزئيات كثيرة من القراءات كان الرسم نسا فيها، و كلها فى قراءات العشرة، و هي منقولة من

صحف الصديق- رضى الله عنه- و من مصاحف الصحابة التى كتبت بين يدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أن صحف الصديق

منقولة مما كان فى بيوت أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما كتب بحضرتة، و مما كان مع الصحابة مما كتبه أيضا بين يديه- عليه

الصلاة و السلام ١٥.

و هذه طائفة منها لخدمة هذا الغرض بنحو ما أشرنا إليه آنفا من تدليل، و استثناس:

كتب: أَرَأَيْتَ (العلق: ٩) مثلا بألف بعد الراء فى بعض المصاحف العثمانية، و بدونها فى بعضها الآخر، و بهما قرئ ١٥.

و كتب: نَخْشَى (المائدة: ٥٢) بالياء فى بعض المصاحف، و بالألف فى بعضها، و قرئ بالإمالة إلى الياء، و بالفتح ١٦.

و كتب: إِلا قَلِيلٌ (النساء: ٦٦) قليلا بالألف فى المصحف الشامى، و بدونها فى بقية المصاحف، و قرئ بالنصب، و الرفع (٨٦).

و كتب: مَنْ يَزِدْ (المائدة: ٥٤) بدال واحدة فى المكى و البصرى و الكوفى، و بدالين فى البقية، و قرئ بالإدغام، و الفك (٨٧).

و كتب: وَ يَقُولُ الَّذِينَ (المائدة: ٥٣) بواو العطف فى العراقية، و بدونها فى البقية، و بهما قرئ ١٧.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣١٠

و كتب: ذُو الْجَلَالِ (الرحمن: بالواو فى غير المصحف العثمانى الشامى، و بالياء فى الشامى، و بهما قرئ ١٨.

إلى غير ذلك من الجزئيات المكتوبة فى المصاحف العثمانية الستة، نسا، أو إشارة ١٩.

- و أسانيد القراء العشرة، و طرق قراءاتهم التى بلغت زهاء ألف طريق مفصلة متصلة مرفوعة إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بتلاوة كل واحد على الآخر، و كلهم ثقات، متقنون، آخذون بالتوقيف البالغ الغاية فى الدقة، الواصل إليهم من رسول الله صَلَّى اللهُ

عليه و سلم، عن جبريل - عليه السلام - عن اللوح المحفوظ، عن رب العالمين - جل جلاله ٢٠. و قد فصل ابن الجزرى تلك الأسانيد فى كتابه الكبير «النشر فى القراءات العشر» فى حوالى مائة صفحة ٢١. و ذكر شارح «مسلم الثبوت» أن أسانيد القراء العشرة صحيحة بالإجماع، متلقاة بالقبول، و أنها أصح الأسانيد، و أن غيرها إذا عارضها فإنه يكون سندا لا يعاب به ٢٢. و هناك غير ذلك من الأدلة الدالة على أن القراءات المعمول بها مروية بالتوقيف ٢٣.

### تواتر القرآن:

التواتر هو نقل جمع عن جمع يؤمن تواترهم على الكذب، كما يؤمن وقوع الكذب منهم فى المنقول وقوعا اتفاقيا بدون تواتر فى كل طبقة، من أول السند إلى منتهاه.

و القرآن الكريم منقول بهذه الصفة فى كل طبقة. و الأدلة على تواتر القرآن عديده، نسوقها فى فقرات، تنطوى كل فقرة منها على بعضها، على النحو التالى:

١- قال الله تعالى: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (المائدة: ٦٧).

و البلاغ العام إنما هو بالتواتر ٢٤ و قد كان.

و يلاحظه من يلاحظ القرون.

و قال تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى (الأعلى: ٦) كما قال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر: ٩) و أجمعت الأمة على أن المراد بذلك حفظه على المكلفين للعمل به، و حراسته من وجوه الغلط و التخليط ٢٥ و الحفظ إنما يتحقق بالتواتر ٢٦. و هذا النص القرآنى

قد صارت به الأمة آمنة من أن يكون نقل القرآن آحاديا فى وقت من الأوقات ٢٧.

٢- و قد عرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه و سلم السادة عثمان بن عفان و على بن أبى طالب و أبى بن كعب و عبد الله بن مسعود

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣١١

و زيد بن ثابت و أبو موسى الأشعري و أبو الدرداء ٢٨ و قد حفظوه فى حياة النبى صلى الله عليه و سلم، و أخذ عنهم عرضا، و عليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة ٢٩.

و قد جمع القرآن غيرهم من الصحابة كعماذ بن جبل و أبى زيد و سالم مولى أبى حذيفة و عبد الله بن عمر و عتبة بن عامر ٣٠. و عرض القرآن على بعض من ذكروا السادة أبو هريرة و عبد الله بن عباس و عبد الله بن السائب و المغيرة بن شهاب المخزومي و

الأسود بن يزيد النخعي و علقمة ابن قيس و أبو عبد الرحمن السلمى و أبو العالية الرياحى ٣١.

و من لاحظ العصور و أحوال الرجال وجد الحصر للأعداد الكثيرة الناقلين للقرآن الكريم غير ممكن، و وجد الدقة و الإتقان وسعة العلم أمرا راسخا يقطع به على تواتر كتاب الله و سلامته، بل وجد عددا يبلغ أضعاف أضعاف ما يطلبون للتواتر من عدد ٣٢.

فهذا هو أبو الدرداء - رضى الله عنه - يقرأ عنده ثيف و ستمائة و ألف، لكل عشرة منهم مقرئ، و كان أبو الدرداء - رضى الله عنه - يكون عليهم قائما، و إذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبى الدرداء رضى الله عنه ٣٣.

و هذا ابن مسعود يأمر قارئاً متعجلاً بالترتيل.

«قال إبراهيم النخعي: قرأ علقمة على عبد الله، فكأنه عجل، فقال: فداك أبى و أمى رتل، فإنه زين القرآن ٣٤». هذا مع أنها عجلة - كما يبدو - لم تصل إلى درجة الإخلال بشيء فى القراءة.

و كان ابن مسعود يقرئ رجلا، فقرأ الرجل:

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ (سورة التوبة الآية ٦٠)، مرسله فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فقال: كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن، فقال: أقرأنيها:

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ، فمدها ٣٥.

و عدد من ذكرت من الصحابة أقل من نصف عدد المذكورين في لطائف الإشارات للقسطلاني، و لم يرد الحصر بل أشار إلى أن هناك غيرهم من الصحابة القراء أيضا ٣٦.

و ذكر الذهبي واحدا و عشرين من التابعين القراء و جعلهم الطبقة الثالثة، و هو كغيره لا يريد، و لا يدعى، و لا يمكنه الحصر ٣٧. و معلوم أن الإسلام في امتداد، و القراء في ازدياد.

و هذه «غاية النهاية» لابن الجزري، بلغت ترجمات القراء فيها ما يقرب من أربعة آلاف

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣١٢

ترجمة، فإذا كان هذا عدد القراء المقرئين فكم يكون عدد التلاميذ الحفاظ؟!!

و إن لنا أن نعتبر بعدد تلاميذ أبي الدرداء المذكور آنفا، و طائفة قرأت على ابن مسعود ٣٨، و أولاد جمعهم سيدنا عمر- رضى الله عنه-، في المكتب، ليحفظوا القرآن ٣٩ و بلوغ عدد التابعين إلى أربعين في عد «الإتقان» ٤٠، و أربعة و أربعين فيما نعه في النشر ٤١ و نعتبر بالازدياد كما أشرنا، فعلم أن التواتر و الصحة في جميع العصور من بدهيات الأمور، و نعلم أن المستقبل على نمط الماضي. ٣- و لا غرو بعد وضح هذا الواقع التاريخي للناس، المبين لما أشرنا إليه أن يجمع المسلمون، و تتفق الكلمة على أن القرآن متواتر صحيح يمتاز في ذلك عن كل ما عداه.

قال في «تيسير التحرير»: (و القرآن كله متواتر إجماعا) ٤٢.

و ذكر ابن أمير الحاج في «شرح التحرير»:

(أن جميع القرآن متواتر إجماعا) ٤٣.

و قال النويري: (القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة، منهم الغزالي و صدر الشريعة، و موفق الدين المقدسي و ابن مفلح و الطوفي، هو: ما نقل بين دفتي المصحف نقلا متواترا. و قال غيرهم: هو الكلام المنزل على رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم للإعجاز بسورة منه. و كل من قال بهذا الحد اشترط التواتر- كما قال ابن الحاجب رحمه الله- للقطع بأن العادة تقضى بالتواتر في تفاصيل مثله، و القائلون بالأول لم يحتاجوا للعادة لأن التواتر عندهم جزء من الحد، فلا يتصور ماهية القرآن إلا به. و حينئذ فلا بد من حصول التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة، و لم يخالف منهم أحد فيما علمت- بعد الفحص الزائد- و صرح به جماعات لا يحصون كابن عبد البر و ابن عطية و ابن تيمية و التونسي في تفسيره، و النووي و السبكي و الإسنوي و الأزرعي و الزركشي و الدميري و الشيخ خليل و ابن الحاجب و ابن عرفة و غيرهم رحمهم الله. و أما القراء فأجمعوا في أول الزمان على ذلك، و كذلك في آخره، و لم يخالف من المتأخرين إلا أبو محمد مكي، و تبعه بعض ٤٤ المتأخرين).

ثم جَوَّز النويري أن يكون الإجماع انعقد قبل مكي، بل قال النويري: (بل هو الراجح لما تقدم من اشتراط الأئمة ذلك، كأبي عمرو بن العلاء و أعلى منه، بل هو الحق الذي لا محيد عنه) ٤٥.

٤- و العلم الضروري- من وراء تلك الأدلة النقلية- حاصل و الضروري لا يحتاج إلى دليل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣١٣

- بأن القرآن الكريم مصون، و نقلته يفوقون الحصر.

و في القرطبي: أنه يعلم على القطع و البتات، أن قراءة القرآن تلقينا متواترة عن كافة المشايخ، جيلا- فجيلا، إلى العصر الكريم، إلى

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٤٦.

و ذكر عبد الجبار أن كون القرآن منقول بالتواتر، معلوم بالضرورة ٤٧.

٥- والأصل أن القرآن متواتر بتفاصيله وجوبا.

و دليل هذا الأصل: أن القرآن الكريم لكونه كلام الله تعالى و لكونه مشتقاً على الأحكام الشرعية و لكونه معجزاً، فإنه مما تتوافر الدواعي على نقله بتفاصيله، و تقضى العادة بحفظه، فلا بد من تواتره بتفاصيله.

هكذا قرّر أهل الأصول التواتر ٤٨.

و التفاصيل المتواترة وجوباً- أو التي دلّ الدليل على وجوب تواترها- هي إجمالاً:

المتن، و الهيئة، و عدم الزيادة، و عدم النقصان، بل يدخلان في الهيئة.

و قال الغزالي: (حد الكتاب ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً. و نعى بالكتاب القرآن المنزل).

و قيدناه بالمصحف لأن الصحابة بالغوا في الاحتياط في نقله، حتى كرهوا التعاشير و النقط، و أمروا بالتجريد كيلاً يختلط بالقرآن غيره. «و نقل إلينا متواتراً، فعلم أن المكتوب في المصحف المتفق عليه هو القرآن، و أن ما هو خارج عنه ليس منه، إذ يستحيل في

العرف و العادة مع توافر الدواعي على حفظه أن يهمل بعضه فلا يتقل أو يخلط به ما ليس منه». ثم قال: فإن قيل: لم شرطتم التواتر؟

قلنا: ليحصل العلم به، لأن الحكم بما لا يعلم جهل، و كون الشيء كلام الله تعالى أمر حقيقي ليس بوضعي، حتى يتعلق بظننا، فيقال:

إذا ظننتم كذا فقد حرمتنا عليكم فعلاً، أو حللنا لكم، فيكون التحريم معلوماً عند ظننا، و يكون ظننا علامةً لتعلق التحريم به، لأن التحريم

بالوضع، فيمكن الوضع عند الظن، و كون الشيء كلام الله تعالى أمر حقيقي، ليس بوضعي، فالحكم فيه بالظن جهل ٤٩.

و قال محب الله، و عبد العلي: (قالوا اتفاقاً:

ما نقل آحاداً فليس بقرآن قطعاً، و لم يعرف فيه خلاف لواحد من أهل المذاهب، و استدلل بأن القرآن مما تتوافر الدواعي على نقله، لتضمنه التحدي، و لأنه أصل الأحكام، باعتبار المعنى و النظم جميعاً، حتى تعلق بنظمه أحكام كثيرة، و لأنه يتبرك به في كل عصر

بالقراءة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣١٤

و الكتابة، و لذا علم جهد الصحابة في حفظه بالتواتر القاطع. و كل ما تتوافر دواعي نقله ينقل متواتراً عادةً، فوجوده ملزوم التواتر عند

الكل عادةً، فإذا انتفى اللازم و هو التواتر انتفى الملزوم قطعاً، و المنقول آحاداً ليس متواتراً فليس قرآناً ٥٠.

- و قال السيوطي: (لا- خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً في أصله و أجزائه، و أما في محله و وضعه و ترتيبه

فكذلك عند محققي أهل السنة. للقطع بأن العادة تقضى بالتواتر في تفاصيل مثله، لأن هذا المعجز العظيم، الذي هو أصل الدين

القيوم، و الصراط المستقيم مما تتوافر الدواعي على نقل جملة و تفاصيله. فما نقل آحاداً، و لم يتواتر يقطع بأنه ليس من القرآن) ٥١.

- و بهذا اتضحت دلالة النقل، و العقل، و الواقع المائل للعيان على تواتر القرآن وجوباً، جملةً، و تفصيلاً، مادةً و هيئةً، و محلاً.

- و يؤخذ من التواتر القطع بأنه لا وصف لشيء من القرآن وراء التواتر البتة من شهرة أو صحة غير مصحوبة بالتواتر، فضلاً عما دون

ذلك.

- و يؤخذ مما سلف- و خصوصاً من كلام الغزالي- أن تواتر القرآن يدفع فريضة الزيادة فيه، و فريضة النقص منه، و يقطع دابرهما.

- و يؤخذ من جملة الأدلة أنه لا سبيل أصلاً إلى القطع بنموذج لقرآن منسوخ التلاوة، لأنه لا تدعى قرآنيته اليوم، و لا يدل دليل قطعي

على أنه كان متواتراً، فكيف يقال إنه كان قرآناً؟! أو يجب الإيمان بأنه كان قرآناً؟! هكذا يقال في كل نموذج على حدته.

- أما إذا بلغ عدد النماذج إلى ما يفيد التواتر المعنوي فإنه يفيد القطع- في الجملة- بأن من القرآن ما نسخت تلاوته.

و أما إذا ثبت نموذج ثبوتاً ظنياً، و أفاد هذا النموذج حكماً عملياً فإن الأخذ به يصح عند الجمهور، شأنه شأن العمل بالقراءة الشاذة ٥٢.

### هل قرئ بالشاذ على أنه قرآن؟

لم يقرأ بالشاذ- بحال- على أنه قرآن.

هذا هو حال أهل الحق. و الشاذ آحادى- قطعاً، و القرآن متواتر- قطعاً- فكيف يلتقيان!؟

و من انحرف عن حال أهل الحق فقد أدبوه، و استتابوه، فتاب، و أناب ٥٣.

### القرآن و القراءات:

إذا قرأت القرآن ثلاث مرات- مثلاً- بثلاث قراءات، لأبى جعفر، و يعقوب، و خلف

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣١٥

العاشر وجدت المرة الأولى مشتملة على تشديد الميم (البقرة: ١٧٣)، و كسر الطاء فى فَمِنْ اضْطُرَّ (البقرة: ١٧٣)، و حذف الهمز و نقل

حركته إلى النون، مع كسرها فى مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ (المائدة: ٣٢)، و غير ذلك مما فى قراءة أبى جعفر ٥٤.

و وجدت المرة الثانية مشتملة على إثبات الياء وقفا فى وَأَخْشَوْنَ (المائدة: ٣)، و فتح الفاء دون تنوين فى فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ (المائدة:

٦٩)، و غير ذلك مما فى قراءة يعقوب ٥٥.

و وجدت المرة الثالثة مشتملة على قراءة هُزُواً (المائدة: ٥٧) بسكون الزاى، و همز مفتوح بعدها، و غير ذلك مما فى قراءة خلف ٥٦.

و تجد القرآن واحداً فى الجميع، و ما الفرق بينها و بينه إلا أنها صور مختلفة له، يفتقر بعضها عن بعض بما تشتمل عليه كل ختمه فى

مواضع منها من وجوه تخصصها، و تجعل لها صورة تفتقر بها عن غيرها.

و ننظر إلى القراءات التى تتوارد على الموضوع القرآنى و ننظر إلى القرآن فى ختمه فنقول: القراءات التى دخلت فى الختمه أجزاء

دخلت فى القرآن، و هو كل لها- فالفرق بينهما هو الفرق بين الكل و أجزائه.

و القراءات التى لم تدخل فى هذه الختمه أجزاء للقرآن فى غير هذه الختمه ٥٧.

### \*\*\* القراءات و الأحرف السبعة:

أنزل الله تعالى القرآن على سبعة أحرف لتيسير تلاوته على الأمة (و الراجح فى معنى الأحرف السبعة أنها سبع لغات من أفصح لغات

العرب، كلغة قريش، و لغة تميم، و لغة أسد. و لكل واحد أن يقرأ بما تيسر له منها كما علم.

و من تعلمها و ميز بعضها عن بعض استطاع أن يقرأ سبع ختمات كل ختمه على حرف.

و اللغة الواحدة تشتمل على أكثر من وجه فى بعض الألفاظ، و فى بعض الأساليب، فالحرف الواحد يتسع لأكثر من قراءة تشتمل كل

قراءة منها على بعض الوجوه التى تميزها مفرقة عن صورة غيرها. فمن قرأ ختمتين بقراءتين فى ظل حرف وجد- بوضوح- أن عدد

القراءات يزيد عن عدد الأحرف و اتضح أن الفرق بينهما هو أن القراءات فروع عن الأحرف، كفروع الشجرة، فهى منها، و الشجرة

أصلها. و إذا كانت هذه الزيادة فى ظل الحرف الأول مثلاً فقس ذلك تجد مزيداً من القراءات و الأصل واحد و هو الأحرف السبعة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣١٦

و هذا مثال توضيحي: قرئ لفظ لَجْرِيْلَ (البقرة: ٩٧) مثلاً- بالهمز- و الهمز ينسب إلى لغة تميم- و بدونه- و هذا فى لغة قريش، و فى

المهموز قراءتان: (جبرئيل) بفتح كل من الجيم و الراء، و بياء ممدودة بعد الهمزة، و بدون هذه الياء. فهذان وجهان و قراءتان فى لغة

من الهمز. و فى غير المهموز قراءتان (جبريل) بكسر كل من الجيم و الراء، و بياء ممدودة بعد الراء، و بفتح الجيم فهذان وجهان و



قراءتان في لغة من لا يهمزون. و لزيادة عدد القراءات عن عدد الأحرف سبب آخر، و هو تداخل الأحرف، إذ لم يرد منعه، و يظهر أن النبي صَلَّى الله عليه و سلم عَلَّمَ من عَلَّمَ بعض القرآن على حرف، و بقيه القرآن على حرف آخر، فينتج من ذلك صورة ختمه مفترقة عن كل واحدة من السبع التي تكون كل واحدة منها على حرف واحد.

و لا- تخفى الكثرة الكاثرة من القراءات التي تنشأ عن تغيير مواضع الانتقال في الختمه من حرف أول إلى حرف ثان، و من حرف أول إلى حرف ثالث، و هلم جرا. و الحديث الصحيح لا يأبى هذا التداخل، إذ يقول:

(.... إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه) ٥٨ و لم يقل منها، فكان أوضح في العموم، إذا المعنى: فاقروا ما تيسر من المنزل- و هو السبعة، أعم من أن تكون مميزة واحدا واحدا أو متداخلة.

و هذا مثال توضيحي: (قرأ حفص: بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا (هود: ٤١) بِإِمَالَةٍ مَجْرَاهَا، و فتح مُرْسَاهَا، ٥٩، و الإمالة لغة عامة أهل نجد، و الفتح لغة أهل الحجاز) ٦٠، و هي قراءة- كغيرها من سائر قراءات العشرة من الروايات و الطرق المعينة- مسندة إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و متواترة، فدل ذلك على أن القراءة الواحدة اشتملت في بعض الجزئيات على حرف و لغة، و بعضها الآخر على حرف آخر و لغة أخرى و هذا هو التداخل، و به زاد عدد القراءات على عدد الأحرف السبعة، و تفرع الكثير عن القليل، و كان الفرق- على نحو مما سبق- كالفرق بين أجزاء من الشيء و جملة ذلك الشيء) ٦١.

- و بهذا ظهر اتحاد القراءات مع الأحرف السبعة اتحاد المعينة للشيء مع الشيء و سائر أجزاءه، و نعى بسائر أجزاء القرآن أجزاءه التي تنطق على وجه واحد في كل القراءات و في كل اللهجات التي نزل عليها القرآن الكريم، مثل ألفاظ سورة الفاتحة التي بهذه الصفة كلفظ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ، الرَّحِيمِ، يَوْمَ الدِّينِ، الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣١٧

مع ألفاظها الأخرى المقروءة بقراءات تنتسب إلى لهجات، أو تنتسب- بعبارة أخرى- إلى حرفين فأكثر من الأحرف السبعة.

### \*\*\* تواتر القراءات العشر:

- المراد بالقراءات العشر: القراءات المعمول بها في التلاوة التعبديّة، المجمع عليها، المعروفة في كتب الفن «كالشاطبية» «و الدرّة» «و الطيبة»، أو ما يتضمن ما تضمنته هذه الكتب الثلاثة.

- و معنى التواتر مبين في موضوع (تواتر القرآن) من هذا البحث.

- و الفقرات التالية تتضمن الدليل تلو الدليل على أنها متواترة حرفا حرفا:

- القراءات العشر أجزاء مادية، و صوريه للقرآن، و قد قام الدليل على وجوب تواتره مادة و هيئته، فهي متواترة.

- و هي سواء في ذلك و في صحه النقل من باب أولى، ليست إحداها أقل من غيرها في هذا الشأن، فالمعنى الذي يقوم ببعضها فيوجب تواتره موجود في البعض الآخر، فثبت أنها سواء، متواترة كلها ٦٢.

- و الوجوه المقروء بها حتى من قبل ظهور القراء العشرة، كقراءات لفظ الصُّرَاطِ بالصَّادِ الخالصة، و بالصاد المخلوطة بصوت الزاى، و بالسین ٦٣ هذه و غيرها من سائر جزئيات القراءات العشر جاءت كل جزئية منها من طريق و هو طريق القرآنية، و هو طريق واحد، لا يمر به إلا ما كان موصوفا بوصف القرآنية، و لم تأت من طرق بأوصاف مختلفة، و ما دام الطريق واحدا فكل جزئية من العشر قرآن، و بالتالي كل منها متواتر. و إلا فلو قلنا: إن إحداها متواترة دون غيرها- مع أن طريق الورد واحد لكان ذلك تحكما باطلا، و تضمن ترجحا لإحدى المتساويات على غيرها دون مرجح، و هو باطل، فحينئذ تكون الوجوه كلها متواترة، و هو المطلوب ٦٤.

- و الواقع يشهد بالتواتر، فإن جزئيات القراءات قد رواها معظم الصحابة- رضى الله عنهم- عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و رواها عن الصحابة التابعون، و أتباع التابعين عن سلفهم، و من هؤلاء و هؤلاء أئمة الأديان و شيوخ الإقراء، و رواها عنهم أمم لا يحصون

عددا، وهكذا في جميع العصور والأمصار، إلى يومنا هذا، ويستمر ذلك إلى ما يشاء الله. وأسماء الرجال الذين نقلوا العشر في كل طبقة- في كتب الطبقات و ما إليها- أكثر مما يعتبر في عدد التواتر. هذا مع اعتراف الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣١٨ المؤلفين في الرجال بأنهم لم يستقصوا كل رواة العشر ٦٥. - والإجماع قائم على قبول القراءات العشر، و على تواترها ٦٦. - والعلم الضروري بتواترها حاصل لدى العلماء، و ما علم بالضرورة لا يحتاج إلى دليل، كما قاله صاحب «فواتح الرحموت» ٦٧، و أشار على من كان في ريب أن يلاحظ القرون ٦٨. - و انحصار عدد القراء الأئمة في عشرة أمر اتفقي لا يقدر في تواتر أي جزئية من جزئيات قراءاتهم، و ذلك لما سلف آنفا من أدلة التواتر. و هناك من الأمور ما قد يوهم عدم التواتر، و لو في بعض من قراءات العشرة، و فيما يلي بيان ذلك، و إزالة الشبهة فيه. و بيانه و إزالة الشبهة فيه يزداد أمر تواتر القراءات العشر اتضاحا. و ها هو البيان:

### التواتر و آحادية المخرج:

تواتر قراءات العشرة ليس عن طريق ما دون في الأسانيد، لأنها ترجع إلى عدد محصور، و لكن إذا نظرت إلى أن هذا العدد المحصور لم يختص بها، بل كانت روايته هذه يقرأ بها غيره ممن لا حصر لهم- غاية الأمر أن المدونين اقتصروا على هؤلاء ليضبطوا ما دونه و يحرروه- فإنك تعلم قطعاً أنها كانت متواترة و لا تزال متواترة. فليست القراءات كالحديث مخرجها كمخرجها إذا كان مدارها على واحد كانت آحادية- ليس الأمر كذلك- و لكنها إنما نسبت إلى ذلك الإمام اصطلاحاً، و إلا فأهل كل بلدة كانوا يقرءونها أخذوها أمما عن أمم، و لو انفرد واحد بقراءة دون أهل العلم بالقراءات لم يوافق على ذلك أحد، بل كانوا يجتنبونها و يأمرؤن باجتنابها ٦٩.

### تواتر ما اختلف الطرق في نقله و ما انفرد بعضها به:

ليس المعتمد في العلم بصحة النقل و القطع على ثبوته أن لا- يخالف فيه مخالف، و إنما المعتمد في ذلك مجيئه عن قوم بهم يثبت التواتر و تقوم الحججة، سواء اتفق على نقلهم أو اختلف فيه ٧٠. فإذا تحققت التواتر بالطرق الناقله عن القراء فلا أثر لغيرها، سواء نفى ٧١ فيه نسبة شيء من المعمول به إلى قارئه أو سكت فيه عنها، لأن غاية النفي أنه ظني، و هو ملغى مع القطع الحاصل بالتواتر ٧٢. و على هذا فمن الباطل الزعم بأن ما اختلفت الطرق في نقله قرآن غير متواتر. و لا يشفع لهذا الزاعم الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣١٩ أنه يوجب قبوله إذا اشتهر ٧٣ و استفاض فهذا الحكم ثابت عندنا من التواتر الذي طالعنا دليله أكثر من مرة. و نحو ذلك يقال في انفردات باقية في المعمول به ٧٤.

### التواتر و قبيل الأداء:

المد و الإمالة- مثلاً- من صفات الأداء المتواترة، و من أجزاء القرآن كما سبق في بيان تواتر القراءات، إذ اللفظ مادة و هيئة، و الهيئة تسمى صفة، و صورة. أما قبيلها: فقيل المد هو ذلك الاختلاف في قدره، و قبيل الإمالة هو ذلك الاختلاف في قدر ما تنحى به الإمالة ٧٥. و قس على ذلك بقية صفات الأداء و قبيلها ٧٦.



وما كان من هذا القبيل واضحاً فهو منقول متواتر لأنه جزء من القرآن، كزيادة المد المتصل على الطبيعي. وما كان دقيقاً غامضاً ككون هذه الزيادة بمقدار زمني من الثواني هو كذا و كذا، أو ككون نطقى بالمد في طوله كنطق شيخى بلا أدنى زيادة ولا أدنى نقصان، أو ككون نطقى بالمد في المرة الثانية جاء على طول المرة الأولى التي رضىها شيخى بلا أدنى زيادة ولا أدنى نقصان، فإن هذا القبيل الدقيق الغامض نوع آخر ليس من نوع ما يتواتر أو لا يتواتر، وليس داخلاً فيما يقع به التكليف، بل الأمر فيه على السعة واليسر بدون إفراط ولا تفريط.

والخلاصة أن ما أدركه القراء بأذانهم وشعورهم ونقلوه في التلاوة فهو من أجزاء القرآن المتواترة، من قبيل الأداء كان ومن الهيئة أو من قبيل جواهر الألفاظ، كمد مالِك، وقصرها، والصاد المخلوطة بالزاي في الصَّراط، والإمالة الكبرى، والإمالة الصغرى. وما كان من الأمور الغامضة والعسيرة والمتعذرة فلا كلام فيه.

وما كان من إفراط في المد مثلاً، أو مبالغة في الإمالة حتى صارت كسراً أو صارت قريبة منه جداً فإنه من نوع قبيل الأداء، لكنه القبيل الذي أدركه أهل الصنعة وأدركوا أنه غير منقول، فمنعوا منه ٧٧. ثم نبه إلى أمر، وهو:

الشاذ المروى عن بعض العشرة- فنقول:

المعمول به في التلاوة التعبدية هو المتواتر عن القراء العشرة، وما شذ عن المعمول به فهو شاذ- كما سبق- حتى لو كان منسوباً إلى بعض العشرة.

وذلك أن الإمام منهم كان يقرئ بالوجه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٢٠

المتواترة، وكان يعلم وجوهاً أخرى غير متواترة، لا ليتعبد بها، ولكن لتستفاد- ما دامت صحيحة السند- فإنها تتضمن لغة، أو تفسيراً، أو غير ذلك، كما سيأتي في بيان أثر القراءات الشاذة. والرواة مميّزون غاية التمييز بين المتواتر والشاذ، ولا يمكن أن يلتبس ما هو قرآن بغيره. وعلى هذا فلا نستغرب ولا يشكل علينا أن يوصف وجه بالشذوذ وهو ينسب إلى بعض العشرة، ولا أن يوصف وجه بالشذوذ ويحتج به في التفسير أو غيره، فما هو إلا الشذوذ الذي يعنى الخروج عن المعمول به، المتواتر، وهذا لا يمنع الاستفادة به في غير التلاوة التعبدية.

وهذه نماذج منه:

مَعَايِشَ (الأعراف: ١٠) قرأها نافع معايش بالهمز.

بُشْرًا (الأعراف: ٥٧) قرئت بالباء وضمين والتنوين في وجه عن عاصم ٧٨.

وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ (الحاقة: ١٤) بتشديد الميم عن ابن عامر ٧٩.

لَا تُضَارُّ (البقرة: ٢٣٣) بتشديد الراء مع تسكينها لأبي جعفر ٨٠.

فمثل هذا يستفاد به في غير التلاوة التعبدية إذا كان منقولاً نقلاً يرتضيه العلماء، ولا يتلى على أنه قرآن.

### \*\*\* أنواع اختلاف القراءات العشر:

اختلاف القراءات العشر اختلاف تنوع و تغاير، لا اختلاف تضاد و تناقض، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى، قال تعالى: أَمْ يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (النساء: ٨٢).

### و أنواع اختلاف القراءات العشر ثلاثة:

- الأول: اختلاف اللفظ مع اتحاد المعنى.

مثل قراءة الصُّرَاطَ (الفاتحة: ٦) بالصاد، وقراءتها بالسين، فالمعنى واحد، واللفظ مختلف.

- الثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، مثل قراءة مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ (الفاتحة: ٤) بالألف، وقراءتها بدون ألف، فالقراءتان مختلفتان في اللفظ، ومعنى الملك يختلف عن معنى المالك - كما هو واضح والمراد في القراءتين هو الله تعالى، لأنه مالك يوم الدين، وملكه، فالاسمان والوصفان مجتمعان له تعالى.

- الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٢١

جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد، مثل: قراءة عَلِمْتَ بضم التاء للمتكلم، وقراءتها بفتحها للمخاطب، فاللفظ مختلف، والمعنى مختلف. ولا تناقض، فإن المتكلم يعلم، والمخاطب يعلم. وبيان ذلك أن قوله تعالى: قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ (الإسراء: ١٠٢) على القراءة بفتح التاء يعنى أن الله تعالى لما أتى موسى - عليه السلام - تسع آيات بينات، وهى اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنون، ونقص الثمرات، ومع ذلك أصر فرعون على الكفر، قال له موسى: لقد علمت يا فرعون أن هذه الآيات ما أنزلها إلا الله تعالى للعبرة، ولكنك تعاند. فرعون هو الذى أضيف إليه العلم فى هذه القراءة.

والمعنى على القراءة بالضم أن موسى - عليه السلام - هو الذى أضيف إليه العلم، أضافه موسى إلى نفسه، وأخبر بعلمه بذلك، يعنى أن العالم بذلك ليس مسحوراً أى مجنوناً أو مخدوعاً أو مغلوباً على عقله، فاختلقت القراءتان فى اللفظ وفى المعنى، ولم يمكن اجتماعهما فى شيء واحد، ومع ذلك لم يتضادا، لأنهما اجتماعاً من وجه، وهو حصول العلم بالآيات لكل من موسى عليه السلام، وفرعون - لعنه الله.

- وعلى هذا فليس فى شيء من القراءات تناف، ولا تضاد، ولا تناقض ٨١.

- وقد ينظر فى تنوع اختلاف القراءات - مع النظر إلى اللفظ والمعنى - إلى صورة الخط، والإثبات وعدمه، والتقديم والتأخير، فيخرج الناظر بهذه الطريقة بأنواع سبعة، وهى:

- الاختلاف فى الحركات، بلا تغير فى المعنى والصورة، مثل يَحْسَبُ (سورة الهزلة: ٣ - وجميع النظائر) بفتح السين وكسرها.

- الاختلاف فى الحركات، مع التغير فى المعنى، وعدم التغير فى الصورة، مثل فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ (البقرة: ٣٧) بضم الميم (آدم) وكسر تاء (كلمات)، و بفتح الميم، و ضم التاء.

- الاختلاف فى الحروف مع التغير فى المعنى لا الصورة، مثل تَبَلَّوْا (يونس: ٣٠)، و تَلَّوْا.

- الاختلاف فى الحروف و التغير فى الصورة دون المعنى، مثل الصُّرَاطَ (الفاتحة: ٦)، و (السرط) (وإن كانت صورة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٢٢

السين ليست فى المصاحف العثمانية فى هذا اللفظ ونحوه).

- الاختلاف فى الحروف و تغير المعنى، و تغير الصورة، مثل: أَشَدَّ مِنْكُمْ.

و أَشَدَّ مِنْهُمْ (غافر: ٢١).

- الاختلاف فى التقديم و التأخير، نحو فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ (التوبة: ١١١) ببناء الأول للمعلوم و الثانى للمجهول، و بتأخير المبنى للمعلوم و تقديم المبنى للمجهول.

- الاختلاف فى الإثبات، وعدمه، كإثبات واو العطف، و حذفها فى وَ سَارِعُوا (آل عمران: ١٣٣) ٨٢.

و كل هذه القراءات، و سائر المعمول به للعشرة على ما ذكرنا من البراءة من أى اختلاف ضارّ. و توجيهها، و بسط معانيها مكفول فى

كتب التفسير، و كتب التوجيه.

و هذا الاختلاف الثابت - بأنواعه - أشار إليه السكاكي في خاتمة «المفتاح» إشارة العارف بما هو سائغ: مروى أنزله الله تعالى في الأحرف السبعة و نزه كتابه العزيز عن كل شائبة.

### فوائد اختلاف القراءات العشر:

للقراءات العشر أثر يظهر بفوائده الكثيرة في مجالات عديدة، و إليك بيان ذلك:

### في العقائد و كتب علم الكلام:

- قرأ عاصم، و الكسائي، و يعقوب، و خلف العاشر قوله تعالى: **مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ** (الفتح: ٤) بالألف، و الباقر ملك بدون ألف ٨٣. فأفادت كل قراءة اسما من أسمائه تعالى، مركبا إضافيا، جزؤه الثاني **يَوْمَ الدِّينِ**، و هذا هو مناط هذه الفائدة، و لإفنى القرآن الكريم. **مَالِكِ الْمَلِكِ** (آل عمران: ٢٦)، و فيه **مَلِكِ النَّاسِ** (الناس: ٢).

و الاسمان المستفادان من القراءتين لم يذكرهما البيهقي في كتابه «الأسماء و الصفات».

- و قوله تعالى: **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ** (البروج: ١٥) قرأ المجيد بالجر حمزة و الكسائي و خلف - نعتا للعرش - و الباقر بالرفع - نعتا لله تعالى ٨٤. و معنى المجيد:

الرفيع العالى، و الكريم ٨٥. فاستفيد من القراءتين جواز إطلاق هذا الاسم الدال على صفة الرفعة و العلو و الكرم على الله تعالى، على وجه الكمال المطلق فى الصفة، و على العرش، لكن على وجه الكمال المحدود بحدود المخلوق.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٢٣

و قوله تعالى: **وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ** (التكوير: ٢٤) قرأه بالضاد نافع و ابن عامر و عاصم و حمزة و أبو جعفر و روح عن يعقوب و خلف، و قرأه الباقر بالطاء ٨٦.

و المعنى على قراءة الضاد: و ما هو على الغيب ببخيل بل هو معصوم من البخل بما أنزل إليه من ربه. فهذه القراءة تثبت عقيدة العصمة من الكتمان، و تثبت و جوب التبليغ، و الأمانة.

و المعنى على قراءة الطاء: و ما هو على الغيب بمتهم، بل هو معصوم من الوهم و الخطأ و النسيان، و كل ما يسبب تهمة له فيما يبلغه من وحى الله تعالى، فهذه القراءة تثبت عقيدة العصمة فى هذا الشأن، عقيدة الصدق المطابق للحق بلا أدنى شائبة، و عقيدة الفطانة المنافية للغفلة، و ما أثبتته القراءتان ثابت بأدلة كثيرة، ففائدتهما إثباته مرة أخرى، و توكيده، اهتماما به، و تعميقا له فى نفوس المؤمنين، مع هذا الإيجاز البليغ المعجز.

- و قوله تعالى: **وَلِكُلِّ وُجْهٍ هُوَ مُوَلِّيُّهَا** (البقرة: ١٤٨) قرأها بالياء من عدا ابن عامر، و قرأه ابن عامر مولاهما: بالألف.

و معنى القراءة الأولى أن لكل قاصد جهة يتجه إليها، و يوليها وجهه.

و معنى القراءة الثانية أن غيره هو الذى يوجهه إليها، و يوليها وجهه.

و الفاعل هنا هو الله تعالى فاعل التولية، و فاعلها فى القراءة الأولى هو العبد، فأفادت القراءتان أن الفعل الواحد يصح أن ينسب إلى الفاعل المختار - جلّ جلاله - و إلى العبد، و هو كذلك فإنه ينسب إلى الله تعالى إيجادا، و خلقا، و إلى العبد تلبسا و كسبا، أو اكتسابا، كما هى عقيدة أهل السنة و الجماعة.

- و للقراءات أثر ضئيل فى كتب علم الكلام، «كشرح المواقف»، «و الإنصاف» للباقلاني، «و شرح الفقه الأكبر» للقارى.

و ينبغي أن يتناول علم الكلام بين دفتيه القراءات بتوسع، لوجوب احترامها، و الإيمان بها حرفا حرفا، فإنها قرآن من القرآن ٨٧.

### في الأحكام الشرعية:

- قوله تعالى: وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (البقرة: ١٢٥) قراءة نافع و ابن عامر بفتح الخاء، و باقى العشرة بكسرها ٨٨ و القراءة بالفتح تفيد الإخبار عن متبعى سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنهم اتخذوا من الحجر الذى تعرفه الناس اليوم مصلى يصلون عنده ٨٩ ركعتى طواف القدوم، كما هو فى شريعتنا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٢٤

و القراءة بالكسر تفيد الأمر بذلك ٩٠ حتى قال المالكية بوجوبهما ٩١.

- و قوله تعالى: وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ (البقرة: ١٩١)، قرأه حمزة و الكسائى و خلف العاشر بدون ألف، أى و لا تقتلوه عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم ٩٢. و جاء فى التفسير أن معناها: و لا تبدءوهم بالقتل حتى يبدءوكم به فإن بدءوكم بالقتل فاقتلوهم ٩٣. و هذه القراءة نص فى مسألة الكافر إذا التجأ إلى الحرم هل يقتل فيه ٩٤.

و قرأه الباقون بالألف ٩٥، فيكون نهيا عن سبب القتل، فهو نهى عن القتل من باب أولى ٩٦.

- و قوله تعالى: وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ (البقرة: ٢٢٢) قرأه بسكون الطاء و ضم الهاء حفص و نافع و ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر و أبو جعفر و يعقوب، و قرأه بفتح الطاء و الهاء مع تشديدهما الكسائى و خلف العاشر و أبو بكر شعبة: ٩٧. أفادت القراءة الأولى أن غاية الحل الطهر فلا يقربها زوجها حتى ينقطع دم الحيض، و أفادت القراءة الثانية أن الغاية التطهر فلا يقربها حتى تغتسل. قال الشوكانى: «إن الله سبحانه جعل للحل غايتين كما تقتضيه القراءتان:

إحداهما: انقطاع الدم، و الأخرى: التطهر منه، و الغاية الأخرى مشتملة على زيادة، على الغاية الأولى، فيجب المصير إليها. و قد دل أن الغاية الأخرى هى المعبرة قوله تعالى بعد ذلك:

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ (البقرة: ٢٢٢) فإن ذلك يفيد أن المعبر التطهر لا مجرد انقطاع الدم.

و قد تقرر أن القراءتين بمنزلة الآيتين، فكما أنه يجب الجمع بين الآيتين المشتملة إحداهما على زيادة بالعمل بتلك الزيادة، كذلك يجب الجمع بين القراءتين» ٩٨.

- و قوله تعالى: فَإِذَا أَحْصِنَّ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصِنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ (النساء: الآية ٢٥) قرأه حمزة و الكسائى و خلف و أبو بكر أحصن بفتح الهمزة، و فتح الصاد، و قرأه الباقون بضم الهمزة و كسر الصاد ٩٩.

و معنى القراءة الأولى: فإذا أسلمن. جاء ذلك مرويا فى التفسير، و هو قول الجمهور، و عليه فلا تحد المملوكة الكافرة إذا زنت - و هو قول الشافعى - و لكن تضرب تأديبا.

و معنى القراءة الثانية: فإذا أحصنهن أزواجهن فعليهن نصف ما على المحصنات - بمعنى المسلمات غير المتزوجات - من العذاب أى الحد، و النصف خمسون جلدة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٢٥

و الإحصان يفسر فى كل موضع بما يناسبه، و هذا الحكم لا يلغى الحكم المستفاد من القراءة الأولى و إنما يبين أن الأمة المسلمة التى تحد و إن لم تتزوج كما هو مقتضى القراءة الأولى تحد نفس الحد إذا تزوجت، و هو خمسون جلدة، و لا يزيدا الزواج و إن كان يزيد الحرة، فإن الحرة المسلمة التى لم تتزوج تجلد مائة جلدة ١٠٠، و التى تزوجت ترجم. أفادت القراءة الأولى الحكم المذكور، و أفادت القراءة الثانية أنه هو فى صورة فيها زيادة و وصف قد يظن منه أنه يفيد حكما زائدا.

- وقوله تعالى: **أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ** (النساء: ٤٣) قرأه هكذا بالألف من عدا حمزة و خلفا العاشر و الكسائي، و قرأه هؤلاء الثلاثة بدونها ١٠١. و القراءة الأولى تفيد حكم الجماع، لأن الملامسة هي الجماع، و القراءة الثانية تفيد حكم التقاء بشرة الرجل ببشرة المرأة، لأن اللمس هو الجس باليد، لكن توسع فيه فليس قاصرا على خصوص اليد. فمن لم يجد الماء و قد أصابه الحدث الأكبر باللامسة، أو الأصغر باللمس، أجزأه التيمم، فأفادت كل قراءة حكما شرعيا ١٠٢.

و قال بعض العلماء: إن اللمس لا يختص بالجماع فتكون الملامسة كذلك لتتفق القراءتان، فتحمل الملامسة على الأعم، و يكون أولى، لأن قراءة اللمس تدل عليه بخلاف حملها على الأخص، و هو الإجماع، فليس له قراءة أخرى تؤيده ١٠٣. فنراه نزل قراءة الألف على قراءة ترك الألف، و بين أن أثر القراءة بالألف هذا الحكم الفقهي حكم الجس باليد و نحوه، و أن أثر القراءة الثانية هو تأييد ذلك الحكم.

- وقوله تعالى: **وَ أَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** (المائدة: ٦) قرأه نافع و ابن عامر و الكسائي و يعقوب و حفص بنصب الأرجل، و قرأه الباقون بالخفض ١٠٤. و قراءة النصب ظاهرة في الغسل لأن الأرجل حينئذ عطف على المغسول في الآية **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ**، و قراءة الخفض ظاهرة، في المسح؛ لأن الأرجل حينئذ عطف على الممسوح في الآية:

**وَ أَمْسِجُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَ أَرْجُلِكُمْ** و ظهور كل منهما فيما دلت عليه متساو، مما جعل الطبري و داود يذهبان إلى أن الحكم من الواجب المخير، فيغسل أو يمسح، كالتخيير في كفارة اليمين بين الإطعام و الكسوة و عتق رقبة ١٠٥.

و ذهب بعض العلماء إلى أن الحكم المستفاد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٢٦

من قراءة النصب هو غسل الرجلين في حالة ظهور القدمين ببيان السنة الفعلية، و المستفاد من قراءة الخفض هو المسح على الخفين ببيان السنة أيضا، حيث لم يفعل النبي صلى الله عليه و سلم المسح إلا في هذه الحالة، كما أنه في حالة ظهورهما لم يكن منه إلا الغسل ١٠٦.

- وقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْغِيبِ الْكَعْبَةِ** (المائدة: ٩٥)

قرأه الكوفيون و يعقوب فجزاء بالتونين، مثل بالرفع ١٠٧، و ذهب الشافعي إلى أن الرجل إذا أصاب صيدا و هو محرم في الحرم يجب عليه من النعم مثل المقتول من الصيد مثليه من طريق الخلقة، فإن أصاب حمار و حش فعليه بدنه ١٠٨ و إن أصاب ظبيا فعليه شاء. و هذه القراءة تدل على ذلك، فإن معناها: فجزاء ذلك الفعل:

مثل ما قتل. و المثل - في ظاهره - يقتضى المماثلة من طريق الصورة، لا من طريق القيمة ١٠٩.

و قرأه الباقون بالإضافة بدون تنوين و بخفض اللام ١١٠.

و مذهب أبي حنيفة أن الصيد المقتول يقوم بقيمته من الدراهم ثم يشتري القاتل بهذه القيمة فداء من النعم ثم يهديه إلى الكعبة. و استدل بهذه القراءة، فإن التقدير: فعليه جزاء مثله، أو: فجزاء مثل المقتول واجب عليه. و وجه الدليل في هذا أنك إذا أضفته يجب أن يكون المضاف غير المضاف إليه، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، فيجب أن يكون المثل غير الجزاء ١١١. فالنتيجة بالنسبة إلينا ثراء فقهي من أثر القراءات.

- وقوله تعالى: **وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَ إِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصِيرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ** (الأنفال: ٧٢) قرأه حمزة بكسر واو و لايتهم و الباقون بفتحها ١١٢. و فسرت الولاية بالكسر بالميراث، فأفادت هذه القراءة أنه لا ميراث بالإيمان إلا إذا تمت الهجرة.

و كان هذا في مرحلة من تاريخ أحكام الميراث.

و الولاية بالفتح بمعنى النصره في أكثر استعمالها، فأفادت هذه القراءة أنه لا تجب النصره للمؤمن الذي لم يهاجر. ثم أوجبتها الآية في حالة خاصة، و هي ما إذا طلبت. كما

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٢٧

دلت عليه الألف و السين و التاء في استنصروكم، و كما دل عليه الشرط نفسه و إن استنصروكم ثم رفعت الآية وجوب النصره في هذه الحالة الخاصة إذا كانت على قوم لهم عند المسلمين ميثاق إلا على قوم بينكم و بينهم ميثاق ١١٣.

- و قوله تعالى: فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ (النمل: ٢٤-٢٥) قرأه أبو جعفر و الكسائي و رويس بتخفيف لام ألا و وقفوا- للبيان- على ألا و على يا التي رسمت موصولة بفعل الأمر اسجدوا هكذا يسجدوا، و ابتداءوا بالفعل اسجدوا بهمزة وصل مضمومة، على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا.

و قرأه الباقون بتشديد لام ألا و يسجدوا عندهم كلمة واحدة ١١٤.

و تفيد القراءة الأولى وجوب سجود التلاوة، لأنها أمر، و الأمر للوجوب. و تفيد القراءة الثانية ذم تارك السجود ١١٥. إلى غير ذلك من قراءات و أحكام شرعية ١١٦.

### في النحو و الصرف:

- نصب المضارع بعد الفاء أو الواو إذا سبقت بحصر. هذه قاعدة جديدة زادها ابن مالك في مواضع نصب المضارع ١١٧، و هي أثر من آثار القراءات إذ قرأ ابن عامر:

وَ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (البقرة: ١١٧) بنصب يكون ١١٨.

- و العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار. هذا الحكم أفادته قراءة حمزة:

وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ (النساء: ١) بجرّ (الأرحام) ١١٩. و قال بجواز ذلك الكوفيون و ابن مالك ١٢٠ و يونس ١٢١ و الأخفش ١٢٢ و الشلوبين ١٢٣، كما في المراجع ١٢٤.

- الفصل بين المضاف و المضاف إليه بالمفعول. أجازوه الكوفيون و من وافقهم و ابن مالك، و قال في «الكافية الشافية»: ابن عامر (و) حجتى قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد و ناصر) و ذلك أن ابن عامر قرأ: وَ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ (الأنعام: ١٣٧) بضم الزاي و كسر الياء من (زين) و رفع لام (قتل) و نصب دال (أولادهم) و خفض همزة (شركائهم) بإضافة (قتل) إليه، و هو فاعل في المعنى، و قد فصل بين المضاف و هو (قتل) و بين (شركائهم) و هو المضاف إليه بالمفعول و هو

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٢٨

(أولادهم). و في المصحف العثماني الذي أرسل إلى الشام (شركائهم) بالياء، و فيما عداه من المصحف العثماني (شركائهم) بالواو. و واضح أن هذا الحكم لا يختص بضرورة الشعر ١٢٥.

و معنى هذه القراءة: (زين) لكثير من المشركين قتل شركائهم لأولادهم، أى استحسنا ما توسوسه شياطين الإنس من سدنة الأصنام و شياطين الجن من قتل الأولاد. فكان هؤلاء الشركاء هم الذين قتلوهم. ففائدة هذه القراءة إذن: تذكر أولئك السفهاء بقبح طاعة أولئك الشركاء في أفضع الجرائم و الجنائيات و هو قتل الأولاد) ١٢٦.

و فائدة قراءة غير ابن عامر: بيان قبح ذلك الفعل من أفعال الشركاء و هو التزيين المذكور.

و هذا من بديع أمر القراءات أن يتعدد المعنى و تكثر معانى القرآن مع غاية من الإيجاز، حتى كانت القراءات وجها من وجوه إعجاز القرآن، أو معمقة لإعجازه البياني ١٢٧.

دخول لام الأمر على المضارع المبدوء بتاء الخطاب: (احتج على جواز إدخال لام الأمر على المضارع المبدوء بتاء الخطاب بقراءة قوله



تعالى: فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا (يونس: ٥٨) (فلتفرحوا) (بالتاء) ١٢٨. و هي قراءة رويس عن يعقوب من العشرة ١٢٩، فهي متواترة، فليحذر من القول بشذوذها أخذنا من ظاهر سياق السيوطي في «الاقتراح»، أو من نسبتها إلى أبي و أنس فقط كما في شرح «الأشموني» على «الألفية». و هي قراءة جماعة، فضلا عن أنها لغة النبي صلى الله عليه و سلم ١٣٠.

- سكون لام الأمر بعد ثم:

أثبت ابن مالك بقراءة حمزة ١٣١ ثُمَّ لِيَقْطَعُ (الحج: ١٥)، و هي قراءة جماعة منهم عاصم ١٣٢ الذي نقرأ بقراءته من رواية حفص. و في ذلك رد على من قال إنه خاص بالشعر. و ليس ضعيف و لا قليل - خلافا لمن زعم ذلك. هكذا قرره ابن هشام ١٣٣، و الأشموني على الألفية ١٣٤.

- تأنيث الفعل مع مرفوعه المذكر المجازي:

استدل سيوييه على جواز ذلك بقراءة ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَنَشْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (الأنعام: ٢٣) بتأنيث (تكن) و نصب ١٣٥ (فنتتهم) فهي خبر (تكن) مقدم، و اسمها المصدر المؤول (أن قالوا ...) و هو مرفوعها. و استشهد بغيرها أيضا ١٣٦، و إن كانت كافية، لكن لا بأس، كما لا بأس بأن يذكر الحكم أولا ثم يستدل عليه بالقراءة، و إن كنا نرى الوجهة في ذكر القراءة أولا ثم استفادة الحكم منها ١٣٧. إلى غير ذلك من قراءات و آثار لها في الأحكام النحوية الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٢٩ و الصرفية، ما بين جديدة و مدعمة لأحكام معروفة ١٣٨.

### في البلاغة و الإعجاز:

- في القراءات لغات مختلفة كتحقيق الهمز و تخفيفه، و الفتح و الإمالة، و ضم الهاء و كسرها في نحو (عليهم)، و صلة الميم بواو في نحو (إليهم)، و صلة الهاء بياء في نحو (فيه)، إلى غير ذلك.

و هذه القراءات من أفصح لغات العرب، و لا يجوز الخروج عنها. و في هذا نهوض بمستواهم في اللغة، و تأنيث لهم، و تنشيط يدركه من يدركه، و ترقية للتفكير، و سبب لزيادة التدبر.

و هي أمور من أغراض الأدباء بمكان - و القرآن و قراءاته المثل الأعلى في البيان.

- و في القراءات أساليب متنوعة، فمن غيبة في قراءة إلى خطاب في أخرى في نفس الموضع، و من تذكير إلى تأنيث، و من أفراد إلى جمع، و من ... و هذا منهج أدبي تستريح إليه الحاسة البيانية، و يدعو إلى زيادة التأمل، و يشتمل على المعاني البلاغية ١٣٩ و ما أكثرها في القراءات.

- (و في القراءات معان مختلفة كثيرة، غير متناقضة، و ذلك حين تفيد القراءة معنى غير ما تفيده القراءة الأخرى في نفس الموضع، مع إيجاز اللفظ، إذ تكون كل قراءة بمنزلة آية، و لو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل. و ذلك من نهاية البلاغة، و من وجوه إعجاز القرآن الكريم) ١٤٠.

و تقتصر على قليل من النماذج الموضحة لبعض ما سبق فنقول:

- قوله تعالى: طه (طه: ١) (قرئ بفتح الطاء فتحا خالصا، و ألف خالصة بعدها، و كذلك الهاء. و قرئ بإمالة فتحة الطاء إلى جهة الكسرة، و ألفها إلى جهة الياء، و كذلك الهاء) ١٤١. و القراءة بالإمالة كأنها نص في كون الكلمتين (طا)، و (ها) اسمين لحرفين من حروف الهجاء، و لا يتأتى فيها أن يكون الأصل (طأها) أمرا من وطئ بمعنى:

دس عليها، أي على الأرض بقدميك ١٤٢.

و في التركيز على كونهما اسمين لحرفين اهتمام بالإشارة إلى إعجاز القرآن من جهة التنبه بسرد الحروف التي في أوائل السور من

مثل ن (القلم: ١)، حم (غافر: ١) على أن القرآن مؤلف من حروف لغتكم و مع ذلك عجزتم عن الإتيان بمثله، فهو- إذن- من عند الله تعالى، و دليل على صحة النبوة و الرسالة ١٤٣. فأفادت هذه القراءة أنه ينبغي الاعتناء بقضية الإعجاز و دليhle.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٣٠

و القراءة بالفتح تحتمل الإشارة إلى دليل الإعجاز، و هو أن القرآن مؤلف من هذه الحروف التي نسرد عليكم أسماء بعضها، و هي حروفكم و هو يتحداكم أن تأتوا منها بمثله، و أنتم الفصحاء، و مع ذلك عجزتم و لجأتم إلى السيوف و الدماء بدلا من مقارعة الحجّة بمثلها لو كنتم تملكونها. هذا معنى.

و تحتمل أنها تخفيف (طأها) بإبدال الهمزة ألفا، فتفيد معنى آخر، و هو الحكم بوضع الرجل المرفوعة على الأرض، و ترك ما يبلغ حد المشقة الداعية إلى المراوحة بين الرجلين ١٤٤ من طول القيام في صلاة الليل ١٤٥.

فلم تقتصر الفائدة على كون الفتح و الإمالة من لغات القراءات ذات النهوض بالمستوى اللغوي- إلى آخر ما سبق- بل جاءت الثمرة، تلو الثمرة.

و هذا مع جملة ما يندرج تحت عنوان (أثر القراءات) أخذناه عن سلفنا الذين قالوا- بسببه: (إن القراءات من وجوه الإعجاز، و كماله، و محاسنه) ١٤٦.

- و قوله تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (العنكبوت: ٥٧) قرئ بالخطاب و الغيبة ١٤٧. و الخطاب للمؤمنين، و هو وعد لهم بحسن الجزاء، و الغيبة يحتمل فيها أن تكون الواو للكافرين المعادين للمؤمنين، و يكون الكلام و عيدا لهم، و أن تكون الواو لكل نفس، و يكون الكلام و عدا للمؤمنين و عيدا لغيرهم ١٤٨. و هذا من تعدد الأساليب، و تعدد المعاني، و من فنون البلاغة العالية.

- و قوله تعالى: قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَ تَكُونُ لَكُمْ أَلْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ (يونس: ٧٨) قرئ (و تكون) بالتاء، و بالياء ١٤٩. و القائلون قوم فرعون، و المراد من المثنى موسى و هارون- عليهما السلام ١٥٠.

و القراءة بتاء المؤنث لأن (الكبرياء) مؤنث- و إن كان تأنيثه مجازيا. هذا هو الأصل المتعارف في لغة العرب ١٥١. ثم إن اللغة صدى لما في النفس و تصوير لشعورها، و المؤنث في المخلوقات ضعيف عادة بالقياس إلى الذكر، فالقراءة الأولى تشعر بأن القوم في بعض أوقاتهم هونوا من شأن الكبرياء تزهيدا لموسى و أخيه في ثمرة لا تستحق عناء محاولتهما المستحيل و هو ترك ما وجدوا عليه آباءهم، و عناء العداوة التي تتأجج بسبب تلك المحاولة. و هذا على ما يتصورون من أن غرضهما هو الحصول على الكبرياء في الأرض. و القراءة بالتذكير لأن التأنيث غير حقيقي فضلا عن أنه مفصول عن الفعل بقوله (لكما) ١٥٢. و تذكير الفعل مع المؤنث المجازي يكون للتعظيم و التفضيم ١٥٣.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٣١

فتشعر هذه القراءة بأن القوم في بعض أوقاتهم استعظموا الكسب الذي يحصل عليه موسى و أخوه- و هو الكبرياء في الأرض على ما توهموا أنه غرضهما- لو نجحوا في صرفهم عما وجدوا عليه آباءهم. فأفادت القراءتان معنيين، و استوفتا حالتى القوم اللتين اعتبرت كل حالة منهما القوم في بعض الأوقات. و يجوز وجه آخر، و هو أن تكون قراءة التأنيث مفيدة لحالة فريق من القوم استصغر ثمرة الدعوة، و قراءة التذكير مفيدة لحالة فريق آخر منهم استعظموها- على الوجه المذكور في الاستصغار و الاستعظام.

و هذه المعاني، و هذا الاستيفاء للأحوال، و الأوقات، و الجماعات من البلاغة بمكان.

- و قوله تعالى: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ الْأَنْعَام:

(١١٥) (قرئ كلمة ربك) بالإنفراد، و (كلمات ربك) بالجمع ١٥٤. (فالإنفراد على إرادة الجنس) ١٥٥، و هو معنى يقصده المتكلم.

(و الجمع لتنوع الكلمات الربانية أمرا، و نهيا، و وعدا، و وعيدا) ١٥٦. و هو معنى آخر من مقاصد الكلام. و كل هذا يعدّ من التوسعات البيانية، و من التخفيف النفسى حيث لا حبس على وجه واحد. و ليس ممّا تختلف فيه لهجات العرب. و قوله: لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ بِالْجَمْعِ



وجها واحدا فاتفق معه الجمع في القراءة الثانية، إذ الجمعان بمعنى واحد.

و الأفراد في القراءة الأولى ينوب عن الجمع؛ لأنه اسم جنس. و كل قراءة على انفرادها جاءت على أسلوب فصيح، و اجتماعهما على موضع واحد أمر يمتاز به القرآن الكريم في إيجازه و بلاغته الفائقة ١٥٧.

- و قوله تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا (النساء: ٩٤) قرئ (السلم) بدون ألف بعد اللام، و قرئ (السلام) بالألف ١٥٨. (و فسر من ألقى السلم بأنه من استسلم فأظهر الانقياد لما دعى إليه من الإسلام. و فسر من ألقى السلام بأنه من أظهر تحية الإسلام، و قد كان ذلك علما لمن أظهر به الدخول في الإسلام) ١٥٩.

إلى غير ذلك من قراءات كثيرة ذات معان شريفة و فيرة.

و بهذا قدمنا صورة- و إن كانت مصغرة جدا- لأثر القراءات في بلاغة القرآن، و إعجازه. و لم يظهر أثرها في علم البلاغة لوجهين: أحدهما: الاكتفاء بعلم إعجاز القرآن ١٦٠، و الآخر: أن علم البلاغة يقدم قواعد يستثمرها من يستطيع فيأتي بالكلام الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٣٢

البلغ المشابه لما أتى به فصحاء العرب، و القراءات تستعصى على العلم أن يجعلها قاعدة يستثمرها أحد فيأتي بنتائج أدبي ذى قراءات شريفة شرف قراءات القرآن، أو تكاد. (و من أقل القليل أن تجد نظيرا للقراءات في أدب الفصحاء القدماء من رجال الجاهلية أو من رجال الإسلام) ١٦١.

(و إن وجدت نظيرا كمثل المقامة القهقرية عند الحريري فليست في العير و لا في النفير من يسر و شريف معنى، و روعة أسلوب، و تغذية قلوب) ١٦٢ و ما ذلك إلا- لأن القراءات وجه من وجوه الإعجاز، و لن يطالعك بهذا الوجه إلا- القرآن. أما أثر القراءات أو تسببها في ظهور دراسات بلاغية حولها فهذا شيء طبيعي من عادة المسلمين في خدمة الكتاب العزيز، و مع ذلك فلا زالت تلك الدراسات قليلة ١٦٣، مع أن الداعي إلى زيادتها ذو صوت جهير.

### في التفسير:

أثر القراءات في تفسير القرآن الكريم أثر كبير، و هذه نماذج منه:

- قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ (البقرة: ٢١٩) العفو: الفضل ١٦٤.

و قرئ بالنصب، و الرفع ١٦٥ و قراءة النصب تفسر (ما ذا) إذ تدل على أنها كلمة واحدة مفعول مقدم لينفقون، حتى تكون جملة السؤال فعلية لتطابق الجواب، فإن الجواب (العفو) تقديره: (أنفقوا العفو) جملة فعلية، و التطابق هو الأولى بالرعاية، فتقدير السؤال: (أى شيء ننفق؟) كما تستدعيه هذه القراءة.

و قراءة الرفع تفسر (ما ذا) بتفسير آخر، إذ تدل على أن (ما) كلمة، و هي مبتدأ، و (ذا) كلمة، و هي خبر، و الأولى اسم استفهام، و الثانية اسم موصول بمعنى الذي، و صلته الجملة التي بعده، و العائد محذوف، و التقدير (ينفقونه). فالسؤال جملة اسمية كالجواب، فتطابقا. و تقدير السؤال: ما الذي ننفقه؟، و تقدير الجواب: الذي تنفقونه العفو ١٦٦، ١٦٧.

- و قوله تعالى: وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (المسد: ٤) قرئ بنصب (حمالة) و بالرفع ١٦٨. أما النصب فيشير إلى أن (حمالة) بدء جملة، و إلى أن (امراته) عطف مفرد على مفرد هو ضمير سيصلى (المسد: ٣) و على ذلك يسوغ الوقف على (و امرأته)، و ينكشف أن المعنى و التقدير:

سيصلى نارا ذات لهب هو و امرأته، أعنى حمالة الحطب.

و أما الرفع فيكشف عن معنى آخر، و هو أن امرأة أبي لهب امرأة حمالة للحطب.

فامرأته مبتدأ، و (حمالة الحطب) خبر،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٣٣

و العطف عطف جملة على جملة، و لا يسوغ الوقف على (و امرأته) لأنه لا يوقف على المبتدأ دون خبره ١٦٩.

- و قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا (النساء: ٩٤) (قري: فتبينوا) و قري:

(فتشبتوا) ١٧٠. (و فسر ابن الأنباري الأولى بالثانية، فجعلهما بمعنى واحد، و ذلك أن أحد المترادفين قد يكون أجلى فيكون شارحا) ١٧١.

إلى غير ذلك ١٧٢.

- هذا و أثر القراءات في علم التفسير ماثل في كتبه بما لا حصر له.

و من فوائد اختلاف القراءات- بالإضافة إلى ما سلف:

- ما في ذلك الاختلاف- كما قال ابن الجزري- «من عظيم البرهان و واضح الدلالة، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف و تنوعه لم يتطرق إليه تضاد و لا تناقض و لا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، و يبين بعضه لبعض، على نمط واحد، و أسلوب واحد، و ما ذاك إلا آية بالغة، و برهان قاطع على صدق من جاء به صلى الله عليه و سلم.

- و منها سهولة حفظه، و تيسير نقله على هذه الأمة، إذ هو على هذه الصفة من البلاغة و الوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه و أقرب إلى فهمه و أدعى لقبوله من حفظه جملا- من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة، لا سيما فيما كان خطه واحدا، فإن ذلك أسهل حفظا، و أيسر لفظا.

- و منها إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليلبغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك و استنباط الحكم و الأحكام من دلالة كل لفظ، و استخراج كمين أسراره و خفي إشاراته، و إنعامهم النظر، و إمعانهم الكشف عن التوجيه و التعليل و الترجيح و التفصيل، بقدر ما يبلغ غاية علمهم، و يصل إليه نهاية فهمهم .. و الأجر على قدر المشقة.

- و منها بيان فضل هذه الأمة و شرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقى، و إقبالهم عليه هذا الإقبال، و البحث عنه لفظة لفظة، و الكشف عنه صيغة صيغة، و بيان صوابه، و بيان تصحيحه، و إتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، و حفظوه من الطغيان و التطفيف، فلم يهملوا تحريكها و لا تسكينها، و لا تفخيما و لا ترفيقا، حتى ضبطوا مقادير المدات، و تفاوت الإمالات، و ميزوا بين الحروف بالصفات، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، و لا يوصل إليه إلا بالهام باري النسب.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٣٤

- و منها ما ادخره الله من المنقبة العظيمة، و النعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، و اتصال هذا السبب الإلهي بسببها خصيصه الله تعالى هذه الأمة المحمدية، و إعظاما لقدر أهل هذه الملة الحنيفة، و كل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى أصله، و يرفع ارتياب الملحد-قطعا- بوصله.

- و منها ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز (متواترا) على ممر الدهور، منقوشا في المصاحف و الصدور ١٧٣.

- و منها إعطاء ثروة ضخمة يسعد بها الباحثون الذين يمارسون الدراسات الصوتية و اللغوية الحديثة.

- و منها تقويم اللسان.

- و منها شحذ الأذهان.

- إلى آخر ما تجده في المراجع ١٧٤.

- أنواع القراءات:

المقصود هنا مطلق القراءات، لا المتواترة فقط.

والتصور الواعي أن القراءات نوعان:

متواترة معمول بها مجمع عليها، وشاذة ١٧٥.

وهناك نظر توقف عند مظهر للقراءات، ولم يتجاوزه إلى مخبرها، فرأى أن منها القراءة المشهورة، والقراءة الضعيفة، إلى آخر ما سندكره.

ومما يؤسف له أن هذا النظر القاصر أخرج من المتواترة قدرا كبيرا، وأدخله في بعض الأنواع النازلة عن التواتر - وهو قول باطل. وجريا على ما تداولته كتب علوم القرآن ونحوها من ذلك القول نذكر تلك الأنواع، لكن لا بد من إظهار بطلان الباطل فيها. وهي ستة:

- القراءة المتواترة: وهي العشر التي تقرر في هذا البحث تواترها من طرقها المعروفة في الفن تواترا شاملا - لأصولها وفرشها وما اختلفت فيه الطرق فضلا عما اتفقت عليه - إلى آخر ما هنالك.

- القراءة المشهورة: وهي ما صح سندها ولم يبلغ درجة التواتر، وافقت العربية والرسم، واشتهرت عند القراء فلم يعدوها من الغلط، ولا من الشذوذ. وحكمها: أنها يقرأ بها. هكذا قال السيوطي ١٧٦.

ومثل له: بما رواه بعض الرواة دون بعض، وقال إن أمثله كثيرة في فرش الحروف، وإن من أشهر ما صنف في ذلك «التيسير» للداني.

وهذا الذي قاله عما رواه البعض دون البعض مردود بقيام أدلة التواتر المذكورة في

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٣٥

هذا البحث، كما أن العبرة ليست بأن يرويه البعض أو الكل، فإنهم لا يمثلون عدد التواتر، والتواتر حاصل بمن روى ومن وافقه، وإن كان هناك غيرهم لم ينقلوا ذلك الوجه.

ومن ذهب إلى قراءات الأربعة الزائدين على العشرة وجد فيها أمثلة للمشهور ١٧٧.

ولا يقرأ إلا بالمتواتر، فلا قرآن إلا المتواتر.

### - الآحادية (الشاذة) وحكمها:

جعل أهل الأصول شذوذ القراءة منوطا بنقل الآحاد، فليس عندهم إلا المتواتر والشاذ، أو المتواتر والآحاد.

والحكم أنه لا يقرأ إلا بالمتواتر.

أما في الأحكام الأدبية فالعلماء من مختلف التخصصات يقبلون ما نقل على مستوى مقبول، ولا يشترط فيه التواتر في تلك الأحكام. ١٧٨.

وجعل السيوطي الآحاد نوعا، والشاذ نوعا، وقال: إنه لا يقرأ بهما.

فالآحاد عنده هو ما صح سنده وخالف الرسم، أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور. ومن أمثله عنده: (من قرات أعين) في قراءة قوله تعالى: مِنْ قُرْءٍ أَعْيُنٍ (السجدة: ١٧).

وقوله: (أو العربية). فيه نظر، فإن ما خالف العربية خطأ غير منقول، ولو تراكم الخطأ فيه صار مشهورا، ثم لا تنفعه شهرته.

وقوله: (الاشتهار المذكور). يجعل الاشتهار مستويين. وهذا ونحوه عناء لا طائل وراءه.

لكن ما الحيلة؟!.

والشاذ عند السيوطي هو ما لم يصح سنده. ومن أمثله قراءة ملك يوم الدين (الفاحة: ٤) بفتح حروف (ملك) فعلا ماضيا.

و هو مذهب للسيوطى فى «الإتقان» مخالف لمصطلح علماء الحديث فى تعريفهم للشاذ. و ما كان بالصفة التى ذكرها (لم يصح سنده) فإنه لا يقبل فى شىء. أما ما صح و لم يتواتر فقد تكرر أنه يقبل فى الأحكام الأدبية اتفاقاً- و نجد جمهور الفقهاء يقبلونه فى الأحكام الشرعية العملية إذا تضمن شيئاً منها.

- القراءة المدرجة (أو التفسيرية): ظهر للسيوطى نوع من أنواع القراءات قال إنه يشبهه من أنواع الحديث المدرج، و قال: «و هو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبى وقاص: (و له أخ أو أخت من أم) فى قوله تعالى: وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ (النساء: ١٢)» أخرجها سعيد بن منصور «١٧٩. و واضح أنها ليست قرآناً يتلى تعبدًا، و إنما يستفاد بها فى التفسير اتفاقاً.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٣٦

- القراءة الضعيفة: هى ما ضعف سندها. و هناك كلمة عامة لابن الجزرى أن الضعيف: هو ما اختلف فيه ركن من أركان القرآنية الثلاثة عنده، و هى موافقة وجه نحوى، و احتمال الرسم العثمانى، و صحة السند. و من أمثلة الضعيف التى ذكرها قراءة أبى السمال و غيره بالحاء بدل الجيم فى قوله تعالى: فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ بِبَدَنِكَ (يونس: ٩٢). و واضح أن القراءة الضعيفة لا يقرأ بها القرآن، و لا يستفاد بها فى شىء ١٨٠.

- القراءة الموضوعية: هى المختلفة. مثالها قول من قال من الراضية بأن (المضلين) بفتح اللام و كسر النون مثنى يقصد به أبو بكر و عمر- رضى الله عنهما. و هذا تحريف لا خلاف فى أنه كفر. و الآية الكريمة بكسر اللام و فتح النون جمعاً مذكراً سالماً فى قوله تعالى: وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُونَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (الكهف: ٥١).

و من أراد الكثير من التوضيح و النماذج و الأنواع وجد ١٨١.

### \*\*\* توجيه القراءات:

معناه: هو عبارة عن بيان وجه القراءة من حيث اللغة و المعنى.

- و قد صار التوجيه علماً، يعرّف بأنه:

(علم باحث عن لمية القراءات) ١٨٢.

و تعطينا كتبه تصوراً له مفصلاً، فنعرّفه بقولنا:

(علم توجيه القراءات: علم يبحث عن القراءات من جوانبها الصوتية، و الصرفية، و النحوية، و البلاغية، و الدلالية).

- و له أسماء: منها: الاحتجاج، حجج - أو حجة - القراءات، علل القراءات، علم القراءات دراية، فقه القراءات ١٨٣.

### توجيه المتواتر:

لا يخفى أن التوجيه تفسير، ثم هو تفسير يبذل فيه جهد زائد لتأمل القراءتين و الفرق بينهما، و التعرف على جلاله المعانى، و جزالتها، فإن القراءات من محاسن وجوه الإعجاز، و هى أجزاء من القرآن ١٨٤.

و بما أن التوجيه عمل بشرى فإن فيه الحسن، و الأحسن، و فيه ما قاله قائله فكان فى قوله غير موفق ١٨٥.

و مما حظره العلماء أن يقوم المتفحص للقراءتين بترجيح إحداهما على الأخرى ترجيحاً ينتقص من الأخرى غافلاً عن أنها قرآن من القرآن.

فهذا قد يتجه فى بعض القراءات الشاذة، أما المتواترة فلا ١٨٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٣٧

## توجيه الشاذ:

الشاذ الذى يستحق أن يشتغل بتوجيهه هو الشاذ الوارد بسند مقبول، أو الذى عرفنا العلماء أنه مقبول، فاشتغلوا به روايته، و درايته. و حكم الشاذ من حيث الاحتجاج به فى الأحكام الأدبية، و الشرعية له موضعه من هذا البحث. و توجيهه علم من العلم، و كثيرا ما يصعب إدراك وجهه، و لهذا صار يقال بشأنه: إن توجيه القراءة الشاذة أقوى فى الصناعة من القراءة غير الشاذة ١٨٧. و قد أتى علم التوجيه للمتواتر، و للشاذ ثمارا منها معجبة بارعة فى المجالات العلمية المختلفة ذات العلاقات بتلك القراءات.

## أثر توجيه القراءات القرآنية فى إظهار ثروة من المعانى القرآنية:

رغم أن التوجيه تفسير إلا أنه عمل متميز- كما سلف- و لهذا صح أن نقول: إنه ذو أثر متميز فى إبراز معان قرآنية لا يتيسر استشرفها فى كتب التفسير، قال الشيخ طاهر الجزائري: (و اعلم أن المشتغلين بفن القراءات و توجيهها يلوح لهم من خصائص اللغة العربية و دلائل إعجاز الكتاب العزيز ما لا يلوح لغيرهم، و يحصل لهم من البهجة ما يعجز اللسان عن بيانه، فينبغى لمن سمت همته أن يقدم على ذلك، بعد أن يقف على الفنون التى يلزم أن يوقف عليها من قبل، فالأمر يسير على من جد جده، و الله ولى التوفيق) ١٨٨. و نكتفى بنموذج، فنقول:

قرئ فى العشر الكبرى قوله تعالى:

وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً (الحديد: ٢٧): (رأفة) بمد الهمزة، و (رأفة) بسكونها.

و هما مصدران لا فرق بينهما فى المعنى عند المفسرين.

و لم يقرأ فى العشر إلا بسكون الهمزة فى قوله تعالى: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ (النور: ٢).

و توجيه ذلك أن زيادة المبنى فى (رأفة) تدل على زيادة المعنى، فهى رأفة عظيمة، و كيف لا- و هى من إيجاد الله تعالى إيجادا خاصا.

أما فى سورة النور فالمقام مقام نهى عن أى رأفة فى تنفيذ حكم الله تعالى فى مرتكبي الفاحشة، لا نهى عن رأفة عظيمة ١٨٩. و من أراد العديد من النماذج وجد ١٩٠.

\*\*\*

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٣٨

## القراء المشهورون من الصحابة:

الذين نقل عنهم شىء من القراءات من الصحابة- رضى الله عنهم- كثيرون، منهم:

- عثمان بن عفان (ت ٣٥ هـ). قرأ عليه المغيرة بن أبى شهاب المخزومي، و أبو عبد الرحمن السلمى، و زر بن حبيش، و أبو الأسود الدؤلى ١٩١.

- على بن أبى طالب (ت ٤٠ هـ). قرأ عليه أبو عبد الرحمن السلمى، و أبو الأسود الدؤلى، و عبد الرحمن بن أبى ليلى ١٩٢.

- أبى بن كعب (ت قبل مقتل عثمان بجمعة أو شهر). قرأ عليه النبى صلى الله عليه و سلم للإرشاد و التعليم، و أبو هريرة، و ابن عباس، و ابن السائب، و غيرهم ١٩٣.

- عبد الله بن مسعود (ت آخر سنة ٣٢ هـ).

- قرأ عليه كثير، منهم: الحارث بن قيس، و ذر ابن حبيش، و علقمة، و السلمى ١٩٤.
- زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ). قرأ عليه أبو هريرة، و ابن عباس، و أبو عبد الرحمن السلمى، و أبو العالية الرياحى ١٩٥.
- أبو موسى الأشعري (ت ٤٤ هـ) هو عبد الله بن قيس اليماني. قرأ عليه حطاب الرقاشى، و أبو رجاء العطاردى، و أبو شيخ الهنائى ١٩٦.
- أبو الدرداء (ت ٣٢ هـ) هو عويمر بن زيد الأنصارى الخزرجى. قرأ عليه عبد الله بن عامر اليحصبى أحد القراء السبعة، و خليل ابن سعد، و خالد بن معدان، و غيرهم ١٩٧.
- و قد حفظ هؤلاء السبعة القرآن الكريم فى حياة النبى صلى الله عليه و سلم، و عرضه عليه، و أخذ عنهم عرضاً، و عليهم دارت أسانيد الأئمة العشرة ١٩٨. و الحفاظ من الصحابة غير هؤلاء كثير ١٩٩.

### \*\*\* القراء المشهورون من التابعين:

#### إشارة

تلقى التابعون - رضى الله عنهم - القراءات عن الصحابة - رحمهم الله - و تلقى بعضهم عن بعض، و قاموا مقام الصحابة فى حفظ القراءات، و تبليغها، و نشرها فى الأقطار الإسلامية.

و إليك ما يتيسر من ذلك:

#### بالمدينة:

- أبو الحارث عبد الله بن عياش (ت ٦٩ هـ). قرأ عليه الإمام أبو جعفر أحد القراء العشرة، و يزيد بن رومان، و شيبة، و مسلم بن جندب، و غيرهم ٢٠٠.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٣٩
- سعيد بن المسيب (ت ٩٤ هـ). قرأ عليه محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ٢٠١.
- عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت ١١٧ هـ). قرأ عليه الإمام نافع أحد القراء السبعة، و روى عنه الحروف أسيد بن أبى أسيد ٢٠٢.
- محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى (ت ١٢٤ هـ). قرأ عليه الإمام نافع، و روى عنه الحروف عثمان بن عبد الرحمن الوقاصى. و روى عنه مالك بن أنس، و غيره ٢٠٣.
- عروة بن الزبير (ت ٩٣ هـ). وردت الرواية عنه فى حروف القرآن. و روى عنه أولاده و الزهرى و جماعة ٢٠٤.
- سالم بن عبد الله (ت ١٠٦ هـ). وردت عنه الرواية فى حروف القرآن. و هو أحد الفقهاء السبعة ٢٠٥.
- عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ). وردت الرواية عنه فى حروف القرآن و كان حسن الصوت بالقرآن، و مناقبه كثيرة ٢٠٦.
- سليمان بن يسار (ت ١٠٧ هـ). وردت عنه الرواية فى حروف القرآن. و هو تابعى جليل ٢٠٧. و غيرهم ٢٠٨.

#### بمكة:

- عبد الله بن كثير. و هو مذكور فى القراء السبعة.
- عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥ هـ). قرأ عليه أبو عمرو، و وردت عنه الرواية فى حروف القرآن ٢٠٩.
- طاوس بن كيسان اليماني (ت ١٠٦ هـ).

وردت عنه الرواية في حروف القرآن. و هو تابعي كبير مشهور ٢١٠.

- مجاهد بن جبر (ت ١٠٣ هـ). قرأ عليه ابن كثير أحد القراء السبعة، و كذا أبو عمرو ابن العلاء، و قرأ عليه أيضا الأعمش و ابن محيصة و حميد بن قيس و غيرهم ٢١١.
- عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥ هـ).

وردت الرواية عنه في حروف القرآن، و قرأ عليه علباء بن أحمر، و أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة، و روى عنه خلق، و اعتمده البخاري ٢١٢.

- عبيد بن عمير (ت ٧٤ هـ). وردت عنه الرواية في حروف القرآن. و روى عنه مجاهد و عطاء و عمرو بن دينار ٢١٣.
- عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة (ت ١١٧ هـ). وردت الرواية عنه في حروف القرآن كما قاله الداني و هو تابعي مشهور ٢١٤.
- ابن محيصة (ت ١٢٣ هـ). و هو محمد ابن عبد الرحمن بن محيصة السهمي. قرأ عليه شبل بن عباد، و عيسى بن عمر القاري، الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤٠
- و أبو عمرو أحد القراء السبعة. و حدث عنه جماعة، و هو ثقة ٢١٥.

### بالكوفة:

- سليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨ هـ).
- قرأ عليه الإمام حمزة أحد القراء السبعة، و ابن أبي ليلى، و جرير بن عبد الحميد، و غيرهم. و روى عنه الحروف محمد بن ميمون، و محمد بن عبد الله المعروف بزاهر ٢١٦.
- عاصم بن بهدلة، أحد القراء السبعة و مذكور معهم.
- علقمة بن قيس (ت ٥٦٢ هـ). قرأ عليه النخعي، و أبو إسحاق السبيعي، و يحيى بن وثاب، و غيرهم. و مناقبه جليئة ٢١٧.
- الأسود بن يزيد (ت ٧٥ هـ). قرأ عليه إبراهيم النخعي، و أبو إسحاق السبيعي، و يحيى بن وثاب. و هو إمام جليل، كان يختم القرآن كل ست ليال، و في رمضان كل ليلتين ٢١٨.
- أبو عبد الرحمن السلمى (ت ٥٧٤ هـ) هو عبد الله بن حبيب. قرأ عليه الحسن و الحسين -رضى الله عنهما، و عاصم، و عطاء ابن السائب، و يحيى بن وثاب، و عامر الشعبي، و غيرهم ٢١٩.
- زر بن حبیش (ت ٥٨٢ هـ). قرأ عليه عاصم، و الأعمش، و السبيعي، و ابن وثاب.
- و كان ابن مسعود يسأله عن اللغة ٢٢٠.
- سعيد بن جبیر (ت ٥٩٥ هـ). كان يؤم الناس في شهر رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة ابن مسعود، و ليلة بقراءة زيد بن ثابت.
- قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء من السبعة، و المنهال بن عمرو ٢٢١.
- و كان بالكوفة غير هؤلاء أيضا ٢٢٢.

### بالبصرة:

- أبو عمرو بن العلاء. و هو مذكور في القراء السبعة.
- أبو العالية الرياحي (ت ٥٩٠ هـ) و هو رفيع ابن مهران. قرأ عليه شعيب بن الحبحاب، و الحسن بن الربيع، و أبو عمرو المذكور في القراء السبعة، و غيرهم ٢٢٣.

- يحيى بن يعمر (ت ٩٠ هـ). قرأ عليه أبو عمرو المذكور في القراء السبعة، و عبد الله بن أبي إسحاق. و يحيى أول من نقط المصاحف .٢٢٤.
- نصر بن عاصم (ت ٩٠ هـ) قرأ عليه أبو عمرو المذكور في القراء السبعة، و عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، و روى عنه الحروف عون العقيلي، و مالك بن دينار ٢٢٥.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤١
- معاذ بن معاذ العنبري قاضي البصرة (ت ١٩٦ هـ) قرأ عليه ابنه عبيد الله، و روح بن عبد المؤمن. و حدث عنه بندار، و أحمد، و قال: إليه المنتهى في الثبوت بالبصرة ٢٢٦.
- أبو رجاء العطاردي (ت ١٠٥ هـ) هو عمران بن تيم. قرأ عليه أبو الأشهب العطاردي، و قال: كان أبو رجاء يختم القرآن في كل عشر ليال ٢٢٧.
- و كان بالبصرة غير هؤلاء ٢٢٨.

### بالشام:

- عبد الله بن عامر اليحصبي. و هو المذكور في القراء السبعة.
- يحيى بن الحارث الذماری (ت ١٤٥ هـ و له تسعون سنة). قرأ عليه سعيد بن عبد العزيز، و هشام بن الغازي، و يحيى بن حمزة، و غيرهم ٢٢٩.
- المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت ٩١ هـ). قرأ عليه عبد الله بن عامر المذكور في القراء السبعة، و لا يكاد المغيرة يعرف إلا من قراءة ابن عامر عليه، مع أن المغيرة كان يقرئ بدمشق في دولة معاوية ٢٣٠.
- عطية بن قيس الكلابي (ت ١٢١ هـ).
- وردت عنه الرواية في حروف القرآن، و قرأ عليه علي بن أبي حملة، و الحسن بن عمران العسقلاني. و روى عنه عبد الرحمن بن يزيد، و غيره ٢٣١.
- أبو حيوة شريح بن يزيد (ت ٢٠٣ هـ) له اختيار في القراءة رواه عنه ابنه حيوة، و روى أيضا عنه قراءة الكسائي، و محمد بن عمرو ابن حنان الكلبي. و روى عنه قراءة الحمصيين عيسى بن المنذر، و محمد بن المصفي، و يزيد بن قره ٢٣٢.
- و كان بالشام غير هؤلاء ٢٣٣.
- و كل من ذكرناهم في هذه الأقطار من التابعين هم بعض المشهورين بالقراءات، و ليس استقصاء.
- و قراءات الأقطار الإسلامية هي قراءات هؤلاء، و أضرابهم، ممن أسندوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم. لكن المتواتر من قراءتهم هو ما دخل في قراءات القراء العشرة من طرقهم المعروفة في الفن.

\*\*\*

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤٢

### القراء السبعة

#### الإمام نافع بن عبد الرحمن المدني (٧٠ هـ - ١٦٩ هـ):

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، و كنيته أبو رويم قرأ على سبعين من التابعين، منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة،



و عبد الرحمن بن هرمز، و شيبه بن نصاح، و يزيد بن رومان، و مسلم بن جندب، و صالح بن خوات، و الأصمغ بن عبد العزيز النحوي، و عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق، و الزهري.

و نافع أحد الأعلام، ثقة صالح، عالم بوجوه القراءات، متبع لآثار الأئمة الماضين ببلده. و كان زاهدا، جوادا، و من أظهر الناس خلقا. اشتغل؛ بالإقراء أكثر من سبعين سنة، و هو الإمام الذي قام بالقراءة بعد التابعين بمدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم. ذكر ابن الجزري أسماء أكثر من أربعين راويا عنه من المدينة. و مصر، و الشام، و الأندلس. منهم الإمام مالك صاحب المذهب، و الليث بن سعد، و أشهب بن عبد العزيز، و الغازي بن قيس، و أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة، و عبد الله بن وهب، و الأصمغى، و راويه المشهوران الآتيان ٢٣٤.

### قالون (١٢٠هـ - ٢٢٠هـ):

هو عيسى بن مينا، و كنيته أبو موسى.

و قالون معناها: جيد بالرومية، لقبه شيخه بذلك لجودة قراءته. و هو قارئ المدينة، و نحوها، أخذ عن نافع قراءة نافع نفسه، و قراءة أبي جعفر شيخ نافع، و عرض أيضا على ابن وردان أحد راويي أبي جعفر المشهورين.

و روى عن قالون جماعة، منهم أحمد بن صالح المصري، و إسماعيل بن إسحاق القاضي، و محمد بن هارون المروزي. أمره شيخه أن يجلس للإقراء بعد أن قرأ عليه مرارا لا تحصى ٢٣٥.

### ورش (١١٠هـ - ١٩٧هـ):

هو أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري.

مولده و وفاته بمصر، لقبه شيخه بورش لشدة بياضه، اشتغل بالقرآن، و العربية، فمهر فيهما، و كان شيخ القراء المحققين، و إمام أهل الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤٣

الأداء المرتلين، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه. رحل إلى نافع فعرض عليه عدة ختمات. عرض عليه القرآن جماعة، منهم أحمد ابن صالح، و داود بن أبي طيبة، و يونس بن عبد الأعلى، و أبو يعقوب الأزرق. و كان ورش ثقة، حجة في القراءة، حسن الصوت. و لما تعمق في النحو و أتقنه اختار لنفسه مقراً يسمى مقراً ورش، مما قرأ به على شيخه نافع ٢٣٦.

### الإمام ابن كثير (٤٥هـ - ١٢٠هـ):

هو عبد الله بن كثير بن عمرو، أبو معبد، المكي، مقرئ أهل مكة، و مولده و وفاته بها، كان فصيحاً، بليغاً، مفوهاً، عليه السكينة، و الوقار. و كان أعلم بالعربية من مجاهد. و لم يزل هو الإمام المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات. لقي بمكة عبد الله بن الزبير، و أبا أيوب الأنصاري، و أنس بن مالك، و مجاهد بن جبر، و درباس، و روى عنهم، و أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن السائب، و عرض أيضا على مجاهد، و درباس. روى القراءة عنه إسماعيل بن عبد الله القسطنطيني، و إسماعيل بن مسلم، و جرير بن حازم، و أبو عمرو بن العلاء، و الخليل بن أحمد، و ابن عيينة، و ابن جريج، و غيرهم. و قد سمي ابن الجزري ثلاثين شخصا أخذوا القراءة عنه ٢٣٧.

و أسند عنه قراءته راويه المشهوران الآتيان:

### البيزي (١٧٠هـ - ٢٥٠هـ):

هو أحمد بن محمد البزى المكي، كنيته أبو الحسن. كان مؤذن المسجد الحرام، وإمامه. انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة. و كان أستاذاً، محققاً، ضابطاً، متقناً، قرأ على أبيه، و عبد الله بن زياد، و عكرمة بن سليمان، و وهب بن واضح. و أصحاب البزى هم شيوخه في قراءة ابن كثير. و سمى ابن الجزرى خمسة عشر رجلاً قرءوا على البزى، منهم إسحاق بن محمد الخزاعي، و أحمد بن فرح، و موسى بن هارون، و أبو معمر الجمحي، و روى عنه القراءة: قبل، و حدث عنه أبو بكر أحمد ابن عميد بن أبي عاصم النبيل، و ابن صاعد، و غيرهم.

و روى حديث التكبير مرفوعاً من آخر الضحى، و أخرجه الحاكم في «المستدرک» من طريقه ٢٣٨.

### قبل (١٩٥هـ - ٢٩١هـ):

هو أبو عمر محمد بن عبد الرحمن، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز، و رحل إليه الناس من الأقطار. قرأ على أصحابه فأخذ عنهم قراءة ابن كثير. أخذ قبل القراءة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤٤

عرضاً عن أحمد بن محمد النبالي، و روى القراءة عن البزى، و جود القراءة على أبي الحسن القواس. و كان قبل قد ولى الشرطة في مكة في وسط عمره، فحمدت سيرته، و كان لا- يليها إلا- رجل من أهل الفضل و الخير و الصلاح، ليكون لما يأتيه من الحدود و الأحكام على صواب، فولوها له لعلمه و فضله عندهم.

قرأ عليه خلق كثير، منهم أبو بكر ابن مجاهد، و أبو الحسن بن شنبوذ، و محمد بن عبد العزيز بن الصباح ٢٣٩.

### الإمام أبو عمرو (٦٩هـ - ١٥٤هـ):

هو زبان بن العلاء. لقب بسيد القراءة. ولد بمكة، و نشأ بالبصرة، و توفي بالكوفة، و هو إمام البصرة، و مقرئها. كان أعلم الناس بالقرآن، و العربية، و أعرفهم بالشعر، و أيام العرب.

قرأ على شيوخ كثيرين بمكة، و المدينة، و الكوفة، و البصرة، و قد سمى ابن الجزرى ثمانية عشر من هؤلاء الشيوخ، منهم الحسن البصرى، و حميد بن قيس، و أبو العالبي، و سعيد بن جبير، و شيبة بن نصاح، و عاصم أحد القراء السبعة، و كذا ابن كثير، كما قرأ على أبي جعفر أحد القراء العشرة، و يحيى ابن يعمر، و سمع أنس بن مالك، و غيره.

روى القراءة عنه عرضاً و سماعاً ختن ليث و اسمه أحمد بن محمد، و إسحاق ابن يوسف الأزرق، و شجاع بن أبي نصر البلخي. (ممن أخذ عنه الحروف سيبويه، و أشهر الآخذين عنه يحيى بن المبارك اليزيدي، و هو الواسطة بين أبي عمرو و راوييه الآتين ٢٤٠).

### الدورى (١٥٠هـ - ٢٤٦هـ):

هو أبو عمر حفص بن عمر الدورى، رحل فى طلب القراءات، و قرأ على شيوخ كثيرين، فجمع القراءات متواترها و شاذها سماعاً. و من أجل شيوخه يحيى بن المبارك اليزيدي، أخذ الدورى عنه القراءة، و هو عن أبي عمرو.

و من شيوخ الدورى: إسماعيل بن جعفر، و أخوه يعقوب، و الكسائي أحد القراء السبعة، و شجاع بن أبي نصر.

و قرأ عليه خلق، منهم أحمد بن حرب، و أبو جعفر المفسر، و أحمد بن يزيد الحلوانى، و كتب عنه العلم الإمام أحمد بن حنبل.

و الدورى إمام القراءة، و شيخ الناس فى زمانه، ثقة ثبت، كبير، ضابط ٢٤١.

### السوسى (حوالى ١٧٣هـ - ٢٤١هـ):

هو أبو شعيب، صالح بن زياد بن عبد الله.

مقرئ، ضابط، محرر، ثقة، أخذ القراءة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤٥

عرضا و سماعا عن أبي محمد اليزيدي، و هو من أجل أصحابه، و سمع بالكوفة من عبد الله ابن نمير، و أسباط بن محمد، و بمكة من سفيان بن عيينة. قرأ عليه ابنه أبو المعصوم محمد، و موسى بن جرير النحوي، و أبو عثمان النحوي، و الحافظ النسائي صاحب السنن، و غيرهم.

و حدث عنه أبو بكر بن أبي عاصم، و أبو عروبة الحراني، و أبو علي محمد بن سعيد الرقي. و قال أبو حاتم: صدوق ٢٤٢.

### ابن عامر (٥٢١ - ٥١١٨):

هو عبد الله بن عامر اليحصبي، التابعي الجليل، كان فصيح اللسان، صحيح النقل، عارفا، فهما، مشهورا في علمه، جمع له بين الإمامة و القضاء و مشيخة الإقراء بدار الخلافة دمشق محط رحال العلماء.

قرأ على جماعة من الصحابة و التابعين، و سمع من جماعة كذلك، و ممن قرأ عليهم:

المغيرة بن أبي شهاب، و أبو الدرداء، و فضالة ابن عبيد. و ثبت سماعه من معاوية بن أبي سفيان، و النعمان بن بشير، و واثلة بن الأسقع، و غيرهم.

روى القراءة عنه عرضا يحيى بن الحارث الذماري، و إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، و خلاد بن يزيد بن صبيح المري، و غيرهم، و مناقبه رضي الله عنه كثيرة ٢٤٣.

و رواياه المشهوران الأخذان عنه بواسطة الإسناد هما:

### هشام (١٥٣ - ٢٤٥):

هو أبو الوليد هشام بن عمار الدمشقي، قاضي دمشق، و خطيبها، كان فصيحاً، واسع الرواية مقرئاً، محدثاً، مفتياً، و على دراية.

أخذ القراءة عن جماعة، منهم أيوب بن تميم، و هو عن يحيى بن الحارث، و هو عن ابن عامر.

و روى عن مالك بن أنس، و ابن عيينة، و الدراوردي، و خلق، و أخذ القراءة عنه جماعة كبيرة، سماهم ابن الجزري، و منهم: أبو عبيد القاسم بن سلام، و أحمد بن يزيد الحلواني، و أبو زرعة عبد الرحمن بن عمر، و هارون بن موسى الأخفش. و روى عنه الوليد بن

مسلم، و محمد بن شعيب - و هما من شيوخه - و البخاري في صحيحه، و أبو داود، و النسائي، و ابن ماجه في سننهم، و خلق ٢٤٤.

### ابن ذكوان (١٧٣ - ٢٤٢):

هو أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير ابن ذكوان الدمشقي، الإمام، الأستاذ الشهير، الثقة، إمام جامع دمشق، و شيخ الإقراء بالشام.

ألف كتاب «أقسام القرآن و جواباتها»، و «ما يجب على قارئ القرآن عند حركة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤٦

لسانه». قرأ على جماعة، منهم: الكسائي، و أخذ الحروف عن ابن المسيبي عن نافع، و أخذ القراءة عرضا عن أيوب بن تميم، و هو عن الذماري، و هو عن ابن عامر، و روى القراءة عنه ناس، سمي ابن الجزري منهم ثلاثة و عشرين رجلا، منهم: ابنه أحمد، و سهل بن عبد

الله الزاهد، و أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي ٢٤٥.

**الإمام عاصم (١٢٧ هـ - ٥٠٠ هـ):**

هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود، الكوفي، من التابعين، لغوى نحوى، وإمام فى القراءة، والحديث، كان ثقة، صالحا، فصيحاً. قرأ على زر بن حبیش، وأبى عبد الرحمن السلمى، وأبى عمرو الشيبانى، وروى القراءة عنه جماعة سُمى منهم ابن الجزرى أكثر من عشرين رجلا، منهم راويه المشهوران: شعبه، وحفص. وقد أقرأ كلا منهما بقراءة، فأقرأ شعبه بما كان يعرضه على زر، عن ابن مسعود رضى الله عنه. وأقرأ حفصا بما قرأ به على أبى عبد الرحمن السلمى، عن على - كرم الله وجهه ٢٤٦.

**شعبة (١٩٥ هـ - ١٩٣ هـ):**

هو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم. كان إماما كبيرا، عالما عاملا، ثقة، من أئمة السنة، ختم فى زاوية له ثمانية عشر ألف ختمه، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، وعلى عطاء بن السائب، وأسلم المنقرى. و عرض عليه القرآن خمسة سماهم ابن الجزرى، و سُمى كثيرا أخذوا عنه الحروف ٢٤٧.

**حفص (٥٩٠ هـ - ١٨٠ هـ):**

هو أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز، كان فى القراءة ثقة ثبتا ضابطا، أخذها عرضا و تلقينا عن عاصم، و أقرأ الناس دهرًا. و روى الحديث عن عاصم أيضا، و عن خلق، منهم علقمة بن مرثد، و ثابت البنانى، و أبو إسحاق السبيعى. و قرأ عليه عرضا و سماعا عبيد بن الصباح، و عمرو بن الصباح، و أبو شعيب القواس، و خلق سواهم ٢٤٨.

**الإمام حمزة (٨٠ هـ - ١٥٦ هـ):**

هو أبو عماره حمزة بن حبيب الزيات الكوفى، أدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم فيكون تابعيا، و اشتهر بالزيات لأن الزيت كان بعض تجارته. كان حمزة إماما حجة ثقة ثبتا رضى، فيما بكتاب الله، بصيرا بالفرائض، عارفا بالعربية، حافظا للحديث، و كان عابدا خاشعا زاهدا ورعا قانتا لله. عديم النظر. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤٧. أخذ القراءة عن سليمان الأعمش، و جماعته. و قد سُمى ابن الجزرى عددا كبيرا قرءوا على هذا الإمام. أما راويه المشهوران فيرويان عنه بواسطة سليم بن عيسى الكوفى عن حمزة ٢٤٩، و هما:

**خلف (١٥٠ هـ - ٢٢٩ هـ):**

هو أبو محمد خلف بن هشام البزار، روى القراءة عن سليم، عن حمزة. و أخذ القرآن عن جماعة، منهم: عبد الرحمن بن أبى حماد، و يعقوب بن أبى خليفة، و أبو زيد سعيد ابن أوس. و روى الحروف عن جماعة منهم إسحاق المسيبى، و إسماعيل بن جعفر، و يحيى بن آدم. و قرأ عليه أحمد بن إبراهيم الوراق، و أحمد بن يزيد الحلوانى، و إدريس بن عبد الكريم الحداد، و إسحاق بن إبراهيم ٢٥٠.

**خالد (٢٢٠ هـ - ٥٠٠ هـ):**

هو خلاد بن خالد الصيرفي الكوفي أبو عيسى. أخذ القراءة عن سليم عن حمزة، و روى قراءة عاصم من رواية أبي بكر، و روى عن أبي جعفر الرئاسي. و قد سمي ابن الجزري ستة عشر رجلا روى القراءة عن خلاد. و كان إماما في القراءة ثقة عارفا محققا أستاذا .٢٥١

### الإمام الكسائي (١١٩ هـ - ١٨٩ هـ):

هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي أخذ القراءة عن حمزة، و عن محمد بن أبي ليلي، و عيسى بن عمر الهمداني، و روى الحروف عن جماعة منهم أبو بكر بن عياش. و قد كثر الآخذون عنه و هم مسمون عند ابن الجزري، و روى عنه الأئمة كأحمد بن حنبل، و يحيى بن معين، و أبي عبيد، و الفراء. و هو إمام المدرسة النحوية الكوفية في زمانه ٢٥٢. و راويه المشهوران هما:

### أبو الحارث (... هـ - ٢٤٠ هـ):

هو الليث بن خالد البغدادي. و هو ثقة، معروف، حاذق، ضابط. قرأ على الكسائي، و روى الحروف عن يزيد، و غيره. و قد سمي ابن الجزري أربعة قرءوا عليه. و روى أبو الحارث قراءة حمزة أيضا عن سليمان بن يحيى الضبي ٢٥٣.

### الدوري:

هو الراوي المذكور مع الإمام أبي عمرو، و ذكر هنا لأنه روى عن الإمام الكسائي أيضا ٢٥٤. هؤلاء هم القراء السبعة، و أشهر روايتهم. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤٨

### المكملون للعشرة

### الإمام أبو جعفر (... هـ - ١٣٠ هـ):

هو يزيد بن القعقاع التابعي المدني. قرأ القرآن على عبد الله بن عباس، و أبي هريرة، و ابن عياش، و روى عنهم - رضي الله عنهم - و قرأ الناس من قبل سنة ثلاث و ستين، فلا حصر لمن أخذوا عنه القرآن، و منهم الإمام نافع، و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، و إسماعيل، و يعقوب، و ميمونة - الثلاثة أولاد الإمام أبي جعفر. و هي أسرة مباركة فقد روى عن ميمونة ابنها أحمد، و غيره. و لم يكن أحد أقرأ للسنن من أبي جعفر، و كان إمام الناس بالمدينة، و كان يصوم يوما و يفطر يوما، و يصل في جوف الليل، و يدعو عقب الصلاة لنفسه و للمسلمين و لكل من قرأ بقراءته. و مناقبه كثيرة. و أشهر روايته الراويان الآتيان ٢٥٥:

### ابن وردان (... هـ - ١٦٠ هـ):

هو عيسى بن وردان الحذاء المدني. قرأ على الإمام أبي جعفر، ثم على نافع، و هو من قدماء أصحابه، و قد شاركه في الإسناد. و ابن وردان مقرئ، حاذق، و راوي محقق، ضابط. قرأ عليه إسماعيل بن جعفر، و قالون، و محمد بن عمر الواقدي ٢٥٦.

**ابن جماز (٥١٧٠ - ٥):**

هو أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز. مقررئ جليل ضابط. قرأ على أبي جعفر، و شيبه، ثم على نافع. و أقرأ بحرف أبي جعفر، و نافع. قرأ عليه إسماعيل بن جعفر، و قتيبة بن مهران ٢٥٧.

**الإمام يعقوب (١١٧ - ٥٢٠٥):**

هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري. أخذ القراءة من سلام الطويل، و غيره. و روى عن سلام حرف أبي عمرو الإدغام. و سمع الحروف من الكسائي، و ابن زريق عن عاصم. و قرأ على أبي عمرو. و سنده متصل بسند على رضى الله عنه. و قرأ عليه و روى عنه عدد كبير، منهم: أبو حاتم السجستاني، و أبو عمر الدوري. و روى حمدان ابن محمد الساجي عنه حرف أبي عمرو بن الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤٩ العلاء. و حدث عنه أبو حفص الفلاس، و غيره. كان يعقوب من أروى الناس لحروف القرآن و أعلمهم بمذاهب أهل النحو فى القرآن، و أرواهم لحديث الفقهاء، و من أهل بيت العلم بكلام العرب ٢٥٨ و راويه المشهوران هما:

**رويس (٥٢٣٨ - ٥):**

هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل المعروف برويس، أخذ القراءة عن يعقوب الحضرمي، و ختم عليه ثلاث ختمات، روى القراءة عنه الإمام أبو عبد الله الزبير بن أحمد، و محمد ابن هارون التمار. و كان- كما قال التمار- يأخذ على المبتدئين بتحقيق الهمزتين من كلمة، و على الماهر بتخفيف الثانية. و كان مشهورا جليلا ٢٥٩. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٣٤٩ روح (٥٢٣٤ - ٥) أو ٢٣٥ (٥): ..... ص : ٣٤٩

**روح (٥٢٣٤ - ٥ أو ٥٢٣٥):**

هو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن البصري النحوى. قرأ على يعقوب الحضرمي، و روى الحروف عن جماعة سماهم ابن الجزرى و قرأ عليه جماعة و سمع منهم حروف بعضهم، و هم عند ابن الجزرى بأسمائهم. و روى عنه البخارى فى صحيحه ٢٦٠.

**الإمام خلف العاشر:**

هو الراوى الأول من الراويين المشهورين عن الإمام حمزة، و ترجمته هناك، و ذكر هنا مميزا بلقب (العاشر لأن المقصود هنا هو قراءته التى اختارها مما رواه عن شيوخه، و تفرغ للإقراء بها زمتنا، فكثرت الآخذون بها عنه)، و أشهر رواة اختياره الراويان الآتيان:

**إسحاق (٥٢٨٦ - ٥):**

هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المروزى ثم البغدادي، و رآق خلف و راويه الأول. قرأ عليه، و على الوليد بن مسلم، و كان قيما

بالقراءة. وقرأ عليه جماعة، منهم محمد بن عبد الله النقاش، وابن شنبوذ، وابن محمد ابن إسحاق، وغيرهم ٢٦١.

### إدریس (١٩٩هـ - ٢٩٢هـ):

هو أبو الحسن إدریس بن عبد الكريم البغدادي الحداد. قرأ على خلف بالقراءة المذكورة التي اختارها، وبالرواية التي رواها عن الإمام حمزة، وقرأ أيضا على غيره.

و روى القراءة عنه جماعة منهم الإمام ابن مجاهد، وابن شنبوذ، وابن مقسم، وموسى بن عبيد الله الخاقاني، وأبو بكر النقاش ٢٦٢. هؤلاء هم الأئمة المكملون للعشرة، وأشهر روايتهم.

\*\*\*\*

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٥٠

### المؤلفون في القراءات

المقصود هنا المؤلفون في علم القراءات رواية.

و علم القراءات رواية: علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة. قيل: وقد يبحث فيه أيضا عن نظم الكلام من حيث الاختلافات الواصلة إلى حد الشهرة التي لم تتواتر، المروية عن الموثوق بهم. والواقع أن المؤلفين في هذا العلم منهم من يقتصر على المعمول به من قراءات العشرة أو بعضهم، ومنهم من يجمع كل ما وصله من متواتر وشاذ - لغرض - ومنهم من يقتصر على الشواذ أو بعضها - لغرض. وهذه طائفة من جموع كثيرة:

### يحيى بن يعمر (ت قبل ٩٠هـ):

ألف كتابا في القراءات جمع فيه ما روى من القراءات المختلفة، الموافقة لخط المصحف العثماني الخالي من النقط والشكل، لثلا يظن أحد أن ضبطه لمصحف على قراءة واحدة مانع من سائر القراءات الموافقة للرسم. واستمر الناس على ذلك زمانا طويلا.

### هارون بن موسى (ت قبل ٢٠٠هـ):

سمع بالبصرة وجوه القراءات، و ألفها و تتبع الشاذ منها، و بحث عن إسناده.

### يعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥هـ):

أحد القراء العشرة ألف كتاب «الجامع في القراءات» منسوبة إلى أئمتها.

### أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ):

الإمام المعتبر ألف كتابا ذكر فيه مع القراء السبعة خمسة وعشرين قارئاً.

### أبو عمر الدوري (ت ٢٤٦هـ):

الراوي عن أبي عمرو، وغيره، جمع القراءات و ألفها، و روى ابن الجزري من طريقه قراءات العشرة، فيكون كتاب الدوري مشتملا

عليها كلها.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٥١

### ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ):

شيخ الصنعة، وأول من سبغ السبعة- وإن كانوا قد لاموه على أنه لم يزد عليهم أو ينقص، فالتبس على بعضهم ظنا أنه قصد الأحرف السبعة فلا مزيد على ما جمعه- ألف كتاب السبعة، و طبع محققا.

### أبو بكر الداجوني (ت ٣٢٤ هـ):

ألف قبل ابن مجاهد كتابا أدخل فيه قراءة أبي جعفر أحد القراء الثلاثة المكملين للعشرة.  
- و من هنا، و مما سلف عن الدوري نعرف أن قراءات العشرة مؤلفه من قبل ابن مجاهد، و أنه هو الذي اقتصر على السبعة.

### ابن مهران أحمد بن الحسين (ت ٣٨١ هـ):

ألف كتاب «الغاية في القراءات العشر»، و اشترط على نفسه الأشهر، و اختار ما قطع به عنده، و تلقى الناس كتابه بالقبول، و أجمعوا عليه من غير معارض.

- و هكذا شأن القراءات العشر في كل زمان: قبولها، و الإجماع عليها، فضلا عن تواترها. فمن خفي عليه تواتر شيء منها كفاه الإجماع، و الإجماع لا يخفى على من يرى، و يتتبع و لو بجهد قليل.  
و ترك هذا الذي يطول سرده، و نقول:

المعول عليه- و الكل من بعده عالء عليه- رجلا، و ثلاثة كتب:

الإمام الشاطبي: أبو القاسم و أبو محمد القاسم بن فيره بن خلف المتوفى سنة (٥٩٠ هـ)، صاحب المنظومة الشهيرة، المنسوبة إليه (الشاطبية) في القراءات السبع، و اسمها «حرز الأمانى و وجه التهاني». و تكاد الدنيا كلها تحفظها و تقرأ بما تضمنته بعد تحريره من القراءات السبع الصغرى.

الإمام ابن الجزرى: هو محمد بن محمد ابن الجزرى، و كنيته أبو الخير. توفى سنة (٨٣٣ هـ). ألف «متن الدرء»، و هى منظومة شهيرة سماها «الدرء المضية»، و هى فى القراءات الثلاث المكملة للعشر الصغرى.

و ألف «متن الطيبة»، و هو منظومة شهيرة، أيضا، سماها «طيبة النشر فى القراءات العشر»- و هى العشر الكبرى.

و من المؤلفين الجامعين فى كتبهم بين الرواية و الدراية:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٥٢

الهدلى: يوسف بن جبارة (ت ٤٦٥ هـ)، و كتابه يسمى «الكامل»، و قد ضم فيه إلى القراء العشرة أربعين قارئاً، و درج فيه على أن يختار، و يعلل لاختياره، فأودع الكتاب مع الرواية الواسعة قدرا من التوجيه طيبا.

ابن سوار: أبو طاهر أحمد بن على (٤٩٩ هـ)، له كتاب «المستنير» جمع فيه بين الرواية و الدراية، و ذكر ما تلا به دون ما سمعه فى القراءات العشر.

النويرى: أبو القاسم محمد النويرى (ت ٨٥٧ هـ) له شرح حافل على «طيبة النشر» لشيخه ابن الجزرى، مشتمل على وجوه القراءات معزوة إلى طرقها، و على توجيهها بشكل جيد موجز.

و هو من كتب القراءات العشر الكبرى.



مطبوع محقق في ستة أجزاء، و السابع فهارس.  
القسطلاني: أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٩٢٣ هـ)، له كتاب «لطائف الإشارات لفنون القراءات» مشتمل على الرواية و الدراية للقراء الأربعة عشر، و على وسائل علم القراءات كعلم مرسوم الخط، و فن عدد الآيات، و الوقف و الابتداء، و غيرها.  
و أودعت تلك الوسائل الجزء الأول المطبوع محققاً في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.  
و نرجو الله أن تنشر بقية أجزائه المشتملة على أصول القراءات، و فرشها، و توجيهها.  
البنّا: أحمد بن محمد الدميّاطي الشهير بالبنا (ت ١١١٧ هـ) له كتاب «إتحاف فضلاء البشر». و هو شبيه بالكتاب السابق للقسطلاني، مع الإيجاز. و قد طبع في مجلد، ثم محققاً في ثلاثة مجلدات في مصر، و بتحقيق آخر جيد كذلك مع الاقتصار في التعليق على المهم، و طبعته بيروت في مجلد كبير ٢٦٣.

### \*\*\* المصنفات في توجيه القراءات:

- كتاب احتجاج القراءة للمبرد (ت ٢٨٦ هـ).
  - كتاب احتجاج القراءات.
  - كتاب السبعة بعلمها الكبيرة. كلاهما لابن مقسم (ت ٣٦٨ هـ).
  - معاني القراءات لأبي منصور الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ). و هو مطبوع محقق في عدة أجزاء، و هو مشتمل على توجيه القراءات الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٥٣
  - العشر، و إن كان لم يسم خلفا العاشر، فوجوه قراءته مندرجة في قراءات التسعة الذين سماهم.
  - الحجّة لأبي على الفارسي (ت ٣٧٧ هـ).
  - و هو مطبوع في عدة مجلدات و محقق.
  - الحجّة في القراءات السبع.
  - إعراب القراءات السبع و علمها. كلاهما لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) و هذا مطبوع محقق في مجلدين كبيرين، و الأول مطبوع في مجلد واحد و محقق.
  - المحتسب لابن جنى (ت ٣٩٢ هـ). و هو مطبوع محقق في مجلدين و خاص بالقراءات الشاذة.
  - حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن، من رجال القرن الرابع.
  - و هو يحتج لقراءات السبعة و ينسب كل وجه إلى صاحبه. و هو مطبوع محقق.
  - الكشف عن علل القراءات السبع، لمكي ابن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) و هو مطبوع محقق في مجلدين.
  - إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ هـ).
  - و هو مطبوع محقق في مجلدين كبيرين. و هو بين التصريف و الإعراب و المعاني و غير ذلك.
  - قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر للدجوى و قمحاوى و هو مطبوع و متداول، و حجمه لطيف.
  - القراءات الشاذة و توجيهها من لغة العرب للشيخ عبد الفتاح القاضى (١٤٠٣ هـ). و هو كتاب صغير، جيد، و مطبوع و متداول. اقتصر فيه على قراءات الأربعة الزائدين على العشرة.
  - و طبع حديثاً كتاب محقق لنصر بن على ابن أبي مريم (ت ٥٦٥ هـ). في توجيه قراءات السبعة و يعقوب ٢٦٤.
- هذا: و الكتب الجامعة بين الرواية و الدراية، المذكورة تحت عنوان (المؤلفون في القراءات) مشتملة - كما هو واضح - على توجيه القراءات المذكورة فيها للسبعة، أو لأكثر.

- أ. د. / عبد الغفور محمود مصطفى  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٥٤
- مراجع الاستزادة:- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن، تأليف أبي البقاء العكبري تصحيح و تحقيق إبراهيم عطوة عوض - مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٦١ م.
- الانتصار للقرآن للإمام الباقلاني أبي بكر بن الطيب، تحقيق الدكتور محمد عصام القضاء، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م دار الفتح الأردن- دار ابن حزم لبنان.
- تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه- تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، طبع في جدة سنة ١٣٦٥ هـ.
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تأليف محمد جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه و تصحيحه و رقمه و خرج آياته و أحاديثه و علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي ...) ١٩٥٧ م.
- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل بواعثه و مخططاته بقلم لبيب السعيد. دار الكاتب العربي للطباعة و النشر القاهرة- سنة ١٩٦٧ م.
- السيوف الساحقة لمنكر نزول القراءات من الزنادقة، تأليف محمد بن علي بن خلف الحسيني الحداد. مطبعة المعاهد سنة ١٣٤٤ هـ.
- القراءات الشاذة و توجيهها النحوي، تأليف الدكتور محمود أحمد الصغير. الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩ م دار الفكر دمشق.
- القراءات القرآنية تاريخ و تعريف. تأليف الدكتور عبد الهادي الفضلي. دار المجمع العلمي بجدة الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- القراءات المتواترة و أثرها في الرسم القرآني و الأحكام الشرعية، تأليف الدكتور محمد الحبش، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩ م دار الفكر دمشق.
- الهوامش:

- (١) انظر لسان العرب لابن منظور، و المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية مادة (قرأ).
- (٢) هذا يؤخذ من كون القراءة و القرآن مصدرين، و أنه إذا أطلق انصرف لغة إلى الكلمات و الحروف، لأنها هي التي تقرأ، كما في المصباح المنير للفيومي مادة (قري)، و غيره.
- (٣) يؤخذ هذا من جملة تعريفية في مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (٦/٢، ٣٧١) تحقيق كامل بكرى و زميله، طبعة دار الكتب الحديثة بدون تاريخ، و منجد المقرئين لابن الجزري، نشره القدسي سنة ١٣٥٠ هـ المطبعة الوطنية الإسلامية.
- (٤) هذا شائع في كتب القراءات، ككتاب «البدور الزاهرة» للشيخ عبد الفتاح القاضي - رحمه الله تعالى.
- (٥) انظر السابق، و غيره، في مواضع كثيرة، مثل «إتحاف فضلاء البشر» للبنا ص ١١٨-١٢٥ طبعة عبد الحميد أحمد حنفي ١٣٥٩ هـ.
- (٦) انظر - مثلاً - رساله (القراءات دراسات فيها و تحقيقات) للدكتور عبد الغفور محمود مصطفى بمكتبة كلية أصول الدين رقم ٨٣٢ إلخ ص ١٨٦ و غيرها.
- (٧) انظر إتحاف فضلاء البشر السابق ١٣٤.
- (٨) انظر السابق ٤٤٠.
- (٩) انظر السابق ١٢٢.
- (١٠) انظر السابق ١٢٣.
- (١١) سراج القارئ المبتدى لابن القاصح ط ٣ الحلبي ١٩٥٤ م.

- (١٢) انظر إتحاف ... السابق ١٧٠.
- (١٣) انظر السابق ٨٣.
- (١٤) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٢١٤-٢٧٣ تجد هذه الجزئيات وغيرها وأحاديثها، و تجد توضيح هذا الدليل بتوسع.
- (١٥)
- (١٥) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٤٤.
- (١٦) انظر سمير الطالبين للضباع ص ٦٢، ط الأولى المكتبة الأزهرية للتراث سنة ١٩٩٩ م، و باب الإمالة في النشر.
- (١٧)،
- (١٨) انظر كل ما سبق في سمير الطالبين السابق ٧٤-٧٦.
- (١٩) انظر تفصيل هذا الدليل، و استقصاء جزئياته في رسالة (القراءات ...) ص ٢٧٣-٢٩٥.
- (٢٠) انظر العجالة البديعة الغرر للمتولى، مطبوعه مع شرح الطيبة للنويرى ص ٤٢-٤٣.
- (٢١) انظر الجزء الأول منه ٩٨-١٩٤.
- (٢٢) انظر فواتح الرحموت ١٠ / ٢.
- (٢٣) انظر تفصيل تسعة أدلة على أن القراءات توقيفية في رسالة (القراءات دراسات فيها و تحقيقات) ص ٢٠٤-٣٧٦.
- (٢٤) انظر البرهان للزركشى ١٢٥ / ٢ طبعه دار المعرفة بيروت بدون تاريخ.
- (٢٥) انظر البرهان السابق ١٢٧.
- (٢٦) انظر السابق ١٢٥.
- (٢٧) انظر رفع الحاجب لابن السبكي الورقة ١٢٨ مخطوط مكتبة الأزهر رقم ٤٥٥ أصول فقه.
- (٢٨) انظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١ / ٣٨.
- (٢٩) انظر السابق ٣٩.
- (٣٠) انظر السابق ٣٩.
- (٣١) انظر السابق ٤٠-٤١.
- (٣٢) انظر - مثلاً- السابق برمته، و هو جزآن.
- (٣٣) انظر السابق ١ / ٣٨-٣٩، و غاية النهاية ١ / ٦-٧ إلخ.
- (٣٤) انظر معرفة القراء الكبار ١ / ٤٥.
- (٣٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، و الطبراني في الكبير، و هو حديث حسن، و رجال إسناده ثقات. انظر الإتقان للسيوطى ١ / ٩٦ ط الحلبي - القاهرة.
- (٣٦) انظر لطائف الإشارات للقسطلانى ١ / ٥٠-٥١.
- (٣٧) انظر مقدمة كتابه (معرفة القراء الكبار)، مع ص ٥١ إلى ص ٨٢ منه الجزء الأول.
- (٣٨) انظر السابق ٣٤.
- (٣٩) انظر عنوان البيان ص ٢٩ لمخولوف ط الأولى ١٣٤٤ ه مطبعة المعاهد.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٥٥
- 
- (٤٠) انظر هذا العدد في الإتقان ١ / ٧٢-٧٣.

- (٤١) تأمل النشر لابن الجزرى ٨ / ١.
- (٤٢) انظر ٥- ج ١٢ / ٣ ط الحلبي ١٩٣٢ م.
- (٤٣) انظر تقرير التعبير الجزء الثاني. ط القاهرة و غيرها.
- (٤٤) انظر شرح الطيبة للنويرى ظهر ١٨، و وجه ١٩ رقم ٣٧٤ رافعى ٢٦٦١٠ قراءات بمكتبة الأزهر (و قد طبع محققا).
- (٤٥) انظر السابق وجه الورقة ٢٠.
- (٤٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣ / ١ ط الشعب.
- (٤٧) انظر المغنى فى أبواب التوحيد و العدل لعبد الجبار ١٦ / ١٥٦. طبعه دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٠ م.
- (٤٨) راجع إرشاد الفحول للشوكانى ص ٣٠ ط الحلبي.
- (٤٩) انظر المستصفى ١ / ١٠١ ط الأميرية ١٣٢٤ هـ. و قد نقل صاحب مناهل العرفان معظمه ١ / ٤٢٤ - ٤٢٥ ط عيسى الحلبي.
- (٥٠) انظر مسلم الثبوت بشرحه فواتح الرحموت ٢ / ٩ ط الأميرية سنة ١٣٢٤ هـ. و نقله إلا كلمتين صاحب مناهل العرفان ١ / ٤٢٦.
- (٥١) انظر الإتقان السابق ١ / ٧٧ - ٧٨ و قد استفاد كثيرا من البرهان للزركشى ٢ / ١٢٥ إلخ.
- (٥٢) انظر رسالة (القراءات ...) السابقة ص ٧٣٠ - ٧٥٩.
- (٥٣) انظر شرح النويرى على الطيبة بتحقيق الدكتور عبد الفتاح أبو سنة طبعه مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٦ م ص ٧٣، ٧٥، ٧٦.
- (٥٤) انظر روضات الجنات للشيخ محمود بسه ٢١ - ٢٢ و سائره. مطبعة الرافعى ١٩٦٠ م ط الأولى.
- (٥٥) انظر السابق.
- (٥٦) انظر السابق.
- (٥٧) انظر (القراءات ...) ص ١٦٩ و ما حولها.
- (٥٨) انظر فتح البارى ١٩ / ٣٠ - ٣١ كتاب فضائل القرآن باب (أنزل القرآن على سبعة أحرف) طبعه مكتبة الكليات الأزهرية. ١٩٧٨ م
- مراجعة و تعليق طه عبد الرؤوف و زميله.
- (٥٩) انظر غيث النفع ٢٤٩.
- (٦٠) انظر النشر ٢ / ٣٠.
- (٦١) انظر (القراءات ...) ص ٣٧٧ - ٤٧٥.
- (٦٢) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٦٤٠.
- (٦٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ١٢٣.
- (٦٤) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٦٣٩ - ٦٤٠.
- (٦٥) انظر السابق ٦٣٠.
- (٦٦) انظر السابق ٧١، ٥٢٧، ٥٢٨.
- (٦٧) اسمه عبد العلى محمد. و هو أصولى مشهور. انظر كتابه.
- (٦٨) انظر فواتح الرحموت ٢ / ١٦.
- (٦٩) انظر منجد المقرئين ٦٧، و المنهج الحديث فى علوم الحديث قسم الرواية و الرواة للأستاذ الدكتور محمد محمد السماحى - رحمه الله تعالى - طبع دار الأنوار سنة ١٩٦٤ م.
- (٧٠) انظر البرهان للزركشى ٢ / ١٢٦ ط ٢ دار المعرفة بيروت دون تاريخ.
- (٧١) الضمير راجع إلى (غير) و هو غير القائل بما يخالف المتواتر، أو الساكت - كما يذكر بعد.

(٧٢) انظر الآيات البيّنات للعبادى فى أصول الفقه ١/ ٣١٤ المطبعة الكبرى ١٢٨٩ هـ.

(٧٣) انظر منجد المقرئين ٦٢-٦٤ و المرشد الوجيز لأبى شامة فى هذه المسألة.

(٧٤) مثال ما اختلفت الطرق فى نقله: الفتح أو الإمالة من طرق دورى الكسائى فى (يوارى) و (أوارى) فى المائدة، و (يوارى) فى الأعراف، و (فلا- تمار) فى الكهف، فإنها من طريق الضرير عن دورى الكسائى من طرق الضرير الثانى عشرة بالإمالة، و من طريق النصيبى عن دورى الكسائى من طرق النصيبى الستة بالفتح. فمن زعم أن الفتح مثلا غير متواتر عن الدورى عن الكسائى قلنا له: الدليل العقلى قائم على تواتر تفاصيل القرآن- و هذا منها- و هو مبين فى موضعه من هذا البحث- و الإجماع على هذا الفتح و غيره مما استقر فى المعمول به عن القراء العشرة من أى طريق حاصل، و الناقلون أكثر بكثير جدا مما اقتصر عليه فى تدوين العلم، و كل طريق فى طبقة فإنها فيها و ليست وحدها، فلو كانت أتت بما لا تعرفه الجماعة، ما سكتت الجماعة.

و فوق هذا كله أن أى ختمه من أى طريق من الطرق المعمول بها لا- يمكن أن يستقر فيها ما ليس من القرآن- و القرآن متواتر بالإجماع- لأن الله تعالى تولى حفظه بنفسه، قال- سبحانه:- **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** انظر مرجع الحاشية (١٤) ص ٥٧٣ و غيرها.

و مثال الانفرادات الباقية فى المعمول به: قراءة (سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام) بلفظ الجمع (سقاؤ)، و (عمرة) فى وجه عن ابن وردان عن أبى جعفر. فمن زعم أن مثل هذه الانفرادات الباقية فى المعمول به غير متواترة و يكفى أنها صحيحة السند قلنا له مثل ما قلنا، آنفا، و زدنا على سبيل الدراية مع صحة الرواية و التواتر أنه لو لا قرآنية هذه الانفرادات التى خلت منها بعض كتب ابن الجزرى بعد إثباتها لها فى النشر، و دخلت فى بعض كتبه أخيرا- لو لا قرآنتها ما ساغ له أن يذكرها و يقرئ بها القرآن، و يجعل ذلك آخر أمره. انظر المرجع السابق ص ٥٥٧-٥٧٩ و غيرها.

هذا و الانفرادات الباقية فى المعمول به، و ما اختلفت الطرق فى نقله و عمل بمختلفه مستقراً فى تلاوة القرآن الكريم- كلاهما شىء واحد، و إنما ميزناهما لوقوع الكلام عليهما فى المراجع هكذا كأنهما نوعان. و قيد البقاء فى المعمول به ضرورى، فإن مما اختلفت الطرق فى نقله ما عدّ من قبيل الوهم، فلا يجوز العمل به، كما أن من الانفرادات ما ترك ففقد التواتر، و انقطع سنده، فلا يجوز العمل به أيضا.

و تفصيل ذلك كله يعلم من رسالة (القراءات ...) و غيرها.

(٧٥) انظر منع الموانع للشيخ زكريا الأنصارى وجه الورقة ٥٥ مخطوط مكتبة الأزهر رقم ١٤٥١ أصول فقه.

(٧٦) و هى محصورة و مشروحة تفصيلا فى رسالة (القراءات ...) ص ٣٦٨ و غيرها.

(٧٧) انظر التفاصيل فى المرجع السابق ٣٦٨-٣٧٢، ٥٨٤-٥٨٧، و ما تدل عليه من صفحات أخرى مثل ص ٥٧٩ إلخ.

(٧٨) انظر المحتسب ١/ ١٥٥.

(٧٩) انظر السابق ٢/ ٣٢٨.

(٨٠) انظر السابق ١/ ١٢٥.

(٨١) انظر النشر ١/ ٤٩-٥١ و تفسير الجلالين مثلا ١/ ٢٣٥ ط دار إحياء الكتب العربية ١٣٤٢ هـ.

(٨٢) انظر النشر ١/ ٢٦-٢٧.

(٨٣) انظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/ ٢٧١.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٥٦

- (٨٥) انظر القاموس المحيط - مادة (مجد). و انظر النشر ٢ / ٣٩٨ - ٣٩٩.
- (٨٦) انظر النشر ٢ / ٢٢٣.
- (٨٧) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٧٦٩ لكاتب هذا الموضوع.
- (٨٨) انظر النشر ٢ / ٢٢٢.
- (٨٩) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ / ١١٧ - ١١٨ تحقيق د. محمد الحفناوى و زميله ط ٢ دار الحديث ١٩٩٦ م.
- (٩٠) انظر السابق.
- (٩١) انظر أحكام القرآن لابن العربي ١ / ٦٠ مراجعته و تخريج و تعليق محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت ط ١ / ١٩٨٨ م.
- (٩٢) انظر النشر ٢ / ٢٢٧.
- (٩٣) انظر حجة القراءات لابن نجلة ص ١٢٨ تحقيق د. الأفغانى ط أولى ١٩٧٤ م. جامعة بن غازى ليبيا.
- (٩٤) انظر روائع البيان للصابونى ط ٢ / ١٩٧٧ م مكتبة الغزالي دمشق.
- (٩٥) انظر النشر السابق.
- (٩٦) راجع روائع البيان السابق.
- (٩٧) انظر النشر السابق.
- (٩٨) فتح القدير للشوكانى ١ / ٣٣٤ - ٣٣٥ تحقيق ... سيد إبراهيم ط أولى ١٩٩٣ م دار الحديث.
- (٩٩) انظر النشر ٢ / ٢٤٩.
- (١٠٠) انظر حجة القراءات السابق ١٩٨، و الجامع لأحكام القرآن السابق ٥ / ١٤٧ - ١٤٩، و فتح القدير السابق ١ / ٦٧٣ - ٦٧٥، و أحكام القرآن للهراسى ٢ / ٣١٩ - ٣٢١ تحقيق موسى محمد على، و الدكتور عزت عطية ط دار الكتب الحديثة بدون تاريخ.
- (١٠١) انظر النشر ٢ / ٢٥٠.
- (١٠٢) انظر الإتيان للسيوطى ٢ / ١٢١٨ تقديم و تعليق مصطفى البغا ط الثالثة ١٩٩٦ م دمشق بيروت دار ابن كثير.
- (١٠٣) انظر حاشية البيجرمى على الخطيب (تحفة الحبيب) ١ / ١٧٢ مطبعة التقدم العلمية بدون تاريخ.
- (١٠٤) انظر النشر ٢ / ٢٥٤.
- (١٠٥) انظر - مثلاً - بداية المجتهد لابن رشد ١ / ١٧ - ١٨ تحقيق د. محمد سالم محيسن و زميله مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٢ م.
- (١٠٦) انظر شرح الفقه الأكبر لملا على قارى ص ٧٥ ط الثانية الحلبي ١٩٥٥ م.
- (١٠٧) انظر النشر ٢ / ٢٥٥.
- (١٠٨) البدنة: البعير ذكرا كان أو أنثى. قال مالك و الشافعية و الحنابلة: بشرط أن يكون مجزئا فى الأضحية، و هو ما بلغ خمس سنين و طعن فى السادسة. انظر الإقناع للشريينى ١ / ٢٤٧، ٢ / ٢٤٠ الطبعة الأخيرة الحلبي ١٩٤٠ م، و الموسوعة الفقهية ٢ / ١١٨ وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية الكويت إعادة طبع ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- (١٠٩) انظر حجة القراءات ٢٣٥ - ٢٣٦.
- (١١٠) انظر النشر السابق.
- (١١١) انظر حجة القراءات ٢٣٦ - ٢٣٧.
- (١١٢) انظر النشر ٢ / ٢٧٧.
- (١١٣) انظر حجة القراءات ٣١٤، و الجمل على الجلالين ٢ / ٢٥٩ ط عيسى الحلبي، و رسالة (القراءات ...) ص ٧٧٧.
- (١١٤) راجع النشر ٢ / ٣٣٧.

- (١١٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٩٦.
- (١١٦) انظر المزيد في رسالة (القراءات ...) ص ٧٦٩-٧٧٨.
- (١١٧) انظر همع الهوامع للسيوطي ١٦ / ٢ ط الأولى الخانجي ١٣٢٧ هـ، و حاشية الصبان على الأشموني ٣ / ٤٤٦ مراجعة و تقديم طه عبد الرؤوف سعد المكتبة التوفيقية بدون تاريخ.
- (١١٨) انظر النشر ٢ / ٢٢٠.
- (١١٩) انظر النشر ٢ / ٢٤٧.
- (١٢٠) هو صاحب الألفية و غيرها في النحو الإمام المشهور محمد بن عبد الله (ت ١٢٧٤ م)، انظر تقديم طه عبد الرؤوف سعد لحاشية الصبان السابقة.
- (١٢١) هو يونس بن حبيب البصري (ت ١٨٢ هـ) كان بارعا في النحو صاحب قياس فيه و مذاهب. انظر طبقات المفسرين للداودي ٢ / ٣٨٥ دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.
- (١٢٢) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي البصري من أئمة النحو المشهورين. انظر السابق ١ / ١٩١-١٩٣.
- (١٢٣) هو أبو علي عمر بن محمد (ت ٦٤٥ هـ) كان إمام العربية في عصره. انظر بغية الوعاة ٣٦٤ للسيوطي مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ.
- (١٢٤) مثل كتاب «الدفاع عن القرآن...» للدكتور أحمد مكي الأنصاري، و مراجعه كالجوهر المحيط لأبي حيان، و إعراب القرآن للسفاسي ...
- (١٢٥) انظر النشر ٢ / ٢٦٣.
- (١٢٦) انظر تفسير المنار ٨ / ١٠٩-١١٠ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤.
- (١٢٧) رسالة (القراءات ...) فيها شرح ذلك كله بتوسع في صفحات كثيرة.
- (١٢٨) انظر النشر ٢ / ٢٨٥.
- (١٢٩) انظر السابق.
- (١٣٠) انظر حجة القراءات ٣٣٣-٣٣٤، و رسالة (القراءات ...) ص ٨٠٦.
- (١٣١) انظر الاقتراح في أصول النحو للسيوطي ٥٨-٥٩.
- (١٣٢) انظر النشر ٢ / ٣٢٦ للاستنتاج منه.
- (١٣٣) انظر مغني اللبيب لابن هشام ١ / ١٨٥-١٨٦ ط عيسى الحلبي.
- (١٣٤) انظر على هامش حاشية الصبان ٤ / ٥ السابقة.
- (١٣٥) و هي قراءة نافع و جماعة. انظر النشر ٢ / ٢٥٧.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٥٧

- (١٣٦) انظر «سيويه و القراءات» د. أحمد مكي الأنصاري (ص ٢٠٥-٢٠٦) دار المعارف ١٩٧٢ م.
- (١٣٧) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٨١٠.
- (١٣٨) انظر السابق ٨٠٢-٨١٢.
- (١٣٩) انظر السابق ٧٨٢-٧٨٦ مثلا.
- (١٤٠) انظر النشر ١ / ٥٢، و التحرير و التنوير لابن عاشور ١ / ٨٣ الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م تونس- و غيرها.
- (١٤١) انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٠٢.

- (١٤٢) انظر مثلاً تفسير القرطبي ١١/ ١٧٥-١٧٦.
- (١٤٣) انظر مثل روح المعاني للآلوسي في أوائل تفسير سورة البقرة.
- (١٤٤) راوح بين رجليه: قام على كل منهما مرة. انظر المعجم الوسيط مادة (روح) و ذلك لتسترح الرجل المرفوعة، ثم ينزلها و يرفع.
- (١٤٥) انظر تفسير القرطبي السابق.
- (١٤٦) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٧٨٥ بهوامشها.
- (١٤٧) انظر النشر ٢/ ٣٤٣.
- (١٤٨) انظر التحرير و التنوير ٢١/ ٢٢-٢٣، و رسالة (القراءات ...) ص ٧٦٥.
- (١٤٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ٢٥٣.
- (١٥٠) انظر روح المعاني ١١/ ١٦٥.
- (١٥١) انظر باب الفاعل في مثل حاشية الصبان على الأشموني.
- (١٥٢) انظر روح المعاني السابق.
- (١٥٣) انظر شرح عقود الجمان للمرشدي ١/ ١١٦ ط ١٩٥٥ م الحلبي.
- (١٥٤) انظر النشر ٢/ ٢٦٢.
- (١٥٥) انظر الفتوحات الإلهية (الجمل على الجلالين) ٢/ ٨١.
- (١٥٦) انظر السابق.
- (١٥٧) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٤٥٦.
- (١٥٨) انظر النشر ٢/ ٢٥١.
- (١٥٩) انظر أحكام القرآن للجصاص ٢/ ٢٤٧ ط باكستان بدون تاريخ.
- (١٦٠) و كتبه كثيرة، و أشهرها «إعجاز القرآن» للباقلاني، طبع مرارا، و حقق.
- (١٦١) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٢٠٨-٢١٢ مثلاً.
- (١٦٢) انظر السابق ٨٠١.
- (١٦٣) منها ما في رسالة (القراءات ...) ص ٧٨٢-٨٠١، و بحث للدكتور فتحى فريد الأستاذ بكلية اللغة العربية عن القراءات و إعجازها، و كتاب «التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية» للدكتور أحمد سعد محمد، و ما يدل عليه من دراسات فى هذا المجال. انظر (ص ١١-١٢) ط ٢ سنة ٢٠٠٠ م مكتبة الآداب.
- (١٦٤) انظر مدارك التنزيل للنسفى ١/ ٨٦ المطبعة الحسينية المصرية ١٣٤٤ هـ.
- (١٦٥) انظر النشر ٢/ ٢٢٧.
- (١٦٦) راجع مدارك التنزيل السابق.
- (١٦٧) أضف إلى هذا الأثر التفسيري ما تلمسه من أثر لغوى حيث أفادت القراءتان أن (ما ذا) تستعمل على أنها كلمة واحدة اسم استفهام، و على أن (ما) كلمة، اسم استفهام، و (ذا) كلمة ثانية، اسم موصول بمعنى الذى. و تأمل أيضا إفادة هاتين القراءتين لمعنيين. و هكذا شأن القراءات تتكاثر فوائدها، لا فى هذا المقام فقط، أو هذا المثال فقط.
- (١٦٨) انظر النشر ٢/ ٤٠٤.
- (١٦٩) راجع مدارك التنزيل ٤/ ٢٨٤-٢٨٥ و غيره.
- (١٧٠) انظر النشر ٢/ ٢٥١.



- (١٧١) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٨٢٧.
- (١٧٢) انظر السابق ٨٢٤-٨٢٧.
- (١٧٣) النشر- و انظره- ١/ ٥٢-٥٣.
- (١٧٤) انظر في هذه المجموعة الأخيرة من الفوائد- و في زيادة عليها- رسالة (القراءات ...) ص ٨٢٧-٨٢٩.
- (١٧٥) انظر غيث النفع للسفاقي على هامش سراج القارئ المبتدى ص ٦ ط الحلبي ١٩٣٩ م.
- (١٧٦) انظر الإتقان ١/ ٢٤١- بتصرف.
- (١٧٧) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٤٨٠.
- (١٧٨) انظر مناهل العرفان للزرقاني ١/ هامش ٤١٧-٤١٨.
- (١٧٩) انظر الإتقان ١/ ٢٤٣ و ما قبلها.
- (١٨٠) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٤٨١، ٥١٢.
- (١٨١) فانظر- إن شئت- الرسالة السابقة ص ٤٧٨-٥٢٣.
- (١٨٢) انظر مفتاح السعادة تأليف طاش كبرى زاده ج ٢ ص ٣٧١.
- (١٨٣) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٨١٦، ١٥١ أيضا.
- (١٨٤) بعض ذلك في البرهان للزركشي ١/ ٣٣٩.
- (١٨٥) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٨١٧.
- (١٨٦) انظر البرهان السابق ٣٣٩-٣٤١.
- (١٨٧) انظر السابق.
- (١٨٨) التبيان للجزائري ص ١٢٠ ط المنار ١٣٣٤ هـ.
- (١٨٩) انظر (محاضرات في مقارنة القراءات للدكتور عبد الغفور محمود مصطفى (مخطوطة بأيدي طلبة الفرقة الثانية دراسات عليا كلية القرآن الكريم في طنطا سنة ٢٠٠٢ م).
- (١٩٠) انظر- مثلا- رسالة (القراءات ...) ص ٨١٧ إلخ، و كذا (محاضرات في مقارنة القراءات) السابقة.
- (١٩١) انظر غاية النهاية ١/ ٥٠٧.
- (١٩٢) انظر السابق ٥٤٦.
- (١٩٣) انظر السابق ٣١.
- (١٩٤) انظر السابق ٤٥٨-٤٦٠.
- (١٩٥) انظر السابق ٢٩٦-٢٩٧.
- (١٩٦) انظر غاية النهاية و رسالة (القراءات ...) ٢٦.
- (١٩٧) انظر غاية النهاية و رسالة (القراءات ...) ٢٥-٢٧-٥٢.
- (١٩٨) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٢٦-٥٢.
- (١٩٩) انظر رسالة (القراءات ...).
- (٢٠٠) انظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١/ ٤٩.
- (٢٠١) انظر غاية النهاية ١/ ٣٠٨.
- (٢٠٢) انظر السابق ٣٨١.

- (٢٠٣) انظر السابق ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣.
- (٢٠٤) انظر السابق ١ / ٥١١.
- (٢٠٥) انظر السابق ٣٠١.
- (٢٠٦) انظر السابق ٥٩٣.
- (٢٠٧) انظر رسالة (القراءات ...) ص ٥٣.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٥٨

- 
- (٢٠٨) انظر السابق ٥٣ - ٥٥.
- (٢٠٩) انظر غاية النهاية ١ / ٥١٣.
- (٢١٠) انظر السابق ٣٤١.
- (٢١١) انظر السابق ٢ / ٤١ - ٤٢.
- (٢١٢) انظر السابق ١ / ٥١٥.
- (٢١٣) انظر السابق ٤٩٦ - ٤٩٧.
- (٢١٤) انظر السابق ٤٣٠.
- (٢١٥) انظر معرفة القراء الكبار ١ / ٨١ - ٨٢.
- (٢١٦) انظر غاية النهاية ١ / ٣١٥ - ٣١٦.
- (٢١٧) السابق ٥١٦.
- (٢١٨) السابق ١٧١.
- (٢١٩) انظر السابق ٤١٣.
- (٢٢٠) انظر السابق ٢٩٤.
- (٢٢١) انظر السابق ٣٠٥ - ٣٠٦.
- (٢٢٢) انظر (القراءات ...) السابق.
- (٢٢٣) انظر السابق ٢٨٤ - ٢٨٥.
- (٢٢٤) انظر السابق ٢ / ٣٨١.
- (٢٢٥) انظر السابق ٣٣٦.
- (٢٢٦) انظر السابق ٣٠٢.
- (٢٢٧) انظر السابق ١ / ٦٠٤.
- (٢٢٨) انظر (القراءات ...) ٢٦، ٥٠ - ٥٢، وإبراز المعاني ص ٣ ط الحلبي ١٣٤٩ هـ.
- (٢٢٩) انظر غاية النهاية ٢ / ٣٦٧ - ٣٦٨.
- (٢٣٠) انظر معرفة القراء الكبار ١ / ٤٣، و غاية النهاية ٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦.
- (٢٣١) انظر غاية النهاية ١ / ٥١٣ - ٥١٤.
- (٢٣٢) انظر السابق ٣٢٥.
- (٢٣٣) انظر (القراءات ...) السابق.

- (٢٣٤) انظر غاية النهاية ٢ / ٣٣٠ - ٣٣٤.
- (٢٣٥) انظر السابق ١ / ٦١٥ - ٦١٦.
- (٢٣٦) انظر السابق ٢ / ٥٠٢ - ٥٠٣.
- (٢٣٧) انظر السابق ٣ / ٤٤٣ - ٤٤٥.
- (٢٣٨) انظر السابق ١١٩ - ١٢٠، و إتحاف فضلاء البشر ص ٧، و لطائف الإشارات للقسطلاني ١ / ١٠١ تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان، و الدكتور عبد الصبور شاهين ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٢ م.
- (٢٣٩) انظر غاية النهاية ٢ / ١٦٥ - ١٦٦، و معرفة القراء الكبار ١ / ١٨٦ - ١٨٧.
- (٢٤٠) انظر غاية النهاية ١ / ٢٨٨ - ٢٩٢، و لطائف الإشارات ١ / ٩٥.
- (٢٤١) انظر غاية النهاية ١ / ٢٥٥ - ٢٥٧، و النشر ١ / ١٣٣، و غيرهما.
- (٢٤٢) انظر غاية النهاية ١ / ٣٣٢ - ٣٣٣، و معرفة القراء الكبار ١ / ١٥٩.
- (٢٤٣) انظر غاية النهاية ١ / ٤٢٣ - ٤٢٥.
- (٢٤٤) انظر لطائف الإشارات ١ / ١٠٢، و غاية النهاية ٢ / ٣٥٤ - ٣٥٦، و النشر ١ / ١٤٣ - ١٤٤.
- (٢٤٥) انظر لطائف الإشارات السابق، و النشر السابق، و غاية النهاية ١ / ٤٠٤ - ٤٠٥.
- (٢٤٦) انظر غاية النهاية ١ / ٣٤٧ - ٣٤٩، و لطائف الإشارات ١ / ٩٦.
- (٢٤٧) انظر لطائف الإشارات ١ / ١٠٢ - ١٠٣، و غاية النهاية ١ / ٣٢٥ - ٣٢٧.
- (٢٤٨) انظر غاية النهاية ١ / ٢٥٤ - ٢٥٥، و معرفة القراء الكبار ١ / ١١٦ - ١١٧.
- (٢٤٩) انظر غاية النهاية ١ / ٢٦١ - ٢٦٣، ٢٦٨.
- (٢٥٠) انظر السابق ٢٧٢ - ٢٧٤.
- (٢٥١) انظر السابق ٢٧٤ - ٢٧٥.
- (٢٥٢) انظر غاية النهاية ١ / ٥٣٥ - ٥٤٠، و لطائف الإشارات ١ / ٩٧ و حاشيته الرابعة.
- (٢٥٣) انظر غاية النهاية ٢ / ٣٤، و جمال القراء للسخاوي ٢ / ٤٧٤ - ٤٧٥ و الهامش الثاني ص ٤٧٤ منه، تحقيق الدكتور علي حسن البواب الطبعة الأولى مكتبة التراث مكة المكرمة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م مطبعة المدنى القاهرة.
- (٢٥٤) انظر غاية النهاية ١ / ٢٥٥ - ٢٥٧، و غيرها.
- (٢٥٥) انظر غاية النهاية ٢ / ٣٨٢ - ٣٨٤، ٣٢٥ أيضا.
- (٢٥٦) انظر غاية النهاية ١ / ٦١٦.
- (٢٥٧) انظر السابق ٣١٥، و لطائف الإشارات ١ / ١٠٤.
- (٢٥٨) انظر غاية النهاية ٢ / ٣٨٦ - ٣٨٩، و لطائف الإشارات ١ / ٩٧، ٩٨.
- (٢٥٩) انظر غاية النهاية ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥.
- (٢٦٠) انظر السابق ١ / ٢٨٥.
- (٢٦١) انظر السابق ١ / ١٥٥.
- (٢٦٢) انظر السابق ١ / ١٥٤.
- (٢٦٣) ما ذكر عن المؤلفين مأخوذ من كتبهم، و من رسالة (القراءات ...) ص ١١٠ - ١٣٢.
- (٢٦٤) ما ذكر عن المصنفات في توجيه القراءات مأخوذ من كتب أصحابها، و من رسالة (القراءات ...) ص ٨٢٣ - ٨٢٤.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٥٩

## علم التجويد في القرآن الكريم

### إشارة

على كل من شرع في تعلم علم من العلوم أن يعرف مبادئه العشرة ليكون على بينة مما يتعلمه و هي:

### الأول: حده «تعريفه»

: التجويد مصدر جود تجويدا، والاسم منه الجودة ضد الرداءة ١، وهو في اللغة التحسين، يقال: جود الرجل الشيء إذا أتى به جيدا، ويستوى في ذلك القول والفعل. ويقال لقارئ القرآن المحسن لتلاوته: «مجود» - بكسر الواو - إذا أتى بالقراءة مجودة - بفتح الواو - الألفاظ بريئة من الجور والتحريف حال النطق بها.

وفي الاصطلاح: إخراج كل حرف من مخرجه وإعطاؤه حقه ومستحقه من الصفات. وحق الحرف: صفاته اللازمة التي لا تنفك عنه بحال من الأحوال، كالجهر والشدء والاستعلاء والاستفال والإطباق إلى غير ذلك. ومستحق الحرف: صفاته العرضية الناشئة عن الصفات الذاتية كالتفخيم فإنه ناشئ عن الاستعلاء، والتريق فإنه ناشئ عن الاستفال وهكذا.

### الثاني: موضوعه

: الكلمات القرآنية من حيث حروفها وإتقان النطق بها، وبلوغ الغاية في تحسينها وإجادة التلفظ بها. وزاد بعض العلماء الحديث الشريف، ولكن الجمهور على أن موضوع التجويد هو القرآن الكريم فقط.

### الثالث: ثمرته

: صون اللسان عن اللحن في لفظ القرآن الكريم حال الأداء.

### الرابع: فضله

: من أشرف العلوم وأفضلها لتعلقه بكلام الله - عز وجل - فإن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

### الخامس: نسبه

: هو أحد العلوم الدينية المتعلقة بالقرآن الكريم.

### السادس: واضعه

: أما الواضع له من الناحية العملية فهو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه نزل عليه القرآن من عند الله تعالى مجودا، و تلقاه - صلوات الله وسلامه عليه - من الأمين جبريل - عليه السلام - كذلك، و تلقته عنه الصحابة، و تلقاه عن الصحابة التابعون، و هكذا إلى أن وصل إلينا متواترا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٦٠

و أما الواضع له من ناحية قواعده و قضاياه العلمية ففيه خلاف، فقليل: أبو الأسود الدؤلي. و قيل: أبو عبيد القاسم بن سلام.  
و قيل: الخليل بن أحمد الفراهيدي. و قيل:  
غير هؤلاء.

### السابع: اسمه

: علم التجويد.

### الثامن

: استمداده: هذا العلم مستمد من قراءة النبي - صلى الله عليه و سلم - ثم من قراءة الصحابة من بعده و التابعين و أتباعهم، و أئمة القراءة إلى أن وصل إلينا عن طريق مشايخنا.

### التاسع: حكمه

: العلم به فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين. و أما العمل به ففرض عين على كل قارئ مسلم و مسلمة لقوله تعالى:  
وَ رَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (سورة المزمل آية ٤) و قول الرسول صلى الله عليه و سلم: «اقرأوا القرآن بلحون العرب و أصواتها، و إياكم و لحون أهل الفسق و الكباثر، فإنه سيجيء أقوام من بعدى يرجعون القرآن ترجيع الغناء و الرهبانية و النواح لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم و قلوب من يعجبهم شأنهم» ٢.

### العاشر: فائده و غايته:

- ١- بلوغ النهاية في إتقان لفظ القرآن على ما تلقى من الرسول صلى الله عليه و سلم.
  - ٢- صون اللسان عن الخطأ و اللحن في كتاب الله تعالى.
  - ٣- إرضاء الله تعالى و الحصول على الأجر العظيم، و الفوز بالسعادة في الدارين ٣.
- أ. د. السيد إسماعيل على سليمان  
الهوامش:

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة «جود» ١ / ٧٢٠ طبعه دار المعارف.

(٢) الحديث: ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب التفسير، باب القراءة بلحون العرب ٧ / ١٦٩ و عزاه للطبراني في الأوسط و قال: فيه راو لم يسم و فيه بقيه أيضا. و قال المناوي: قال ابن الجوزي: حديث لا- يصح و أبو محمد مجهول، و بقيه يروى عن الضعفاء و يدلسمهم. و قال الذهبي في الميزان: و الخبر منكر.

(٣) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ص ٣٧ - ٤١ بتصريف للشيخ/ عبد الفتاح السيد المرصفي، طبعه دار النصر للطباعة الإسلامية- شبرا مصر، الطبعة الأولى ١٤٩٢ هـ ١٩٨٢ م، و بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن ص ١٧ - ٢٠ بتصريف، لمحمد بن شحادة الغول، طبعه دار الأرقم- الثالثة- بالسعودية ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤١

## مراتب التلاوة

## إشارة

مراتب التلاوة بالنظر إلى سرعة الأداء و بطئه هي:

١- التحقيق: و هو فى اللغة: التدقيق و التأكد و الإنجاز. و فى الاصطلاح: التأنى فى القراءة بإعطاء كل حرف حقه من إشباع المد و تحقيق الهمزات، و إتمام الحركات، و اعتماد الإظهار و التشديدات، و توفية الغنات، و تفكيك الحروف و إخراج بعضها من بعض بالسكت و الترسل و اليسر و التؤدة، و ملاحظة الجائر من الوقوف بلا قصر و لا اختلاس و لا إسكان محرك، و لا إدغامه إلخ من مراعات جميع أحكام التجويد ١.

يقول السيوطى: «التحقيق يكون لرياضة الألسن و تقويم الألفاظ، و يستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات، و تكرير الرءات، و تحريك السواكن، و تطنين النونات بالمبالغة فى الغنات، كما قال حمزة- رحمه الله تعالى- لبعض من سمعه يبالغ فى ذلك: «أما علمت أن ما فوق البياض برص، و ما فوق الجعودة ققط، و ما فوق القراءة ليس بقراءة؟» ٢.

٢- الحدر: فى اللغة: الإسراع. و فى الاصطلاح: هو إدراج القراءة و سرعتها و تخفيفها بالقصر و التسكين، و الاختلاس و البدل و الإدغام الكبير و تخفيف الهمزة، و نحو ذلك مما صحت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب و تقويم اللفظ، و تمكن الحروف بدون بتر حروف المد، و اختلاس أكثر الحركات، و ذهاب صوت الغنة، و التفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة، و لا توصف بها التلاوة، و هذا النوع مذهب ابن كثير، و أبى جعفر، و من قصر المنفصل كأبى عمرو و يعقوب ٣.

و يتلخص من ذلك: أن الحدر: هو الإسراع فى القراءة مع مراعاة الأحكام.

٣- التدوير: و هو فى اللغة: جعل الشئ على شكل دائرة أى حلقة، و فى الاصطلاح:

هو مرتبة متوسطة بين الترتيل و الحدر، أو بين التحقيق و الحدر. قال السيوطى: «و هو الذى ورد عن أكثر الأئمة ممن مدّ المنفصل و لم يبلغ فيه الإشباع، و هو مذهب سائر القراء، و هو المختار عند أكثر أهل الأداء» ٤.

٤- الترتيل: و هو فى اللغة: الترسل.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٤٢

و يقال: رتل الكلام: أحسن تأليفه و أبانه و تمهل فيه. و ترتيل القراءة: الترسل فيها و التبيين من غير بغى ٥. و فى الاصطلاح:

القراءة بتؤدة و اطمئنان مع تدبر المعانى و مراعاة أحكام التجويد من إعطاء الحروف حقه من الصفات و المخارج، و مد الممدود و قصر المقصور، و تريق المرقق و تفخيم المفخم مما يتفق و قواعد التجويد. و هو أفضل المراتب الأربعة، فقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم فقال جل شأنه: وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (سورة المزمل آية ٤)

و الفرق بين الترتيل و التحقيق- فيما ذكره بعض العلماء- أن التحقيق يكون للرياضة و التعليم و التمرين، و الترتيل يكون للتدبر و التفكير و الاستنباط، فكل تحقيق ترتيل، و ليس كل ترتيل تحقيقاً ٦.

و قول السيوطى: «كل تحقيق ترتيل و ليس كل ترتيل تحقيقاً». يريد به بيان النسبة بين الترتيل و التحقيق- على ما أعتقد- مما يكون فى مقام التعليم يطلق عليه تحقيق و يطلق عليه ترتيل أيضاً؛ لأن مقام التعليم لا- ينافى التدبر و التفكير، و ما يكون فى مقام التدبر و التفكير يطلق عليه ترتيل، و لا يطلق عليه تحقيق لأنه ليس مقام تعليم و تمرين.

إذن: فالتحقيق أعم و الترتيل أخص، و النسبة بينهما العموم و الخصوص المطلق، و هو أن يجتمع الشيطان فى شئ واحد و ينفرد الأعم.

اتفق العلماء على أن الاستعاذة مطلوبة من مرید القراءة، و اختلفوا بعد ذلك هل هذا الطلب على سبيل الندب أو على سبيل الوجوب؟. فذهب جمهور العلماء و أهل الأداء إلى أنه على سبيل الندب، و قالوا: إن الاستعاذة مندوبة عند إرادة القراءة، و حملوا الأمر في قوله تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (سورة النحل آية ٩٨). على الندب فلو تركها القارئ لا يكون آثماً. و قال ابن سيرين- و هو من القائلين بالوجوب:- لو أتى الإنسان بها مرة واحدة في حياته كفاه ذلك في إسقاط الواجب عنه. و صيغة الاستعاذة عند جميع القراء: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». لأن هذا الصيغة هي الواردة في القرآن الكريم كما في الآية السابقة، و هي الواردة أيضا عن الرسول صلى الله عليه و سلم، ففي الصحيحين من حديث سليمان بن صرد- رضى الله عنه- قال: «استب رجلان عند رسول صلى الله عليه و سلم و نحن عنده جلوس و أحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه، فقال النبي الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٦٣

صلى الله عليه و سلم: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». ٧ و لا خلاف بينهم في جواز غير هذه الصيغة من الصيغ الواردة عن أهل الأداء سواء نقصت عن هذه الصيغة نحو: «أعوذ بالله من الشيطان»، أم زادت نحو: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» إلى غير ذلك من الصيغ الواردة عن أئمة القراءة. كيفيتها: يرى بعض الأئمة: أن المختار الجهر بالاستعاذة مطلقا، و قيل: المختار الإسرار بها مطلقا. و قيل: الجهر بالتعوذ أفضل إذا كان بحضرة القارئ من يسمع قراءته، لينصت السامع للقراءة، و أما إذا لم يكن بحضرة من يسمع، أو كان ولكنه أراد أن يقرأ سرا، فلا يطلب الجهر. و هذا المعنى هو الفارق بين القراءة في الصلاة و خارجها ٨، فإن المختار في الصلاة الإخفاء لأن المأموم منصت من أول الإحرام بالصلاة.

### البسمة و حكمها

البسمة: مصدر بسمل إذا قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أو إذا كتبها فهي بمعنى القول أو الكتابة. ثم صارت حقيقة عرفية في نفس بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ و هو المراد هنا. و لا- خلاف بين العلماء في أن البسمة بعض آية من سورة النمل، كما أنه لا خلاف بين القراء في إثباتها أول سورة «الفاتحة» سواء وصلت بسورة «الناس» أو ابتدئ بها، لأنها و إن وصلت لفظا فهي مبتدأ بها حكما، و قد أجمع القراء السبعة أيضا على الإتيان بها عند الابتداء بأول كل سورة سوى سورة «براءة» و ذلك لكتابتها في المصحف. و يجوز لكل القراء الإتيان بالبسمة و تركها في أواسط السور، لا فرق في ذلك بين سورة «براءة» و غيرها، و ذهب بعض العلماء إلى استثناء براءة فألحقها بأولها في عدم جواز الإتيان بالبسمة في أواسطها لأحد من القراء ٩. الأوجه التي تجوز للقارئ في الاستعاذة مع البسمة و السورة أربعة أوجه و هي: ١- وصل الجميع: بمعنى: أن يصل الاستعاذة بالبسمة و وصل البسمة بالسورة.

٢- قطع الجميع: بمعنى: عدم وصل الاستعاذة بالبسمة، و عدم وصل البسمة بالسورة.

٣- وصل الاستعاذة بالبسمة و الوقف على البسمة، ثم يبدأ في قراءة السورة.

٤- قطع الاستعاذة عن البسمة، و وصل البسمة بالسورة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٦٤

أما أوجه البسمة بين السورتين فيجوز للقارئ فيها ثلاثة أوجه و هي: ١- وصل الجميع: أى: وصل آخر السورة بالبسمة، و وصل البسمة بأول السورة الأخرى.

- ٢- قطع الجميع، بمعنى: عدم وصل آخر السورة بالبسمة، وعدم وصل البسمة بأول السورة الأخرى.
- ٣- قطع البسمة عن آخر السورة، ووصلها بأول السورة الأخرى.
- و هناك وجه ممنوع عند الجميع لا يصح و هو: وصل البسمة بآخر السورة الأولى و قطعها عن الأخرى.
- أ. د. السيد إسماعيل على سليمان  
الهوامش:

(١) بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن ص ٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٣٢ طبعة الحلبي الرابعة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر.

(٥) لسان العرب، لابن منظور مادة «رتل» ٣/ ١٥٧٨ طبعة دار المعارف.

(٦) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ١/ ١٣٢.

(٧) الحديث أخرجه أبو داود في سننه برقم ٤٧٨٠، والحاكم في المستدرک ٢/ ٤٤١، والطبراني في الكبير ٧/ ١١٦.

(٨) انظر: النشر في القراءات العشر للحافظ ابن الجزري ١/ ٢٥٢ - ٢٥٩ طبعة دار الكتب العلمية بيروت. و الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٣٩.

(٩) القول السديد في فن التجويد ص ٥٤ بتصرف للدكتور/ أحمد عبد الغنى الجمل، طبعة أولى - مطبعة الحسين الإسلامية - ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٦٥

## مخارج الحروف

### إشارة

المخارج: جمع مخرج، و هو في اللغة: اسم لمكان خروج الشيء. و في الاصطلاح: محل خروج الحرف الذي ينقطع عنده صوت النطق به فيتميز عن غيره.

كيفية معرفة مخرج الحرف: و لمعرفة مخرج أى حرف ينبغي أن ندخل عليه حرفا متحركا مع تسكين الحرف المراد مخرجه أو تشديده، ثم نصغى إليه حال النطق به، فحيث انقطع صوت النطق بالحرف فهو مخرجه.

هذا بالنسبة لحروف الهجاء ما عدا حروف المد و اللين.

أما هذه الحروف فتعرف مخارجها بإدخال حرف مفتوح على الألف، و مكسور على الياء، و مضموم على الواو.

### عدد مخارج الحروف:

لما كانت مادة الحروف هي الصوت الذي هو الهواء الخارج من الرئة إلى الفم، لذا رتب العلماء مخارج الحروف باعتبار الصوت، فقدموا في الذكر ما هو أقرب إلى الرئة ثم ما يليه إلى الفم و هكذا.

و اختلف العلماء في عدد مخارج الحروف، و المختار ما ذهب إليه الجمهور، و هو أن المخارج سبعة عشر مخرجا منحصرة في خمسة



مخارج عامة، و هي:

الأول: الجوف: و معناه في اللغة: الخلاء.

و في الاصطلاح: الخلاء الواقع داخل الحلق و الفم. و تخرج منه الألف المدية المفتوح ما قبلها نحو: «قال»، و الياء المدية المكسور ما قبلها نحو: «قيل»، و الواو المدية المضموم ما قبلها نحو: «يقول». و تسمى هذه الحروف الثلاثة الجوفية لخروجها من الجوف، و تسمى أيضا مدية و ذلك لامتداد الصوت بها في يسر عند النطق بها.

الثاني: الحلق: و هو مخرج كلي و فيه ثلاثة مخارج جزئية هي:

١- أقصى الحلق، و تخرج منه الهمز و الهاء.

٢- وسط الحلق: و تخرج منه العين و الحاء.

٣- أدنى الحلق: و تخرج منه الغين و الخاء.

و تسمى جميع هذه الحروف بالحلقية لخروجها من الحلق.

الثالث: اللسان: و هو مخرج كلي و فيه عشرة مخارج جزئية و هي:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٦٦

١- أقصى اللسان من فوق مما يلي الحلق مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، و منه تخرج القاف.

٢- أسفل أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، و منه تخرج الكاف.

٣- وسط اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى، و منه تخرج الجيم و الشين مطلقا، و الياء المتحركة.

٤- إحدى حافتي اللسان الأمامية مما يلي الأضراس العليا، أي جانبيه من الداخل و منها تخرج الضاد، و من الجانب الأيسر أسهل و أكثر استعمالا.

٥- أدنى حافتي اللسان إلى منتهاه مما يلي الأنياب، أي جانبه من الخارج مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، و منه تخرج اللام.

٦- طرف اللسان تحت مخرج اللام قليلا مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، و منه تخرج النون الساكنة و لو تنوينا.

٧- أدنى اللسان من ظهره أدخل من النون قليلا مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، و منه تخرج الراء. هذا و قد اشتركت النون و الراء في المخرج إلا أن الراء أدخل إلى ظهر اللسان من مخرج النون.

٨- طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، و منه تخرج الطاء و الدال و التاء.

٩- طرف اللسان من فوق الثنايا السفلى مع مراعاة الانفراج القليل بين طرف اللسان و الثنايا عند النطق، و منه تخرج الصاد و الزاي و السين.

١٠- طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، و منه تخرج الظاء و الذال و التاء. و هذه الحروف الثلاثة هي المطلوب إخراج اللسان عند النطق بها.

الرابع: الشفتان: و فيهما مخرجان هما:

١- بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا، و منه تخرج الفاء.

٢- الشفتان معاً، و منهما تخرج الباء و الميم مع انطباق الشفتين، و الواو مع انفتاح الشفتين و انفراجهما قليلا. و المراد بالواو هنا غير المدية، أما المدية فتخرج من الجوف كما سبق، و تسمى هذه الحروف الشفهية.

الخامس: الخيشوم: و هو أعلى الأنف و أقصاه من الداخل، و منه تخرج الغنة المركبة في جسم النون و لو تنوينا، و الميم فقط ١.

أ. د. السيد إسماعيل علي سليمان

الهوامش:

(١) انظر في هذا الموضوع نهاية القول المفيد في علم التجويد من ص ٣١-٤١ للشيخ محمد مكي نصر. طبعه مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر سنة ١٣٤٩ هـ.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٦٧

## صفات الحروف

### إشارة

و الصفات: جمع صفة و هي في اللغة:  
ما قام بالشئ من المعاني حسيا كالبياض و الحمره أو معنويا كالأدب و العلم. و في الاصطلاح: كيفية تعرض للحرف عند النطق به كجريان النفس في الحروف المهموسة و عدم جريانه في الحروف المجهورة و ما أشبه ذلك.  
الفرق بين الصفة و المخرج: فالمخرج: هو المحل و المكان و الموضع الذي يخرج منه الحرف، كالحلق، أو الجوف، أو الخيشوم إلخ.  
أما الصفة: فهي كيفية تولد الحرف و خروجه من مخرجه كالجهر أو الهمس أو الشدة أو الرخاوة، إلخ.

### فوائد معرفة الصفات:

### إشارة

١- تمييز الحروف المشتركة في المخرج إذ لو لا- الصفات لما تميزت الطاء عن التاء، و لما تميزت الطاء عن الذال، لأن الطاء و التاء مخرجهما واحد، و كذلك الطاء و الذال مخرجهما واحد.  
٢- تحسين لفظ الحروف المختلفة في المخرج.  
٣- معرفة قوى الحروف و ضعيفها.  
و تنقسم الصفات إلى قسمين:  
الأول: صفات لازمة «أصلية»: و هي الملازمة للحرف فلا- تفارقه بحال من الأحوال كالجهر، و الهمس، و الشدة، و الرخاوة، و الاستعلاء، و الإطباق، و الاستفال، و الانفتاح، و الإصمات، و التنفسي، و الاستطالة، و اللين، و القلقلة، و الصفير، و التكرير، و الانحراف.  
الثاني: صفات عارضة: و هي التي تعرض للحرف في بعض الأحوال و تنفك عنه في أحوال أخرى كالترقيق، و التفخيم، و الإدغام، و الإخفاء، و الانقلاب، و الإظهار، و المد، و القصر، و الغنة و غيرها.  
و الصفات الأصلية تنقسم من ناحية أخرى إلى قسمين: صفات لها أصداد و هي عشرة، خمس ضدها خمس، فالحروف الهجائية موزعة على الصفتين، فما كان في هذه فلا يكون في ضدها. و صفات لا ضد لها و هي سبع.  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٦٨

### أولا: الصفات التي لها أصداد، و تعريف كل صفة و بيان حروفها و ذلك فيما يلي:

١- الهمس: و معناه في اللغة: الخفاء.

و في الاصطلاح: خفاء الحرف لضعفه و جريان النفس منه عند النطق به لضعف الاعتماد عليه في مخرجه. و حروفه عشرة و هي: الفاء،

و الحاء، و الثاء، و الهاء، و الشين، و الخاء، و الصاد، و السين، و الكاف، و التاء.

مجموعة في قول ابن الجزري: «فحثه شخص سكت».

٢- الجهر: و هو ضد الهمس، و هو في اللغة: بمعنى الإعلان و الإظهار. و في الاصطلاح: ظهور الحرف و إعلانه لقوته و انجاس النفس معه عند النطق به لقوة الاعتماد عليه في مخرجه. و حروفه تسعة عشر حرفاً، و هي الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الهمس العشرة. و الفرق بين الهمس و الجهر قائم على جريان النفس في الأول و انجاسه في الثاني.

٣- الشدة: و هي في اللغة: بمعنى القوة.

و في الاصطلاح: انجاس جريان الصوت عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على مخرجه.

و حروفه ثمانية جمعها ابن الجزري في قوله:

«أجد قط بكت».

٤- الرخاوة: و هي في اللغة بمعنى اللين.

و في الاصطلاح: جريان الصوت عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على مخرجه.

و حروفها: ستة عشر حرفاً ما عدا الشدة و التوسط، مع ملاحظة أن هذه الصفة هي الوحيدة من بين الصفات التي لها ضدان هما الشدة و التوسط.

٥- التوسط: أي البينية بين الشدة و الرخاوة. و التوسط في اللغة: الاعتدال. و في الاصطلاح: اعتدال الصوت عند النطق بأي حرف من حروف التوسط لعدم كمال انجاسه كما في الشدة، و عدم كمال جريانه كما في الرخاوة. و حروفه خمسة مجموعة في قول ابن الجزري: «لن عمر».

٦- الاستعلاء: و هو في اللغة: بمعنى العلو و الارتفاع. و في الاصطلاح: ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فيرتفع الصوت معه، و لذلك سمي مستعلياً. و حروفه سبعة و هي المجموعة في قول ابن الجزري: «خص ضغط قط».

٧- الاستفال: و هو ضد الاستعلاء، و معناه في اللغة: الانخفاض. و قيل:

الانحطاط. و في الاصطلاح: انخفاض أقصى اللسان أو انحطاطه عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فينخفض معه الصوت إلى قاع الفم و لذا سمي مستفلاً.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٦٩

و حروفه اثنان و عشرون حرفاً و هي الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الاستعلاء السبعة المتقدمة.

و من هنا يؤخذ أن حروف الهجاء موزعة على الصفتين، فما كان من حروف «خص ضغط قط» فهو مستعل، و ما كان من غيرها فهو مستفل. كما يؤخذ أيضاً من التعريف الاصطلاحي للصفتين أن الفرق بينهما قائم على ارتفاع أقصى اللسان بالحرف إلى الحنك الأعلى عند النطق به أو انخفاضه عنه، فما كان من الحروف مرتفع مع اللسان فهو مستعل، و ما كان منها منخفض معه فهو مستفل، و يترتب على صفة الاستفال التريق لحروفها، كما يترتب على صفة الاستعلاء التفتيح لحروفها.

٨- الإطباق: و هو في اللغة بمعنى الإلصاق. و في الاصطلاح: إلصاق اللسان بالحنك الأعلى عند النطق بالحرف. و حروفه أربعة و هي: الصاد، و الضاد، و الطاء، و الظاء.

و الصاد و الضاد متوسطتان.

٩- الانفتاح: ضد الإطباق، و هو في اللغة: بمعنى الافتراق، و في الاصطلاح:

انفتاح قليل بين اللسان و الحنك الأعلى، و يصح أن يقال في تعريفه: تجافى كل من طائفتي اللسان و الحنك الأعلى عن الأخرى حتى يخرج الريح من بينهما عند النطق بأي حرف من حروفه. و حروف الانفتاح خمسة و عشرون حرفاً، و هي الحروف الباقية من حروف

الهجاء بعد حروف الإطباق الأربعة.

١٠- الإذلاق: وهو في اللغة: بمعنى الفصاحة والخفة. وفي الاصطلاح: خفة الحرف عند النطق به لخروجه من ذلق اللسان والشفة. و حروفه ستة جمعها ابن الجزرى في قوله: «فر من لب»، و سميت هذه الصفة بذلك لذلاقتها أى خفتها و سرعة النطق بحروفها، لأن بعضها يخرج من ذلق اللسان أى: طرفه، و هو الراء، و اللام، و النون، و بعضها يخرج من ذلق الشفة و هو الفاء، و الباء، و الميم.

١١- الإصمات: و هو ضد الإذلاق، و معناه في اللغة: المنع، و في الاصطلاح: ثقل الحرف بخروجه من غير اللسان و الشفة، و يمكن أن يقال في تعريفه: امتناع حروفه من الانفراد أصولاً في الكلمات الرباعية و الخماسية.

فالحروف المصمتة منعت أن تختص ببناء كلمة أصلية رباعية أو خماسية في لغة العرب، و ذلك لصعوبة هذه الحروف على اللسان، فكل كلمة أصلية رباعية أو خماسية في لغة العرب يمتنع أن تكون حروفها كلها مصمته، بل لا بد أن تشتمل على بعض حروف الإذلاق، و إلا كانت الكلمة غير عربية ككلمة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٧٠

«عسجد» اسم للذهب، و كلمة «عسطوس» اسم شجر. و حروف الإصمات ثلاثة و عشرون حرفاً و هي الباقية من حروف الإذلاق.

### ثانياً: الصفات التي لا ضد لها و هي:

١- الصفير: و هو في اللغة: حدة الصوت. و في الاصطلاح: صوت زائد يشبه صوت الطائر يخرج من بين الشفتين عند النطق بالحرف. و حروفه ثلاثة: الصاد، و الزاى، و السين. فصفير الصاد يشبه صوت الأوز، و صفير الزاى يشبه صوت النحل، و صفير السين يشبه صوت الجراد. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٣٧٠ ثانياً: الصفات التي لا ضد لها و هي: ..... ص: ٣٧٠

القلقلة: و هي في اللغة: الصياح و التحريك و الاضطراب.

و في الاصطلاح: اضطراب اللسان عند النطق بالحرف ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية. و حروفها خمسة مجموعة في قولك: «قطب جد».

و سبب قلقله هذه الحروف أنها مجهورة و شديدة، فالجهر يمنع جريان النفس و الشدة تمنع جريان الصوت. فلما امتنع جريان النفس و الصوت احتيج إلى التكلف في بيان إخراجها شبيهة بالمتحرك و هي أقرب إلى الفتحة.

و مراتب القلقله ثلاث: أعلاها الطاء، و أوسطها القاف، و أدناها الباقي. و قيل:

أعلاها المشدد الموقوف عليه، ثم الساكن في الوقف، ثم الساكن وصلًا، ثم المتحرك.

٣- اللين: و معناه في اللغة: السهولة.

و في الاصطلاح: خروج الحرف من مخرجه بيسر من غير كلفه على اللسان. و حروفه:

الواو و الساكنة المفتوح ما قبلها نحو كلمة «خوف»، و الياء الساكنة المفتوح ما قبلها نحو كلمة «قريش».

٤- الانحراف: و هو في اللغة بمعنى:

الميل و العدول. و في الاصطلاح: ميل الحرف بعد خروجه حتى يتصل بمخرج غيره، و له حرفان: اللام، و الراء. أى أن هذين الحرفين لهما قابلية شديدة للانحراف عن مخرجهما، فاللام تنحرف بعد خروجها من مخرجها إلى طرف اللسان أى إلى مخرج النون، و لذلك يقرأها الألتغ نونا. و الراء تنحرف بعد خروجها من مخرجها إلى ظهر اللسان إلى جهة اللام، و لذلك يقرأها الألتغ لاما.

٥- التكرار: و هو في اللغة بمعنى: الإعادة للشئ مرة أو أكثر. و في الاصطلاح: ارتعاد طرف اللسان عند النطق بالحرف ساكناً أو مشدداً، و له حرف واحد و هو الراء. و وصف الراء بالتكرار لأنها قابلة له و ليس المقصود الإتيان به، و إنما المقصود اجتنابه و الحذر منه.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٧١

٦- التفشى: و هو فى اللغة بمعنى الانتشار و الاتساع. و فى الاصطلاح: انتشار الريح فى الفم عند النطق بالحرف حتى يتصل بمخرج الظاء. و للتفشى حرف واحد و هو الشين.

٧- الاستطالة: و هى فى اللغة بمعنى:

الامتداد. و فى الاصطلاح: امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها عند النطق بالضاد الذى هو حرفها الوحيد. ١. هذه هى صفات الحروف بقسميها:

الصفات التى لها أضداد، و الصفات التى ليس لها أضداد. و إليك ما جاء فى متن الجزرية:

صفاتها جهر و رخو مستقل منفتح مصمتة و الضد قل

مهموسها فحثة شخص سكت شديد لفظ أجد قط بكت

و بين رخو و الشديد لن عمرو سبع علو خص ضغط قط حصر

و صاد ضاد طاء ظاء مطبقة و فر من لب الحروف المذلة

صغير صاد و زاي سين قلقله قطب جد و اللين

واو و ياء سكتا و انفتحا قبلهما و الانحراف صححا

فى اللام و الراء و بتكرير جعل و للتفشى ضادا استطل أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

الهوامش:

(١) انظر: كتاب بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن من ص ١٣١-١٥٤. و انظر: كتاب نهاية القول المفيد فى علم التجويد من ص ٤٣-٥٨ طبعه الحلبي سنة ١٣٤٩ هـ للشيخ/ محمد مكى نصر. و راجع أيضا كتاب هداية القارى إلى تجويد كلام البارى من ص ٧٥-١٠٠ و انظر كتاب كيف تقرأ القرآن قراءة شرعية من ص ٨٢-٩٥ للدكتور سيد مرسى إبراهيم البيومى. طبعه دار التوفيقية للطباعة بالأزهر.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٧٢

## التفخيم و الترقيق

### إشارة

التفخيم فى اللغة: التسمين، و فى الاصطلاح: هو عبارة عن تسمين الحرف بجعله فى المخرج سمينا و فى الصفة قويا، و يرادفه التخليط

إلا أن التفخيم غلب استعماله فى الراءات، و التخليط غلب استعماله فى بعض اللامات. و الترقيق ضدهما، و هو فى اللغة التثخيف. و فى

الاصطلاح: هو عبارة عن تثخيف الحرف بجعله فى المخرج نحيفا و فى الصفة ضعيفا.

و الحروف الهجائية بالنسبة للتفخيم و الترقيق ثلاثة أقسام: منها ما يفخم قولاً واحداً، و منها ما يرقق قولاً واحداً أيضاً، و منها ما يرقق

تارةً و يفخم تارةً أخرى، لسبب من الأسباب، و إليك بيان هذه الأقسام الثلاثة فيما يلى:

أولاً: الحروف التى تفخم قولاً واحداً: و هى حروف الاستعلاء السبعة، المجموعة فى قول ابن الجزرى: «خص ضغط قط» بدون استثناء

شئ منها، و هى على خمسة مراتب:

الأولى: و هى أعلى مراتب التفخيم: أن يكون حرف التفخيم مفتوحاً بعده ألف مثل كلمة: «الطامة»، «الضالين»، «الظانين»، «القارعة»،

«الغافلين»، «الخائنين».

المرتبة الثانية: و هي أن يكون الحرف مفتوحا ليس بعده ألف. مثل كلمة: «طبع»، «ضرب»، «ظلم»، «صبر»، «القتل»، «غضب»، «خبير».

المرتبة الثالثة: و هي أن يكون الحرف مضموما سواء كان بعده واو أو ليس بعده واو مثل كلمة: «اضطر»، «ضرب»، «ظلم»، «صرفت»، «قتل»، «غرفة»، «خذ».

المرتبة الرابعة: و هي أن يكون الحرف ساكنا. مثل كلمة: «أطوار»، «اضرب»، «أظلم»، «و اصبر»، «بمقدار»، «تغرب»، «اخرج».

المرتبة الخامسة: و هي أن يكون الحرف مكسورا مثل كلمة: «يطع»، «ضياء»، «ظلا»، «خصيما»، «قيل»، «و غيض»، «داخرين».

ثانيا: الحروف التي ترقق قولاً واحداً: و هي حروف الاستفهام، الحروف الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٧٣

الاستعلاء السبعة المتقدم ذكرها، باستثناء ألف المد والراء واللام من لفظ الجلالة خاصة في بعض الأحوال.

ثالثا: الحروف المرفقة تارة و المفخمة تارة أخرى: و هي: الراء واللام والألف المدية و يتبعها الغنة. و إليك بيان هذه الأحرف:

أولاً: أحكام الراء: و للراء من حيث التفخيم و الترقيق ثلاث حالات هي التفخيم و الترقيق و جواز الوجهين، و ذلك فيما يلي:

الحالة الأولى: تفخيم الراء في الحالات التالية:

١- إذا كانت الراء مضمومة مثل قوله تعالى: «روح القدس»، «نصر الله».

٢- إذا كانت الراء مفتوحة، مثل قوله تعالى: «و ترى الجبال»، «راية».

٣- إذا كانت الراء ساكنة بعد ضم مثل قوله تعالى: «زرتم المقابر»، «القرآن».

٤- إذا كانت الراء ساكنة بعد فتح مثل قوله تعالى: «بردا و سلاما»، «من خردل».

٥- إذا كانت الراء واقعة بعد حرف ساكن غير الياء، و قبل ذلك الحرف الساكن فتح أو ضم كما في قوله تعالى: «ليلة القدر»، «لفى خسر».

٦- إذا كانت الراء ساكنة بعد كسر عارض، مثل قوله تعالى: «لمن ارتضى»، «رب ارجعون».

٧- إذا كانت الراء ساكنة بعد كسر أصلي، و لكن وقع بعدها حرف من حروف الاستعلاء و اتصل معها في كلمة و لم يكن حرف الاستعلاء مكسورا نحو: «قرطاس»، «فرقة»، «مرصادا».

الحالة الثانية: ترقق الراء في الحالات التالية:

١- إذا كانت الراء مكسورة مثل قوله تعالى: «رزقا للعباد».

٢- إذا كانت الراء ساكنة بعد كسر أصلي متصل بها في كلمة واحدة و لم يقع بعدها حرف استعلاء متصل بها مثل كلمة «فرعون»، «الفردوس».

٣- إذا كانت الراء ساكنة متطرفة بعد حرف ساكن غير الياء و قبل هذا الحرف كسر مثل كلمة «الذكر» و «السحر» و «الشعر» و هذا لا يكون إلا- في حالة الوقوف على الراء، فإذا وصلت تحركت، و حينئذ يكون حكمها حسب حركتها، و يشترط أن لا يكون الحرف الساكن حرفا من حروف الاستعلاء.

٤- إذا كانت الراء ساكنة متطرفة بعد ياء ساكنة مثل: «قدير»، و «نذير» و هذا أيضا لا يكون إلا في حالة الوقوف.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٧٤

٥- إذا كانت الراء ساكنة بعد كسر أصلي و وقع بعدها حرف استعلاء و لكنه منفصل عنها في كلمة أخرى مثل: «أن أنذر قومك»، «و لا تصعر خدك».

الحالة الثالثة: جواز الترقيق و التفخيم:

يجوز الترقيق والتفخيم في «الراء» إذا كانت الراء ساكنة بعد كسر أصلى و لكن وقع بعدها حرف استعلاء متصل بها في كلمة واحدة، و كان حرف الاستعلاء مكسورا، و ذلك في كلمة واحدة هي: «فرق» في سورة الشعراء.

و كذلك يجوز الترقيق والتفخيم في حالة الوقف إذا سكنت الراء في الآخر و وقع بينها و بين الكسر حرف ساكن، و كان هذا الحرف ضادا أو طاء، فمن نظر إلى كونه حرف استعلاء و هو حاجز حصين فخم الراء، و من لم يعتد به رقق الراء، و المختار التفخيم في راء «مصر»، و الترقيق في راء «القطر» نظرا للوصل و عملا بالأصل، و قد أشار إلى ذلك بعضهم بقوله:

و اختير أن يوقف مثل الوصل في راء مصر القطر يا ذا الفضل ثانيا: أحكام اللام: و قبل البدء ببيان أحكام تفخيم اللام أو ترقيقها أقول: إن اللام في غير لفظ الجلالة لا تكون إلا مرققة و يجب المحافظة على ترقيقها خاصة إذا وليها حرف تفخيم كما في «و ليتلطف»، و كما في «و على الله»، و يجب عدم المبالغة في ترقيقها حتى كأنها ممالئة. كما يجب إظهارها إذا كانت لام جر كما في «و لله الأسماء الحسنى»، و لا تكون اللام مفخمة إلا في لفظ الجلالة المسبوق بفتح أو ضم.

و ترقق اللام في جميع كلمات القرآن و على أى وضع كانت كما في «لا ريب» «للمتقين»، «الضالين» و غير ذلك، و في لفظ الجلالة «الله» و لفظ «اللهم» المسبوق بكسر سواء كان كسرا أصليا كما في «بالله»، و «رضوان الله» أو كسرا عارضا للتخلص من التقاء الساكنين كما في «قل هو الله أحد الله الصمد» فلفظ الجلالة الثانى اللام فيه مرققة لأنها مسبوقة بكسر عارض على نون التنوين للتخلص من التقاء الساكنين. و كما في: «قل اللهم» فإن اللام في لفظ: «اللهم» مرققة لأنها مسبوقة بكسر عارض على اللام في «قل» و ذلك للتخلص من التقاء الساكنين.

### تغليظ اللام:

اصطلح العلماء على تسمية اللام المفخمة بالمغلظة. و هي لا تكون مغلظة إلا في لفظ الجلالة: «الله» أو لفظ: «اللهم» المسبوق بفتح أو ضم كما سبق بيان ذلك.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٧٥

ثالثا: أحكام ألف المد: ألف المد لا توصف بتفخيم و لا بترقيق و لكنها تتبع حالة الحرف الذى قبلها، فإن كان مرققا تبعته في الترقيق كما في «الأنهار»، «تجارة»، و إن كان الحرف الذى قبلها مفخما تبعته في التفخيم كما في «الطامة»، «الضالين»، «الظالمين» إلى غير ذلك.

رابعا: أحكام غنة الإخفاء الحقيقى: الغنة لا توصف بتفخيم و لا ترقيق و لكنها عكس الألف تتبع حرف الإخفاء الذى يأتى بعدها، فإن كان مفخما كالصاد، و الضاد، و الطاء، و الظاء، و القاف، فإنها تفخم تبعاً له كما في: «من طين»، «من ظلم»، «من ضل»، «من قبل»، و «من صبر»، أما الغين و الخاء فليس معهما غنة لأنهما من حروف الإظهار. و إن كان الحرف مرققا كالتاء و الثاء و الجيم و غير ذلك من حروف الإخفاء الحقيقى فإنها ترقق تبعاً لها كما في «من تحتها»، «فمن ثقلت»، «من جاء» إلى غير ذلك من الأمثلة ١.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

الهوامش:

(١) راجع نهاية القول المفيد في علم التجويد من ص ٩٣-١٠٣، و هداية القارى إلى تجويد كلام البارى من ص ١٠٣-١٥٦ و بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن من ص ٥٩-١٨٠ و النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٥-٢٢١ و المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ص ٥٤-٣١ طبعة الحلبي سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ للشيوخ/ ملا على بن سلطان محمد القارى، و البرهان في تجويد القرآن ص ٢٥-٢٧ طبعة محمد على صبيح و أولاده بمصر ١٩٧٨ م.



الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٧٦

## أحكام النون الساكنة والتنوين

### تعريفها:

النون الساكنة هي التي لا حركة لها كنون «من و عن» وهي تثبت لفظا و خطأ، و وصلا و وقفا، و تكون في الاسم و الفعل و الحرف و تقع متوسطة و متطرفه.

و التنوين في اللغة معناه: التصويت. يقال:

نوّن الطائر إذا صوّت. و في الاصطلاح: هو نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظا و تفارقه خطأ و وقفا.

### الفرق بين النون الساكنة والتنوين:

#### إشارة

بتأمل التعريفين السابقين يظهر لنا أن هناك خمسة فروق بين النون الساكنة والتنوين هي:

- ١- النون الساكنة حرف أصلي من حروف الهجاء، و التنوين زائد.
  - ٢- النون الساكنة ثابتة لفظا و خطأ، و التنوين ثابت في اللفظ دون الخط.
  - ٣- النون الساكنة ثابتة في الوصل و الوقف، و التنوين ثابت في الوصل دون الوقف.
  - ٤- النون الساكنة تكون في الأسماء و الأفعال و الحروف، و التنوين لا يكون إلا في الأسماء دون الأفعال و الحروف.
  - ٥- النون الساكنة تقع في وسط الكلمة و في آخرها، و التنوين لا يكون إلا في آخر الكلمة.
- هذا: و للنون الساكنة و التنوين بالنسبة لما يأتي بعدهما من حروف الهجاء أربعة أحكام هي: الإظهار، و الإدغام، و الإقلاب، و الإخفاء، و إليك بيان هذه الأحكام فيما يلي:

### الأول: الإظهار:

الإظهار في اللغة معناه: الكشف و الوضوح و البيان. و في الاصطلاح: إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر. و قال بعضهم: هو فصل الحرف الأول من الثاني من غير سكت عليه. و قيل غير ذلك.

و حروف الإظهار ستة هي: الهمزة، و الهاء، و العين، و الحاء، و الغين، و الخاء. و هي المسماة بحروف الحلق، و لذا سمي إظهارا سواء كان معها في كلمة أم كان منفصلا عنها بأن كانت النون آخر الكلمة و حرف الحلق أول الثانية، أو بعد التنوين - و لا يكون إلا من كلمتين - و جب الإظهار.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٧٧

و من أمثلة النون في كلمة و من كلمتين مع الهمزة: «يتأون»، «من آمن»، و مع الهاء:

«منهم»، «من هاجر»، و مع العين: «أنعمت»، «من عمل»، و مع الحاء: «ينحتون»، «فإن حاجوك»، و مع الغين: «فسينغضون» «من غل»، و مع الخاء: «و المنخقة»، «و من خزي».

و من أمثلة التنوين مع الهمزة: «جنات ألفافا»، و مع الهاء: «جرف هار»، و مع العين:



«سميع عليم»، و مع الحاء: «عليم حكيم»، و مع الغين: «عزيز غفور»، و مع الخاء: «لطيفا خبيراً».

و العلة في إظهار النون و التنوين عند هذه الأحرف بعد المخرج أى: بعد مخرج النون و التنوين عن مخرج حروف الحلق، فالنون و التنوين يخرجان من طرف اللسان، و الحروف الستة تخرج من الحلق. و أعلى مراتب الإظهار عند الهمز و الهاء، و أوسطه عند العين و الحاء، و أدناه عند الغين و الخاء.

و سمي إظهارا لظهور النون الساكنة و التنوين عند ملاقاتهما بحرف من هذه الأحرف. و سمي حلقيا لخروج حروفه من الحلق.

## الثاني: الإدغام:

و الإدغام في اللغة معناه: إدخال الشيء في الشيء، و في الاصطلاح: التقاء حرف ساكن بمتحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا يرتفع عنه اللسان ارتفاعاً واحدة.

و معنى ذلك: أن الإدغام: هو إدخال الحرف الأول في الحرف الثاني بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا.

و حروف الإدغام ستة مجموعة في كلمة:

«يرملون» و هي الياء و الراء و الميم و اللام و الواو و النون. فإذا وقع حرف من هذه الأحرف الستة بعد النون الساكنة بشرط أن تكون النون آخر الكلمة، و أحد هذه الحروف الستة أول الكلمة الثانية، أو بعد التنوين - و لا يكون إلا من كلمتين - و جب إدغامها. و ينقسم الإدغام إلى قسمين:

الأول: إدغام بغنة و له أربعة حروف مجموعة في لفظ «ينمو» و هي الياء و النون و الميم و الواو. فإذا وقع حرف من هذه الأحرف الأربعة بعد النون الساكنة و التنوين بشرط أن ذلك يكون من كلمتين، بأن تكون النون في كلمة و أحد الحروف في كلمة أخرى، أو بعد التنوين - و لا يكون إلا من كلمتين - و جب الإدغام، و يسمى إدغاما ناقصا، لذهاب الحرف و هو النون، أو التنوين و بقاء الصفة و هي الغنة.

و من أمثلة النون الساكنة مع الياء: «من يقول» و مع النون: «من نذير»، و مع الميم: «من مسد»، و مع الواو: «من ولي».

و من أمثلة التنوين مع الياء: «و برق يجعلون»، و مع النون: «يومئذ ناعمة»،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٧٨

و مع الميم: «عذاب مقيم»، و مع الواو:

«يومئذ واهية».

أما إذا وقع حرف من هذه الأحرف الأربعة السابقة بعد النون الساكنة في كلمة واحدة و جب الإظهار مطلقا لعدم تقييده بحلق أو شفة، و لم يقع في القرآن بعد النون من كلمة إلا الياء و الواو، فالياء في كلمتي «الدنيا»، و «بنيان»، و الواو في كلمتي: «صنوان»، و «قنوان».

و و جب الإظهار في هذه الكلمات الأربع لثلاثي يشتهر بالمضاعف - و هو ما تكرر أحد أصوله «كصنوان» و «دنيا»، فلو أدغمت النون في الياء أو في الواو، و قيل الديا و صوان، فيلتبس الأمر بين ما أصله النون فأدغمت نونه، و بين ما أصله التضعيف، فلهذا أظهرت النون خوف الالتباس.

الثاني: إدغام بغير غنة، و له حرفان: اللام و الراء. فإذا وقعت اللام أو الراء بعد النون الساكنة أو التنوين و جب الإدغام، و يسمى إدغاما بغير غنة، و وجه حذف الغنة مع اللام و الراء: المبالغة في التخفيف، و يسمى هذا القسم من الإدغام إدغاما كاملا، لذهاب الحرف و الصفة معا.

و من أمثلة اللام بعد النون الساكنة: «و لكن لا يعلمون»، و مثال الراء بعد النون الساكنة:

«من ربهم»، و مثال اللام بعد التنوين:

«هدى للمتقين»، و مثال الراء بعد التنوين:

«رءوف رحيم».

### الثالث: الإقلاب:

و الإقلاب فى اللغة معناه: تحويل الشىء عن وجهه، و فى الاصطلاح: جعل حرف و هو الميم، مكان حرف آخر، و هو النون الساكنة أو التنوين، مع مراعاة الغنة و الإخفاء. و يصح أن يقال فى تعريفه: هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميمًا عند الباء، مع مراعاة الغنة و الإخفاء. و له حرف واحد هو الباء، فإذا وقعت الباء بعد النون الساكنة من كلمة أو من كلمتين، أو بعد التنوين و لا يكون إلا من كلمتين و جب الإقلاب، أى قلب هذه النون أو التنوين ميمًا عند الباء مع الإخفاء بغنة.

و من أمثلة النون الساكنة مع الباء: «أنبئهم» «أن بورك»، و مثال التنوين مع الباء: «سميع بصير».

و وجه الإقلاب هنا هو: عسر الإتيان بالغنة فى النون الساكنة و التنوين مع الإظهار، ثم إطباق الشفتين لأجل الباء، و عسر الإدغام كذلك لاختلاف المخرج و قلة التناسب، و حينئذ يتعين الإخفاء، ثم توصل إليه بالقلب ميمًا لمشاركتها للباء مخرجا و للنون غنة.

### الرابع: الإخفاء:

و الإخفاء فى اللغة معناه: الستر، تقول:

أخفيت الشىء أى: سترته. و فى الاصطلاح:

هو عبارة عن النطق بحرف ساكن عار من التشديد على صفة بين الإظهار و الإدغام مع

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٧٩

بقاء الغنة فى الحرف الأول و هو هنا النون الساكنة و التنوين.

و حروف الإخفاء: خمسة عشر حرفا و هى التى جمعها الجمزورى فى تحفته فى أوائل كلمات البيت التالى:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سمام طيبا زد فى تقى ضع ظالما و هى: الصاد، و الذال، و التاء، و الكاف، و الجيم، و الشين، و القاف، و السين، و الدال، و الطاء، و الزاى، و الفاء، و التاء، و الضاد، و الظاء.

فإذا وقع حرف من هذه الأحرف بعد النون الساكنة سواء كان متصلا بها فى كلمتها أم منفصلا عنها، أو بعد التنوين و لا يكون إلا من كلمتين كما هو مقرر و جب إخفاؤهما، و يسمى إخفاء حقيقيا لأنه متحقق فى النون الساكنة و التنوين أكثر من غيرهما.

و من أمثلة إخفاء النون الساكنة مع هذه الحروف من كلمة و من كلمتين: «منصورا» «أن صدوكم»، «منذر»، «من ذكر»، «منثورا»، «من ثمره»، «ينكثون»، «من كل»، «أنجيناكم»، «أن جاءكم»، «المنشئون»، «لمن شاء»، «أندادا»، «من دابة»، «ينقضون»، «فإن قاتلوكم»، «منسأته»، «من سيئاتكم»، «ينطقون»، «من طبيبات»، «فأنزلنا»، «فإن زللتهم»، «انفروا»، «و إن فاتكم»، «منتهون»، «من تحتها»، «منضود»، «من ضل»، «انظروا»، «من ظهير».

و من أمثلة التنوين مع هذه الحروف: «ربحا صرصر»، «سراعا ذلك»، «أزواجا ثلاثة»، «عادا كفروا»، «فصبر جميل»، «بأس شديد»، «ثمنا قليلا»، «و رجلا سلما»، «قنوان دانية»، «شرابا طهورا»، «مباركة زيتونة»، «خالدا فيها»، «جنات تجرى»، «قوما ضالين»، «ظلا ظليلا».

و وجه إخفاء النون الساكنة و التنوين عند هذه الأحرف هو: أن النون الساكنة و التنوين لم يقربا من هذه الأحرف الخمسة عشر مثل

قربهما من حروف الإدغام حتى يدغما، و لم تبعد النون الساكنة و التنوين من هذه الأحرف مثل بعدهما عن حروف الإظهار فيظهرا، فهما لم يأخذا القرب الموجب للإدغام، و لم يأخذا صفة البعد الموجب للإظهار، و من هنا فقد أعطيت النون الساكنة و التنوين عند الأحرف الخمسة عشر السابقة حكما متوسطا بين الإظهار و الإدغام، هذا الحكم المتوسط، هو الإخفاء كما اتضح لنا معناه. و للإخفاء مراتب ثلاثة: أعلى عند الطاء و الدال و التاء.

و أدنى عند القاف و الكاف. و أوسط عند باقي الحروف الخمسة عشر. و قد أشار صاحب التحفة إلى هذه الأحكام الأربعة بقوله: الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٨٠ للنون إن تسكن و للتنوين أربع أحكام فخذ تبيني فالأول الإظهار قبل أحرف للحلق ست رتبت فلتعرف همز فهاء ثم عين حاء مهملتان ثم غين خاء و الثاني إدغام بستة أتت في يرملون عندهم قد ثبتت لكنهما قسما قسم يدغما فيه بغنة بينما علما إلا إذا كان بكلمة فلا تدغم كدنيا ثم صنوان تلا و الثاني إدغام بغير غنة في اللام و الراء ثم كزرنه و الثالث الإقلاب عند الباء ميم بغنة مع الإخفاء و الرابع الإخفاء عند الفاضل من الحروف واجب للفاضل في خمسة من بعد عشر رمزها في كلم هذا البيت قد ضمنتها صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سمدام طيبا زد في تقى ضع ظالما أ. د. السيد إسماعيل على سليمان الهوامش:

(١) النجوم الطوالع شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع للعلامة المحقق الشيخ سيدى إبراهيم أحمد المارغنى ص ٩٦ و ما بعدها طبع المطبعة التونسية بسوق البلاط بتونس عام ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م. و انظر: هداية القارى إلى تجويد كلام البارى ص ١٥٩ و ما بعدها طبعه دار النصر للطباعة الإسلامية الأولى سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م للشيخ/ عبد الفتاح السيد عجمى المرصفى. و انظر البرهان فى تجويد القرآن ص ٧-١١ طبعه مطبعة محمد على صبيح و أولاده بميدان الأزهر سنة ١٩٧٨ للشيخ/ محمد الصادق قمحاوى. و كتاب كيف تقرأ القرآن قراءة شرعية ص ١١٥-١٢٣. طبعه دار التوفيقية بالأزهر سنة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م للأستاذ الدكتور سيد مرسى إبراهيم بيومى.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٨١

## فى الغنة و أحكامها و أقوال العلماء فى ذلك

### إشارة

الغنة فى اللغة: صوت يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه.

و فى الاصطلاح: صوت أغن مركب فى جسم النون و لو تنوينا و الميم مطلقا- أى أن صوت الغنة صفة لازمة للنون و الميم سواء كانتا متحركتين أو ساكنتين مظهرتين أو مدغمتين أو مخفأتين.

و محل الغنة فى النون و الميم لا فى غيرهما من الحروف. و النون أغن من الميم و يلحق بالنون التنوين.

## مخرج الغنة:

أما مخرج الغنة فمن الخيشوم، و هو خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم- و قيل: هو أقصى الأنف- أى: أن صوت الغنة بجميع أحواله يخرج من الخيشوم. و دليل ذلك أنه لو أمسك بالأنف لا انحبس خروجه مطلقا حتى فى حال ضعفه عند تحريك النون و الميم مخففتين، أو سكونهما مظهرتين، كما يشهد بذلك النطق.

## مراتب الغنة:

يرى جمهور العلماء أن للغنة خمس مراتب هي:

الأولى: المشدّد، و يشمل ما كان فى كلمة و ما كان فى كلمتين، فالذى فى كلمة هو النون و الميم المشدّدتان مطلقا مثل: «يَمُون» «هَمّت به». و الذى فى كلمتين يشمل أربعة أنواع و كلها فى الإدغام التام:

الأول: الإدغام التام المصحوب بالغنة و هو إدغام النون الساكنة و التنوين فى النون و الميم نحو: «إن نشأ»، «من مال الله»

الثانى: إدغام الميم الساكنة فى مثلها نحو:

«كم من فئة».

الثالث: إدغام المتجانسين الصغير المصحوب بالغنة و هو إدغام الباء الساكنة فى الميم فى قوله تعالى: يا بَنِي إِزْكَبَ مَعَنَا (سورة هود آية ٤٢) عند من أدغم و منهم حفص عن عاصم من طريق الشاطبية.

الرابع: إدغام اللام الشمسية فى النون نحو: «إلى النور»، و يسمى كل من النون و الميم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٨٢

فيما ذكر حرف غنة مشددا. و يجب إظهار غنته، كما يجب الاحتراز من المد عند الإتيان بالغنة فى مثل قوله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثُرَ، و قوله تعالى فِيمَا تَثَفَّفْتَهُمْ.

المرتبة الثانية: المدغم، و المراد به هنا الإدغام بالغنة الناقص، و هو إدغام النون الساكنة و التنوين فى الواو و الياء.

المرتبة الثالثة: المخفى، و يشمل أنواعا ثلاثة هي:

الأول: إخفاء النون الساكنة و التنوين عند حروف الإخفاء الخمسة عشر.

الثانى: إخفاء الميم المقلوبة من النون الساكنة و التنوين عند ملاقاتهما بالباء مثل:

«ينبت»، «عليم بذات».

الثالث: إخفاء الميم قبل الباء نحو: «فاحكم بينهم».

المرتبة الرابعة: الساكن المظهر، و يشمل إظهار النون الساكنة و التنوين عند حروف الحلق، و كذلك الميم الساكنة حال إظهارها إذا لم يأت بعدها باء أو ميم.

المرتبة الخامسة: المتحرك المخفف، و يشمل النون الساكنة و الميم الخفيفتين المتحركتين بأى حركة كانت.

مقدار الغنة: حركتان كالمد الطبيعى، أى غنة كاملة من غير تفاوت فى المراتب الثلاث الأولى، و أما مقدارها فى المرتبتين الأخيرتين فهو أصل الغنة فقط ١.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

الهوامش:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٨٣

## في تعريف الميم الساكنة و أحكامها

### إشارة

الميم الساكنة هي التي سكونها ثابت في الوصل والوقف نحو: «الحمد لله»، وتكون هذه الميم في الاسم والفعل، وتكون متوسطة و متطرفة. ولها قبل حروف الهجاء كلها ما عدا الألف اللينة - ألف المد - أحكام ثلاثة وهي: الإخفاء الشفوي، والإدغام الصغير، والإظهار الشفوي، وهذه الأحكام بيانها فيما يلي:

### أولاً: الإخفاء الشفوي:

والإخفاء في اللغة: بمعنى الستر. وفي الاصطلاح: النطق بالميم الساكنة على صفة بين الإظهار والإدغام مع مراعاة الغنة وعدم التشديد.

وله حرف واحد فقط وهو الباء، وسمى بالإخفاء: لإخفاء الميم الساكنة عند الباء. وسمى بالشفوي: لأن الميم والباء كليهما يخرجان من الشفتين، ووجهه: التجانس في المخرج وفي أكثر الصفات. ومن أمثلة الإخفاء الشفوي: قوله تعالى: فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ (سورة المائدة آية: ٤٨).

### ثانياً: الإدغام الصغير:

والإدغام الصغير له حرف واحد وهو «الميم»، فإذا وقع بعد الميم الساكنة سواء كان معها في كلمة واحدة أم في كلمتين وجب إدغام الميم الساكنة في الميم المتحركة، وسمى إدغام مثلين صغيراً مع الغنة. فالذي من كلمة نحو «الم»، «المر»، والذي من كلمتين نحو «كم من فئة»، «و لكم ما كسبتم»، ومنه إدغام النون الساكنة والتنوين في الميم نحو: «من مال الله»، وذلك لقلب المدغم من جنس المدغم فيه، وكذلك يطلق على كل ميم مشددة نحو «دمر» أو «يعمر» أو «هم».

وسمى إدغاماً لإدغام الميم الساكنة في المتحركة. وسمى بالمثلين لكون المدغم والمدغم فيه مؤلفان من حرفين اتحدا مخرجا و صفة أو اتحدا اسما و رسما. وسمى صغيراً لكون الأول من المثلين ساكناً والثاني متحركاً، أو لقله عمل المدغم. وسمى بالغنة لكون الغنة مصاحبة له هنا بالإجماع. ووجهه: التماثل.

### ثالثاً: الإظهار الشفوي:

والإظهار الشفوي له ستة وعشرون حرفاً وهي الباقية من الحروف الهجائية بعد إسقاط حرف الباء الذي تقدم ذكره في الإخفاء الشفوي، وحرف الميم الذي ذكره في الإدغام الصغير. فإذا وقع حرف من هذه الأحرف بعد الميم الساكنة سواء كان معها في كلمة واحدة أو في كلمتين وجب إظهار الميم، وسمى إظهاراً شفويًا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٨٤

فالذي من كلمة واحدة نحو: «الحمد لله»، «أنعمت»، «قمت»، والذي من كلمتين نحو: ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ (البقرة: ٢٣٢) إلى غير

ذلك.

ثم إن إظهار الميم الساكنة يكون عند الفاء و الواو أكد خوفاً من أن يسبق اللسان إلى إخفائهما عند هذين الحرفين لقربهما من الفاء في المخرج، و اتحادهما مع الواو في المخرج.

و سمي إظهاراً: لإظهار الميم الساكنة عند ملاقاتها بحرف من حروف الإظهار الستة و العشرين. و سمي شفويًا: لخروج الميم الساكنة المظهرة من الشفة. و وجهه: التباعد، أى بعد مخرج الميم عن أكثر مخارج حروف الإظهار. و قد أشار الجمزورى فى تحفة الأطفال إلى أحكام الميم الساكنة بقوله:

\*\*\*

و الميم إن تسكن تجى قبل الهجالات ألف لينة لذى الحجا

أحكامها ثلاثة لمن ضبط إخفاء إدغام و إظهار فقط

فالأول الإخفاء عند الباء و سمه الشفوى للقراء

و الثانى إدغام بمثلها أتى و سم إدغاما صغيرا يا فتى

و الثالث الإظهار فى البقية من أحرف و سمها شفوية

و احذر لذى واو و فا أن تختفى لقربها و الاتحاد فاعرف ١ \*\*\* أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

الهوامش:

(١) انظر: نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ٢٦-١٢٨ طبعه الحلبي سنة ١٣٤٩ هـ- للشيخ محمد مكى نصر. و هداية القارى إلى تجويد كلام البارى ص ١٩١-١٩٨ طبعه دار النصر للطباعة الإسلامية الأولى سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م للشيخ عبد الفتاح السيد عجمى المرصفى. و بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن ص ٢٠٧-٢١٤ طبعه دار ابن القيم الثالثة ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م بالمملكة العربية السعودية، و البرهان فى تجويد القرآن ص ١٢، ١٣ طبعه محمد على صبيح و أولاده سنة ١٩٧٨ م. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٨٥

## اللامات السواكن

اللام الساكنة فى القرآن الكريم على خمسة أنواع هى: لام أل، و لام الفعل، و لام الأمر، و لام الاسم، و لام الحرف. و إليك تعريف كل واحدة من هذه الأنواع، و بيان حكمها مع التمثيل عليها فيما يلى:

أولاً: لام التعريف «أل»: هى لام ساكنة زائدة عن بنية الكلمة مسبوقة بهمزة وصل مفتوحة عند البدء و بعدها اسم سواء صح تجريدها عن هذا الاسم كالشمس و القمر، أم لم يصح كما فى لفظ الجلالة، و الذى، و التى.

حكمها: إذا وليها أحد الحروف الهجائية الثمانية و العشرين و التى ليس منها حروف المد الثلاثة- لأنه عندئذ تكون جميعا بين ساكنين- لها حكمان:

الأول: الإظهار القمري: و ذلك إذا جاء بعد أحد الحروف القمرية الأربعة عشر المجموعة فى قول صاحب التحفة: «ابغ حجك و خف عقيمه»، و هى الهمزة، و الباء، و الغين، و الحاء، و الجيم، و الكاف، و الواو، و الخاء، و الفاء، و العين، و القاف، و الياء، و الميم، و الهاء.

فإذا جاء أحد حروف هذه الجملة بعد لام «أول» و جب إظهارها، و يسمى إظهاراً قمرياً كما فى «الأنهار»، «البوار»، «الغفور»، و تسمى اللام حينئذ لا ما قمرية لظهورها عند النطق بها فى لفظ «القمر»، و سمي إظهاراً لظهور لام التعريف عند هذه الأحرف. و وجهه:

التباعد، أى بعد مخرج اللام عن مخرج هذه الأحرف.

الثانى: الإدغام، وذلك إذا جاء بعدها أحد الحروف الشمسية الأربعة عشر الباقية من حروف الهجاء و التى رمز إليها صاحب التحفة فى أوائل كلمات هذا البيت:

طب ثم صل رحما تفض صف ذا نعم دع سوء ظن زر شريفا للكرم و هى: الطاء، و الثاء، و الصاد، و الراء، و التاء، و الضاد، و الذال، و النون، و الدال، و السين،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٨٦

و الطاء، و الزاى، و الشين، و اللام، فإذا وقع حرف من هذه الأحرف بعد لام «أل» وجب إدغامها. و يسمى إدغاما شمسيا، و تسمى اللام حينئذ لاما شمسية لعدم ظهورها عند النطق بها فى لفظ «الشمس» و ذلك كما فى:

«الطيبات»، «الثواب»، «الصابرون». و هكذا فى بقية الحروف. و سبب هذا الإدغام التماثل فى اللام، و فى بقية الحروف التقارب.

ثانيا: لام الفعل: و هى أحد حروف الفعل الأصلية، و هى إما أن تكون متوسطة، و إما أن تكون متطرفة. فإن كانت متوسطة و جب إظهارها كما فى لفظ «ألهاكم»، «يلتقطه»، و إن كانت متطرفة ففيها حكمان:

الأول: الإدغام، و هو إذا جاء بعدها لام أو راء، كما فى قوله: «ألم أقل لكم»، و قوله: «وقل رب»، و سبب إدغامها فى اللام التماثل، و فى الراء التقارب.

الثانى: الإظهار، و هو أن يأتى بعد لام الفعل حرف آخر من حروف الهجاء غير اللام و الراء، فيجب عند ذلك إظهارها، كما فى قوله: «قل أتخذتم»، «قل بئسما».

ثالثا: لام الأمر: و هى لام زائدة عن أصل الكلمة، و يأتى بعدها فعل مضارع فقط و هى متصله به، و لا تكون إلا ساكنة، و تأتى بعد الفاء، أو الواو، أو ثم، كما فى قوله:

«فلينظر»، و قوله: «و ليملل»، و قوله: «ثم ليقطع». فهذه اللام يجب إظهارها.

رابعا: لام الاسم: و هى أحد حروف الاسم الأصلية بخلاف لام «أل» و المقصود بلام الاسم هى ما كانت ساكنة متوسطة، و لا تكون متطرفة أبدا، و هذه اللام يجب إظهارها كما فى قوله: «ألستكم»، «بسلطان».

خامسا: لام الحرف: و هى لام أصلية ساكنة، و هذه اللام لها حكمان:

الأول: الإدغام، و ذلك إذا جاء بعدها لام أو راء، كما فى قوله: «هل لك»، «بل لا تكرمون».

و الراء فى القرآن لا تقع بعد لام الحرف إلا مع «بل» كما فى قوله: «بل ربكم»، و يستثنى منها راء واحدة وقعت فى القرآن بعد «بل» فلا تدغم، و هى قوله: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (سورة المطففين، آية: ١٤)، و ذلك بسبب السكت، و السكت مانع من الإدغام.

الثانى: الإظهار، و ذلك إذا جاء بعدها أى حرف من حروف الهجاء غير اللام و الراء، كما فى قوله: «هل تعلم» «بل طبع».

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٨٧

و إليك ما قاله الجمزورى فى تحفة الأطفال:

\*\*\*

للام أل حالان قبل الأحرف أو لاهما إظهارها فليعرف

قبل أربع من عشرة خذ علمه من ابغ حجك و خف عقيمه

ثانيهما إدغامها فى أربع و عشرة أيضا و رمزها فع \*\*\*

طب ثم صل رحما تفض صف ذا نعم دع سوء ظن زر شريفا للكرم

واللام الأولى سمها قمرية واللام الأخرى سمها شمسية  
و أظهرن لام فعل مطلقا في نحو قل نعم و قلنا و التقى ١. أ. د. السيد إسماعيل علي سليمان  
الهوامش:

(١) البرهان في تجويد القرآن ص ١٤-١٦ طبعه محمد صبيح و أولاده ١٩٧٨ م للشيخ محمد الصادق قمحاوي. و هداية القارى إلى  
تجويد كلام البارى ص ٢٠١-٢١٤ طبعه دار النصر للطباعة الإسلامية الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م للشيخ عبد الفتاح المرصفي.  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٨٨

### «المثلان، و المتقاربان، و المتجانسان، و المتباعدان»

الحرفان المتلاقيان لفظا و خطا، أو خطا فقط ينقسمان إلى أربعة أقسام:  
مثلين، و متقاربين، و متجانسين، و متباعدين، كما يقتضى ذلك القسمة العقلية، ثم إن كلا من الأقسام الأربعة ينقسم إلى ثلاثة أقسام،  
و ذلك فيما يلي:  
أولا: المثلان: و هما الحرفان اللذان اتحدا مخرجا و صفة كالباءين نحو: «اضرب بعصاك»، و كالدالين نحو: «و قد دخلوا». و هو ينقسم  
إلى ثلاثة أقسام:

١- مثلان صغير: و هو أن يكون الحرف الأول ساكنا و الثانى متحركا كما فى الأمثلة المتقدمة. و حكمه: وجوب الإدغام لجميع القراء،  
و ذلك إن لم يكن الأول حرف مد نحو «قالوا و هم»، أو هاء سكت نحو: «ماله هلك»، و إلا وجب الإظهار.  
٢- مثلان كبير: و هو أن يكون الحرفان متحركين نحو: «فيه هدى»، «الرحيم مالك»، و حكمه: الإظهار لجميع القراء ما عدا السوسى.  
٣- مثلان مطلق: و هو أن يكون الحرف الأول متحركا و الثانى ساكنا نحو «ما ننسخ» «شققنا»، و حكمه الإظهار من غير خلاف.  
ثانيا: المتقاربان: و هما الحرفان اللذان تقاربا مخرجا و صفة كالدال و الزاى نحو: «إذ زين»، أو مخرجا لا صفة كالدال و السين نحو:  
«قد سمع»، و كالدال و الجيم نحو: «إذ جاء وكم». و هو ثلاثة أقسام:

١- متقاربان صغير: و هو أن يكون الحرف الأول منهما ساكنا و الثانى متحركا مثل النون مع اللام فى نحو: «و لكن لا يعلمون» و  
القاف مع الكاف فى نحو: «ألم نخلقكم»، حكمه: الإظهار إلا اللام و الراء نحو: «قل رب» «بل ران» لغير حفص، فإنه يجب الإدغام. و  
أما حفص فله على لام «بل ران» سكتة لطيفة و السكت يمنع الإدغام.  
٢- متقاربان كبير: و هو أن يتحرك الحرفان معا كالقاف مع الكاف فى نحو:  
«رزقكم»، و الدال مع السين فى نحو: «عدد سنين». و حكمه: الإظهار لغير السوسى.

٣- متقاربان مطلق: و هو أن يتحرك الأول منهما و يسكن الثانى كالهزء مع الحاء فى نحو «أحمل»، و الباء مع الضاد فى نحو «يضلل». و  
حكمه: الإظهار وجوبا لجميع القراء.

ثالثا: المتجانسان: و هما الحرفان اللذان اتحدا مخرجا و اختلفا صفة كالدال و التاء فى نحو: «قد تبين»، و التاء مع الدال فى نحو «يلهث  
ذلك»، و هو ثلاثة أقسام:

١- متجانسان صغير: و هو أن يكون الحرف الأول منهما ساكنا و الثانى متحركا كالتاء مع الطاء فى نحو: «همت طائفة»، و حكمه  
الإظهار إلا فى خمسة مواضع يجب

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٨٩

الإدغام فيها، و هى: الدال فى التاء نحو «قد تبين»، و التاء فى الدال و الطاء نحو: «أثقلت دعوا»، «همت طائفة»، و الدال فى الطاء نحو



«إذ ظلمتم»، و الثاء فى الذال نحو: «يلهث ذلك»، و الباء فى الميم نحو: «اركب معنا».

٢- متجانسان كبير: و هو أن يتحرك الحرفان معا كالتاء مع الطاء فى نحو:

«الصالحات طوبى». و حكمه: الإظهار لغير السوسى.

٣- متجانسان مطلق: و هو أن يتحرك الحرف الأول و يسكن الثانى، كالياء مع الشين فى نحو: «يشكر». و حكمه: الإظهار وجوبا للجمع.

رابعا: المتباعدان: و هما الحرفان اللذان تباعدا مخرجا و اختلفا صفة. و هو ثلاثة أقسام:

١- المتباعدان الصغير: و هو أن يكون الأول ساكنا و الثانى متحركا كالهزمة مع اللام فى نحو: «تألمون».

٢- المتباعدان الكبير: و هو أن يتحرك الحرفان معا كالزاي مع الهزمة فى نحو: «استهزئ».

٣- المتباعدان المطلق: و هو أن يتحرك الحرف الأول و يسكن الثانى، كالقاف مع الواو.

و حكم المتباعدين: الإظهار وجوبا عند جميع القراء سواء كان صغيرا أم كبيرا أم مطلقا، لأن الإدغام بشروطه مطلقا إنما يسوغه التماثل أو التقارب أو التجانس.

\*\*\* و قد أشار الجمزورى فى تحفة الأطفال إلى الأقسام الثلاثة الأولى بقوله:

إن فى الصفات و المخارج اتفق حرفان فالمثلان فهما أحق

أو يكون مخرجا تقاربا و فى الصفات اختلفتا يلعبا

متقاربين أو يكونا اتفقافى مخرج دون الصفات حقا

بالمجانسين ثم إن سكن أول كل فالصغير سمين

أو حرك الحرفان فى كل فقل كل كبير و افهمنه بالمثل ١ و أشار صاحب كتاب انشراح الصدور إلى المتباعدين بقوله:

و إن يكونا مخرجا تباعدا و فى الصفات اختلفا مباعدا ٢ أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

الهوامش:

(١) انظر: البرهان فى تجويد القرآن ص ٢٨- ٣٠ طبعة مطبعة محمد على صبيح و أولاده سنة ١٩٧٨ م للشيخ/ محمد الصادق قمحاوى.

و هداية القارى إلى تجويد كلام البارى ص ٢١٧- ٢٢٧، طبعة دار النصر للطباعة الإسلامية الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.

(٢) انشراح الصدور فى تجويد كلام الغفور للشيخ و هبة سرو المحلى ص ٣٠ طبعة مطبعة المليجى بالقاهرة ١٩٢٣.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٩٠

## فى المد و القصر

### إشارة

الأصل فى هذا الباب ما رواه البخارى بسنده عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك- رضى الله عنه- عن قراءة النبى- صلى الله عليه و سلم- فقال: كان يمد مدّا ١. و رواه النسائى عن قتادة بلفظ سألت أنسا كيف كانت قراءة رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قال كان يمدّ صوته مدّا ٢.

و ما أخرجه سعيد بن منصور فى سننه قال:

حدثنا شهاب بن خراش، حدثنى مسعود بن يزيد الكندى قال: كان ابن مسعود يقرئ رجلا، فقرأ الرجل: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ

المَسَاكِينِ (سورة التوبة آية ٦٠) مرسله - أى مقصورة من غير مدّ - فقال ابن مسعود: ما هكذا قرأنيها النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: وكيف أقرأكها؟ قال: قرأنيها: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فمدها ٣.

### تعريف المد:

### إشارة

المدّ فى اللغة: مطلق الزيادة، ومنه قوله تعالى: وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ (سورة نوح آية ١٢) أى يزدكم - وفى الاصطلاح: إطالة الصوت بحرف من حروف المدّ الثلاثة عند ملاقاته همزة أو سكون.

### حروف المد:

وحروف المدّ الثلاثة يجمعها لفظ «واى» وهى الواو الساكنة المضموم ما قبلها نحو «يقول»، والألف الساكنة المفتوح ما قبلها نحو «قال»، والياء الساكنة المكسور ما قبلها نحو «قيل» و يجمع الكل بشروطها المذكورة الكلمات: «نوحيا»، «أوتينا»، «أوذينا». وتسمى هذه الحروف: حروف المدّ واللين، لخروجها بامتداد و لين من غير كلفة على اللسان لاتساع مخرجها. وأما حرفا اللين فهما الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما.

\*\*\* جاء فى متن التحفة:

حروف ثلاثة فعيها من لفظ واى وهى فى نوحيا  
والكسر قبل الياء وقبل الواو ضم شرط وفتح قبل ألف يلتزم  
واللين منها الياء وواو سكتان إن انفتح قبل كل أعلن  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٩١

### تعريف القصر:

القصر فى اللغة: الحبس والمنع، ومنه قوله تعالى: حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (سورة الرحمن آية ٧٢) أى محبوسات فيها. وفى الاصطلاح: إثبات حرف المد من غير زيادة عليه.

### المدّ والقصر حقيقة و اصطلاحاً:

وحقيقته المدّ تحققه بأى مقدار ولو حركتين. وحقيقته القصر عدم المدّ مطلقاً. لكن المصطلح عليه فى علم التجويد كما يستفاد من تعريفى المدّ والقصر السابقين أن القصر هو مقدار حركتين، والمد هو ما فوق ذلك.

### تعريف الحركة:

الحركة: هى إطالة الصوت بمدّ الحرف بمقدار قبض الأصبع أو بسطه. وقيل: إن مقدار الحركة هو مقدار النطق بحرف هجائى على الوجه الذى يقرأ به القارئ من السرعة والبطء وعلى ذلك فإن الذى مقداره حركتان يكون مقداره، مقدار النطق بحرفين، وما حقه أن يمد مقدار أربع حركات يكون بمقدار النطق بأربعة أحرف هجائيه وهكذا إذ أنه أضبط فى ذاته و أنسب إلى مراتب القراءة

المختلفة سرعة و ببطء.

## أقسام المد:

### إشارة

ينقسم المد إلى قسمين:

### الأول: المد الأصلي

، و هو المد الطبيعي الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به، و لا يتوقف على سبب من همز أو سكون، بل يكفي فيه وجود أحد حروف المد الثلاثة. و سمي طبيعياً لأن صاحب الطبيعة السليمة لا يزيد فيه و لا ينقص عن مقداره. و مقداره ألف، و الألف حركتان، و الحركة مقدار قبض الأصبع أو بسطه. مثل: «قال، يقول، قيل».

\*\*\* قال الشيخ الجمزوري في متن تحفة الأطفال:

و سم أولاً طبيعياً و هو ما لا توقف له على سبب

و لا بدونه الحروف تجتلب

بل أى حرف غير همز أو سكون جاء بعد مدّ فالطبيعي يكون ملحقات المدّ الطبيعي «الأصلي»: يلحق بالمدّ الطبيعي المدود التالية:

١- مدّ العوض: و هو الوقوف على تنوين بالفتح على غير تاء التانيث كما في «ميقاتا»،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٩٢

«نباتا»، «ألفافا» فإن القارئ يقف على كل منها بألف مدّ، و ذلك عوضاً عن التنوين، و لذلك سمي بمدّ العوض. أما إذا كان الوقف

على تاء التانيث المنونة بالفتح، فإن القارئ يقف عليها بالسكون فقط كما في كلمات:

«رحمة»، «الاعية»، «حامية» فإن الوقف على كل من هذه التاءات بهاء ساكنة.

٢- مدّ البدل الصغير: و هو إبدال همزة ثانية ساكنة حرف مدّ يتناسب مع حركة الهمزة الأولى، و ليس بعده همزة، فإن كانت حركة

الهمزة الأولى فتحة أبدلت الهمزة الثانية ألفاً كما في (ءامن)، (ءادم) إذ أصلها «أمن، أدم»، و إن كانت حركة الهمزة الأولى ضمة

أبدلت الهمزة الثانية واواً كما في (أؤتمن)، (أؤذوا) إذ أصلها «أؤذوا» فضمت الهمزة الأولى و سكنت الثانية فأبدلت بواو لمناسبة حركة

الأولى و هي الضمة. و إن كانت حركة الهمزة الأولى كسرة، فإن الهمزة الثانية تبدل ياء، كما في (إيماننا)، فإن أصلها «إماننا» فكسرت

الهمزة الأولى و سكنت الثانية، فأبدلت الثانية ياء لمناسبة حركة الأولى. مع ملاحظة أن مدّ البدل في بعض القراءات الأخرى - كما هو

الحال عند الإمام نافع - يمد حركتين و أربعاً و ستاً، و عند ذلك يلحق بالمدّ الفرعى.

٣- مدّ الصلة الصغرى: و هو عبارة عن هاء الضمير المفرد الغائب المضمومة أو المكسورة إذا وقعت بين متحركين الثاني منهما ليس

همزة قطع و لم يوقف عليها.

### شروط هذا المد:

(أ) أن تكون الهاء ضمير غائب مفرداً.

(ب) أن تكون الهاء مضمومة أو مكسورة.

(ج) أن يكون الحرف الذي قبلها متحركاً والحرف الذي يليها في أول الكلمة التي بعدها متحركاً.

(د) أن يكون الحرف المتحرك الذي بعدها ليس همزة قطع، فإن كان همزة قطع فعند ذلك يسمى صلة كبرى.

(هـ) أن لا يوقف عليها، فإذا وقف القارئ على الهاء فإنه يقف بالسكون من غير مدّ.

٤- مدّ التمكين: وهو عبارة عن ياءين الأولى مشددة مكسورة والثانية حرف مدّ.

وسمى تمكيناً لأنه يتمكن كل أحد من إخراجه وتطبيقه بسبب الشدة، كما في «حيّتم» «النيّين»، فإن الياء الأولى مشددة مكسورة في

كل من الكلمتين والثانية حرف مدّ. وهذا المدّ هو من المدّ الطبيعي غير أنه أفرد باسم مستقل.

### القسم الثاني: المدّ الفرعي:

#### إشارة

وهو المدّ الزائد على مقدار المدّ الطبيعي، وهو الذي يتوقف على سبب من الأسباب.

وسمى بالفرعي لتفرعه من المدّ الطبيعي.

### أسباب المدّ الفرعي: أمران:

أحدهما: لفظي: وهو إما همز أو سكون. نحو «جاء، يا أيها، نستعين، آمنوا،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٩٣

الضالين»، فإذا وجد القارئ بعد حرف المدّ همزاً أو سكوناً وجب أو جاز أو لزم مدّه زيادة على مقدار المدّ الطبيعي كما سيأتي بيان

ذلك.

الثاني: معنوي: وهو لقصده المبالغة في النفي للتعظيم، وهو من الأسباب القويّة المقصودة عند العرب، وإن كان ضعيفاً عند القراء، و

هو نوعان: الأول: المدّ للتعظيم، وهو في «لا» النافية للجنس في كلمة التوحيد خاصة وهي: «لا إله إلا الله»، ويسمى بمدّ المبالغة أيضاً

لأنه طلب للمبالغة في نفي الألوهية عما سوى الله تعالى. الثاني: مدّ التبرئة، وهو ثابت عند الإمام حمزة أحد القراء السبعة في أحد

الوجهين عنه من طريق طيبة النشر، لكن لا يبلغ به حدّ الإشباع، بل يقتصر فيه على التوسط، وقدره أربع حركات، وذلك لضعف سببه

عن السبب اللفظي. ومثاله: «لا ريب» «لا شيء فيها».

### أنواع المدّ الفرعي:

#### إشارة

علم مما تقدم أن للمدّ الفرعي سببين لفظيين هما: الهمز والسكون، فالهمز سبب لثلاثة أنواع منه، وهي المدّ المتصل، والمدّ المنفصل، و

البدل. والسكون سبب لنوعين من المدّ، ولا يكون إلا بعد حرف المدّ دائماً، فإن كان ثابتاً في الوصل والوقف فهو المدّ اللازم نحو

«الصاخة» وإن كان ثابتاً في الوقف دون الوصل فهو المدّ العارض للسكون نحو «نستعين»، وبيان هذه الأنواع فيما يلي:

**١- المد المتصل:**

هو أن يأتي بعد حرف المد همز في كلمة واحدة نحو «جاء»، «السوء» «تفيء» وسمى متصلا لاتصال الهمز بحرف المد في كلمة واحدة.

وهذا النوع حكمه الوجوب. لوجوب مده زيادة على مقدار المد الطبيعي عند جميع القراء، ولا يعرف لأحد منهم فيه خلاف. إلا أنهم اختلفوا في مقدار الزيادة على حسب مذاهبهم، فمنهم من قرأ بمرتبة الإشباع و قدرها ست حركات. ومنهم قرأ بمرتبة دونه و قدرها خمس حركات، وهو الإمام عاصم شيخ حفص. ومنهم من قرأ بمرتبة التوسط و قدرها أربع حركات، ومن بينهم الإمام عاصم كذلك. ومنهم من قرأ بمرتبة فوق القصر و قدرها ثلاث حركات، ولا أقل من ذلك.

ومما تقدم يعلم أن المد المتصل لا يزيد عن الحركات الست ولا ينقص عن الثلاث فمراتبه أربع فقط، كما يعلم أيضا أنه لا يجوز القصر فيه كالطبيعي. قال الحافظ ابن الجزري:

«وقد تتبعته - أي القصر في المتصل - فلم أجده في قراءة صحيحة ولا شاذة بل رأيت النص بمدّه ٤. كما أشار إليه في المقدمة الجزرية بقوله:

و واجب إن جاء قبل همزة متصلا إن جمعا بكلمة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٩٤

هذا ووجه المد في المتصل: هو أن الهمزة ثقيلة في النطق بها لأنها حرف شديد جهري - كما تقدم في الصفات - فزيد في المد قبلها للتمكن من النطق بها على حقها مع شدتها و جهرها. وقيل: إن حرف المد ضعيف خفي و الهمز قوى صعب فزيد في المد تقوية لضعفه عند مجاورته القوى.

**٢- المد المنفصل:**

وهو أن يأتي بعد حرف المد همزة قطع في كلمة أخرى، نحو «بما أنزل»، «قالوا أمانا»، «و في أنفسكم». وسمى منفصلا لانفصال الهمزة عن حرف المد في كلمة أخرى. و حكمه: الجواز، لجواز قصره عند البعض، كالممد الأصلي الطبيعي بمقدار حركتين، و جواز مده، و حفص يمدّه بمقدار أربع حركات أو خمس حركات.

مع ملاحظة إذا اجتمع مدان متصلان أو أكثر كما في قوله تعالى:

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (سورة البقرة آية ٢٢) فلا يجوز التفرقة بينهما في المد بحجة جواز الوجهين في كل منهما بل تجب التسوية في الكل إما بالحركات الأربع في الجميع أو بالخمس فيها. وكذلك الحكم بعينه إذا اجتمع مدان منفصلان أو أكثر كما في قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ (سورة النساء آية ١٣٦) فلا يجوز التفرقة بين هذه المدود بحجة جواز الوجهين أيضا بل يجب التسوية بينها بأن يكون المنفصل الثاني و ما بعده مساويا للأول توسط أربع حركات أو فويقه خمس حركات، لأن التسوية في هذا و ذاك من جملة التجويد و هذا ما أشار إليه الحافظ ابن الجزري في المقدمة الجزرية بقوله: «و اللفظ في نظيره كمثلته».

ومن المد المنفصل أيضا مد الصلة الكبرى، و هو هاء الضمير الغائب المفرد المضمومة أو المكسورة الواقعة بين متحركين الثاني منهما همزة قطع و لم يوقف عليها كما في قوله:

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (سورة الهمزة آية ٣) فإنه يمد أربع أو خمس حركات.

**٣- مدّ البدل:**

هو أن يتقدم الهمز على حرف المدّ:  
«ءامنوا» «أوتوا» «إيماناً» وسمى بدلا لإبدال حرف المدّ من الهمز. وقد سبق الكلام عنه على أنه مد طبيعي و ليس مدا فرعيا يمكنه أن يزيد على المد الطبيعي - فينبغي التوضيح.  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٩٥

**٤- المدّ العارض للسكون:**

هو أن يأتي بعد حرف المدّ أو اللين سكون عارض وقفا لا وصلا. أي: أن الحرف الذي بعد حرف المدّ أو اللين متحرك في الأصل، ولكن السكون عرض له لأجل الوقف، لما تقرر في القواعد من أنه لا يوقف على متحرك مثل: «الرحيم» «نستعين» «يوقنون» في حالة الوقف. وسمى عارضا لعروض المدّ بعروض السكون، أي: أنه طارئ بسبب سكون الوقف، و لو تحرك الحرف الذي بعد حرف المدّ أو اللين بسبب وصل الكلمة بما بعدها لما وجد المدّ.  
أحوال هذا المدّ: إما أن يكون مهموزا. وإما أن يكون غير مهموز. و كل من القسمين إما أن يكون مفتوح الآخر، أو مكسور الآخر، أو مضموم الآخر، فالأقسام ستة حاصلة من ضرب اثنين في ثلاثة. وإليك حكم كل قسم:

الأول: حكم المدّ العارض للسكون الذي ليس مهموزا:

ينقسم هذا المدّ إلى ثلاثة أقسام، و كل قسم له حكم على النحو التالي:

(أ) المفتوح الآخر: فيه ثلاثة أوجه:

القصر، و التوسط، و المدّ، و ذلك نحو «العالمين».

(ب) المكسور الآخر، نحو مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ و فيه أربعة أوجه و هي:

١- القصر بالسكون المحض.

٢- التوسط بالسكون المحض.

٣- المدّ بالسكون المحض.

٤- الروم على القصر.

(ج) المضموم الآخر، نحو وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و فيه سبعة أوجه هي:

١- القصر بالسكون المحض.

٢- التوسط بالسكون المحض.

٣- المدّ ست حركات بالسكون المحض.

٤- الإشمام مع القصر.

٥- الإشمام مع التوسط.

٦- الإشمام مع المدّ ست حركات.

٧- الروم مع القصر.

الثاني: حكم المدّ العارض للسكون المهموز: (أ) المفتوح الآخر نحو شاء، و جاء، و فيه المدّ أربع أو خمس أو ست حركات بالسكون المحض.

(ب) المكسور الآخر نحو «من السماء» و فيه خمسة أوجه هي:

١- المدّ أربع حركات بالسكون المحض.

٢- المدّ خمس حركات بالسكون المحض.

٣- المدّ ست حركات بالسكون المحض.

٤- الروم على المدّ أربع حركات.

٥- الروم على المدّ خمس حركات.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٩٦

(ج) المضموم الآخر نحو «يشاء»، «السفهاء» وفيه ثمانية أوجه هي:

١- المدّ أربع حركات بالسكون المحض.

٢- المدّ خمس حركات بالسكون المحض.

٣- المدّ ست حركات بالسكون المحض.

٤- الإشمام على المدّ أربع حركات.

٥- الإشمام على المدّ خمس حركات.

٦- الإشمام على المدّ ست حركات.

٧- الروم على المدّ أربع حركات.

٨- الروم على المدّ خمس حركات.

#### ٥- مدّ اللين:

سبق أن قلنا أن حرفي اللين هما الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما نحو «القول» «الصيف» ولهذين الحرفين حالتان:

الأولى: أن يقع بعدهما همز متصل بهما في كلمة واحدة نحو «شيء» و «سوء».

الثانية: ألا يقع بعدهما همز نحو «السير»، «فلا خوف».

فأما اللذان بعدهما همز متصل بهما في كلمة واحدة نحو «سوء»، «كهينة» فقد قرأ ورش من طريق الأزرق فيهما بوجهين هما:

التوسط والإشباع، ويستوى في ذلك عنده الوصل والوقف. أما باقي القراء فليس لهم إلا القصر، وهذا في حالة الوصل، أما في حالة

الوقف فيدخل في حكم المدّ العارض للسكون، ويكون لهم فيه حينئذ القصر والتوسط والإشباع بالسكون المحض أو بالسكون مع

الإشمام أو الروم حسب نوع العارض.

و أما اللذان ليس بعدهما همز، فللقراء فيهما تفصيل: حالة الوصل: حاصله أن نحو «لومة»، «و أحيينا» فيه القصر في الحالين على نحو ما

مر. وكذلك الحكم بعينه لجميع القراء- باستثناء ورش- في حرفي اللين اللذين بعدهما همز المنفصل عنهما، أي: أن حرفي اللين في

آخر الكلمة الأولى والهمز في أول الكلمة الثانية نحو «بنى آدم» «ولو أننا نزلنا».

و أما نحو: «لا خوف» و «فلا فوت» فقد أجمع القراء العشرة على القصر في حالة الوصل. و أما في حالة الوقف ففيه المدّ أربع حركات

أو خمس حركات أو ست حركات، ويدخل حينئذ في المدّ العارض للسكون.

#### ٦- المدّ اللازم:

#### إشارة

هو أن يأتي بعد حرف المدّ سكون لازم وصلًا ووقفًا، نحو «آية»، «الآن»، «الم»، وسمى لازماً للزوم سببه وهو السكون وصلًا ووقفًا.

و هو ينقسم إلى أربعة أقسام:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٩٧

### الأول: المدّ اللازم الكلمي المثقل:

هو أن يأتي بعد حرف المدّ سكون أصلى لازم ثابت وصلا و وقفا في كلمة تزيد على ثلاثة أحرف، مع الإدغام، أى: إدغام الحرف الساكن فيما بعده نحو «الحاقّة»، «دابة» و سمي كلميا لاجتماع المدّ مع السكون في كلمة، و سمي مثقلا من أجل الإدغام.

### الثاني: المدّ اللازم الكلمي المخفف:

هو أن يأتي بعد حرف المدّ سكون أصلى ثابت وصلا و وقفا في كلمة تزيد على ثلاثة أحرف من غير إدغام، و ذلك في كلمة في موضعين بسورة «يونس» - عليه السلام - و هي: «آلآن وَ قَدْ كُنْتُمْ «آية ٥١»، «آلآن وَ قَدْ عَصَيْتَ آية ٩١ و سمي كلميا لاجتماع المدّ مع السكون في كلمة، و سمي مخففا لعدم الإدغام.

### الثالث: المدّ الحرفي المثقل:

هو أن يأتي بعد حرف المدّ سكون ثابت وصلا و وقفا في حرف هجاؤه على ثلاثة أحرف وسطها حرف مدّ و لين أو حرف لين فقط مع الإدغام، أى: إدغام الساكن فيما بعده، و سمي حرفيا لاجتماع المدّ و السكون اللازم في حرف، و سمي مثقلا لأجل الإدغام.

### الرابع: المدّ اللازم الحرفي المخفف:

هو: أن يأتي بعد حرف المدّ سكون ثابت وصلا و وقفا في حرف هجاؤه على ثلاثة أحرف وسطها حرف مدّ و لين، أو حرف لين فقط من غير إدغام. و علّة التسمية تفهم مما تقدم. و اللازم الحرفي بقسميه لا يكون إلا في فواتح السور في ثمانية أحرف منها مجموعة في هذه العبارة «كم عسل نقص» و هي الكاف، و الميم، و العين، و السين، و اللام، و النون، و القاف، و الصاد. و قد اجتمع المدّ اللازم الحرفي بنوعيه في قوله: «الم» فلام مثقل و ميم مخفف.

و إليك ما قاله الشيخ الجمزورى في تحفة الأطفال:

أقسام لازم لديهم أربعة و تلك كلمى و حرفى معه

كلاهما مخفف مثقل فهذه أربعة تفصل

فإن بكلمة سكون اجتمع مع حروف مد فهو كلمى وقع

أو فى ثلاثى الحروف وجدوا المدّ وسطه فحرفى بدا

كلاهما مثقل إن أدغما مخفف كل إذا لم يدغما

و اللازم الحرفى أول السور وجوده، فى ثمان انحصر

يجمعهما حروف كم عسل نقص الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٩٨

### حكم المدّ اللازم:

لزوم مده بمقدار ثلاث ألفات، أى يلزم مده ست حركات بلا زيادة و لا نقص عند جمهور القراء. و من نقص أو زاد فقد أساء و ظلم.



و هذا الحكم سواء كان في حالة الوصل أو الوقف.

و هو إما أن يكون مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً، فإن كان مرفوعاً فله في الوقف عليه ثلاثة أوجه: السكون و الروم و الإشمام نحو: «و لا جان»، و إن كان مجروراً ففيه وجهان: السكون المحض. و الروم نحو: «غير مضار»، و إن كان منصوباً ففيه وجه واحد و هو السكون المحض نحو: «صوآف».

و قال الجمزورى:

و لازم إن السكون أصلاً و وصلاً و وقفاً بعد مدّ طولاً و قال ابن الجزرى:

فلازم إن جاء بعد حرف مدساكن حاليين و بالطول يمدّ

### حكم الحروف الموجودة في أوائل السور:

تنقسم الحروف الأربعة عشر الموجودة في أوائل السور المبدوءة بالحروف المقطعة و التى جمعها صاحب التحفة في قوله: «صله سحيراً من قطعك» إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما يمدّ مدّاً لازماً، و هى الحروف الثمانية و التى قلنا عنها إنها مجموعة في قول صاحب التحفة: «كم عسل نقص» أو في قول بعضهم: «سنقص علمك»، فهذه الحروف تمدّ مدّاً لازماً ست حركات ما عدا العين من فاتحة سورة «مريم» فى قوله: «كهيعص»، و فاتحة سورة «الشورى» فى قوله: «حم عسق» ففيها التوسط و الطول، أى: المدّ ست حركات، و هو الأفضل. قال صاحب التحفة:

و اللازم الحرفى أول السور وجوده و فى ثمان انحصر الثانى: ما يمدّ مدّاً طبيعياً، أى يمدّ حركتين، و هو خمسة أحرف مجموعة فى عبارة «حىّ طهر» و هى الحاء، و الياء، و الطاء، و الهاء، و الراء.

الثالث: ما لا يمدّ أصلاً، لا مدّاً أصلياً و لا فرعياً، و هو الألف، و ذلك لأن كل حرف وضعه على ثلاثة أحرف و ليس وسطه حرف مدّ ساكن لا يمدّ أصلاً.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٣٩٩

قال صاحب التحفة:

و ما سوى الحرف الثلاثى لا ألف فمده مداً طبيعياً ألف

و ذاك أيضاً فى فواتح السور فى لفظ حى طهر قد انحصر.

### قواعد لها علاقة بالمدّ:

أولاً: إذا اجتمع مدّان لازمان، أو مدّان متصلان، أو مدّان منفصلان لا يجوز مدّ أحدهما دون الآخر بل تجب التسوية، لقول ابن الجزرى: و اللفظ فى نظيره كمثل.

ثانياً: إذا كان الحرف الساكن فى كلمة و حرف المدّ فى كلمة أخرى حذف حرف المدّ فى الوصل نحو: «و قالوا اتخذ»، «و المقيمى الصلاة».

ثالثاً: مراتب المدّ: أقوى المدود: اللازم، فالمتصل، فالعارض للسكون، فالمنفصل، فالبدل.

رابعاً: إذا اجتمع سببان من أسباب المدّ قوى و ضعيف ألغى الضعيف و عمل بالقوى نحو: «و لا آمين» ففيه بدل و لازم فيلغى البدل لأنه ضعيف و يعمل باللازم لأنه قوى ٥.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

الهوامش:

- (١) الحديث: أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب مدّ القراءة ٦ / ٢٤٠، ٢٤١ طبعه الشعب بالقاهرة سنة ١٣٧٨ هـ.
- (٢) سنن النسائى بشرح جلال الدين السيوطى و حاشية الإمام السندى ٢ / ١٧٩، الناشر المكتبة التجارية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م.
- (٣) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣ / ٢٥٠ طبعه دار المعرفة. بيروت. لجلال الدين السيوطى و قال السيوطى: أخرجه سعيد بن منصور، و الطبرانى، و ابن مردويه. و ذكره ابن الجزرى فى كتاب النشر فى القراءات العشر ١ / ٣١٥، ٣١٦ و قال: هذا حديث حجة و نص فى هذا الباب و رجال إسناده ثقات، رواه الطبرانى فى معجمه الكبير.
- (٤) انظر: النشر فى القراءات العشر ١ / ٣١٥ طبعه دار الكتب العلمية بيروت للحافظ أبى الخير محمد بن محمد الدمشقى الشهير بابن الجزرى.
- (٥) انظر: هداية القارى إلى تجويد كلام البارى ص ٢٦٧-٣٦٣ للشيخ / عبد الفتاح المرصفى. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٠٠

## الوقف و الابتداء

### أهمية هذا الباب:

يعتبر الوقف و الابتداء من أهم أبواب علم التجويد التى ينبغى للقارئ أن يهتم بها، و يجب عليه معرفتها، و هو علم جليل إذ بمعرفته نستطيع أن نقف على كيفية أداء القراءة.

و مما يدل على أهمية تعلم هذا العلم أن الإمام عليا رضى الله عنه سئل عن قوله تعالى:

وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (سورة المزمل آية: ٤) فقال: الترتيل تجويد الحروف و معرفة الوقوف. و بما ورد عن ابن عمر أنه قال: «لقد عشنا برهة من دهرنا و إن أهدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، و تنزل السورة على النبى صلى الله عليه و سلم فتتلعلم حلالها و حرامها و أمرها و زجرها و ما ينبغى أن يوقف عنده منها» ١.

قال ابن الجزرى: ففى كلام على رضى الله عنه دليل على وجوب تعلمه و معرفته، و فى كلام ابن عمر- رضى الله عنهما- برهان على أن تعلمه إجماع من الصحابة- رضى الله عنهم، و صح بل تواتر عندنا تعلمه و الاعتناء به من السلف كأبى جعفر يزيد بن القعقاع إمام أهل المدينة الذى هو من أعيان التابعين و صاحبه الإمام نافع بن أبى نعيم، و أبى عمرو ابن العلاء، و يعقوب الحضرمى، و عاصم بن أبى النجود و غيرهم من الأئمة و كلامهم فى ذلك معروف ٢.

و من أقوى الأدلة فى هذا الباب ظاهر الحديث الذى رواه أبو داود عن أم سلمة- رضى الله عنها- أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ثم يقف. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ثم يقف. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثم يقف ٣. و فى مسند الإمام أحمد، و سنن أبى داود، و صحيح ابن خزيمة، و مستدرك الحاكم، عن أم سلمة، قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقطع قراءته: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ» و قال الدارقطنى: صحيح الإسناد ٤.

## تعريف الوقف و أقسامه:

الوقف فى اللغة: الكف و الحبس، يقال:

أوقفت الدابة أى حبستها.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٠١

وفى الاصطلاح: قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه القارئ عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض عنها، و يأتى فى رءوس الآى، و أوساطها، و لا بدّ معه من التنفس، و لا يأتى فى وسط الكلمة، و لا فيما اتصل رسما.

## أقسام الوقف:

### إشارة

لوقف أربعة أقسام تسمى الأقسام العامة و هى ما يأتى:

### ١- الوقف الاضطرارى:

و هو ما يعرض للقارئ بسبب ضيق للنفس أو عجز أو نسيان، أو ما أشبه ذلك من الأعذار التى تعرض للقارئ أثناء قراءته فتضطره إلى الوقوف على ما لا يصلح الوقف عليه، و حينئذ يجب عليه أن يعود إلى الكلمة التى وقف عليها فيصلها بما بعدها إن صح الابتداء بها.

٢- الوقف الاختبارى: بالباء الموحدة، و هو الذى يتعلق بالرسم لبيان المقطوع و الموصول، و الثابت و المحذوف و نحوه، و لا يوقف عليه إلا لحاجته كسؤال ممتحن أو تعليم قارئ كيف يقف إذا اضطر لذلك.

٣- الوقف الانتظارى: و هو الوقف على الكلمة التى قرئت بأكثر من وجه لاستيعاب ما بها من أوجه، و هو خاص بتلقى القراءات، و ذلك كالوقف على قوله: وَ فِى أَنْفُسِكُمْ من قوله تعالى: وَ فِى أَنْفُسِكُمْ أَ فَلَا تُبْصِرُونَ (سورة الذاريات آية ٢١)، و ذلك بين من يمدّ و يقصر، و من يصل ميم الجمع من القراء- و حكمه: الجواز.

٤- الوقف الاختيارى: بالياء المثناة من تحت، و هو الوقف باختيار القارئ و إرادته بدون سبب من الأسباب المتقدمة، و هذا القسم هو المعنى به هنا فى باب الوقف و الابتداء و أقسامه أربعة هى:

الأول: الوقف التام: و هو الوقف على كلام تام فى ذاته غير متعلق بما بعده لفظا و لا معنى. و يوجد غالبا فى أواخر الآى، و أواخر القصص. كالوقف على «الرحيم» من قوله تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (سورة الشعراء آية ٩) و ما بعدها فى مواضعها الثمانية لانتهاى الكلام عندها عن قصة، و البدء فى قصة أخرى، و عند انقطاع الكلام على موضع معين للانتقال إلى غيره، كالوقف على تعلمون من قوله: وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (سورة البقرة آية ٢٣٢) لأنه نهاية الكلام على أحكام الطلاق، و ما بعده كلام آخر فى أحكام أخرى.

و قد يكون الوقف التام قبل تمام الآية، كالوقف على قوله: «أذله» من قوله تعالى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٠٢

حكاية عن ملكة سبأ: وَ جَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذْلَهُ وَ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (سورة النمل آية ٣٤)، ثم يكون الابتداء بقوله تعالى: وَ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ لأن هذا من كلام الله تعالى، و ليس حكاية لكلام أحد.

و قد يكون الوقف التام بعد انقضاء الآية كالوقف على قوله تعالى: (و بالليل) من قوله:

وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَ بِاللَّيْلِ (سورة الصافات آية: ١٣٧، ١٣٨) لأنه معطوف على ما قبله باعتبار المعنى، أى:

و إنكم لتمرون عليهم بالصبح و بالليل.

و حكم هذا الوقف: يحسن الوقف عليه و الابتداء بما بعده.

### الثاني: الوقف الكافي:

هو الوقف على ما تم في نفسه و تعلق بما بعده من حيث المعنى لا من حيث اللفظ. و من أمثلة هذا النوع: الوقف على قوله تعالى: (لا يؤمنون) من قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (سورة البقرة آية: ٦)، ثم يكون الابتداء بقوله تعالى: حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْخ.

حكم هذا الوقف: يحسن الوقف عليه و الابتداء بما بعده، و قد يتفاضل هذا النوع في الكفاية، كالوقف على قوله: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَإِنَّهُ كَافٍ، و الوقف على قوله:

فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا أَكْفَىٰ مِنْهُ، و الوقف على قوله: بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ أَكْفَىٰ مِنْهُمَا.

### الثالث: الوقف الحسن:

هو الوقف على ما تم في ذاته، و لكن تعلق بما بعده لفظا و معنى، لكونه إما موصوفا و ما بعده صفة له، أو مبدلا منه و ما بعده بدلا، أو مستثنى منه و ما بعده مستثنى و نحو ذلك. و من أمثلة هذا النوع من الوقف: الوقف على لفظ الجلالة من قوله تعالى في سورة الفاتحة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ و إن كان كلاما أفهم معنى، لكنه تعلق بما بعده لفظا و معنى، لأن ما بعد لفظ الجلالة متعلق به على أنه صفة له.

حكمه: يحسن الوقف عليه و الابتداء بما بعده إن كان الوقف على رأس آية كالوقف على الْعَالَمِينَ من قوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بل هو سنة، فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و سلم إذا قرأ قطع قراءته آية آية يقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثم يقف ثم يقول: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ثم يقف. إلى آخر الحديث، و هو أصل في هذا الباب.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٠٣

### الرابع: الوقف القبيح:

هو الوقف على ما لم يتم معناه، و تعلق بما بعده لفظا و معنى كالوقف على المضاف دون المضاف إليه، أو على المبتدأ دون خبره، أو على الفعل دون فاعله.

و من أمثلة هذا النوع من الوقف: الوقف على قوله: الْحَمْدُ من قوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ، أو على لفظ «بسم» من بِسْمِ اللَّهِ و هكذا كل ما لا يفهم منه معنى، لأنه لا يعلم إلى أي شيء أضيف. فالوقف عليه قبيح لا يجوز تعمله إلا لضرورة كانقطاع نفس أو عطاس أو نحو ذلك. فيوقف عليه للضرورة، و يسمى وقف ضرورة. ثم يرجع و يتدبى بما قبله و يصل الكلمة بما بعدها، فإن وقف و ابتدأ بما بعده اختيارا كان قبيحا. و أقبح القبح الوقف و الابتداء الموهمان خلاف المعنى المراد، كالوقف على قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي، أو على إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي.

و أقبح من هذا و أشنع الوقف على المنفى الذي بعده الإيجاب و في هذا الإيجاب وصف لله تعالى أو لرسله عليهم الصلاة و السلام، و ذلك كالوقف على لا إله إلا الله من قوله تعالى:

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (سورة محمد آية ١٩)، و كالوقف على لفظ أَرْسَلْنَاكَ من قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (سورة الأنبياء آية ١٠٧) فكل هذه الوقوف و ما مثلها يجب ألا يوقف على شيء منها لأنه يؤدي إلى نفى الألوهية، و إلى نفى رسالة الرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، قَالَ ابْنُ الْجَزْرِيِّ:  
و بعد تجويدك للحروف لا بدّ من معرفة الوقوف  
و الابتداء و هي تقسم إذن ثلاثة تام و كاف و حسن  
و هي لما تم فإن لم يوجد تعلق أو كان معنى فابتدى  
فالتام فالكافي و لفظا فامنعن إلا رءوس الآي جوز فالحسن  
و غير ما تم قبيح و له يوقف مضطرا و يبدأ قبله

### تعريف الابتداء:

الابتداء في عرف القراء هو: الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف، فإذا كان بعد القطع فيتقدمه الاستعاذة ثم البسملة إذا كان الابتداء من أوائل السور، و إذا كان من أثنائها فللقارئ التخيير في الإتيان بالبسملة أو عدم الإتيان بها بعد الاستعاذة.  
هذا: و يطلب من القارئ حال الابتداء

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٠٤

ما يطلب منه حال الوقف، فلا- يكون الابتداء إلا- بكلام مستقل موفّ بالمقصود غير مرتبط بما قبله في المعنى لكونه مختارا فيه، بخلاف الوقف فقد يكون مضطرا إليه، و تدعوه الحاجة إلى أن يقف في موضع لا يجوز الوقف عليه كما تقدم توضيحه. و عليه: فلا يجوز أن يبدئ بالفاعل دون فعله، و لا- بالوصف دون موصوفه، و لا- باسم الإشارة دون المشار إليه، و لا بالخبر دون المبتدأ، و لا بالحال دون صاحبها، و لا بالمعطوف عليه دون المعطوف، و هكذا إلى آخر المتعلقات.  
و خلاصة القول أنه لا يبتدأ بالمعمول دون عامله، و يستثنى من ذلك ما إذا كان الابتداء في كل ما ذكرناه برءوس الآي، فإنه يجوز حينئذ لما تقدم.

و قد أحسن ابن الجزري حيث ذكر في كتابه «النشر» قاعدة فيما يبتدأ به فقال- رحمه الله تعالى-: «كل ما أجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده» ٥.

### تعريف القطع:

القطع في اللغة: بمعنى الإبانه و الإزالة، تقول: قطعت الشجرة إذا أبتتها و أزلتها. و في الاصطلاح: قطع القراءة رأسا، أي: الانتهاء منها، فالقارئ به- أي بالقطع- كالمعرض عن القراءة، و المنتقل منها إلى حالة أخرى غيرها، و ينبغى بعد القطع إذا أراد العودة إلى القراءة الإتيان بالاستعاذة ثم البسملة إن كان العود من أول السورة، و إن كان من أثنائها فله التخيير بالبسملة بعد التعوذ أو عدم الإتيان بها.  
و لا يكون القطع إلا على رءوس الآي، لأن رءوس الآي في نفسها مقاطع. قال ابن الهذيل: «و كانوا يكرهون أن يقرءوا بعض الآي و يدعوا بعضها. لذلك ورد عنه أنه قال: إذا افتتح أحدكم آية يقرؤها فلا يقطعها حتى يتمها» ٦.

### تعريف السكت:

السكت في اللغة: بمعنى المنع. و في الاصطلاح: قطع الصوت زما دون زمن الوقف من غير تنفس بنية العودة إلى القراءة في الحال، و يكون في وسط الكلمة و في آخرها و عند الوصل بين السورتين لمن له ذلك من القراء، و أكثره وقوعا على الساكن قبل الهمز سواء كان هذا الساكن صحيحا أو شبه صحيح أو حرف مدّ.

فالساكن الصحيح نحو قوله تعالى:

وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (سورة البقرة آية: ٤) و هو المعروف بسكت «أل»، و نحو قوله تعالى: إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (سورة فاطر آية

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٠٥

٢٣) و هو المعروف بسكت المفصول، و نحو القرآن في قوله تعالى: الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (أول سورة الرحمن) و هو المعروف بسكت الموصول.

و الساكن شبه الصحيح ما كان فيه حرف لين فقط و يشمل المفصول نحو قوله: خَلَوْا إِلَيَّ، و يشمل كذلك الموصول قوله:

فَأُوَارِي سَوْأَةً أُخَى (سورة المائدة آية ٣١).

و الساكن حرف «مد» نحو قوله: قَالُوا آمَنَّا وَقَوْلُهُ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَوْلُهُ:

لَا يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِسَكْتِ الْمَدِّ.

و قد سكت حفص عن عاصم، و كذلك ابن ذكوان عن ابن عامر، و إدريس عن خلف العاشر على الساكن قبل الهمز ما لم يكن حرف مد في أحد الوجهين عنهم عن طريق طيبة النشر. و كذلك سكت حمزة على الساكن قبل الهمز عموماً سواء كان الساكن صحيحاً أو شبه صحيح أو حرف مد من طريق طيبة النشر، و هو المعروف: «بالسكت المطلق».

و قد ورد عن حفص عن عاصم من طريق الشاطبية أنه كان يسكت سكتة لطيفة من غير تنفس بقدر حركتين في حالة الوصل في أربعة مواضع في القرآن بالاتفاق و هي كالاتي:

السكتة الأولى: على الألف المبدلة من التنوين في لفظ عَوْجاً بأول سورة الكهف حالة الوصل، ثم يقول: قِيَمًا.

و هذا لا يمنع الوقف على عَوْجاً لأنه رأس آية. و إنما السكت حالة وصل عَوْجاً ب قِيَمًا.

السكتة الثانية: على الألف من لفظ مَرْقَدْنَا بسورة ياسين، ثم يقول: هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (آية ٥٢)، و هو تام كما ذكره الصفاقسي في غيث النفع ٧ و عليه فلا سكت عندئذ، و عند عدم الوقف يجب السكت من طريق الشاطبية.

السكتة الثالثة: على النون من لفظ «من» في قوله تعالى: وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (سورة القيامة آية: ٢٧)، و يلزم من السكت إظهار النون الساكنة عند الراء لأن السكت يمنع الإدغام.

السكتة الرابعة: على اللام من لفظ «بل» في قوله تعالى: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (سورة المطففين آية: ١٤)، و يلزم من هذا السكت أيضاً إظهار اللام عند الراء لأن السكت يمنع الإدغام.

و سكت حفص في هذه المواضع الأربعة من النوع الذي يأتي على آخر الكلمة. قال الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٠٦ و سكتة حفص دون قطع لطيفة على ألف التنوين في عوجا بلا

و في نون من راق و مرقدنا و لام بل ران و الباقون لا سكت موصلاً ٨ و هذا السكت - كما سبق أن قلنا - من طريق الشاطبية، أما من طريق طيبة النشر فإن لحفص فيها خمسة مذاهب و هي:

الأول: السكت على الجميع. الثاني: عدم السكت على الجميع. السكت على عوجا و مرقدنا وحدهما. الرابع: على «من راق» و «بل ران». دون غيرهما. الخامس: عدم السكت على «مرقدنا» و السكت في غيره.

و كذلك يسكت حفص في وجه له بين السورتين من غير تنفس في موضع واحد من القرآن، و هو بين آخر سورة الأنفال و أول سورة براءة و محله على الميم من «عليم» ثم يقول: «براءة»، و على الهاء من لفظ «ماليه» في قوله تعالى: مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةُ (٢٨) هَلَكَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةُ (سورة الحاقة آية ٢٨، ٢٩)، و الوجهان صحيحان مقروء بهما و السكت هو المقدم في الأداء ٩.

الجزرية: هي: مقدمة منظومة في تجويد القرآن مكونة من مائة و تسعة أبيات من نظم شيخ الإسلام أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري رحمه الله تعالى رحمه واسعة. و لهذه المقدمة شروح عديدة من أشهرها: شرح متن الجزرية في معرفة

تجويد الآيات القرآنية لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري - رحمه الله تعالى.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

المصادر و المراجع:

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات ١/ ٢٤٩ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م للإمام شهاب الدين القسطلاني تحقيق و تعليق الشيخ/ عامر السيد عثمان، و دكتور عبد الصبور شاهين. و نهاية القول المفيد ص ١٥٢ للشيخ محمد مكي نصر طبعه الحلبي سنة ١٣٤٩ هـ.

(٢) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٢٥ طبعه دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٣) الحديث: أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير: ٢/ ٢٣٢ و قال: حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٤) الحديث: أخرجه الحاكم أيضا: ٢/ ٢٣١.

(٥) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٢٣٤ طبعه دار الكتب العلمية بيروت.

(٦) المصدر السابق ١/ ٢٣٩.

(٧) انظر: غيث النفع في القراءات السبع ص ٣٣٣ لولي الله تعالى سيد على النوري الصفاقسي بهامش شرح الشاطبية لابن الفاصح طبعه الحلبي الثالثة سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م.

(٨) حرز الأمانى و وجه التهاني - المعروفة بالشاطبية ص ٦٨ طبعه مصطفى الحلبي و أولاده بمصر سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٧ م. للإمام أبى القاسم ابن فيرة ابن خلف أحمد الشاطبي.

(٩) هداية القارى إلى تجويد كلام البارى ص ٤٠٩-٤١٤ بتصرف شديد. طبعه دار النصر للطباعة الإسلامية بشبرا مصر الأولى سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م للشيخ/ عبد الفتاح السيد عجمى المرصفي.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٠٧

### الوقف على آخر الكلم

لوقف فى كلام العرب أوجه متعددة، و المستعمل عند أئمة القراءة تسعة أوجه و هى: السكون، و الزوم، و الإشمام، و الإبدال، و النقل، و الإدغام، و الجذف، و الإنبات، و الإلحاق.

الوقف بالسكون فأما السكون: فهو الأصل فى الوقف على الكلمة المحركة و صلا، لأن معنى الوقف:

الترك و القطع، و لأنه ضد الابتداء، فكما لا يبدأ ساكن لا يوقف على متحرك، و هو اختيار كثير من القراء.

هذا: و الوقف بالسكون المحض يكون فى كل من المرفوع و المجرور و المنصوب فى المعرب، و فى كل من المضموم و المكسور و المفتوح فى المبني، و يستوى فى ذلك المخفف و المشدد، و المهموز المحقق و المنون إلا- ما كان فى الاسم المنصوب نحو حوباً كبيراً أو فى الاسم المقصور مطلقاً نحو عمى، كما يستوى أيضا سكون ما قبل الحرف الأخير الموقوف عليه أو تحركه.

الوقف بالزوم و أما الروم: فهو فى اللغة بمعنى الطلب، و فى الاصطلاح: هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك التضعيف معظم صوتها.

و قال بعض العلماء: هو الإتيان ببعض الحركة. و قدر العلماء تضعيف الصوت بالحركة أو الإتيان ببعضها بالثلث، أى: أن المحذوف من الحركة أكثر من الثابت فى حالة الروم، و من ثم ضعف صوتها لقصر زمنها فيسمعها القريب المصغى و لو كان أعمى دون البعيد. و لذلك لا يؤخذ الروم إلا بالمشافهة.



و يكون الوقف بالروم في المرفوع و المجرور من المعرب و في المضموم و المكسور من المبني سواء أ كان الحرف الموقوف عليه مخففاً أم مشدداً، مهموزاً أم غير مهموز، منوناً أم غير منون. و نعى بالمنون - هنا - ألا - يكون منصوباً نحو «سميعاً»، و ألا يكون في الاسم المقصور نحو «هدى» فإن التنوين في هذين يبدل ألفاً في الوقف، و سواء سكن ما قبل الحرف الموقوف عليه أم تحرك.

هذا: و لا يكون الوقف بالروم في المنصوب

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٠٨

و لا المفتوح. و علة ذلك: خفة الفتحة و خفاؤها، فإذا خرج بعضها حالة الروم خرج سائرهما، و ذلك لأنها لا تقبل التبعض بخلاف الضمة و الكسرة فإنهما تقبلانه لثقلهما. و لا بدّ من حذف التنوين من المنون حالة الوقف بالروم كما مر. و قد أشار إلى ما سبق الإمام ابن برى بقوله:

فالروم إضعافك صوت الحركة من غير أن يذهب رأساً صوتك

يكون في المرفوع و المجرور معا و في المضموم و المكسور

و لا يرى في نصب للقراء و الفتح للخفة و الخفاء ١ الوقف بالإشمام و أما الإشمام في عرف القراء: عبارة عن ضم الشفتين من غير صوت بعد النطق بالحرف الأخير ساكناً إشارة إلى الضم و لا - بدّ من إبقاء فرجة «أى انفتاح» بين الشفتين لإخراج النفس، و ضم الشفتين للإشمام يكون عقب سكون الحرف الأخير من غير تراخ، فإن وقع التراخي فهو إسكان محض لا إشمام معه. و هذا ما أشار إليه الإمام الشاطبي بقوله:

و الإشمام إطباق الشفاه بعيد ما يسكن لا صوت هناك فيصحلا ٢ و الإشمام يرى بالعين و لا يسمع بالأذن و لهذا لا يأخذه الأعمى عن القارئ، بل يأخذه عنه المبصر ليرى كيفيته.

هذا: و الإشمام يكون في المرفوع من المعرب و في المضموم من المبني دون غيرهما من الحركات لأنه المناسب لحركة الضمة لانضمام الشفتين عن النطق بها، و لا يجوز أن يكون الإشمام في المجرور و المنصوب و المكسور و المفتوح لخروج الفتحة بانفتاح الفم و الكسرة بانخفاضه، و لأن الإشمام في المفتوح و المكسور يوهم حركة الضم فيهما في الوصل بينما هما ليسا كذلك و هذا هو وجه المنع.

و قد أشار إلى صفة الإشمام و ما يجرى فيه الإمام ابن برى بقوله:

و صفة الإشمام إطباق الشفاه بعد السكون و الضرير لا يراه

من غير صوت عنده مسموع يكون في المضموم و المرفوع ٣ الوقف بالإبدال و أما الوقف بوجه الإبدال فيجرى في شيئين اثنين:

الشيء الأول: و يشمل ثلاثة أنواع:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٠٩

الأول: التنوين في الاسم المنصوب سواء رسمت الألف فيه أم لم ترسم نحو «وكيلاً» في قوله تعالى: وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (سورة الأحزاب آية ٣، ٤٨) و نحو «دعاء و نداء» في قوله تعالى: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً (سورة البقرة آية ١٧١).

الثاني: التنوين في الاسم المقصور مطلقاً سواء أ كان مرفوعاً أم مجروراً أم منصوباً نحو «عمى و مصفى و غزى» في قوله تعالى:

وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى (سورة فصلت آية ٤٤) و قوله تعالى: وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى (سورة محمد آية ١٥) و قوله تعالى: أَوْ كَانُوا غُزًى (سورة آل عمران آية ١٥٦).

الثالث: لفظ «إذا» المنون نحو قوله تعالى:

فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا. فكل هذه الأنواع و ما شاكلها يبدل فيها التنوين ألفاً في الوقف، و مثلها في ذلك إبدال نون التوكيد الخفيفة



بعد الفتح ألفا لدى الوقف فى موضعين اثنين فى التنزيل بالإجماع و هما قوله تعالى: وَ لِيَكُونَ مِنَ الصَّاعِرِينَ (سورة يوسف آية ٣٢)، و قوله تعالى:

لَنَشْفَعَنَّ بِاللَّاصِيَةِ (سورة العلق آية ١٥).

الشيء الثانى: تاء التانيث المتصلة بالاسم المفرد كما فى قوله تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ (سورة النحل آية ١٢٥) فهذه التاء فى الأسماء الثلاثة تبدل هاء عند الوقف، فإن كانت منونة نحو قوله تعالى: وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ (سورة الشعراء آية ٢٢) حذف التنوين و أبدلت هاء أيضا عند الوقف.

النقل و أما النقل: فىكون فيما آخره همزة بعد ساكن، فإنه يوقف عليه عند حمزة بنقل حركتها إليه، فيحرك بها ثم تحذف هى سواء كان الساكن صحيحا نحو: «دفع»، فى قوله تعالى وَ الْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفْعٌ (سورة النحل آية ٥) أم ياء أو واو أصليتين سواء كانتا مدد نحو «المسىء»، «تبوء» فى قوله تعالى: وَ مَا يَسْتَوَى الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ لَا الْمُسِيءُ (سورة غافر آية ٥٨) و قوله تعالى: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (سورة المائدة آية ٢٩) أو كانتا حرف لين نحو «سيء»، «سوء» فى قوله تعالى:

وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ (سورة فاطر آية ٤٣) و قوله تعالى: إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (سورة الأنبياء آية ٧٤).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤١٠

الإدغام و أما الإدغام فىكون فيما آخره همز بعد ياء أو واو زائدتين فإنه يوقف عليه عند حمزة أيضا بالإدغام بعد إبدال الهمز من جنس ما قبله نحو «برىء»، «قروء» فى قوله تعالى:

إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (سورة الأنعام آية ٧٨)، و قوله تعالى: وَ الْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ (آية ٢٣٨ من سورة البقرة).

الحذف و أما الحذف فىكون فى الياءات الزوائد عند من يثبتها وصلا و يحذفها وقفا، و الياءات الزوائد هى التى لم ترسم.

الإثبات و أما الإثبات فىكون فى الياءات المحذوفات وصلا عند من يثبتها وقفا نحو «وال»، «واق»، «باق».

الإلحاق و أما الإلحاق فىكون فيما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت عند من يلحقها فى «عم، فيم، بم، لم، مم»، و النون المشددة من جمع الإناث نحو «هن»، «و مثلهن»، و النون المفتوحة نحو «العالمين، و الذين»، و المشدد المبنى نحو «ألا- تعلوا على»، «خلقت بيدي» ٤.

علامات الوقف وضع العلماء فى المصاحف علامات لأنواع الوقف التى سبق الكلام عنها، و على كل من يقرأ فى المصحف الشريف ملاحظة هذه العلامات و العمل بمقتضاها، و هى فيما يلى:

١- الوقف اللازم: و علامته «م» و مثال ذلك ما جاء فى قوله تعالى: إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَ الْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ (سورة الأنعام آية ٣٦) فقد وضعت العلامة على قوله: «يسمعون» و من هنا يلزم القارئ الوقف على «يسمعون» ثم ليتدئ بعد ذلك بقوله: «و الموتى يبعثهم الله».

٢- الوقف الممنوع: و علامته «لا» و مثال ذلك ما جاء فى قوله تعالى: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ (سورة النحل آية ٣٢) فقد وضعت العلامة على قوله: «طيبين» و من هنا يكون الوقف عليها ممنوعا، و يجب وصلها بما بعدها.

٣- الوقف الجائز جوازا مستوى الطرفين: و علامته «ح»، و مثال ذلك ما جاء

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤١١

فى قوله تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى (سورة الكهف آية ١٣)، فقد وضعت العلامة على قوله: «بالحق»، و من هنا يجوز الوقف عليه و الابتداء بما بعده، و يجوز أيضا وصله بما بعده، فالوجهان جائزان جوازا مستوى الطرفين، و لا أفضلية لأحدهما على الآخر.

٤- الوقف الجائز مع كون الوصل أولى:

و علامته «صلى»، و مثال ذلك ما جاء فى قوله تعالى: «وَإِنْ يَمْسَسَكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (سورة الأنعام آية ١٧) فقد وضعت العلامة على قوله: «فهو»، و من هنا فإن الوقف عليه و الابتداء بما بعده جائز و لكن الوصل أولى و أحسن من الوقف.

٥- الوقف الجائز مع كون الوقف أولى:

و علامته «قلى»، و مثال ذلك ما جاء فى قوله تعالى: «قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعَمَلِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا (سورة الكهف آية ٢٢)، فقد وضعت هذه العلامة على قوله «قليل»، و من هنا فإن الوقف على قوله «قليل» و الابتداء بما بعده جائز، و أيضا وصله بما بعده جائز، و لكن الوقف أولى.

٦- الوقف على أحد الموضوعين دون الآخر: و علامته (؟؟؟) و تسمى هذه العلامة: علامة تعاقب الوقف بحيث إذا وقف على أحد الموضوعين لا يصح الوقف على الآخر. و مثال ذلك ما جاء فى قوله تعالى:

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (سورة البقرة آية ٢) فقد وضعت هذه العلامة على قوله: «فيه» فإذا وقف القارئ على قوله: «لا ريب» لا يصح أن يقف على «فيه»، و كذلك أيضا إذا وقف على «فيه» لا يصح أن يقف على قوله: «لا ريب» ٥.  
أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

المصادر و المراجع: الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٤١١ الوقف على آخر الكلم ..... ص : ٤٠٧

(١) الدرر اللوامع فى أصل مقرأ الإمام نافع بشرح العلامة المارغنى ص ١٥٨ نظم الشيخ أبى الحسن سيدى على الرباطى المعروف بابن برى طبع بالمطبعة التونسية بسوق البلاط بتونس سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م.

(٢) الوافى فى شرح الشاطبية فى القراءات السبع ص ١٧٥ طبع مكتبة السوادى للتوزيع بالمدينة المنورة الثالثة ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م للشيخ عبد الفتاح عبد الغنى القاضى.

(٣) الدرر اللوامع بشرح العلامة المارغنى ص ١٦٠.

(٤) انظر الإتقان فى علوم القرآن ١/ ١١٧، ١١٨ طبعة الحلبي الرابعة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى.

(٥) راجع علامات الوقف فى موضوع تعريف المصحف الشريف، طبعة الملك فهد بالسعودية ص ٥.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤١٢

## النقل و غيره من سبل تخفيف الهمزة

اعلم أن الهمز لما كان أثقل الحروف نطقا و أبعدها مخرجا تنوع العرب فى تخفيفه بأنواع التخفيف- و كانت قريش و أهل الحجاز أكثرهم تخفيفا، و لذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم كابن كثير من رواية ابن فليح، و كنافع من رواية ورش، و كأبى عمرو، فإن مادة قراءته عن أهل الحجاز- و أحكام الهمز كثيرة نقتصر فى الكلام على أمور أربعة هى:

١- النقل: و هو نقل حركة الساكن إلى ما قبله، و ذلك كما فى قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ بَفَتْح الدال، و به قرأ نافع من طريق ورش، و ذلك حيث كان الحرف الساكن صحيح الآخر و الهمز أولا- و استثنى أصحاب يعقوب عن ورش «كتابه- إنى ظننت» فسكنوا الهاء و حققوا الهمز- و أما الباقون من القراء فحققوا الهمز و سكنوا فى جميع القرآن.

٢- الإبدال: و هو أن تبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها فتبدل ألفا بعد الفتح نحو قوله: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ، و تبدل واو بعد الضم نحو قوله:

يُؤْمِنُونَ، و تبدل ياء بعد الكسر نحو:

جُثَّتْ و به قرأ أبو عمرو، سواء كانت الهمزة فاء أم عينا أم لاما، إلا أن يكون سكونها جزما نحو: «نساها» و نحو: «أرجئه»، أو يكون ترك الهمز فيه أثقل، و هو فى قوله:

و تَوَوَّى إِلَيْكَ (سورة الأحزاب آية ٥١) أو يوقع فى الالتباس، و هو فى قوله:  
و رِيَاءً (سورة مريم آية ٧٤)، فإن تحركت فلا خلاف عنه فى التحقيق.

٣- التسهيل: و هو التسهيل بين الهمزة و بين حركتها، و ذلك عند اجتماع همزتين فى الكلمة. فإن اتفق الهمزتان فى الفتح سهل الهمزة الثانية الحرمان و أبو عمرو و هشام، و أبدلها ورش ألفا، و ابن كثير لا يدخل قبلها ألفا، و قالون و هشام و أبو عمرو يدخلونها، و الباقر من السبعة يحققون.

و إن اختلفا بالفتح و الكسر سهل الحرمان و أبو عمرو الثانية. و أدخل قالون و أبو عمرو قبلها ألفا، و الباقر يحققون- و إن اختلفا بالفتح و الضم و ذلك فى قوله: قُلْ أُو۟سُّ۟بِكُمْ و قوله: أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ و قوله: أَلْقَى فقط فالقراء الثلاثة و هم الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤١٣

الحرمان و أبو عمرو يسهلون، و قالون يدخل ألفا، و الباقر يحققون.

٤- الإسقاط بلا نقل: و به قرأ أبو عمرو إذا اتفقا فى الحركة و كانا فى كلمتين، فإن اتفقا كسرا نحو قوله: هُوَ لَأِ إِنْ كُنْتُمْ جَعَلْ و قبل الهمزة الثانية كياء ساكنة، و قالون و البزى كياء مكسورة، و أسقطها أبو عمرو، و الباقر يحققون. و إن اتفقا فتحا نحو: جَاءَ أَجْلُهُمْ، حيث جعل ورش و قبل الثانية كمدة، و أسقط الحرمان و أبو جعفر الأولى، و الباقر يحققون. و إن اتفقا ضما و هو: أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فقط، و قد أسقطها أبو عمرو، و جعلها قالون و البزى كواو مضمومة، و الحرمان يجعلان الثانية كواو ساكنة، و الباقر يحققون.

ثم اختلف فى الساقط هل هو الأولى أو الثانية؟ و الأول عن أبى عمرو، و الثانى عن الخليل من النحاة، و تظهر فائدة الخلاف فى المد، فإن كان الساقط الأولى فهو منفصل، و إن كان الثانية فهو المتصل ١.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

المصادر و المراجع:

(١) الإتيان فى علوم القرآن للسيوطى ١/ ١٢٧، ١٢٨ طبعه مصطفى البابى الحلبي و أولاده بمصر- الرابعة سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م، و انظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/ ٣٦٢ و ما بعدها طبعه دار الكتب العلمية، و انظر سراج القارئ المبتدئ و تذاكر المقرئ المنتهى- شرح منظومة حرز الأمانى و وجه التهاني- للإمام أبى القاسم على بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن القاصح ص ٦٢ و ما بعدها طبعه مكتبة الرياض الحديثة سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م. و انظر الوافى فى شرح الشاطبية فى القراءات السبع- للشيخ عبد الفتاح القاضى- ص ٩١ و ما بعدها طبعه مكتبة السوادى للتوزيع، و مكتبة المدينة المنورة- الثالثة ١٤١١ هـ- ١٩٩٠ م.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤١٤

## الإمالة و التقليل

الفتح و الإمالة لغتان مشهورتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغه أهل الحجاز، و الإمالة لغه أهل نجد من تميم و أسد و قيس- قال الدانى:

و الأصل فيها حديث حذيفة مرفوعا: «اقرأوا القرآن بلحون العرب و أصواتها، و إياكم و أصوات أهل الفسق و أهل الكتابين» ثم قال: لا شك أن الإمالة من الأحرف السبعة و من لحون العرب و أصواتها.

و الإمالة في اللغة بمعنى التعويج. يقال:

أملت الرمح ونحوه إذا عوجته عن استقامته.

و الإمالة من الأحكام ذوات الأضداد و ضدها الفتح، و المراد به فتح القارئ فمه بالحرف لا فتح الألف إذ الألف لا تقبل الحركة. و الإمالة في اصطلاح القراء: أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة و بالألف نحو الياء كثيرا و هو المحض. و يقال له الاضجاع، و البطح، و الكسر، و هو بين اللفظين، و يقال له أيضا التقليل، و التلطيف، و بين بين.

و تنقسم إلى قسمين: كبرى و صغرى:

فالكبرى: أن تقرب الفتحة من الكسرة و الألف من الياء من غير قلب خالص و لا إشباع مبالغ فيه، و هذه هي الإمالة المحضة، و إذا أطلقت الإمالة انصرفت إليها أي: إلى المحضة، و كما تسمى بالمحضة تسمى أيضا بالاضجاع و بالبطح لأنك إذا قربت الفتحة من الكسرة و الألف من الياء فكأنك بطحت الفتحة و الألف أي: رميتهما و أضجعتهما إلى الكسرة.

و الصغرى: هي ما بين الفتح و الإمالة المحضة. و لهذا يقال لها: بين بين، و بين اللفظين: أي بين لفظ الفتح و لفظ الإمالة. و لما كان في القسمين أي: الإمالة الكبرى و الإمالة الصغرى، تغيير للألف بتعويجها عن استقامتها في النطق و ميلها عن مخرجها إلى نحو مخرج الياء و لفظها، سمى ذلك التغيير إمالة.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

المصادر و المراجع: (١) انظر: النجوم الطوالع شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع ص ١١٥ للشيخ/ سيدى إبراهيم أحمد المارغنى طبعة المطبعة التونسية بسوق البلاط بتونس سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م. و انظر: الإتيان في علوم القرآن للسيوطى ١/ ١٢٠-١٢٣ طبعة الحلبي، و انظر: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ١٣٩-١٦٠ طبعة مكتبة السوادى للتوزيع الثالثة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤١٥

## المقطوع و الموصول

المقطوع هو: كل كلمة مفصولة عن غيرها رسماً نحو: «أن لن»، و «حيث ما». و الموصول هو: كل كلمة متصلة بغيرها رسماً مفصولة عنها لغة نحو «ويكأن» أو غير مفصولة نحو «إلياس».

أهمية هذا الموضوع: هو احترام و اتباع الرسم العثماني و عدم مخالفته.

فائدته: لا بد للقارئ من معرفته ليقف على المقطوع في محل قطعه عند الضرورة أو عند اختباره، و على الموصول عند انقضائه.

و إليك بيان ما ورد في هذا الموضوع تفصيلاً:

أولاً: «أن» و «لا» تقطع «أن» المفتوحة الهمزة الساكنة النون عن «لا» النافية في عشرة مواضع و هي الآيات ١٠٥، ١٦٩ من سورة الأعراف، ١١٨ من سورة التوبة، ١٤، ٢٦ من سورة هود، ٢٦ من سورة الحج، ٦٠ من سورة القلم. و وقع الخلاف في موضع واحد و هو الآية ٨٧ من سورة الأنبياء، و ما عدا ذلك فهو موصول نحو قوله: أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (سورة النجم آية ٣٨) و قوله تعالى: أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَ أَتُونِي مُسْلِمِينَ (سورة النمل آية ٣١).

تنبيه: «إن» مكسورة الهمزة ساكنة النون مع «لا» النافية موصولة اتفاقاً نحو إِلَّا تَنْفِرُوا و إِلَّا تَنْصُرُوهُ.

ثانياً: «إن» و «ما» تقطع «إن» مكسورة الهمزة ساكنة النون عن «ما» في موضع واحد فقط. و هو قوله تعالى: وَ إِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ (سورة الرعد آية ٤٠)، و ما عدا ذلك فموصول سواء أ كانت الهمزة مكسورة نحو قوله تعالى: وَ إِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ

(سورة يونس آية ٤٦)، و قوله:

وَإِمَّا تَخَافَنَّ (سورة الأنفال آية ٥٨). فإن كانت «أن» مفتوحة الهمزة فهي موصولة كذلك نحو قوله تعالى: أَمَّا اشْتَمَلَتْ (سورة الأنعام آية ١٤٣).

ثالثا: «عن» و «ما» تقطع «عن» عن «ما» في موضع واحد و هو قوله تعالى: عَنُ مَا نُهُوا عَنْهُ (سورة الأعراف آية ١٦٦)، و ما عداه فموصول.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤١٦

رابعا: «من» و «ما» تقطع «من» مكسورة الميم عن «ما» في موضعين هما: قوله تعالى:

هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (سورة الروم آية ٢٨) و قوله تعالى: فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (سورة النساء آية ٢٥)، و أما قوله: وَ أَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ (سورة المنافقون آية ١٠) ففيه خلاف. و العمل على القطع، و ما عدا ذلك فموصول.

خامسا: «أم» و «من» تقطع «أم» مفتوحة الهمزة ساكنة الميم عن «من» مفتوحة الميم في أربعة مواضع هي: قوله تعالى: أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (سورة النساء آية ١٠٩) و قوله تعالى: أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (سورة الصافات آية ١١) و قوله تعالى: أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (سورة فصلت آية ٤٠) و ما عدا ذلك فموصول نحو قوله تعالى: أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ (سورة النمل آية ٦٢).

سادسا: «أن» و «لم» تقطع «أن» مفتوحة الهمزة ساكنة النون مع «لم» في موضعين هما: قوله تعالى: ذَلِكْ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ (سورة الأنعام آية ١٣١)، و قوله تعالى: أَلَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَزِرْهُ أَحَدٌ (سورة البلد آية ٧)، و ما عدا ذلك النون فموصول. و أما «إن» مكسورة الهمزة ساكنة فموصولة ب «لم» في موضع واحد و هو قوله تعالى: فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ (سورة هود آية ١٤).

سابعا: «إن» و «ما» تقطع «إن» مكسورة الهمزة مشددة النون عن «ما» في موضع واحد و هو قوله تعالى: إِنَّ مَا تُوَعَّدُونَ لَأَتِي (سورة الأنعام آية ١٣٤) و ما عدا هذا الموضع فموصول كما في قوله تعالى: إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرًا (سورة طه آية ٦٩).

ثامنا: «أن» و «ما» تقطع «أن» مفتوحة الهمزة مشددة النون عن «ما» في موضعين فقط هما: قوله تعالى: وَ أَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ (سورة الحج آية ٦٢)، و قوله تعالى: وَ أَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ (سورة لقمان آية ٣٠) و ما عدا ذلك فموصول، و وقع الخلاف في موضع واحد بين القطع و الوصل و العمل على الوصل، و هو قوله تعالى: وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ (سورة الأنفال آية ٤١).

تاسعا: «حيث» و «ما» تقطع «حيث» عن «ما» في موضعين هما: قوله تعالى: وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ (سورة البقرة آية ١٤٤)، (١٥٠).

عاشرا: «كل» و «ما» تقطع «كل» عن «ما»

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤١٧

في موضع واحد فقط و هو قوله تعالى:

وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ (سورة إبراهيم آية ٣٤)، و ما عدا هذا الموضع فموصول، و إن كان في بعض المواضع قد وقع فيها خلاف و لكن العمل فيها على الوصل، كقوله تعالى: كَلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجًا (سورة الملك آية ٨).

حادى عشر: «بئس» و «ما» تقطع «بئس» عن «ما» في جميع المواضع التي وقعت فيها في القرآن الكريم ما عدا موضعين فبالوصل و هما قوله تعالى: بئسما اشتروا به أنفسهم (سورة البقرة آية ٩٠) و قوله تعالى:

بئسما خلقتُمونى مِنْ بَعْدَى (سورة الأعراف آية ١٥٠)، و موضع وقع فيه الخلاف بين الوصل و القطع إلا أن العمل فيه على الوصل، و هو قوله تعالى: قُلْ بئسما يأمركم به إيمانكم (سورة البقرة آية ٩٣).

ثانى عشر: «فى» و «ما» تقطع «فى» عن «ما» في موضع واحد فقط و هو قوله تعالى:

أَتَتَّرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (سورة الشعراء آية ١٤٦) و وقع الخلاف في عشرة مواضع و العمل فيها على القطع و هي الآيات:  
 ٢٤٠ من سورة البقرة، ٤٨ من سورة المائدة، ١٤٥، ١٦٥ من سورة الأنعام، ١٠٢ من سورة الأنبياء، ١٤ من سورة النور، ٢٨ من سورة  
 الروم، ٣، ٤٦ من سورة الزمر، ٦١ من سورة الواقعة، و ما عدا ذلك فموصول باتفاق كما في قوله تعالى: فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا (سورة  
 البقرة آية ٢٣٤).

ثالث عشر: «أين» و «ما» تقطع «أين» عن «ما» في جميع المواضع التي وقعت في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ  
 بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً (سورة البقرة آية ١٤٨) ما عدا موضعين فبالوصل هما قوله تعالى: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجَّهُ اللَّهُ (سورة البقرة آية ١١٥) و  
 قوله تعالى: أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ (سورة النحل آية ٧٦)، و وقع الخلاف في ثلاثة مواضع و العمل فيها على القطع و هي الآيات ٧٨  
 من سورة النساء، و الآيات ٩٢ من سورة الشعراء، و الآيات ٦١ من سورة الأحزاب.

رابع عشر: «كى» و «لا» تقطع «كى» عن «لا» في جميع المواضع التي جاءت في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً  
 (سورة الحشر آية ٧) ما عدا أربعة مواضع فجاءت بالوصل و هي الآيات ١٥٣ من سورة آل عمران، و الآيات ٥ من سورة الحج، و الآيات ٥٠  
 من سورة الأحزاب، و الآيات ٢٣ من سورة الحديد.

خامس عشر: «عن» و «من» تقطع «عن»

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤١٨

عن «من» مفتوحة الميم في موضعين فقط هما قوله تعالى: وَيَضْرِبُهُ عَن مِّنْ يَشَاءُ (سورة النور آية ٤٣)، و قوله تعالى: فَأَعْرِضْ عَن مَّنْ  
 تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا (سورة النجم آية ٢٩).

سادس عشر: «يوم» و «هم» تقطع «يوم» عن «هم» في موضعين فقط هما: قوله تعالى: يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ (سورة غافر آية ١٦)، و قوله تعالى:  
 يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (سورة الذاريات آية ١٣)، و ما عدا ذلك الموضوعين فموصول، كقوله تعالى:  
 فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (سورة الذاريات آية ٦٠).

سابع عشر: تقطع لام الجر عن مجرورها في أربعة مواضع هي الآيات ٤٩ من سورة الكهف، و الآيات ٧ من سورة الفرقان، و الآيات ٧٨ من  
 سورة النساء، و الآيات ٣٦ من سورة المعارج، و ما عدا ذلك فموصول، نحو قوله تعالى:  
 وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (سورة الليل آية ١٩).

ثامن عشر: «لايت» و «حين» تقطع «لايت» عن «حين» في موضع واحد في القرآن و هو قوله تعالى: وَلَا تِجَارَةٌ حِينَ مَنَاصٍ (سورة ص آية  
 ٣)، كما يضاف إلى المقطوع أيضا «إل» من قوله تعالى: سلام على إل ياسين (سورة الصافات آية ١٣٠) و يصح الوقوف على «إل»  
 للتعليم أو الاضطرار، و الأوجب في جميع المواضع المقطوعة عند ما يقف عليها القارئ اضطراريا أو نحوه أن يعود و يصل الكلمة بما  
 بعدها، و لا يجوز البدء بما بعدها.

و هذه خلاصة ما جاء في القرآن الكريم من الكلمات التي رسمت في المصاحف العثمانية مقطوعة ليقف القارئ عليها عند الضرورة و  
 ما عداها فموصول ١.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

المصادر و المراجع:

(١) انظر: نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ١٩١ و ما بعدها طبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر- للشيخ/ محمد مكي  
 نصر/ سنة ١٣٤٩ هـ، هداية القارى إلى تجويد كلام البارى ص ٤١٧ و ما بعدها طبعة دار النصر للطباعة الإسلامية بشبرا مصر- للشيخ/  
 عبد الفتاح السيد عجمى المرصفي. و البرهان في تجويد القرآن ص ٤٢ و ما بعدها للشيخ/ محمد الصادق قمحاوى طبعة محمد على



صبيح ١٩٧٨ م. والقول السديد في فن التجويد ص ١٣٧ و ما بعدها- طبعه مطبعة الحسين الإسلامية- الأولى سنة ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م.  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤١٩

## همزة الوصل والقطع

### أولاً: همزة الوصل:

لما كان من المقرر أنه لا يبدأ بساكن ولا يوقف على متحرك، فالحركة لا بد منها في الابتداء، ليتوصل بها إلى النطق بالساكن، ولا يتأتى ذلك إلا بهمزة الوصل عند النطق بالساكن.

تعريف همزة الوصل: هي الهمزة الزائدة في أول الكلمة الثابتة في الابتداء الساقطة في الدرج- أى في الوصل- وسميت بهمزة الوصل لأنها يتوصل بها إلى النطق بالساكن كما مر. وتكون في الأسماء والأفعال والحروف، فإن كانت في اسم فإما أن يكون معرفاً بأل نحو الْحَمْدُ لِلَّهِ فتفتح الهمزة.

و إما منكراً، وذلك في سبعة ألفاظ وقعت في القرآن الكريم وهي: ابن، ابنت، امرئ، امرأت، اثنين، اثنتين، اسم. وإذا وقعت همزة الوصل في فعل فلا تكون إلا في الماضي والأمر، فإذا وقعت همزة الوصل في فعل الأمر فينظر إلى ثالثه، فإن كان مكسوراً أو مفتوحاً فيبدأ فيه بكسر الهمزة نحو «أذهب» و «أضرب» و «ارجع»، وإن كان ثالثه مضموماً ضمناً لازماً فيبدأ فيه بضم الهمزة نحو «اتل» و «انظر»، و أما إذا كان ثالثه مضموماً ضمناً عارضاً فيبدأ فيه بالكسر نظراً لأصله نحو: «امشوا، اقضوا» لأن أصله امشوا و اقضوا.

و أما وجودها في الماضي فلا يكون إلا في الخماسي والسداسي وأمرهما ومصدرهما نحو: «انطلق، انطلق، انطلق»، و «استخرج، استخرج، استخرج» وأمر الثلاثي، و يبدأ في ذلك كله بكسر الهمزة.

ولا تكون همزة الوصل في حرف إلا في «أيم الله» للقسمة على القول بحرفيتها، وفي «أل» للتعريف، وتكون مفتوحةً وتحذف همزة الاستفهام نحو (استغفرت لهم) و (قل أتخذتم)، فإن وقعت بين همزة الاستفهام ولام التعريف فلا تحذف حتى لا يلتبس الاستفهام بالخبر، بل تبدل ألفاً وتمد طويلاً- لالتقاء الساكنين، أو تسهل بين الهمزة والألف، والإبدال أقوى، وذلك في ست كلمات في القرآن باتفاق وهي: (ءالذكرين) في موضعي

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٢٠

(سورة الأنعام آية ١٤٣، ١٤٤، و (ءالآن) في موضعي يونس آية ٥١، ٩١ (ءالله أذن لكم) و (ءالله خير) (آية ٥٩ من سورة النمل)، و كلمة عند أبي عمرو وأبي جعفر وهي: (السكر) في (سورة يونس آية ٨١)، و يبدأ باللام أو بهمزة الوصل في قوله تعالى: بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ (آية ١١ سورة الحجرات).

ثانياً: همزة القطع: هي التي تثبت في حالي الوصل والبدء، وسميت بذلك لثبوتها في الوصل فينقطع بالتلفظ بها الحرف الذي قبلها عن الحرف الذي بعدها بخلاف همزة الوصل فإنها تثبت في البدء وتسقط في الدرج كما سبق، ومن ثم يتضح الفرق بين الهمزتين. و توجد همزة القطع في ماضي ومصدر الثلاثي، و ماضي وأمر ومصدر الرباعي. وتكون مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة كما يلي:

أولاً: همزة القطع المفتوحة توجد في خمسة مواضع هي:

١- الفعل الماضي الثلاثي المبني للمعلوم نحو: «أذن»، «أمر».

٢- الفعل الماضي الرباعي المبني للمعلوم نحو: «ألهاكم».

٣- الفعل المضارع نحو: «أعمل» و «أسمع».

٤- فعل الأمر من الرباعي نحو: «أكرم» و «أصلح».

٥- مصدر الفعل الماضي الثلاثي، وقد تكون همزة القطع فيه مفتوحة نحو: «أمر»، «أكل». وقد تكون مكسورة الهمزة نحو «إذن»، «إفك».

ثانيا: همزة القطع المكسورة، وتوجد في موضعين هما:

١- مصدر الفعل الماضي الرباعي نحو:

«إطعام» و «إخراج».

٢- مصدر الفعل الماضي الثلاثي فيما صح فيه الكسر نحو «إذن» و «إفك».

ثالثا: همزة القطع المضمومة، وتوجد في أربعة مواضع هي:

١- الفعل المضارع من الثلاثي المزيد نحو:

(أحیی و أمیت).

٢- الفعل المضارع من الثلاثي المضعف نحو «أبرئ».

٣- الفعل الماضي الثلاثي المبني للمجهول نحو «أمر» و «أذن».

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٢١

٤- الفعل الرباعي المبني للمجهول نحو «أوتى» و «أخرج».

أما في الحروف فهي فيها همزة قطع من غير شرط نحو «إن» و «كأن» المشددين و المخففتين أيضا.

ثالثا: همزة الاستفهام: هي إحدى همزات القطع المفتوحة أبداً و هي ثابتة في الوصل و الابتداء، و لها مع همزة الوصل حالتان عند اجتماعهما، الحالة الأولى: حذف همزة الوصل و بقاء همزة الاستفهام مفتوحة، و ذلك إذا كانت همزة الوصل في فعل و كانت مكسورة في الابتداء لو تجردت عنها همزة الاستفهام و ابتدئ بها. و الوارد من ذلك في القرآن الكريم سبعة مواضع منها خمسة متفق عليها بين القراء العشرة، و الموضوعان الآخران مختلف فيهما.

أما الخمسة المتفق عليها هي: قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا (سورة البقرة آية ٨٠)، و قوله تعالى: أَطَّلَعَ الْغَيْبِ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (سورة مريم آية ٧٨)، و قوله تعالى: أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ (سورة سبأ آية ٨)، و قوله تعالى: اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ (سورة المنافقون آية ٦).

و أما الموضوعان المختلف فيهما فهما: قوله تعالى: أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (سورة الصافات آية ١٥٣)، و قوله تعالى: أَتَّخَذْنَاَهُمْ سِخْرِيًا (سورة ص آية ٦٣).

فقد قرأ بعض القراء بوصل الهمزة فيهما على الإخبار، و يتبدئ بكسر الهمزة على القاعدة السابقة، و بعضهم بقطع الهمزة فيهما مفتوحة على الاستفهام.

و وجه حذف همزة الوصل في هذه الأفعال أن الأصل فيها «أ اتخذتم. أ افتري.

أ أ استكبرت. أ استغفرت. أ اتخذناهم.

أ اصطفى» بهمزتين. أولاهما: همزة الاستفهام و لا- تكون إلا- مفتوحة كما مرّ. و ثانيهما: همزة الوصل و هي مكسورة لوجودها في الماضي السداسي في «استكبرت، و استغفرت»، و في الماضي الخماسي في الباقي. فحذفت همزة الوصل في جميعها استغناء عنها بهمزة الاستفهام و لا يترتب على حذفها التباس الاستفهام بالخبر، لأن همزة الاستفهام إحدى همزات القطع المفتوحة أبداً، و هي ثابتة في الوصل و الابتداء- كما مر- بخلاف همزة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٢٢



الوصل فإنها ثابتة في الابتداء ساقطة في الوصل.

و أما حالة بقاء همزة الاستفهام مفتوحة مع همزة الوصل في كلمة واحدة، فالشرط أن تكون همزة الوصل مفتوحة في البدء و واقعة في اسم محلي بأل و حينئذ لا يجوز حذفها بالإجماع لثلاثي يلتبس الاستفهام بالخبر فيتغير المعنى تبعاً لذلك، و الجائز فيها حينئذ وجهان: الأول: إبدالها ألفاً مع المدّ الطويل لملاقاتها بالساكن الأصلي.

الثاني: تسهيلها بين بين أى بين الهمزة و الألف مع القصر و المراد به هنا عدم المدّ مطلقاً. و الوجهان صحيحان مقروء بهما لكل القراء، و وجه الإبدال هو المقدم في الأداء، و الوارد من ذلك في القرآن ستة مواضع باتفاق القراء العشرة، و موضع مختلف فيه بينهم. و قد سبق بيان ذلك عند الكلام على همزة القطع فارجع إليه ١.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٢٣

## تلاوة القرآن الكريم

### أولاً: أدب التلاوة:

لما كان قارئ القرآن في حضرة ربه مناجياً له كان لزاماً عليه أن يتأدب بآداب خاصة تليق بحضرة ربه و مناجاته، و قد حدد العلماء الأجلاء هذه الآداب و بينوها و سوف ألخص تلك الآداب فيما يلي ١:

١- أن يكون القارئ على طهارة حسيّة- أى من الحدث الأكبر و الأصغر-، و ذلك لأن قراءة القرآن الكريم أفضل أنواع الذكر خاصة و أنها مناجاة بين العبد و ربه، فيستلزم لذلك طهارة الظاهر و الباطن.

٢- و أن يقرأ في الأماكن الطاهرة و النظيفة التي تليق بعظمة و مقام القرآن الكريم، و لهذا استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد لكونه جامعاً للنظافة و شرف البقعة و محصلاً لفضيلة أخرى و هي الاعتكاف. و أن يكون أثناء القراءة مستقبلاً للقبلة، لأن قراءة القرآن عبادة، و استقبال القبلة من أسباب القبول و أدعى له.

٣- أن يستعمل السواك و يتخلل فيطيب فاهه و يطهره، لأنه الطريق الذي يخرج منه القرآن الكريم، و لقول الرسول صلّى الله عليه و سلم: «إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك» ٢، و قال يزيد بن أبي مالك: «إن أفواهكم طرق من طرق القرآن فطهروها و نظفوها ما استطعتم».

٤- أن يخلص في قراءته و يريد بها وجه الله تعالى دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمده عند الناس، أو محبة أو مدح أو رئاسة أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه و نحو ذلك.

٥- أن يستحضر في ذهنه أنه يناجي ربه و يقرأ كتابه، فيتلوه على حاله من يرى الله تعالى فإن لم يكن يراه فإن الله سبحانه و تعالى يراه.

٦- أن يعظم القرآن و يوقره، فيتجنب الضحك، و الحديث الأجنبي خلال القراءة إلا لحاجة، و ألا يعبث باليد و نحوها، و ألا ينظر إلى ما يلهي أو يبدد الذهن.

٧- أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتدائه للقراءة، و هذا ما عليه جمهور العلماء قديماً و حديثاً. و قيل: بعدها. و أوجبها

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٢٤

قوم لظاهر الأمر في الآية، و هي قوله تعالى:

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (سورة النحل آية ٩٨)، و صيغتها المختارة عند عامة الفقهاء و جميع القراء:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وكان بعض السلف يزيدون «السميع العليم»، ولا خلاف بين أهل الأداء في الجهر بها عند افتتاح القراءة، والإخفاء أولى إذا كان يقرأ وحده خالياً عن الناس أو في الصلاة، ويكفيه تعوذ واحد ما لم يقطع قراءته بكلام أجنبي أو فصل طويل.

٨- أن يحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة غير سورة «براءة»، لأن أكثر العلماء على أنها آية من أول كل سورة، فإذا أخل بها كان تاركاً لبعض الختمه عند الأكثرين، أما في الابتداء بما بعد أوائل السور ولو بكلمة فتجوز البسملة وعدمها لكل القراء تخييراً.

٩- ويسن للقارئ أن يقرأ على تودة وبترييل، لأن ذلك أدعى للتدبر وأقرب إلى التوقير والاحترام. ولقول الله تعالى: وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (سورة المزمل آية ٤)، ولما رواه أبو داود وغيره عن أم سلمة- رضى الله تعالى عنها- «أنها نعتت قراءة النبي- صلى الله عليه و سلم- قراءة مفسرة حرفاً حرفاً» ٣.

وفي صحيح البخارى عن أنس- رضى الله تعالى عنه- أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كانت مداً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم» ٤.

و اتفق العلماء على كراهة الإفراط في الإسراع بالقراءة، وقالوا: وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزءين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل. وقالوا: واستحباب الترتيل للتدبر، لأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير، وأشد تأثيراً في القلب، ولهذا يستحب للأعجمي الذي لا يفهم معناه ٥.

١٠- تدبر ما يتلى: ينبغى على المؤمن أن يقرأ القرآن بالتدبر والفهم، وأن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به ويتفهمه لقول الله تعالى:

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (سورة ص آية ٢٩) وقوله تعالى: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ (سورة محمد صلى الله عليه وسلم آية ٢٤).

والطريق إلى ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٢٥

أو عذاب أشفق و تعوذ، أو تنزيه نزه و عظم، أو دعاء تضرع و طلب.

فقد روى الإمام مسلم بسنده عن حذيفة- رضى الله تعالى عنه- قال: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها، ثم النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ» ٦. ومما يعين على التدبر أيضاً تكرير الآية وترديدها، فقد روى النسائي وغيره عن أبي ذر- رضى الله تعالى عنه- قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية يرددها حتى أصبح. والآية: إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ٧.

وعن تميم الدارى- رضى الله تعالى عنه- أنه كرر هذه الآية حتى أصبح: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٨ (سورة الجاثية آى ٢١) وردد ابن مسعود- رضى الله تعالى عنه: رَبِّ زِدْنِي عِلْماً (سورة طه آية ١١٤) وردد سعيد بن جبير قوله تعالى:

وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ (سورة البقرة آية ٢٨١) إلى غير ذلك من الأقوال في هذا الصدد.

قال الإمام النووى: «و الأحاديث فيه- أى فى التدبر والخشوع عند التلاوة- كثيرة، وأقارب السلف فيه مشهورة. وقد بات جماعات من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصباح. وقد صعق جماعات من السلف عند القراءة، ومات جماعات منهم حال القراءة ٩.

١١- تحسين الصوت بالتلاوة: أجمع العلماء من السلف والخلف من الصحابة والتابعين- رضى الله تعالى عنهم- ومن بعدهم من

علماء الأمصار و أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بتلاوة القرآن و تزيينها، لأن ذلك يؤدي إلى التأثير على النفوس، و لقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«زينوا القرآن بأصواتكم» ١٠، و في لفظ عند الدارمي: «حسنوا القرآن بأصواتكم» ١١، و لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت أن يتغنى بالقرآن» ١٢.

قال ابن كثير: و معناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته و يحسنها، و ذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم و تمام الخشية و ذلك هو الغاية في ذلك، و هو سبحانه و تعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم و فاجرهم، كما قالت عائشة- رضي الله عنها-: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٢٦

و لكن استماعه عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى: وَ مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ مَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ (سورة يونس آية ٦١)، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم ١٣.

هذا: و قد ضرب لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المثل الأعلى بنفسه في تحسين الصوت بالتلاوة، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في العشاء: و التين و الزيتون، فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه» ١٤.

و في الصحيحين عن جبير بن مطعم قال:

سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه، و في بعض الروايات: فلما سمعته قرأ: أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون (٣٥) أم خلقوا السماوات و الأرض بل لا يوقنون (٣٦) أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون (سورة الطور الآيات ٣٥-٣٧)، «كاد قلبي أن يطير» ١٥.

و لهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب، و هذا ما أشار إليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله» ١٦.

١٢- التغنى بالقرآن: و من أجل تحسين التلاوة و تزيينها أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتغنى بالقرآن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن» ١٧.

قال سفيان بن عيينة تفسيره: يستغنى به.

و لكن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى رد هذا القول و قال: ليس هو هكذا، و لو كان هكذا لكان يتغاني، إنما هو يتحزن و يترنم به. و يؤيد هذا ما جاء في الرواية الأخرى: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به» ١٨، قال الطبري- رحمه الله تعالى: لو كان معناه الاستغناء لما كان لذكر الصوت و لا لذكر الجهر معنى.

و مما يؤكد هذا المعنى أيضا ما أخرجه البخاري و غيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» ١٩، و المراد بالتغنى بالقرآن تحسين الصوت و تطريبه و تحزينه و التخشع به لما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم: «لو رأيتني و أنا استمع قراءة تك البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود» قلت:

أما و الله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا» ٢٠.

قال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر هذه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٢٧

الأحاديث و غيرها: و الغرض أن المطلوب شرعا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن و تفهمه و الخشوع و الخضوع و

الانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثه المركبه على الأوزان والأوضاع الملهيه والقانون الموسيقى، فالقرآن ينزه عن هذا و  
يجل و يعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب.

وقد جاءت السنه بالزجر عن ذلك كما قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام- رحمه الله- حدثنا نعيم بن حماد عن بقيه بن الوليد  
عن حصين بن مالك الفزاري قال:

سمعت شيخا يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفه بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأوا القرآن بلحون العرب و  
أصواتها، وإياكم و لحون أهل الفسق و أهل الكتابين، و سيجيء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء و الرهبانيه و النوح، لا  
يجاوز حناجرهم مفتونه قلوبهم و قلوب الذين يعجبهم شأنهم» ٢١.

و هذا يدل على أنه محذور كبير و هو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء، و قد نص الأئمة- رحمهم الله تعالى- على  
النهي عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا، فقد اتفق العلماء على تحريمه- و الله أعلم.

١٣- التحزين بالقرآن: و يستحب للقارئ البكاء عند قراءة القرآن، و التباكي لمن لا يقدر على البكاء، و الحزن و الخشوع، لقول الله  
تعالى: «وَيَخْرُونَ لِلذِّقَانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (سورة الإسراء آية ١٠٩) و قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ  
قُلُوبُهُمْ وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (سورة الأنفال آية ٢)»، و لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «اتلوا  
القرآن و ابكوا فإن لم تبكوا فتابكوا» ٢٢.

و روى أبو داود بسنده عن عبد الله بن الشَّخِيرِ عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى و لصدره أزيز كأزيز  
المرجل من البكاء» ٢٣ و فى الشعب للبيهقي عن سعد بن مالك مرفوعا: «إن هذا القرآن نزل بحزن و كآبه، فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم  
تبكوا فتابكوا» ٢٤.

و فى مسند أبي يعلى حديث: «اقرأوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن»، و عند الطبراني «أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزن»  
٢٥.

قال أبو حامد الغزالي- رحمه الله تعالى- البكاء مستحب مع القراءة و عندها. قال:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٢٨

و طرقة فى تحصيله أن يحضر فى قلبه الحزن، بأن يتأمل ما فيه من التهديد، و الوعيد الشديد، و الموائيق و العهود، ثم يتأمل تقصيره فى  
ذلك، فإن لم يحضره حزن و بكاء كما يحضر الخواص، فليبك على فقد ذلك فإنه من أعظم المصائب ٢٦.

١٤- حق التلاوة: ينبغى لقارئ القرآن أن يتلو القرآن الكريم حق تلاوته، و يتبع ما جاء فيه من أحكام و آداب حق اتباعه، لقول الله  
تعالى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (سورة البقرة آية ١٢١).

و روى ابن أبى حاتم بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى معنى قوله تعالى: «يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ قَالَ: إِذَا مَرَّ بِذِكْرِ الْجَنَّةِ سَأَلَ  
اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَ إِذَا مَرَّ بِذِكْرِ النَّارِ تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ». و عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «و الذى نفسى بيده إن حق تلاوته أن يحل  
حلاله و يحرم حرامه، و يقرأه كما أنزله الله، و لا يحرف الكلم عن مواضعه، و لا يتأول منه شيئا على غير تأويله» ٢٧.

و عن ابن عباس- رضى الله عنهما- فى معنى هذه الآية قال: «يحلون حلاله و يحرمون حرامه، و لا يحرفونه عن مواضعه» و قال أيضا:  
يتبعونه حق اتباعه.

و قال الحسن البصرى: «يعملون بمحكمه، و يؤمنون بمتشابهه، و يكلمون ما أشكل عليهم إلى عالمه» ٢٨.

و قال الإمام الغزالي: «تلاوة القرآن حق تلاوته أن يشترك فيه اللسان و العقل و القلب، فحظ اللسان: تصحيح الحروف، و حظ العقل:  
تفسير المعانى، و حظ القلب: الاتعاظ و التأثر و الانزجار و الائتمار، فاللسان يرتل، و العقل ينزجر، و القلب يتعظ» ٢٩.

١٥- هيئه قارئ القرآن: يستحب لقارئ القرآن فى غير الصلاة أن يستقبل القبلة. فقد جاء فى الحديث: «خير المجالس ما استقبل به

القبلة» ٣٠، و يجلس متخشعا بسكينه و وقار، مطرقا رأسه، و يكون جلوسه وحده في تحسين أدبه و خضوعه، كجلوسه بين يدي معلمه، فهذا هو الأكمل.

و لو قرأ قائما أو مضطجعا، أو في فراشه أو غير ذلك من الأحوال جاز، و له أجر، و لكن دون الأول. قال الله تعالى: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)** الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ (سورة آل عمران آية: ١٩٠، ١٩١).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٢٩

و ثبت في الصحيح عن عائشة- رضى الله عنها- قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتكئ في حجرى و أنا حائض، فيقرأ القرآن» ٣١، و عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال: «إنى أقرأ القرآن فى صلاتى، و أقرأ على فراشى» ٣٢، و عن عائشة- رضى الله عنها- قالت: «إنى لأقرأ حزبى و أنا مضطجعة على السرير» ٣٣.

و عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال:

«ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليته إذ الناس نائمون، و بنهاره إذ الناس مفطرون، و بحزنه إذ الناس يختالون».

و عن الفضيل بن عياض- رحمه الله تعالى- قال: «حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغى له أن يلهو مع من يلهو، و لا يسهو مع من يسهو، و لا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن» ٣٤.

١٦- سجود التلاوة: يسن لقارئ القرآن إذا مرّ بآية فيها سجدة من سجديات القرآن أن يسجد، لما صح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد و سجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأها حتى إذا جاء السجدة قال: «يا أيها الناس إنما نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب، و من لم يسجد فلا إثم عليه، و لم يسجد عمر» ٣٥. و ثبت فى الصحيحين عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قرأ على النبى صلى الله عليه و سلم «و النجم» فلم يسجد ٣٦، و ثبت أيضا عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «أول سورة أنزلت فيها سجدة و النجم، قال: فسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم و سجد من خلفه...» ٣٧.

و عن ابن عباس- رضى الله عنهما- قال:

«سجد النبى صلى الله عليه و سلم بالنجم و سجد معه المسلمون و المشركون و الجن و الإنس» ٣٨.

و أما عدد السجديات و محلها: فالذى عليه جمهور العلماء أنها أربع عشرة سجدة: فى سورة الأعراف عند نهاية السورة الآية ٢٠٦، و فى سورة الرعد عند نهاية الآية ١٥، و فى سورة النحل عند نهاية الآية ٥٠، و فى سورة الإسراء عند نهاية الآية ١٠٩، و فى سورة مريم عند نهاية الآية ٥٨، و فى سورة الحج سجدتان عند نهاية الآية ١٨، و عند نهاية الآية ٧٧، و فى سورة الفرقان عند نهاية الآية ٦٠، و فى سورة النمل عند نهاية الآية ٢٦، و فى سورة «الم تنزيل السجدة» عند نهاية الآية ١٥، و فى سورة «حم السجدة» عند نهاية الآية ١٥، و فى سورة «حم السجدة» فصلت عند نهاية الآية ٣٨، و فى سورة النجم عند نهاية الآية ٦٢، و فى سورة «إذا السماء

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٣٠

انشقت» عند نهاية الآية ٢١، و فى سورة «اقرأ باسم ربك» عند نهاية السورة الآية ١٩.

و أما سجدة سورة «ص» فمستحبة، و ليست من عزائم السجود أى متأكداته، فقد ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس- رضى الله عنهما- قال: ص ليست من عزائم السجود، و قد رأيت النبى صلى الله عليه و سلم سجد فيها» ٣٩.

و يشترط لسجود التلاوة ما يشترط للصلاة من الطهارة، و ستر العورة، و التوجه إلى القبلة. و ينبغى أن يقع السجود عقب آية السجدة التى قرأها أو سمعها، فإن أقر و لم يطل الفصل سجد، و إن طال فقد فات السجود، و لا يقضى على المذهب الصحيح المشهور كما لا يقضى صلاة الكسوف ٤٠.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

المصادر و المراجع:

- (١) انظر: هداية القارى إلى تجويد كلام البارى: ص ٤٩٧-٥١١- طبعه دار النصر للطباعة الإسلامية بشبرا مصر- الأولى سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م- للشيخ/ عبد الفتاح السيد عجمى المرصفى.
- (٢) الحديث: أخرجه ابن ماجه فى سننه فى كتاب الطهارة رقم ١٧، و ذكر فى إتحاف السادة المتقين ٢ / ٣٤٠، و كنز العمال رقم ٢٧٥١، و حلية الأولياء ٤ / ٢٩٦ و جمع الجوامع برقم ٦٢٤٩ و الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١ / ١١٣.
- (٣) الحديث: رواه أبو داود فى كتاب الصلاة ٢ / ٧٤ رقم ١٤٦٦، و الترمذى فى فضائل القرآن ٥ / ١٦٧ رقم ٢٩٢٣ و قال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد عن أبي مليكة عن يعلى بن مليكة عن أم سلمة، و رواه النسائى فى الافتتاح ٢ / ١٨١ رقم ١٠٢٢.
- (٤) الحديث: رواه البخارى فى فضائل القرآن، باب مد القراءة انظر فتح البارى ٨ / ٧٠٩ رقم ٥٠٤٦.
- (٥) الإتيقان فى علوم القرآن للسيوطى ١ / ١٤٠.
- (٦) الحديث: أخرجه مسلم فى صحيحه فى صلاة المسافرين ١ / ٥٣٦، ٥٣٧ رقم ٧٧٢، و أبو داود. فى الصلاة ١ / ٥٤٣، و الترمذى فى الصلاة ٢ / ٤٨ رقم ٢٦٢.
- (٧) الحديث: رواه النسائى ٢ / ١٧٧، و ابن ماجه رقم ١٣٥٠ و أحمد فى المسند ٥ / ١٥٦، ١٧٠.
- (٨) الأثر: رواه ابن أبى شيبه ٢ / ٣٦٢ بإسناد صحيح.
- (٩) انظر: التبيان فى آداب حملة القرآن ص ٦٠-٦٢.
- (١٠) حديث صحيح أخرجه أبو داود فى سننه ٢ / ١٥٥ رقم ١٤٦٨، و النسائى ٢ / ١٧٩، و ابن ماجه ١ / ٤٢٦ رقم ١٣٤٢.
- (١١) ذكره السيوطى فى الإتيقان ١ / ١٤١.
- (١٢) رواه البخارى فى فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن، انظر فتح البارى لابن حجر ٨ / ٦٨٦ رقم ٥٠٢٤.
- (١٣) فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٣ طبعه الحلبي.
- (١٤) الحديث: رواه البخارى و مسلم. و قال النووى متفق عليه. رياض الصالحين ص ٢٨٣ طبعه دار التراث العربى الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
- (١٥) الحديث: أخرجه مالك فى الموطأ ١ / ٧٨ باب القراءة فى المغرب و العشاء، و البخارى فى تفسير سورة الطور فتح البارى ٨ / ٦٠٣ رقم ٤٨٥٤، و مسلم فى كتاب الصلاة، باب القراءة فى الصبح ١٢ / ٤١ رقم ١٧٤.
- (١٦) الحديث: رواه ابن ماجه فى سننه، كتاب إمامة الصلاة ١ / ٤٢٥ رقم ١٣٣٩، و ذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة ٤ / ١١٢ برقم ١٥٨٣ بلفظ فيه اختلاف يسير.
- (١٧) صحيح البخارى ٦ / ١٠٧، و صحيح مسلم ١ / ٥٤٥.
- (١٨) الحديث: ٨ / ٢١٤ و صحيح مسلم ١ / ٥٤٥ رقم ٧٩٢ و أبو داود ٢ / ٧٦ رقم ١٤٧٣ و أحمد فى المسند ٢ / ٢٧١.
- (١٩) الحديث: رواه البخارى فى كتاب التوحيد انظر فتح البارى ١٣ / ٥١٠ رقم ٧٥٢٧، و أحمد فى المسند ١ / ١٧٢، ١٧٥.
- (٢٠) الحديث: رواه البخارى فى فضائل القرآن ٨ / ٧١٠ رقم ٥٠٤٨ و الترمذى فى المناقب ٥ / ٦٥٠ رقم ٣٨٥٥.
- (٢١) الحديث: رواه ابن كثير فى فضائل القرآن ص ٣٦ و هو غير صحيح حيث فى سننه بقيه بن الوليد مدلس و لم يصرح بالسمع رواه معنعنا عن حصين بن مالك قال عنه النسائى: فى التهذيب ١ / ٤٧٥: إذا قال حدثت و أخبرنا فهو ثقة و إذا قال عن فلان فلا يؤخذ



عنه لأنه لا يدري عن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٣١

أخذه. وفيه أبو محمد شيخ مجهول وقد ذكر الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٦٩ ونسبه للطبراني في الأوسط وقال: فيه راو لم يسم وفيه بقیة أيضا. وقال المناوی: قال ابن جوزی: حديث لا يصح، وأبو محمد مجهول وبقية يروى عن الضعفاء ويدلسهم و قال الذهبي في «ميزانه» تفرد عن أبي حصين بقیة و ليس بمعتمد و الخبر منكر.

(٢٢) أخرجه ابن ماجه في الإقامه باب ١٧٦، و الزهد ١٩.

(٢٣) الحديث: رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة برقم ٩٠٤، و النسائي في كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة برقم ١٢١٤، و الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٥، ٣٦.

(٢٤) الحديث: ذكره السيوطي في الإتيان ١/ ١٤١، و ابن كثير في فضائل القرآن عن أبي داود ص ٣٥.

(٢٥) الحديث: ذكره السيوطي في الإتيان ١/ ١٤١.

(٢٦) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٦٣.

(٢٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٣٥.

(٢٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٣٦.

(٢٩) نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ٢٣٦ للشيخ/ محمد مكي نصر. طبعه الحلبي.

(٣٠) الحديث: رواه الطبراني في الأوسط ٣/ ١٨٢، ١٨٣ رقم ٢٣٧٥ من حديث أبي هريرة بإسناد حسن.

(٣١) الحديث: أخرجه البخاري ١/ ٤٠١ رقم ٢٩٧، و مسلم في صحيحه ١/ ٢٤٦ رقم ٣٠١، و أبو داود في سننه رقم ٢٦٠ و النسائي ١/ ١٤٧، ١٩١، و ابن ماجه برقم ٦٣٤، و الإمام أحمد في المسند ٦/ ٦٨، ٧٢، ١١٧، ١٣٥.

(٣٢) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٥٩.

(٣٣) المصدر السابق.

(٣٤) انظر التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٤٤.

(٣٥) رواه البخاري في كتاب السجود. انظر فتح الباري ٢/ ٥٥٧ رقم ١٠٧٧.

(٣٦) المصدر السابق حديث رقم ١٠٧٢، و رواه مسلم برقم ٥٧٧.

(٣٧) انظر فتح الباري لابن حجر تفسير سورة النجم ٨/ ٤٨٠ رقم ٤٨٦٣.

(٣٨) المصدر السابق رقم ٤٨٦٢.

(٣٩) الحديث: أخرجه البخاري برقم ١٠٧٩، و رقم ٣٤٢٢، و انظر أيضا فتح الباري كتاب التفسير، تفسير سورة ص حديث رقم ٤٨٠٦، ٤٨٠٧، و أبو داود تحت رقم ١٤٠٩، و الترمذي برقم ٥٧٧.

(٤٠) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٩٤-١٠٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٣٢

## تنكيس القراءه

قال ابن منظور في لسان العرب: النكس:

قلب الشيء على رأسه، و قراءة القرآن منكوسا أن يبدأ بالعمودتين ثم يرتفع إلى البقرة، أو من آخر السورة فيقرأها إلى أولها.

وهو خلاف الأصل - أى الذى عليه المصحف و جاءت به السنة - إذ الأصل أن يقرأ من الفاتحة مرتبا إلى آخر الناس ١.

والعلماء فى حكم قراءة القرآن منكوسا تبعا لمذاهبهم فى حكم ترتيب الآى و السور.

أما الآى: فقد أجمعوا على أن ترتيبها بتوقيف من النبى صَلَّى الله عليه و سلم عن الله عز و جل، و لذا فقد اتفقوا على أن قراءة السورة من آخرها إلى أولها ممنوع، و لم يختلفوا فى حرمة، لأنه يذهب بعض ضروب الإعجاز، و يزيل حكمه الترتيب. و أيضا فإن السورة وحدة مستقلة، و تنكيسها إخلال بأجزاء وحدتها و تماسكها، و يترتب عليه إخلال بالمعنى «و كان جماعة يصنعون ذلك فى القصيدة من الشعر مبالغة فى حفظها و تذليلا للسان فى سردها، فمنع السلف ذلك فى القرآن، فهو حرام فيه» ٢.

أخرج الطبرانى بسند جيد عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه سئل «أ رأيت رجلا يقرأ القرآن منكوسا؟ فقال ذلك منكوس القلب. فأتى بمصحف قد زين و ذهب، فقال عبد الله: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته فى الحق» ٣.

و روى النسائى عن البراء - رضى الله تعالى عنه - قال: «كنا نصلى خلف النبى صَلَّى الله عليه و سلم فنسمع منه الآيه بعد الآيات من سورة لقمان و الذاريات»، و عنده أيضا و عند ابن خزيمة نحوه من حديث أنس لكن قال: ب «سبح اسم ربك الأعلى، و هل أتاك حديث الغاشية» ٤.

و أما تنكيس السور: فقد جوزه قوم منهم الإمام الشافعى، و كرهه، قوم منهم الإمام أحمد و أبو حنيفة و مالك و الحسن.

أما المجوزون فقد قالوا: إن تقديم سورة متأخرة على أخرى تسبقها فى القراءة داخل أو خارج الصلاة ليس بحرام، لأن كل سورة وحدة مستقلة و موضوعها مستقل، فلا يضر تقديمها على غيرها.

قال ابن بطال: لا نعمل أحدا قال بوجوب

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٣٣

ترتيب السور فى القراءة لا داخل الصلاة و لا خارجها، بل يجوز أن يقرأ الكهف قبل البقرة، و الحج قبل الكهف مثلا، و أما ما جاء عن السلف من النهى عن قراءة القرآن منكوسا فالمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها ٥.

و قال القاضى عياض: و ترتيب السور ليس بواجب فى التلاوة و لا فى الصلاة و لا فى الدرس و لا فى التعليم. و أنه لم يكن من النبى صَلَّى الله عليه و سلم فى ذلك نص و لا حد تحرم مخالفته ... ثم قال: و استجاز النبى صَلَّى الله عليه و سلم و الأئمة بعده فى جميع الأعصار ترك ترتيب السور فى الصلاة و الدرس و التلقين. ثم قال: إنه لا خلاف فى جواز قراءة المصلى سورة فى الركعة الثانية قبل التى قرأها فى الركعة الأولى، و إنما يكره ذلك فى ركعة، و لمن يتلو فى غير الصلاة. ٦

و كلامه هذا فيه نظر، لأن الخلاف بين أهل العلم قائم، و إن كان يمكن تقريب وجهه نظرهم.

و قال النووى: و لو خالف الموالاة فقرا سورة لا - تلى الأولى، أو خالف الترتيب فقرا سورة، ثم قرأ سورة قبلها جاز، فقد جاء بذلك آثار كثيرة. و قد قرأ ابن الخطاب رضى الله عنه فى الركعة الأولى من الصبح بالكهف، و فى الثانية بيوسف ٧.

و استدل أصحاب هذا القول بما رواه البخارى بسنده عن يوسف ابن ماهك قال:

إنى عند عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إذ جاءها عراقى فقال: يا أم المؤمنين أرى مصحفك؟ قالت: و لم؟ قال: لعلى أولف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: و ما يضرك أيه قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة و النار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال و الحرام ... الحديث ٨.

و بما أخرجه مسلم بسنده عن حذيفة قال:

«صليت مع النبى صَلَّى الله عليه و سلم ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقراها، ثم افتتح آل عمران فقراها مترسلا، إذا مرّ بآيه فيها تسبيح سبح، و إذا مرّ بسؤال سأل، و إذا مرّ بتعوذ تعوذ ...»



الحديث ٩. إلى غير ذلك من الأدلة.

أما الذين قالوا: إن ترتيب السور بتوقيف من الله تعالى، فقد قالوا: إن الأصل أن تكون القراءة على ترتيب المصحف، وقد فسر بعضهم قوله تعالى: وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (سورة المزمل آية ٤) بمعنى اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم ولا تأخير ١٠.

قال ابن حجر: وقد نقل البيهقي عن أحمد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٣٤

والحنفية كراهية قراءة سورة قبل سورة تخالف ترتيب المصحف ١١.

وروى ابن أبي داود عن الحسن: أنه كان يكره أن يقرأ القرآن إلا- على تأليفه في المصحف. وروى أيضا عن إبراهيم النخعي، و الإمام مالك بن أنس أنهما كرها ذلك، و أن مالكا كان يعيبه، و يقول هذا عظيم ١٢.

وقد استدلل هؤلاء العلماء وغيرهم على ما ذهبوا إليه بما رواه الإمام مسلم و الترمذى وغيرهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين و يوم الجمعة ب «سبح اسم ربك الأعلى»، و هل أتاك حديث الغاشية» قال: و ربما اجتمعا في يوم واحد فقرأ بهما» ١٣.

وبما رواه مسلم وغيره عن أبي رافع قال:

استخلف مروان أبا هريرة على المدينة، و خرج إلى مكة، فصلى بنا أبو هريرة الجمعة فقرأ بعد سورة الجمعة في الركعة الأخيرة «إذا جاءك المنافقون» قال: فأدركت أبا هريرة حين انصرف، فقلت له: إنك قرأت بسورتين كان على بن أبي طالب يقرأهما بالكوفة. فقال أبو هريرة: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما يوم الجمعة ١٤.

و بالنظر في أقوال الفريقين و أدلتهم نرى أن الجميع قد اتفقوا على أن تنكيس القرآن خلاف الأصل الذى عليه المصحف و جاءت به السنة، و أن قراءة السورة بعد السورة صواب عند الجميع، و إن عكس فقد جانب الصواب و خالف الأولى عند البعض، و ارتكب المكروه عند البعض الآخر.

قال الإمام النووي: «قال بعض أصحابنا:

و يستحب إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التى تليها، و دليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة، فينبغى أن يحافظ عليها، إلا فيما ورد الشرع باستثنائه، كصلاة الصبح يوم الجمعة، يقرأ فى الأولى سورة «السجدة» و فى الثانية «هل أتى على الإنسان»، و صلاة العيد فى الأولى «ق» و فى الثانية «اقتربت الساعة»، و ركعتى سنة الفجر فى الأولى «قل يا أيها الكافرون» و فى الثانية «قل هو الله أحد»، و ركعات الوتر فى الأولى «سبح اسم ربك الأعلى» و فى الثانية «قل يا أيها الكافرون» و فى الثالثة «قل هو الله أحد و المعوذتين»، و لو خالف الموالاة فقرأ بسورة لا- تلى الأولى، أو خالف الترتيب فقرأ سورة ثم قرأ سورة قبلها جاز، فقد جاء بذلك آثار كثيرة... و قد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف ١٥.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٣٥

المصادر و المراجع:

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ص ٤٥٤١ طبعه دار المعارف، و القاموس المحيط للفيروزآبادى ٢/ ٢٥٦ طبعه دار المأمون الرابعة سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م.

(٢) راجع فتح البارى لابن حجر ٨/ ٦٥٦ طبعه. دار الريان للتراث- الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧.

(٣) راجع الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١/ ١٤٤، و أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ١٦٨ و قال: رجاله ثقات، و ذكره النووى

- في التبيان ص ٧١ و قال: إسناده صحيح.
- (٤) انظر: السنن للنسائي، باب قراءة النهار ١/ ١٥٣.
- (٥) انظر: فتح الباري لابن حجر ٨/ ٦٥٦، و تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ص ٥٣.
- (٦) راجع شرح النووى على صحيح مسلم ٣/ ٢٠٢ طبعه دار الغد الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م.
- (٧) التبيان فى آداب حملة القرآن للنووى ص ٧٠.
- (٨) الحديث: ذكره البخارى فى كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، انظر فتح البارى ٨/ ٦٥٥.
- (٩) الحديث: ذكره مسلم فى كتاب الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ٣/ ١٩٩ من شرح النووى، و رواه الترمذى فى الصلاة، باب ما جاء فى التسييح فى الركوع و السجود ٢/ ٤٨، ٤٩.
- (١٠) البرهان فى مشابهة القرآن للكرمانى. انظر: ص ٢٣ من كتاب أسرار التكرار فى القرآن تحقيق/ عبد القادر أحمد عطا طبعه دار الاعتصام الثانية ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م.
- (١١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٢/ ٢٩٩.
- (١٢) التبيان فى آداب حملة القرآن ص ٧١.
- (١٣) الحديث: أخرجه مسلم فى كتاب الجمعة، باب ما يقرأ فى صلاة الجمعة ٣/ ١٥، ١٦، و الترمذى فى أبواب العيدين الحديث رقم ٥٣١ انظر تحفة الأحوذى ١/ ٣٩٣.
- (١٤) الحديث: أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة، باب ما يقرأ فى صلاة الجمعة ٣/ ٣٦٥ من شرح النووى.
- (١٥) التبيان فى آداب حملة القرآن ص ٦٨-٧٠ طبعه مطابع الوفاء بالمنصورة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م تحقيق/ أبى عبد الله أحمد بن إبراهيم أبى العينين.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٣٦

## نسيان القرآن

- ينبغى على المؤمن الحافظ للقرآن أن يتعاهده بالتلاوة و المراجعة حتى لا ينساه، لقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها و إن أطلقها ذهبت» ١ و قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقراه بالليل و النهار كمثل رجل له إبل فإن عقلها حفظها و إن أطلق عقلها ذهبت فكذلك صاحب القرآن» ٢.
- و جاء عن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و سلم ذمّ و وعيد لمن يحفظ شيئاً من القرآن ثم ينساه حيث قال: «بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت و كيت بل نسي، و استذكروا القرآن فإنه أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم بعقلها» ٣ و عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «عرضت على أجيوس أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، و عرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تيها رجل ثم نسيها» ٤ قال ابن جريج: و حدثت عن سلمان الفارسي قال:
- قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «من أكبر الذنوب توافى به أمتى يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت مع أحدهم ثم نسيها».
- و قد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى فى قوله تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى (سورة طه الآيات ١٢٤-١٢٦).

قال ابن كثير: وهذا الذى قاله هذا وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن و تعريضه للنسيان، و عدم الاعتناء به فيه تهاون كبير، و تفریط شديد نعوذ بالله منه، و لهذا قال عليه السلام: «تعاهدوا القرآن»، و فى لفظ:

«استذكروا القرآن، فإنه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم» و التفصى: التخلص.

و عن الضحاك بن مزاحم قال: «ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه لأن الله تعالى يقول: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ (سورة الشورى آية ٣٠)، و إن نسيان القرآن من أعظم المصائب ٥. نسأل الله تعالى العفو و العافية منه اللهم آمين.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٣٧

المصادر و المراجع:

(١) الحديث: رواه البخارى فى فضائل القرآن رقم ٥٠٣١ باب استذكار القرآن و تعاهده، فتح البارى ٩ / ٦٩٧ و مسلم فى كتاب الصلاة، باب الأمر بتعاهد القرآن رقم ١٨٠٨، انظر شرح النووى ٣ / ٢٢٦.

(٢) ذكره ابن كثير فى فضائل القرآن ص ٤١ و هو من رواية الإمام أحمد، و قال: ذكره ابن الجوزى فى جامع المسانيد.

(٣) الحديث: رواه البخارى فى فضائل القرآن، باب استذكار القرآن و تعاهده رقم ٥٠٣٢ و مسلم فى كتاب الصلاة، باب الأمر بتعهد القرآن، رقم ١٨١٠ شرح صحيح مسلم للنووى ٣ / ٢٢٧.

(٤) الحديث: أخرجه الترمذى فى سننه و قال عنه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. راجع تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ٨ / ٨٧ أبواب فضائل القرآن، باب ١٩ حديث رقم ٣٠٨٣. طبعه دار الكتب العلمية.

(٥) فضائل القرآن لابن كثير ص ٤٣.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٣٨

## ختم القرآن

المدّة التى يستحب فيها ختم القرآن بينتها السنّة المطهرة فيما رواه البخارى بسنده أن النبى صلّى الله عليه و سلم قال- فى حديث طويل- لعبد الله ابن عمرو- رضى الله عنهما: «.. و كيف تختم؟ قال: كل ليلة. فقال له: اقرأ القرآن فى كل شهر، قال: إنى أطيق أكثر من ذلك. فقال له: اقرأه فى كل سبع ليال مرة..» و فى رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو قال: «قال لى رسول الله صلّى الله عليه و سلم: اقرأ القرآن فى شهر. قلت إنى أجد قوة، حتى قال: فاقرأه فى سبع و لا ترد على ذلك»، و فى رواية أخرى: «أن النبى صلّى الله عليه و سلم قال له: اقرأ القرآن فى شهر. قال إنى أطيق أكثر، فما زال حتى قال فى ثلاث» ١.

و من خلال هذه الأحاديث يتبين لنا أن عبد الله رضى الله عنه كان يقرأ القرآن فى ليلة واحدة، فقال له النبى صلّى الله عليه و سلم اقرأه فى شهر؛ لأن لا يلحقه ملل، و لتكون قراءته على تدبر و فهم، فرغب عبد الله أن يقرأ فى أقل من هذه المدّة محتجا بقوته على ذلك فتدرج النبى صلّى الله عليه و سلم معه إلى أن وصل إلى سبع، ثم قال له: «و لا ترد على ذلك» لأنه رأى- و الله تعالى أعلم- أن التدبر و الأمن من الملل لا- يكونان فى أقل من هذه المدّة، فرغب عبد الله فى أن يقرأه فى أقل من ذلك، فما زال به حتى قال فى ثلاث كما جاء فى بعض الروايات.

لذلك نقول: إن المدّة المعول عليها فى ختم القرآن هى استطاعته الشخص و عدم استطاعته، لأن النبى صلّى الله عليه و سلم قال لعبد الله اقرأه فى شهر، ثم أذن له أن يقرأه فى أقل من هذه المدّة لاستطاعته، فلزم أن تكون الزيادة عليها مأذونا فيها عند الضعف و عند الشواغل الكثيرة التى تحول دون ختمه فى شهر، فقد أخرج ابن أبى داود عن مكحول قال: كان أقوىاء أصحاب رسول الله صلّى الله

عليه و سلم يقرءون القرآن في سبع، و بعضهم في شهر و بعضهم في شهرين و بعضهم في أكثر من ذلك. و قد روى عن أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - أنه قال:

«من قرأ القرآن في كل سنة مرتين، فقد أدى حقه لأن النبي صَلَّى الله عليه و سلم عرض القرآن على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين». و كذلك من نقص عن الشهر لقوته على ذلك يستحب له أن لا ينقص عن سبع لقول النبي صَلَّى الله عليه و سلم لعبد الله: لا تزد على ذلك، فإن حكمة هذا النهي

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٣٩

على ما يظهر هي أن ختم القرآن في أقل من سبع مظنة الملل و نقصان التدبر، و الأحكام تبنى على الكثير الغالب لا على القليل النادر، و لإلحاح عبد الله و رغبته في الإكثار من القراءة و احتجاجه بقوته على ذلك أذن له في أقل من سبع إلى ثلاث، إلا إن هذا الإذن المترتب على الإلحاح الشديد من عبد الله لا ينفي أن المأذون فيه خلاف الأولى بقرينة اختصاص هذا العدد بالنهي عن النقص عنه دون ما قبله من الأعداد. و هذا المعنى هو الذى فهمه جمهور العلماء و استقر عملهم عليه. و أما الذين يهتمون القرآن في أقل من ثلاث فعملهم مخالف لصريح السنة لما رواه أبو داود و الترمذى و صححه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» ٢ و أخرج ابن أبي داود و سعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفاً قال: «لا- تقرأوا القرآن في أقل من ثلاث»، و أخرج أبو عبيد عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث» ٣.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

المصادر و المراجع:

- (١) انظر: صحيح البخارى و شرحه فتح البارى كتاب فضائل القرآن، و كتاب الصيام، باب صيام و إفتار يوم و يوم.
  - (٢) الحديث: رواه أبو داود فى الصلاة ١١٦ / ٢ رقم ١٣٩٤ و الترمذى ٥ / ١٨٢ رقم ٢٩٤٩ و قال حديث حسن صحيح.
  - (٣) راجع كتاب كيف تقرأ القرآن قراءة شرعية ص ٣٩ د. سيد مرسى نقلاً عن الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٤٠

## الجرس القرآنى

إن طريقة النظم التى اتسقت بها ألفاظ القرآن، و تألفت لها حروف الألفاظ، إنما هى طريقة يتوخى بها إلى أنواع من المنطق و صفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب، و لكنها ظهرت فيه أول شىء على لسان النبي صَلَّى الله عليه و سلم، فجعلت المسامع لا تنبو عن شىء من القرآن، و لا تلوى من دونه حجاب القلب، حتى لم يكن لمن يسمعه بد من الاسترسال إليه و التوفر على الإصغاء، لا يستمهلهم أمر من دونه و إن كان أمر العادة، و لا يستنسه الشيطان و إن كانت طاعته عندهم عبادة، فإنه إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية فى انسجامه و أطراز نسقه و اتزانه على أجزاء النفس مقطعا مقطعا و نبرة نبرة كأنها توقعه توقيعاً لا تتلوه تلاوة ١.

و يوضح هذا المعنى الدكتور محمد عبد الله دراز فيقول: دع القارئ الموجود يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله نازلاً- بنفسه على هوى القرآن، و ليس نازلاً بالقرآن على هوى نفسه، ثم انتبذ منه مكاناً قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه، و لكن تسمع حركاتها و سكناتها، و مداتها و غنائها، و اتصالاتها، و سكناتها، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية و قد جردت تجريداً، و أرسلت ساذجة فى الهواء فستجد نفسك منها يازاء لحن غريب عجيب لا تجده فى كلام آخر لو جرد هذا التجريد، و جود هذا التجويد.

ستجد اتساقاً و اثتلافاً يسترعى من سمعك ما تسترعيه الموسيقى و الشعر، على أنه ليس بأنغام الموسيقى و لا بأوزان الشعر. و ستجد

شيئا آخر لا تجده في الموسيقى ولا في الشعر، ذلك أنك تسمع القصيدة من الشعر فإذا هي تتحد الأوزان فيها بيتا بيتا، و شطرا شطرا، و تسمع القطعة من الموسيقى فإذا هي تتشابه أهواؤها، و تذهب مذهبا متقاربا، فلا يلبث سمعك أن يمجهها، و طبعك أن يملها، إذا أعيدت و كررت عليك بتوقيع واحد. بينما أنت من القرآن أبدا في لحن متنوع متجدد تنتقل فيه بين أسباب و أوتاد، و فواصل على أوضاع مختلفة يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء. فلا يعرفك منه على كثرة ترداده ملائمة و لا سأم. بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٤١

هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب. فكيف يخفى على العرب أنفسهم؟

ثم يقول- أيضا- فإذا ما اقتربت بأذنك قليلا قليلا، فطقت سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة. فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف و رصفها، و ترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر و ذاك يصفر، و ثالث يهمس، و رابع يجهر، و آخر ينزلق عليه النفس، و آخر يحتبس عنده النفس، و هلمّ جزءا، فترى المجال اللغوي ماثلا أمامك في مجموعة مختلفة مؤلفة، لا كركرة و لا ثثرة، و لا رخاوة و لا معاطلة، و لا تناكر و لا تنافر، و هكذا ترى كلاما ليس بالحضري الفاتر، و لا بالبدوي الخشن، بل تراه و قد امتزجت فيه جزالة البادية و فخامتها، برقة الحاضرة و سلاستها، و قدر فيه الأمران تقديرا لا يبغي بعضهما على بعض. فإذا مزيج منهما كأنما هو عصارة اللغتين و سلاستهما، أو كأنما هو نقطة الاتصال بين القبائل عندها تلتقى أذواقهم، و عليها تألف قلوبهم ٢.

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

المصادر و المراجع:

(١) إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص ١٨١ لمصطفى صادق الرافعي طبعه مكتبة الإيمان للنشر و التوزيع بالمنصورة- الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.

(٢) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ص ١٠١-١٠٤ بتصرف طبعه دار المنار الرابعة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٤٢

## الاستماع عند التلاوة

و من إجلال القرآن و تعظيمه الاستماع له و الإنصات عند تلاوته، لقول الله تعالى: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (سورة الأعراف آية ٢٠٤)، و المعنى: و إذا قرئ القرآن الذي ذكرت خصائصه و مزاياه عليكم فاستمعوا له بتدبر و خشوع، و اصغوا إليه أسماعكم و كل جوارحك لتفهموا معانيه، و تفقهوا توجيهاته، و أنصتوا لقراءته حتى تنقضي تعظيما له، و إكبارا لشأنه، لكي تفوزوا برحمة الله و رضاه.

و لقد كان جماعة من السلف يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنه أن يقرءوا و هم يستمعون، و هذا متفق على استحبابه، و هو عادة الأخيار و المتعبدين و عباد الله الصالحين، و هو سنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقد صح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اقرأ على القرآن». فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك، و عليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمع من غيري». فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً (آية ٤١)، قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان ١.

و بعض العلماء يحمل القراءة في الآية على القراءة خلف الإمام في الصلاة، أى: أن على المؤتمر أن يستمع إلى قراءة الإمام بتدبر و

خشوع، و استدلووا على ذلك بما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا، و إذا قرأ فأنصتوا» ٢. و بعضهم يجعل الآية عامة في وجوب الاستماع إلى قراءة القرآن بتدبر و إنصات و خشوع في الصلاة و في غيرها، و حملوا الأحاديث التي أوردها أصحاب الرأى الأول على العموم- أيضا.

و الذى نراه أن الآية تأمر بوجوب الاستماع و الإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة و في غيرها، لأن تعاليم الإسلام و آدابه تقتضى منا أن نستمع إلى القرآن الكريم بتدبر و إنصات و خشوع ليؤثر تأثيره الشافى فى القلوب، الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٤٣

و ليقودها إلى الطاعة و التقوى فتنال المغفرة و الرحمة. و صدق الله العظيم القائل: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (سورة الأنفال آيات من ٢-٤).

أ. د. السيد إسماعيل على سليمان

المصادر و المراجع:

(١) الحديث: أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ: حسبك. حديث رقم ٥٠٥٠، انظر فتح البارى ٨ / ٧١٢.

و رواه مسلم فى صحيحه حديث رقم ٨٠٠، و أبو داود رقم ٣٦٦٨، و الترمذى رقم ٣٠٢٥.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الصلاة، باب التشهد فى الصلاة ١٤ / ١٥.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٤٤

## الاقْتِباس من القرآن

الاقْتِباس: هو تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا- على أنه منه بأن لا- يقال فيه: قال الله تعالى و نحوه، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا، و قد اشتهر عن المالكية تحريمه و تشديد النكير على فاعله. و أما الشافعية فلم يتعرض له الأقدمون و لا أكثر المتأخرين مع شيوع الاقتباس فى عصورهم، و استعمال الشعراء له قديما و حديثا.

و قد تعرض له جماعة من المتأخرين، فسئل عنه الشيخ عز الدين بن عبد السلام فأجازه، و استدل له بما ورد عن النبى صلى الله عليه و سلم من قوله فى الصلاة و غيرها «و جهت وجهى للذى فطر السموات و الأرض حنيفا و ما أنا من المشركين» ١ و قوله: «اللهم فالتق الإصباح و جاعل الليل سكنا و الشمس و القمر حسبانا اقض عنى الدين و أغنى من الفقر» ٢.

و فى سياق كلام لأبى بكر الصديق رضى الله عنه:

«و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» ٣ و فى آخر حديث لابن عمر- رضى الله عنهما-: «قد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» ٤.

قال السيوطى: «و هذا كله إنما يدل على جوازه فى الشعر و بينهما فرق. فإن القاضى أبا بكر من المالكية صرح بأن تضمينه فى الشعر مكروه، و فى النثر جائز. و استعمله أيضا فى النثر القاضى عياض فى مواضع من خطبة الشفاء. و قال الشريف إسماعيل ابن المقرئ اليمنى صاحب مختصر الروضة فى شرح بديعته ما كان منه فى الخطب، و المواعظ، و مدحه صلى الله عليه و سلم و آل و صحبه، و لو فى النظم فهو مقبول، و غيره مردود. ثم قال:

و الاقتباس ثلاثة أقسام: مقبول، و مباح، و مردود. فالأول: ما كان في الخطب و المواعظ و العهود، و الثاني: ما كان في الغزل، و الرسائل و القصص. و الثالث: على ضربين: أحدهما ما نسبته الله إلى نفسه، و نعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه كما قيل عن أحد بنى مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكايه عماله: «إن إلينا إياهم. ثم إن علينا حسابهم» ٥. و الآخر: تضمين آية في معنى هزل، و نعوذ بالله من ذلك كقوله: الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٤٥ أرخى إلى عشاقه طرفه هيهات هيهات لما توعدون ٦ و ردفه ينطق من خلفه لمثل هذا فليعمل العاملون ٧ قال السيوطي: و هذا التقسيم حسن جدا و به أقول ٨. أ. د. السيد إسماعيل على سليمان المصادر و المراجع:

- (١) هذا مقتبس من سورة الأنعام آية ٧٩.
  - (٢) هذا مقتبس من سورة الأنعام آية ٩٦.
  - (٣) هذا مقتبس من سورة الشعراء آية ٢٢٧.
  - (٤) هذا مقتبس من سورة الأحزاب آية ٢١.
  - (٥) هذا مقتبس من سورة الغاشية آية ٢٥، ٢٦.
  - (٦) هذا مقتبس من سورة المؤمنون آية ٣٦.
  - (٧) هذا مقتبس من سورة الصافات آية ٦١.
  - (٨) انظر: الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٤٧، ١٤٨.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٤٦

## بلاغة القرآن

### الخبر

الخبر في اللغة الإعلام، و معانيه تدور حول اكتساب المعرفة من مصادرها ١. أما معنى الخبر في اصطلاح البلاغيين فهو: القول الذي يحمل الصدق و الكذب لذاته ٢، أى دون النظر إلى قائله. أو هو الكلام الذى له نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها. و الأول تعريف القدماء. و الثانى يجرى كثيرا على ألسنة المحدثين، و فى كتاباتهم. و الخبر له ثلاث نسب، تظهر من تحليل العبارة الآتية، إذا قال قائل: رأيت الهلال الليلة هذه الجملة الخبرية لها نسب ثلاث. الأولى: النسبة الكلامية، و هى: الإخبار برؤية الهلال، و ثبوت رؤيته لحظة فى الأفق. الثانية: نسبة ذهنية، و هى تخيل السامع لهذا الكلام الهلال مرئيا فى الأفق. الثالثة: النسبة الخارجية. و هى كون الهلال مكث لحظة فى الأفق بعد غروب الشمس، فإن كانت هذه النسبة واقعية فعلا فالخبر صادق، لتطابق النسبة واقعية فعلا فالخبر صادق، لتطابق النسبة الخارجية مع النسبة الكلامية.



و إن كان الهلال لم يثبت له رؤية، فالخبر كاذب، لأنه لم يطابق الواقع. وهذا هو معنى عبارة المحدثين أن الخبر ما كان له نسبة خارجية (يعنى خارج الذهن) فإن أراد المتكلم بكلامه مطابقتها فيكون صادقا، أو عدم مطابقتها فيكون كاذبا ٣. والخبر هو شطر اللغة، و الشطر الثاني هو الإنشاء و فيهما تنحصر أساليب الأداء اللغوي، و ليس لهما ثالث. و كلاهما وارد بكثرة في القرآن الكريم، بل كل ما في القرآن، و كل ما في سوى القرآن لا- يخرج عن أسلوبى الخبر و الإنشاء، و سيأتى الحديث عنه. و البلاغيون يجمعون على أن وظيفة الخبر التي أرادها منه واضعو اللغة محصورة في أمرين. الأول: أطلقوا عليه مصطلح «فائدة الخبر» و معناها أن المتكلم يفيد بخبره المخاطب بالخبر معنى جديدا لم يكن له به علم قبل سماعه الخبر. و هذا هو الأصل في

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٤٧

أغراض الخبر، و مثلوا لهذا بعبارات كثيرة، أغلبها أمثلة مصنوعة، مثل: جاء «زيد» خطابا لمن لا يعلم بمجىء زيد. و من أمثلة في القرآن الكريم قوله تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ٤.**

هذه الآية أفادت لأول مرة أن الله أنزل القرآن في ليلة القدر، و لم يكن لدى المخاطبين علم بهذا قبل نزول هذه الآية.

أما الغرض الثاني من الخبر، فيطلق عليه البلاغيون مصطلح «لازم الفائدة» و ضابط هذه الوظيفة: أن يكون المخاطب عالما بمضمون الخبر، و يكون غرض المتكلم إعلام المخاطب بأنه- أى المتكلم- عالم بمضمون الخبر مثله، كقولك لمن يعلم أنه خالدا حضر من سفره:

خالد حضر. فأنت لا تريد إعلامه بحضور خالد، لأنك تعلم أنه يعلم بحضوره و إنما تريد أنك أنت عالم بحضور خالد كما يعلم هو به و من أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى حاكيا ما قاله يعقوب عليه السلام لبنيه: **بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ٥.**

يعقوب عليه السلام لم يرد أن يخبر بنيه بأن أنفسهم سوّلت لهم أمر التخلص من يوسف؛ لأنهم كانوا يعلمون بهذا التسويل أكثر منه. و إنما أراد أن يخبرهم أنه عالم بما حدث معهم لأخيهم يوسف. ففائدة الخبر، و لازم فائدته هما الدالتان اللتان أرادهما واضعو اللغة من الخبر و هما دالتان حقيقتان وضعيتان .. كدلالة: السيف و الرمح على آلتى القتال المعروفتين.

و فى القرآن الكريم- كما فى اللغة بوجه عام- استعمالات لأخبار لا تكاد تحصى فى معان أخرى مجازية، غير فائدة الخبر، و لازم فائدته، تحمل معانى كثيرة يقتضيها المقام فى أغراض شتى. و من ذلك قوله تعالى:

**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِيسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ٦** لم ترد امرأة عمران أن تخبر الله بما لا يعلم فى قولها **إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ** فالخبر هنا لم يستعمل فى الإعلام بفائدة الخبر، و لا فى لازم فائدة الخبر، بل خرج إلى معنى مجازى هو إظهار التحسر على إنجابها أنثى، و كانت تطمح أن تلد ذكرا ليكون خادما فى بيت المقدس الذى لم يكن يقوم بالخدمة فيه إلا الذكور.

و لم ترد أن تخبر الله عز و جل بما لم لا يعلم فى قولها. **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ** بل إن الخبر هنا خرج عن الإعلام بفائدة الخبر،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٤٨

و عن لازم الفائدة، إلى معنى مجازى هو التلطف فى الدعاء و الاستعاذة بالله أن يحفظ المولودة و ذريتها من الشيطان الرجيم.

و منه فى القرآن الكريم قوله تعالى فى شأن اليهود، **وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً**- يعنى الموت- **بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٧.**



خرج الخبر وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ عن الإعلام بفائدة الخبر و لازمها إلى معنى آخر مجازى، هو التهديد و الوعيد لأن علمه - سبحانه - بالظالمين يقتضى عقابه إياهم على ظلمهم.

و منه قوله تعالى حكاية عما قاله فرعون لموسى عليه السلام: وَ فَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ ٨.

لم يرد إعلام موسى عليه السلام بما فعل حين قتل المصرى. و إنما أراد لومه و انكساره بين يديه، و هو معنى مجازى خارج عن الإعلام بفائدة الخبر، و لازم فائدته.

د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

المصادر و المراجع:

(١) المصباح المنير و المعاجم اللغوية - مادة خبر.

(٢) بقية الإيضاح (٢٩) ت - الشيخ عبد المتعال الصعدي.

(٣) المصدر نفسه و الموضح.

(٤) المصدر (١).

(٥) يوسف (١٩).

(٦) آل عمران (٣٦).

(٧) الجمعة (٧).

(٨) الشعراء (١٩).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٤٩

## الإشياء

الإشياء لغة: الإيجاد و التكوين، يقال:

فلان أنشأ قصيدة أى ألفها بعد أن لم تكن ١.

أما فى اصطلاح البلاغيين فالإنشاء هو الكلام الذى يطلب به أمر لم يكن موجودا وقت النطق بالكلام. و هو عندهم ما ليس له نسبة خارجة وقت النطق بالكلام الإنشائي، يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها. و هو ما لا يحتمل الصدق و الكذب: لأن مضمونه لا يقع - أن وقع - إلا بعد النطق بطلبه. و قد يجاب الطلب أو لا يجاب و لذلك فإن الإنشاء ليس له إلا نسبتان من النسب الثلاث التى تقدمت فى مبحث الخبر، بل له نسبتان فقط:

\* النسبة الكلامية.

\* النسبة الذهنية. و قد يعبر عنها بالنسبة العقلية، توضيح هذا فى تحليل العبارة الآتية:

إذا قال قائل لآخر: «أعرنى كتابك». هذه الجملة إنشائية طلب بها أمر لم يكن موجودا ساعة النطق بها و النسبة الكلامية فيها هى:

طلب المتكلم استعارة كتاب المخاطب.

أما النسبة الذهنية (العقلية) فهى التصور ذهنى لعملية إعاره الكتاب، سواء تحققت الإعاره أو لم تتحقق.

هاتان النسبتان يشتركان فى خبر و الإنشاء و ينفرد الخبر بالنسبة الخارجية (الواقعية) و لو فرضا لا تحقيقا، إذا كان الخبر غير صادق ٢ و الإنشاء هو شطر اللغة الثانى بعد الخبر.

و يتكوّن الكلام الإنشائي من عدة أساليب فرعية، هى:

\* الأمر. \* النهي.

\* الاستفهام. \* النداء.

\* التمني. \* الرجاء.

و الأصل في الأمر أن يكون للوجوب، أى وجوب إيجاد شيء لم يكن له وجود ساعة النطق بفعل الأمر. مثل قوله تعالى:

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ٣

مضمون الأمر وَقَاتِلُوا هو الوجوب و الأصل في النهي أن يكون لطلب الكف عن شيء على وجه الجزم، و مثله قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ٤.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٥٠

و الأصل في الاستفهام أن يكون لإعلام المستفهم أمراً هو يجهله. و مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم:

أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا ٥.

و الأصل في النداء أن يكون لطلب الإقبال المادى الحسى و مثاله في القرآن الكريم قول الله لموسى عليه السلام: يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا

تَخَفْ ٦.

و الأصل في التمني أن يكون لطلب المستحيل أو ما فيه عسر، و مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى حكاية عما يقوله الكافر يوم

القيامة: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ٧.

و الأصل في الرجاء أن يكون لطلب الممكن المحبوب. و مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام لأهله:

إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ٨.

هذا هو الأصل في استعمال هذه الأساليب اللغوية لكن بلاغة القرآن المعجز استعملتها في معان مجازية أخرى يضيق المقام عن

ذكرها، و قد كتبت فيها مجلدات دون الإحاطة بها ٩.

و ما لا يدرك كله لا يترك كله لذلك نكتفي بأمثلة يسيرة من الأربعة أساليب المذكورة.

فالأمر و النهي يستعملان في ما يقرب من خمسة و عشرين معنى مجازياً.

كالتعجيز المستعمل فيه الأمر في قوله تعالى مخاطباً منكرى البعث:

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ١٠.

و الإهانة في قوله تعالى:

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ١١.

و الإرشاد المستعمل فيه النهي في قوله تعالى:

وَلَا تَسْمُمُوا أَنْ تُكْتَبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ١٢.

و الدعاء المستعمل فيه النهي في قوله تعالى:

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ١٣.

و الالتماس المستعمل فيه النهي في قوله تعالى حكاية عن قول هارون لموسى عليهما السلام:

يَا بْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ١٤.

و غير ذلك كثير و كثير، استعمل فيه (القرآن) أسلوبى الأمر و النهي في معان

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٥١

مجازية، مفعمة بالإيحاءات البيانية، لإقرار الحق و إظهاره، و دحض الباطل و التنفير منه.

و أكثر الأساليب الإنشائية خروجاً عن معانيها اللغوية إلى معان مجازية في القرآن الكريم هو الاستفهام، وقد ورد منه أكثر من ١٢٦٠ صورة، في القرآن الكريم وكان له شأن عظيم في نصرته الحق و تجليته، و دحر الباطل و محوه، و المعاني المجازية التي خرج إليها لا تكاد تحصى، و صورته في القرآن قسماً.

قسم صادر عن الله عز و جل، غير محكى عن غيره. و هذا القسم كل صورته مجازية؛ لأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فهو منزّه عن أن يستفهم طالبا فهم ما لم يفهمه.

و قسم صادر عن غيره و حكاه القرآن.

و هذا القسم لا تكاد ترى فيه استفهما حقيقيا إلا نادرا.

و من صور الاستفهام الصادرة عن الله ما يأتي أ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ١٥. و المعنى المجازى الذى خرج إليه هو إظهار فضل الله و تكريمه لمحمد صلى الله عليه و سلم.

فَهَلْ أُنْتُمْ مُتَّبِعُونَ ١٦. و المعنى المجازى الذى خرج إليه هو: الأمر، أى: انتهوا.

فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ١٧.

و المعنى المجازى الذى خرج إليه هو: التقرير.

فَأَيْنَ تَدْعُهُمْ ١٨. و المعنى المجازى الذى خرج إليه هو: التعجيز و إقامة الحجة لله على العباد.

و لَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ١٩. و المعنى المجازى الذى خرج إليه هو الحث و الترغيب.

و مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ٢٠. و المعنى المجازى الذى خرج هو إيناس موسى عليه السلام.

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ٢١.

و المعنى المجازى الذى خرج إليه هو الإنكار على المخاطب.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٢. و المعنى المجازى الذى خرج إليه هو التسوية.

أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ٢٣.

و المعنى المجازى الذى خرج إليه هو التقرير و الإنكار معا بحسب جملة الاستفهام.

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ٢٤.

و المعنى المجازى الذى خرج إليه هو التعجيب.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٥٢

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ٢٥. و المعنى المجازى الذى خرج إليه هو التهويل. الخ.

أما النداء فهو من الأساليب الإنشائية الكثيرة الشيع في القرآن الكريم. و له ما للاستفهام من دور جليل الشأن في أداءات البلاغة القرآنية، و قل أن تجد فيه نداء غير مستعمل في المعاني المجازية، التي يقتضيها المقام.

و قد بلغت الأصناف التي نوديت في القرآن أكثر من خمسة عشر صنفا شملت العاقل و غير العاقل.

و من نداءات العاقل في القرآن الكريم:

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ و هو أشرف نداءات القرآن الكريم و مثله يا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثم مناداة الرسل المفردة يا إِبْرَاهِيمُ- يا نُوحُ- يا عِيسَى.

و يلي هذا النداء في الشرف:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا- يا عِبَادِي

و من نداء غير العاقل في القرآن الكريم قوله تعالى:

يا جِبَالُ .. ٢٦

يا أَرْضُ ... يا سَمَاءُ ٢٧

يا أَيُّهَا النَّمْلُ ٢٨

و المنادى في القرآن الكريم باعتبار لفظه أربعة مجموعات ٢٩:

الأولى: نداء أفراد، مثل: يا آدم، يا إبراهيم، يا موسى.

الثانية: نداء مثني، و هو نادر، مثل: يا صاحبي السجن.

الثالثة: نداء جماعات مخصوصه، مثل:

يا قوم- يا أيها الذين آمنوا، يا أيها الملأ، يا أيها الذين هادوا.

الرابعة: نداء جماعات عامة شامله، مثل:

يا أيها الناس، يا بني آدم.

و لكل مجموعة من هذه المجموعات الأربعة غرض خاص يناسب نداءها في دقة و إحكام.

فمثلا يا أَيُّهَا النَّاسُ يأتي عقب نداءها أمر عام يشمل جميع أفراد المنادى. كما جاء في مطلع سورة «النساء»

يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ لَأَنَّ الْمُخَاطِبِينَ بِالنِّدَاءِ - هنا- ينطبق عليهم هذا الوصف أعني الخلق من نفس

واحدة.

و كذلك ما جاء في مطلع سورة الحج: يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٥٣

أَرْضَعَتْ فإلناس كلهم مطالبون بتقوى الله (التكليف) و هم كلهم سيرون أهوال القيامة أما نداء الذين آمنوا فلا يأتي بعده إلا أمر

خاص بالإيمان، و تابع له. مثل قوله تعالى في مطلع سورة «الحجرات»

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

فالتزام الأدب و الإذعان بين يدي الله و رسوله أمر خاص بالمؤمنين.

و نداءات القرآن، و بخاصه ما كان صادرا عن الله عز و جل، خرجت إلى معنى مجازي غير طلب الإقبال المادي الحسى. و هذا هو

مكمن البلاغه في نداءات القرآن الكريم.

فمثلا- قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ المراد منه الإقبال الذهني المعنوي. لتنفرد أنفس المنادين من

كل الشواغل لتلقى ما يتلى عليها فتعيه أكمل و عى. و هكذا كل معاني القرآن الكريم من نداءات.

د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

المصادر و المراجع:

(١) اللسان و المعاجم اللغوية. مادة: نشأ.

(٢) البلاغه الواضحة (مبحث الخبر) حامد عونى و بقيه الإيضاح.

(٣) البقرة (١٩٠).

(٤) آل عمران (١٣٠).

(٥) الأنبياء (٦٢).

(٦) القصص (٣١).

(٧) النبأ (٤٠).

- (٨) طه (١٠).
- (٩) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم. مكتبة وهبة.
- (١٠) الإسراء (٤٩).
- (١١) الدخان (٤٩).
- (١٢) البقرة (٢٨٢).
- (١٣) البقرة (٢٨٦).
- (١٤) طه (٩٤).
- (١٥) الشرح (١).
- (١٦) المائدة (٩١).
- (١٧) يونس (٣٢).
- (١٨) التكوير (٢٦).
- (١٩) القمر (١٧).
- (٢٠) طه (١٧).
- (٢١) البقرة (٢٥٥).
- (٢٢) البقرة (٦).
- (٢٣) الصافات (٦٢).
- (٢٤) الفرقان (٤٥).
- (٢٥) الفيل (١). الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٤٥٣ الإنشاء ..... ص : ٤٤٩
- (٢٦) سبأ (١٠).
- (٢٧) هود (٤٤).
- (٢٨) النمل (١٨).
- (٢٩) عبد المتعال الصعدي.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٥٤

## الإطناب

من معانى الإطناب فى اللغة: الإكثار و التّطويل، و المبالغة فيما أخذ فيه المرء، و مثله الإسهاب. أما اصطلاح علماء المعانى، فإن ما قالوه فى الإطناب لا- يخرج عن معانيه فى اللغة، التى تدور حول كثرة الكلام باعتبار المقام الوارد فيه الكلام، و المعانى التى تراد منه، لا مجردا عن هذه القيود.

فالإطناب- عموما- المبالغة فى النطق و الوصف، مدحا كان أو ذما، و أطنب فى الكلام بالغ فيه و أطنب فى الوصف إذا بالغ و اجتهد. و أطنب فى الكلام أيضا إذا أبعد. و أطنب الإبل إذا اتبع بعضها بعضا ١.

و الإطناب فى الاصطلاح البلاغى له اعتبارات و خصوصيات تميزه عن مفهوم الإطناب بالمعنى اللغوى العام.

فالمعنى اللغوى يعتمد على مقياس الزمن الذى يستغرقه الكلام طولا و قصرا. أما فى الاصطلاح البلاغى فإن منزع الإطناب يحصل من المقارنة بين الكلام و بين المعانى المرادة منه، سواء طال زمن الكلام أو لم يطل.

لذلك فإنهم فرّعوا على تعريفهم للإطناب صورا ذوات خصوصيات دقيقة، و معايير فنية محددة أما تعريف الإطناب عندهم، فقد عرفه الإمام أبو يعقوب السكاكي بقوله: «هو تأدية المعنى بأكثر من متعارف الأوساط» ٢.

و يقصد ب «متعارف الأوساط» الحديث اليومي الذي يجرى بين الناس في تعاملاتهم، و هو عنده لا يمدح ولا يذم ٣. و في الواقع نجد الإطناب أحد أوصاف ثلاثة للكلام عموما:

فهو إما أن يكون اللفظ مساويا لمعناه وإما أن يكون اللفظ ناقصا عن معناه غير مخل وإما أن يكون اللفظ زائدا على معناه لفائدة و عرفه ابن الأثير ممثلا له فقال.

«هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ٤» و قال: إن الإطناب يكون بالحقيقة، و يكون بالمجاز، مثل: «ذقته بقمي» فإن كلمة «بقمي» إطناب لأن الإذاقة لا تكون إلا بالقم.

و أما الزيادة (الإطناب) بالمجاز فكقوله تعالى: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ٥. لم يبين ابن الأثير جهة التجوز التي حصل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٥٥

بها الإطناب و لعله أراد أن الاستدراك في وَ لَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ أن في الصُّدُورِ إطناب، لأن المعروف أن القلوب لا تكون إلا في الصدور، فإن كان هذا فقد جانبه الصواب؛ لأن هذه العبارة لا مجاز فيها.

و إن أراد إثبات عمى القلوب، فهو مجاز حقا، و لكن الجملة الاستدراكية، هذه ليست إطنابا، لأنها أدت معنى جديدا كل الجدة. و من صور الإطناب في القرآن الكريم قوله تعالى: قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى ٦. جاءت هذه العبارة جوابا عن سؤال الله موسى عليه السلام- و هو أعلم-: وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى و قد تحقق الجواب بقوله: هِيَ عَصَايَ و كان يكفي أن يقول عَصَايَ بدون ذكر هِيَ و بدون ذكر أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى. و بلاغة هذا الإطناب أن موسى عليه السلام زادت رغبته في التمتع بحديثه مع الله عز و جل. و من صور الإطناب في القرآن الكريم- كذلك قوله تعالى:

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧.

لأن كلمة المُسْتَقِيمِ كافية في بيان المراد فجاء ما بعدها إطنابا، و بلاغة هذا الإطناب شدة الرغبة في مقام المناجاة و الدعاء في حضرة الله عز و جل، و التلذذ بخطابه.

هذا. و الإطناب جنس عام في بابه. تندرج تحته صور عدة، لكل صورة منها اسم خاص بها، و ضوابط تميزها عن نظيراتها، و معان بلاغية يقصدها البلغاء منها و مقامات تقتضى استخدام تلك الصور صورة صورة.

يأتي الحديث عنها تباعا في الآتي.

أ. د. / عبد العظيم إبراهيم المطعني

الهوامش:

(١) اللسان، ترتيب القاموس، مادة: طنب.

(٢) مفتاح العلوم (١٣٢).

(٣) شرح التلخيص (١٥٩ / ٢) و ما بعدها.

\* الطول (٢٨٢).

\* الأطول (٣٢ / ٢).

\* التلخيص (٢٠٩).

(٤) المثل السائر (٢/ ١٢٨ / ١٥٩).

(٥) الحج (٤٦).

(٦) طه (١٨).

(٧) فاتحة، الكتاب (٦-٧).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٥٦

**التميم**

التميم فن بديعي، و صورة من صور الإطناب كالاغراض، و التذييل و الإيغال، و معناه في اللغة زيادة الناقص ليكون تاما ١. أما في اصطلاح البلاغيين فله عدة تعريفات و ضوابط و قد سماه قدامة بن جعفر ب «التمام ٢» و سماه الحاتمي و آخرون ب «التميم ٣» و هو ما عليه جمهور البلاغيين ٤.

و سماه أبو هلال العسكري: التميم و التكميل، و غيره من البلاغيين لا يخلطون بين التميم و التكميل، بل لكل منهما معنى خاص به. ثم عرفه قائلا: و هو أن توفى المعنى حقه، و تعطيه نصيبه من الصحة. ثم لا تغادر معنى فيه تمامه ألا تورده، أو لفظا يكون فيه توكيده ألا تذكره» و عرفه ابن أبي الأصبع فقال ٥:

«أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته، أو في صفاته.

و إن كان من الموزون نقص وزنه مع معناه، فيكون الإتيان بها- أي بالكلمة المسماة تميما- لتمام الوزن و المعنى معا» ٦.

و قد أخذ هذا التعريف و عدله ابن حجة الحموي في القرن الثامن الهجري فقال:

التميم هو «الإتيان في النظم و النثر بكلمة، إذا طرحت من الكلام نقص حسنه و معناه، و هو على ضربين:

ضرب في المعاني، و ضرب في الألفاظ.

فالذي في المعاني هو تميم المعنى.

و الذي في الألفاظ هو تميم الوزن، و المراد هنا تميم المعنى. و يجيء- أي التميم عموما- للمبالغة و الاحتياط كقول طرفة:

فسقى ديارك- غير مفسدها- صوب الغمام و ديمة تهمي» ٧ فالتميم يرد في النثر و الشعر معا.

و موضعه في هذا البيت هو عبارة (غير مفسدها) و هي جملة حالية المراد منها الدعاء.

و من أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى:

مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ٨.

«فقوله مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى تميم، و قوله وَ هُوَ مُؤْمِنٌ تميم ثان و بهذين التميمين تم الكلام و جرى على الصحة» ٩.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٥٧

و منه قوله تعالى:

وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشَكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا ١٠

فقوله تعالى عَلَىٰ حُبِّهِ «هو تميم للمبالغة التي تعجز عنها قدرة المخلوقين» ١١.

و الضمير في حُبِّهِ يجوز عوده على الطعام، أي يطعمون الطعام مع شدة اشتهاهم إياه. و حاجتهم إليه لما بهم من جوع.

و يجوز عوده على «الله» عز و جل، أي يطعمون الطعام لا رياء و إنما على حب الله عز و جل. و يرجح هذا قوله بعد الآية المتقدمة.

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُورًا وَ من التميم في القرآن الكريم قوله تعالى: وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ

اللَّهِ وَ مَا كَانَ مُنْتَصِرًا ١٢.

فقوله تعالى: وَ مَا كَانَ مُنْتَصِرًا تميم؛ لأن ما قبله إعلام بأن المتحدث عنه مقطوع عنه سبب النصر من خارج نفسه، وهذا لا يمنع أن يكون هو قادرا على نصر نفسه، فلما قال: وَ مَا كَانَ مُنْتَصِرًا تم المعنى المراد من جهتين:

الأولى: نفى نصر الأعوان.

الثانية: نفى نصر نفسه.

إذن، فلا هو منصور بأعوانه، ولا منصور قطعاً سواء كان له أعوان، أو لم يكن.

و منه قوله تعالى:

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا .. ١٣

فكل من: يمشون بها- يبتطشون بها- يبصرون بها- يسمعون بها .. من صور التميم، لأن المراد من الاستفهام فى المواضع الأربعة النفى، أى لا أرجل لهم، ولا أيدى لهم، ولا أعين لهم، ولا آذان لهم، و نفى وظائف هذه الأعضاء وإن كان مفهوماً من نفى الأعضاء، فإن ذكر ما يختص بكل عضو منها تم المعنى و حسنه.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

المصادر و المراجع:

(١) اللسان، و ترتيب القاموس، مادة: تم.

(٢) نقد الشعر (٤٩).

(٣) حلية المحاضرة (١/١٥٣).

\* المطول (٢٩٦).

\* الأطول (٢/٤٧).

(٤) شروح التلخيص (٣/٢٣٥) مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٣ هـ.

\* معترك الأقران (١/٢٦٩) دار الفكر العربى - القاهرة.

(٥) الصناعتين (٣٠٨) مطبعة محمود بك الآستانة ١٣٧٧ هـ.

(٦) بديع القرآن المجيد (٤٥) دار نهضة مصر - القاهرة ط أولى (١٩١٩ هـ).

(٧) خزانه الأدب (١/٢٧١) ط. أولى. دار و مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٧ م.

(٨) النحل (٩٧).

(٩) بديع القرآن (٤٦).

(١٠) الإنسان (٨).

(١١) خزانه الأدب (٢٧٣).

(١٢) الكهف (٤٣).

(١٣) الأعراف (١٩٥).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٥٨



الذيل في اللغة هو آخر الشيء، مأخوذ من ذيل أو ذنب الحيوانات ذوات الأربع، والحشرات الزاحفة، و ذيل فلان ثوبه، أى طوله و جعل له ذيلًا ١.

أما تعريفه في اصطلاح علماء المعاني، فقد قال فيه أبو هلال العسكري:

«التذييل في الكلام موقع جليل، و مكان شريف خطير لأن الحق يزداد به انشراحا، و المقصد اتصاحا و قال بعض البلغاء للبلاغه ثلاثة مواضع:

الإشارة و التذييل و المساواة... فأما التذييل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه، و يؤكد عند من فهمه... و ينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة، و المواقف الحافلة لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم، و البعيد الذهن، و الثاقب القريحة، و الجيد خاطر.

فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد، تأكد عند الذهن اللقن (الذكي) و صح للكليل البليد» ٢.

و ذكر ابن حجة الحموي تعريفا للتذييل ارتضاه البلاغيون من قبله و من بعده، و هو:

«أن يذيل الناظم أو الناثر كلاما بعد تمامه و حسن السكوت عليه، بجملة تحقق ما قبلها من الكلام و تزيده توكيدا، و تجرى مجرى المثل بزيادة التحقيق؟؟» ٣.

يعنى أن التذييل صورة من صور الإطناب لأنه يفيد تقرير معنى ما قبله و تزيده وضوحا و موقف البلاغيين - عموما - لم يختلف عما ذكره الحموي من مفهوم التذييل ٤.

و التذييل كثير الورد في القرآن الكريم، في فواصل الآيات، التي هي معاهد المعاني فيها.

و كان البلاغيون قد قسموا التذييل قسمين:

أحدهما ما يجرى مجرى المثل.

و الثاني، ما لا يجرى مجرى المثل، و كلاهما ورد في القرآن الكريم.

فمن القسم الأول قوله تعالى:

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ٥.

فالجمله الأخيرة إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا هي التذييل. فيها تقرير و توكيد لمعنى الكلام الذى قبلها. و هي جارية مجرى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٥٩

المثل. و معنى جريانها مجرى المثل، أنه يصح ذكرها في المقام الذى يستدعيها، دون افتقارها إلى الاعتماد على ذكر ما قبلها.

و منه قوله تعالى:

ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ٦ فجملة وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ تزييل مؤكد و مقرر لمعنى ما قبلها ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا و هو جار مجرى المثل السائر، فيقال: وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ - دون أن يفتقر إلى ما قبله.

و قد يأتى التذييل في القرآن الكريم في غير الفواصل و منه قوله تعالى:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَ وَعِدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَ الْبِئْسَ لِلظَّالِمِينَ خَلْدًا وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّتِي بَاعْتُمْ بِهَا أَنْفُسَكُمْ الَّتِي بَاعْتُمْ بِهَا أَنْفُسَكُمْ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٧ في هذه الآية تذييلان:

الأول: وقع في درج الكلام لا في الفاصله، و هو وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ.

و الثاني: وقع في الفاصله وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و في كلا التذييلين تقرير لمعنى ما تقدم عليه، و توكيد له.

و من التذييل في القرآن الكريم قوله تعالى:

وَ مَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ٨.

لأن في الآية الأولى وَ مَا جَعَلْنَا لِيَشْرَ مِنْ قَيْلِكَ الْخُلْدَ حكما عاما شاملا لزوال كل البشر، فجاءت الآية الثانية: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ مؤكدة لذلك المعنى، ومقررة له. و هي ليست فاصلة بل هي آية قائمة بذاتها. فمجيء التذييل في الفواصل أغلب لا مطرد.

و هو تذييل جار مجرى المثل، لصحة ترديده دون الافتقار إلى ما قبله.

و من التذييل غير الجارى مجرى المثل قوله تعالى: وَ لَوْطاً آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ٩.

فقوله إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ تذييل غير جار مجرى المثل، مؤكدا لمعنى الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ومقررة له و هو كثير فى فواصل الآيات.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى  
الهوامش:

(١) اللسان، و ترتيب القاموس، مادة: ذيل.

(٢) الصناعتين (٢٩٤).

(٣) خزائن الأدب (١ / ٢٤٢).

\* المطول (٢٩٤) \* الأطول (٢ / ٤٥) \* شرح عقود الجمال (٧٤).

(٤) شروح التلخيص (٣ / ٢٣٥).

(٥) الإسراء (٨١).

(٦) سبأ (١٧).

(٧) التوبة (١١١).

(٨) الأنبياء (٣٤).

(٩) الأنبياء (٧٤).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٦٠

## التكرار

التكرار فى اللغة تدور معانيه حول الإعادة، و يكون فى الأفعال كتكرار الزيارة و نحوها، و يكون فى الأقوال و هو إعادة الكلمة، أو الكلام مرتين أو أكثر، و هو المقصود لنا هنا؛ لأن التكرار فن يمارسه المتكلمون كثيرا فإذا دعت إليه حاجة، كان حسنا مقبولا، و إذا لم تدع إليه حاجة، و لم يفد فائدة جديدة كان عيبا مذموما و هو من الأساليب الشائعة فى اللغة العربية، و فى غيرها من اللغات.

و قد عرّفه الفراء العالم اللغوى بقوله:

«و الكلمة قد تكررهما العرب على التخليط و التخويف ١» و سماه أبو عبيدة مجاز التكرار ٢.

و عرض له الإمام الخطابى فقال:

«تكرار الكلام على ضربين:

مذموم و هو ما كان مستغنيا عنه، غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفد من الكلام الأول، لأنه حينئذ يكون فضلا- يعنى فضلا- من القول و لغوا، و ليس فى القرآن شىء من هذا النوع.

والضرب الآخر- يعنى الممدوح- ما كان بخلاف هذه الصفة، فإن ترك التكرار فى الموضوع الذى يقتضيه و تدعو الحاجة إليه، فيه إخلال بالبلاغة، مثل تكلف الزيادة فى وقت الحاجة إلى الحذف و الاختصار، و إنما، يحسن فى الأمور المهمة، التى قد تعظم العناية بها، و يخاف بتركه وقوع الغلط و النسيان فيها، و الاستهانة بقدرها» ٣.

و هو من الأساليب التربوية، لأن الكلام إذا تكرر تقرر فى الذهن.

وقد ورد التكرار فى القرآن الكريم بكثرة لخدمة المعانى و توكيدها، و لوروده فى القرآن دواعى بلاغية متفاوتة، و مزايا فنية أسرة. و له صور يأتى فيها منها:

\* تكرر الأداة مثل «إن» و «ثم»

\* تكرر الكلمة، مثل «أولئك».

\* تكرر الجملة، مثل فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرِي.

\* تكرر الأوامر و النواهي، فى العبادات و المعاملات و غيرها.

\* تكرر القصة ٤.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٦١

و لم يخل موضع واحد من مواضع التكرار فى القرآن الكريم من فائدة عظيمة، و سر بلاغى من أجله كان التكرار، من ذلك:

\* تأكيد الإنذار فى قوله تعالى:

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٥.

\* تأكيد الإنكار، مثل قوله تعالى: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

وقد تكررت هذه العبارة فى سورة الرَّحْمَنُ واحدة و ثلاثين مرة، بعد تعديد نعم الله على الثقلين الإنس و الجن و مع كثرة تكرارها تجد لها حلاوة فى السمع، و وقعا فى النفس، و حياة فى القلب.

\* تأكيد التعجب من صنع الله عز و جل بالمكذبين الضالين فى قوله عز و جل:

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرِي ٦.

\* تأكيد التنبيه و زيادته، كما فى قوله تعالى:

وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ٧.

كرر يا قوم مؤكدا لهم هدايته إليهم سبيل الرشاد و قد تضمن هذا التكرار الإشارة إلى فناء الدنيا و فناء ما فيها من لذائذ و مشتبهات.

و قد يكرر اللفظ لطول الكلام مع زيادة التوكيد كما فى قوله تعالى:

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ٨.

فقد تكرر فى هذه الآية العبارات الآتية:

إِنَّ رَبَّكَ وَ قد تقدمت فى صدر الآية.

بَعْدِهَا وَ قد تقدم عليها قوله مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أفاد هذا التكرار فائدتين:

الأولى: تكرر التأكيد، و من دواعى التأكيد مقامات الوعد و الضمان.

الثانية: طول الفصل بين «إن» و اسمها، و بين خبرها، و هو لَغُفُورٌ رَحِيمٌ.

\* و قد يأتى التكرار لتفطيع و تهويل ما اقترفه المتحدث عنهم، كما فى قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدادوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَ لَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ٩.

هذا التكرار المتواصل فى الآية، فيه تفطيع لما كان يقترفه المنافقون من التذبذب بين الإيمان و الكفر، ثم إثارة الكفر على الإيمان

في عاقبة أمرهم في الحياة الدنيا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٦٢

أما التكرار في القصة القرآنية فأسراره البلاغية لا تحصر، و يكفي أن نشير إلى ملامح عامة جاء التكرار في إطارها. فأولاً: لم تكرر قصة في موضعين أو أكثر على نمط واحد قط.

و ثانياً: يتراوح تكرار القصة القرآنية بين الطول و القصر.

و ثالثاً: كل صورة ترد عليها القصة المكررة تحمل جديداً في الصياغة و المعنى لم يرد في غيرها.

و رابعاً: كل نمط من أنماط التكرار مناسب للمقام الذي ورد فيه.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

المصادر و المراجع:

(١) معانى القرآن الكريم للفراء (٣/ ٢٨٧) و ينظر (١/ ١٧٧).

(٢) مجاز القرآن (١/ ١٢).

(٣) بيان إعجاز القرآن الكريم (٤٧) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ط: دار المعارف - القاهرة. الطبعة الرابعة.

(٤) خصائص التعبير في القرآن الكريم و سماته البلاغية (القسم الأول) مكتبة وهبة - القاهرة.

(٥) التكاثر (٣-٤).

(٦) القمر (١٦).

(٧) غافر (٣٨-٣٩).

(٨) النحل (١١٩).

(٩) النساء (١٣٧).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٦٣

## التكميل

التكميل صورة أخرى من صور الإطناب، قريب الشبه بالإيغال و التتميم، و لقرب التشابه بينها يمكن أن يصلح مثال واحد للاستشهاد على كل منها.

و التكميل لغة زيادة الشيء حتى يبلغ النهاية، و الكامل ضد الناقص و فوق التام.

فالشيء يكون ناقصاً، ثم يصير بعد النقص تاماً، ثم يصير كاملاً بحيث لا يقبل الزيادة ١.

أما تعريف التكميل في اصطلاح البلاغيين، فتتعدد عباراته و يتقارب أو يتوحد معناه، و من تلك التعريفات عزّفه الباقلاني فقال:

«و من البديع التكميل و التتميم، و هو أن يؤتى بالمعنى الذي بدأ به بجميع المعانى المصححة المتممة لصحته المكمله لجودته من غير

أن يخل ببعضها، و لا أن يغادر شيئاً منها» ٢.

و قال التبريزي:

«التكميل أن يذكر الشاعر المعنى، فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته، و تكمل شيئاً إلا أتى به ٣» أما ابن أبي الأصبغ فعرفه بقوله:

«أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معانى المدح أو غيره من فنون الشعر و أغراضه، ثم يرى مدحه و الاقتصار على ذلك المعنى

فقط غير كامل فيكملة بمعنى آخر» ٤ و قال الخطيب القزويني:

«الإطباب بالتكميل أو الاحتراس هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه...» ٥ و هذا التعريف هو أوجز هذه التعريفات و أحكمها و قد قسم فيه التكميل قسمين، فقال:

«و هو ضربان: ضرب يتوسط الكلام كقول طرفه:

فسقى ديارك - غير مفسدها - صوب الربيع و ديمة تهمة

و ضرب يقع في آخر الكلام، كقوله تعالى:

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ٦.

ثم قال مبينا موضع التكميل:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٦٤

«فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لفهم أن ذلتهم لضعف، فلما قال:

أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ علم أنها تواضع منهم لهم. و من أمثله في القرآن الكريم، و لم يذكرها الخطيب قوله تعالى:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ٧.

و هذا عكس الأول. لأن فيه استدراكا من ضعف أما هذا ففيه استدراك من قسوة، لأنه لو لم يذكر رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ لوقع في بعض

النفوس وهم أنهم قساة في التعامل. و لكن لما قال: رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ علم أن مبعث شدتهم هو عدم موالانهم لأهل الكفر و بخاصة أن

الكفار في عصر نزول القرآن كانوا شديدي القسوة على المؤمنين، فعاملهم المؤمنون بالمثل.

و يجوز أن يكون التكميل هو الأول، فيكون من الاستدراك من الضعف، يعني أنهم يستعملون الشدة في مواضع الشدة، و يستعملون

اللين في مواضع اللين.

و قال ابن أبي الأصبغ: «و من أحسن ما جاء في هذا الباب و أنصعه قوله تعالى:

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ٨.

قال: «فإن المعنى قد تم عند قوله:

ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ لكن يبقى على ظاهر الآية إشكال من جهة أن الضعيف إذا سمع قوله بعد حكاية التكذيب لنبه أمر نبيه أن يقول: إن

ربهم ذو رحمة واسعة، مقتصرًا على ذلك، يتوهم أن رحمته لسعتها ربما شملت من كذب نبيه، فاحترس من هذا الاحتمال، بما جاء به

مكملا للمدح بالانتقام من الأعداء، كما يمدح - يعني الله - بالرحمة للأولياء فقال:

وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ فجعل الوعيد للمكذبين، بعد تقديم الوعد للمصدقين، فإن البلاغة توجب أن تكون الرحمة

الموصوفة بالسعة للمحسنين ليقابل ذلك قوله:

وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ٩

و هذا توجيه سديد، و فهم ثاقب لدقائق كتاب الله العزيز، و روائع أسراره.

و بمثل هذا التوجيه السديد و وجه المؤلف قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ

قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ١٠ قال:

فإن التكميل أتى في هذه الآية بعد صحة التقسيم لأن الكذب .. على قسمين:

قسم مطلق، و قسم مقيد، فالمطلق قوله

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٦٥

تعالى وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا و المقيد قوله تعالى: أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ .. ثم المقيد أيضا على قسمين

في هذه الآية:

قسم كذب الكاذب فيه على الله سبحانه، وقسم كذب الكاذب فيه على نفسه:  
فَالأُولَ الْأُوْحَىٰ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَ الثَّانِي قَوْلُهُ سَيَأْتِيكَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَوْ وَقَعَ الْاِقْتِصَارُ عَلَى قَوْلِهِ أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ  
إِلَيْهِ شَيْءٌ لَكَانَ الْمَعْنَى الْمُرَاد تَامًا ..

لكن الله كمله بقوله: وَ مَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ١١.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

المصادر و المراجع:

(١) اللسان، و ترتيب القاموس، مادة: كمل.

(٢) إعجاز القرآن الكريم (١٦٠) طبعة قديمة.

(٣) الوافى (٣٧٤).

(٤) بديع القرآن (١٥١).

(٥) الإيضاح (٢٠٢) طبعة قديمة.

(٦) المائدة (٥٤).

(٧) الفتح (٢٩).

(٨) الأنعام (١٤٧).

(٩) بديع القرآن (١٤٤).

(١٠) الأنعام (٩٣).

(١١) بديع القرآن (١٤٥).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٦٦

## الاعتراض

من معانى الاعتراض فى اللغة الإعاقه و الدفع، يقال اعترضه و عرض له: وقف فى طريقه، و منعه من التقدم، و أعرض عنه:

انصرف عنه، و عرّضه: جعله عرضة لكذا، و اعترض كذا: حال دونه ١.

و قد أكثر الأدباء و النقاد فى تعريفه، و فى تحديد معناه. و أوردوا فيه ما لم يوردوه فى فنون القول:

فبعضهم يسميه التفاتا. قال الحاتمى عن الالتفات: و قد سماه قوم الاعتراض ٢.

و نحا ابن رشيق هذا المنحى ٣.

أما ابن المعتز فكان أقرب القدماء إلى تحديد هذا المعنى إذ قال:

«و من محاسن الكلام و الشعر أيضا:

اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه، ثم يعود إليه فيتمه فى بيت واحد» ٤.

و استشهد عليه ببيت كثير عزة:

لو أن الباخلين - و أنت منهم - رأوك تعلموا منك المطالا و الاعتراض فى بيت كثير حصل بجمله:

«و أنت منهم» حيث جاءت معترضه بين كلامين متصلين معنى، و هما:

لو و أن و اسمها، ثم جواب لو، و خبر أن.

و أصل الكلام: لو أن البخلاء رأوك تعلموا منك البخل و المراد من هذا الاعتراض العتاب و الشكوى من الحبيبة إليها. و فى القرن السادس الهجرى حسم الخطيب القزوينى الأمر فوضع للاعتراض تعريفا جامعاً مانعاً، قال فيه: «هو أن يؤتى فى أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر، لا محل لها من الإعراب لنكتة» ٥ و تابعه عليه من جاء بعده من البلاغيين، و منهم شراح التلخيص ٦.

و الاعتراض من الفنون البلاغية التى كثر ورودها فى القرآن الكريم، و أريد منه معان غاية فى الروعة و الإحكام. و من ذلك قوله تعالى: إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٦٧

فَتَبَلَّ مَنِيَّ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٧.

فجملة و الله أعلم بما وضعت من كلام الله الخالص لا من كلامه المحكى عن امرأة عمران. و هى جملة اعتراضية، و سرها البلاغى الذى جىء بها من أجله دفع توهم غير المراد، حتى لا يقع فى فهم أحد أن قول امرأت عمران: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ إخبار منها لله بأمر هو لا يعلمه - حاش لله - بل إنها تعتذر إلى الله و تتحسر على عدم استطاعتها الوفاء بنذرهما؛ لأنها نذرت أن تهب ما فى بطنها لخدمة بيت المقدس و الذى يصلح لتأديته هذه الخدمة الذكور دون الإناث. و قوله عز و جل:

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ٨.

أصل الكلام هنا: إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله... و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون و لو لم تأت الجملة الاعتراضية بين نشهد أنك لرسول الله و بين و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون لتوهم متوهم، أو لادعى مترندق أن الله - سبحانه كذب قول المنافقين أن محمدا صلى الله عليه و سلم رسول الله. و أن فى هذا نفى أن يكون محمد صلى الله عليه و سلم رسولا من عند الله.

و لدفع ذلك التوهم، و قطع طرق ادعاء المترندقين جىء بهذه الجملة الاعتراضية و الله يعلم أنك لرسول الله و قد تحول بها قول الله تعالى:

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ إِلَىٰ فَضْحِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، و أنهم يقولون بألسنتهم ما لم تعتقد قلوبهم.

أى هم كاذبون فى شهادتهم، لا من حيث أن محمدا صلى الله عليه و سلم ليس رسولا من عند الله - و لكن من حيث أنهم لا يؤمنون بهذه الرسالة، التى أثبتها الله لمحمد بأقطع البراهين ٩.

و قوله تعالى: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٦٨

سُبْحَانَهُ وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ١٠ فقوله:

سُبْحَانَهُ - اعتراض بين المعطوف عليه:

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ و بين المعطوف:

و لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ.

و المراد من هذا الاعتراض بلاغة هو تنزيه الله عز و جل عما نسبوه إليه اتباعاً لأهوائهم و زيغ قلوبهم.

أ. د. / عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

- (١) اللسان، و ترتيب القاموس لطاهر الزاوى، مادة: عرض.  
 (٢) حلية المحاضرة (١/١٥٧).  
 (٣) العمدة لابن رشيق (٢/٥٤).  
 (٤) البديع لابن المعتز (٥٩).  
 (٥) التلخيص (١١٦).  
 \* البرهان فى علوم القرآن الكريم (٣/٥٦)  
 (٦) الطراز (٢/١٦٧).  
 \* عروس الأفراح، لبهاء الدين السبكي (٣/٢٣٧).  
 \* المطول (٢٩٦).  
 (٧) آل عمران (٣٥-٣٦).  
 (٨) المنافقون (١).  
 (٩) الكشاف (٤/١٠٧).  
 (١٠) النحل (٥٧).  
 الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٦٩

### الاستقصاء

الاستقصاء لغة: التبع والإبعاد، وقصى فلان بعد. واستقصيت الأمر تتبعته حتى نهايته ١ والاستقصاء فى اصطلاح البلاغيين: أن يتناول الشاعر (أو المتكلم) معنى فيستقصيه إلى أن لا يترك فيه شيئا لأحد يقوله من بعده ٢. و تحدث عنه الإمام عبد القاهر الجرجاني، و مثل له بكلامين من شعر ابن المعتز معناهما العام واحد، إلا أن أحدهما استقصى كل ما يمكن أن يقال فى هذا المقام أما الثانى فقد خلا من الاستقصاء، و ترك لقائل آخر فيه مقالا ٣. و ليس الاستقصاء خاصا بالشعر، و لا بكلام الناس بل ورد منه نماذج كثيرة فى كتاب الله العزيز ذكر منها البلاغيون قوله تعالى: أَيْوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٤. وفى هذه الآية ضروب و ألوان من الاستقصاء، هذا بيانها.

«و ذلك أنه سبحانه بعد قوله جَنَّةٌ التى لو اقتصر على ذكرها لكان كافيا، لم يقف عند ذلك حتى قال فى تفسيرها مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لأن لفظة الجنة تطلق على أى شجر سائر بظل ورقه الأرض فإذا قال مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ كان مصاب ربه «صاحبها» بها أعظم. ثم لم يقف عند ذلك. حتى قال سبحانه تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ متمما لوصفها بذلك.

ثم كمل وصفها بأن قال عز و جل: فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ لأن وصفها بالنخيل و الأعناب لا يكون به وصفا كاملا. فأتى بكل ما يكون فى الجنان ليشتد الأسف على إفسادها.

ثم قال فى وصف صاحب الجنة وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ثم استقصى المعنى فى ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ حتى وصف الذرية بالضعف، ثم ذكر استئصال تلك الجنة التى ليس لهذا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٧٠



الذي أصابه الكبير، و ليس لذريته الضعفاء غيرها بالهلاك في أسرع وقت، حيث قال:

فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ ... و لم يقتصر على ذلك الإعصار ... فقال فِيهِ نَارٌ ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر سبحانه باحتراقها؛ لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفي باحتراقها لما في الجنة من الأنهار و رطوبة الأشجار، فاحترس بقوله فَأَحْتَرَقَتْ و هذا أحسن استقصاء وقع في كلام، و أتمه و أكمله» ٥.

و من صور الاستقصاء في القرآن الكريم، و لم يذكره الأقدمون قوله تعالى:

قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُدْلِي مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦.

فقد استقصت هذه الآية كل صفات الجلال و الكمال و الجمال لله عز و جل.

و بلاغة الاستقصاء في شموله للمعاني التي يقتضيها المقام و الاستثثار بها، و سد كل فجوة يمكن أن تدع مقالا للاحقين. فهو الكلمة الأخيرة في موضوعه.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني

الهوامش:

(١) لسان العرب مادة: قضا.

(٢) تحرير التخبير (٥٤٠) و بديع القرآن المجيد (٢٤٧).

(٣) أسرار البلاغة (١٥٢-١٥٣) ت: محمد رشيد رضا.

(٤) البقرة (٢٦٦).

(٥) بديع القرآن المجيد (٢٤٩-٢٥٠) و معجم المصطلحات البلاغية (١٩٤) د. أحمد مطلوب.

(٦) آل عمران (٢٦).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٧١

## الإيضاح

و من الإطناب فن يقال له الإيضاح، و الإيضاح و التوضيح لغه: الكشف و الإبانة- و رفع الغموض يقال: وضح الشيء وضحاً إذا ظهر و انكشف، و أوضحه و وضحه. أبانه و أظهره، و أزال ما به من غموض ١. و منه: الضحى؛ لأنه أول النهار بعد ذهاب الليل.

أما تعريف الإيضاح بلاغة، فقد عرفه ابن أبي الأصعب بقوله:

«هو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس، ثم يوضحه في بقیه كلامه» ٢.

و تناقل البلاغيون عن ابن أبي الأصعب هذا التعريف كابن مالك ٣. و النويري ٤، و العلوي ٥، و الحموي ٦، و السيوطي ٧، و المدني ٨. و فرق ابن أبي الأصعب بين التفسير، و بين الإيضاح بأن التفسير البديعي هو تفصيل المجمل مثل:

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى و أبو إسحاق و القمر أما الإيضاح فخاص برفع ما يظهر في الكلام من لبس و إشكال فيه لفتا للذهن عند سماع الكلام.

و الإيضاح ورد في كتاب الله العزيز مرات، و كان له دلالات حكيمة، اقتضاها المقام، فمن ذلك قوله تعالى:

كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُنْتُوا بِهِ مَتَّابِينَ ٩.

هذه الآية تتحدث عن نعيم أهل الجنة و طعامهم و أنهم يقولون كلما يرزقون طعاما.  
هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ.

لكن كلامهم هذا الذي حكاه الله عنهم يثير في نفس السامع تساؤلا فحواه:  
هل طعام أهل الجنة نوع واحد يتناولونه في كل وجبة لا يتغير؟ و متعة الطعام في تنوعه لا في توحده؟!  
و لكن لما قال عز و جل:

وَ أَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ارْتَفَعَ ذَلِكَ التَّسْأُولُ لِأَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ أَفَادَتْ أَنَّ طَعَامَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مُتَنَوِّعٌ مُخْتَلِفٌ لَكِنَّهُ مُتَشَابِهٌ، فَوَضَحَ الْأَمْرَ؛ لِذَلِكَ كَانَ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ.

وَ أَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا إِضْحَاحًا؛ لِأَنَّهُ رَفَعَ الْإِشْكَالَ الَّذِي ثَارَ فِي الذَّهْنِ مِنْ قَوْلِهِمْ:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٧٢

هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ هَذَا مَلْمَحٌ دَقِيقٌ لَطِيفٌ كَمَا تَرَى.

و من الإيضاح في القرآن الكريم قوله تعالى:

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمُنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصِدًّا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٠.

هذا خطاب من الله لليهود وقت كان القرآن ينزل. و هو وقت خلا من أنبياء الله عز و جل إلا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ.

كما أن اليهود الذين خاطبهم القرآن في عصر النزول لم يقتلوا نبيا، و إنما الذي قتل الأنبياء هم آباؤهم الأقدمون.

لذلك كان في قوله تعالى:

فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ إِشْكَالًا، حاصله أن اليهود في عصر الرسالة المحمدية لم يكن منهم قتل للأنبياء و إن كان منهم كفر برسالة خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ.

و لكن لما قال الله عقب هذا مِنْ قَبْلُ زال الإشكال و استقام التاريخ على سوقه و ظهر أن الذي كان يقتل الأنبياء هم يهود الأُمس لا يهود عصر نزول القرآن. و إنما واجه الله بهذه الجريمة غير فاعليها المباشرين، و هم يهود عصر الرسالة المحمدية، لأنهم راضون بما فعل أسلافهم، فصاروا مثلهم في اقرار هذه الجريمة النكراء.

و من الإيضاح في القرآن الكريم قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ١١.

لأن في قوله تعالى وَ أُولَى الْأَمْرِ إِشْكَالًا، لأنه يشمل كل ولاية الأمر، و إن كانوا من غير المؤمنين. و هذا لم يؤذن به في الإسلام. فلما قال عز و جل مِنْكُمْ ارْتَفَعَ الْإِشْكَالُ، و حصرت ولاية الأمر في المؤمنين دون غيرهم من أولياء الأمر و السلاطين.

إذن معنى قوله مِنْكُمْ إيضاح كاشف لحقيقته المراد.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

المصادر و المراجع:

(١) اللسان و معاجم اللغة، مادة: وضح.

(٢) بدیع القرآن (٢٥٩) و تحرير التحبير (٥٥٩).

(٣) المصباح (٩)

(٤) نهاية الأرب (٧ / ١١٩).

(٥) الطراز (٣ / ١٠١).

(٦) خزائن الأدب (٢/ ٣٨٣).

(٧) شرح عقود الجمان (١٤٠).

(٨) أنوار الربيع (٦/ ٣١).

(٩) البقرة (٢٥).

(١٠) البقرة (٩١).

(١١) النساء (٥٩).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٧٣

## الإيغال

الإيغال في اللغة السير حتى النهاية، حسيا كان أو معنويا، و من معانيه المبالغة في الطلب حتى لا يترك شيئا يمكن الوصول إليه ١. و أصله: الإوغال؛ لأنه من أوغل يوغل.

سكنت الواو بعد كسر قلبت ياء، كأوحى إيعاء، و أوعز إيعازا. و معناه الاصطلاحى عند البلاغيين مطابق لمعناه عند اللغويين، و قد مهد الأصمعي لإبراز هذا المعنى فكان سابقا فيه غير مسبوق، و لكنه لم يسمه بهذا الاسم (الإيغال) مع حومه حول معناه:

فقد ذكر قدامة بن جعفر أن أبا العباس محمد بن يزيد المبرد قال:

«حدثني التوزي قال:

«قلت للأصمعي: من أشعر الناس؟

قال: من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا أو إلى الكبير فيجعله بلفظه خسيسا، أو ينقضى كلامه قبل القافية، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى قال: قلت: نحو من؟ قال: نحو ذى الرمة حيث قال:

قف العيس في أطلال مية فاسأل رسوما كأخلاق الرءاء المسلسل فتم كلامه قبل «المسلسل» ثم قال:

المسلسل فأفاد شيئا- يعنى معنى جديدا.

ثم قال:

أظن الذى يجدى عليك سؤالها موعا كتبديد الجمان المفضل فتم كلامه، ثم احتاج إلى القافية، فقال:

«المفضل» فزاد شيئا» ٢.

ثم عرّفه قدامة بقوله: «الإيغال هو أن يأتي الشاعر بالمعنى فى البيت تاما، من غير أن يكون للقافية فى ما ذكره صنع، ثم يأتي بها- يعنى القافية- لحاجة الشعر إليها ليكون شعرا. فيزيد بمعناها فى تجويد ما ذكره فى البيت» ٣.

و مثل له بقول امرئ القيس:

كأن عيون الوحش حول خبائنا و أرحلنا الجزع الذى لم يثقب

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٧٤

يريد أن الإيغال فى زياده (لم يثقب) لأن المعنى تم بدونها- فزاد فيه شيئا.

و عرّفه أبو هلال نحو هذا التعريف، ذاكرا ما ذكره قدامة عن التوزي عن الأصمعي ٤.

أما ابن أبى الأصبع فقال:

«هو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر، يزيد به وضوحا و شرحا و توكيدا و حسنا» ٥.

و من أمثلة الإيغال فى القرآن الكريم قوله تعالى:

إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ٦ فَإِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ إِيْغَالٌ أَتَى بَعْدَ تَمَامِ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ وَ لَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ فَرَادَ بِهِ مَعْنَى، وَ هُوَ إِثْبَاتٌ تَوَلِيهِمْ مَدْبِرِينَ حَالِ الدُّعَاءِ.

و فِي ذَلِكَ تَوْكِيدٌ لِنَفْيِ الْفَهْمِ عَنْهُمْ مِنْ جِهَتَيْنِ:

الأولى: الصمم الذي في آذانهم.

الثانية: كونهم ولّوا فارين معرضين عن الداعي و كل جهة من الجهتين وافية بنفي الفهم عنهم.

و من صور الإيغال في القرآن الكريم قوله تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٧ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ إِيْغَالٌ بَعْدَ قَوْلِهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِأَنَّ أَحْسَنِيَهُ حَكْمَ اللَّهِ لَا يَدْرِكُهَا إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمَوْقِنُونَ.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) لسان العرب، و ترتيب القاموس، مادة وغل.

(٢) نقد الشعر (١٩٤).

(٣) نفس المصدر.

(٤) الصناعتين (٣٠١).

(٥) بديع القرآن (٩٢).

(٦) النمل (٨٠).

(٧) المائدة (٥٠).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٧٥

## الإيجاز

### إشارة

الإيجاز من أدق الأساليب و أكثرها حكمة، و أمثلها بلاغة، و أوسعها خبرة، و أغزرها معنى، و هو شطر البلاغة، أو هو كل البلاغة كما يرى قوم من خبراء الأساليب، و صيارف الكلام.

و معنى الإيجاز فى اللغة يدور حول الإقلال و الاختصار من أوجز بمعنى اختصر، و أصله الإوجاز، سكنت الواو بعد كسر فقلبت ياء، و الكلام الوجيز هو الخفيف، أو المختصر ١.

أما الإيجاز فى اصطلاح البلاغيين فيدور حول قلة الألفاظ مع كثرة المعانى، و كل تعريفاته فى علم المعانى تستهدف هذا الغرض.

فالإيجاز عند البلاغيين أحد أقسام الكلام الثلاثة و هى:

الإطناب بأنواعه، و المساواة، ثم الإيجاز، و لكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة مقام يقتضيه، و حال تستدعيه، و إيقاع كل قسم فى مقامه هو البلاغة و ليس من البلاغة الإيجاز فى مقام الإطناب، و لا- الإطناب فى مقام الإيجاز، و لا هما فى مقام المساواة و لا المساواة فى مقام أحدهما.

و لذلك قال أبو هلال العسكري:

إن الإيجاز و الإطناب يحتاج إليهما فى جميع الكلام و لكل نوع منه، و لكل واحد منهما موضعه. فالحاجة إلى الإيجاز فى موضعه،

كالحاجة إلى الإطناب في مكانه. فمن أزال التدبير في ذلك عن وجهته و استعمل الإطناب في موضع الإيجاز، و استعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ» ٢.

و سماه الرماني فقال:

«الإيجاز هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف» ٣.

و تابعه ابن رشيقي و لم يزد عليه ٤.

و سماه ابن سنان الخفاجي ب «الإشارة» و عرّفه بقوله:

«هو أن يكون المعنى زائدا على اللفظ» ٥.

و قال الرازي:

«الإيجاز العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من غير إخلال» ٦.

و قال الزملكاني:

«هو إثبات المعاني المتكثرة باللفظ القليل» ٧.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٧٦

أما الخطيب القزويني فقد عرف الإيجاز بقوله:

«تأدية المعنى الكثير في لفظ قليل» ٨.

هذه التعريفات كلها، و غيرها كثير، لم تخرج عما أجملناه من قبل من أن الإيجاز في الكلام: هو الدلالة على المعاني الكثيرة بألفاظ أقل منها، بشرط عدم الإخلال في تأدية المعنى المراد.

و الإيجاز، لما يحمل من دقائق و أسرار، كثر و روده في القرآن الكريم، كثره مستفيضه، و لم تخل منه آية، أو سورة من آيات القرآن الكريم، حتى في المواضع التي اصطلح على سُمها بالإطناب أو المساواة تشتم فيها رائحة الإيجاز، لذلك نرى بعض الدارسين المحدثين يذهب إلى أن القرآن كله إيجاز، يستوى في ذلك مواضع إطنابه، و مواضع مساواته، و أن كل معنى مصور على سبيل القصد، غير مائل فيه إلى الإسراف ٩.

و هذا نموذج توضيحي لفكرة الإيجاز في كتاب الله العزيز و قال المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَ سَبْعٌ سُبُلَاتٍ حُضِرٍ وَ أُخْرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَ مَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٤) وَ قَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَ اذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ١٠ هذه الآيات تحكى مشاهد من قصة يوسف عليه السلام في مصر. و قد شاع الإيجاز في مواطن فيها نكتفي بذكر ما يأتي منها:

\* حذف (أرى) في وَ سَبْعٌ سُبُلَاتٍ حُضِرٍ حيث لم يقل: و أرى سبع سنبلات.

و اكتفى بذكر «واو العطف» فيها.

\* حذف كلمة سبع في قوله وَ أُخْرَ يَابِسَاتٍ حيث لم يقل: و سبع أخر يابسات.

مع ملاحظة حذف الفعل «أرى» مع حذف (سبع).

\* حذف المسند إليه (المبتدأ) في قَالُوا أَضْغَاثُ و التقدير: قالوا هذه الرؤيا أضغاث أحلام، مع ملاحظة حذف جملة، الرؤيا مع حذف المسند إليه.

\* حذف المتعلق بالفعل فَأَرْسِلُونِ و التقدير: أرسلوني إلى يوسف في السجن و هو فتى عالم بتفسير الأحاديث.

\* حذف إذن الملك و أعوانه له بالذهاب إلى يوسف عليه السلام و التقدير: فأذنوا له و أرسلوه إلى يوسف في السجن.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٧٧

\* حذف الكلام الآتى:

فذهب إلى يوسف فى السجن، فاستأذن الحراس فى الدخول عليه، و أخبرهم بالمهمة التى أذن له فيها الملك و أعوانه فاستوثقوا من صدق ما قال فأذنوا له بالدخول على يوسف فدخل ثم قال ليوسف. يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ و الذى يدل على هذا الكلام الكثير المحذوف هو طرفا الكلام المذكوران و هما:

فَأَرْسَلُونِ

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ

لأن بين هذين الطرفين تلازما طبيعيا فى الوجود الخارجى؛ لأنهم لو لم يأذنوا له و يرسلوه ما حدث قوله ليوسف عليه السلام. يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى الهوامش:

(١) معاجم اللغة، مادة: و وجز.

(٢) الصناعتين (١٩٠).

(٣) النكت فى إعجاز القرآن (٧٠).

(٤) العمدة (١/ ٢٥٠).

(٥) سر الفصاحة (٢٤٣).

(٦) نهاية الإيجاز (١٤٥).

(٧) التبيان (١١٠).

(٨) التلخيص (١٠٦).

(٩) هو الدكتور محمد عبد الله دراز فى النبأ العظيم (١١١).

(١٠) يوسف (٤٣-٤٦).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٧٨

## الإيجاز بالحذف

أجمع البلاغيون على تقسيم الإيجاز قسمين:

الأول: إيجاز الحذف، و الثانى: إيجاز القصر.

و ضابط إيجاز الحذف- عموما- عندهم، هو أن يكون فى الكلام لفظ ما محذوفا حذفا ظاهرا بحيث يدركه الناظر فى الكلام، و هو على درجات:

\* أن يكون المحذوف حرفا من بنية الكلمة كالألف و الياء.

\* أن يكون المحذوف أداة من أدوات المعانى مثل فى و لا.

\* أن يكون المحذوف كلمة مفردة اسما كانت أو فعلا.

\* أن يكون المحذوف جملة اسمية أو فعلية.

\* أن يكون المحذوف أكثر من جملة، مهما طال الكلام المحذوف.

و وضعوا للحذف شرطين لازمين:

أحدهما: أن يدعو إليه داع بلاغى يجعل الحذف أبلغ من الذكر.

الثانى: أن يكون فى الكلام بعد الحذف دليل يدل على المحذوف ١.

فإذا تخلف الشرط الأول سموا الحذف اعتباطا، أى خاليا من الحكمة. و إن وجد الشرط الثانى.

و إذا تخلف الشرط الثانى وحده سموا الحذف إجحافا أى ظلما وقع على الكلام و إن وجد الشرط الأول.

و إذا تخلف الشرطان معا سقط الكلام عن درجة البلاغة و صار نوعا من الهذيان.

- فحذف الحرف من بنية الكلمة يكثر فى القرآن الكريم فى ثلاثة أحرف:

هى الواو، و الألف، و الياء ٢، و هذا يتضح من النماذج الآتية:

وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ٣.

حذف «الواو» من الفعل يَدْعُ لغير علة صرفية أو نحوية و الذى اقتضى حذفه هو الرمز إلى جهل الإنسان و سرعة دعائه طمعا فى الخير،

و هو جاهل بعواقب الأمور ٤ و البلاغيون يسمون حذف الحرف من بنية الكلمة ب «الاقطاع ٥» و منه قوله تعالى:

يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكِرٍ ٦

فحذف «الواو» فى الآية لم يكن لعله صرفية أو نحوية و إنما حذف رمزا إلى معنى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٧٩

لطيف، و هو أن هذا الدعاء أمر غيبى الآن، و لن يكون إلا يوم القيامة ٧.

أما حذف «الألف» من بنية الكلمة لغير علة صرفية أو نحوية فمنه قوله تعالى:

وَ قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ٨.

حذف .. الألف» من كلمة اسم و الذى اقتضى حذفه الرمز إلى أن المضاف إليه أعظم الأسماء و مبدأ كل شىء، و هو الله عز و جل و

يشترط لحذفه شروط.

- أن يكون مضافا إلى اسم الجلالة «الله» دون غيره من أسماء الله و صفاته، مثلك رب، فقد جاء معه مذكورا فى نحو: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ

رَبِّكَ ٩.

- أن يكون مجرورا بحرف «الباء»

و كذلك حذف «الألف» فى قوله تعالى فى كل اسم أعجمى رمزا إلى أعجمية هذا الاسم مثل «إبراهيم» و «إسحاق» و «إسماعيل»

حيث وردت فى كتاب الله العزيز و حذف «الياء» من كلمة «هادى» فى قوله تعالى: وَ مَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ١٠.

و فى قوله تعالى: أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَ مَنْ اتَّبَعَنِ ١١ حذف «الياء» من «هادى» رمز به إلى أن فعل الهداية فى القلوب أمر يختص به الله

دون غيره. أما فى «اتبعن» فحذف «الياء» رمزا إلى الهداية المعنوية غير الحسية. هذا الحذف (حذف الحرف فى بنية الكلمة) كثير جدا

فى القرآن الكريم، و هو إحدى خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف، و اهتمام البلاغيين بهذا النوع من الإيجاز- و هو أول

صور الإيجاز لقله المحذوف من الكلمة الواحدة المفردة فيه- قليل، أما اهتمام الباحثين فى «علوم القرآن» فقد بلغ أقصى مدى.

فأبو عمرو الدانى كتب فيه فصولا مطولة، أحصى فيها مواضع هذا الحذف كلمة كلمة، فى سور القرآن كله، لكنه وقف عند حد

الإحصاء، و لم يعلل لما ذا كان الحذف إلا نادرا. و ذلك فى كتابه «المقنع فى رسم مصاحف الأمصار» و أبو العباس أحمد بن محمد

الأزدى المراكشى المعروف بابن البناء، المتوفى عام ٧٢١هـ وضع فى الكشف عن أسرار حذف الحروف و زيادتها فى كلمات القرآن

كتابا سماه (عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل) أبدع فيه و أمتع. و عنه أخذ الإمام بدر الدين الزركشى فى كتابه «البرهان فى علوم

القرآن. و كذلك الإمام جلال الدين السيوطى فى كتابه المعروف ب «الإتقان فى علوم القرآن»

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

المصادر و المراجع:

(١) شروح التلخيص (٢/ باب الحذف).

(٢) البرهان فى علوم القرآن.

(٣) الإسراء (١١).

(٤) البرهان (١/ ٢٩٨).

(٥) الصحابى (٢٨٨) لابن فارس.

(٦) القمر (٦).

(٧) البرهان (٣٨٨).

(٨) هود (٤١).

(٩) الواقعة (٧٤).

(١٠) الروم (٥٣).

(١١) آل عمران (٢٠).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٨٠

### الإيجاز بحذف الأداة

الإيجاز بحذف الأداة يأتى فى الدرجة الثانية لصور الإيجاز بالحذف، بعد الإيجاز بحذف أحد حروف الكلمة؛ لأننا نسير هنا مع الإيجاز سيرة تصاعديّة.

و المراد بالأداة التى يترتب على حذفها نوع ما من الإيجاز هى أحرف المعانى، التى تؤدى معنى فى الجملة و لا تستقل هى بدلالة محددة مفيدة، و الأدوات العاملة فى غيرها من الأسماء و الأفعال، و فى عبارة أشمل، ما لا يظهر له معنى يحسن السكوت عليه إلا بعد انتظامها فى الجمل و التراكيب.

و من الإيجاز بحذف الأداة فى القرآن الكريم قوله تعالى:

قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتُنَا تَذَكُّرٌ يُّوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ١

ففى هذه الآية إيجاز بحذف الأداة، و هى «لا» النافية قبل الفعل تَفْتُنَا و هو جواب القسم تَاللّٰهِ و يدل على حذفها أمران:-

الأول: أنه لو كان تَفْتُنَا مثبتا لوجب اقترانه بلام الابتداء و نون التوكيد ٢. و لقييل فيه: (لتفتان) فخلوه من لام الابتداء و التوكيد بالنون دليل على أنه منفي، و نفيه حاصل ب «لا» المحذوفة.

الثانى: أن زال و تفتأ و برح و انفك لا تعمل عمل «كان» إلا باعتمادها على النفى، و أم الباب فيه هى «لا» و مثله فى حذف هذه الأداة

«لا» قول امرئ القيس، حين أمرته امرأة كان يهواها و هو فى زيارة لها فأمرته بالخروج خشية الفضيحة، فقال لها:

فقلت يمين الله أبرح قاعداو لو قطعوا رأسى لديك و أوصالى أما الداعى البلاغى للحذف فى الآية الكريمة، فهو ضيق المقام عند جلساء يعقوب عليه السلام، من كثرة ذكره ليوسف عليه السلام، و الشعور بالضيق سبب من أسباب الحذف و اختصار الكلام.

أما الداعى للحذف فى بيت امرئ القيس، فهو كما ترى تحرى استقامة الوزن الشعرى أولا ثم ضيق المقام ثانيا.

و من الإيجاز بحذف الأداة فى القرآن الكريم قوله تعالى:



الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٨١  
 وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ  
 تَنْكِحُوهُنَّ ٣

و موطن الحذف في الآية هو: وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ و الأداة المحذوفة هي «في» قبل أَنْ و بعد تَرْغَبُونَ.  
 لأن فعل الرغبة يعدى ب «في» إذا كانت الرغبة مطلوبة، و يعدى ب «عن» إذا كان المقام مقام زهد في الرغبة و مقام إعراض عنها.  
 يقال رغبت في كذا، أي أحببته، و رغبت عن كذا، إذا عرضت عنه و زهدت فيه.  
 أما الداعي البلاغي لحذف الأداة هنا، و هي «في» فهو الرمز إلى شدة رغبتهم في نكاح يتامى النساء المتحدث عنهن في هذه الآية.  
 و قد أشير بهذا الحذف إلى أنهم يرغبون في سرعة الوصول إلى نكاحهن بدون أية عوائق تعترض طريقهم إليه.  
 و حذف «في» يرمز إلى هذه الدلالة البالغة اللطافة.  
 أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى  
 الهوامش:

(١) يوسف (٨٥).

(٢) الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٤٦).

(٣) النساء (١٢٧).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٨٢

### الإيجاز بحذف الكلمة المفردة

و هذه هي الدرجة الثالثة صعودا في صور الإيجاز بالحذف، و ضابطها أن المحذوف فيها كلمة مفردة: اسما أو فعلا، ليست حرفا من  
 بنىء الكلمة، و لا أداة لها دلالة في الجملة.  
 و لهذه الصور ورود ملحوظ في كلام العرب، و في القرآن الكريم.  
 فمن وروده في كلام العرب قول ابن مطروح:  
 لا- انتهى، لا- اثنتي، لا ارعوى ما دمت في قيد الحياة، و لا إذا أي: و لا إذا مت، فحذف الفعل «مت» و هي كلمة مفردة ١ و الذى دل  
 عليها قوله قبلها «في قيد الحياة» أما الداعي إلى حذفها فهو استقامة الوزن الشعرى أما في القرآن الكريم فمن أمثلة هذا النوع من  
 الإيجاز قوله تعالى:

وَ إِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ٢ و موطن الإيجاز في الآية هو:

اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ لِأَنَّ الْفَاءَ فِي فَانْفَجَرَتْ عَاطِفَةٌ عَلَىٰ مَحذُوفٍ، وَ التَّقْدِيرُ: فَضْرِبْ فَانْفَجَرَتْ ٣.

و ذلك لأن الله جعل ضرب الحجر بالعصى سببا في تحقيق رغبة موسى لسقى قومه.

و انفجار الماء من الحجر اثنتي عشرة عينا دليل قاطع على حصول الضرب، لأنه لو لم يضرب الحجر بعصاه- كما أمره الله، لم يحصلوا  
 على الماء.

هذا هو دليل الحذف، و هو التلازم الطبيعي بين الطرفين: الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٤٨٢ الإيجاز بحذف الكلمة المفردة  
 ..... ص: ٤٨٢

ضرب و انفجار الماء؛ لأنهما سبب و مسبب. أما الداعي البلاغي لحذف ضرب فهو إظهار كمال النعمة على بنى إسرائيل (قوم موسى

الذين استسقى لهم الله عز و جل، حتى لكأن الماء تفجر بدون ضرب.

و منه فى القرآن الكريم قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ٤ ففى الآية إيجاز بحذف كلمة مفردة بين العجل و بين سَيَنَالُهُمْ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٨٣

غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ التقدير: اتخذوا العجل إليها ٥.

و دليل الحذف فيها أن مطلق اتخاذ العجل لا يستوجب غضب الله و إذلاله إياهم، فقد يكون اتخاذه للأكل و هذا حلال لا معصية فيه، فتعين أن يكون اتخاذهم العجل معبودا من دون الله؛ لذلك استحقوا هذا الوعيد الشديد ....

أما الداعى البلاغى الذى اقتضى هذا الحذف فهو ذو دلالة عميقة و لطيفة، حاصلها أن اتخاذ العجل إليها ينبغى أن لا يكون عقيدة قوم، و ألا يكون معمولا للاتخاذ حتى فى مجرد اللفظ، فحذفه من الكلام رمز لطيف على استبعاده من الوجود.

و من مواضع هذا الإيجاز فى القرآن الكريم قوله تعالى:

وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٦.

فى الآية الكريمة موضعان للإيجاز بحذف الكلمة المفردة، يظهران من التقدير الآتى:

خلطوا عملا صالحا بسيئ، و آخر سيئا بصالح و دليل الحذف هنا عطف و آخر سيئا على خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا إذ ليس المقصود أنهم خلطوا عملا بآخر سيئ، بل المراد أن لهم عملين:

\* عمل صالح خلطوه بسيئ أقل منه، و عمل سيئ خلطوه بقليل من الصلاح و لو كان المراد المعنى الأول لقليل: خلطوا عملا صالحا بآخر سيئ. فدل العطف على المحذوف فى الموضعين.

أما الداعى البلاغى للحذف فى الموضعين فلتحقيق فضيلة الإيجاز، و هو استثمار أقل ما يمكن من الألفاظ، فى أكثر ما يمكن من المعانى. و فى ذلك يقول ابن مالك فى ألفيته:

و حذف ما يعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما و من هذا النوع من الإيجاز فى كتابه العزيز قوله تعالى: وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَ جَعَلَ لَكُمْ سِرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَ سِرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ

٧ ففى الآية الكريمة إيجاز بحذف كلمة «البرد» بعد كلمة الْحَرَّ و التقدير: و جعل لكم سراويل تقيكم الحر و البرد ٨.

و دليل الحذف أن هذه السراويل فى الواقع تحمى الناس من الحر و البرد معا، و إنما أوتر

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٨٤

ذكر الحر على البرد لأن الحر أكثر إيلاما من البرد، و لأن البرد يمكن الاحتياط منه بخلاف الحر.

و البلاغيون يسمون هذا النوع من الإيجاز ب «الاكتفاء» و عرفوه بقولهم:

«هو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم و ارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة» ٩.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) خزائن الأدب (٢/ ٢٨٢).

(٢) البقرة (٦٠).

(٣) الكشف (١/ ٢٨٤).

- (٤) الأعراف (١٥٢).  
 (٥) أنوار الربيع (٧٢ / ٣).  
 (٦) التوبة (١٠٢).  
 (٧) النحل (٨١).  
 (٨) أنوار الربيع (٧٢ / ٣).  
 (٩) أنوار الربيع (٧١ / ٣).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٨٥

### الإيجاز بحذف التراكيب

هذا النوع من الإيجاز هو أعلى درجاته و صورته؛ لأن المحذوف فيه أكثر من الجملة، الواحدة، فقد يكون المحذوف جملتين أو ثلاثاً أو أكثر.

وله حد أدنى، وهو حذف جملتين، و أما حده الأعلى فغير منضبط في عدد معين من الجمل أو التركيب، و بعض البلاغيين يسمي صور الجمل التي يعترها الحذف أنها جمل ذكرها غير مفيد؛ لأن معناها يدرك و هي محذوفة فيكون ذكرها غير محتاج إليه ١.

و هذا النوع من الإيجاز له ورود مستفيض في القرآن الكريم، و من ذلك قوله تعالى:

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَهْرًا مَقْصِيًّا ٢. القائل: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ هو مريم رضی الله عنها حين بشرها الملك بعيسى عليه السلام، و قد اشتملت هذه الآية على إيجاز بالحذف، كان المحذوف فيه جملتين.

لأن قوله تعالى: وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا تعليل معلله محذوف، أو سبب مسببه محذوف و التقدير: «فعلنا هذا و قدرناه لنجعل آية للناس».

و دليل الحذف هو ذكر السبب، و هو يقتضى مسبباً؛ لأن بين السبب و المسبب تلازماً في الوجود، و ذكر أحدهما يدل على الآخر المحذوف.

أما الداعى البلاغى، فهو- كما تقدم مرات- إحكام العبارة و نفي الفضول عنها و من ذلك قوله تعالى: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا ٣. فى الآية إيجاز بحذف أكثر من جملة، و التقدير: «لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل، و من أنفق من بعد الفتح و قاتل ٤».

و الدليل على هذا الحذف هو قوله تعالى:

أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا فحذف من الأول، لدلالة الثانى عليه و البلاغيون يسمون هذا الحذف: «الاحتباك» و له صورة أخرى، و هى: أن يكون الحذف من الأول لدلالة الثانى عليه ٥ و فى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٨٦

الآية دليل آخر على هذا الحذف، و لفت الذهن إليه: و هو الفعل لَا يَسْتَوِي فى صدر الآية، لأنه يستدعى طرفين بينهما تفاوت ليتحقق نفي المساواة بينهما. و ليس فى صدر الآية إلا طرف واحد موصوف بصفات الكمال. و هذا يقتضى حضور الطرف الثانى فى الذهن ليستقيم الكلام و يحسن السكوت عليه.

و الداعى البلاغى لهذا الحذف هو تهذيب العبارة لأن المعنى الذى يدركه الفهم إدراكاً قويا مع حذف الألفاظ الدالة عليه، يكون فى ذكرها فضول يتنزه عنه البيان الحكيم.

ومن ذلك قوله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦. وفي هذه الآية حذفات، والتقدير: «و الذين يعطون ما أعطوا من الصدقات و سائر القربات الخالصة لوجه الله تعالى، و يخافون أن ترد عليهم صدقاتهم» أو المحذوف هو: «يخافون أن ترد عليهم صدقاتهم، أن ترد عليهم جميع قرباتهم التي قدموها طامعين في قبول الله لها، و إثابتهم عليها» و دليل هذه الحذوفات هو قوله تعالى:

قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ لِأَنَّ الْوَجَلَ الْحَاصِلُ فِي الْقُلُوبِ لَيْسَ مِنْ نَفْسِ الطَّاعَاتِ الْمَرْجُوبَةِ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، وَ إِنَّمَا مِنْ بَوَارِهَا وَ كِسَادِهَا وَ رَدِّ اللَّهِ إِيَّاهَا. أما السر البلاغي فهو تحقيق فضيلة الإيجاز و تكثير المعاني مع قلة الألفاظ المستعملة فيها. و في الإيجاز عموماً ميزة لا- تنفك أبداً، بل هي ملازمة له ملازمة الروح للجسد النامي بالحياة و هي اختصار الزمن في النطق، و اختصار المساحة في الورق.

و قد بلغ الحذف قدراً كبيراً لم نعهده من قبل، و ذلك في قوله تعالى: قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يَعْرِضُونَ (٤٩) وَ قَالَ الْمَلِكُ اتُّونِي بِهِ ٧.

و الإيجاز بالحذف - هنا - موطنه قبل قوله تعالى حكاية عن ملك مصر في عصر يوسف عليه السلام: وَ قَالَ الْمَلِكُ اتُّونِي بِهِ لِأَنَّ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةَ قَبْلَهُ كَلَامٌ قَالَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْفَتَى الَّذِي أَرْسَلَهُ الْمَلِكُ إِلَىٰ يُوسُفَ، لِيَعْبُرَ لَهُ رُؤْيَاهُ، وَ لَمْ يَكُنِ الْمَلِكُ حَاضِرًا حِينَ قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَسُولِ الْمَلِكِ هَذَا الْكَلَامَ. و لكن الذي حدث - لا محالة - أن الفتى لما رجع من عند يوسف عليه السلام أبلغ الملك و حاشيته ما قاله له يوسف، بدءاً من قوله: تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٨٧

إلى قوله: وَ فِيهِ يَعْرِضُونَ يعني أن هذه الآيات كررت أو قيلت مرتين:

\* مرة قالها يوسف لرسول الملك.

\* و مرة قالها رسول الملك للملك.

لكن النظم القرآني الحكيم اكتفى بذكرها عن يوسف لرسول الملك. و حذف ذكرها على لسان رسول الملك للملك مع حذفات أخرى تتعلق بهذا المقام.

و تقدير الكلام مع الاختصار هو الآتي:

«ثم عاد رسول الملك من عند يوسف بعد أن سمع منه ما قال و دخل على الملك و حاشيته فقص عليهم ما قاله يوسف...» و بعد أن فرغ من إبلاغ ما قاله يوسف صدقه الملك و حاشيته و أبدى الملك إعجاباً بما قال يوسف ثم قال اتُّونِي بِهِ هَذَا كُلَّهُ مُحذُوفٌ؛ لِأَنَّهُ مَفْهُومٌ مِنَ الْفَجَوَاتِ الَّتِي تَخَلَّتْ الْكَلَامَ. و هذا يسمى في الأدب المسرحي الحديث «قص المناظر» التي تترك ليملاً العقل فجوات الفراغ التي بين ثنايا الكلام أما الآيات التي طوى ذكرها فعدد جملها أو تراكيبيها اثنا عشر تركيباً، هي:

قال - تزرعون - حصدتم - ذروه - تأكلون - يأتي - يأكلن - قدمتم - تحصنون - يأتي - يغاث - يعصرون.

أما عدد الكلمات التي تتكون منها هذه التراكيب و لواحقها فهي أكثر من أربعين كلمة و دليل هذا الحذف أمران:

\* عمل العقل في ملء الفراغات البديهية.

\* ذكر ما قاله يوسف دل على ما حكاه رسول الملك للملك.

أما الداعي البلاغي فهو تحقيق فضيلة الإيجاز مع تجنب العبث في البيان، و دفع الملل لدى السامع، لو أعيدت الآيات مرة أخرى بلا فصل طويل.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني

الهوامش:

(١) معجم المصطلحات البلاغية (١/ ٣٥٨).

(٢) مريم (٢٠-٢١).

(٣) الحديد (١٠).

(٤) الكشاف (٤/ ٦٢).

(٥) ينظر مصطلح الاحتباك الآتي بعد قليل.

(٦) المؤمنون (٦٠).

(٧) يوسف (٤٧-٥٠).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٨٨

### الإيجاز بحذف الجملة

وهذه هي الدرجة الرابعة من صور الإيجاز بالحذف، بعد حذف الحرف الواحد من بنية الكلمة، وحذف الكلمة الواحدة من الجملة، أو التركيب الواحد، والذي عيناه بحذف «الأداة» ثم حذف الكلمة غير الأداة، اسما أو فعلا. والصورة الرابعة، أو النوع الرابع من الإيجاز بالحذف هو حذف التركيب الواحد من الكلام، نعني حذف الجملة: اسمية كانت أو فعلية.

وهذا النوع من الإيجاز شائع في الأساليب العربية في الشعر، وفي النثر، وفي القرآن الكريم، ومن أمثله الكثيرة في القرآن الكريم قوله تعالى:

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۖ فَفِي هَذِهِ آيَةُ الْكُرَيْمِ ۖ إِيْجَازٌ بِحَذْفِ تَرْكِيْبٍ مَّكَوْنٍ مِّنَ الْفِعْلِ وَ الْفَاعِلِ، وَ تَقْدِيرِ الْكَلَامِ قَبْلَ الْحَذْفِ: بَ احْذَرُوا ۚ.

وهو فعل أمر، و فاعله واو الجماعة «و كلاهما قد اعتراه الحذف كما ترى.

و دليل الحذف في الآية بقاء المفعول به منصوبا و هو: نَاقَةَ اللَّهِ فِناقَةَ اللَّهِ مفعول به منصوب بالفتحة كما ترى، و ليس في الآية لفظ يصلح أن يكون هو عامل النصب في نَاقَةَ بل العامل محذوف. و أن ذلك المحذوف هو: احذروا أو اتركوا أو ذروا و أما الداعي البلاغي لهذا الحذف، فوق تحقيق فضيلة الإيجاز، فهو سرعة الوصول إلى المطلوب، و هو صون حرمة الناقة و ما قدر الله لها من رزق، و في إضافة نَاقَةَ إلى اسم الجلالة تعظيم لحرمتها؛ لأنها ليست مجرد ناقة، بل هي آية من آيات الله المخصوصة بالرعاية و العناية. و منه في القرآن الكريم قوله تعالى:

وَ عَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صِيًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْءِدًا ۗ وَ فِي هَذِهِ آيَةُ إِيْجَازٍ بِحَذْفِ التَّرْكِيبِ الْوَاحِدِ (جملة فعلية) موطنه بين قوله تعالى: وَ عَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صِيًّا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٨٩

و قوله: لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ و تقدير المحذوف هو «قلنا لهم» ٤.

و دليل الحذف - هنا - هو سياق الكلام، لأن قوله تعالى: لَقَدْ جِئْتُمُونَا فِيهِ التَّفَاتِ إِلَى الْخَطَابِ مِنَ الْغِيْبَةِ، ففي صدر الآية كان الكلام حديثا عن مشهد من مشاهد يوم القيامة، و هو عرض العباد على الله و كان الحديث عنهم بطريق الغيبة و عَرِضُوا ثم التفت من هذه (الغيبة) إلى خطابهم: لَقَدْ جِئْتُمُونَا فلزم تقدير محذوف بين الغيبة و الخطاب و هو: قلنا لهم، أو: نقول لهم.

و التركيب المحذوف هنا جملة فعلية.

أما الداعى البلاغى للحذف فى الآيه، فهو إحكام النظم بحذف فضول الكلام؛ لأن التحول فيها من الغيبه قرينه قويه على إدراك التركيب المحذوف، لأنه لا يستقيم النظم إلا بتقدير التركيب المحذوف، الذى قد اقتضاه طرفا الكلام، و أرشدا إليه حتى لكأنه مذكور فى الكلام صراحة.

و من الإيجاز بحذف التركيب الواحد، أو الجملة فى القرآن الكريم قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥.

و موطن الحذف فى الآيه بين قوله تعالى:

فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ و قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ و تقدير المحذوف هو:

«أ لستم ظالمين» ٦- و هو جملة اسميه و دليل الحذف هو قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لأن الآيه مسوقه مساق الإنذار و التهديد، و تعقيب الكلام ينفى هدايه الله القوم الظالمين تلويح لهم بأنهم ظالمون بكفرهم بكتاب الله. و ليس فى الآيه ذكر لقوم ظالمين ينسحب عليهم هذا الوعيد، فدل ذلك على أن المخاطبين هم المعنيون بهذا الوعيد إن لم يوقفوا بما أنزل الله على خاتم رسله. أما الداعى البلاغى للحذف فى الآيه، فهو القصد إلى لين الخطاب فى الدعوة، و تجنب تئيس المخاطبين من رحمه الله، فلم يواجههم بأنهم هم الظالمون و أخرج الكلام مخرج العموم، حتى لكأن الظالم هو غير المخاطبين.

و فى ترك المواجهه لهم بأنهم هم الظالمون، الذين لا يهديهم الله إفساح المجال لهم، لمن أراد أن يؤمن منهم، و لا نزاع فى أن بعضهم آمن و اهتدى بعد فتح مكه المكرمه. فتأمل

الموسوعة القرآنيه المتخصصه، النص، ص: ٤٩٠

الأسرار الرائعه، التى ترتبت على هذا الحذف فى هذه الآيه.

و منه قوله تعالى: وَاللَّائِي يَيْسَنَ مِنَ الْمَجِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ ٧. موطن الإيجاز فى الآيه بعد:

وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ و تقدير المحذوف هو: «فعدتهن كذلك» و هى جملة اسميه من مبتدأ و خبر، و دليل الحذف هو العطف على فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ لأن العطف يشرك المعطوف فى إعراب المعطوف عليه و حكمه.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) الشمس (١٣).

(٢) تفسير البيضاوى (٢/ ٦٠٠).

(٣) الكهف (٤٨).

(٤) فتح القدير للإمام الشوكانى (٣/ ٣٤٦).

(٥) الأحقاف (١٠).

(٦) معجم المصطلحات البلاغية (١/ ٣٥٤).

(٧) الطلاق (٤).

## الاحتباك

الاحتباك لغة: هو شد الإزار، و كل شيء أحكمته و أحسنت عمله فقد احتبكته، و الحبك الشد و الإحكام ١ و قد يستعمل الحبك بمعنى الزينة، و بها فسروا قوله تعالى:

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ٢.

أما فى الاصطلاح البلاغى، فقد بين الإمام جلال الدين السيوطى الصلة بينه و بين المعنى اللغوى فقال: «و مأخذ هذه التسمية من الحبك، الذى معناه: الشد و الإحكام، و تحسين أثر الصنعة فى الثوب. فحبك الثوب سد ما بين خطوطه من الفرج ... بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن و الرونق.

و بيان أخذه منه أن مواضع الحذف فى الكلام شَبَّهت بالفرج بين الخيوط. فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر فى نظمه و حبكه، فوضع المحذوف مواضعه، كان حابكا له، مانعا من خلل يطرقة، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن و الرونق».

ثم عرفه باسم «الاحتباك» و قال: «إنه من أطف الأنواع و أبدعها» ٣.

و سماه الإمام الزركشى: الحذف:

المقابلى. و عرّفه فقال: «هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله (فى الآخر) لدلالة الآخر عليه» ٤ و من أمثلته فى القرآن الصور الآتية.

قُلْ إِنْ أَسْأَلْتَهُمْ فَعَلَيْ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ٥

و المعنى: فإن أسألتهم فعلى إجرامى و أنتم برآء منه، أى من إجرامى، و عليكم إجرامكم و أنا برىء منه. فقد حذف من الثانى «و أنا برىء» أى من إجرامكم لدلالة الأول عليه.

و قوله تعالى: وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ وَ المعنى: الله أحق أن ترضوه، و رسوله أحق أن ترضوه.

فحذف من الأول أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ لدلالة الثانى عليه الواقع خبرا عن «رسوله» و هو: أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٩٢

و قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ٦ و المعنى: إن الله يصلى على النبى، و ملائكته يصلون على النبى، فحذف من الأول إِنَّ اللَّهَ الفاعل (يصلى) لدلالة الثانى (يصلون) عليه.

و قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يَثْبُتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٧.

و بلاغة هذا الفن «الاحتباك» هى إحكام العبارة و سلامتها من الخلل، مع قلة الألفاظ و كثرة المعانى التى تدل عليها. و البلاغة الإيجاز، و هو استثمار أقل ما يمكن من الألفاظ فى أكثر ما يمكن من المعانى ٨.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) لسان العرب، مادة: حبك.

(٢) الذاريات (٧) و انظر تفسير الإمام البيضاوى (٢/٤٣٧).

(٣) الإتقان فى علوم القرآن (٢/٢٢) و شرح عقود الجمان (١٣٣) و معترك الأقران فى إعجاز القرآن (١/٣٢٣).

(٤) البرهان فى علوم القرآن (٣/١٢٩).

(٥) هود (٣٥).



(٦) الأحزاب (٥٦).

(٧) الرعد (٣٩).

(٨) النبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن (١١١) د. محمد عبد الله دراز.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٩٣

## إيجاز القصر

هو القسم الثاني من قسمي الإيجاز، بعد الإيجاز بالحذف و صورته الخمس التي تقدمت. والفرق بينهما أن الإيجاز بالحذف يلحظ فيه حذف حرف من بنية الكلمة، أو أداة من أدوات المعاني، أو كلمة مفردة (اسم أو فعل) من تركيب مفيد (جملة تامة) (اسمية أو فعلية) من مجموع كلام، أو يكون المحذوف جملتين فأكثر، مع وجود دليل قوى على المحذوف.

أما إيجاز القصر فلا يلحظ فيه شيء محذوف أبداً وإنما يلحظ فيه أن المعاني المشعة منه أكثر من الألفاظ التي استعملت فيها. فمثلاً قولنا: «سأل أهل القرية» كلام مساو لفظه لمعناه، فإذا قارناه بقوله تعالى:

وَ سَأَلَ الْقُرَيْةَ ١ كَانَ إِيجَازًا بِالحذف، و المحذوف هو كلمة «أهل» و هو مفعول به ل سَأَلَ و مضاف إلى الْقُرَيْةَ و دليل الحذف فيه هو حكم العقل، الذي يمنع توجيه السؤال إلى القرية باعتبارها مكاناً و أرضاً و أبنيةً و إنما الذي يوجه إليه السؤال عقلاً هو أهل القرية فإيجاز الحذف، و إيجاز القصر يشتركان في أن معاني كل منهما أكثر من الألفاظ المستعملة فيها، و يفترقان في أن إيجاز الحذف يلحظ فيه ألفاظ محذوفة، أما إيجاز القصر فلا يلحظ فيه ألفاظ محذوفة، يمكن ذكرها في جملة أو تراكيبه.

و كان الجاحظ أول من أشار إليه في قوله:

«الكلام الذي قل عدد حروفه و كثر عدد معانيه» ٢ ذكر هذه العبارة في وصف مسهب لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم جاء العلماء من بعده و اعتبروا هذه العبارة تعريفاً لفن الإيجاز بالقصر و منه قوله تعالى:

لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ٣ على اعتبار أن هاتين الكلمتين قد جمعتا نفي جميع عيوب خمر أهل الدنيا.

و قوله تعالى: لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ ٤ على اعتبار أن هاتين الكلمتين قد جمعتا نفي جميع العيوب ثم قال: «درجت الأرض من العرب و العجم على إثارة الإيجاز و حمد الاختصار و ذم الإكثار و التطويل و التكرار و كل ما فضل - أي زاد - على المقدار» ٥ و يرى ابن الأثير أن التنبيه إلى هذا النوع من الإيجاز عسر لأنه يحتاج إلى فضل تأمل ٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٩٤

و قول الله تعالى: الْقِصَاصِ حَيَاةً ٧ و القول المأثور عن العرب «القتل أنفى للقتل» و في كل منهما إيجاز قصر، و بينوا الوجوه التي سما بها قول القرآن على قول العرب، في الآتي:

فأولاً: عدد حروف قول القرآن عشرة أحرف. و عدد حروف القول المأثور عن العرب أربعة عشر حرفاً.

و ثانياً: القول القرآني فيه تصريح بالمطلوب، و هو الحياة، أما قول العرب فقد خلا من التصريح.

و ثالثاً: تنكير «حياة» في القول القرآني يفيد إما التعظيم، و إما النوعية الخاصة، أي حياة آمنه و قد خلا قول العرب منه.

و رابعاً: القول القرآني مطرد عام، أما قول العرب ففيه قصور و عجز؛ فليس كل قتل يكون محققاً لسلامة الأرواح. بل منها ما يكون سبباً في تفشى القتل، و هو الأخذ بالثأر. و القتل و العدوان أما القول القرآني فنص على أن القتل هنا هو القصاص الذي يقوم به ولي الأمر، و فيه - فعلاً - حسم لمادة الشر.

و خامساً: القول القرآني خلا من عيب التكرار، أما قول العرب فقد تكرر فيه القتل مرتين.



و سادسا: استغناء القول القرآني عن تقدير محذوف يتم به المعنى. أما قول العرب فلا بد من تقدير محذوف فيه هكذا:  
القتل أنفى للقتل من تركه.

و سابعا: القول القرآني جمع بين القصاص بمعنى القتل، و بين الحياة. و في هذا محسن بديعي لطيف المورد، أما قول العرب فقد عرى من هذا التحسين.

و ثامنا: القول القرآني جعل «القصاص» منبعا و مصدرا للحياة كاشتغال الظرف على المظروف فيه. أما قول العرب فقد خلا من هذه الاعتبارات اللطيفة الآسرة ٨.

و لهذا الإيجاز قيمة عليا عند البلاغيين و خبراء الأساليب فقد و صفوه- أعنى الإيجاز في آية القصاص المتقدمة، بأنه:

«الذى فاق كل كلام، و هو أعلى طبقات الإيجاز» ٩

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) يوسف (٨٢).

(٢) البيان و التبيين (٢ / ١٩).

(٣) الواقعة (١٩).

(٤) الواقعة (٢٢).

(٥) رسالة من البلاغة و الإيجاز (٢٢)- رسائل الجاحظ (٤ / ١٥٦).

(٦) المثل السائر (٢ / ٧٨).

(٧) البقرة (١٧٩).

(٨) المثل السائر (٢ / ١٢٥)- و الصناعتين لأبى هلال العسكري (١٧٥)- و نهاية الإيجاز للفخر الرازى (١٤٥)- و بديع القرآن (١٩٢)- و الإيضاح (١٨٢).

(٩) نهاية الإرب للنويرى (٧ / ٥)- شروح التلخيص (٣ / ١٨٢)- الطول للسعد (٢٨٦)- معترك الأقران للسيوطى (١ / ٢٩٥)- الجامع الكبير لابن الأثير (١٤٢).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٩٥

## الفواصل

الفواصل جمع فاصلة، و الفصل لغه هو البت و القطع يقال فصلت كذا عن كذا: يعنى قطعتة عنه ١ و الفاصلة و الفواصل مصطلح خاص بنظم القرآن الكريم، و سمة من سمات بلاغته و بيانه. و معنى الفاصلة فى اصطلاح علماء علوم القرآن هى الكلمة الأخيرة فى الآية، مثل القافية التى هى الكلمة الأخيرة فى بيت الشعر، و مثل السجع و هو الكلمة الأخيرة فى الجملة، من الكلام المنشور لأن الكلام: إما شعر (و نهايات جملة أو أبياته هى القوافى) و إما غير شعر، و هو قسمان:

\* القرآن، و نهايات آياته فواصل.

\* الكلام النثرى سواء كان نثرا فنيا كالقصة و الرواية و الأقصوصة أو غير فنى و نهايات جملة قد تكون سجعا إذا اتفقت جملتان فأكثر فى الحرف الأخير من الكلمة الأخيرة فيهما و قد تكون ليست سجعا إذا كانت كلمات الجمل الأخيرة فيه غير متفقة فى الحروف الأخيرة من آخر الكلمات فى الجمل التى تقع فى الآخر غير متجانسة.

و تسمية الكلمات الأخيرة في نهايات الآيات القرآنية «فواصل» مأخوذة من قوله تعالى: كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ٢ و قد تكررت هذه العبارة مرات في آيات الكتاب العزيز، و قد عرف علماء علوم القرآن الفاصلة القرآنية فقالوا:

الفاصلة القرآنية «هي كلمة آخر الآية كفاية الشعر، و قرينة السجع» ٣.

و قال أبو عمرو الداني: «كلمة آخر الجملة» ٤، يقصد أن الفاصلة هي آخر كلمة في الآية.

و قد يطلقون على هذه الفواصل مصطلح:

رءوس الآيات، و هذا المصطلح أخص من الفاصلة، لأنهم قد يتسامحون في إطلاق الفاصلة على جملة في درج الآية، مثل قوله تعالى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ ٥ و هي ليست رأس آية ٦ و الفواصل القرآنية هي مجامع بلاغة القرآن و معاهد معانيه. و النظر إليها و دراستها يسفر عن عدة خصائص في إعجازه و نظمه.

و من ذلك: فهي من جهة تتيح استراحة لقارئ القرآن الكريم حيث يسكت قليلا عند نهاية كل آية قبل أن يأخذ في تلاوة الآية التي الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٩٦

بعدها، و هي من جهة ثانية تحدد نهايات الآيات و بداياتها و تميز بين الآيات؛ لأن من سنن تلاوة القرآن و أدائه الأمثل، هو الوقوف عند رأس كل آية إلا في مواضع قليلة في القرآن الكريم، فيحسن وصل الآية بما بعدها. و هي من جهة ثالثة تمكن قارئ القرآن الكريم من حسن الأداء، و تتيح للسامع فرصة حسن المتابعة لما يتلى مع تذوق المعاني و تدبرها.

و من جهة رابعة تؤدي الفواصل القرآنية دورا عظيم الشأن في انسجام الإيقاع الصوتي مما أضفى على القرآن خاصية فريدة في نوعها، و هي انفرادة بإيقاع صوتي شجي يستولى على القلوب، و يستقطب العقول، و يأسر الأسماع بحلاوة و عذوبة وقعه. و من أجل هذا اختصت كلمات الفواصل القرآنية بالأمور الآتية:

\* ختمها- في الغالب- بحروف المد و اللين، و إلحاق الميم و النون بها، و وظيفته التمكن من التطريب، قال سيويه:

«إنهم- أي العرب- يلحقون الألف و الياء و النون يريدون مد الصوت، و يتركون ذلك إذا لم يترنموا» ٧. و هذا الجمال الإيقاعي في القرآن لا يخفى على أحد ٨.

إن الحروف التي تقع بها الفواصل إما متماثلة و إما متقاربة، و لا تخرج الفواصل عن هذين النوعين فمثال التماثل قوله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوزَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣).

و مثال التقارب قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ (٧).

فالتماثل في الكوثر وقع بحرف «الراء» و التقارب في «الفاتحة» وقع بين النون و الميم.

\* إنها تتقدم عليها ألفاظ، تمهد لها، و تعظم من وقعها في السمع. و تلك الألفاظ سماها الأقدمون رد الأعجاز على الصدور، و سماها المحذوثون ب «التصدير».

\* التكرار في بعض الفواصل، كما في سور: الرحمن، القمر، و المرسلات. لكن هذا التكرار ليس مقصورا على هذه الوظيفة الصوتية، بل هو لها و لخدمة المعاني المرادة من الفواصل و ما يتقدمها. و للعلماء نظر خاص في بناء الفواصل، نتج عنه تقسيم الفواصل عدة أقسام، نذكر منها:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٩٧

\* الفواصل المتوازية، و ضابطها أن تتفق الفاصلتان في الوزن الصرفي، و في الحروف، مثل قوله تعالى: فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَ أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ٩.

\* و المطرف أن تتفق الفاصلتان في الحروف دون الوزن مثل قوله تعالى:

«أفعال». ما لَكُمْ لا- تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (١٣) وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ١٠. فالفاصلة الأولى على «مفعولة». أما الفاصلة الثانية فعلى وزنى «فعال» و

\* الفواصل المتوازية، و ضابطها أن يراعى فى كلتا الفاصلتين الوزن الصرفى، دون الاتفاق فى الحروف مثل قوله تعالى:

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةً (١٥) وَ زُرَابِيٌّ مَبْتُوثَةٌ ١١ الوزن واحد «مفعولة» أما الحرفان فهما مختلفان وهما: الفاء و الثاء.

و يلاحظ أن الفواصل القرآنية فى الآيات القصيرة تكون كلمة معموله نحويًا لعامل فى الآية قبلها، أو معطوفة على كلمة فيها، أو توضيحًا لكلمة، أو مضافًا إليها كلمة، مثال ذلك:

أ رَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَ لَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (٦) وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) وفى الآية الأولى جاءت بالذِّينِ متعلقة ب يُكَذِّبُ و فى الآية الثانية جاءت الفاصلة الْيَتِيمَ مفعولًا به للفعل يَدْعُ و فى الآية الثالثة جاءت الفاصلة الْمَسْكِينِ مضافًا إليها طَعَامِ و فى الآية الرابعة جاءت الفاصلة لِلْمُصَلِّينَ خبرًا ل فَوَيْلٌ كما جاءت سَاهُونَ خبرًا عن الَّذِينَ فى الآية الخامسة، و كذلك يُرَاؤُونَ فى الآية السادسة. أما المَاعُونَ فى الآية السابعة، فجاءت مفعولًا به ل يَمْنَعُونَ و هكذا كل فواصل الآيات القصيرة فى القرآن كله.

أما الآيات الطويلة فتأتى فاصلتها فى جملة مستقلة، مثل: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ١٢.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) اللسان و معاجم اللغة، مادة: فصل.

(٢) فصلت (٢).

(٣) البرهان فى علوم القرآن (١/٥٣).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الكهف (٦٤).

(٦) البرهان (١/٥٣).

(٧) الكتاب (٢/٢٩٨).

(٨) النبأ العظيم (٨٠).

(٩) الغاشية (١٣-١٤).

(١٠) نوح (١٣-١٤).

(١١) الغاشية (١٥-١٦).

(١٢) البقرة (١٦).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٩٨

## الفصل

الفصل فى اللغة القطع و التنحية و التفريق بين الأشياء ١ أما عند البلاغيين فهو فن من فنون علم المعانى خاص بالعلاقات بين بعض

الجملة، و له نظير يقابله في الدرس البلاغى هو «الوصل» و تعتمد فكرتا الفصل و الوصل على عطف جملة، على أخرى ب «الواو» خاصة من دون حروف العطف الأخرى، كالفاء و ثم و بل، أو ترك هذا العطف.

و قد عرفهما البلاغيون تعريفا واحدا جامعا بين الفصل و الوصل، فقالوا.

«الوصل هو عطف جملة على أخرى بالواو، و الفصل هو ترك ذلك العطف» ٢.

و كان الإمام عبد القاهر الجرجاني هو أول من أفاض في الحديث عن هذا الفن، و وضع دقائق أصوله و فروعها و لم يترك لمن جاء بعده كبير مجال فيه، إلا بعض إضافات خفيفة لا تخرج عن الأصول التي وضعها هو رحمه الله ٣ ثم نهج الإمام السكاكي منهج الإمام عبد القاهر في هذا الدرس ٤ و تابعهما الخطيب القزويني ٥.

ثم شراح تلخيصه من بعده ٦.

و هذا البحث (الفصل) خاص بالجملة التي ليس لها محل من الإعراب، مثل الجملة الابتدائية، و جملة صلة الموصول، و الجملة الواقعة جوابا لشرط غير جازم.

و يجب فصل الجملة الثانية عن الأولى في الحالات الآتية، التي وضع البلاغيون لها ضوابط على النحو التالي:

كمال الانقطاع: فكل جملتين بينهما كمال الانقطاع يجب فصل الثانية منهما عن الأولى، فلا تعطف عليها بالواو، لأن الواو يقتضى العطف بها أن يكون بين المعطوف و المعطوف عليه تناسب، و لا تناسب مع كمال الانقطاع.

و يتحقق كمال الانقطاع بين الجملتين إذا اختلفتا في الخبرية و الإنشائية لفظا و معنى أو معنى فقط. و قد مثل البلاغيون لهذه العلاقة من غير القرآن بقول الشاعر:

و قال رائدهم ارسوا نزاولها فكل حتف امرئ يجرى بمقدار ٧ و الشاهد فيه فصل جملة «نزاولها»؛ لأنها جملة خبرية لفظا و معنى، عن جملة «ارسوا»؛ لأنها جملة إنشائية لفظا و معنى.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٤٩٩

أما الاختلاف بين الجملتين في الخبرية معنى فحسب، فقد مثلوا له بقولهم.

«مات فلان رحمه الله» فالجملة الأولى «مات فلان» خبرية لفظا و معنى و الجملة الثانية «رحمه الله» خبرية لفظا إنشائية معنى، لأنها في قوة «اللهم ارحمه»

أما في القرآن الكريم فمن أمثلته قوله تعالى: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ٨. فقد فصلت جملة إِنَّ شَانِئَكَ عن جملة وَ انْحَرْ لأن الأولى إنشائية لفظا و معنى. و الثانية خبرية لفظا و معنى، فبين الجملتين كمال الانقطاع كما ترى.

و مثلها قوله تعالى:

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ٩.

فصلت جملة قُلْ بَلَىٰ وَ رَبِّي عما قبلها قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لأن الأولى خبرية لفظا و معنى، و الثانية إنشائية لفظا و معنى. فبين الجملتين كمال الانقطاع و هذا كثير جدا في القرآن الكريم، و يأتي على صورتين.

\* أن تكون الأولى إنشائية و الثانية خبرية، كما تقدم في سورة «الكوثر».

\* أن تكون الأولى خبرية، و الثانية إنشائية، كما في سورة «سبأ».

هذا هو كمال الانقطاع الموجب لفصل الجملة الثانية عن الأولى و الفصل هو ترك العطف بالواو خاصة كما تقدم.

\* كمال الاتصال: و يتحقق كمال الاتصال بين الجملتين بعدة اعتبارات.

الأول: أن تنزل الجملة الثانية منزلة البدل من الجملة الأولى، و مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَيْنِينَ (١٣٣) وَ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ ١٠

فصلت جملة أَمِدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيِّنَ عَنْ جَمَلَةٍ أَمِدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ لِأَنَّ الْجَمَلَةَ الثَّانِيَةَ نَزَلَتْ مِنْزَلُهُ الْبَدَلُ مِمَّا قَبْلَهَا. لِأَنَّ مَعْنَى الْجَمَلَتَيْنِ وَاحِدٌ، غَيْرَ أَنَّ مَعْنَى الْأُولَى مَجْمَلٌ، وَمَعْنَى الثَّانِيَةَ مَفْصَلٌ، فَبَيْنَ الْجَمَلَتَيْنِ كِمَالُ الْإِتِّصَالِ كَمَا تَرَى.

وَيَلْحَظُ أَنَّ جَمَلَةَ أَمِدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيِّنَ وَمَا عَطَفَ عَلَيْهَا مِنْزَلُهُ الْبَدَلُ مِنَ الْكُلِّ، لِأَنَّ إِمْدَادَ اللَّهِ لِلْعِبَادِ أَعْمٌ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْبَنِينَ، وَالْجَنَاتِ وَالْعِيُونَ.

وَالدَّاعِي الْبَلَاغِي لِهَذَا الْإِبْدَالِ هُوَ إِظْهَارُ الْإِمْتِنَانِ عَلَى الْمُخَاطَبِينَ، بِذِكْرِ النِّعَمِ مَجْمَلَةً فِي الْآيَةِ الْأُولَى، وَمَفْصَلَةً بَعْضَ التَّفْصِيلِ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةَ وَالثَّلَاثَةَ.

وَقَدْ تَكُونُ الثَّانِيَةَ مِنْزَلُهُ مِنَ الْأُولَى مِنْزَلُهُ بَدَلُ الْإِشْتِمَالِ وَمِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٠٠

قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ١١.

فَصَلَّتْ جَمَلَةَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا عَنْ جَمَلَةِ قَالَ يَا قَوْمِ لِأَنَّ بَيْنَ الْجَمَلَتَيْنِ كِمَالُ الْإِتِّصَالِ، لِأَنَّ الْأُولَى مُشْتَمَلَةٌ عَلَى مَعْنَى الثَّانِيَةَ، لِأَنَّ الْمُرْسَلِينَ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ أَجْرًا عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ.

أَوْ تَكُونُ الْجَمَلَةُ الثَّانِيَةَ بَدَلُ كُلِّ مِنْ كُلِّ، وَيُمْكِنُ التَّمَثِيلُ لَهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

يَلِّقُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٢.

لِأَنَّ مَا فِي الْجَمَلَتَيْنِ الثَّانِيَةَ وَالثَّلَاثَةَ، هُوَ الَّذِي قَالَهُ الْأَوَّلُونَ فَفَصَلَّتْ جَمَلَةُ قَالُوا إِذَا مِنَّا عَنْ جَمَلَةِ بَلِّقُوا لِمَا بَيْنَ الْجَمَلَتَيْنِ مِنْ كِمَالِ الْإِتِّصَالِ؛ لِتَنْزِيلِ الثَّانِيَةَ مِنَ الْأُولَى مِنْزَلُهُ بَدَلُ الْكُلِّ مِنَ الْكُلِّ.

وَيَلْحَظُ أَنَّ الْجَمَلَةَ الثَّانِيَةَ الْمَفْصُولَةَ فِي كُلِّ مَا تَقَدَّمَ أَكْثَرَ وَضُوحًا مِنَ الْجَمَلَةِ الْأُولَى.

هَذَا فِي جَمَلِ كِمَالِ الْإِتِّصَالِ دُونَ كِمَالِ الْإِنْقِطَاعِ.

وَقَدْ يَكُونُ كِمَالُ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْجَمَلَتَيْنِ بِتَنْزِيلِ الثَّانِيَةَ مِنْزَلُهُ، التَّوَكِيدُ مِمَّا قَبْلَهَا، مَعْنَوِيًا وَلَفْظِيًّا. وَمِثَالُهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ١٣.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى وَلَّى مُسْتَكْبِرًا تَوَكِيدٌ لَجَمَلَةِ كَأَنَّ لَّمْ يَسْمَعْهَا لِأَنَّهَا تَوَكَّدَ نَفْيُ التَّأْثِيرِ فِي مَنْ تَلَيْتَ عَلَيْهِ آيَاتِ اللَّهِ. فَبَيْنَ الْجَمَلَتَيْنِ كِمَالُ الْإِتِّصَالِ؛ لِأَنَّ الثَّانِيَةَ نَزَلَتْ مِنْزَلُهُ التَّوَكِيدُ الْمَعْنَوِي مِمَّا قَبْلَهَا، لِذَلِكَ فَصَلَّتْ عَنْهَا وَلَمْ تَعَطَفَ عَلَيْهَا.

كَمَا فَصَلَّتْ جَمَلَةُ كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا عَنْ جَمَلَةِ كَأَنَّ لَّمْ يَسْمَعْهَا لِأَنَّ بَيْنَهُمَا كِمَالُ الْإِتِّصَالِ، لِأَنَّ الثَّانِيَةَ نَزَلَتْ مِنْزَلُهُ التَّوَكِيدُ مِمَّا قَبْلَهَا.

\* وَقَدْ يَكُونُ كِمَالُ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْجَمَلَتَيْنِ بِتَنْزِيلِ الْجَمَلَةَ الثَّانِيَةَ مِنْزَلُهُ عَطْفُ الْبَيَانِ مِمَّا قَبْلَهَا (مَفْسَّرَةٌ) وَمِثَالُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءٍ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ١٤.

فَصَلَّتْ جَمَلَةُ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءٍ عَنْ جَمَلَةِ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ لِأَنَّ الْجَمَلَةَ، الثَّانِيَةَ نَزَلَتْ مِنْزَلُهُ عَطْفُ الْبَيَانِ عَمَّا قَبْلَهَا، (جَمَلَةٌ تَفْسِيرِيَّةٌ) فَبَيْنَ الْجَمَلَتَيْنِ كِمَالُ الْإِتِّصَالِ كَمَا تَرَى.

وَمِثْلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٠١

فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى ١٥.

فَجَمَلَةُ قَالَ يَا آدَمُ بَيَانٌ وَتَفْسِيرٌ لَجَمَلَةِ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ لِذَلِكَ فَصَلَّتْ الثَّانِيَةَ عَنْ الْأُولَى لِأَنَّ بَيْنَهُمَا كِمَالُ الْإِتِّصَالِ، حَيْثُ كَانَتِ الثَّانِيَةَ بَيَانًا وَتَفْسِيرًا لِلْأُولَى.

و غير ذلك كثير في كتاب الله العزيز.

\* شبه كمال الاتصال: و يسمى:

الاستئناف البياني و ضابطه أن تنزل الجملة الثانية منزلة جواب عن سؤال تضمنته الجملة الأولى. و من أمثله المستفيضة في القرآن الكريم قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام.

وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ .. ١٦.

فالجملة الأولى تضمنت سؤالاً حاصله:

و لما ذا لا تبرئ نفسك؟ فكان الجواب:

إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ففصلت هذه الجملة عن الجملة الأولى؛ لأن الثانية نزلت منزلة جواب عن سؤال تضمنته الجملة الأولى، فبين الجملتين شبه كمال الاتصال، أو الاستئناف البياني كما عرفت.

و منه في القرآن الكريم قوله تعالى:

قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ يَّحْكِي اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا دَارَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ الْمَلَائِكَةِ حِينَ دَخَلُوا عَلَيْهِ.

و جملة قال سلاماً فصلت عما قبلها لأنها بمثابة جواب عن سؤال تضمنته الجملة الأولى:

ما ذا قال إبراهيم في رده على الملائكة؟

فكان الجواب: قال سلاماً فبين الجملتين شبه كمال الاتصال أو الاستئناف البياني - لذلك فصلت الثانية عن الأولى. و يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني أن كل جملة مفصولة بعد جملة «قال» في القرآن هي جواب عن سؤال مقدر تضمنته الأولى ١٧، و إذا صح هذا فإن الاستئناف البياني في القرآن أكثر صور الفصل في القرآن الكريم.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني

المصادر و المراجع:

(١) اللسان و المعاجم اللغوية، مادة: فصل.

(٢) الإيضاح (١٤٨).

(٣) دلائل الإعجاز (٢٢٢ - ٢٤٤).

(٤) مفتاح العلوم (١٢٠).

(٥) الإيضاح (١٤٧).

(٦) شروح التلخيص (٢ / ٣) المطول (٢٤٧) الأطول (٢ / ٢).

(٧) البيت للأخطل، انظر الإيضاح (١٥٠) المصباح (٣١).

(٨) الكوثر (٢ - ٣).

(٩) سبأ (٣).

(١٠) الشعراء (١٣٢ - ١٣٤).

(١١) يس (٢٠ - ٢١).

(١٢) المؤمنون (٨٠، ٨١، ٨٢).

(١٣) لقمان (٧).

(١٤) الحجر (٦٦).

(١٥) طه (١٢٠).

(١٦) يوسف (٢٣).

(١٧) دلائل الإعجاز (٢٣٨).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٠٢

## الوصل

الوصل في اللغة: الجمع و الضم، ضد التفريق و القطع ١ أما في اصطلاح البلاغيين فهو عطف جملة، لا محل لها من الإعراب، على أخرى لا محل لها من الإعراب بالواو خاصة بشرط مخصوص ٢.

و قد تقدمت الإشارة إليه في مبحث الفصل قريبا، و الذي يقتضى هذا النوع من العطف مناسبة حاصلة في الجملتين: المعطوف عليها و المعطوفة، و قد عثر عن هذه المناسبة البلاغيون، و أسموها:

- التوسط بين الكمالين: و المراد من الكمالين:

\* كمال الانقطاع.

\* كمال الاتصال.

لذان مرّ الحديث عنهما في مبحث الفصل بين الجمل من قبل.

و يتحقق هذا التوسط بين الجملتين إذا اتفقت الجملتان في الخبرية و الإنشائية، بأن تكونا خبريتين معا، أو إنشائيتين.

و الجملتان الإنشائيتان لا تكونان إلا جملتين فعليتين أما الجملتان الخبريتان فتكونان اسميتين، و تكونان فعليتين إذا كان الفعل فيهما ماضيا، أو مضارعا غير منهي عنه ب «لا» الناهية.

و هذا الوصل بين الجمل بضوابطه المشار إليها كثير جدا في القرآن الكريم، لا تكاد تخلو منه سورة من سوره حتى قصار السور ٣. و من أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى:

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ٤ وصلت جملة إِنَّ الْفُجَّارَ بِجَمَلَةٍ إِنَّ الْأَبْرَارَ بِالْوَاوِ؛ لأن بين الجملتين التوسط بين الكمالين لأن كلا منهما خبرية لفظا و معنى.

و قد حسن هذا الوصل التقابل بين الأبرار و الفجار و النعيم و الجحيم، و لام التوكيد الداخل على جملة الخبر لَفِي - لَفِي و الجملتان هنا اسميتان و نظيرهما قوله تعالى:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٠٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ٥.

عطف جملة كُونُوا على جملة اتَّقُوا اللَّهَ لاتفاق الجملتين في الإنشائية لفظا و معنى، فبين الجملتين التوسط بين الكمالين؛ لأن كلا منهما فعل أمر. ٦.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني

المصادر و المراجع:

(١) اللسان و المعاجم اللغوية، مادة: وصل.

(٢) انظر هوامش مبحث الفصل.

(٣) قصار السور مثل سور جزء (عم) سميت كذلك لكثرة الفصل بينها ب «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٤) الانفطار (١٢-١٣).

(٥) التوبة (١١٩).

(٦) ينظر الإيضاح و شروح التلخيص و المطول: مبحث الفصل و الوصل.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٠٤

### الإخراج على خلاف الظاهر

الإخراج في اللغة هو الإظهار ١.

أما في اصطلاح البلاغيين فهو فن قولى دقيق المسلك رفيع القدر، يدور معناه حول إفساح الطريق أمام البليغ ليورد كلامه على حسب تقديره الخاص، مخترقا به المعايير النمطية التي يتحتم إيراد الكلام على هداها و يلتزم بها المتكلمون، لأنها أشبه ما تكون باللوغارتمات الصارمة.

و هذا المصطلح «الإخراج على خلاف الظاهر» يحتاج في فهمه إلى تمهيد، و مقدمة خلاصتها أن البلاغيين يشترطون في بلاغة الكلام أن يكون مطابقا لمقتضى الحال، و الحال عندهم هي الأمر أو المناسبة التي تدعو المتكلم إلى الكلام. و هذه المناسبات مختلفة فقد تكون تهنئة أو مواساة، أو إصلاحا بين الخصوم أو ترغيبا في أمور، أو تحذيرا من أمور. و كل مناسبة منها لها خصوصية أو كلام مخصوص. فإذا وفق الإنسان لإلقاء الكلام مناسبا للحال التي دعت إلى الكلام كان بليغا، و كان كلامه بلاغة.

و المناسبات التي يتحدث الناس فيها لا تكاد تحصر في عدد محدد، لكن البلاغيين وضحو هذه الفكرة، و هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال من خلال ثلاث مناسبات ضبطوها ضبطا حكيما. و هي بالنسبة للأفكار التي يحملها كلام البليغ أو المعانى التي يريد إذاعتها بين الجمهور. فقد قسموا أحوال المخاطبين أمام الأفكار التي يحملها الكلام ثلاثة أقسام:

١- أن يكون السامع أو المخاطب خالى الذهن من تلك الأفكار و ليس له موقف سابق منها بالإثبات و القبول أو النفي و الرفض.

٢- أن يكون المخاطب أو السامع، أو حتى القارئ مترددا بين قبول الفكرة أو رفضها، لعدم ترجيح طرف على آخر من طرفيها.

٣- أن يكون المخاطب رافضا للأفكار التي يحملها الكلام.

هذه هي المستويات الثلاثة، التي استعان البلاغيون بها على تحديد الكلام الذى يعد بلاغة. و سموا هذه المستويات أحوالا للمخاطبين، ثم نصوا على ما يناسب كل حال منها من الكلام البليغ.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٠٥

\* فالمناسبة الأولى (خلو الذهن) قالوا إن الكلام المناسب لها أن يكون خاليا من أساليب التوكيد، مثل:

إن- أن- القسم- التكرار- نونا التوكيد الخفيفة و الثقيلة- لام التوكيد.

و مثال مطابقة الكلام لظاهر مقتضى الحال في هذه الحالة من القرآن الكريم قوله تعالى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ لم يأت هذا الخبر دفعا لتردد في استحقاق الله للحمد، و لا لدفع إنكار من منكر. أما من غير القرآن فقد مثلوا لها بقولهم: «عبد الله قائم».

\* أما المناسبة الثانية (التردد) فالكلام المناسب لها هو التوكيد بمؤكد واحد.

و مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى.

إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ٣.

حيث اشتمل الكلام على مؤكد واحد هو إن أما من غير القرآن فقد مثلوا له بقولهم: «إن عبد الله قائم».

\* أما المناسبة الثالثة (الإنكار) فالكلام المناسب لها أن يؤكد الخبر الدافع لهذا الإنكار بمؤكدين فأكثر و مثاله من القرآن الكريم قوله



تعالى:

إِنَّكُمْ لَدَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ٤.

أكد الخبر هنا بثلاثة مؤكدات هي: أن- لام التوكيد- اسمية الجملة لأن المخاطب؛ كافر. و الكافر لا يؤمن بالآخرة. و مثاله من غير القرآن الكريم قولهم: «إن عبد الله لقائم، و فيه ثلاثة، مؤكدات، مثل ما فى الآية، و هى: \* إن.

\* لام التوكيد

\* اسمية الجملة.

و قال البلاغيون فى اختلاف نظم التراكيب الثلاثة، مع أن المعنى- فى الظاهر- واحد: إن التركيب الأول إخبار بقيام عبد الله.

و التركيب الثانى إزالة للتردد فى قيامه و الثالث إزالة لإنكار منكر قيامه.

و الكلام فى التركيب الأول سموه الخبر الابتدائى، و فى التركيب الثانى سموه الخبر الطلبى، و فى الثالث الخبر الإنكارى و سموها جميعا- أضرب الخبر ٥.

فإذا خرج المتكلم عن هذه الحدود المرسومة، كأن يؤكد الخبر لخالى الذهن، و يترك التوكيد مع المنكر- لا يسمى الكلام بليغا، و لا المتكلم؛ لأنه أخرج كلامه على خلاف ظاهر مقتضى الحال.

أما فى القرآن الكريم فنرى فى مواطن كثيرة إخراج الكلام على مقتضى الحال، و فى مواطن أخرى يأتى الكلام مخرجا على خلاف الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٠٦

ما يقتضيه ظاهر الحال. و يكون الكلام فى ذروة البلاغة و البيان الرفيع، لأن ذلك الإخراج يجيء فى القرآن لاعتبارات بلاغية خفية تراعى فى البيان القرآنى المعجز ٦.

و من أمثلة الإخراج على خلاف ظاهر مقتضى الحال فى القرآن الكريم قوله تعالى:

ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ٧ فى الآية الكريمة الأولى أكد «الموت» بثلاثة مؤكدات هي:

اسمية الجملة. إن، لام التوكيد. مع أن الموت لا ينكره أحد قط؛ لأنه حقيقة يؤمن بها كل الناس. فمقتضى ظاهر الحال هنا أن لا يكون فى الكلام توكيد، لكن هذا الظاهر خولف لاعتبار بلاغى عظيم.

ذلك أن المخاطبين لما كانوا مفتونين بالدنيا، شديدي الحرص على السعى من أجل الحصول عليها، و التمتع بها و إهمالهم العمل للآخرة، شبّهوا بمن لا يؤمن بالموت فخطبوا خطاب المنكر الشديد الإنكار لنزول الموت به.

و هذا اعتبار بلاغى تربوى كما ترى و كذلك قوله تعالى ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ فيه إخراج للكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فالبعث أنكره كثير من الناس فى حياة كل الرسل، و حكى القرآن الكريم نفسه ما قاله منكرو البعث من مشركى العرب. و مع ذلك ترى القرآن- هنا- لا يؤكد مجيء البعث إلا بمؤكد واحد، و كان الظاهر يقتضى أن يؤكد بثلاثة مؤكدات أو أكثر. فلما ذا خولف الظاهر هنا يا ترى؟

الداعى البلاغى لهذه المخالفة، هو إظهار التعريض بغفلة المخاطبين المنكرين للبعث.

و الإيحاء بأن البعث جدير به أن لا ينكره منكر، لقوة الأدلة عليه، لأن منكرى البعث بنوا إنكارهم على أساس استحالة إحياء الأنفس بعد موتها و صيرورة الأجساد ترابا، و هذه شبهة واهية لأن الله خلق الناس من العدم، فكيف يستحيل عليه أن يعيد حياتهم، و قد خلقهم من قبل و لم يكونوا شيئا.

هذا هو الاعتبار أو الداعى البلاغى فى مخالفة الظاهر فى الآيتين معا، و هى اعتبارات بليغة أسمى ما تكون البلاغة. و هذا هو الشأن فى

كل صور الإخراج على خلاف ظاهر الحال في القرآن الكريم.

على أننا نجد دواعي أخرى في القرآن الكريم للإخراج على خلاف الظاهر، نكتفى بمثال واحد منه توخياً للإيجاز. المثال هو قوله تعالى:

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٨

هذا كلام الملائكة لله عز وجل، حين طلب

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٠٧

منهم أن ينبؤوا الله- وهو أعلم- بأسماء الأشياء التي علم الله أسماءهم لآدم.

المتكلم في هذه الآية هم الملائكة.

والمخاطب هو الله عز وجل.

والملائكة، لا ينكرون أن الله هو العليم الحكيم. والله- وهو المخاطب- لا ينكر أنه هو العليم الحكيم. فكان مقتضى ظاهر الحال أن يقولوا: أنت العليم الحكيم بدون أية مؤكادات. لأن التوكيدات لا تكون إلا مع المنكر. ومع هذا نرى خطاب الملائكة، لله جاءت فيه أربع مؤكادات، هي:

إن- أنت- اسمية الجملة- تعريف المسند إليه والمسند (المبتدأ والخبر).

فالمسند إليه هو «الكاف» في إِنَّكَ والمسند هو الْعَلِيمُ.

فلما ذا- إذا- خولف مقتضى ظاهر الحال- هنا- هذه المخالفة القوية الظاهرة؟.

إن الداعي والسر البلاغي في هذه المخالفة هو: «أن مضمون الخبر في هذا التركيب حقيقة عظيمة، ومن حق الحقائق العظيمة أن يعبر عنها في البيان العظيم بأسلوب فخيم عظيم مثلها» وهذا المنهج خاص ببيان القرآن الكريم، ليس له نظير في بلاغة البلغاء من البشر، وله في القرآن الكريم مواطن أخرى في آيات الله المعجزة.

فالتوكيد في الآية لم يكن مراعاة فيه حال المتكلم، ولا حال المخاطب. بل الذي روعى فيه حال المعنى وحده. وللإخراج على خلاف الظاهر في القرآن الكريم صور أخرى هي:

الالتفات- ووضع المظهر موضع المضمرة، ووضع المضارع موضع الماضي، ووضع الماضي موضع المضارع، ثم القلب. والمقام- هنا- لا يتسع للحديث عنها.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني

المصادر والمراجع:

(١) اللسان والمعجم اللغوية، مادة: خرج.

(٢) فاتحة الكتاب (١).

(٣) الإسراء (٨١).

(٤) الصافات (٣٨).

(٥) بغية الإيضاح (٢٩).

(٦) وفي كلام البلغاء شعرا ونثرا أمثلة على هذا الإخراج المخالف للظاهر انظر شروح التلخيص (مبحث الخبر).

(٧) المؤمنون (١٤-١٥).

(٨) البقرة (٣٢).

للاستزادة ينظر مبحث الخبر في:

- الإيضاح للخطيب القزويني.

- المطول لسعد الدين التفتازاني.

- الأطول لعصام الدين.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٠٨

## الالتفات

الالتفات لغة التحول و الانصراف من جهة إلى أخرى يقال التفت عن الشيء: تحول و انصرف عنه، و التفت إليه إذا أدار وجهه نحوه  
١.

فأصل الالتفات يكون في الأفعال بإدارة الوجه وحده أو هو و العنق. أما في اصطلاح علماء البلاغة فالالتفات مقصور على الأقوال دون الأفعال. و له ست صور:

\* الالتفات في التعبير من الغائب إلى المخاطب؟

\* الالتفات في التعبير من الغائب إلى المتكلم؟

\* الالتفات في التعبير من المتكلم إلى المخاطب؟

\* الالتفات في التعبير من المتكلم إلى الغائب؟

\* الالتفات في التعبير من الخطاب إلى التكلم؟

\* الالتفات في التعبير من الخطاب إلى الغيبة؟

و قد أورد البلاغيون تعريفات كثيرة للالتفات أكثرها غير واف بالمراد، بدأ من تعريف ابن المعتز للالتفات ٢ إلى تعريف ابن الأثير له  
٣.

و لم يوضع له تعريف في دقيق إلا على يد الخطيب القزويني، و الذي تابعه عليه شراح تلخيصه و جمهور البلاغيين ٤.  
و التعريف الذي كتبه الخطيب و تابعه عليه الجمهور هو: «الالتفات: التعبير عن معنى الطرق الثلاثة التكلم و الخطاب و الغيبة، بعد التعبير عنه بواحد منها» و معنى هذا التعريف يؤول إلى الصور الست التي تقدمت.

و قد ورد في القرآن الكريم الالتفات في صورته المشار إليها من قبل.

فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب ورد في مواضع كثيرة منها قوله تعالى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٣) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٤) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فقد بدأ الحديث بطريق الغيبة في الآيات الثلاث الأولى ثم عدل عن الغيبة إلى الخطاب في أربعة مواضع في الآيات الرابعة و الخامسة، و السادسة في الجمل الآتية:

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ أَنْعَمْتَ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٠٩

و مثال الانتقال من الخطاب للغيبة قوله تعالى:

حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ .. ٥.

و للالتفات وظيفة بيانية عامة و وظيفة خاصة. فالعامة هي تلوين الخطاب، و فائدته تنشيط ذهن السامع، و دفع الملل عنه، لأن في انتقال الحديث من أسلوب إلى أسلوب تجديدا لحركة الذهن، و ترويحاً على المشاعر. و هذا عام في كل صور الالتفات.

و في ذلك يقول الإمام الزمخشري:

«و تلك على عادة افتنانهم- أى العرب- فى الكلام، و تصرفهم فيه؛ و لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع، و إيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، و قد تختص مواقع بـفوائد» ٦.

و قد أشار بقوله: «و قد تختص مواقع بـفوائد» إلى ما تختص به كل صورة من صور الالتفات فوق تطرية الكلام و تلوين الخطاب.

و تطبيق هذه الملامح البيانية التى تشع من كل صورة من صور الالتفات على ما تقدم من سورتي «أم الكتاب» و «يونس» يرينا ما لهذا الفن البلاغى فى القرآن من دور عظيم الشأن فى التأثير على النفوس.

فالانتقال من الغيبة إلى الخطاب فى آيات «الفاحة» كان عقب ثناء العبد على الله بطريق الغيبة. فهو وحده المستحق للحمد كله.

و هو وحده الرحمن الحق، و الرحيم الحق و هو وحده مالك شئون يوم الدين.

و بعد استحضر هذه الكمالات فى المشاعر، يقترب العبد من حضرة ربه، و يقف بين يديه فيخاطب ربه مخاطبة الحاضر؛ لا مخاطبة الغائب.

أما فى آية «يونس» فإن قوله تعالى:

حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ أَى اسْتَقَرْتُمْ وَ رَكِبْتُمْ فِيهَا. وَ الْفُلُكُ تَرْكَبُ لِتَجْرِيَ بِمَنْ فِيهَا، فَإِذَا جَرَتْ وَ أَسْرَعَتْ بِرَاكِبِيهَا فَقَدْ غَابُوا وَ هِيَ تَمُخَّرُ بِهِمْ عِبَابَ الْمَاءِ. فَالْتَفَتَ الْقُرْآنُ مِنْ تَوْجِيهِ الْخَطَابِ إِلَيْهِمْ إِلَى الْحَدِيثِ عَنْهُمْ بِطَرِيقِ الْغَيْبَةِ إِشَارَةً إِلَى نِعْمَةِ جَرَى السَّفِينِ بِهِمْ.

و مثال الانتقال من الغيبة إلى التكلم قوله تعالى:

وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ .. ٧.

فقد جرى الحديث أولاً عن الغائب، ثم التفت من الغيبة إلى التكلم فقال فسُقْنَاهُ.

و الداعى البلاغى لهذا الالتفات هو التلويح

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥١٠

منه تعالى بعظم النعمة، و كمال التدبير، لأن سير السحب فى اتجاهات ملحوظة فى الجو محض تدبير من الله عز و جل بما يصلح أحوال العباد، فهو يصرف السحب عن لسوا فى حاجة إلى الماء، إلى قوم يعلم الله شدة حاجتهم إلى الماء، فيأمر السحب بالسير نحوهم.

و مثال الانتقال من التكلم إلى الغيبة قوله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ أَنْحَرْ وَ كَانَ الْأَصْلُ أَنْ يُقَالَ: فَصَلِّ لَنَا، بضمير المتكلم لا الاسم الظاهر (رب)- لأنه من قبيل الغائب.

و الداعى البلاغى هو إظهار الامتنان على المخاطب؛ و سرعة امتثال الأمر؛ لأن الصلاة المأمور بها هى (لربك) و من خصائص (رب) الإنعام و الرعاية، و فى قوله عز و جل:

وَ مَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ التفت من التكلم إلى الخطاب، حيث أوقع الفعل «فطر» على ضمير المتكلم، ثم التفت منه إلى الخطاب فى تُرْجَعُونَ و الداعى البلاغى هو التصريح بتعميم الحكم (الرجوع إلى الله) على جميع الذين فطرهم الله، لئلا يتوهم المخاطبون أنه خاص بالمتكلم.

و يجوز أن يكون فى هذه الآية إيجازاً بالحذف المسمى «الاحتباك» حيث حذف من الأول (فطرنى) ما دلّ عليه الثانى (ترجعون) و من الثانى (ترجعون) ما دلّ عليه الأول (فطرنى) و التقدير و ما لى لا أعبد الذى فطرنى و فطركم، و إليه ترجعون و أرجع.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

- (١) لسان العرب و المعاجم اللغوية، مادة لفت.
- (٢) البديع (٥٨).
- (٣) المثل السائر (٢/٤) و الجامع الكبير (٩٨).
- (٤) شرح التلخيص للشيخ أكمل الدين البابر تى (٢٥٧) طرابلس شرح و تحقيق محمد مصطفى رمضان ط أولى عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- (٥) يونس (٢٢).
- (٦) الكشاف (١/١٢).
- (٧) فاطر (٩).
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥١١

## القصر

القصر فى اللغة الحبس و التضييق و المنع، و معناه قريب من معنى الحصر ١. أما فى اصطلاح البلاغيين فيدور معناه حول معنى التخصيص أى تخصيص أمر بأمر آخر، بمعنى منع الشركه فيه، فهو لمن خصصته به، كما لو قائل قال:

هذا الكتاب لخالد، فقد قصر ملكية الكتاب على خالد دون أن يشركه أحد فيه.

هذا هو المعنى العام للقصر فى اللغة، أما المعنى فى البلاغة فهو:

«تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص» ٢ هذا تعريف الإمام جلال الدين السيوطى. أما الخطيب القزوينى فقد عرفه بقوله:

«تخصيص أحد الأمرين بالآخر و حصره فيه» ٣ و هو قريب من تعريف السيوطى، بيد أنه لم يذكر الطريق أو الأداة التى تستخدم فى القصر، و قد تداول البلاغيون هذين التعريفين مع ميلهم إلى التعريف الأول.

و هذا مثال يوضح مرادهم من التعريف:

«ما نجا إلا الصالحون» هذا المثال من صور القصر، لأنه خص أمرا هو «النجاة» بأمر هو «الصالحون» أما الطريق المخصوص، الذى به تحقق القصر فهو «النفى و الاستثناء» أى ما و إلا.

و من هذا التحليل يتبين أن أسلوب القصر يتكوّن من ثلاثة أركان:

الأول: هو الأمر المقصور، و هو فى هذا المثال «النجاة».

الثانى: هو المقصور عليه، و هو فى هذا المثال «الصالحون».

الثالث: طريق القصر أو أدواته، و هو - هنا - النفى و الاستثناء، سواء كان بما و إلا، أو بغيرهما.

و هناك أمثلة من القرآن الكريم موزعة على أدوات القصر:

\* النفى و الاستثناء، و مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ .. ٤. هذا قصر موصوف (محمد) على صفة (رسول) أما أداة القصر فهى (ما، و إلا): أى

النفى و الاستثناء فقد خصصت

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥١٢

الآية محمدا صلى الله عليه و سلم بأنه رسول، كما كان من معانى هذا القصر نفى أن يكون لمحمد صلى الله عليه و سلم صفة أخرى تخرجه عن بشريته، و عن منع إجراء أحكام البشرية عليه، و منها الموت، الذى استعظم أصحابه نزوله به عن طريق القتل و غيره.

\* إنما: و من أدوات القصر «إنما» و من أمثلتها فى القرآن الكريم قوله تعالى:

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ .. ٥.

المقصور هو التحريم، و المقصور عليه هو الميتة و ما عطف عليه.

و أداة القصر هي «إنما» و هو قصر صفة (التحريم) على موصوف (الميتة و ما عطف عليه. و أداة القصر هي «إنما» و المعنى:

ما حَرَّمَ عليكم إلا- كذا و المقصور في طريق «إنما» هو ما يأتي بعدها مباشرة أما المقصور عليه فهو ما يأتي ثانيا بعد المقصور و أما المقصور في طريق النفي و الاستثناء فهو ما يقع قبل أداة الاستثناء. و المقصور عليه هو ما يقع بعد أداة الاستثناء.

\* تقديم ما حقه التأخير هذا طريق ثالث من طرق القصر، و هو تقديم ما حقه التأخير، كتقديم الخبر على المبتدأ، و تقديم الحال على صاحبها، و تقديم المفعول على الفعل.

و من تقديم ما حقه التأخير في القرآن الكريم قوله تعالى:

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فقد قَدَّمَ إِيَّاكَ في الموضعين على الفعل نَعْبُدُ، نَسْتَعِينُ لإرادة القصر و التخصيص، و المعنى.

نخصك بالعبادة، و نخصك بالاستعانة، و لو لا إرادة القصر لقل: نعبدك و نستعينك.

لأن هاتين العبارتين لا تمنعان التشريك في العبادة و الاستعانة.

و الآية اشتملت على صورتى قصر، و فى كل منهما قصر صفة على موصوف: أى قصر العبادة و الاستعانة و هما صفتان، على

موصوف، و هو الله عز و جل، المكنى عنه ب «الكاف» فى إِيَّاكَ.

\* تعريف جزئى الجملة الاسمية: و من طرق القصر تعريف جزئى الجملة الاسمية (المسند إليه و المسند) و من أمثله فى القرآن الكريم قوله تعالى.

فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ٦ المسند إليه «الله» و المسند الْوَلِيُّ أى لا ولى إلا الله، قصر صفة على موصوف على سبيل التحقيق.

و أداة القصر هى تعريف كل من المسند إليه فالله و المسند الْوَلِيُّ و قد زاد القصر هنا قوة ضمير الفصل هُوَ.

\* العطف بلا و بل و لكن، و من طرق القصر العطف بلا و بل و لكن. و من أمثله فى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥١٣

القرآن الكريم قوله تعالى: وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ ٧.

المقصور فى الآية هو (من يقتل فى سبيل الله) و المقصور عليه هو أحياءٌ و أداة القصر هى بَلْ قصر موصوف على صفة.

و يشترط فى إفادة بَلْ القصر أن يتقدم عليها نفى أو نهى. و فى هذه الآية تقدم عليها النهى: وَ لَا تَقُولُوا.

و مثل «لكن» قوله تعالى:

ما كان مُحَمَّدٌ أباً أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ ٨ فالمقصور محمد صلى الله عليه و سلم و المقصور عليه الرسالة، و أداة القصر

لَكِنْ و يشترط فيها ما اشترط فى بَلْ من تقديم النفى أو النهى عليها.

و قد تقدم عليها فى هذه الآية النفى بما.

و للقصر أنواع ثلاثة، باعتبار حال المخاطب، فقوله تعالى إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ٩.

يصلح أن يكون قصر قلب، أو قصر أفراد، أو قصر تعيين.

\* فإن كان المخاطب يعتقد أن محمدا ملك لا بشر كان القصر قصر قلب، أى قلب اعتقاد المخاطب إلى العكس.

و إن اعتقد أنه ملك و بشر، كان قصر أفراد.

\* و إن كان مترددا هل هو ملك أو بشر كان قصر تعيين. و للقصر باعتبار الواقع نوعان:

\* قصر حقيقى مطابق معناه للواقع، و مثاله من القرآن: اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لأن هذا القول مطابق للواقع تماما.

\* قصر ادعائى أو تنزىلى فإن كان القصر قصر صفة على موصوف فإنك تذهب إلى عدم الاعتداد بكل ما له من صفات سوى الصفة

التي قصرته عليها. و مثاله ما تقدم و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

المصادر و المراجع:

(١) اللسان و المعاجم اللغوية مادة: قصر.

(٢) شروح التلخيص (٢/ مبحث القصر) و معترك الأقران للسيوطى (٢/٢).

(٣) شرح التلخيص (٣٢١) عمل محمد مصطفى رمضان.

(٤) آل عمران (١٤٤).

(٥) المائدة (١١٥).

(٦) الشورى (٩).

(٧) البقرة (١٥٤).

(٨) الأحزاب (٤٠).

(٩) فصلت (٦).

و للاستزادة: انظر مباحث القصر فى:

\* دلائل الإعجاز \* المطول \* الإيضاح

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥١٤

## المجاز العقلى

المجاز فى اللغة مأخوذ من جاز المكان يجوزهُ، إذا انتقل من مكان إلى مكان، و يقال جاز الطريق يعنى سار فيه ١. و تعريفه فى اصطلاح البلاغيين امتداد لمعناه اللغوى إلا إنه أخص، لأن المعنى اللغوى يشمل كل انتقال، على أن الأصل فى اللغة يدور حول انتقال الأجسام، أما فى البلاغة فهو مقصور على نقل الألفاظ من معنى إلى معنى آخر.

و فى هذا المعنى يقول الإمام عبد القاهر الجرجانى «المجاز مفعول من جاز الشىء يجوزهُ إذا تعداه و إذا عدل باللفظ عما يوجبهُ أصل اللغة وضعاً على أنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأسمى أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه أولاً» ٢.

و قد تطور هذا التعريف بعد الإمام عبد القاهر فى مباحث الحقيقة و المجاز فى البحث البلاغى، و قد قسموا المجاز قسمين:

\* المجاز اللغوى و عرفوه بأنه: استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى الوضعى للفظ، و المعنى المجازى.

\* المجاز العقلى، و فرقوا بين المجاز اللغوى و المجاز العقلى بأنه فى المجاز اللغوى يتم التصرف فى معانى اللغة كما فى مبحث الاستعارة فاستعارة كلمة أسد للرجل المقدم تم التصرف بإحلال معنى الأسد بالرجل الشجاع، أما المجاز العقلى فتكون معانى الألفاظ فيه مراداً منها المعانى الوضعية دون إدخال أى تغيير عليها، أما تسميته مجازاً فله اعتبار آخر، هذا الاعتبار يظهر من تعريف المجاز العقلى كما ذكره الخطيب و تابعه عليه جمهور البلاغيين، و هو: «إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول» ٣ و يسمى المجاز الحكيمى أو المجاز الإسنادى، لأنه مجاز مركب لا يقع إلا فى الجمل.

يعنى أن المجاز العقلى يكون بإسناد الفعل، أو ما فيه معنى الفعل كاسمى الفاعل و المفعول إلى غير فاعله فى حكم العقل و الواقع. و الفاعل المجازى فى المجاز العقلى يشترط فى صحته إسناد الفعل أو ما فى معنى الفعل، إليه أن تكون له صلة بالفعل، فإن لم تكن له بالفعل صلة فلا يجوز إسناد الفعل إليه، و لا إسناد ما فيه معنى الفعل. و هذه الصلة هى التى أشار إليها الإمام الزمخشري بالملابسة و

أخذها عنه الخطيب، وجميع البلاغيين من بعده ٤ و الذى يلابس الفاعل و يكون له بالفعل علاقة هو الآتى، مع التمثيل له من القرآن الكريم.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥١٥

\* المكانية من صور المجاز العقلى إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى المكان الذى حدث فيه الفعل، و مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ... يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ٥

هذان مجازان عقليان أحدهما فى إسناد الإخراج إلى الأرض، و الفاعل الحقيقى هو الله. أما الأرض فهى مكان الفعل و ليست فاعله، و الذى سوغ أن تكون الأرض فاعلا للإخراج أنها مكان الفعل. فالملابسة و العلاقة هى المكانية.

و كذلك إسناد التحديث إلى ضمير الأرض، مجاز عقلى علاقته المكانية، أما الفاعل الحقيقى فهو الله عز و جل و مثلهما قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ... ٦ فقد أوقع اسم الفاعل آمناً و هو فى قوة معنى الفعل، على ضمير بلداً على سبيل المجاز العقلى و البلد مكان.

فالملابسة أو العلاقة فيه هى المكانية و فاعل الأمن الحقيقى هم أهل البلد «مكة» لا البلد.

\* الزمانية: لكل فعل زمان يقع فيه، لذلك صح أن يسند الفعل إلى زمانه على سبيل المجاز العقلى، و من أمثله فى القرآن الكريم: فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ٧ فقد أسند فيه الفعل يَجْعَلُ لضمير يَوْمًا على أنه فاعل الشيب فى الولدان أى الأطفال صغار السن، و اليوم هو زمان التشيب لا فاعله، لأن الفاعل الحقيقى هو الله عز و جل، و اليوم ظرف للتشيب.

\* السببية، و قد يكون المجاز العقلى حاصلًا بإسناد الفعل إلى سببه، و هو كثير فى القرآن الكريم، و منه قوله تعالى فى شأن آدم و حواء فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ٨ فقد أسند الإخراج إلى ضمير الشيطان و هو سبب الإخراج و ليس فاعله. و العلاقة فيه هى السببية، و التقدير؛ فأخرجهما الله بسبب وسوسة الشيطان لهما، و إغرائه إياهما على الأكل من الشجرة المحرمة عليهما. و مثله قوله تعالى: ... وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا .. ٩ و المجاز العقلى - عموماً - يفيد المبالغة فى تصوير أثر الفاعل المجازى الذى أسند إليه الفعل فى صدور الأثر المراد، بتحويله من كونه مكانا للفعل أو زمانا أو سببا إلى كونه فاعلا للفعل.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) اللسان و المعاجم اللغوية، مادة: جوز.

(٢) أسرار البلاغة (٣٤٢) دار المعرفة - بيروت - لبنان ١٣٩٨ هو ١٩٧٨ م/ت: محمد رشيد رضا.

(٣) الإيضاح. ضمن شروح التلخيص (١/٢٢٣).

(٤) شروح التلخيص (١/٢٢٥) و ما بعدها.

(٥) الزلزلة (٤٠٢).

(٦) البقرة (١٢٦).

(٧) المزمل (١٧).

(٨) البقرة (٢٣٦).

(٩) الأنفال (٢). الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٥١٦ التشبيه ..... ص: ٥١٦

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥١٦



التشبيه في اللغة: التمثيل، يقال فلان شبيه بفلان، إذا كانت فيه أوصاف ١ تشابه أوصافه. أما في اصطلاح البلاغيين فقد عرفه الخطيب القزويني فقال:

«التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى» ٢ وهذا التعريف فيه قصور؛ لأنه لم يذكر أداة التشبيه وهو - مع قصوره أقرب تعريفات التشبيه إلى الكمال لأن ما قبله من التعريفات أكثر منه قصورا. وأكمل تعريفات التشبيه ما عليه متأخرو البلاغيين حيث عرفوه بقولهم: «التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر، في معنى مشترك بينهما بأداة مذكورة أو مقدره، لغرض يقصده المتكلم». وإنما كان هذا التعريف أكمل ما قيل في تصوير التشبيه لأنه اشتمل على كل أركانه وعناصره: فالأمر الأول هو: المشبه.

و الثاني هو: المشبه به.

و في معنى، هو وجه الشبه.

و بأداة، هي أداة التشبيه حرفا كانت مثل الكاف في قولنا الشمس كالمرآة.

أو اسما في: الشمس مثل المرآة.

أو فعلا في: الشمس تحاكي المرآة.

أما: الغرض الذي يقصده المتكلم فهو الغرض البلاغي من كل عملية تشبيهية.

كما تضمن هذا التعريف حالتى ذكر الأداة و حذفها، و كذلك حذف وجه الشبه و ذكره، و هما ليسا من أطراف التشبيه، بل أمران عارضان و أركان التشبيه هي المشبه، و هو الأمر الأول في التعريف.

المشبه به، و هو الأمر الثاني في التعريف.

الوجه، و هو الصفة المشتركة، بين الأمرين.

الأداة، و هي وسيلة الدلالة على المشاركة.

و المشبه و المشبه به يسميان: طرفى التشبيه.

و مجموع الأربعة، يسمى أركان التشبيه.

و للتشبيه عند البلاغيين أربعة ألقاب، و ثلاث مراتب:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥١٧

\* فاللقب الأول: التشبيه المرسل المفصل و هو ما ذكرت فيه أركانه الأربعة: مثل: (حجة كالشمس في الظهور) فالحجة هي المشبه، و الشمس هي المشبه به، و الكاف هي أداة التشبيه. و فى الظهور هو وجه الشبه.

و سمي مرسلا لذكر الأداة، و مفصلا لذكر الوجه.

و اللقب الثاني: التشبيه المرسل المجمل، و هو ما ذكرت فيه الأداة و حذف الوجه، مثل: حجة كالشمس.

و سمي مرسلا لذكر الأداة، و مجملا لحذف وجه الشبه.

\* و اللقب الثالث: التشبيه المؤكد المفصل، و هو ما حذف فيه الأداة، و ذكر الوجه، مثل:

حجة هي الشمس فى الظهور.

\* و اللقب الرابع: التشبيه المؤكد المجمل، و هو ما حذف فيه الوجه و الأداة معا. مثل:

حجة هي الشمس.

و مراتبه الثلاث من حيث الدلالة على قوة المعنى هي:

\* أدنى درجاته و مراتبه: ما ذكرت فيه أركانه الأربعة كقول الشاعر:

فوجهك كالنار في ضوئها و قلبي كالنار في حرها في البيت صورتان تشبيهيتان:

المشبه في الأول وجه المخاطبة، و المشبه به النار، و الكاف أداة التشبيه. و في ضوئها وجه الشبه. و الصورة الثانية مثلها، ما عدا وجه الشبه فهو «في حرها».

المرتبة الوسطى: هي ما ذكرت فيها الأداة مع حذف الوجه و ما حذف فيه الأداة مع ذكر الوجه. لأن هاتين الصورتين، و هما الثانية و الثالثة، من ألقاب التشبيه، معناهما متكافئان.

المرتبة العليا، هي ما حذف فيها الوجه و الأداة معا، و إنما كانت هذه المرتبة عليا مراتب التشبيه لأن:

في حذف الأداة دعوى الاتحاد بين الطرفين، حتى لكان المشبه صار هو المشبه به، دون عازل بينهما.

و في حذف الوجه دعوى مشاركة المشبه للمشبه به في جميع ما ثبت له من صفات.

لذلك يسمى البلاغيون كل تشبيه حذف منه الوجه و الأداة معا: التشبيه البليغ:

لأنه أقوى مراتبه في الدلالة على المعنى المراد من التشبيه.

و ضابط وجه الشبه عندهم أن يكون مجرورا ب «في» أو منصوبا على التمييز.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥١٨

مثل أن يقال: خالد كالأسد في الشجاعة:

و خالد كالأسد شجاعة.

و التشبيه في القرآن الكريم لم يخرج عن هذه الضوابط التي ذكرناها تمهيدا لفهم تشبيهات القرآن الكريم و منزلتها في البيان المعجز الرفيع.

و التشبيه في القرآن الكريم من أساليب بلاغته العالية و هو فيه كثير الورد، بلغت صورته ما يقارب الخمسمائة صورة، و شملت كل أنماط التشبيه من حيث الأفراد و التركيب في الطرفين و الوجه، و من حيث الحسية و المعنوية فيهما، و أدت هذه الصور خدمات بيانية و تربوية في مجال الدعوة تحنو لها الجباه، و كانت وجهها أو جوها من وجوه الإعجاز القرآني المفحم للإنس و الجن، و حفلت بدقائق و لطائف و أسرار ليس لها نظير خارج دائرة البيان القرآني.

و جمعت في دلالاتها بين إقناع العقل، و إمتاع العاطفة و تغذية القلوب، و كشفت عن خبئات المعاني، ترغيبا و ترهيبا، تحببنا و تنفيرا، و مثلت الخفى في صورة الجلى، و الغامض في صورة المكشوف، و خاطبت كل حواس الإدراك في الإنسان و كل ملكات الفهم و التدوق عند العقلاء.

خذ إليك مثلا قوله تعالى:

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتًا مَرْصُوصًا ٥.

جاء التشبيه في نهاية الآية، و قد تقدم عليه ما ينفي عنه كل نقص، هو قوله تعالى:

فِي سَبِيلِهِ دَفَعَا لِقِتَالِ الَّذِي لَمْ يَرِدْ بِهِ نَصْرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ كَانَتْ لَهُمْ جُلُودٌ مَثَلُ حَصِيدٍ أَوْ ظُلْمًا.

كما تقدم عليه قوله تعالى صِفًا إلماحا إلى شدة التماسك بين المجاهدين في سبيل الله، بحيث لا يترك تماسكهم أدنى خلل يضعف قوتهم. ثم جاء التشبيه شارحا لذلك التماسك المفهوم من قوله: صَفًا هكذا:

كالبنيان و وجه الشبه هو «القوة و الأحكام، و هو محذوف و قد صار التشبيه بحذف الوجه مجملا، فأفاد عموم الاشتراك بين المشبه و المشبه به، و هو أحد عنصرى التشبيه البليغ.

و من سحر البيان في هذا التشبيه إيثار أداة التشبيه كأن وقد تقدم أن ذكر الأداة يكون معه التشبيه مرسلًا، والإرسال أدنى دلالة من التوكيد الذي يترتب على حذف الأداة، لكن الأداة كأن دفعت هذا الاحتمال لأن «كأن» مركبة من عنصريين كما ترى:

الكاف، ثم أن. و هي من أدوات التوكيد، لأنها من أخوات «إن»

هذا التركيب يوحى بأن «الكاف هي أداة التشبيه، أما «أن» فهي أداة توكيد قائمه برأسها. فيكون التشبيه في الآية مؤكداً،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥١٩

فيقول عن هذه الصورة التشبيهية وصف الإرسال.

و حتى لو لم تكن «كأن» مركبة. فهي عند فريق من العلماء تستعمل في التشبيه المؤكد، فيكون مرسلًا من جهة، ذكر الأداة لفظًا، و مؤكداً من جهة معنى «كأن».

و المشبه به بُنيانٌ جىء به منكرًا بقصد التعظيم أى بنيان عظيم فى قوة تماسكه.

أما قوله مَرصُوصٌ فقد كمل به الحسن من كل وجه، لأن البنيان قد يكون على هيئة لا تماسك فيها. فجاء «مرصوص» بمثابة احتراس لدفع كل عوامل الوهن عن المشبه به.

أما من حيث تحليل عناصر هذا التشبيه فإن الملاحظ فيه:

أن المشبه مفرد حسى و إن كان جمعًا: لأن المثني و الجمع فى هذا المبحث من قبيل الأفراد، و هو الذين يقاتلون فى سبيل الله صفا. و المشبه به مفرد حسى كذلك، و هو البنيان المرصوص و الوجه مفرد حسى، و هو: قوة التماسك الملحوظة فى المشبه و المشبه به معًا.

أما الغرض من التشبيه فهو الترغيب.

و مثال آخر، هو قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ٦

التشبيه هو قوله تعالى: وَ سِرَاجًا مُنِيرًا و الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم. المشبه فيه هو النبي عليه السلام.

و المشبه به هو السراج، و أداة التشبيه محذوفة و الوجه محذوف كذلك. و ليس هو مُنِيرًا لأنه وصف للمشبه به، لا- منصوب على التمييز، حتى يصلح أن يكون وجهًا للتشبيه.

و إنما الوجه هو: فى الهداية «لأن الهداية متحققه فى الطرفين المشبه (محمد صلى الله عليه و سلم) و المشبه به (السراج المنير).

و المشبه و المشبه به مفردان حسيان، و الوجه (الهداية) مفرد عقلى معنوى. و الغرض الثناء و فى هذا التشبيه لطيفة من لطائف البيان العالى و البلاغة الأسرة و الإعجاز الحكيم.

ذلك أن المشبه به هو السراج، و السراج مصدر ضوئى ذاتى، كالشمس، و ليس مصدر إنارة مستمدة من غير السراج. فكان الظاهر أن يقال: و سراجا مضيئا. كما قال:

الشَّمْسُ ضِيَاءٌ أَى جَعَلْنَاهَا مَضِيئَةً لَا مَنِيرَةً، لَأَنَّ الضَّوْءَ مَا صَدَرَ عَنْ مَصْدَرِهِ صَدُورًا مَبَاشِرًا. أما النور و الإنارة فمصدره

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٢٠

عاكس لضوء غيره. لذلك وصف القمر فى القرآن بأنه نور، و منير، لأنه يعكس ضوء الشمس، و ليس له إشعاع ذاتى.

إذن، لما ذا وصف القرآن محمداً صلى الله عليه و سلم بعد تشبيهه بالسراج بأنه مُنِيرًا و السراج له ضوء لا نور؟

إن إيثار مُنِيرًا على «مضيئا» قبس من ضوء الإعجاز البلاغى فى القرآن الكريم؛ لأن محمداً صلى الله عليه و سلم لم يخترع الهدى الذى جاء به من عند نفسه و إنما تلقاه عن الله عز و جل، فهو عاكس لهذا الضوء الإلهى و لوقيل «مضيئا» لوقع فى بعض الأفهام أنه مجرد عبقرى من عباقرة البشر، و ليس له صلة بالله. و هذا ما يردده بعض المستشرقين الآن، لكن لما قال مُنِيرًا أحكم غلق كل النوافذ أمام

الأوهام المريضة، عن طريق استخدام مفردات اللغة في أعلى و أدق و أحكم مستويات استعمالها. كما كان في إيثار مُبَيَّراً على «مضيئاً» إثبات لرسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه منير عاكس لضوء مصدره الله عز وجل، وليس هو مصدره.

و لقائل أن يقول:

ولما ذا لم يقل القرآن: وقمر منيرا؟

فيرحنا من تلك التأويلات؟

والجواب: أن البلاغة والإعجاز في وسراجاً مُبَيَّراً وليس كذلك: وقمر منيرا.

و ذلك لأن من منهج القرآن البلاغى ألا يشبه أحدا من الخلق بالقمر «فهذا أمر هجره البيان القرآنى تماما. هذه واحدة. والثانية أن التشبيه بالقمر لا يرقى إلى مستوى التشبيه بالسراج. ولا يؤدي عشر معشار المعانى التى تشع منه، بيان ذلك: أن القمر متقلب لا يدوم على حال. ففى كل يوم له وضع يختلف عما قبله و ما بعده:

يبدو ضعيفا هزيلا نحيفا فى أولى مراحلها، قصير المكث فى الأفق و لا يبلغ تمامه إلا ليلة واحدة فى دورته الشهرية، ثم يعود عكس ما بدأ، يصغر حجمه ليلة قليلة، ثم يختفى تماما فى آخر لياليه.

وليس الهدى الذى جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك فهو مستقر لا متقلب كالقمر، دائم لا تعترية آفات و لا علل. إن السراج الذى شبه الله به محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينطفئ منذ أشعله الله، و لم يضعف، و لن ينطفئ و لن يضعف. لذلك كان التشبيه به بلاغة و إعجازا. أما التشبيه بالقمر - فى هذا المقام - فعى و فهاهه، لذلك لم يشبه الله رسوله به؛ لأن حديث الله أحسن الحديث، و قوله أصدق الأقوال.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٢١

فتأمل هذه الروائع و اللطائف فى هذا التشبيه، و قس عليها ما شئت من تشبيهات البشر، لتدرك بعد الشرى من الثرى.

و صورة ثالثة نرجع عليها فى سرعة، هى قوله تعالى:

وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَ لَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۗ

هذه الآية تتحدث عن رجل أو صنف من الناس كانوا يقفون عقبه كئودا فى وجه الدعوة، و يستجلبون بدائل عنها يلهون بها الناس عن سماع دعوة الحق، و يفرون هم منها فرار الحمر المذعورة من الأسد الهصور. هذه هى القضية، فكيف صورها التشبيه القرآنى للناس، فى كلمات صغار ذوات معان كبار.

تعال معى لنرى و نتذوق: صورها أولا:

وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَ لَّىٰ مُسْتَكْبِرًا وَ التولى هو الفرار أو الهروب السريع، ثم بين علة هذا الهروب و الفرع، و هى الاستكبار، و جعل الاستكبار حالا منه، يعنى هرب يطير به استكباره الخادع. و من أى شىء هرب مسرعا؟ من آيات الله الهادية إلى سبيل أقوم.

هذا التصوير كان كافيا فى رسم شخصية هذا الخصم الألد، لكن القرآن يخطو بنا خطوة أخرى عن طريق التشبيه فيقول:

كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا شَبَهَ حَالَهُ فِي عَدَمِ التَّأَثُّرِ بِهَدْيِ اللَّهِ، وَ هُوَ يَتَلَىٰ عَلَيْهِ بِحَالٍ مِّن لَّمْ يَسْمَعْ تِلْكَ الْآيَاتِ الْهَادِيَاتِ. وَ وَجْهُ الشَّبَهِ هُوَ انْعِدَامُ الْإِحْسَاسِ بِمَا يَتَلَىٰ.

و من دقائق هذه الصورة إيثار (أن) المخففة من الثقيلة (أن) لأن هذا الإيثار أتاح حذف ضمير الشأن من (أن) مضافا إلى تخفيف (أن) من التشديد. فكان فى هذين (التخفيف و حذف ضمير الشأن) إسراع إلى وصف هذا الصنف من الناس بعدم السماع، و فى هذا ذم لهم و تسجيل سريع عليهم بالإعراض عن دعوة الحق.

و المشبه و المشبه به أمران معنويان: انعدام التأثر، و فقد القدرة على السماع. و وجه الشبه هو شدة التبلد فى كل منهما ثم جاء التشبيه

الثانى كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرَأَ كَاشِفَا، و شارحا لفقد القدرة على السماع فى التشبيه الأول، مع زيادة تأصيل للصمم الذى حل بالمعرضين عن دعوة الحق، فقد أصيبت أذناه بأفة عطلت وظيفتهما فكأنهما- أعنى أذنيه- غير موجودتين. فتأمل كيف بنى التشبيه الفكرة تصاعديا، حتى وصل بها الذروة فى المعنى المراد: ولى مستكبرا.

كأن لم يسمعها.

كأن فى أذنيه وقرا.

فبشره بعذاب أليم.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٢٢

و نشير بعد ذلك إلى أمرين:

أولهما أن جميع تشبيهات القرآن تشبيهات مجملية، لم يذكر فيها وجه الشبه ولا مرة واحدة.

و ثانيهما: أن فى تشبيهات القرآن نوعا أسميناها فى بعض كتبنا: التشبيه السلبي ..

و تحته صور كثيرة. هذا النوع نادر جدا فى غير القرآن، و كثير فى القرآن و ضابطه أن التشبيه وقع خطأ بين أمرين خارج القرآن.

فجاء القرآن و نفى ذلك التشبيه، و من أمثله قوله تعالى:

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٨.

فهذا التشبيه بين الصالحين و الطالحين وقع خارج دائرة القرآن، فى ظن الذين عاندوا الله و رسوله. و الذى فى القرآن هو نفى ذلك التشبيه. لذلك أسميناها ب «التشبيه السلبي أو التشبيه المسلوب» ٩.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) اللسان،- و المعاجم اللغوية مائدة: شبه.

(٢) بغية الإيضاح (٧/٢).

(٣) البلاغة التطبيقية (مبحث التشبيه) د/ أحمد إبراهيم مرسى.

(٤) بغية الإيضاح (١٧٦/٢).

(٥) الصف (٤).

(٦) الأحزاب (٤٥-٤٦).

(٧) لقمان (٧).

(٨) الجاثية: ٢١.

(٩) خصائص التعبير فى القرآن الكريم و سماته البلاغية (مبحث التشبيه) مكتبة وهبة- القاهرة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٢٣

## التمثيل

التمثيل فى اللغة المماثلة بين شيئين تجمع بينهما صفات مشتركة فهما أكثر من الصفات المفارقة بينهما، أو ما فى أحدهما مماثل تماما لما فى الآخر، بحيث لا يعتد بما بينهما من تباين ١. أما فى اصطلاح البلاغيين فيطلق التمثيل على عدة فنون بلاغية:

يطلق على الاستعارة التمثيلية، وعلى ضرب المثل، وعلى الكناية، وعلى نوع من الاستعارة غير التمثيلية ٢، ثم على التشبيه المركب، وهو الذى نخصه بالحديث فى هذا المبحث.

والتشبيه المركب هو التشبيه التمثيلى، أو التمثيل، وهو قسيم التشبيه فى الوجود. وبين التمثيل والتشبيه اتفاق واختلاف؛ لأن كل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً فالتشبيه خاص بما كان طرفاه (المشبه والمشبّه به) مفردين ولو كان مثني أو جمعا، كما تقدم فى مبحث التشبيه، وكذلك وجه الشبه يكون فى التشبيه مفردا، يعنى أمرا واحدا وإن تعدد وجه الشبه، كتشبيه القمر فى أواخر لياليه بالعرجون القديم فى التقوس والشحوب والنحافة (الدقة).

أما التمثيل أو التشبيه التمثيلى فيشترط فى طرفيه أن يكونا مركبين من عنصرين فأكثر.

هذه هى الفروق بين التشبيه، والتشبيه التمثيلى. وهذا موضع إجماع بين علماء البيان. فإن أطلق وصف التمثيل على التشبيه لم يرد منه التشبيه التمثيلى باتفاق وفى القرآن الكريم صور كثيرة للتشبيه التمثيلى المركب الطرفين والوجه، موزعة على معان وأغراض شتى شارحة، مرغبة، محذرة، ناصرة للحق، داحرة للباطل جامعة فى تصويرها بين مخاطبة كل المدارك والملكات مستخدمة فى أدائها كل عناصر الكشف، وقوة التأثير من ألوان يدر كها البصر، وأصوات يتلقاها السمع وطعوم يحس بها الذوق، وشذا مفعم بالأريحية تمتع حاسة الشم، أو دخان خانق يزكم الأنوف.

وقد أجمل بعض الباحثين الأغراض التى تراد من التشبيه التمثيلى وغير التمثيلى فى الآتى:

\* تقرير المعنى المراد فى وعى السامع.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٢٤

\* الإقناع بفكرة ما خيريه أو شريه.

\* تحسين أمر للعمل به والحث عليه، أو تقييح أمر للتغيير منه.

\* إثارة المشاعر رغبة، أو رهبة.

\* المدح أو الذم، التعظيم أو التحقير.

\* إخراج الخفى مخرج الجلى.

\* إمتاع العواطف وإثارة ملكات الفهم.

\* عرض المعانى فى أسلوب شيق غير ممل ٣.

و كثيرا ما تأتى صور التشبيه التمثيلى فى القرآن، وطرفا التشبيه فيها كلمة «مثل» بفتح الميم والهاء، أو يأتى «مثل» مشبها مصرحا به دون المشبه به.

وقد يؤتى بكلمة «مثل» فى تشبيهات القرآن مرادا بها القصة والشأن العجيب، أو مشارا بها إلى مثل مضروب على غير طريق التشبيه.

والمراد من كل استعمالاتها التوضيح والكشف والعظة والاعتبار.

وقبل أن نأخذ فى عرض النماذج وتحليلاتها نشير إلى فرق آخر جوهرى بين التشبيه المفرد الطرفين والوجه و التمثيل المركب الطرفين والوجه.

ذلك الفرق هو أن التشبيه المفرد يأتى فى نطاق أضيق من حيث الدلالة على المعانى، من التشبيه التمثيلى، حيث ترى نسبة معانى التشبيه المفرد من نسبة معانى التشبيه التمثيلى تعادل نسبة ١: ٢، أو إلى ٣ أو أكثر، لأن التشبيه التمثيلى له دلالات مكثفة فى الطرفين، وفى الوجه.

فمثلا قول كعب بن زهير فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول فيه تشبيه للرسول بالنور فى الهداية فى الشطر الأول وتشبيهه له بالسيف فى

القوة.

ففى كل تشبيه منهما معان جزئية مفردة لا كثافة فيها.

قارن هذا بقول الشاعر يصف الشمس وقت شروقها

و الشمس من مشرقها قد بدت صفراء ليس لها حاجب

كأنها بوتقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب المشبه هو الشمس وقت شروقها فى لونها الأصفر، و امتدادات قرصها، و أشعتها المتهداية

منها. هذا هو تركيب المشبه أما المشبه به فهو إناء نحاس مستدير الشكل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٢٥

أحميت عليه النار و فيه ذهب أصفر اللون، ذائب يتحرك وسط الإناء تخرج منه أشعة صاعدة أمام الرائي. و هذا هو تركيب المشبه به

و المشبه و هما مركبان حسيان يريان بحاسة البصر. أما وجه الشبه:

فهو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع صفرة اللون و الأشعة المتموجة المرسله من سطح الإناء و هذا هو تركيب وجه الشبه.

قارن هذا التشبيه التمثيلى بالتشبيه المفرد فى قول كعب بن زهير يمدح الرسول صلى الله عليه و سلم. تر الفروق الواضحة بين كثافة

المعاني و الصور هنا، و يسرها و بساطتها هناك.

و على هذا المنوال جاءت التشبيهات التمثيلية فى القرآن الكريم، و لنأخذ أولاً قوله تعالى:

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَيْلٌ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤.

هذه الآية الكريمة تواجه قضية من قضايا الشرك و الإيمان فى منتهى الخطورة:

حاصل هذه القضية أن مشركى العرب، مع إيمانهم بالله، كانوا يشركون به أصنامهم و أوثانهم، يرجون منها النفع، و أن يقربوهم من

الله زلفى.

فكيف واجه القرآن هذه القضية. و كيف أبطل باطل القوم و أقام عليهم الحجج، و ساعدهم على التخلص من اعتقادهم الباطل، لا بحز

أعناقهم بالسيوف، و لكن بالعقل و البرهان بادئا بتوجيه الخطاب إليهم هكذا:

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ .. و خلاصه هذا المثل أن الله ساق لهم عظة و عبرة من واقع حياتهم التى يعيشونها بكل مشاعرهم و

وعيمهم. يقول الله لهم:

إنكم تزعمون أن أصنامكم و أوثانكم لها شرك مع الله فى ملكه تنفع و تضر كما ينفع الله و يضر، متساوون مع الله فى التصرف فى

شئون الكون.

و نحن نسألكم: هل لكم من عبيدكم و إمائكم الذين تملكون رقابهم هل لكم منهم شركاء فى ما تملكون يتصرفون فى ممتلكاتكم

بكل حرية دون الرجوع إليكم، و أنكم إذا تصرفتم فى أموالكم تخافون منهم و تخشونهم إذا تصرفتم فى أموالكم تخافون منهم

يعلمون، كخشية بعضكم بعضا- أيها الأحرار- إذا كانت بينكم شركة و خلطة فى بعض الأموال.

إن الإجابة على هذا السؤال هى بالنفى قطعاً، سواء أفصحوا بها أو أسروها فى أنفسهم.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٢٦

فهذا تمثيل جدلى احتجاجى أفحم الله فيه المشركين بالعقل و البرهان؛ و لذلك جاءت خاتمة الآية:

كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

و كان الله يقول لهم بعد ذلك النفى الذى يحسونه فى أنفسهم: إذا كنتم لا- ترضون أن تشركوا عبيدكم و إماءكم معكم فى

ممتلكاتكم و أنتم و هم بشر مخلوقون، فكيف ترضونه لأصنامكم مع الله و هو الخالق المهيمن، و هم مخلوقون بل جماد لا إحساس



لهم ولا إرادة.

فالمشبه والمشبّه به هنا هيتان أو صورتان مركبتان وكذلك وجه الشبه هيئته مركبة من عدة عناصر، لأنه تشبيه تمثيلي مركب. المشبه هو دعوى المشركين أن للاصنام شركه مع الله في الكون تنفع كما ينفع، وتضر كما يضر مع بطلان الأسس التي بنوا عليها هذه الدعوى.

وهو مركب مزيج من الحسيات وبعض المعنويات والمشبّه به نفى أن يكون للمشركين شركاء من عبيدهم ومملوكيهم يتصرفون كما يتصرف أسيادهم في ما يملكون، مع خشية الأسياد من المملوكين إذا تصرفوا في أموالهم دون الرجوع إليهم، كخشية الشركاء الأحرار بعضهم بعضا. وهو مركب حسي مشوب بشيء من المعنوي.

ووجه الشبه هو بطلان المساواة بين الطرفين مع بطلان ما بنيت عليه هذه المساواة.

وبهذا التمثيل الرائع بطلت عقيدة الإشراك عقلا كما هي باطله واقعا.

ومثال آخر هو قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَيِّفٍ نَفَثَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٥.

المشبه في هذا التمثيل الإنفاق الذي يتبعه من وأذى من المنفق الذي لم يرد بإنفاقه وجه الله ولا يرجو ثوابه، والمشبّه به حجر صخري عليه قليل من تراب، هطل عليه المطر فأزال التراب وترك الحجر أملس نقياً.

فكل من المشبه والمشبّه به هيئته، مركبة من عدة عناصر حسيه ومعنوية.

ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تجمع أشياء بعضها فوق بعض، سلطت عليها عوامل الإزالة مع سرعة الفناء والهلاك وهو مركب حسي.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٢٧

والغرض من التمثيل هو الحرمان والحسرة والعجز عن التدبير والتحذير من سوء المصير ومثال ثالث، هو قوله تعالى:

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ .. ٦.

وهذا مثل أو تمثيل لحال الحياة الدنيا في نموها وازدهارها وسرعة فنائها وهوان أمرها.

شبهها الله عز وجل بصورة حديقه أرواها الماء فأنبتت من كل زوج بهيج، ثم سرعان ما ذبلت وبيست وزالت نضارتها وبهاؤها، وتحطمت أشجارها وجفت ينابيعها وصار نباتها وزرعها غثاء أحوى.

فالمشبه هو الدنيا في سرعة زوالها بعد بهجتها ونضارتها، والمشبّه به حديقه توفرت لها أسباب النماء والازدهار والإبهاج ثم سرعان ما أسرع إليها الفناء والهلاك، وطرفا التشبيه مركبان حسيان.

أما وجه الشبه فهو الهيئة الحاصلة من اجتماع أشياء مبهجة، نافعة، أبلغ ما يكون النفع، مع سرعة هلاكها وانقضائها. وهو مركب حسي كذلك.

والغرض من التشبيه هو التحذير من الاغترار بالدنيا والركون إليها وترك العمل للحياة الآخرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التشبيه التمثيلي في القرآن إذا كان المشبه به فيه مركبا من عدة عناصر نجد أداة التشبيه فيه داخله دائما على العنصر الرئيسي من عناصره. وإذا تتبعنا هذه التمثيلات القرآنية كلها نجدها خاضعة لهذا المنهج البياني الحكيم. ونريد من العنصر الرئيسي في التمثيل القرآني كونه سببا في ما بعده، ولولاه ما كان عنصر منها، وهي منه بمثابة المسبب، فقد ضرب ثلاثة أمثال للحياة الدنيا. وفي كل واحد منها نجد الماء هو العنصر الرئيسي لجميع العناصر الآتية بعده.

أول هذه الأمثال الثلاثة كان في سورة «يونس» وهو قوله تعالى:



إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٧.

تأمل العناصر التي وردت بعد «الماء» تجد الماء هو السبب فيها، و لو لا الماء ما كان لواحد منها وجود.

أما المثل الثاني فهو آية «الكهف» التي تقدم ذكرها آنفا. وفيها دخلت أداة التشبيه على

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٢٨

«الماء» هكذا وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ.

أما المثل الثالث فهو في سورة «الحديد» ٨ و هو قوله تعالى:

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ...

أداة التشبيه في هذا التمثيل هي «الكاف» أما «مثل» فهو المشبه به، و هو مضاف إلى غَيْثٍ وَ غَيْثٍ أول عنصر ذكر في بيان عناصر التشبيه بعد المشبه به. فصار كأن الأداة دخلت عليه مباشرة، و ذلك لأن الماء هو السبب في التمثيلات الثلاثة.

و كذلك قوله تعالى في وصف أحبار اليهود و غبايهم:

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا .. ٩.

كان «الحمار» أول عنصر يذكر من عناصر الصورة لأن المثل مضروب لغباء الأحمار، و الحمار هو أكثر الأغبياء غباء، لذلك قدم، و لم يقل: كمثل أسفار يحملها الحمار؟

و كذلك قوله تعالى في تمثيل مضاعفة الأجر للمنفقين أموالهم في سبيل الله.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ .. ١٠.

كانت «الحبة» أول عناصر الصورة؛ لأنها سبب في ما بعدها و ما بعدها مسبب عنها.

و هذا ملحوظ جدير بالاعتبار في بلاغة القرآن الكريم، و قليل من يلتفت إليه من الدارسين، قدماء و محدثين ١١.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني

الهوامش:

(١) المصباح المنير و المعاجم اللغوية، مادة: مثل.

(٢) العمدة لابن رشيقي (٣٠).

(٣) أمثال القرآن (٥٩-٦٠) دكتور عبد الرحمن الميداني الطبعة الثانية (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) دمشق - دار القلم.

(٤) الروم (٢٨).

(٥) البقرة (٢٦٤).

(٦) الكهف (٤٥).

(٧) يونس (٢٤).

(٨) الحديد (٢٠).

(٩) الجمعة (٥).

(١٠) البقرة (٢٦١).

(١١) انظر خصائص التعبير في القرآن الكريم (مبحث التشبيه) مكتبة و هبة القاهرة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٢٩

## المجاز المرسل

الإرسال في اللغة الإطلاق و ترك التقييد ١ و المجاز المرسل قسم قائم برأسه من المجاز اللغوي و القسم الآخر هو الاستعارة. و الفرق بينهما أن الاستعارة مجاز لغوي علاقته المشابهة.

أما المجاز المرسل فهو مجاز لغوي علاقته ليست المشابهة بل له علاقات أخرى كالكليّة و الجزئية. ٢

و سمي مرسلًا لأنه لم يقيد بعلاقة واحدة كما هو الشأن في الاستعارة، بل تتوارد عليه علاقات كثيرة تتعدى العشر علاقات ٣. و الراجح أن أول من أشار إلى تسميته ب «المرسل» هو الإمام عبد القاهر الجرجاني، فقد قال و هو يتحدث عن فكرة علاقات هذا النوع من المجاز، إن المكان لا يسمى مجلسًا إلا إذا لوحظ جلوس القوم فيه «و ليس المجلس إذا وقع على القوم من طريق التشبيه بل على وجه وقوع الشيء على ما يتصل به. و تكثر ملابسته إياه، و أي شيء يكون بين القوم و مكانهم الذي يجتمعون فيه، إلا أنه لا يعتد بمثل هذا، فإن ذلك قد يتفق حيث ترسل العبارة» ٤.

فالإشارة إلى تسميته المجاز المرسل تكمن في قوله «حيث ترسل العبارة»، و كان الإمام يقصد فعلا بهذا الحديث ما سمي في ما بعد بالمجاز المرسل؛ لأنه ذكر الكثير من أمثله و علاقاته بعد التمهيد له، ثم أخذ عنه البلاغيون هذه الأمثلة، و تحليلاتها عند حديثهم عن المجاز المرسل في صورته النهائية.

و قد سماه ابن الزمكاني و الزركشي «المجاز الإفرادي» ٥ و سماه السيوطي «المجاز في المفرد» و قال: و يسمى المجاز اللغوي ٦ و هاك أمثلة له مع بيان علاقاته من خلالها.

الكليّة: من علاقات المجاز المرسل الكليّة، و من ذلك في القرآن الكريم:

يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ٧.

المجاز في قوله أصابعهم لأن المراد الأنامل أو أطراف الأصابع، فالعلاقة هي الكليّة، حيث أطلق الكل (الأصابع) و أراد الجزء (أطراف الأصابع).

\* الجزئية: و مثالها من القرآن الكريم قوله تعالى: فَتَحَرَّيْرُ رَقَبَةٍ و المجاز في قوله رَقَبَةٍ حيث أطلق الجزء رَقَبَةٍ و أراد الكل (العبد أو الأمة) و حين تكون العلاقة (الجزئية) فإنه يشترط في الجزء أن تكون له زيادة اختصاص بالمعنى المراد و قد تحققت هذه الخصوصية في رَقَبَةٍ لأن الرقيق شبيه بالمربوط من عنقه في قبضة مالكه.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٣٠

\* اعتبار ما كان: مثل قوله تعالى:

وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ أَيُّ الَّذِينَ كَانُوا يَتَامَىٰ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا سِنَ الرِّشَادِ. أما عند بلوغهم سن الرشد، فهم ليسوا يتامى، و السر البلاغي في هذا المجاز حث أوصياء اليتامى على المبادرة على دفع أموال من كانوا أوصياء عليهم، فور بلوغهم راشدين، حتى لكأنهم سلموا لهم أموالهم و هم يتامى.

\* اعتبار ما سيكون: و مثالها من القرآن الكريم قوله تعالى:

إِنِّي أَرَانِي أَعْرَضَ خَمْرًا ٨ و الخمر لا يعصر؛ لأنه معصور فعلا، لكن المعنى: أَرَانِي أَعْرَضَ عَنَّا يَصِيرُ خَمْرًا. فالعلاقة اعتبار ما سيكون، و السر البلاغي في هذا المجاز الإسراع إلى التنفير من الخمر، فهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون.

\* السببية؛ و مثالها من القرآن الكريم قوله تعالى وَ يُنَزَّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ٩ أي ماء هو سبب الرزق. فقد طوى السبب، و أريد

المسبب و السر البلاغى فى هذا المجاز هو إظهار الامتتان على العباد.

الآلية، و من علاقات المجاز المرسل الآلية و الآلة هى التى تستعمل فى إيجاد الحدث و من هذا النوع فى القرآن الكريم قوله تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ١٠.

و المجاز المرسل فى كلمة بِلِسَانٍ حيث أريد منها: اللغء، و بِلِسَانٍ قَوْمِهِ معناها:

لغء قومه. و الذى سَوَّغ استعمال اللسان فى معنى اللغء، أن اللسان هو آله أو أداة اللغء فالعلاقة فى هذا المجاز هى الآلية. و قد ظل استخدام اللسان بمعنى اللغء، حتى منتصف القرن الثامن الهجرى. و ما يزال يستخدم فى هذا المعنى.

\* المكانية: و من علاقات المجاز المرسل علاقة المحل أو المكان. بأن يطلق المحل أو المكان، و يراد الحالون فيه. و من أمثله فى القرآن الكريم قوله تعالى:

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ١١ و السماء و الأرض ليستا من العقلاء حتى تبكيا، و المعنى: فما بكى عليهم أهل السموات، يعنى الملائكة، و لا أهل الأرض، يعنى الناس، فى السموات و الأرض مجاز مرسل علاقته المكانية أو المحلية.

و المجاز المرسل كثير الورود فى القرآن الكريم، و له علاقات أخرى غير ما تقدم ١٢.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) اللسان و المعاجم اللغوية، مادة: رسل.

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص (٢٩ / ٤).

(٣) الإيضاح (٢٧٠).

(٤) أسرار البلاغء (٣٥٠).

(٥) البرهان الكاشف (١٠٢) و البرهان فى علوم القرآن (٢ / ٢٥٨).

(٦) معترك الأقران (٢ / ٢٤٨).

(٧) البقرة (١٩).

(٨) يوسف (٣٦).

(٩) غافر (١٣).

(١٠) إبراهيم (٤).

(١١) الدخان (٢٩).

(١٢) شروح التلخيص (٢٩ / ٤).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٣١

## الاستعارة

### إشارة

الاستعارة لغء: مأخوذة من العارية، و هى نقل منفعة شىء مملوك لشخص إلى غير مالكة، مع بقاء الملكية لمالك ذلك الشىء. كإعارة الدابة، أو الدار أو الكتاب لمن هو فى حاجة إلى منافع هذه الأشياء.

و العارية و الإعارة ما تداوله الناس بينهم.

و استعار فلان كذا طلب إعارته إياه. و السين و التاء فيها مزيدتان للطلب ١.

أما الاستعارة في اصطلاح البلاغيين، فكان أول من أشار إليها هو أبو عمرو بن العلاء. فقد ذكر قول ذي الرمة.

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى و ساق الثريا في ملاءته الفجر و علق عليه قائلا:

«و لا أعلم قولاً أحسن من قوله: و ساق الثريا في ملاءته الفجر «فصير للفجر ملاءة، و لا ملاءة له، و إنما استعار هذه اللفظة، و هو من

عجيب الاستعارات» ٢ ثم أخذ البلاغيون من بعده يوسعون دائرة البحث فيها، و يحاولون وضع تعريفات لها.

و كان أول من وضع تعريفاً للاستعارة هو الجاحظ فقال:

«الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه» ٣ و عرفها ابن قتيبة فقال:

«و العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الآخر أو مجاوراً أو مشاكلاً» ٤ و عرفها ثعلب فقال:

«هي أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه» ٥.

و عرفها ابن المعتز بقوله: «استعارة الكلمة، لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها» ٦.

و كل ما تقدم غير واف في ضبط الاستعارة و تحديد مفهومها تحديداً واضحاً جامعاً مانعاً.

ثم بدأت مرحلة أخرى عرّفت فيها الاستعارة تعريفات جديدة، من ذلك تعريف القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، إذ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٣٢

قال «الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل و نقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، و ملاكها تقريب الشبه و مناسبة

المستعار له المستعار منه، و امتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، و لا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر» ٧.

و يلاحظ أن في هذا التعريف طولاً، و التعريفات يستحسن فيها الإيجاز.

و عرفها الرماني تعريفاً مختصراً قال فيه:

«الاستعارة تعليق العبارة على ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة» ٨.

و جاء الخطيب القزويني فعرف الاستعارة في إيجاز شديد، هو قوله:

«الاستعارة هي ما كانت علاقته تشبیه معناه بما وضع له» ٩.

فالنور- إذا أستعير للحجة البالغة- علاقة المشبه بالمشبه به هي تشبیه معنى النور المستعار للحجة بالمعنى اللغوي الوضعي الذي أراده

واضع اللغة، من كلمة «النور» الحسى الذي يرى بالبصر.

و قد لاحظ متأخرو البلاغيين قصوراً في كل التعريفات التي تقدمت؛ و هذا حملهم على وضع تعريف واف للاستعارة فقالوا:

«الاستعارة: هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة، من إرادة المعنى الوضعي» ١٠.

أو «استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي» ١٠.

و يسمون التعريف الأول: التعريف بالمعنى الاسمي و الثاني: التعريف بالمعنى المصدرى.

هذا التعريف هو الشائع الآن في مصنفات البلاغيين المعاصرين، و الجارى على ألسنتهم و هو تعريف واف جامع مانع، خال من جميع

المؤاخذات، يشتمل على العناصر الفنية للاستعارة، و هي:

\* نقل اللفظ المستعار من معناه الوضعي إلى معناه الاستعاري.

\* العلاقة بين المعنيين الوضعي و الاستعاري.

\* القرينة التي تمنع من إرادة المعنى اللغوي الوضعي فقوله تعالى: وَ اتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ١١ فيه استعارة النور للهدى المعنوي

الذي جاء به الإسلام فالنور مستعار، و الهدى مستعار له. و العلاقة و تسمى «الجامع» هي الكشف و الإظهار في كل من النور و الهدى

أما القرينة المانعة من إرادة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٣٣

المعنى الحقيقي للنور الحسى فهى قوله تعالى: «أنزل معه» لأن محمدا- صلى الله عليه وسلم لم يجئ بنور حسى يدرك بالأبصار، بل بنور معنوى يدرك بالعقول والقلوب.

وقوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ١٢

فيه استعارة التوفية «الموت» للإقامة «النوم» والجامع بين المستعار له والمستعار منه هو فقد الوعى والحركة فى كل منهما.

أما القرينة فهى «بالليل» لأنه وقت النوم، أما الموت الحقيقى فلا وقت له، لأنه يأتى ليلا ونهارا فى أى لحظة فيهما.

هذا هو مفهوم الاستعارة بوجه عام.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) لسان العرب، مادة: عور.

(٢) حلية المحاضرة (١/ ١٣٦) الخاتمة.

(٣) البيان والتبيين - الجاحظ (١/ ١٥٣ / ٢٨٤).

(٤) تأويل مشكل القرآن (١٠٢).

(٥) قواعد الشعر (٤٧).

(٦) البديع (٢).

(٧) الوساطة بين المتنبى وخصومه (٤١).

(٨) النكت فى إعجاز القرآن (٧٩) ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن.

(٩) الإيضاح (٥/ ٣٧) شرح د. محمد عبد المنعم خفاجى.

(١٠)

(١٠) البلاغة الواضحة (٤). مبحث الاستعارة) حامد عونى.

(١١) الأعراف (١٥٧).

(١٢) الأنعام (٦٠).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٣٤

### الاستعارة التصريحية

التصريح لغة: الإبانة والإظهار، ضد الغموض والإخفاء ١ أما فى الاصطلاح البلاغى فهى .. ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه ..

٢

أو هى كما قال السكاكى: «أن يكون الطرف المذكور من طرفى التشبيه هو المشبه به» ٣.

و أساس هذا التقسيم للاستعارة إلى تصريحية وغيرها هو قولهم:

«الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه» وطرفا التشبيه هما: المشبه والمشبه به. وعلى هذا قالوا: إن الاستعارة التصريحية هى ما كان

المذكور فيها من طرفى التشبيه هو المشبه به، والمحذوف هو المشبه، وهذا موضع إجماع عند البلاغيين ٤.

فهي عندهم «أن تعتمد نفس التشبيه، و هو أن يشترك شيان في وصف، و أحدهما أنقص من الآخر، فيعطى الناقص اسم الزائد، مبالغة في تحقيق ذلك الوصف كقولك: رأيت أسدا، و أنت تعنى رجلا شجاعا، و غنت لنا ظيئة، و أنت تريد امرأة» ٥.

و قد حفل القرآن الكريم بصور لا حصر لها من الاستعارة التصريحية. و من ذلك قوله تعالى:

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٦ أى من الضلال إلى الهدى. استعير لفظ «الظلمات» للضلال، لتشابههما في عدم اهتداء صاحبهما، و كذلك استعير لفظ «النور» للإيمان لتشابههما في الهداية» ٧.

و هما استعارتان تصريحيتان؛ لأن كلا من الظلمات و النور هما المشبه به، و هو المذكور في الكلام. أما المشبه، و هما: الضلال و الإيمان فقد حذفنا من الكلام.

و القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي للظلمات و النور حالية تفهم من المقام، إذ ليس المراد أن يخرجهم من ظلام حسى، إلى نور حسى. بدليل قوله تعالى في عجز الآية:

إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ

و في الصراط هنا استعارة تصريحية؛ لأن المراد منه دين الله عز و جل. شبه بالصراط و هو الطريق الحسى، تصويرا للمعنى المدرك

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٣٥

بالقول بالحسى المدرك بالبصر، اعتناء بشأنه و مبالغة في إظهاره.

و قوله تعالى:

إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ٨ فيه استعارة في قوله طَغَى استعارة الطغيان، و هو من صفات العقلاء، لزيادة الماء و خروجه عن مجراه و غمره الأرض على جانبى مجراه.

و العلاقة بين الطغيان الحقيقى، و هو الظلم، و بين المعنى الاستعارى، و هو كثرة الماء و فيضانه على جانبى مجراه هو مجاوزة الحد المعهود فى كل منهما ٩ و القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى للطغيان و هو: الظلم هى الفاعل الماء لأن الماء ليس عاقلا و لا مكلفا حتى يوصف بالظلم و الطغيان و بلاغة الاستعارة هى الإيضاح و الإيجاز و هذا وصف عام فى كل استعارة.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) لسان العرب مادة: صرح.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية (١/ ١٥٥).

(٣) مفتاح العلوم (١٧٦).

(٤) شروح التلخيص (٤/ ٤٥) و ما بعدها.

(٥) حسن التوسل (١٣٤) الحلبي.

(٦) إبراهيم (١).

(٧) معجم المصطلحات البلاغية (١/ ١٥٥).

(٨) الحاقه (١١).

(٩) حاشية الشهاب على البيضاوى (٨/ ٢٣٦).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٣٦

الاستعارة الأصلية في اصطلاح البلاغيين هي التي تكون في أسماء الأجناس غير المشتقة (الجامدة) وقد أوضح الإمام السكاكي معناها فقال:

«أن يكون المستعار اسم جنسي، كرجل وقيام وعود، ووجه كونها أصلية أن الاستعارة مبنها على تشبيه المستعار له بالمستعار منه»<sup>١</sup>.

يقصد أن يتم هذا التشبيه الاستعاري بلا واسطة بين المستعار له «المشبه» والمستعار منه (المشبه به) كما سيأتي في الاستعارة «التبعية» و قد اتفق جمهور البلاغيين على هذا الضابط الذي ذكره السكاكي للاستعارة الأصلية<sup>٢</sup>. و حصر متأخروهم وقوع الاستعارة الأصلية في هذين النوعين، وهما:

\* أسماء الأعيان (الذوات الحسية) الجامدة، كأسد.

\* ثم المصادر الجامدة، مثل: الكرم- الحلم- الصيام- النطق.

و ورود الاستعارة الأصلية في القرآن مستفيض جدا، و منها قوله تعالى:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

استعار الظلمات للضلال و الجهل و الكفر، و كل من المستعار، و هو الظلمات، و المستعار له، و هو الضلال، اسمان جامدان غير مشتقين، و هما من أسماء المعاني التي تدرك بالعقل. فالاستعارة- إذن- أصلية، لجريانها في الأسماء الجامدة.

و الأمر المشترك بينهما، و يسمى «الجامع»<sup>٣</sup> هو الحيرة و الارتباك في كل منهما. و القرينة المانعة، من إرادة المعنى الحقيقي للظلمات حالية تفهم من المقام ثم استعارة «النور» للإيمان، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية؛ لأن كلا- من «النور» و هو المستعار، و «الإيمان» و هو المستعار له اسمان جامدان غير مشتقين، و الجامع بينهما هو الهداية و الاطمئنان. و القرينة حالية كذلك. و هاتان الاستعارتان تفيضان المبالغة في وصف الضلال بالظلمات، و في وصف الإيمان بالنور.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٣٧

و الأولى تفيد التنفير و الترهيب من الضلال و بشاعته.

و الثانية تفيد الترغيب في الإيمان و آثاره الطيبة.

و من الاستعارة التصريحية الأصلية قوله تعالى: وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ هذا حديث عن منزلة القرآن عند الله.

و الاستعارة التصريحية الأصلية في كلمة «أم» و أم الكتاب أصل الكتاب. فاستعار «الأم» للأصل «و هو أبلغ لأن الأم أجمع و أظهر في ما يرد إليه مما ينشأ عنه».

و الاستعارة- هنا- تصريحية لذكر المشبه به فيها، و أصلية لأن الاسم المستعار فيها اسم جنس جامد غير مشتق، و القرينة هي إضافة «أم» إلى الكتاب؛ لأن الكتاب لا أم له ولد منها.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني

الهوامش:

(١) مفتاح العلوم (١٧٦/ ١٧٩).

(٢) ينظر: المصباح لابن ابن مالك (٦٥) و عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي. ضمن شروح التلخيص (١٠٨/ ٤)

و المطول لسعد الدين (٣٧٦).

و الأطول لعصام الدين (١٢٦/ ٢).

و معترك الأقران لجلال الدين السيوطي (١/ ٢٨٠) و الإيضاح للخطيب القزويني (٥/ ٨٧) شرح د/ محمد عبد المنعم خفاجي.  
 (٣) و النكت في إعجاز القرآن (٨٧٠) للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.  
 الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٣٨

### الاستعارة التبعية

الاستعارة التبعية في اصطلاح البيانين هي ما كان اللفظ المستعار فيها واحدا من الفصائل الثلاث الآتية:

\* الأفعال: ماضية كانت أو مضارعة أو أمرا.

\* الصفات المشتقة: مثل اسمى الفاعل و المفعول.

\* الحروف؛ مثل في و على و اللام.

و هي عكس الاستعارة الأصلية، و كلاهما تصريحتان و هما قسمان للاستعارة التصريحية و قد عرف الإمام السكاكي الاستعارة التبعية فقال:

«ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال و الصفات المشتقة، و كالحروف» ١.

و قال ابن بن مالك:

«هي ما تقع في الأفعال و الصفات و الحروف؛ لأنها لا توصف فلا تحتمل الاستعارة بنفسها، و إنما المحتمل لها في الأفعال و الصفات

مصادرها. و في الحروف متعلقات معانيها. فتقع الاستعارة هناك، ثم تسرى في هذه الأشياء» ٢.

يريد أن يقول: إن الأفعال و الصفات لا تصلح في ذاتها لوقوع الاستعارة فيها؛ فالاستعارة تجري أولا في مصادر الأفعال و الصفات أصالة. ثم تسرى من المصادر إلى الأفعال و الصفات و كذلك الحروف مثل في و على، لا توصف. فلا تصلح لأن تكون استعارة على جهة الأصالة. بل تقع الاستعارة في متعلق معناها الكلي، كالظرفية المطلقة في حرف الجر «في» و الاستعلاء الكلي في حرف الجر «على» ثم تسرى الاستعارة منهما إلى الحرف.

و لذلك سميت استعارة تبعية، لأنها وقعت تابعة لوقوعها في مصادر الأفعال و الصفات المشتقة، و في متعلق معاني الحروف الكلية.

و يوضح الخطيب القزويني فكرة أن الأفعال و الصفات و الحروف لا تصلح لوقوع الاستعارة فيها مباشرة، فيقول: «و ذلك لأن

الاستعارة تعتمد التشبيه، و التشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا، و إنما يصلح للموصوفية

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٣٩

الحقائق كما في «جسم أبيض» و «بياض صاف» دون معاني الأفعال و الصفات المشتقة منها- أي من الأفعال- و الحروف» ٣ و من

أمثلتها في القرآن الكريم:

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ٤

ففي قوله «أتى» استعارة تبعية في زمن الفعل لها شبه الإتيان في المستقبل «يأتي» بالإتيان في الماضي «أتى» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ثم اشتق من «الإتيان» أتى بمعنى يأتي، و الجامع بين الإتيان في الماضي و الإتيان في المستقبل هو تحقق الوقوع في كل منها.

فقد جرت الاستعارة أولا في المصدر «الإتيان» ثم سرت إلى الفعل، و هذا معنى «التبعية» في هذه الاستعارة أما قرينه الاستعارة المانعة

من المعنى الحقيقي، و هو الإتيان في الماضي فهي قوله تعالى: فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ لِأَنَّ النُّهْيَ عَنِ الاسْتَعْجَالِ يَكُونُ فِي مَا يَأْتِي مُسْتَقْبَلًا، لَا

فِي مَا أَتَى مَاضِيًا.

و قوله تعالى: وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ٥ فيه استعارتان تبعيتان:



الأولى فى زمن الفعل تَرَكَنا بمعنى:

نترك، لأنه سيكون يوم القيامة.

وقد شبه فيها الترك فى المستقبل بالترك فى الماضى، و الجامع بينهما تحقق الوقوع فى كل منهما، و القرينة حالية تفهم من المقام. و الثانية فى معنى الفعل يَمُوجُ شبه الاضطراب الشديد فى حركة الناس يوم القيامة بالاضطراب الشديد فى حركة موج البحر، و هما مصدران. ثم سرى التشبيه من المصدر الاضطراب الشديد إلى الفعل يَمُوجُ بمعنى يضطرب اضطرابا شديدا. و القرينة حالية تفهم من المقام كذلك، لأن التموج من خصائص الماء لا الناس.

أما الاستعارة التبعية فى الصفات المشتقة فمنها قوله تعالى:

وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ٦

فى مُبْصِرَةً هنا استعارة جرت فى اسم الفاعل، يعنى: مضيئة، و مبصرة أبلغ من مضيئة؛ لأنها أظهر فى مقام النعمة ٧. شبهت الإضاءة بالإبصار، و هما مصدران، ثم سرى التشبيه من المصدر (الإبصار) إلى الصفة (مبصرة) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، و القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى للإبصار، كون النهار زمنا لا يوصف بالإبصار- كما يوصف به الأحياء. و الاستعارة التبعية فى الحرف مثل قوله تعالى حكاية عن قول فرعون للسحرة:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٤٠

وَ لَأَصْلَبَنَّكُمْ فِى جُدُوعِ النَّخْلِ ٨

استعار متعلق الحرف (فى) الكلى، و هو مطلق الظرفية لمتعلق الحرف (على) و هو مطلق الاستعلاء. ثم سرى التشبيه إلى معنى الحرفين، فاستعيرت (فى) ل (على) لتفيد هذه الاستعارة المبالغة فى تصوير المعنى المراد حتى لكأن فرعون من شدة غيظه على إيمان السحرة لم يكتف بالاصاقهم بجذوع النخل، و إنما غرس أجسادهم فيها غرسا.

و الاستعارة التبعية فى معنى الفعل كثيرة الورود فى القرآن الكريم. يليها الاستعارة فى زمن الفعل، ثم فى الحروف ٩.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) مفتاح (١٧٩) للإمام السكاكى.

(٢) المصباح (٦٥) لبدر الدين ابن بن مالك.

(٣) الإيضاح (٨٨ / ٥) للخطيب القزوينى.

(٤) النحل (١).

(٥) الكهف (٩٩).

(٦) الإسراء (١٢).

(٧) النكت فى إعجاز القرآن (٨٨) للرمانى.

(٨) طه (٧١).

(٩) الفرق بين الاستعارة فى معنى الفعل و فى زمن الفعل أن معنى الفعل فى الأولى هو الذى تغير من الحقيقة إلى المجاز، أما زمنه ماضيا أو مضارعا أو أمرا فيظل كما هو.

أما فى زمن الفعل فإن معنى الفعل يظل كما هو حقيقة لغوية لا مجاز فيه. و زمنه هو الذى تغير من المضارع إلى الماضى، أو من الماضى إلى المضارع.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٤١

## الاستعارة التمثيلية

الاستعارة التمثيلية هي القسم الثالث من الاستعارة التصريحية، بعد الاستعارة الأصلية، والاستعارة التبعية.

و يسميها الخطيب القزويني: المجاز المركب، و قال في تعريفها:

«و أما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل في ما شبهه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه: أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى. ثم تدخل المشبه في المشبه به مبالغة في التشبيه» ١.

يعنى يكون الوصف الجامع أو المشترك بين كل من المشبه (المستعار له) و المشبه به (المستعار منه) هيئة أو صورة مؤلفة من عنصرين أو أكثر من عنصرين.

و الاستعارة التمثيلية تختلف عن غيرها من الاستعارات فالوصف المشترك بين الطرفين فى غيرها مفرد و فيها هيئة أو صورة مركبة فاستعارة «النور» ل «الإيمان» استعارة مفردة، لأن الوصف الجامع بينهما مفرد، و هو الهداية أما الاستعارة التمثيلية فالوصف الجامع فيها هيئة أو صورة كما سيأتى.

أما جلال الدين السيوطى فقد أوجز فى تعريف الاستعارة التمثيلية حيث قال:

«هى أن يكون وجه الشبه فيها- أى الوصف المشترك بين الطرفين- منتزعا من متعدد» ٢.

و إلى هذا ذهب المدنى كذلك ٣.

و سماها قدامة بن جعفر «التمثيل» ٤.

و على هذا المنهج سار شراح التلخيص ٥.

و الإمام عبد القاهر الجرجانى ساق لها عدة أمثلة تحت عنوان «التمثيل» ٦.

و من أمثلتها فى القرآن الكريم قوله تعالى:

لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ٧.

قال الإمام جار الله الزمخشري فى توجيه هذه الآية بلاغيا:

«هذا تمثيل لمنع الشحيح، و إعطاء المسرف، و أمر بالاقتصاد الذى هو بين الإسراف و التقدير» ٨.

و قوله «تمثيل» يعنى: استعارة تمثيلية.

و فى توضيح هذا الإجمال يقول الشهاب:

«يعنى أنهما استعارتان تمثيلتان، شبه فى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٤٢

الأولى يعنى: «و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك- فعل الشحيح فى منعه بمن يده مغلولة لعنقه، بحيث لا يقدر على مداها، و فى

الثانية شبه السرف ببسط اليد، بحيث لا تحفظ شيئا» ٩.

يعنى أن غل اليد إلى العنق صورة حسية شبه بها صورة البخيل الحريص على المنع و الاحتفاظ بماله.

و أن صورة بسط اليد و هى حسية كذلك شبه بها صورة المسرف الشديد الإسراف فى بذل ماله، بحيث جعله مباحا لكل من أراد

أخذه بلا أية ضوابط. فالتشبيه فىهما وقع بين صورتين مركبتين، لا بين مفرد و مفرد.

و الجامع بين الطرفين هيئة أو صورة مركبة من عنصرين فأكثر.

و من الاستعارة التمثيلية فى القرآن الكريم قوله تعالى: وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ١٠.

ففي الآية استعارتان تمثيلتان، لأن المعنى أن مثل الأرض يوم القيامة لتصرف الله الكامل فيها و مثل السموات بهيمنة الله على كل ما فيها، مثل الشيء يكون في يد الآخذ به المتصرف فيه ١١.

والاستعارة التمثيلية، لا توصف بأنها أصلية أو تبعية لاعتبارين:

الأول: أن ألفاظها المركبة منها كثيرا ما تجمع بين الأسماء الجامدة والأفعال والصفات، كما في لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ. ففيها أسماء أجناس مثل: يد- عنق.

وفيها أفعال و صفات مشتقة و حروف، مثل تجعل، تبسط، إلى،. و قد تقدم أن الاستعارة التصريحية الأصلية هي ما جرت في أسماء الأجناس الجامدة، و أسماء المعاني.

و أن التصريحية التبعية هي ما جرت في الأفعال و الصفات المشتقة و الحروف.

لذلك فإن الاستعارة التمثيلية لا يقال إنها أصلية أو تبعية. و لكن تصريحية تمثيلية فقط.

الاعتبار الثاني: أن الاستعارة التمثيلية كل الألفاظ التي ركبت منها تظل على معانيها الحقيقية لا يدخلها مجاز. و إنما المجاز يقتصر فيها على مجموع كلماتها، حيث تنقل صورتها من الحقيقة إلى المجاز.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني

الهوامش:

(١) الإيضاح (١٠٨ / ٥).

(٢) معترك الأقران (١ / ٢٨٣).

(٣) أنوار الربيع (١ / ٢٥١).

(٤) نقد الشعر (١٨١).

(٥) شروح التلخيص (٤ / ١٤٧).

(٦) دلائل الإعجاز (٤٣٠).

(٧) الإسراء (٢٩).

(٨) الكشاف (٢ / ٤٤٧).

(٩) حاشية الشهاب على البيضاوي (٦ / ٢٧).

(١٠) الزمر (٦٧).

(١١) معجم المصطلحات البلاغية.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٤٣

### الاستعارة المرشحة

الترشيح لغو: هو التقوية ١، و أما اصطلاحا فإن كل الأقوال فيه تجمع على شيء واحد، هو أن يذكر في الكلام ما يناسب المشبه به، و هو المستعار في أسلوب الاستعارة.

و الترشيح وصف عارض للاستعارة، و لا يدخل في عناصرها الأولية المكونة لها، و هو ليس بلازم فيها و كان ممن وضع لها تعريفا فخر الدين الرازي حيث قال «هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه، و هي أن يراعى جانب المستعار، و يولى ما يستدعيه، و يضم إليه ما يقتضيه» ٢.

و كذلك قال الحلبي في تعريفها ٣.

و جمهور البلاغيين يسمون الاستعارة التي قرنت بما يناسب المشبه به (اللفظ المستعار):

الاستعارة المرشحة، أو الاستعارة الترشيحية ٤.

و هي أقوى أنواع الاستعارة، و أكثرها مبالغة لأن الاستعارة تقوم على تناسي التشبيه، و ذكر ما يلائم المشبه به (اللفظ المستعار) يساعد على تناسي التشبيه؛ لذلك قالوا في بيان قيمة الاستعارة المرشحة:

«و أجل الاستعارات الاستعارة المرشحة» ٥.

و من أمثلتها في القرآن الكريم، قوله تعالى:

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ٦.

استعار الاشتراء للاختيار و الاستبدال أي استبدلوا الضلالة بالهدى، لأنه لا بيع و لا شراء على الحقيقة، و هي استعارة تصريحية لذكر المشبه به «الاشترء» تبعية لجريانها في الفعل و قد ذكر في هذه الاستعارة ما يلائم المشبه به، و هو نفى الربح في قوله تعالى:

فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ لِأَنَّ الرِّبْحَ وَ التِّجَارَةَ يَلِائِمَانِ المِشْبَهَ بِهِ وَ هُوَ الِاشْتِرَاءُ.

و في بيان هذا يقول الإمام الزمخشري:

حيث إن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال. فما معنى ذكر الربح و التجارة كأن ثمة مبيعة على الحقيقة؟ قلت هذا من الصنعة البديعة، التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، و هو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقف بأشكال لها و أخوات، إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة، و أكثر ماء و رونقا و هو المجاز المرشح.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٤٤

و ذلك نحو قول العرب في البليد: كأن في أذني قلبه خطلا، و إن جعلوه كالحمار. ثم رشحوا ذلك دوما لتحقيق البلادة، فادعوا لقلبه أذنين و ادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار ٧.

يعنى أن هذا الترشيح يبعد المشبه به عن جنسه و ينسى السامع أصله، و في هذا مبالغة في إثبات المعنى المجازي المراد.

و من الاستعارة المرشحة في القرآن الكريم قوله تعالى:

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ٨.

فالنقض: هو الفسخ و فك التركيب، و إيقاعه على العهد من أجل تشبيه العهد بالحبل المبرم، و قوله تعالى:

مَنْ بَعْدَ مِيثَاقِهِ أَى من بعد إحكام برمه و توثيقه، ترشيح للاستعارة؛ لأنه من ملائمت المشبه به، و هو الحبل. ففي هذا الترشيح زيادة تناسل للنسيئة، حتى لكأن العهد صار حبلًا فعلا.

و قد استعير النقص - كذلك - لعدم الوفاء بموجب العهد، إخراجا للمعنوي المعقول في صورة المادى المحسوس، اعتناء به، و تنويها ببشاعته، و هي استعارة تصريحية تبعية.

و مثلها الاستعارتان في قوله تعالى:

وَيَقْطَعُونَ وَيُوصَلُ وَ كُل هذِهِ الِاسْتِعَارَاتُ يَرشِحُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

لأنه لا نقض، و لا حبل، و لا قطع، و لا وصل على الحقيقة في الأمور المعنوية.

و الاستعارات المرشحة، لها ورود ملحوظ في آيات الذكر الحكيم، و هي - كما تقدم - من أبلغ الاستعارات و من أعلاها شأنًا، للمبالغة في إثبات المعنى المجازي المراد، عن طريق تناسي التشبيه، و صيرورة المشبه من جنس المشبه به.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني

الهوامش:

- (١) اللسان، مادة: رشح.
- (٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز (٩٢).
- (٣) حسن التوسل (١٣٤).
- (٤) مفتاح العلوم (١٧٤).
- \* المصباح (٢٦٦).
- \* شروح التلخيص (١٣٠ / ٤).
- \* المطول للسعد (٣٧٨).
- \* الأطول لعصام الدين (١٤٢ / ٢).
- \* البرهان في علوم القرآن (٤٢٨ / ٣).
- \* خزائن الأدب للحموى (٤٩).
- \* معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢٨١ / ١).
- (٥) تحرير التحبير لابن أبي الأصعب (٩٩).
- (٦) البقرة (١٦).
- (٧) الكشاف (١٩٢ - ١٩٣ / ١).
- (٨) البقرة (٢٧).
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٤٥

### الاستعارة المجردة

من معاني التجريد في اللغة التعرية والتخليء، يقال جرّد فلان من ماله، أى أخذ منه، و خلت منه يده ١ و التجريد في الاستعارة ضد الترشيح، و هو عند علماء البيان يدور معناه حول ذكر ما يلائم المشبه دون المشبه به.

فيرى الفخر الرازى أن الاستعارة تكون تجريدية إذا عقبته بصفات ملائمة للمستعار له- يعنى المشبه- أو تفرّيع كلام ملائم له ٢.

أما بدر الدين ابن مالك فيقول:

«تجريد الاستعارة هو أن تقرن بما يلائم المستعار له» ٣.

وكذلك قال الخطيب القزوينى ٤.

أما العلوى فقد أطل في تعريفها مع التمثيل لها فقال:

«فأما الاستعارة المجردة فإنما لُقبت بهذا اللقب لأنك إذا قلت:

رأيت أسداً يجندل الأبطال بنصله، و يشك الفرسان برمحه، فقد جردت قولك «أسداً» من لوازم الآساد و خصائصها، إذ ليس من شأنها تجريد الأبطال، و لا شك الفرسان بالرماح و النصال ٥ و إلى هذا ذهب السبكي ٦، و التفتازانى ٧، و الزركشى ٨، و السيوطى ٩.

وقد وردت الاستعارة المجردة في كتاب الله العزيز في عدة مواضع، منها قوله تعالى:

وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ١٠.

استعيرت الإذاعة لشدة الإحساس بالآلام و استعير اللباس لما أحاط بهم من عقاب الله تعالى.

و قوله عز و جل:

«فأذاقها» تجريد، روعى فيه جانب المشبه، الذى هو «الإصابة» بآلام الجوع و الخوف، و المشبه به فى الاستعارة الثانية (لباس) فكان يلائمه أن يقال: فألبسها و لكنه قال:

«فأذاقها» و هو لا يلائم «اللباس» و إنما يلائم «اللباس» أن يقال: فكساها الله لباس الجوع و الخوف ١١.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٤٦

و ذكر ما يلائم المشبه - هنا - أبلغ من ذكر ما يلائم المشبه به؛ لأن المقام يقتضى التجريد دون الترشيح؛ لأن فى الإذاعة إشارة إلى شدة الإحساس بالألم لأنه شعور به من داخل الإنسان.

أما إحاطة اللباس فلا تعدو أن تكون مجرد إحساس من الخارج الملاصق لأجسامهم من خارجها. فالترشيح فى مقامه أبلغ من التجريد. و التجريد فى مقامه أبلغ من الترشيح فى البيان القرآنى المعجز و وجه أبلغه التجريد على الترشيح فى هذه الآية أن «لباس» أضيف إلى الجوع و الخوف - و هما آفتان تصيبان المبتلى بهما من الداخل.

فالإحساس بهما يشعر به المبتلى بهما من داخله لا من خارجه و الإذاعة هى وسيلة القذف و الازدراء إلى جوف الذائق.

فلا يفهم من قول البلاغين «الترشيح أبلغ من التجريد» لما فيه من شدة تناسى التشبيه، أن فى القرآن تفاوتاً بين أساليبه بحيث يكون بعضها أبلغ من بعض؛ لأن أساليب القرآن تأتى دائماً وافية بما يقتضيه المقام فالقرآن كله على درجة واحدة من البلاغة و البيان.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) اللسان، ترتيب القاموس، مادة: جرد.

(٢) نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز (٩٢).

(٣) المصباح (٦٦).

(٤) الإيضاح (١٤١ / ٥) و ما بعدها.

(٥) الطراز (١ / ٢٣٦).

(٦) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص (١٢٨ / ٤).

(٧) الطول (٣٧٧).

(٨) البرهان فى علوم القرآن (٣ / ٤٢٨).

(٩) معترك الأقران (١ / ٢٨١).

(١٠) النحل (١١٢). الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٥٤٦ الاستعارة المجردة ..... ص: ٥٤٥

(١١) حاشية الشهاب على البيضاوى (٦ / ٣٧١).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٤٧

### الاستعارة المطلقة

الإطلاق فى اللغة ترك التقييد ١.

و الإطلاق فى اصطلاح البيانين هو خلو الاستعارة مما يلائم المشبه به، فلا تكون مرشحة. و خلوها مما يلائم المشبه فلا تكون مجردة.

قال الخطيب: هى التى لم تقترن بصفة و لا تفرع كلام ٢.

ومن الإطلاق نوع آخر له شواهد في الشعر العربي و هو ما كانت الاستعارة فيه مشتملة على ما يلائم المشبه به و المشبه معاً، و مع هذا لا يسميها البلاغيون لا مرشحة و لا مجردة، و لا مرشحة مجردة، بل هي عندهم استعارة مطلقة، على اعتبار أن الترشيح و التجريد لما تقابلا فيها تساقطا و اعتباراً كأنهما لا وجود لهما في الكلام.

و من أمثلتها عندهم قول زهير بن أبي سلمى:

لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبد، أظفاره لم تقلم استعار «أسد» للرجل الشجاع، و شاكى السلاح يلائم المشبه- الرجل الشجاع- فهو تجريد، أما «له لبد- أظفاره لم تقلم» فهما ترشيح لأنهما يلائمان المشبه به (الأسد).

فهذه استعارة مطلقة لا مرشحة و لا مجردة.

و لا مرشحة مجردة في اعتبار واحد ٣.

و قد تابع البلاغيون ما قاله الخطيب، فكان ذلك عندهم إجماعاً ٤.

فالاستعارة المطلقة عندهم نوعان:

الأول، و هو الأصل، الاستعارات التي لم يذكر فيها ما يلائم المشبه (المستعار له) و لا ما يلائم المشبه به (المستعار منه).

و الثانى: الاستعارات التي ذكر فيها ما يلائم كلا من المستعار له، و المستعار منه.

و الإطلاق في النوع الأول حقيقى واقعى، أما في النوع الثانى فهو تقديرى اعتبارى و الاستعارة المطلقة، باعتبار النوع الأول الحقيقى

الواقعى كثيرة الورد في القرآن الكريم. و من أمثلتها قوله تعالى:

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ٥.

استعار الصدع، و هو الشق في نحو حائط و غيره للتبليغ، استعارة محسوس لمعقول، و الجامع هو قوة التأثير في كل منهما، على سبيل

الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٤٨

حيث لم تقترن الاستعارة في الآية بما يلائم أى طرف من طرفى الاستعارة.

و قرينة الاستعارة هنا هي بما تُؤْمَرُ لأن المعنى بَلَّغَ ما أمرناك به تبليغاً واضحاً قويا يكون له تأثير في القلوب كتأثير الصدع في الأجسام

و منها كلمة، تَنْفَسَ في قوله تعالى:

وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ.

لأن في تَنْفَسَ استعارة تصريحية تبعية مطلقة و الأصل: إذا ظهر و انتشر.

فاستعير التنفس للظهور و سرعة الانتشار، استعارة محسوس لمحسوس، و القرينة هي إسناد التنفس إلى ضمير الصبح، لأن التنفس من

خصائص الكائنات الحية ذوات الأرواح.

و قد خلت هذه الاستعارة من ذكر ما يلائم كلا من المستعار له (المشبه) و المستعار منه (المشبه به).

و منها قوله تعالى:

وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً لَأَن فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: بِحَبْلِ اللَّهِ استعارة تصريحية أصلية مطلقة استعير الحبل لدين الله، استعارة محسوس

لمعقول لأن الحبل اسم جنس جامد غير مشتق. و القرينة هي إضافة الحبل إلى الله عز و جل ٦.

و في استعارة المحسوس للمعقول إخراج المعنوى المدرك بالمعقول، مخرج الحسى المدرك بالحواس الظاهرة اعتناء به، و مبالغته في

إظهاره.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) اللسان، ترتيب القاموس، مادة: طلق.

(٢) الإيضاح (٥/ ٦٩).

(٣) الإيضاح (٥/ ١٠٢).

(٤) معجم المصطلحات البلاغية (١/ ١٧١).

(٥) الحجر (٩٤).

(٦) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل ... (٨٧).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٤٩

### الاستعارة المكنية

مادة كنى يكنى تدور لغة حول الخفاء والغموض. والاستعارة المكنية- وتسمى الاستعارة بالكناية، والاستعارة المكنية عنها- هي قسمة الاستعارة التصريحية، التي يصرح فيها بذكر المشبه به، مع حذف المشبه؛ لأن الاستعارة- عموماً- تشبيه حذف منه ثلاثة أركان. وجه الشبه، ويسمى في الاستعارة «الجامع» وأداة التشبيه، وهذان الحذفان لازمان في كل استعارة ثم بعد حذفهما إما أن يحذف المشبه، ويذكر الشبه به فتكون الاستعارة تصريحية. وإما أن يحذف المشبه به، ويذكر المشبه فتكون الاستعارة مكنية.

و يشترط فيها أن يكون في الكلام ما يدل دلالة قوية على المشبه به المحذوف؛ لأنه عمدة في كل استعارة.

و كان الإمام عبد القاهر أول من لفت الأذهان إلى تقسيم الاستعارة باعتبار طرفيها إلى:

استعارة تصريحية.

استعارة مكنية.

ولكنه لم يسمهما بل اكتفى بإيراد الفروق بينهما مع التمثيل الوافي ببيان المراد من كل منهما ١.

وبهذا مهّد الإمام الطريق لمن جاء بعده في تأصيل القول في كل من الاستعارة التصريحية، والاستعارة المكنية فجاء من بعده السكاكي وقال في تعريفها:

هي أن تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالاً على ذلك بنصب قرينه .. وهي أن تنسب إليه شيئاً من لوازم المشبه به ٢.

و تابعه بدر الدين بن ابن مالك فقال:

«هي أن تذكر المشبه وتريد به المشبه به؛ وتدل بشيء من لوازمه- أي لوازم المشبه به- على المشبه» ٣.

يعنى تنسب إلى المشبه بعض خواص المشبه به، لتكون دليلاً على المشبه به المحذوف.

ثم جاء الخطيب القزويني، واستفاد من أقوال الذين سبقوه، ووضع تعريفاً للاستعارة المكنية دار البلاغيون في فلكه حتى الآن، قال رحمه الله:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٥٠

«قد يضمّر التشبيه في النفس، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه- أي على المشبه به- بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية، أو مكنياً عنها وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية» ٤.

فالاستعارة المكنية إنما هي تشبيه حذف منه ثلاثة أركان: وجه الشبه، وأداة التشبيه، والمشبه به، مع إبقاء ما يدل عليه في الكلام.

حيث يثبت للمشبه بعض لوازم المشبه به الخاصة به.



أما قرينة الاستعارة المكنية فهي لفظية دائما لأنها تكمن في إثبات أحد خواص المشبه به للمشبه، وهذا ما سماه الخطيب والبلاغيون بالاستعارة التخيلية. وللاستعارة المكنية ورود كثير في الشعر العربي القديم والوسيط والحديث، وكذلك في القرآن الكريم، وهو الذي نقصر عليه حديثنا في هذه المباحث.

ومنها في القرآن الكريم قوله تعالى:

وَ أَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ - وفي توجيهه بلاغيا يقول الإمام الزمخشري:

«أن تجعل للذل جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقره زاما» ٥.

وهذا معناه أن في التركيب استعارة مكنية كما في بيت لبيد

وغداة ريح قد كشفت و قره إذ أصبحت بيد الشمال زمامها فقد أجمع البيانون أن في بيت لبيد هذا استعارتين مكنيتين، إحداها في يد الشمال.

والثانية في زمام القره وهي الريح الباردة (٦).

وفي الآية شبه الذل بطائر، تم حذف المشبه به وهو الطائر، وأثبت للمشبه (الذل) الجناح، وهو من لوازم المشبه به (الطائر) لا المشبه (الذل) وهذا الإثبات يؤدي مهمتين.

الأولى: الدلالة على المشبه به المحذوف.

الثانية: منع أن يكون المراد هو المعنى الحقيقي الوضعي لأن هذا الإثبات - كما تقدم - هو قرينة الاستعارة المكنية.

وبلاغة هذه الاستعارة هي إخراج المعنوي، وهو البر بالوالدين، في صورة الحسى. اعتناء بشأنه، وإظهارا له ومنها قوله تعالى:

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ

شبه الغضب بذي عقل وإرادة و ثورة، ثم حذف المشبه به (ذا الإرادة العاقل الثائر) و رمز إليه بشيء من لوازمه الخاصة به، وهو

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٥١

السكوت. الذي نسب إلى «الغضب» على أنه فاعل له.

وهذا ما يسميه البلاغيون بالاستعارة التخيلية وهي قرينة المكنية.

وبلاغة هذه الاستعارة المبالغة في تصوير حدة الغضب التي اعترت موسى عليه السلام، لما رجع من ميقات ربه، فوجد قومه (بنى إسرائيل) يعبدون العجل إليها من دون الله.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

(١) أسرار البلاغة (٤٤/٤٨).

(٢) مفتاح العلوم (١٧٩).

(٣) المصباح (٦٤).

(٤) الإيضاح (١٢٣/٥) و ما بعدها.

(٥) الكشف (٢/٤٤٥).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٥٢

تدور مادة كنى فى اللغة حول معانى الخفاء و الستر و التغطية و عدم التصريح ١.

أما فى اصطلاح البلاغيين فهى:

«لفظ أطلق و أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه الأصلي» ٢.

و هذا كلام الخطيب فى الإيضاح مع تصرف يسير بالزيادة أضفناه بقصد التوضيح.

و قبل الخطيب تباينت عبارة أهل العلم فى تعريف الكناية تباينا واسعا.

و الكناية من الأساليب البديلة، مثل المجاز، يعدل إليها عن اللفظ الأصلي لنكتة بلاغية، تجعل التعبير بها أولى أو أوجب من التعبير باللفظ الذى وضع فى أصل اللغة للدلالة عن المعنى.

و البلاغيون قسموا الكناية بحسب المعنى الذى تدل عليه ثلاثة أقسام:

\* كناية عن موصوف لم يصرح به فى الكلام.

\* كناية عن صفة لم يصرح بها فى الكلام.

\* كناية عن نسبة بين أمرين غير مصرح بها فى الكلام. و معنى قولهم فى تعريف الكناية:

«لفظ أطلق و أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، يتضح من تحليل العبارة الآتية: فلان كثير الرماد».

كان العرب يخبرون بهذه العبارة عن الشخص الذى يريدون وصفه بكثرة الكرم و البذل و العطاء و العلاقة بين كثرة الكرم و كثرة الرماد، هى الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة إيقاد النار، ثم الانتقال من كثرة إيقاد النار إلى كثرة طهو الطعام و إنضاج اللحم، و من هذا ينتقل إلى كثرة الآكلين (الضيوف) و من كثرة الضيوف إلى كثرة الكرم، و هو المطلوب.

و لا يمتنع إرادة كثرة الرماد مع إرادة المعنى الكنائى، الذى هو المراد من الكناية أساسا، و إرادته ليست بلازمة فى الدلالة على الكرم، لأن الإنسان قد يكون كريما من غير كثرة الرماد كأن يوجد بأشياء أخرى كالنقود و غيرها.

و سمي هذا التعبير كناية؛ لأنه لم يصرح فيه بلفظ الكرم بل أخفى هذا الوصف.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٥٣

و سميت الكناية لازم معنى اللفظ المستعمل فيها لأنه يلزم من كثرة الطهو كثرة الكرم.

فلفظ الكناية أيا كان ملزوم، و معناها لازم لا ينفك عنها.

و الكناية تجمع - على الأرجح - بين الحقيقة و المجاز؛ لأن لفظ الكناية لم يرد منه معناه الموضوع له مباشرة فيكون حقيقة، و لم تمتنع إرادته مع إرادة المعنى الكنائى فيكون مجازا.

لذلك يقال: إن الكناية لها جانبان: حقيقة و مجاز و أن قرينه الكناية غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي، و قرينه المجاز مانعة.

فالكناية على هذا ليست حقيقة خالصة، و ليست مجازا خالصا. و هذا هو الحق، الذى لا يجوز أن يحاد عنه و الكناية من الأساليب الكثيرة الشيع فى الكلام البليغ، و بخاصة فى القرآن الكريم؛ فلا تكاد تخلو منها سورة؛ لأن لها مقامات تؤثر هى فيها عن غيرها.

و فى القرآن الكريم نجد حقلا من حقول التعبير آثر القرآن الكريم التعبير الكنائى فيه دون غيره.

فمثلا العلاقات الجنسية، سواء كانت بين الأزواج، أو غير الأزواج نجد القرآن يعدل عدولا تاما عن التصريح بها و إثارة الكناية فى كل حديث عنها؛ لأن من دواعى العدول إلى الكناية فى البلاغة بوجه عام مقامات محددة منها ما يستقبح أو يستهجن ذكره صراحة، فيعدل إلى التعبير الكنائى عنه ترفعا و أدبا.

فخذ إليك مثلا قوله تعالى:

وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ ٣.

هذا توجيه من الله لراغبي الزواج من النساء المتوفى عنهن أزواجهن و المطلقات. بالأى يخطبوهن فى عدتهن حتى تنقضى مدة العدة.

وهنا يؤثر القرآن الكريم التعبير الكنائى عما يكون بين الأزواج فيسميه سرًّا ولا يفصح عنه. وإنما سمى ما يستهجن ذكره سرا، لأنه لا يقع إلا فى السر، و الكناية هنا عن صفة و هى مباضعة النساء.

\* وكذلك آثر التعبير الكنائى عنه فى قوله تعالى:

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ٤.

فكنى عنه ب «الإتيان» و هو يطلق على عدة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٥٤

معان أخرى غير ما يكون بين الزوج و زوجته.

و الكناية هنا عن موصوف هو مباضعة النساء، أو النكاح و قد جاء التعبير عنه ب «النكاح» عشرات المرات فى القرآن الكريم، و النكاح معناه أعم من مباضعة النساء فى أصل اللغة؛ لأن معناه العام هو: الضم و هو معنى عفيف لا ابتدال فيه و لا استقباح.

و قد يستعمل «النكاح» كناية عن مجرد «عقد الزواج» و إن لم يصاحبه دخول بالمعقود عليها. و من ذلك قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ ٥.

و إطلاق النكاح على مجرد العقد نادر و روده فى القرآن الكريم.

أما و روده بمعنى مباضعة النساء فكثير كثير، و منه قوله تعالى:

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ٦.

المراد من النكاح فى الآية هو «الوطء الفعلى» و ليس مجرد العقد عليها، و هذا موضع إجماع بين الفقهاء إلا من لا يعتد بقوله.

كما كنى القرآن عن مباضعة النساء بالمس و الملامسة و هما لفظان لا ابتدال فيهما و لا فحش و لا إثارة و مثال «المس» آية الأحزاب المذكورة آنفا، و هى:

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ

أما الملامسة فمثالها قوله تعالى:

أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ٧

كما كنى عن المباضعة بالتغشية فى قوله تعالى:

فَلَمَّا تَعَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا ٨ ..

و التغشى لفظ عفيف مهذب، و قد أدى معناه الكنائى هنا دون أن يחדش حياء، أو يثير غريزة و مما شاع استعماله فى كنايات القرآن عن العلاقات الزوجية لفظ «المباشرة» مكنيا به عن اتصال الزوج بزوجه. قال عز و جل:

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَابِسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِيَابِسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٥٥

ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَ لَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ٩.

و الواقع أن الآية الكريمة تضمنت عدة كنايات عن علاقات الأزواج بزواجهم.

و أول ما يفجؤنا فيها كناية «اللباس» هُنَّ لِيَابِسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِيَابِسٌ لَهُنَّ و هى كناية لطيفة تشع منها معان آسرة.

فمن معانى اللباس الستر و التجمل، و الزوجة تعف زوجها و تغنيه عن الحرام، و هو يعفها و يغنيها عن التطلع إلى الحرام، و كل منهما يجمل الآخر و يصونه ثم التعبير الكنائى بالمباشرة، و من معانيها الملامسة و المماسسة، و الضم و المكاشفة و الملاصقة. و كلها معان لا إسفاف فيها و لا ابتدال.

أما «الرفث» فهو كناية عن مقدمات الوطء، ومنها الكلام أيا كان ابتذاله و مجونه، لكن التعبير الكنائي عنه بالرفث فيه ستر وإخفاء لحقيقته ما يقال في مخادع الأزواج.

إنه لفظ كنائي مهذب، يصور الواقع من وراء ستار، مخفياً قبحة و عوره.

و يكتنى عنها كذلك ب «قضاء الوطر» و شاهد هذا قوله عز و جل:

لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۗ ١٠

عبارة مهذبة شريفة، لا يحس السامع منها أى انفعال غريزي مخرج له عن مشاعره الهادئة الرزينة. و من كنايات القرآن الكريم عن المعانى الشديدة الحساسية بالعلاقات الغريزية بين الذكور و الإناث التعبير عنها بالإفشاء فى قوله تعالى:

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِخْدَانَكُمْ فِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ بِهُنَّ وَإِنَّمَا مَثَلُ مَا تَأْخُذُونَ وَ قَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۗ ١١.

إن لفظ «الإفشاء» تعبير مهذب راق عن العلاقات السرية و غير السرية، التى تكون فى حياة الأزواج.

و من ذلك الكناية عنها بالقرب، كما جاء ذلك فى قوله تعالى:

وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ۗ ١٢ و فى هذه الكناية اتساع فى المعانى المرادة، يشمل حتى مقدمات الجماع فى أثناء حيض الزوجة، حتى لا تفقد تلك المقدمات إلى الوقوع فى المحذور، لأن قرب الحائض يكون سببا قويا فى الإصابة بالأمراض، و خاصة الجلدية لذلك كان النهى عن «القربان» لأن فيه تحوطا شديدا عن الوقوع فى المحذور.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٥٦

و الكنايات التى تقدم الحديث عنها، كلها كنايات عما يقع فى دائرة الحلال بين الأزواج و الزوجات، و منها كنايات عن صفه، إلا الرفث فإنه كناية عن موصوف، هو الكلام الفاحش.

و أما ما يقع فى دائرة الحرام، فقد كنى عنه القرآن الكريم بالزنى، و إتيان الفاحشة، تنفيرا عنه، و تزهيدا فيه بعيدا عن الإسفاف و التبذل فى الألفاظ المكشوفة الفاضحة.

و مما يلفت النظر التعبير عن الزنى ب «السفاح» و من شواهد قوله تعالى:

مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ ۗ ١٣

و أصل السفح هو تدفق الدم المملوء بالسموم، الذى يندفع من الشاه بعد ذبحها.

و فى تكنية القرآن الكريم عن «الزنى» بالسفاح كناية لطيفة أخرى متولدة عن الكناية الأولى، شبه فيها ماء الرجل الذى يصب فى رحم الزانية بالدم المسفوح المملوء بالسموم القاتلة. لأن الدم المسفوح يضر بصحة البدن وحده، لذلك حرّمه الله على الآكلين. أما ماء الزناة فهو قاتل لشرف النسل و أخلاق الفضل و العفة و الطهارة فتأمل هذه المعانى السامية، التى تشع من كنايات كتاب الله العزيز، لتدرك لما ذا يعدل القرآن عن التصريح إلى الكناية التى هى الصفة الشائعة فى القرآن الكريم. و منها فى غير العلاقات الزوجية، قوله تعالى فى الحديث عن عيسى عليه السلام و أمه رضى الله عنها:

كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ

إنها كناية مهذبة طاهرة، عدل القرآن الكريم إليها عن: كانا يتغوطان و يتبولان. حيث كنى بأكل الطعام، و هو طاهر نظيف طيب، عن التغوط و التبول، و هما يثيران التقرز و الاشتمزاز فى النفوس، فضلا عن خبثهما و نجاستهما.

و لو جاء التعبير بالتغوط و التبول لكان فى ذلك إيحاء بكشف عوراتهما أمام عيون الخيال البشرى، و القرآن يستر العورات فى الواقع، و فى التعبير.

و قد يقول قائل: إن التعبير بالتغوط جاء صريحا فى القرآن فى مواضع أخرى، مثل:

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ۖ فَلَمَّا ذَا عَدَلَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ أُمِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟ وَ نَقُولُ: مَا وَرَدَ فِي  
أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ لَا حَرَجَ فِيهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ وَصْفًا لِإِنْسَانٍ مُعَيَّنٍ، بَلْ هُوَ حَدِيثٌ عَامٌ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْمُكَلَّفِينَ.  
أَمَّا فِي الْحَدِيثِ عَنْ عِيسَى وَ أُمِّهِ، فَهُوَ حَدِيثٌ خَاصٌّ عَنْهُمَا فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ رُوِيَ مَعَهُمَا تَحْشُمُهُمَا وَ وَقَارَهُمَا.  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٥٧

إِضَافَةٌ إِلَى أَنَّ الْغَائِطَ نَفْسَهُ كُنَايَةٌ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي تَقْضَى فِيهِ الْحَاجَةُ، وَ لَكِنَّهُ إِذَا مَا قِيسَ بِهَذِهِ الْكُنَايَةِ كَانَا يَأْكُلَانِ  
الطَّعَامَ كَانَ كَالْتَصْرِيحِ بِالنِّسْبَةِ لَهَا. وَ مِنَ الْكُنَايَةِ عَنِ الْمَوْصُوفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى:  
وَ حَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَ دُسِّرَ ١٥

كُنَايَةٌ عَنِ سَفِينَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ هِيَ أَبْلَغُ مِمَّا لَوْ قِيلَ: حَمَلْنَا عَلَى سَفِينَةٍ. لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ تَمْجِيدٍ لِقُدْرَةِ اللَّهِ، وَ امْتِنَانٍ عَلَى نُوحٍ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ وَ فِي ذِكْرِ عُنَاوَرِ تَرْكِيْبِ السَّفِينَةِ وَ هُمَا الْخَشْبُ وَ الْمَسَامِيرُ، تَذْكَيرٌ بِعِظْمَةِ وَ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَ جَلَالِ النِّعْمَةِ عَلَى نُوحٍ وَ مِنْ آمَنَ مَعَهُ.  
هَذَا، وَ الْكُنَايَةُ - عَمُومًا - أَبْلَغُ مِنَ التَّصْرِيحِ، لِأَنَّهَا تَقْرُنُ الدَّعْوَى بِدَلِيلِهَا الْمَصْدُقِ لَهَا. فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي عِيسَى وَ أُمِّهِ «كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ»  
أَبْلَغُ مِمَّا لَوْ قِيلَ: كَانَا مَخْلُوقِينَ .. لِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يَخْلُو مِنَ الدَّلِيلِ الْمَادِي الْمَصَاحِبِ لِلدَّعْوَى أَمَّا «كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ» فَهُوَ دَلِيلٌ صَدَقَ  
الدَّعْوَى.

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني

المصادر و المراجع:

(١) اللسان و المعاجم اللغوية، مادة: كنى.

(٢) بغية الإيضاح (٢/ ١٥٠) و ما بعدها.

(٣) البقرة (٢٣٥).

(٤) البقرة (٢٢٣).

(٥) الأحزاب (٤٩).

(٦) البقرة (٢٣٠).

(٧) المائدة (٦).

(٨) الأعراف (١٨٩).

(٩) البقرة (١٨٧).

(١٠) الأحزاب (٣٧).

(١١) النساء (٢٠ - ٢١).

(١٢) البقرة (٢٢٢).

(١٣) النساء (٢٤).

(١٤) المائدة (٦).

(١٥) القمر (١٣).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٥٨

البديع فى اللغة، هو الجديد و الطريف و المخترع ١ أما فى اصطلاح البلاغيين.

فهو: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ٢.

و هو العلم الثالث من علوم البلاغة: المعانى و البيان ثم البديع. و منزلته بين علوم البلاغة أن علمى المعانى و البيان علمان أساسيان فى بلاغة الكلام. و يأتى البديع يزيد الكلام البليغ حسنا راجعا إلى المعانى أولا، ثم إلى الألفاظ ثانيا. أو حسنا راجعا إلى الألفاظ أولا ثم إلى المعانى ثانيا.

و على هذا الاعتبار قسموا البديع قسمين:

أحدهما البديع المعنوى كالطباق و المقابلة و مراعاة النظر، و الثانى: لفظى كالجناس و السجع ٣.

و قد وضعوا لقبوله فى الكلام شروطا منها:

\* عدم الإكثار منه، و ترك الإسراف فيه.

\* ألا يكون متكلفا بل يقبل منه ما جرى على الطبع و على أساس هذا نقدوا كثيرا من الشعراء لإسرافهم فى الألوان البديعية، و تكلفهم بعض صورهم فى شعرهم و قالوا إن المسرف فيه يكون عرضه للذم و كثرة الخطأ.

أما بديع القرآن فسوف نتناول أطرافا منه من خلال بعض آيات القرآن الكريم لنثبت بالأدلة القاطعة إنه كثير جدا فى القرآن الكريم، و مع هذه الكثرة لا نقول إنه سلم من كل عيب فحسب، بل هو سمة من سمات الإعجاز فى كتاب الله العزيز. و هذا هو الفرق بين كلام الله و كلام البشر.

نعرض فى هذا المبحث نصوصا من القرآن الكريم، محاولين توضيح ما فيها مما أطلقوا عليه «بديعا» سواء دخل عندهم فى المعنوى، أو اللفظى، و لنبدأ بقوله تعالى:

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٤.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٥٩

جاءت فى هاتين الآيتين ضروب عدة من البديع نذكرها فيما يلى:

(أ) المشاكلة: و ذلك فى قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا وَهى مشاكلة من النوع الثانى الذى ذكره فى قولهم: «المشاكلة هى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا» ٥.

فهى مشاكلة تقديرية. و ذلك بناء على ما ذكره المفسرون. فالزمخشري يقول «و يجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة. فقالوا: أما يستحى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب- إشارة إلى قوله تعالى: لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ٦ فجاءت على سبيل المقابلة و إطباق الجواب على السؤال- و هو فن من كلامهم بديع و طراز عجيب منه قول أبى تمام:

من مبلغ أبناء يعرب كلها أنى بنيت الجار قبل المنزل و يلاحظ أن اللفظ «المشاكل» هنا مجازى المعنى حقيقته الترك. فمعنى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَى لا يترك الضرب بالبعوض ترك من يستحى أن يمثل بها لحقارتها ...

لأن الحياة تغير و انكسار يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب به أو يذم ٧ و هو بهذا المعنى مستحيل فى جانب الله.

إذن فقد اجتمع هنا لوانان بديعيان:

المشاكلة .. و قد تقدم شرحها.

(ب) و المماثلة أو التمثيل .. و قد سبق أنهم يعتبرونه لونا بديعا. و سبق كذلك أنه عندهم يطلق على عدة أمور: الاستعارة المفردة، الاستعارة التمثيلية، المثل السائر.

(ج) الإبهام: وذلك بناء على ما ذكره المفسرون - كذلك - من أن «ما» في قوله تعالى: ما بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا أن «ما» الأولى إبهامية، و هي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما و زادته شيوعا و عموما ٨ و كون «ما» إبهامية مشروط بنصب «بعوضة» - كما هي القراءة المشهورة - و إن رفعت «بعوضة» فإن «ما» تصبح موصولة.

(د) التوجيه: وذلك في قوله تعالى: فَمَا فَوْقَهَا فإن الفوقية هنا لها معنيان، أحدهما: فما تجاوزها في المعنى الذي ضربت فيه و هو القلة و الحقارة.

و ثانيهما: فما زاد عليها في الحجم.

و لما كان أحد هذين المعنيين لم تنصب قرينه على إرادته بعينه، و بقي الفهم و الاعتقاد شركة بينهما حصل النوع البديعي الذي يسمونه «التوجيه»؛ و هو أن يكون للفظ معنيان لم تقم قرينه على إرادة أحدهما. و المتأمل يرى أن كلا المعنيين هنا صالح للفهم و الاعتقاد.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٦٠

(ه) حسن التقسيم: حيث قسم الناس بالنسبة لضرب الأمثال بالبعوضة و ما زاد عليها في الحقارة أو ما زاد في الحجم إلى فريقين: فريق مؤمن مصدق، و آخر كافر مكذب.

(و) المقابلة: حيث طابق بين «آمنوا» و «كفروا» و «يضل» و «يهدى»، و قد جمعت المقابلة هنا التكافؤ حسبما يرى ابن أبي الأصعب لأن «يهدى» و «يضل» مجازيان.

(ز) التعطف: و ذلك في ثلاثه مواضع «مثلا» و «مثلا»، «يضل» و «يضل»، «كثيرا» و «كثيرا».

(ح) البيان بعد الإبهام: و ذلك أنه سبحانه قال: يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا فبين أن فريقا يضل به و آخر يهدى، و لم يبين من المهدي و من المضل، ثم عاد فقال: و مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ليعلم من هو الفريق المضل و في هذا البيان معنى الاحتراس.

(ط) صحة التفسير: حيث فسر «الفاستقين» في قوله تعالى: و مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ بقوله تعالى: الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ.

(ي) النزاهة: و ذلك لأنه سبحانه حين أراد ذمهم لم يستعمل فيه هجين اللفظ، و لا قبيح المعاني، بل سجل عليهم نقضهم ميثاق الله، و ترك ما أمر الله بفعله و فسادهم في الأرض، و أخبر عنهم بأنهم هم الخاسرون لا غيرهم.

(ك) التكافؤ: و هو - كما عرفه ابن أبي الأصعب - أن يكون ركنا الطباق مجازين لا- حقيقيين، و أن تكون أركان المقابلة مجازية كذلك. و التكافؤ بهذا المعنى وارد في الآية الثانية: الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، حيث قابل بين النقض و التوثق، و القطع و الوصل، و هذه كلها أركان مجازية، فالنقض لا يكون إلا في المركبات الحسية، و كذلك التوثق، و القطع لا يكون إلا في المتماسك الحسى، و قد استعمل هنا مرادا به الترك، و الوصل صنو القطع، و استعمل هنا في أمر معنوى هو: الإتيان و الفعل.

(ل) الترشيح: و ذلك أنه قال: يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ هو الذي رشح لإيقاع النقض على العهد، و هو لا يكون إلا في المركب الحسى و «العهد» معنى من المعاني، فالذي رشح له أنهم يسمون العهد «حبالا» على سبيل الاستعارة. قال الزمخشري: «فإن قلت من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد؟

قلت: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٦١

سبيل الاستعارة لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين» ٩.

(م) التسجيع: و هذا ظاهر من فاصلتي الآيتين: و مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ فاتحدت الفاصلتان في حرف النون



مسوقا بحرف مد في الموضعين.

(ن) التذييل: وذلك في قوله تعالى:

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ فَإِنَّهُ تَذْيِيلٌ جَاءَ مُؤَكِّدًا لِمَا فَهَمَ مِنْ أَوْصَافِ الْفَاسِقِينَ.

(س) حسن النسق: حيث جاءت الجملة مرتبة ترتيبا حسنا خالية من عيوب النظم.

فقد بدأ- سبحانه- بأن له مطلق الإرادة يمثل بما شاء لما شاء. والناس إزاء هذا التمثيل ضربان: مؤمن مصدق، وكافر مستريب، وفي هذا يضل الله من يشاء وهم كثيرون، ويهدى من يشاء وهم كثيرون، ثم بين أنه لا- يضل إلا الفاسقين، ثم شرع في بيان صفات الفاسقين فبدأ بنقضهم عهد الله، وتركهم ما أمر الله به أن يؤتى، ثم عطف عليه كونهم مفسدين في الأرض. ثم أخبر عنهم بأنهم الخاسرون.

و المتأمل يرى أن كل جزء تقدم على آخر فإنه كالسبب فيه أو أخص منه و ما أتى بعده عام. أو حكم تقدمت مسيباته. فجاء التعبير محكم البناء، موصول العرى، متلاحم الفقرات.

(ع) الانسجام: وقد عرفه ابن أبي الأصبغ: بأن يكون الكلام منحدرا كانحدار الماء المنسجم بسهولة سبك و عدوبه ألفاظ و سلامة تأليف، حتى يكون للكلام موقع في النفوس و تأثير في القلوب ما ليس لغيره و إن خلا من البديع ١٠. وهذا الانسجام ينطبق على آيتنا هاتين بل ينطبق على كل موضع في القرآن الكريم فهو وصف عام له، لم يختص به موضع دون آخر.

(ف) المجاز: هكذا عدوا المجاز من فنون البديع، و هو في آيتنا ظاهر في بعض مواضعها كالنقض في الإبطال، و التوثق في الحفاظ على عهد الله، و القطع في الترك و الوصل في الفعل، و من قبل هذا كان الاستحياء في الترك أيضا.

(ص) الإدماج: و هو كما عرفه ابن أبي الأصبغ ١١: أن يدمج غرض في غرض أو بديع في بديع بحيث لا يظهر إلا أحد الغرضين: و هذا قد مر بنا في موضعين من النص الكريم:

أحدهما: دمج التكافؤ في المقابلة في قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٦٢

مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا فَإِنْ «يضل» و «يهدى» مجازيان- كما سبق- و هذا تكافؤ مدمج في المقابلة.

و ثانيهما: دمج التكافؤ في المقابلة- كذلك- في قوله تعالى: يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانَهُ.

(ق) التفصيل: و هو الواقع بعد «أما»، و «أما» في قوله تعالى فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ وَلَا يَقِفُ بِنَا الْأَمْرِ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، فَإِنْ لَنَا أَنْ نَصِفَ النَّصَّ بِمَا يَأْتِي:

(ر) ائتلاف اللفظ مع المعنى: لأن كل لفظ فيه قد ائتلف مع معناه. فهما مقدران بقدر، و موضوعان بحكمته، و هذا اللون- و إن مثلا له ببعض آيات القرآن- فإنه وصف عام ليس في موطن دون موطن بل القرآن كله موصوف بائتلاف ألفاظه مع معانيه.

(ش) حسن الجوار: و هذا مثل سابقه:

وصف عام للقرآن حيث لم تقع فيه لفظه واحدة متنافرة مع سابق عليها أو لاحق لها، و هو ينطبق على آيتنا باعتبارهما جزءا من التنزيل الحكيم.

فهذه أكثر من عشرين لونا بحثوها في ألوان البديع، و قد جاءت في القرآن على أحسن موقع و أجمل مطلع.

و هل ترى في هذا النص- و قد علمنا ما فيه من ألوان البديع- قصورا في معناه الذي سبق من أجله؟ أم اقتسارا للفظ على المعنى؟



ليس في النص شيء من هذا. بل هو واف بالمراد في وضوح وقوة، وهذا هو الفارق بين كلام معجز، و كلام هو عرضة للخطأ و المغالاة.

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَ كِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.  
(هود: ٤٤)

هذه الآية الكريمة تصور لنا في إيجاز نهاية قصة الطوفان في عهد نوح عليه السلام، وقد اشتملت على الألوان البديعية الآتية:

(أ) المناسبة اللفظية التامة، بين «أقلعي» و «ابلعي». فقد جمع بين اللفظين و هما هنا موزونان مقفيان بزنه و قافيه واحده و هذا هو معنى المناسبة التامة.

(ب) المطابقة: بين «السماء» و «الأرض» في قوله تعالى: يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَ كِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي و قد مر تعريف المطابقة فلا حاجة إلى ذكره.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٦٣

(ج) الاستعارة: في قوله تعالى: «أقلعي» و «ابلعي».

(د) المجاز المرسل: في قوله تعالى: «يا سماء» و الحقيقة: يا مطر السماء و العلاقة:

المجاورة.

(ه) الإشارة: و هي أن يدل اللفظ القليل على المعنى الكثير بحيث يكون اللفظ لمحده داله. و ذلك في قوله تعالى: «و غيض الماء» لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء و تبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء، فدل هذا التركيب القليل: «و غيض الماء» على أن كل ذلك قد حدث.

(و) الإرداف: في قوله تعالى: «و استوت على الجودي» و قد مر بحث هذه العبارة.

(ز) التمثيل: و قد مر تعريفه و التمثيل له بهذه العبارة: «و قضى الأمر».

(ح) التعليل: لأن «غيض الماء» علة الاستواء.

(ط) صحة التقسيم: حيث استوعب- سبحانه- حالة الماء حين نقصه.

(ي) الاحتراس: من توهم متوهم أن الماء قد عم من لا يستحق الهلاك و قد تحقق «الاحتراس» بالدعاء على الهالكين.

(ك) الانفصال: لأن لقائل أن يقول: إن لفظه «القوم» يستغنى عنها المعنى إذ لو قيل:

«و قيل بعدا للظالمين» لثم الكلام.

(ل) المساواة: لأن لفظ الآية لا يزيد على معناه و لا ينقص عنه، و ستأتي مخالفة هذا الوجه.

(م) حسن النسق: في عطف القضايا بعضها على بعض حسبما وقعت: الأول فالأول.

(ن) ائتلاف اللفظ مع المعنى: لكون كل لفظه لا يصلح غيرها مكانها، و قد مر تعريفه.

(س) الإيجاز: لأن الله اقتصر قصة السفينة بلفظها مستوعبة في أخصر عبارة بألفاظ غير مطولة.

(ع) التسهيم: لأن أول الآية إلى قوله تعالى: «أقلعي» يقتضى آخرها، و التسهيم أن يكون في أول الكلام ما يدل على آخره لأنه يقتضيه.

(ف) التهذيب: لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن، كل لفظه سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة.

(ص) حسن البيان: لأن السامع لا يتوقف في فهم معنى هذا الكلام لوضوحه، و صفائه.

(ق) التمكين: لأن الفاصلة مستقره في

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٦٤

قرارها. مطمئنة في مكانها غير قلقه و لا مستكرهه.

(ر) الانسجام: و هو تحدر الكلام بسهولة و عدوبة سبك.

(ش) الإبداع: و هو في مجموع الآية.

هذا خلاصة ما ذكره ابن أبي الأصبغ في بديع هذه الآية. و لنا عليها ملاحظه مهمه.

ذلك أنه وصف الآية بالمساواة و جعل المساواة فنا من فنون البديع كما جعل الاستعارة كذلك. ثم عاد و وصف الآية بالإيجاز، و الإيجاز و المساواة ضدان لا يجتمعان، فإما أن يكون الكلام مساويا أو غير مساو بأن يكون موجزا أو مطنبا، أما أن يوصف كلام واحد بعينه بأنه مساو، و موجز مرة أخرى فهذا شيء غير مفهوم على الإطلاق، و نحن - إذا جارينا على أن الإيجاز من فنون البديع - فإن الآية موصوفة به لا بالمساواة إذ هي قد اشتملت على نوعي الإيجاز:

ففيها إيجاز الحذف. و يكفي في تصور ذلك أن في الآية قد بنى الفعل للمفعول في عدة مواضع: «قيل يا أرض» و «غيض» و «قضى الأمر» و «قيل بعدا».

كما طوى ذكر السفينة و أضمر فاعل الفعل «استوت»، و حذف معمول «أقلعي» ... و هذا موسوم بإيجاز الحذف.

و فيها إيجاز قصر .. لأن بعض ألفاظها قد حوى كثيرا من المعاني مثل: «غيض الماء» و «قضى الأمر».

و بهذا يظهر خلط ابن أبي الأصبغ في عد الآية من باب المساواة مرة و الإيجاز مرة أخرى.

و كيف ساغ له ذلك و هو البلاغي الضليع و الناقد الأديب؟ لا أرى سببا وراء ذلك إلا ولوعه بألوان البديع و كثرة محصولة منها.

قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ. (يوسف الآياتان ٢٦-٢٧).

المعنى الإجمالي لهاتين الآيتين:

تكذيب يوسف عليه السلام لدعوى امرأة العزيز، ثم تأييده فيما قال بشهادة شاهد من أهلها لفت نظر العزيز إلى قرائن الأحوال التي منها: علم العزيز صدق يوسف عليه السلام و كذب امرأته على يوسف.

و الناظر فيهما لا يجد تكلفا في العبارات.

و لا نقصا في المعنى، و مع هذا فقد جاءت فيها فنون شتى من البديع لم تخرج عن سمات البلاغة الأصلية، و البيان الآسر. و تلك الفنون هي:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٦٥

١- المناقضة: و هي - هنا - مناقضة المتكلم غيره في معنى. فقد ادعت امرأة العزيز أن يوسف عليه السلام راودها عن نفسها.

فنقض هذا المعنى في قوله: هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي.

٢- الكناية: في قوله أيضا: رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي و حقيقته: طلبت مني الفحشاء.

و المرادة: أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد ١٢، فقد كان يوسف عليه السلام عزوفا عنها فأرادت أن تشبهه عن رأيه لتحقيق مقصودها.

٣- التزاؤه: لأن في قوله: رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي بعدا عن الألفاظ المعيبة. و فيها كذلك الاعتدال في الاتهام و يبدو هذا جليا إذا ما قورنت هذه العبارة بعبارة امرأة العزيز:

ما جَزَاءَ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُشِجْنَ أَوْ عِيَذَابٌ أَلِيمٌ ١٣ فهي تدل على نفس حاقدة كائده مغیظة إذ لم تكتف بمجرد الاتهام، بل بالغت فيه مقترحة الجزاء: إما السجن، و إما العذاب الأليم.

٤- جناس الاشتقاق: و ذلك في قوله تعالى: وَ شَهِدَ شَاهِدٌ لَأَنْهَمَا يَرْجِعَانِ فِي اللَّفْظِ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ.

- ٥- الاستقصاء: وهو في قوله تعالى:
- مِنْ أَهْلِهَا وَ صَافٍ لِلشَّاهِدِ، وَ فِي هَذَا مَدْخَلٌ عَظِيمٌ الأثر في براءة يوسف عليه السلام، و إدانة امرأة العزيز.
- ٦- حسن البيان: لأن المعنى في هاتين الآيتين واضح لا يعوق عنه فهم ولا يغرب عن طالب.
- ٧- حسن التفسير: لأن قوله تعالى: **إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَ هُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ**، والآية التي بعدها- كل هذا تفسير للشهادة التي أشارت إليها العبارة السابقة.
- ٨- حسن التقسيم: حيث قسم قرائن الواقعة قسمين باعتبار ما حدث من قد القميص.
- ٩- المزوجة: حيث زواج بين الشرط و الجزء، فقد القميص من القبل يترتب عليه صدقها و كذبه. و قد من الدبر يترتب عليه كذبها و صدقه.
- ١٠- الإيهام: حيث ساوى بين امرأة العزيز و يوسف عليه السلام في احتمال دعوى كل منهما في الصدق و الكذب، و القرائن التي أشار إليها الشاهد تخص دعواها بالكذب. و تثبت الصدق ليوسف عليه السلام.
- ١١- المقابلة: حيث طابق بين القبل و الدبر، و الصدق و الكذب.
- ١٢- العكس و التبديل: حيث قدم الصدق مرة و أخره مرة أخرى، و قدم الكذب تارة و أخره تارة أخرى.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٦٦
- ١٣- التمكين: لأن الفاصلة في الموضوعين قارة في مكانها لا نافرة و لا قلقة.
- ١٤- التسهيم: لأن قوله في الآية الأولى:
- إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ إِلَى فَكَذَّبْتَ** يدل على الفاصلة و كذلك القول في الآية الثانية.
- ١٥- التسجيع: لأن الفاصلتين في الموضوعين متماثلتان: «الكاذبين»، «الصادقين».
- ١٦- لزوم ما لا يلزم: حيث التزم في الفاصلة الباء المكسور ما قبلها و ذلك نلاحظه في الموضوعين.
- ١٧- الإيجاز: ففي الآيتين لوحظ حذف بعض الكلمات منها: «قال» قبل: **وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا وَ حَذَفَ الفَاعِلُ فِي «قَدْ» فِي الموضوعين.** و كان في هذا الحذف من الفخامة و الروعة ما فيه.
- ١٨- حسن النسق: حيث رتبت الأجزاء ترتيباً حسناً فبدأ بتكذيب يوسف لدعوى امرأة العزيز ثم ذكر شهادة الشاهد الذي أيده. ثم تفصيل تلك الشهادة و ما يترتب عليها في عرض حسن و نسق جميل.
- ١٩- الانسجام: و ذلك من جزالة الألفاظ، و جودة السبك و الترتيب المنطقي لأجزاء القضية.
- ٢٠- الافتنان: و قد عرفه ابن أبي الأصبغ بأن يأتي المتكلم في كلامه بفنين إما متضادين أو مختلفين، و قد جاء ذلك ظاهراً في الجمع بين البراءة و الإدانة، ثم الإدانة و البراءة في قوله تعالى حكاية عن شاهد واقعه امرأة العزيز: **وَ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبْتَ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ.**
- و قد خطأ نصيب الشاعر الكمي في قوله:
- أم هل طعائن بالعلياء نافعاً وإن تكامل فيها الأنس و الشنب قال نصيب للكميت: أين الأنس من الشنب، أ لا قلت كما قال ذو الرمة:
- لمياء في شفتيها حوّة لعس و في اللثات و في أنيابها شنب ١٤ فإن الشنب يذكر مع اللمس، و الأنس يذكر مع الغنج. و بمثل هذا عاب ابن الأثير قول أبي نواس يصف الديك:
- له اعتدال و انتصاب قدو جلده يشبه وشى البرد
- كأنها الهداب في الفرندمحدوب الظهر كريم الجد
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٦٧

لأنه ذكر الظهر وقرنه بالجد، وهذا لا يناسب هذا، لأن الظهر من جهة الخلق والجد من جهة النسب ١٥.

و كذلك خطأه في قوله:

وقد حلفت يمينا مبرورة لا تكذب

برب زمزم و الحوض و الصفا و المحصب لأن ذكر الحوض مع الصفا و المحصب غير مناسب. و إنما يذكر الحوض مع الصراط و الميزان.

و أما التكرار في القرآن فعذب و راق.

كقوله تعالى: الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ١٦.

و قوله تعالى: وَ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ١٧.

و قوله: وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ١٨.

و هو على تقاربه تجد له قوة و جزالة و أغراضه: إما المدح، و إما التهويل و إما للاستبعاد كما في قوله تعالى: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ١٩ ... إلى غير ذلك من الأغراض.

و هذا التكرار لا يخرج عندهم عما سموه التردد أو التعطف. أو الجناس و المشاكلة ..

و قد جاء في الشعر و غيره من كلام الناس فلم يسلم من العيب إلا فيما قل.

فمما عيب قول أبي الطيب:

فقلقت بالسهم الذي قلل الحشاقلقل عيش كلهن قلاقل

غثائه عيش أن تغث كرامتي و ليس بغث أن تغث المآكل قال ابن سنان معلقا عليهما: «فقد اتفق له أن كرر في البيت الأول لفظه مكررة الحروف فجمع القبح بأسره في صيغة اللفظة نفسها، ثم في إعادتها و تكرارها، و أتبع ذلك بغثائه في البيت الثاني و تكرار «تغث» فليست تجد ما يزيد على هذين البيتين في القبح» ٢٠.

و قال أبو تمام:

قسم الزمان ربوعها بين الصبا و قبولها و دبورها أثلاثا و قد أخطأ أبو تمام في ذكر «القبول» مع «الصبا»، لأن الصبا هي القبول لذلك عده النقاد غير مفيد.

ففي الآية الأولى جمع بين براءة امرأة العزيز- فرضا- و إدانته يوسف عليه السلام، و في الآية الثانية جمع بين إدانتها- حقيقة- و براءة يوسف عليه السلام.

و إلى هنا فإننا تناولنا ثلاثة نصوص من القرآن الكريم. و قد أبنا على طريقتهم ما يحتمله النص من وجوه البديع، و هذه النصوص في جملتها تتكون من خمس آيات:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٦٨

و كان جملة ما ظهر لنا من فنون البديع فيها- بعد حذف المكرر- واحدا و أربعين فنا.

و هي:

- ١- التمثيل ٢- المشاكلة ٣- الإبهام ٤- التوجيه ٥- حسن التقسيم ٦- المقابلة ٧- التعطف ٨- البيان بعد الإبهام ٩- صحة التفسير ١٠- النزاهة ١١- التكافؤ ١٢- الترشيح ١٣- التسجيع ١٤- التذييل ١٥- حسن النسق ١٦- الانسجام ١٧- المجاز ١٨- الإدماج ١٩- التفصيل ٢٠- ائتلاف اللفظ مع المعنى ٢١- حسن الجوار ٢٢- الإشارة ٢٣- الإرداف ٢٤- التعليل ٢٥- الاحتراس ٢٦- الانفصال ٢٧- المساواة ٢٨- التسهيم ٢٩- التهذيب ٣٠- التمكن ٣١- الإبداع ٣٢- المناقصة ٣٣- الكناية ٣٤- الجناس اللفظي ٣٥- الاستقصاء ٣٦- المزاج ٣٧- الإبهام ٣٨- العكس و التبديل ٣٩- لزوم ما لا يلزم ٤٠- الإيجاز ٤١- الافتنان.

## \* نتائج مهمة:

و الباحث في بديع القرآن مع إطلاق القول به حتى يشمل ما هو من المعاني و البيان يخرج بعده نتائج:  
أولاً: أن العلماء قد اشترطوا لقبول البديع و حسنه و بلاغته شروطاً منها: ألا يكون متكلفاً و لا مسرفاً فيه صاحبه، و أن يرسل مع الطبع و السجية و لا يكون على حساب المعنى.

و بديع القرآن قد تحقق فيه عدم التكلف و كونه لا على حساب المعنى.

أما الشرط الثاني- و هو عدم الإكثار- فلم يتحقق ذلك إذ إن نصوص القرآن قد اشتملت على كثير من ألوان البديع، و قد رأينا أن آية واحدة قد استخرج منها العلماء أكثر من عشرين فناً من فنون البديع، و لم تزد كلماتها على سبع عشرة كلمة، بل إن ابن أبي الأصبغ قد استخرج من حرف واحد و هو «ثم»- في قوله تعالى: **ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ** ٢١- استخرج من هذا الحرف وحده ثمانية فنون بديعية. ٢٢  
و مع هذه الكثرة في بديع القرآن لم تجد له إلا- بلاغته و حسنا، و لم يؤثر عن أحد من العلماء و النقاد التقليل من قيمة البديع في القرآن، و ما رأيناهم قد استحسنوا فيما سواه ما كثر منه في القصيدة أو البيت لأن التاريخ و النقد الأدبيين لم يجدا مكثراً من البديع أو مسرفاً فيه إلا كان خطؤه أكثر من صوابه و إجادته أقل من رداءته.

و لم يكن الإقلال منه عاصماً من التكلف فيه حتى يكون مع الإكثار عذر لذلك التكلف.

فقد أخطأ المقلون كما أخطأ المكثرون.

فمثلاً.. قد ورد في القرآن الكريم أسلوب مراعاة النظير فملح و حسن، كقوله تعالى:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٦٩

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٢٣.

و تناول الشعراء هذا الأسلوب فأصابوا و أخطأوا.

و جاءت المبالغة في القرآن قوية جزلة لا تنبو عن ذوق و لا ينكرها عقل. مثل قوله تعالى: **إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ** ٢٤.

ففي هذه الآية مبالغة مقبولة غير منكورة و لا- نافرة تصف أثر الخوف و هذا يصوره زوغ الأبصار لشدة الاضطراب و هذا أمر واقع، عطف عليه أمر قريب من الواقع هو بلوغ القلوب الحناجر فإن القلب حين يضطرب تظهر آثار اضطرابه في تهدج الصوت و اضطرابه، و الصوت يكون مسموعاً بعد مروره بالحنجرة، فلذلك ساغ هذا التعبير و قوى به المعنى و حسن.

و مثل قوله تعالى: **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** ٢٥. مبالغة في صفاء الزيت.

و قوله تعالى: **إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** ٢٦.. مبالغة في تصوير الظلمة المحيطة به.

و جاءت هذه المبالغة على ألسنة الشعراء فأصابوا و أبعثوا في الخطأ.

قال الأعشى:

فتى لو ينادى الشمس ألق قناعها أو القمر السارى لألقى المقالد فقد غالى في تصوير المعنى فعلق تبذل الشمس على مجالسته لها، و كذلك تخلى القمر السارى عن المقالد مرهون بتلك المجالسة، و هذه مبالغة موصوفة بالغلو. و لم يخل كلامه من التكلف؛ فقد أثبت للشمس قناعاً و للقمر مقالداً و جوز في جانبهما المنادمة.

و قال أبو نواس:

و أخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق و هذا البيت معيب «لما في ذلك من الغلو و الإفراط الخارج عن الحقيقة».

و صحه التقسيم جاء فى الكتاب الحكيم على أبلغ وجه، و أصح منهج كقوله:

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوْفًا وَ طَمَعًا ٢٧.

وقوله تعالى: فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَ رِيحَانٌ وَ جَنَّةٌ نَعِيمٌ (٨٩) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَتَنْزِيلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَ تَصْلِيَةٌ جَعِيمٍ ٢٨.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٧٠

الآية الأولى: تبين قسمة أثر البرق عند الناس.

و الآية الثانية: تبين أقسام الناس يوم العرض، فهم ثلاثة لا رابع لهم. فهذه قسمة صحيحة.

و قد أخطأ بعض الشعراء عند ما تناولوا هذا الفن. مثل قول البحرى:

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا أو معينا أو عاذرا أو عدولا ٢٩ قال ابن الأثير: «فإن المشوق يكون حزينا و المسعد يكون معينا، و كذلك يكون عاذرا ..

و كثيرا ما يقع البحرى فى مثل ذلك».

و عابوا قول أبى الطيب:

فافخر فإن الناس فيك ثلاثة مستعظم أو حاسد أو جاهل لأن المستعظم يكون حاسدا، و الحاسد يكون مستعظما، و من شرط التقسيم

ألا تتداخل أقسامه بعضها فى بعض» ٣٠.

«و أما صحه التقسيم .. فإن تكون الأقسام المذكورة لم يخل بشىء منها، و لا تكررت و لا دخل بعضها فى بعض».

و مثل للمعيب منه بقول جرير:

صارت حنيفه أثلاثا فثلثهم من العبيد و ثلث من موالها ثم علق عليه قائلا: فهذه قسمة فاسدة من طريق الإخلال لأنه قد أخل بقسم من

الثلاثة. و قيل: إن بعض بنى حنيفه سئل من أى الأثلاث هو؟ قال: من الثلث الملغى» ٣١.

و هذه لمحة نقد بالغة الدقة.

و جاء الإيجاز فى القرآن الكريم بقسميه:

إيجاز الحذف و إيجاز القصر، فلم يبهم معه معنى و لا اختفى معه مراد. كقوله تعالى:

وَ سَأَلِ الْقَرْيَةَ ٣٢، و قوله تعالى: وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ ٣٣، و قوله تعالى: وَ لَوْ تَرَى إِذِ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَ أَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ٣٤، و

قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْبَارِضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى ٣٥، و قوله تعالى: أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ٣٦، و قوله

تعالى: إِنَّمَا بَعُثْنَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ٣٧، و قوله تعالى: تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ٣٨.

و القرآن ملئ بمثل هذه الدرر الغوالي مع قوة المعنى و وضوحه و شدة أسره للأفهام.

و قد تناوله قوم فأصابوا و أخطوا، فأما ما جاء فى القرآن فهو أبلغ منه و أوجز، و لعل مضرب الأمثال فى ذلك قوله تعالى: وَ لَكُمْ فِي

الْفِصَاصِ حَيَاةٌ ٣٩.

فإذا قورن به قول العرب: «القتل أنفى للقتل». فإن عبارة القرآن قد فاقتته من عدة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٧١

وجوه ٤٠ قد عنى العلماء بإفاضة القول فيها.

مع أن هذا القول الصادر عن العرب كانوا يعدونه أبلغ ما قيل فى معناه.

على أن كثيرا من الشعراء قد أوجزوا فأخلوا، و سر بلاغة الإيجاز و وضوح المعنى ..

من ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود:

أعاذل عاجل ما أشتهى أحب من الأكثر الرائب ٤١ لأنه أراد: عاجل ما أشتهى مع القلة أحب إلى من الأكثر البطيء، فترك «مع القلة» و به تمام المعنى.

و منه قول عروة بن الورد:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذر كأنه أراد أن يقول: عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم فى السلم و قتلهم فى الحرب أعذر، فترك «فى السلم» و به تمام المعنى كذلك.

و كذلك قول الحارث بن حلزة:

و العيش خير فى ظلال النوك ممن عاش كذا أراد: العيش الناعم فى ظلال الجهل خير من العيش الشاق فى ظلال العقل. و الوجه الذى يقرب هذه الأمثلة الثلاثة إلى الصواب أنه يمكن أن يقال: إن دليل الحذف فيها ما قابل المحذوف. فقله: «و مقتلهم عند الوغى» دليل «فى السلم» المحذوف، و إلا لخرج الكلام مخرج الأحاجى و الأغاز، و لما استحق أن يدخل فى باب الأدب.

و لو أننا تتبعنا سائر فنون البديع بمعناها العام لوجدنا أمثلتها فى القرآن لا تخرج عن البلاغة الأصلية مع الوفاء بحق المعنى، و حق اللفظ.

فليس فيه إحسان فى موضع، و إساءة فى آخر، بل هو على وتيرة واحدة فى جميع فنونه و طرق تعبيره، و هذا هو الفرق الذى رماه بين بديع القرآن و بديع الناس.

فالناس - شعراؤهم و ناثروهم - إذا أكثروا من استعمال البديع لم يسلم لهم منه إلا القليل، و إذا لم يكثروا منه - و هذا شرط قبوله - فإنهم ليسوا فى مأمن من السقوط و الكلفة، كما وقع لبشار بن برد و مسلم بن الوليد و أبى تمام، و كما وقع للمتأخرين منهم حينما أسرفوا و غالوا فى السعى وراء البديع فضعف معه المعنى أو زال من أساسه كبديع الزمان الهمداني و صفى الدين الحلبي، و غيرهم من عشاق البديع.

و البديع فى القرآن فطرى جرى مع طبيعة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٧٢

الأسلوب و لم يصير إليه حلية لفظ أو تزويق عبارة، و هو فيه سمة من سمات إعجازه و حسنه سواء أ كان راجعا إلى المعنى أو راجعا إلى اللفظ و حسنه ذاتى لا عرضى، و لو ذهبنا ننحى ما جاء من بديع القرآن عن أصالة أسلوبه و روعه معانيه، لذهبنا بشرط الحسن فيه لقوة صورته و أصالة وروده فيه، و قد تقدم لنا أن كثيرا من فنون البديع من صميم طرق التعبير فى القرآن الكريم - كالمطابقة - لأنه كثيرا ما يقارن بين أنواع متضادة أو كالمتضادة، و المشاكلة و السجع ... و ما إلى هذه الألوان الآسرة.

على أن هنا ملاحظتين إحداهما ترجع إلى البديع بعامة، و الثانية ترجع إلى بديع القرآن بخاصة.

أما ما ترجع إلى البديع بعامة .. فإنه فن فى حاجة إلى الإنصاف و إعادة النظر، و نحن هنا أمام طريقتين:

إما أن نطلق كلمة «البديع» على فنون البلاغة جميعا، و إما أن نرد كل حق إلى نصابه، فنرد ما للمعاني للمعاني، و ما للبيان للبيان - مما يدرس ضمن فنون البديع - و لو فعلنا ذلك لما بقى شىء يمكن أن يطلق عليه بديعا، لاختلاس هذه الفنون من علمى المعانى و البيان، إلا فيما ندر.

و أما ما يتعلق ببديع القرآن .. فإن بعض الباحثين مسرف فى إثبات الألوان كما فعل ابن أبى الأصعب فى كتابه الموسوم «بديع القرآن» مثل التفويف و التنكيث و الانفصال، و التردد و الاطراد، فإن إدراك جمال التعبير فى القرآن لا يحتاج إلى أكثر من الذوق و صفاء النفس فلا داعى لكثرة التلقيب و التنويع.

و الحمد لله فى الأولى و الآخرة ..

أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى

الهوامش:

- (١) اللسان و المعاجم اللغوية، مادة: بدع.
- (٢) سر الفصاحة (١٩٣).
- (٣) بغية الإيضاح (٣/٣) تعليق الشيخ عبد المتعال الصعيدي مكتبة الآداب ١٤٢٠ هـ.
- (٤) البقرة (٢٦-٢٧).
- (٥) الإيضاح (٢٧/٦).
- (٦) الحج (٧٣).
- (٧) الكشاف (٨٤/١).
- (٨) المصدر نفسه (٨٦٠).
- (٩) المصدر نفسه (٩٠/١).
- (١٠) بديع القرآن (١٦٦).
- (١١) المصدر نفسه (١٧٢).
- (١٢) مفردات الراغب (٢٠٦).
- (١٣) يوسف (٢٥).
- (١٤) الأغاني للأصفهاني (١/١٣٤).
- (١٥) المثل السائر (٣/١٥٥).
- (١٦) القارعة (٢-١).
- (١٧) الانفطار (١٧-١٨).
- (١٨) الواقعة (١٠).
- (١٩) المؤمنون (٣٦).
- (٢٠) سر الفصاحة (٩٣).
- (٢١) آل عمران (١١).
- (٢٢) المثل السائر (٣/٣).
- (٢٣) الرحمن (٥-٦).
- (٢٤) الأحزاب (١٠).
- (٢٥) النور (٤٠).
- (٢٦) النور (٤٠).
- (٢٧) الرعد (١٢).
- (٢٨) الواقعة (٨٨-٩٤).
- (٢٩) ديوان البحتری (١/٢).
- (٣٠) سر الفصاحة (٩٤).
- (٣١) سر الفصاحة (٢٢٧).



- (٣٢) يوسف (٨٢).  
 (٣٣) الفجر (٢٢).  
 (٣٤) سبأ (٥١).  
 (٣٥) الرعد (٣١).  
 (٣٦) الأنعام (٨٢).  
 (٣٧) يونس (٢٣).  
 (٣٨) البقرة (١٣٤).  
 (٣٩) البقرة (١٧٩).  
 (٤٠) انظر - مثلاً - بديع القرآن لابن أبي الأصبغ.  
 (٤١) الرّاث: البطيء.  
 الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٧٣

## إعراب القرآن

### إشارة

قال ابن جنى فى «الخصائص الكبرى»: الإعراب: هو الإبانة عن المعانى بالألفاظ ١. وقال ابن منظور فى «لسان العرب»: أعرب الكلام و أعرب به: بينه ... و عرّب منطقه: أى هدّبه من اللحن ... ٢. وقال الراغب فى «مفرداته»: ... إعراب الكلام: إيضاح فصاحته. و خصّ الإعراب فى تعارف النحويين بالحركات و السكنات المتعاقبة على أواخر الكلم ٣. و من هذا المنطلق اللغوى يعرف إعراب القرآن فيقال: هو بيان معانيه باستعمال القواعد النحوية عند الحاجة إليها؛ فالإعراب فرع المعنى كما يقول علماء اللغة. و فى القرآن معان كثيرة يتوقف فهمها على إعراب ألفاظها؛ لمعرفة الفاعل من المفعول، و الصفة من الموصوف، و المبتدأ من الخبر، و غير ذلك مما يحتاج إليه المفسر فى الوقوف على المعنى المراد على وجه التحديد أو على وجه التقريب. و يستطيع من خلال معرفة وجوه الإعراب أيضا أن يصحح من أقوال المفسرين ما يراه صحيحا، أو يرجح ما يراه راجحا؛ مستدلا على سلامة قوله بقاعدة أو بأكثر من قواعد الإعراب التى لا خلاف عليها بين المعربين. و لا شك أن علماء النحو قد بذلوا جهودا مضية فى وضع هذه القواعد و سبكها بدقة وفق مقتضيات اللغة. و كان لأولهم قدم السبق فى تحريرها، و كان لمن جاء بعدهم فضل التحقيق و التطبيق. و قد بذل المفسرون جهودا مشكورة فى استعمال هذه القواعد النحوية؛ لبيان معانى كتاب الله تعالى؛ فكانوا نعم العون للناظرين فيه على اختلاف درجاتهم فى الثقافة و الفهم و تنوع مشاربهم فى العلم و المعرفة. فعلماء البلاغة يجدون فيه بغيتهم إذا أرادوا أن يتعرفوا جمال تعبيره ورقه تصويره، و جودة نظمه و روعه بيانه، و أسرار إعجازه فى مناحيه الأربعة: البيانية، و التشريعية، و العلمية، و الغيبية. و علماء الحديث يستعينون على فهمه بالقرآن، و يستعينون على فهم القرآن بعلم الإعراب و علوم البلاغة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٧٤

و المشتغلون بالعلوم الأخرى يستمدون فهم كتاب الله - تعالى - من أولئك المفسرين الذين نبغوا في هذه العلوم اللغوية التي تعتمد بالدرجة الأولى على قواعد الإعراب.

لذا كانت دراسة علم النحو ضرورية لكل من يتصدى لتفسير كتاب الله - تعالى -، و بيان ما تضمنته الأحاديث النبوية أيضا؛ لأن السنة بيان للقرآن، يتوقف فهمه على فهمها بكل الوسائل المستعملة في ذلك، و أولها معرفة وجوه الإعراب.

و قد شرط العلماء لمن يتصدى لعلم التفسير شروطا كثيرة، منها:

(أ) أن يقتصر منه على القدر الذي تدعو إليه الحاجة، و يترك ما زاد عليها للمتخصصين في علم النحو؛ فإن القرآن من أوله إلى آخره كتاب هداية و منهج حياة، فينبغي أن يكون مبلغ هم المفسر لآياته بيان معانية و مراميه و مناحي إعجازه، و غير ذلك مما فيه حكم، و حكمة، و عظة، و عبرة.

(ب) أن يفهم أولا معنى ما يعربه مفردا كان أو مركبا؛ و ذلك بالرجوع إلى كتب التفسير التي عنى أصحابها بالغوص في المعاني إلى أعماقها و استخراج مكنوناتها و نفائسها، مستعينين في ذلك بمتن اللغة و فقهها و صورها البيانية و إحياءاتها في دقة النظم و جمال التعبير و سلامة الأسلوب تماما من الخلل و الزلل.

(ج) أن يراعى المعرب المعنى الصحيح الذي دل عليه لفظ الآية و سياقها و ما إلى ذلك من أدلة التصحيح، و لو خالف بذلك الصناعة النحوية إذا كانت لا تعينه على المعنى الذي اتفق عليه أكثر المفسرين؛ فالقرآن قد نزل بلسان عربي مبين يحكم به و لا يحكم عليه؛ فالحجة فيه لأهل التفسير واضحة جلية، لا يضرهم من خالفهم من النحويين و لا من غيرهم. و هذا ميدان زلت فيه أقدام كثير من المتكلمين و المقلدين.

(د) أن يجتنب الوجوه الضعيفة في الإعراب و يلزم نفسه بما صحح منها، و لا سيما إذا كانت هذه الوجوه تخل بالمعنى أو توهن من شأنه في العظة و الاعتبار.

(ه) أن يتتبع المعرب ما تحتمله الألفاظ من وجوه الإعراب؛ فيشير إليها، و يختار أحسنها مرجحا قوله بالدليل.

(و) أن يراعى الشروط المختلفة بحسب الأبواب؛ فإن العرب يشترطون في باب شيئا و يشترطون في آخر نقيض ذلك الشيء، على ما اقتضته حكمة لغتهم و صحيح أقيستهم؛ فإذا لم يتأمل المعرب ذلك اختلطت عليه الأبواب و الشرائط.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٧٥

(ز) ألا يخرج على خلاف الأصل، أو على خلاف الظاهر غير مقتض.

(ح) و هذه الشروط تقتضى شرطا آخر هو أهمها جميعا، و هو أن يكون المعرب لكتاب الله - تعالى - مستجمعا لشروط المفسر من: سلامة الفطرة، و صحة المعتقد، و صفاء الذهن، و خلو قلبه من الهوى، و خبرته الواسعة بفنون لغة العرب و غير ذلك مما هو مذكور في محله ٤.

(٤) و ينبغي أن يلتزم المعرب لكتاب الله - تعالى - الأدب في التعبير عند الإعراب؛ فلا يتفوه بكلمة لا تليق بجلال القرآن أو تخل بفصاحته، أو تؤدي إلى شك في سلامة نظمه و محاسن أسلوبه.

(أ) مثل قول بعض المعربين: هذا حرف زائد؛ فإن الزائد قد يفهم منه أنه لا معنى له، و كتاب الله منزّه عن ذلك، فإن الحروف التي يبدو للمعربين أنها زائدة في كلام الناس لا ينبغي أن يقولوا فيها إن وردت في كتاب الله:

هي زائدة، إلا أن يقولوا: زائدة لملحظ بلاغي و فائدة لا تؤدي بغيره.

أو يقولوا بقول بعض الورعين من المعربين:

هذا الحرف صلة أو هو حرف توكيد، أي:

جاء به لفائدة لا غنى عنه في بيانها.

(ب) و مثل قول بعض المعريين: «الله» مفعول به منصوب. وهذا لا يليق بجلال الله تعالى.

و الأولى أن يقال: لفظ الجلالة منصوب على العظمة، كما وجدناه في بعض كتب المعريين.

(٥) (أ) و ممن صنّف في إعراب القرآن أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٥٣٨-٦١٦هـ/١١٤٣-١٢١٩ م).

فقد وضع فيه كتابا جامعاً لسور القرآن كلها، سماه: «التبيان في إعراب القرآن»- في جزءين. طبع لأول مرة في مصر سنة (١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩ م).

و هو كتاب واف في مقصوده، واضح في أسلوبه، تميز عن سواه بحل كثير من مشكلات الإعراب في كتاب الله- تعالى- و أتى فيه بما يشفى و يكفى.

قال رحمه الله في مقدمته: (و الكتب المؤلفة في هذا العلم كثيرة جداً، مختلفة ترتيباً و حداً؛ فمنها المختصر حجماً و علماً، و منها المطول بكثرة إعراب الظواهر، و خلط الإعراب بالمعاني، و قلما تجد فيها مختصر الحجم كثير العلم، فلما وجدتها على ما وصفت، أحببت أن أملى كتاباً يصغر حجمه و يكثر علمه، أقتصر فيه على ذكر الإعراب و وجوه القراءات؛ فأتيت به على ذلك).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٧٦

(ب) و قد صنف أبو محمد: عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (٧٠٨-٧٦١ هـ/

١٣٠٩ - ١٣٦٠ م) كتاباً نفيساً في هذا الفن سماه/ «مغنى اللبيب عن كتب الأعراب» جمع فيه الكثير من قضايا الإعراب و مسأله المتعلقة بكتاب الله- تعالى- فأفاد و أجاد، و صار كتابه هذا مرجعاً لا يستغنى عنه نحوي و لا مفسر.

قال في مقدمته: (وضعت هذا التصنيف على أحسن إحكام و ترصيف، و تتبعت فيه مقفلات مسائل الإعراب فافتحتها، و معضلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها و نقحتها، و أغلظت وقعت لجماعة من المعريين و غيرهم فنبهت عليها و أصلحتها).

ثم قال: (و ينحصر في ثمانية أبواب:

الباب الأول: في تفسير المفردات و ذكر أحكامها.

الباب الثاني: في تفسير الجمل و ذكر أقسامها و أحكامها.

الباب الثالث: في ذكر ما يتردد بين المفردات و الجمل، و هو الظرف و الجار و المجرور، و ذكر أحكامها.

الباب الرابع: في ذكر أحكام يكثر دورها، و يقبح بالمعرب جهلها.

الباب الخامس: في ذكر الأوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهتها.

الباب السادس: في التحذير من أمور اشتهرت بين المعريين و الصواب خلافها.

الباب السابع: في كيفية الإعراب.

الباب الثامن: في ذكر أمور كلية يخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية). أه.

و الناظر فيه يجد علماً غزيراً بما تضمنه كتاب الله- تعالى- من الحقائق و الدقائق التي لا يستغنى عنها من أراد أن يتفقه في كتاب الله- عز و جل.

طبع هذا الكتاب بمطبعة المدني، و نشره محمد على صبيح بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. و طبعته المكتبة العصرية ببيروت سنة (١٩٩٢ م/ ١٤١٢).

(ج) و صنف في هذا الفن: الأستاذ/ محمد عبد الخالق عزيمة- كتاباً كبير الحجم من أحد عشر جزءاً في النحو و الصرف بوجه عام، و اهتم كثيراً بإعراب القرآن و بيان ما أشكل على الدارسين من وجوه المختلفة. سماه: «دراسات لأسلوب القرآن الكريم».

و هو كتاب فريد، في ترتيبه و تهذيبه و جمعه للمسائل النحوية في الجو القرآني لا غنى للدارسين في العلوم العربية و الشرعية عن

مطالعه.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٧٧

طبع هذا الكتاب سنة (١٩٨٨ م) في مطبعة حسان بالقاهرة.

(د) و ظهر مؤخرا كتاب بعنوان: «إعراب القرآن الكريم و بيانه» لمحيى الدين درويش.

طبع عدة مرات. المرة الثالثة منها في المطبعة اليمانية، و طبع أيضا في دار الإرشاد- حمص- سوريا. يقع الكتاب في عشرة أجزاء، مرتب على حسب السور، يتكلم فيه المؤلف عن معاني الألفاظ بإيجاز ثم يعربها.

(ه) و ممن صنف في إعراب القرآن- أبو إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج المتوفى سنة (٣١١ هـ / ٩٢٣ م) كتابه المسمى: «معاني القرآن و إعرابه». تناول فيه إعراب القرآن كله بإيجاز. يقع الكتاب في أربعة أجزاء، حققه الدكتور: عبد الجليل عبده شلبي، و طبع في عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

(و) و قد صنف أبو جعفر النحاس المتوفى سنة (٣٣٨ هـ / ٩٤٨ م) كتابه المسمى: «إعراب القرآن».

و هو كتاب يعنى بإعراب القرآن عناية موسعة، ذكر فيه أقوال النحويين و وجوه القراءات التى دندن حولها المعربون.

يقع الكتاب في خمسة أجزاء طبع في عالم الكتب الطبعة الثانية (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) بتحقيق د/ زهير غازى زاهر.

(ز) و صنف في هذا الفن: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنبارى (٥١٣ هـ / ٥٧٧ هـ / ١١١٩ / ١١٨١ م) كتابا أسماه:

«البيان فى غريب إعراب القرآن». و قد حققه د/ طه عبد الحميد طه و راجعه الأستاذ:

مصطفى السقا طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م).

(ح) «تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه» للشيخ: محمد على طه الدرّة ط دار الحكمة- دمشق- بيروت.

(ط) «مشكل إعراب القرآن» لمكى بن أبى طالب القيسى (٣٥٥-٤٣٧ هـ / ٩٦٦-١٠٤٥ م).

يقع فى جزءين طبع فى مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) بتحقيق:

ياسين محمد السّوّاس.

(ى) الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل» للزمخشري:

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمى (٤٦٧-٥٣٨ هـ / ١٠٧٥-١١٤٤ م) و هو كتاب يكشف عن جمال النظم القرآنى و سحر بلاغته و فنون إعرابه، يقع فى أربعة مجلدات.

(ك) «تفسير البحر المحيط» لأبى حيان:

محمد بن يوسف (٦٥٤-٧٤٥ هـ / ١٢٥٦-١٣٤٤ م) و هو كتاب حافل بمسائل الإعراب المتعلقة بكتاب الله- تعالى- يستدرّك فيه ما

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٧٨

فات الزمخشري و غيره من المعربين، و يبين من خلال وجوه الإعراب ما تضمنته الآيات من المعانى مع بيان إعجاز القرآن فى بلاغته و نظمه و جمال تعبيره و دقة تصويره و عدوبة بيانه؛ حتى بدا و كأنه كتاب نحو و بلاغة.

يقع هذا الكتاب فى ثمانى مجلدات كبار، و هو مطبوع متداول، طبعته دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع عدة طبعات. الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

و بهامشه:

١- «تفسير النهر الماد من البحر» لأبى حيان نفسه و هو مختصر «للبحر المحيط».

٢- كتاب «الدرّ اللقيط من البحر المحيط» للإمام: تاج الدين الحنفى النحوى تلميذ أبى حيان (٦٨٢-٧٤٩ هـ / ١٢٥٣-١٣١٩ م).

(ل) «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» تأليف: سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل، (المتوفى

١٢٠٤ هـ / ١٧٩٠ م).

يقع في أربعة مجلدات كبار طبعته مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ.  
و بهامشه كتابان:

١- «تفسير الجلالين» لجلال الدين السيوطي، و جلال الدين المحلي.

٢- «إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن» لأبي البقاء: عبد الله بن الحسين العكبري المتقدم ذكره.  
و هذا الكتاب لا يقل شأنًا عن كتاب البحر المحيط، بل هو أوسع منه دائرة في بعض المواضع؛ فقد أفاد منه و من غيره ممن جاء بعده  
إلا أنه لا يخوض في أعماق المسائل النحوية المعقدة كما صنع أبو حيان في كتابه.

و طالب العلم لا يستغنى عن هذا و ذاك؛ فإنه إن لم يجد ضالته في كتاب وجدها في آخر؛ فقد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر.

أ. د. / محمد بكر إسماعيل

الهوامش:

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ٣٥ لأبي الفتح عثمان بن جني (... - ٣٩٢ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٠٢ م) ت محمد علي النجار الأستاذ بكلية اللغة  
العربية ط دار الهدى للطباعة و النشر بدون تاريخ.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (عرب) ط دار المعارف المصرية.

(٣) مادة (عرب) ص ٣٢٨، ٣٢٩ ط مصطفى البابي الحلبي و شركائه الطبعة الأخيرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م.

(٤) راجع كتاب مغنى اللبيب عن كتب الأعراب تحت عنوان: ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها ج ٢ ص  
٥٢٧، ٥٩٩ بتصرف.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٧٩

## محكم القرآن و متشابهه

### إشارة

الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٥٧٩ (١) الاحكام في اللغة ..... ص : ٥٧٩

### (١) [الاحكام في اللغة]

الإحكام في اللغة: الإتقان و المنع.

قال ابن منظور في «لسان العرب» ١:

أحكم الأمر: أتقنه، و حكم الشيء و أحكمه:

منعه من الفساد. أه.

و المحكم: هو المتقن الذي لا يعتره لبس و لا خلل.

### (٢) [الاحكام في الاصطلاح]

و قد عرفه علماء الشريعة بتعريفات كثيرة:

فقال بعضهم: المحكم: هو الحكم الشرعى الذى لم يتطرق إليه النسخ.  
وقال بعضهم: المحكم: هو ما ورد من نصوص الكتاب أو السنة دالا على معناه بوضوح لا خفاء فيه.  
وقال كثير من أهل السنة: المحكم: ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل.  
ونسب إلى ابن عباس فى تعريف المحكم:  
أنه الذى لا يحتمل إلا وجهها واحدا من التأويل.  
وقيل: المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان.  
ويحكى هذا القول عن الإمام أحمد رضى الله عنه.  
وقيل: المحكم ما كانت دلالاته راجحة، وهو النص والظاهر.  
وينسب هذا القول للفخر الرازى، واختاره كثير من المحققين.

### (٣) [التشابه فى اللغة]

والتشابه فى اللغة: التماثل المؤدى إلى الالتباس غالبا.  
والمتشابه: هو الملتبس بغيره لمشاكلته له فى بعض أوصافه.  
والمتشابه من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى.  
فقال الفقهاء: المتشابه ما لا ينبى ظاهره عن مراده.  
وحقيقة ذلك أن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق،  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٨٠  
ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه متشابه من وجه.  
فالمتشابه فى الجملة ثلاثة أضرب:  
متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما.  
والمتشابه من جهة اللفظ ضربان:  
أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك إما من جهة غرابته نحو «الأب» وهو نبات ترعاه الإبل و«يزفون» يسرعون.  
وإما من جهة مشاركة فى اللفظ كاليد والعين. (فإن اليد تطلق على العضو، وعلى القدرة، وعلى النعمة، والعين، تطلق على عضو  
الإبصار والجاسوس، والذهب والفضة، وعين الماء وغير ذلك).  
والثانى: يرجع إلى جملة الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب:  
ضرب لاختصار الكلام نحو: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ (النساء: ٣). فإن المراد باليتامى فى  
الآية: اليتيمات، فلما جاء اللفظ عاما أشكل على بعض الصحابة ارتباط الشرط بالجواب؛ فأخبرتهم عائشة رضى الله عنها بأن المراد به  
ما ذكرنا.  
وضرب لبسط الكلام نحو: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (الشورى: ١١).  
لأنه لو قيل؛ ليس مثله شيء، كان أظهر للسامع، لكن فى هذا التعبير معنى بلاغى لا يخفى على علماء التفسير، وهو نفى مثل المثل.  
وضرب لنظم الكلام، نحو: أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قِيمًا (الكهف: ١).  
تقديره: الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا.

والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة؛ فإن تلك الصفات لا تتصور لنا؛ إذ كان لا يحصل فى نفوسنا

صورة ما لم نحسه، أو لم يكن من جنس ما نحسه.  
والتشابه من جهة المعنى واللفظ جميعاً خمسة أضرب:  
الأول: من جهة الكمّيّة، كالعموم والخصوص نحو: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ.  
والثاني: من جهة الكيفيّة، كالوجوب والندب، نحو: فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ.  
والثالث: من جهة الزمان، كالناسخ والمنسوخ، نحو: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ (آل عمران: ١٠٢) فإنه منسوخ على ما قيل:  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٨١  
بقوله تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ (التغابن: ١٦).  
والرابع: من جهة المكان والأمر التي نزلت فيه نحو: وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا (البقرة: ١٨٩) وقوله: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ (التوبة: ٣٧).  
فإن من لا يعرف عاداتهم في الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية.  
والخامس: من جهة الشروط التي بها يصح الفعل أو يفسد كشرط الصلاة والنكاح.  
وهذه الجملة إذا تصورت علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم نحو قول من قال: المتشابه (الم).  
وقول قتادة: المحكم هو الناسخ. والمتشابه:  
هو المنسوخ.  
وقول الأصم: المحكم ما أجمع على تأويله، والمتشابه ما اختلف فيه.  
ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب:  
ضرب لا سبيل للوقوف عليه، كوقت الساعة، وخروج دابة الأرض، وكيفية الدابة، ونحو ذلك.  
وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته.  
كالألفاظ الغريبة، والأحكام الغلقة.  
وضرب متردد بين الأمرين، يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم، ويخفى على من دونهم، وهو الضرب المشار إليه بقوله - عليه الصلاة والسلام - لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل».  
وإذا عرفت هذه الجملة علم أن الوقف على قوله: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ و وصله بقوله: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ جَائِزٌ، و أن لكل واحد منهما وجهاً حسباً دل عليه التفصيل المتقدم.  
وقوله: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا (الزمر: ٢٣) فإنه يعني ما يشبه بعضه بعضاً في الأحكام والحكمة واستقامه النظم. أه.  
هذا ما أفاده الراغب في «مفرداته» ٢ مع إضافات توضيحية على بعض ما قال، وهو كما ترى قد أنهى إلينا ما كنا نبتغيه في تفسير المتشابه، و تمييزه عن المحكم بتعريف جامع لأطرافه و مسائله، مانع من دخول الغير فيه.  
فقد عرفه بالحد و الرسم و التقسيم؛ فأفاد و أجاد و حقق المراد.

#### (٤) [نسبة المتشابه]

و نسبة المتشابه، و إن كثرت أقسامه و فروعه، بالنسبة للمحكم من نصوص

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٨٢

الشرعية قليل، و ذلك لأمر: أحدها: النص الصريح على أن الآيات المحكمات أم الكتاب، و ذلك في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ (آل عمران: ٧).

و أم الشيء: معظمه و عامته، و الأم أيضا الأصل و العماد، كما في القاموس.

و لذلك قيل لمكة: (أم القرى) لأن الأرض دحيت من تحتها.

فإذا كان ذلك كذلك فقوله تعالى: وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ إنما يراد بها القليل.

و الثاني: أن المتشابه لو كان كثيرا لكان الالتباس و الإشكال كثيرا، و عند ذلك لا يطلق على القرآن أنه بيان و هدى.

و قد نزل القرآن ليرفع الاختلاف الواقع بين الناس، و المشكل الملتبس إنما هو إشكال و حيرة لا بيان و هدى، و لو لا أن الدليل أثبت

أن فيه متشابهات لم يصح القول به، و ما جاء فيه من ذلك المتشابه الذي لم يتعلق به حكم بالمكلفين من جهته زائد على الإيمان به

يجب أن نقره على ما جاء، و لا نخوض في تأويله.

الثالث: استقراء المجتهد إذا نظر في أدلة الشريعة جرت له على قانون النظر، و اتسقت أحكامها، و انتظمت أطرافها على وجه واحد،

كما قال تعالى: كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (هود: ١).

و قال تعالى: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (يونس: ١). و قال تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا (الزمر: ٢٣).

يعنى يشبه بعضه بعضا، و يصدق أوله آخره، و آخره أوله، أعنى أوله و آخره في النزول ٣. أه.

## (٥) [مواقع التشابه]

و التشابه لا يقع في القواعد الكلية، و لكن يقع في الفروع الجزئية.

و قد عرف ذلك بالاستقراء و التتبع لأصول الشريعة أصلا أصلا، و إنما كان التشابه في الفروع و الجزئيات دون الكلليات؛ لأن الأصول

لو دخلها التشابه لكان أكثر الشريعة من المتشابه.

و قد عرفنا في المسألة السابقة أن المتشابه بالنسبة إلى المحكم قليل، و بسط هذه المسألة في كتب الأصول.

و قد يسأل سائل فيقول: ما الحكمة من وجود المتشابه في القرآن؟، فيكون الجواب أن لله في كل شأن حكمه قد يطلعنا عليها أو على

شيء منها، و قد يخفيها عنا لحكمة يعلمها.

و نستطيع أن نفهم جانبا من الحكمة في وجود المتشابه في القرآن الكريم إذا عرفنا أنه كتاب هداية و منهج حياة، أنزله الله و اياها

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٨٣

بمطالب البشر جميعا على اختلاف بيئاتهم و أزمانهم.

و مطالب الحياة كثيرة، و حاجات الإنسان لا تحصى و لا تنحصر، فلا يكفيها تشريع تحتويه ملايين الصفحات.

فكان من حكمه الحكيم الخبير أن ينزل من القرآن نصوصا تحتمل وجوها من البيان، كل وجه منها يمس جانبا من جوانب الحياة، و

يقضى مطلبا من مطالب الإنسان، و يفتح له بابا من أبواب التيسير؛ فيدفع عنه حرجا، أو يجعل له مخرجا مما يعانى منه أو يحبس عنه

تحقيق أهدافه المشروعة، حتى يبدو و كأن النص الواحد جمع في طياته نصوصا كثيرة، تأمر و تنهى، و توصى و ترشد؛ فأغنى ذلك

عن كتاب عظيم لا تستقصى صفحاته، و لا تنقضى كلماته و تشريعاته.

و قد أدى هذا التشابه إلى خلاف محمود العواقب بين العلماء الأفاضل، وجد الناس فيه رحمة من الله واسعة؛ لأنه خلاف لم ينشأ

بسبب تناقض في النصوص القرآنية أو اختلاف بين أحكامها، كلا، كلا. وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (النساء:

٨٢).

و لكنه خلاف مبنى على قرائن شرعية و عقلية استنبطوها من الكتاب نفسه، و من السنة المطهرة تجعل كل إمام يرجح وجهها على آخر.

و الاجتهاد واجب على علماء الأمة بشروط مبسوطه في كتب أصول الفقه، لم يخرجوا بحمد الله عنها؛ فكان لمن أصاب منهم أجران،



و لمن أخطأ أجر واحد.

وقد وجد الناس في هذا الخلاف تيسيرا و توسعة أرادها لهم ربهم - عز و جل . قال تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ (البقرة: ١٨٥). هذه حكمة سامية لوجود المتشابه في القرآن الكريم و في السنة المطهرة.

و في وجود المتشابه - أيضا - تدريب للعقول على التأمل و النظر، و في هذا التدريب لذة لا - يعرفها إلا أولو الأبواب، فكلما أدرك العالم بعقله و جها من وجوه الترجيح وفق ما لديه من القرائن - شعر بنشوة غامرة، و رغبة ملحّة في مواصلة البحث و الاستنباط. و لا - شك أن البحث عن الحقائق من أوجب الواجبات، و هو يؤدي - إن شاء الله تعالى - إلى الوصول إليها من غير تقليد، فيكون إيمانه بها أتم و أكمل من إيمان المقلد قطعا.

قال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (الزمر: ٩).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٨٤

و في وجود المتشابه - كذلك - نوع ابتلاء من الله تعالى؛ ليعلم العبد من نفسه هل هو مؤمن بما أخبره الشارع به من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها، أم هو لا يزال في الطريق إلى هذا الإيمان السامي الذي جعله الله أول أوصاف المتقين في سورة البقرة حيث قال: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ.

و هذه الحكمة ظاهرة في المتشابه الذي استأثر الله بعلمه و ما ليس للعباد فيه علم كاف بوقته و قدره و نوعه و حقيقته ٤.

### (٧) [المتشابه الذي استأثر الله بعلمه]

و المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، كالحروف المقطعة في فواتح بعض السور، و كآيات الصفات التي لا ينبغي حملها على ظواهرها - اختلف العلماء في تأويلها على ثلاثة مذاهب.

الأول: مذهب السلف - رضوان الله عليهم - و هو أقومها طريقة، و أهداها سيلا؛ فقد قرروا أن الإيمان بالمتشابهات، و تفويض أمر العلم بها إلى الله - تعالى - و رسوله واجب، مع اعتقاد أن الظاهر غير مراد؛ لقيام الأدلة القطعية على خلافه.

فما دلت عليه النصوص الشرعية الصريحة عملوا به، و ما تشابه عليهم و فهم المراد منه - و كان متعلقا بالعقيدة - آمنوا به و أجره على ظاهره و فوضوا علم كمّه و كيفه و حقيقته إلى الله - تعالى - و أثبتوا له - جل شأنه - ما أثبتته لنفسه من غير خوض في تفصيله؛ تأدبا مع خالقهم - جل و علا - و وقاية لأنفسهم من وعيد من أفتى بغير علم، و تقول على الله ما لم يقله.

فالمتشابهات بوجه عام لا يتعين المراد منها على التحقيق إلا بنص صحيح من الشرع، و حيث لا يكون هناك نص صحيح صريح بقي المتشابه على حاله، فتكون دلالته على المراد ظنية، و الأمور الاعتقادية لا يكفي فيها الظن، بل لا بد فيها من اليقين، و لا سبيل إلى معرفة اليقين في معرفة المتشابه من الصفات، و هي من الأمور العقديّة، فوجب التوقف فيها و عدم الخوض في تأويلها و ردها في جملتها إلى المحكم الذي لا يحتمل إلا وجهها واحدا.

و عماد المحكم في باب الصفات قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

هذا هو خلاصة مذهب السلف الصالح من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم و التابعين لهم بإحسان.

و قد استدلوا على ما ذهبوا إليه بنصوص من الكتاب و السنة و أقوال علمائهم الأعلام، و وجدوا فيها السلامة لدينهم و النجاة من عذاب ربهم.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٨٥

أما الكتاب فقوله تعالى من سورة (آل عمران: ٧) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ

كُلِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ. فقد أخبر الله - عز وجل - أنه لا يتبع المتشابه، ولا يعتمد إلى تأويله ابتغاء الفتنة إلا الذين في قلوبهم زيغ، وأما الراسخون في العلم فيقولون: آمننا به كل من عند ربنا، ولا يخوضون في تأويل ما لا علم لهم به على التعيين. ويقفون في قراءة الآية على لفظ الجلالة، وابتدئون بقوله:

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا.

وقد جاءت في أفضلية الوقف على لفظ الجلالة في الآية روايات عن القراء من الصحابة، ذكرها ابن جرير وابن كثير في تفسيريهما. وجوز بعض العلماء الوقف على وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ بناء على أنهم يعلمون المتشابه. ولكن هذا فيما لم يستأثر الله بعلمه، أما ما استأثر الله بعلمه فلا يعلمه أحد سواه.

الثاني: مذهب الخلف، ويسمى مذهب المؤولة - بتشديد الواو وكسرهما - وهم فريقان: فريق يؤولها بصفات سمعية غير معلومة على التعيين، ثابتة له - تعالى - زيادة على صفاته المعلومة لنا بالتعيين. وفريق يؤولها بمعان نعلمها على التعيين، وذلك بأن يحمل اللفظ الذي استحاله ظاهره من هذه المتشابهات على معنى يسوغ لغه، ويليق بالله عقلا وشرعا.

فقد قالوا في تأييد مذهبهم هذا: إن المطلوب شرعا هو صرف اللفظ عن مقام الإهمال؛ إذ لم يخاطب الله المكلفين بشيء لا يفهمون معناه، ولا يعقلون المراد منه على الجملة. وما دام في الإمكان حمل كلام الشارع على معنى سليم؛ فالنظر قاض بوجوبه؛ انتفاعا بما ورد عن الحكيم العليم.

الثالث: مذهب المتوسطين بين السلف والخلف.

وهؤلاء يقولون: إن التأويل نوعان: تأويل قريب، وتأويل بعيد. فالقريب نقول به، والبعيد نتوقف عنه.

وقد نسب السيوطي في «الإتقان» ٥ هذا المذهب إلى ابن دقيق العيد، ونقل عنه قوله:

إذا كان التأويل قريبا من لسان العرب لم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٨٦

ينكر، أو بعيدا توقفنا عنه، وآمننا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه، وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهرا مفهوما من تخاطب العرب - قلنا به من غير توقيف، كما في قوله تعالى: يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ - فنحمله على حق الله وما يجب له. أه.

وقد اتفق هؤلاء وأولئك على أمرين:

الأول: صرف هذه الآيات عن ظواهرها المستحيلة في حق الله - تعالى - لكونه مغايرا لجميع الخلق، كما هو معلوم من قوله تعالى:

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (الشورى: ١١).

وحملها على معان تليق بذاته - جل وعلا - وذلك برد المتشابهات إلى المحكمات، وهي التي لا تحتمل إلا وجهها واحدا من التأويل، وهو الوجه الذي يريده الشارع الحكيم دون سواه.

الثاني: أن المتشابه إن كان له تأويل واحد يفهم منه فهما قريبا - وجب القول به إجماعا.

وذلك مثل قوله تعالى: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ.

فإن الكينونة بالذات مع الخلق مستحيلة قطعاً، وليس لها بعد ذلك إلا تأويل واحد، وهو الكينونة معهم بالإحاطة علما وسمعا وبصرا وقلوبا وإرادة.

وكقوله تعالى: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ (الزمر: ٥٦).

فالمراد بجنب الله: حقه وما يجب له، كما تقتضيه لغة العرب، ليس له معنى يجب أن يحمل عليه غيره.

## (٨) [القرآن الكريم كله محكم]

و القرآن الكريم كله محكم باعتبار أنه متقن في نظمه و أسلوبه و أحكامه، مانع من دخول غيره فيه، و من طروء الخلل في ألفاظه و التناقض في معانيه.

و كله متشابه باعتبار أنه مماثل في فصاحته و بلاغته و حلاوته و طلاوته.

و بعضه محكم و بعضه متشابه باعتبار أن بعضه أحكام نصية، لا تحتل إلا وجها واحدا، و لا يختلط الأمر في فهمها من هذا الوجه على أحد، و بعضه أحكام تحتل أكثر من وجه لحكمة سامية، ذكرناها من قبل، و هي التي يقع فيها الاشتباه و يتأتى في فهمها الاختلاط و الالتباس عند النظرة الأولى في ألفاظه و معانيه.

و يدل على أن القرآن محكم كله بهذا الاعتبار قوله تعالى: كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (هود: ١).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٨٧

و الدليل على أنه متشابه كله قوله تعالى:

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (الزمر: ٢٣).

و الدليل على أن بعضه محكم و بعضه متشابه، قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (آل عمران: ٧).

فلا تعارض - كما علمت - بين هذه الآيات؛ لأن كلا منها قد وصف فيها القرآن بالأوصاف التي تخصه على وجه من الوجوه اللغوية السابقة.

فالمحكم من الآيات - بهذا الاعتبار - يجب العمل به.

و المتشابه - بهذا الاعتبار - قد جاء للإيمان به و الاجتهاد في معرفة تأويله على النحو الذي يرد فيه إلى المحكم.

فقوله تعالى - مثلا - يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ و قوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ (الأنعام: ١٠٣) لا يترتب عليه حكم شرعي يجب العمل به، بل هو من الأمور الاعتقادية التي يكفى الإيمان بها مع التوقف في تأويلها أو تأويلها على المعنى الذي لا يتعارض مع قوله - جل و علا: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

و دليل ذلك قوله تعالى: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا.

و الراسخون في العلم هم المتثبتون في العلم، لا تزيغ قلوبهم عن الحق و لا تدفعهم أهواؤهم إلى التأويل البعيد، و لا يطلبون للمتشابه علته بل يؤمنون به؛ لأنه من عند الله و كفى.

أ. د/ محمد بكر إسماعيل

الهوامش:

(١) لسان العرب، لابن منظور.

(٢) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ مادة (شبه) ص ٢٥٤ ط مصطفى البابي الحلبي و شركائه (١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م).

(٣) بتصرف من كتاب الموافقات للشاطبي ج ٣ ص ٨٦ و ما بعدها ط دار المعرفة بيروت - لبنان ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

- (٤) انظر دراسات في علوم القرآن للدكتور/ محمد بكر إسماعيل ط دار المنار الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ص ١٩٠ و ما بعدها.
- (٥) الإلتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط الهيئة المصرية العامة للكتاب. (١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) ج ٣ ص ١٦.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٨٨

## المكي والمدني

### (١) [معنى المكي والمدني]

للعلماء في معنى المكي والمدني ثلاثة اصطلاحات:

الأول: وهو الأولى والأشهر: أن المكي ما نزل قبل هجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة.

وهذا التعريف جامع مانع، روعي فيه زمان النزول، وهو أولى من رعاية المكان؛ لأن معرفة التدرج في التشريع ومعرفة النسخ والمنسوخ، وغير ذلك من الفوائد، متوقفة على معرفة المتقدم والمتأخر في الزمان، لهذا كان هذا التعريف هو المعتمد عند أكثر أهل العلم.

وعليه تكون آية: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** المائدة: ٣- مثلاً- مدنية، مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع.

وكذلك آية: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** النساء: ٥٨- فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم.

وقل مثل ذلك فيما نزل بأسفاره- عليه الصلاة والسلام- كفاتحة سورة الأنفال، وقد نزلت ببدر- فإنها مدنية لا مكية على هذا الاصطلاح المشهور.

الثاني من المصطلحات: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة ضواحيها؛ كالمنزّل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها أيضاً، كالمنزّل عليه في بدر وأحد، وهذا التقسيم لوحظ فيه مكان النزول كما ترى.

وهذا التعريف لما روعي فيه المكان لم يكن ضابطاً صحيحاً لاختلاف الأماكن التي نزل فيها القرآن، بخلاف التعريف الأول؛ فإنه يحدد المكي بزمان معين، وهو ما قبل الهجرة، ويحدد المدني بزمان معين، وهو ما كان بعد الهجرة، ونحن نعلم أن من القرآن ما لم ينزل بمكة ولا بالمدينة بل أنزل بأماكن أخرى متباعدة.

فقوله تعالى - مثلاً- في سورة التوبة: **٤٢ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ**

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٨٩

وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ نزلت بتبوك، كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

وقوله جل شأنه في السورة نفسها:

وَلَكِنَّ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ آية: ٦٥- نزلت في غزوة تبوك، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر.

إلى غير ذلك من الآيات التي ذكر السيوطي في «الإلتقان» ١ أنها نزلت في مواطن مختلفة غير مكة والمدينة وضواحيهما.

الثالث: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة.

و عليه يحمل قول من قال: إن ما صدر في القرآن بلفظ يا أَيُّهَا النَّاسُ فهو مكى؛ و ما صدر فيه بلفظ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فهو مدنى؛ لأن الكفر كان غالبا على أهل مكة فخطبوا بيا أيها الناس، و إن كان غيرهم داخلا فيهم. و لأن الإيمان كان غالبا على أهل المدينة، فخطبوا بيا أيها الذين آمنوا، و إن كان غيرهم داخلا فيهم أيضا. و الحق بعضهم صيغة: يا بَنِي آدَمَ بصيغة: يا أَيُّهَا النَّاسُ. أخرج أبو عبيد في «فضل القرآن» عن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن يا أَيُّهَا النَّاسُ أو يا بَنِي آدَمَ فإنه مكى، و ما كان يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فإنه مدنى) أه ٢.

و هذا التعريف غير ضابط؛ لأنه لوحظ فيه المخاطبون، فإن في المكى ما صدر بيا أيها الذين آمنوا، و في المدنى ما صدر بيا أيها الناس، و فيهما ما لم يصدر بأحدهما.

سورة الحج - مثلا - مكية و في آخرها:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ ارْتَبَهُمْ آيَاتٍ ٧٧.

و سورة النساء مدنية و أولها: يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ. و من ذلك في المكى و المدنى كثير.

و يمكننا أن نقول: إن هذا التعريف يجرى مجرى الغالب، إلا أنه من شأن التعريف أن يكون جامعا مانعا، و جريانه مجرى الغالب لا يجعله كذلك؛ فالمراد لا يدفع الإيراد، كما يقولون) أه ٣.

## (٢) [المعول عليه في معرفة المكى و المدنى]

و المعول عليه في معرفة المكى و المدنى النقل الصحيح عن الصحابة ثم عن التابعين و من بعدهم.

و لكن هناك ضوابط كلية يعرف بها المكى و المدنى على الجملة، مبناها على الغالب و الكثير يرجع إلى اللفظ و إلى المعنى.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٩٠

و إليك بعض هذه الضوابط بإيجاز:

(أ) كل سورة فيها لفظ «كلا» فهي مكية باتفاق و قد تكرر هذا اللفظ ثلاثا و ثلاثين مرة في النصف الثاني من القرآن؛ ردعا و زجرا لأهل مكة، لأن أكثرهم كانوا طغاة جبارين.

(ب) كل سورة في أولها حرف من حروف المعجم مثل: (المص - ق - ن) فهي مكية إلا البقرة و آل عمران، و في الرعد خلاف، و الأصح أنها مكية.

(ج) كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

(د) كل سورة فيها قصص الأنبياء و الأمم الماضية فهي مكية سوى البقرة و آل عمران.

(ه) كل سورة ذكر فيها الجهاد و ما يتعلق به فهي مدنية.

(و) كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية، ما عدا سورة العنكبوت.

و التحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الأولى منها، و هي إحدى عشرة، فإنها مدنية، و هي التي ذكر فيها المنافقون.

(ز) كل سورة فيها ذكر الحدود و الفرائض فإنها نزلت بالمدينة، و المراد بالفريضة هنا:

فريضة الميراث لا مطلق الفريضة، و إلا ففي المكى فرائض كثيرة كالصلاة و العدل، و التواصي بالحق، و التواصي بالصبر، و الوفاء بالعهد و غيرها.

و قد اشتهرت أحكام الميراث باسم الفرائض، حتى قال صلى الله عليه و سلم كما روى الإمام أحمد بإسناد صحيح: «أفرضكم زيد».

## (٣) [تمييز المكى عن المدنى]

و يتميز المكي عن المدني بخصائص غلبت عليه و شاعت في طياته.

و يتميز المدني عن المكي بخصائص يعرف بها- و تسمى هذه الخصائص بالضوابط المعنوية.

و إليك أولا خصائص المكي:

(أ) يتميز المكي بتأصيل العقيدة الصحيحة التي بعث بها جميع الرسل، و محاربة العقائد الفاسدة التي توارثها أهل مكة و من حولهم من القرى، كعبادة الأصنام و التقرب إليها بالقرابين، و التضرع إليها كلما اشتد بهم الكرب أو نزل بهم القحط.

(ب) و عنى القرآن المكي - أيضا - بالقضاء على ما كانوا عليه من أخلاق سيئة و عادات فاسدة، كسفك الدماء، و وأد البنات، و أكل مال اليتيم، و التطفيف في الكيل و الميزان، و غير ذلك من الرذائل.

و دعاهم إلى أصول التشريعات العامة، و الآداب السامية، بوصفها برهانا عمليا على سلامة الفطرة و صحة الاعتقاد.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٩١

(ج) و لتثبيت هذه الأصول و المعتقدات الصحيحة في قلوب الناس جميعا مؤمنين و كافرين، عنى القرآن المكي عناية فائقة بأخبار الأنبياء و الأمم السابقة؛ لما فيها من عظات و عبر، و تبيان لسنة الله - تعالى - في هلاك المكذبين، و نجاة المؤمنين.

و لقد كان إيراد القصص في القرآن المكي بكثرة من أبلغ الأدلة على أن القرآن كان وحيا من الله تعالى.

فلو تأخر إيراده إلى العهد المدني؛ لقال الكفار: تعلمه محمد صلى الله عليه و سلم من أهل الكتاب.

و لكان لقولهم هذا مبرر على نحو ما؛ لأن أهل الكتاب كانوا على علم ما بقصص الأنبياء و أخبار الأمم. و لقد قال المشركون في مكة: إنما يعلمه بشر، و ادعوا أنه يخلو إلى غلام رومي، و يتلقى عنه هذا القرآن، و لم يكن لقولهم هذا شاهد من العقل، و لا من الواقع.

قال تعالى: **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ النحل: ١٠٣.**

فلو قالوا عن القرآن المدني: تعلمه محمد من اليهود حين جاورهم، و اتصل بهم، قيل لهم: و من الذي علمه القرآن الذي نزل عليه بمكة، متضمنا من أخبار الأولين و الآخرين ما لا يعلمه اليهود و لا غيرهم.

(د) و من خواص هذا القسم قصر معظم آياته و سوره و لا سيما أوائل ما نزل، و لعل ذلك كان كذلك ليتمكن المؤمنون من حفظه بسهولة و يسر، فهم في أول عهدهم به لم تتعود ألسنتهم على النطق به مرتلا- كما أمر الله - تعالى - أن يتلى، و فيهم الشيخ الكبير، و المرأة المسنة، و الطفل الصغير، و أكثرهم أميون، فكيف يستطيعون قراءة الآيات الطويلة المقاطع، و هم لم يتعودوا بعد على مثل ذلك؛ فكان من رحمة الله بهم أن أنزل الله هذه السور القصيرة في آياتها و مقاطعها ليتمكنوا من حفظها و تلاوتها في يسر و نشاط.

و أما خصائص المدني فإننا نوجزها فيما يلي:

(أ) بيان الأحكام العقديّة و الشرعيّة بالتفصيل بيانا يكشف دقائقها و أسبابها و شروط صحتها و الحكمة من تشريعها.

(ب) ظهرت في العهد المدني تشريعات لم تكن في العهد المكي، مثل مشروعية الصوم، و مشروعية القتال، و فريضة الحج، و تحريم الخمر، و تحريم الربا و غير ذلك.

(ج) الكشف عن أحوال المنافقين الذين كانوا أشد الناس خطرا على الإسلام و المسلمين، و بيان ما انطوت عليه نفوسهم من

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٩٢

خبث و مكر و خداع، و حرص و طمع، و إعلام المسلمين بمآلهم بعد إعلامهم بحالهم، و إيصائهم باتخاذ الحيطة و الحذر من كيدهم و ألا عيبهم، و مراقبتهم في جميع تصرفاتهم المغرضة، و مجاهدتهم بالحجة و البرهان و الإغلاظ عليهم في القول و المعاملة، مع بذل النصح لهم بالرجوع إلى الله - تعالى - و التمسك بدينه الحنيف.

(د) دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام، و مجادلتهم بالحجة و البرهان في معتقداتهم الباطلة، و شبههم المزيفة، و بيان جنائياتهم على الكتب السماوية بالتحريف و التبديل، و ردهم عن غيهم إلى الرشد الذي جاءهم به الإسلام.

**(٤) [الاقوال في تعيين السور المكية والمدنية]**

وقد نقل السيوطي في «الإتقان» أقوالاً كثيرة في تعيين السور المكية والمدنية، من أوقفها ما ذكره أبو الحسن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ إذ يقول: (المدني باتفاق عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكي باتفاق. ثم نظم في ذلك أبياتا رقيقة جامعة، وهو يريد بالسور العشرين المدنية بالاتفاق: سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والمنتحنة، والجمعة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والنصر. ويريد بالسور الاثنتي عشرة المختلف فيها: سورة الفاتحة، والرعد، والرحمن، والصف، والتغابن، والمطففين، والقدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، والإخلاص، والمعوذتين. ويريد بالسور المكية باتفاق ما عدا ذلك وهي اثنتان وثمانون سورة. وإلى هذا القسم المكي يشير في منظومته بقوله: وما سوى ذاك مكي تنزله فلا تكن من خلاف الناس في حصر فليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر ٤

**(٥) [فوائد معرفة المكي والمدني]**

بعد أن عرفنا ما هو المكي والمدني، وخصائص كل منهما- يجدر بنا أن نختم هذا البحث ببيان ما يعود على الباحثين فيه من الفوائد فنقول:

(أ) تمييز الناسخ من المنسوخ، فيما لو وردت آيتان أو أكثر مختلفه الحكم، و علمنا أن إحداهما مكية والأخرى مدنية، فإننا نحكم حينئذ بأن المدنية ناسخة للمكية لتأخرها عنها.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٩٣

(ب) معرفة تاريخ التشريع، والوقوف على سنة الله في التدرج بالأمة من الأصول إلى الفروع، و من الأثقل إلى الأثقل، و هو أمر يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة في تربية الفرد و الجماعة.

(ج) تفيد هذه الدراسة في الوقوف على الخصائص البلاغية لكل من المكي والمدني، و الكشف عن ظواهرها المختلفة، و مقارنة بعض هذه الظواهر ببعض، و البحث عن مواضع الجمال في كل منهما من غير تفضيل و لا موازنة؛ لأن القرآن كله متساو في الفصاحة و البلاغة، و الحلاوة و الطلاوة و الجمال.

لهذا عنى المسلمون عناية فائقة بتتبع ما نزل بمكة، و ما نزل بالمدينة، بل عنى بعضهم بتتبع جهات النزول في أماكنها و أوقاتها المختلفة و بذلوا في ذلك جهوداً مضيئة.

و في ذلك دليل على سلامة القرآن من أي تغيير أو تحريف، فقد تلقاه الجمع الغفير من التابعين عن الجمع الغفير من الصحابة، و تلقاه الأواخر عن الأوائل بالمشاهدة و التلقين مع الوقوف على أماكن نزوله و أوقاته، و أسبابه، و غير ذلك مما يتصل بألفاظه و معانيه و مقاصده.

قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ الحجر: ٩

أ. د/ محمد بكر إسماعيل

الهوامش:



- (١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٧٣ النوع الثاني في معرفة الحضري والسفري.
- (٢) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للأستاذ الشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني ط عيسى البابي الحلبي ج ١ ص ١٨٦.
- (٣) دراسات في علوم القرآن د/ محمد بكر إسماعيل - ط. دار المنار ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ص ٤٦.
- (٤) راجع الإتقان ج ١ ص ٤٤ وما بعدها، وانظر مناهل العرفان للزرقاني ج ١ ص ١٩١ وما بعدها.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٩٤

## نزول القرآن الكريم

### (١) [حقيقة النزول]

أثبت الله القرآن في اللوح المحفوظ ثم أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة في ليلة مباركة من شهر رمضان - هي ليلة القدر، ثم أنزله على نبيه - عليه الصلاة والسلام - بواسطة جبريل - عليه السلام - في نحو ثلاثة وعشرين عاما هدى للناس وتبانا لكل شىء.

و دليل إثباته في اللوح المحفوظ قوله تعالى:

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) البروج: ٢١ - ٢٢.

و دليل نزوله إلى بيت العزة جملة قوله - جل و علا: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ البقرة: ١٨٥. و قوله سبحانه:

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ الْقَدْرِ: ١.

(٢) و الحكمة في تنزيهه مفرقا تتلخص فيما يأتي:

(أ) تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، و تسليته و مواساته، و رفع الحرج عنه، و إزالة ما يعترى صدره من ضيق و حزن، و إدخال السرور عليه الفينة بعد الفينة، و مده بالقوة التي تدفعه إلى المضى في دعوته، و تبليغ رسالته على خير وجه و أكمله، و تهون عليه ما يلقاه من قومه من أذى، و عنت، و صدود، و ليدفع عنه شبح اليأس كلما حام حوله، و اعترض طريقه لتظل همته دائما في الذروة العليا.

(ب) و من أهداف التنجيم أيضا تيسير حفظ هذا القرآن العظيم على النبي صلى الله عليه وسلم و على أصحابه، و قد كان أكثرهم لا يقرأ و لا يكتب و لا عهد لهم بمثل هذا الكتاب المعجز؛ فهو ليس شعرا يسهل عليهم حفظه، و لا نثرا يشبه كلامهم يسهل عليهم نقله و تداوله، و إنما هو قول كريم ثقيل في معانيه و مرامييه، يحتاج المسلم في حفظه و تدبره إلى تروث و تودة و إمعان نظر.

(ج) و من أهم الأهداف التي أنزل من أجلها القرآن مفرقا: التدرج بالأمه في تخليهم عن الرذائل، و تحليهم بالفضائل، و الترقى بهم في التشريعات، فلو أنهم أمروا بكل الواجبات، و نهوا عن جميع المنكرات دفعة واحدة لشق عليهم، و لضعفت الهمم الصغيرة عن التجاوب و المسابرة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٩٥

تماما كالطبيب الذى يعطى المريض دواءه على جرعات و لو أعطاه له مرة واحدة لتحقق أحد أمرين، إما رفض المريض للدواء و الصد عنه، و إما القضاء عليه.

(د) نزل القرآن منجما لمواكبة الحوادث، و هى متجددة متعددة. فكان كلما جد جديد من الأمور المصلحية التى تتعلق بمصالح العباد فى العاجل و الآجل، جاء حكم الله فيها؛ فيرسخ فى النفوس، و تتجاوب معه و ترتضيه.



وفي القرآن آيات كثيرة نزلت على سبب أو أكثر، إذا جهل سببها لا يعرف حكمها؛ فكان ما نزل فيها تقريرا شافيا، و حكما عادلا، لا يستطيع أحد رده، ولا يسع المسلمين إلا قبوله والرضا به.

(ه) الرد على شبه المشركين، ودحض حجج المبطلين؛ إحقاقا للحق، وإبطالا للباطل.

وفي ذلك رد لكيدهم في نحورهم أولا بأول، حتى لا يتمادوا في غيهم وإضلالهم لضعفاء النفوس منهم، وحتى لا يتأثر أحد من المسلمين بأقوالهم، فينعكس ذلك على إيمانه وطاعته لله رب العالمين.

والقلوب تحتاج دائما إلى تطهير من الشبهات والوسوس الشيطانية والهواجس النفسية، فكان القرآن الكريم كفيلا بذلك كله كما قال- جل شأنه: وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا الإسراء: ٨٢

(و) وهناك أمر آخر يغفل عنه كثير من أهل العلم في حكمه التنجيم، وهو الدلالة على الإعجاز البياني والتشريحي للقرآن ١ فإنه- وإن كان قد نزل مفردا في نحو ثلاثة وعشرين عاما وفي أوقات متباينة، وأحكام مختلفة، وحوادث متعددة. قد رتب ترتيبا عجبا لا ترى فيه بترًا ولا- خلا بين آياته، ولا تنافرا بين ألفاظه، ولا تناقضا في معانيه، ولا اختلافا في مقاصده ومراميه كتاباً أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَمَدٍ حَكِيمٍ خَبِيرٍ هود: ١. وقد بين الله هذه الحكم السامية فقال: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا الإسراء: ١٠٦.

وقال- جل شأنه: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا الفرقان: ٣٢-٣٣.

٣- وقد التقى أول ما نزل بآخر ما نزل في إحقاق الحق وإبطال الباطل؛ فكان الختام توكيدا لأوله وجماعا لفضائله وآثاره وشريعاته كلها.

و أول ما نزل على الإطلاق: الآيات الخمسة الأولى من سورة العلق، و آخر ما نزل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٩٦

على الصحيح: قوله تعالى: وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ البقرة: ٢٨١.

ومن هنا نعلم: أن القرآن الكريم وحدة عضوية وموضوعية، يرتبط أوله و آخره برباط واحد. فمن نظر فيه من أوله إلى آخره نظرة متممقة آمن إيمانا لا يخالجه شك أن هذا القرآن أخذ بعضه بحجز بعض في تناسق تام وانسجام فريد يؤكد أن أعلاه مثمر وأسفله مغدق، وأنه يعلو ولا يعلى عليه.

شهد بذلك كل منصف له فهم ثاقب بأسرار البلاغة وأساليب البيان. وإنه لتتربل رب العالمين (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ الشعراء ١٩٢-١٩٥.

٤- و أول ما نزل من القرآن الكريم بإطلاق- عند جمهور المحققين- أوائل سورة العلق إلى قوله جل شأنه: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

و ذلك لما رواه البخاري ومسلم (و اللفظ للبخاري) عن عائشة أم المؤمنين- رضى الله عنها- قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث- يتعبد- فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال:

ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت:

ما أنا بقارئ؛ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ؛ فقلت:

ما أنا بقارئ؛ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقرأ وَرَبُّكَ الْمَكْرُمُ

الحديث» ٢.

## (٢) [أول ما نزل من القرآن]

وقيل: إن أول ما نزل من القرآن أوائل سورة المدثر. و استدل أصحاب هذا القول بما رواه البخارى و مسلم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: سألت جابر ابن عبد الله: أى القرآن أنزل قبل؟ فقال:

يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ؛ فقلت: أو اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ و فى رواية نبئت أنه اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ فقال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «إنى جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى - زاد فى رواية: فنوديت فنظرت أمامى و خلفى، و عن يمينى و عن شمالى - ثم نظرت إلى السماء فإذا هو - يعنى جبريل - زاد فى رواية: جالس على الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٩٧

عرش بين السماء و الأرض - فأخذتنى رجفة فأتيت خديجة، فأمرتهم فدروني؛ فأنزل الله: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ المدثر: ١ - ٢.

لكن هذه الرواية ليست نصا فيما نحن بسبيله من إثبات أول ما نزل من القرآن إطلاقا، بل تحتل أن تكون حديثا عما نزل بعد فترة الوحي، و ذلك هو الظاهر من رواية أخرى رواها الشيخان أيضا عن أبى سلمة عن جابر أيضا: فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء؛ فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء و الأرض فجثت - أى ثقل جسمى عن القيام - حتى هويت إلى الأرض فجثت أهلى؛ فقلت: زملونى، فرملونى فأنزل الله تعالى: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَ رَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَ تِيَابِكَ فَطَهِّرْ (٤) وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ.

فظاهر هذه الرواية يدل على أن جابرا استند فى كلامه على أن أول ما نزل من القرآن هو المدثر - إلى ما سمعه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، و هو يحدث عن فترة الوحي، و كأنه لم يسمع بما حدث به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عن الوحي قبل فترته من نزول الملك على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فى حراء بصدر سورة اقرأ كما روت عائشة - رضى الله عنها - فاقترصر فى إخباره على ما سمع ظانا أنه ليس هناك غيره؛ اجتهادا منه، غير أنه أخطأ فى اجتهاده بشهادة الأدلة السابقة فى القول الأول، و معلوم أن النص يقدم على الاجتهاد، و أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال؛ فبطل إذا القول الثانى و ثبت الأول ٣.

أقول: لعل جابر بن عبد الله أراد أن أوائل المدثر نزل فى أول الرسالة، و آيات سورة العلق نزلت فى بدء النبوة، و بذلك يرتفع الإشكال بدليل قوله تعالى: قُمْ فَأَنْذِرْ.

أو أن آيات المدثر من أوائل ما نزل، لا أول ما نزل على الإطلاق. و الله أعلم.

و اختلف العلماء فى آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق اختلافا كثيرا، لعدم وجود أثر صحيح مسند إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يعتمد عليه فى تحقيق ذلك على وجه يقطع الخلاف و يزيل الالتباس، و قد انتهت أقوال العلماء فى هذا الأمر إلى عشرة أقوال أشهرها أربعة:

الأول: آخر ما نزل قوله - تعالى - فى سورة البقرة: وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ البقرة: الآية: ٢٨١. أخرجه النسائى من طريق عكرمة عن ابن عباس.

و كذلك أخرجه ابن أبى حاتم قال: آخر ما نزل من القرآن كله: وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ. و عاش النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بعد نزولها تسع ليال، ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٩٨

الثانى: أن آخر ما نزل هو قول الله - تعالى - فى سورة البقرة أيضا: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ البقرة آية: ٢٧٨. أخرجه البخارى عن ابن عباس، و البيهقى عن ابن عمر.

الثالث: أن آخر ما نزل آية الدين في سورة البقرة أيضا، و هي قوله سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ إِلَىٰ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ الْبَقْرَةُ الْآيَةُ: ٢٨٢.

و هي أطول آية في القرآن.

و أخرج ابن جريج عن سعيد بن المسيب: (أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين).

و أخرج أبو عبيد في «الفضائل» عن ابن شهاب قال: (آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا و آية الدين).

و يمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بما قاله السيوطي رضى الله عنه من أن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف؛ لأنها في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر، و ذلك صحيح.

قال الزرقاني في «مناهل العرفان» ٤ بعد أن سرد هذه الأقوال: (و لكن النفس تستريح إلى آخر هذه الثلاثة نزولا هو قول الله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ. و ذلك لأمرين: أحدهما: ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي و الدين، بسبب ما تحث عليه من الاستعداد ليوم المعاد، و ما تنوّه به من الرجوع إلى الله و استيفاء الجزاء العادل من غير غبن و لا- ظلم، و ذلك كله أنسب بالختم من آيات الأحكام المذكورة في سياقها.

ثانيهما: التنصيص في رواية ابن أبي حاتم السابقة على أن النبي صلى الله عليه و سلم عاش بعد نزولها تسع ليال فقط، و لم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله) أ ه.

الرابع: أن آخر ما نزل هو سورة إذا جاء نصر الله و الفتح رواه مسلم عن ابن عباس.

و لكنك تستطيع أن تحمل هذا الخبر على أن هذه السورة آخر ما نزل مشعرا بوفاء النبي صلى الله عليه و سلم.

و يؤيده ما روى من أنه صلى الله عليه و سلم قال حين نزلت: «نعت إلى نفسي».

و كذلك فهم بعض كبار الصحابة كما ورد أن عمر رضى الله عنه بكى حين سمعها و قال: «الكمال دليل الزوال».

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٥٩٩

و يحتمل أيضا أنها ما نزل من السور فقط، و يدل عليه رواية ابن عباس: «آخر سورة نزلت من القرآن جميعا: إذا جاء نصر الله و الفتح. و يظن بعض أهل العلم أن آخر آية نزلت هي قوله تعالى في سورة المائدة: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ. و الحق أنها ليست آخر ما نزل بإطلاق.

و البحث في أول ما نزل و آخر ما نزل من القرآن يعتمد على النقل و التوقيف، و لا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها، شأنه في ذلك شأن كثير من مباحث علوم القرآن، كعرفة المكي و المدني و أسباب النزول، و الناسخ و المنسوخ، و غير ذلك.

الخامس: و لهذا البحث فوائد منها:

(أ) تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات على موضوع واحد، و كان الحكم في إحدى هذه الآيات يغير الحكم في الأخرى.

(ب) معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، و مراقبة سيره التدريجي، و الوصول من وراء ذلك إلى حكمة الإسلام و سياسته في أخذه الناس

بالهواة و الرفق، و البعد بهم عن غوائل الطفرة و العنف؛ سواء في ذلك هدم ما مردوا عليه من باطل، و بناء ما لم يحيطوا بعلمه من حق.

(ج) إظهار مدى العناية التي أحيط بها القرآن الكريم حتى عرف فيه أول ما نزل و آخر ما نزل، كما عرف مكيه و مدنيه، و سفريه و حضريه إلى غير ذلك.

و لا ريب أن هذا مظهر من مظاهر الثقة به، و دليل على سلامته من التغيير و التبديل.

لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

(د) و يضاف إلى هذه الفوائد فائدة أخرى، و هي معرفة الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، عن طريق ربط أول ما نزل منه بآخره، فإن من ينظر في أول ما نزل من القرآن و آخر ما نزل يعرف الصلة الوثيقة بين آياته كلها في ألفاظها و معانيها و مراميها، و يتبين له بوضوح أن أول ما نزل مقدمة تقود الباحث إلى ما في هذا الكتاب العزيز من مقاصد و عبر و أحكام و حكم، و آخر ما نزل يوجز كل ما ورد فيه من تلك المقاصد و العبر، و الأحكام و الحكم فيلتقي الآخر بالأول في نسق واحد، و نسج فريد لا تناقض فيه و لا اختلاف، كما عرفنا ذلك عند معرفة أول ما نزل من الآيات و آخر ما نزل على الصحيح من أقوال المحققين.

السادس: و قد اهتم الكثير من علماء التفسير و علماء الفقه و الأصول بمعرفة جهات النزول و هي الأماكن التي نزل فيها على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مكة و المدينة و الجحفة و بيت المقدس و الطائف و الحديبية و تبوك و غيرها.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٠٠

و بذلوا جهدا مشكورا في هذا البحث معتمدين على الروايات الصحيحة التي نقلها التابعون عن ائمة الصحابة و علمائهم؛ ليستعينوا بمعرفتها على فهم الأحكام الشرعية التي تضمنتها الآيات، و ليعرفوا الناسخ منها و المنسوخ و غير ذلك مما ذكرنا في معرفة المكي و المدني.

و قد نقل السيوطي في «الاتقان» ٥ عن أبي القاسم النيسابوري في كتابه (التنبيه على فضل علوم القرآن) قوله: (من أشرف علوم القرآن علم نزوله، و جهاته، و ترتيب ما نزل بمكة و المدينة، و ما نزل بمكة و حكمه مدني، و ما نزل بالمدينة و حكمه مكي، و ما نزل بمكة في أهل المدينة و ما نزل بالمدينة في أهل مكة، و ما يشبه نزول المكي في المدني، و ما يشبه نزول المدني في المكي، و ما نزل بالجحفة، و ما نزل ببيت المقدس، و ما نزل بالطائف، و ما نزل بالحديبية، و ما نزل ليلا، و ما نزل نهارا، و ما نزل مشيعا، و ما نزل مفردا، و الآيات المدنيات في السور المكية، و الآيات المكيات في السور المدنية، و ما حمل من مكة إلى المدينة، و ما حمل من المدينة إلى مكة، و ما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، و ما أنزل مجملا، و ما نزل مفصلا، و ما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني و بعضهم مكي.

فهذه خمسة و عشرون وجها من لم يعرفها و يميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى). أه.

أقول: في هذا الكلام شيء من المبالغة؛ لأن معرفة هذه الوجوه كلها لا يترتب عليها فوائد ذات بال.

و معرفتها جميعا من فضول العلم لا من أصوله، و قوله: (من لم يعرفها و يميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى) حكم غير صحيح، فإن أراد بعضها، كمعرفة المكي و المدني فمسلّم.

و الصحابة - رضوان الله عليهم - لم يكونوا يعرفون هذه الوجوه جميعا، و مع ذلك كانوا يتكلمون في كتاب الله - تعالى - بما انتهى إليه علمهم عن الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، أو وصل إليه فهمهم للآيات إذا لم يكن فيها بيان عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بقول منه أو بفعل.

نقل الزركشي في «البرهان» ٦ عن القاضي أبي بكر في «الانتصار»: (أن هذا يرجع إلى حفظ الصحابة و تابعيهم .. غير أنه لم يكن من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في ذلك قول و لا ورد عنه أنه قال: اعلموا أن قدر ما نزل بمكة كذا، و بالمدينة كذا، و فضله كذا، و لو

كان ذلك منه لظهور وانتشر، وإنما لم يفعله لأنه لم يؤمر به و لم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٠١

و إن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ النسخ و المنسوخ، ليعرف الحكم الذي تضمنها؛ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول صلى الله عليه و سلم، وقوله هذا هو الأول المكي، و هذا هو الآخر المدني.

و كذلك الصحابة و التابعون من بعدهم لما لم يعتبروا أن من فرائض الدين تفصيل جميع المكي و المدني مما لا يسوغ الجهل به، لم تتوفر الدواعي على إخبارهم به و مواصلة ذكره على أسماعهم و أخذهم بمعرفته، و إذا كان كذلك ساغ أن يختلف في بعض القرآن هل هو مكي أو مدني، و أن يعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي و الاجتهاد، و حينئذ فلم يلزم النقل عنهم ذكر المكي و المدني، و لم يجب على من دخل في الإسلام بعد الهجرة أن يعرف كل آية أنزلت قبل إسلامه مكية أو مدنية.

فيجوز أن يقف في ذلك أو يغلب على ظنه أحد الأمرين، و إذا كان كذلك بطل ما توهموه من وجوب نقل هذا، أو شهرته في الناس، و لزوم العلم به لهم و وجوب ارتفاع الخلاف فيه). أ.هـ.

لهذا لا يجب أن نكلف أنفسنا عناء البحث عن كل هذه الوجوه التي ذكرها أبو القاسم النيسابوري، و لكننا نكتفي بما تتعلق به فائدة في معرفة حكم من أحكام الدين.

و أشهر ما يعنى به العلماء من هذه الوجوه معرفة المكي و المدني، و معرفة ما نزل قبل و ما نزل بعد، و معرفة أسباب النزول من أجل ترتيب الأحكام و معرفة النسخ و المنسوخ و غير ذلك مما يحتاج إليه علماء الفقه و الأصول في الجمع و الترجيح.

أ. د/ محمد بكر إسماعيل

الهوامش:

(١) راجع كتاب دراسات في علوم القرآن للدكتور/ محمد بكر إسماعيل ط دار المنار الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ص ٣١ و ما بعدها.

(٢) الحديث بطوله رقم ٣ باب «كيف كان بدء الوحي» ط السلفية.

(٣) انظر مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ج ١ ص ٨٧، ٨٨ ط عيسى البابي الحلبي و شركائه.

(٤) ج ١ ص ٩٠.

(٥) ج ١ ص ٣٦.

(٦) ج ١ ص ١٩١ الطبعة الثالثة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الفكر ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٠٢

## الوجوه و النظائر في القرآن

### (١) [الوجوه و النظائر في اللغة]

وجوه الكلام في اللغة: مقاصده و معانيه.

و نظائره: أمثاله و أشباهه في كل شيء.

و للباحثين في علوم القرآن تعريف جامع لكل منهما يتميز به عن الآخر، بسطه ابن الجوزي- في مقدمته كتابه: «نزهة الأعين النواظر في

علم الوجوه و النظائر» ١- فقال:

(اعلم أن معنى الوجوه و النظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، و حركة واحدة، و أريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، و تفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه. فالنظائر: اسم للألفاظ، و الوجوه: اسم للمعاني) أ.هـ.  
و هذا التعريف للوجوه و النظائر تعريف جامع لهما في سياق واحد مؤتلف في الألفاظ، مختلف في المعاني.

## (٢) [فائدة معرفة الوجوه و النظائر]

و معرفة الوجوه و النظائر في القرآن الكريم؛ وسيلة من أعظم الوسائل لفهم معانيه و فقه مقاصده و مراميه.  
فلا- ينبغي لمن يتصدى لعلم التفسير أن يهمل هذه الدراسة الميدانية التي تعاون في تأصيلها علماء اللغء، و علماء التأويل، و علماء الأصول و غيرهم ممن كرسوا جهودهم لخدمة كتاب الله- تعالى- و نصره دينه.  
فهو علم يكشف عن مراد الله- تعالى- من كلامه العزيز في مواضعه المختلفة بحسب ما يؤدي إليه سوابق الكلام و لواحقه؛ إذ كل لفظ في موضع قد يختلف عن مثله في موضع آخر أو في عدة مواضع، فلو حمل اللفظ على معنى واحد في كل المواضع لأدى ذلك إلى التعارض و التناقض و الجهل بما وراء المعاني من المقاصد.  
و لا- يكفي في نظري أن يكون المفسر بحرا زاخرا في اللغء العربية دون أن يكون علامة في الحديث و الفقه و الأصول و غيرها من العلوم التي يحتاج إليها أحيانا في التصحيح و الترجيح و التنقيح.  
و لا ريب أن من أجاد البحث في وجوه القرآن و نظائره، و تفقه فيه و كان سليم المعتقد قوى الحجء- استطاع بحول الله و قوته الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٠٣  
و توفيقه أن يدفع عن القرآن شبهات أوردها على ألفاظه أو على معانيه قوم خيم عليهم الجهل، و ضرب على آذانهم فلم يعقلوا منه شيئا يذكر لهم.  
و استطاع أيضا بقوة حجته أن يعمق الإيمان في قلوب زاغت عن الحق بسبب من الأسباب التي سنذكرها.  
و كلما ازداد المفسر لكتاب الله- تعالى- علما في الوجوه و النظائر- نبغ في تأصيل الأصول، و رد الفروع إليها، و محاكمة المخالفين فيها إلى الحق المجرد عن الهوى.  
(و لا- يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة، بأن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة؛ فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة، و لا يقتصر به على معنى واحد) ٢.

## (٣) [أسباب انتشار الألفاظ المشتركة في لغة العرب]

و من المعلوم لدينا أن الألفاظ المشتركة ذات المعاني المتعددة قد انتشرت في لغة العرب انتشارا واسعا لأسباب كثيرة، منها:  
(أ) اختلاف القبائل العربية في وضع الألفاظ لمعانيها؛ فقد تضع قبيلة اللفظ لمعنى، و أخرى تضعه لمعنى آخر، و ثالثه تضعه لمعنى ثالث؛ فيتعدد الوضع و ينقل إلينا اللفظ مستعملا في هذه المعاني دون أن ينص علماء اللغء على تعدد الوضع أو الواضع.  
(ب) قد يوضع اللفظ لمعنى، ثم يستعمل في غيره مجازا، ثم يشتهر استعمال المجازي، حتى ينسى أنه مجازي، فينقل إلينا على أنه موضوع للمعنيين: الحقيقي، و المجازي.  
(ج) أن يكون اللفظ موضوعا لمعنى مشترك بين المعنيين؛ فيصح إطلاق اللفظ على كليهما، ثم يغفل الناس عن هذا المعنى المشترك الذي دعا إلى صحة إطلاق اللفظ على كلا المعنيين؛ فيظنون أن اللفظ من قبيل المشترك اللفظي، كلفظ القرء؛ فإنه في اللغء يطلق على كل زمان اعتيد فيه أمر معين، فيقال للحمي: قرء، أي زمان دورى معتاد تكون فيه. و للمرأة قرء، أي وقت دورى تحيض فيه، و



وقت دورى آخر تطهر فيه.

و كالكناح، لفظ وضع لمعنى الضم، فصَحَّ إطلاقه على العقد ذاته؛ لأن فيه ضم اللفظين: الإيجاب و القبول، و صح إطلاقه على الوطء أيضا.

و لكن اشتهر إطلاقه على العقد؛ فظن البعض أنه حقيقة فيه مجاز في غيره، و ظن البعض الآخر أنه فى الوطء حقيقة و فى العقد مجاز. (د) أن يكون اللفظ موضوعا لمعنى فى اللغة، ثم يوضع فى الاصطلاح لمعنى آخر، كلفظ (الصلاة) وضع لغه للدعاء، ثم وضع فى اصطلاح الشرع للعبادة المعروفة ٣ أه.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٠٤

و قد نزل القرآن على أفصح هذه اللغات التى نطق بها العرب ليس فيه لفظ ينكرونه، و لا معنى لا يفقهونه. و لو كان فيه شىء من ذلك لتصيده سفهاؤهم و أذاعوا به.

#### (٤) طائفة من الألفاظ المشتركة

و إليك طائفة من الألفاظ المشتركة ذات المعانى المختلفة، نقلا عن أهم المراجع و أوثقها:

(أ) (أمة) تأتي فى القرآن على تسعة أوجه أشهرها خمسة:

١- (القوم)، كما فى قوله تعالى فى سورة النحل (٩٢): أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ.

٢- (الملة) كما فى قوله تعالى فى سورة البقرة (٢١٣): كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً.

٣- (المدة) كما فى قوله تعالى فى سورة هود (٨): وَ لَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابِ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ، و قوله فى سورة يوسف (٤٥): وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ.

٤- (الإمام) كما فى قوله تعالى فى سورة النحل (١٢٠): إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا.

٥- (الخلق من كل جنس) كما فى قوله تعالى فى سورة الأنعام (٣٨): وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَلُكُمْ. (ب) (الأهل) تأتي فى القرآن على ثمانية أوجه أشهرها سبعة:

١- (ساكنو القرى) كما فى قوله تعالى فى سورة الأعراف (٩٧): أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى.

٢- (قراء التوراة و الإنجيل) كما فى قوله تعالى فى سورة النساء (١٧١): يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ.

٣- (الأصحاب) كما فى قوله تعالى فى سورة النساء (٥٨): إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا.

٤- (الزوجة و الأولاد) كما فى قوله تعالى فى سورة القصص (٢٩): فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا.

٥- (القوم و العشيرة) كما فى قوله تعالى فى سورة النساء (٣٥): فَابْتَغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا.

٦- (المختار له) كما فى قوله تعالى فى سورة الفتح (٢٦): وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلِهَا.

٧- (المستحق) كما فى قوله تعالى فى سورة المدثر (٥٦): هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ.

(ج) (الأم) تأتي فى القرآن على خمسة أوجه:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٠٥

١- (الأصل) كما فى قوله تعالى فى سورة آل عمران (٧): هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ.

٢- (المرجع و المصير) كما فى قوله تعالى فى سورة القارعة (٩): فَأُمَّةٌ هَاوِيَةٌ.

٣- (الوالدة بعينها) كما فى قوله تعالى فى سورة طه (٤٠): فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ.

٤- (المرضة) كما في قوله تعالى في سورة النساء «٢٣»: وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ.

٥- (أمهات المؤمنين: أزواج النبي صلى الله عليه و سلم) كما في قوله تعالى في سورة الأحزاب (٤): وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ.

(د) (السييل) تأتي في القرآن على أحد عشر وجها:

١- (الطريق) و هو المعنى الحقيقي في اللغة، كما في قوله تعالى في سورة النساء (٩٨):

لَا يَسْتَبِيحُونَ حِيلَهُ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا.

وقوله جل شأنه في سورة القصص (٢٢):

عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ.

٢- (الطاعة) كما في قوله تعالى في سورة البقرة (١٩٥): وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

وقوله تعالى في سورة النساء (٧٦):

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

٣- (البلاغ) كما في قوله تعالى في سورة آل عمران (٩٧): وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

٤- (المخرج) كما في قوله تعالى في سورة النساء (١٥): أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا.

وقوله تعالى في سورة الإسراء (٤٨):

فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَبِيحُونَ سَبِيلًا

٥- (المسلك) كما في قوله تعالى في سورة النساء (٢٢): إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا.

وقوله تعالى في سورة الإسراء (٣٢):

وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا.

٦- (العلل) كما في قوله تعالى في سورة النساء (٣٤): فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا.

٧- (الدين) كما في قوله تعالى في سورة النحل (١٢٥): ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

٨- (الحجة) كما في قوله تعالى في سورة النساء (١٤١): وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٠٦

٩- (العدوان) كما في قوله تعالى في سورة الشورى (٤١، ٤٢): فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ

وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ.

١٠- (الإثم) كما في قوله تعالى في سورة آل عمران (٧٥): ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ.

وقوله تعالى في سورة التوبة (٩١): مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ.

١١- (الملء) كما في قوله تعالى في سورة يوسف (١٠٨): قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي.

(٥) و إن أردت المزيد في معرفة الوجوه و النظائر في القرآن فارجع إلى الكتب الآتية:

١- «الوجوه و النظائر لألفاظ كتاب الله العزيز» لأبي عبد الله الحسن بن محمد الدامغانى المتوفى سنة (٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م).

طبع ببيروت في دار العلم للملايين بتحقيق عبد العزيز سيد الأهل الطبعة الرابعة أبريل (١٩٨٣ م) تحت عنوان: «قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن الكريم».

في مجلد واحد. و طبع بتحقيق: محمد حسن أبو العزم الزفيتى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م. طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة

الأوقاف المصرية. في مجلدين. تتميز هذه الطبعة بالدقة في التحقيق و التعليق و غير ذلك من المميزات.



٢- «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر» لجمال الدين: أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧ هـ ١١١٤-١٢٠١ م) دراسة و تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضى. يقع فى مجلد واحد، طبعته دار الرسالة ببيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).

٣- «المفردات فى غريب القرآن» لأبى القاسم: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت (٥٠٢ هـ ١١٠٨ م). تحقيق: محمد سيد كيلانى ط مصطفى البابى الحلبي سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م. يقع فى مجلد واحد، و هو كتاب عظيم الشأن ينفع الطالب لمعاني لغة القرآن و وجوه كلماته، لا يستغنى عنه مفسر.

٤- «بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز»، تأليف مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروزآبادى (٧٢٩-٨١٧ هـ ١٣٢٩-١٤١٥ م) ط المجلس الأعلى للشئون

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٠٧

الإسلامية بجمهورية مصر العربية ط ١٣٨٣ هـ. يقع فى ست مجلدات كبار، حقق الأجزاء الأربعة الأول الأستاذ/ محمد على النجار. و حقق الجزئين الأخيرين الأستاذ/ عبد العليم الطحاوى. و هو كتاب عظيم الشأن مفيد فى بابه، لا يستغنى عنه باحث فى تفسير القرآن و علومه.

أ. د/ محمد بكر إسماعيل

الهوامش:

(١) ص ٨٣ ط مؤسسة الرسالة ببيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م الطبعة الأولى تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضى.

(٢) راجع الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى - ج ٢ ص ١٤٤ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - فقد نسب هذا القول لأبى الدرداء، و عزاه لابن سعد و غيره.

(٣) انظر الوجيز فى أصول الفقه للأستاذ الدكتور/ عبد الكريم زيدان ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٧ م ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٠٨

## مبهمات القرآن

### (١) [ما هو المبهم]

المبهم - كما فى «المعجم الوسيط»: هو ما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوسا، و على الفهم إن كان معقولا. و المبهم من الأشياء: الخالص الذى لا شىء فيه تميزه. و المبهم من الأجسام: المصمت، و من الكلام: الغامض لا يتحدد المقصود منه. و المبهم من الظروف: ما ليس له حدود تحصره، مثل: فوق، و تحت، و أمام، و خلف.

### (٢) [المبهم فى كتاب الله]

و المبهم فى كتاب الله - تعالى -: هو ما خفى اسمه أو رسمه أو وصفه أو زمانه أو مكانه و نحو ذلك مما خفيت آثاره، أو جهلت أحواله لسبب من الأسباب الجلية أو الخفية، سواء احتاج المكلفون إلى معرفته بالبحث عن الوسائل التى تزيل خفاءه، و تدفع إشكاله، أم لم يحتاجوا إلى ذلك.

فالمبهمات فى القرآن - على الجملة - نوعان:

١- نوع ضرب الله عن ذكره صفحا لعدم تعلق التكليف به؛ لخلوه من الفائدة، كمرقرة بقرة بنى إسرائيل التى أمروا بذبحها، فلا ينبغى

أن نسأل عن حجمها و لونها، و هل هي عاملة أم غير عاملة؛ فالبحث عن ذلك تكلف لا طائل تحته، بل هو تنطع يدل على فساد العقل و الطبع، و سوء الأدب مع الله- عز و جل- و مع كلامه المنزل.

و هذا ما فعله بنو إسرائيل مع نبيهم موسى- عليه السلام- فقد أمرهم الله على لسان نبيه أن يذبحوا بقرة- أى بقرة- ليضربوا بها القتل ليعلموا من قتله، و لو ذبحوا أى بقرة لتحقق المطلوب و لكنهم سألوه عن سنّها و لونها و عملها، فشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم؛ فكلفوا شراء بقرة بملء جلدّها ذهباً كما جاء فى الأثر، فذبحوها و ما كادوا يفعلون.

و سنطالع فى هذا الباب أمثلة كثيرة من الأشياء التى أبهمت فى هذا القرآن العظيم لعدم جدوى الإفصاح عنها.

٢- و نوع أبهمه الله لأسباب كثيرة إليك أهمها:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٠٩

(٣) (أ) أن يكون المبهم فى موضع استغنى بيانه فى موضع آخر، كما فى قوله تعالى:

مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ الفاتحة: ٤. فإنه مبهم على الجملة، بينه الله بشيء من التفصيل فى قوله- جل و علا- فى سورة الانفطار (١٧- ١٩):

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَ الأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩).

و قوله: صَرَاطِ الدِّينِ أُنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بينه الله بقوله فى سورة النساء: ٦٩: وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ.

(ب) أن يكون المبهم معينا باشتهاره عند المخاطبين بأى طريقة من طرق الاشتهار.

فقد أخفى اسم حواء فى القرآن لاشتهاره بين الناس قديما و حديثا، فوصفت بوصف يحدد صلتها بآدم- عليه السلام- و مصيرها معه فقال- جل و علا- فى سورة البقرة: ٣٥:

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ.

(ج) قد يبهم الاسم بقصد الستر عليه؛ ليكون أبلغ فى استعطافه و إظهار منة الله عليه، و هذا غالب ما جاء فى القرآن.

(د) و قد يكون إبهامه لهوانه على الله و على الناس.

(ه) و قد يكون إبهامه لأين أمثاله فى الناس كثير، فيكون إبهامه مجرد مثل يذكر فيكشف عن طبع أو وضع معين يعرف بالقرائن الظاهرة فيحاكيه الناس فيه إن كان محمودا، و يتقونه إن كان مذموما.

و قد ضرب الزركشى فى «البرهان» أمثلة كثيرة لهذا النوع؛ معتمدا فى ذلك على أسباب النزول.

كقوله تعالى: أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ البقرة (١٠٠) قيل: هو مالك بن الصيف.

يروى ابن هشام فى السيرة عن ابن إسحاق، و القرطبي فى تفسيره: أن مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق و ما عهد الله إليهم فيه قال: و الله ما عهد إلينا فى محمد عهد، و ما أخذ له علينا من ميثاق؛ فأنزل الله فيه:

أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا.

(و) أن يكون المبهم سهلا فى إدراكه لا يحتاج إلى إعمال فكر و إنعام نظر، فيكون ذكره- حينئذ- عبئا على الأسلوب من جهة و عدم ثقته فى مدارك العقول من جهة أخرى.

و القرآن من شأنه أن يخاطب العقول الواعية، و يدربها على التأمل و النظر و إدراك الحقائق بالقرائن المتاحة؛ كالنظر فى القرآن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦١٠

نفسه و فى السنة النبوية، و فى التاريخ القديم، و فى عادات الناس و أحوالهم. و غير ذلك مما يحمل المعانى على محمل يزيل خفاءها و يضعها فى مواضعها.

(ز) ولا يخفى أن وجود المبهم في القرآن الكريم يدرب الذهن على كشف خفائه وإزالته إشكاله، و معرفته أسرارته القريبة و البعيدة بقدر الطاقة البشرية.

(ح) و هناك سبب وجيه لا ينبغي أن يفوتنى ذكره و هو رعاية التناسب بين ما يذكر هنا و هناك.

و من أمثلة ذلك: ما جاء فى قصة شعيب - عليه السلام - فإنه حين أخبر عن مدين ذكر أن شعيباً أخوهم فقال: وَ إِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، و حين أخبر عن أصحاب الأيكة و هم أهل مدين لم يقل: أخاهم! و الحكمة فيه:

أنه لما عرّفهم بالنسب، و هو أخوهم فى ذلك النسب، ذكره، و لما عرّفهم بالأيكة التى أصابهم فيها العذاب لم يقل: أخاهم؛ حيث أخرجهم عنهم، ١

(٤) و قد تتبع الإمام السيوطى هذه المبهمات فى القرآن الكريم فصنّفها إلى مبهمات فى أفراد الإنسان و الملائكة و الجن و الأقوام و القبائل و الحيوان و الأمكنة و الأزمنة، و ما إلى ذلك.

و قد رتبته على ترتيب آى القرآن فى فصل سماه «ذكر آيات المبهمات» تحت النوع السبعون من كتاب «الإتقان».

و اعتمد فيه على النقل المجرد، و فيه من الأقوال ما صحّ سنده و ما لم يصح، و العهدة عليه فيما نقل، و سند ذكر هنا شيئاً من المبهمات فوق ما ذكرناه من قبل؛ تتمه للفائدة؛ اعتماداً على ما نقله المفسرون و المحدّثون و غيرهم ممن عنى بذكرها.

(٥) فى القرآن أفراد من الرجال ذكرهم الله بأوصافهم تعظيماً لشأنهم و تقديراً لجهودهم و أبهم أسماءهم؛ إمّا لشهرتهم عند نزول الآية؛ و إمّا لتدريب الذهن على معرفتهم عن طريق أوصافهم لمحاكاتهم فى تحصيل تلك الأوصاف إن استطاعوا أو الاقتداء بهم بقدر طاقتهم، و تعطير أفواههم بالثناء عليهم و الدعاء لهم:

(أ) من ذلك قوله تعالى: وَ لَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِيَعْفُوا وَ لِيُصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ النور: ٢٢.

قال ابن كثير فى تفسيره نقلاً عن البخارى و ابن جرير: هو الصديق أبو بكر

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦١١

- رضى الله عنه - حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثانة بنافعة أبداً بعد ما قال فى عائشة ما قال. أه.

فلما تليت عليه هذه الآية رجع فيما عزم عليه و كفر عن يمينه.

(ب) و فيه نزل قوله تعالى: إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا التوبة: ٤٠

(ج) و قوله جل شأنه: وَ الَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أَوْلِيكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ الزمر: ٣٣.

قال السيوطى فى «الإتقان»: و المراد به الصديق فى الكل - أى فى هذه الآيات الثلاثة، و هو مصيب فى الآيتين الأوليين، أما الثالثة فهو قول محتمل، و الأصح أن الذى جاء بالصدق - كما قال مجاهد و قتادة و الربيع بن أنس و ابن زيد - هو رسول الله صلى الله عليه و سلم. و قال السيدى: هو جبريل - عليه السلام - و الذى صدق به أولاً هو محمد صلى الله عليه و سلم، و أبو بكر و جميع المسلمين بدليل قوله فى ختام الآية:

أَوْلِيكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ. هذا ما ذكره أكثر المفسرين فى كتبهم.

(د) و ممن عظم الله شأنه بالوصف أيضاً صهيب بن سنان الرومى، ففیه نزل قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ البقرة: ٢٠٧.

و ذلك أنه لما أراد الهجرة منعه المشركون أن يهاجر بماله فتركه لهم ابتغاء مرضات الله، فلما وفد إلى المدينة تلقاه رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يقول: «ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى».

و هذه الآية تتناول بعمومها كل من كان قد اشترى دينه بدينه، و باع نفسه لله.

(ه) و في زيد بن حارثة نزل قوله - عز و جل: وَ إِذِ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ الْأَحْزَاب: ٣٧.

فقد أبهم اسمه في أول الآية؛ تعظيماً له؛ و تقديراً لشأنه؛ و تذكيراً له بالإنعام عليه، ثم صرح باسمه مبالغةً في تكريمه، و هو الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه صراحةً في القرآن الكريم.

و قد نزلت هذه الآية في قصة زواجه من زينب بنت جحش - رضي الله عنها -.

(و) و ممن عظم الله شأنه بالوصف و أبهم اسمه للأسباب التي ذكرناها، العبد الصالح الذي أشار إليه - رب العزة - في قصة موسى معه بقوله: فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا الْكَهْفَ ٦٥. و أَرَانَا الْحَقَّ - جل شأنه - من آياته التي أجزاها على يديه عجباً.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦١٢

قال جمهور المفسرين و المحلّثين: إنه الخضر يروون ذلك عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هذا لقبه الذي اشتهر به و اسمه بليا بن ملكان، قاله غير واحد من المفسرين.

و قد أبهم الله اسمه و لقبه لاشتهار قصته عند أهل الكتاب و غيرهم ممن قرأ كتبهم.

و وصفه يغنى عن اسمه و لقبه، فهو من الذين خصّهم الله بالكرامات، و وصفه بالعبودية الخالصة، و عمّه برحمته واسعة و علم لدني تلقاه منه - جل شأنه - ببصيرته.

(ز) و ممن أبهم الله اسمه و اكتفى بما ساقه في شأنه مع قومه حبيب النجار كما جاء في كتب التفسير.

و فيه نزل قوله تعالى: وَ جَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى إِلَى قَوْلِهِ - جل شأنه:

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ يس: ٢٠ - ٢٧.

و مثله مؤمن آل فرعون، فقد قص الله علينا من أمره في سورة غافر ما فيه عظة و عبرة لكل مؤمن يتصدى للدعوة، و ينصر الحق بما أوتى من علم و حكمه.

و قصته تبدأ من قوله تعالى: وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَ تَتَّبَعِيَ بِقَوْلِهِ - جل شأنه:

فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا غافر: ٢٨ - ٤٥.

و مع هذا لم يذكر اسمه، فالأسماء مجرد أعلام على أصحابها لا تدل على شيء وراء ذلك - في الغالب، و ذكر الاسم مع الأوصاف العظيمة لا يلتفت إليه العقلاء، و إن غاب عنهم لا يسألون عنه إلا أن المفسرين أولعوا بالبحث عنها من باب الترف العلمي، و هو أمر لا يحمد و لا يذم.

قال السيوطي في «الإتقان»: هو شمعان، و قيل شمعون، و قيل جبر، و قيل حبيب، و قيل:

حزقيل. و زعم أنه هو الذي جاء من أقصى المدينة يسعى.

و كثرة الأسماء التي ذكرها تدل على غموض اسمه على المؤرخين، و ما كان ضرهم لو تركوا ما لم يحيطوا بعلمه، و ما لا يترتب على ذكره فائدة؛ ترفعا عن التهافت و الاشتغال بما لا يضيف إلى المعاني القرآنية شيئاً ذا بال.

فما ذا يفيد ذكر اسم هذا الرجل مع هذه الأوصاف التي أثنى الله عليه بها، و هذا الجهد الذي بذله في دعوة آل فرعون إلى اتباع موسى - عليه السلام.

(٦) و ممن عظم الله شأنهن من النساء:

(أ) حواء، فقد أبهم الله اسمها لاشتهارها في الخليقة - كما أشرنا من قبل عند ذكر أسباب الإبهام، و اكتفى - جل شأنه - بوصفها في سياق الحديث عن آدم - عليه السلام.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦١٣

قال تعالى: وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ الْبَقْرَةَ: ٣٥ وقال جل شأنه يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ الْأَعْرَافَ: ١٩. و قال- عز شأنه: فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوْجُكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى طه: ١١٧.

(ب) بلقيس، أبهم الله اسمها لعدم جدواه في تعظيم شأنها بالأوصاف التي ذكرها.

فقد قال- رب العزة- في شأنها ما قال في سورة النمل من قوله: فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَقِينِ إِلَى قَوْلِهِ: قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢٢-٤٤

(ج) وقد ذكر الله مريم باسمها في سورة التحريم: ١٢ فقال: وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَزَجَّهَا فَفَخَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَصَيَّدَقْتِ بِكَلِمَاتٍ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ

بينما ذكرها في سورة الأنبياء بالوصف فقال- جل شأنه: وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَزَجَّهَا فَفَخَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ آية: ٩١ حملا على ما جاء في سورة التحريم، ولاشتهارها بما وصفت به من كونها هي و ابنها آية للعالمين.

و نص على اسمها في سورة التحريم و اسم أبيها لأنها سيقت مساق العظة و العبرة لأمهات المؤمنين، فقد ذكر الله من أوصافها ما يحملهن على التحلى بها، و هن كذلك إلا أن الله جعلها لهن مثلا للمرأة التي فاقت كثيرا من الرجال في الطاعة و الانقياد، و لم تكن زوجا لأحد، فكيف بهن و هن أزواج خير خلق الله، و خاتم رسله.

(د) وقد أبهم الله ذكر اسم أم موسى و اكتفى بالحديث عنها و عن وليدها لعدم الحاجة إلى معرفة اسمها.

قال تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَمَا إِذَا حَضَتْ عَلَيْهِ فَمَأْتِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ القصص: ٧

و قال- جل شأنه: وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ القصص: ١٠.

قال السيوطي في «الإتقان»: اسمها يحاند بنت يصهر بن لاوي، و قيل: ياء و خاء، و قيل: أباذخت ٢.

و قيل: اسمها لوخا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب، و قيل: يوكابد، و هو الاسم المشهور في كتب التاريخ و السير.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦١٤

(ه) و أبهم أيضا أخت موسى في قوله سبحانه: وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ القصص: ١١

و اسمها- كما قال السيوطي في «الإتقان»:

مريم و قيل: كلثوم.

و الأصح: أن اسمها مريم لقول الله- تعالى- حكاية عن مريم ابنت عمران، إذ عيبرها قومها بقولهم كما حكى الله عنهم: يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأً سَوْءٍ وَ مَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا مَرِيَمَ: ٢٨ يعنون أنها أخته في الفضل و الصلاح تعريضا بها، و أخته أيضا من حيث إن له أختا بهذا الاسم، و قيل: إنها كانت من نسله، و الله أعلم.

و قد أبهم الله اسمها كما أبهم اسم أمها اكتفاء بنسبتها إلى أخيها موسى- عليه السلام- و اكتفاء بذكر ما قامت به من عمل جليل تذكر به في القرآن على مر الزمان.

و قد وصفها الله بالحكمة و بعد النظر، و حسن الحيلة في جلب أخيها من قصر فرعون إلى بيتها ليعيش في سرور و حور بعيدا عن الطاغية، و نكايه فيه.

(و) و أبهم الحق- جل شأنه- اسم امرأة فرعون و اكتفى بذكر دعائها تعظيما لشأنها معه؛ فهذا الدعاء يدل دلالة قاطعة على أنها أخلصت له دينها و اختارت جواره، و استغاثت به من شر كل كفار أثيم، و ظالم لنفسه و للمؤمنين.

قال جل شأنه: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ التحريم: ١١.

واسمها آسية بنت مزاحم كما جاء في كتب التفسير.

وعدم ذكر اسمها في القرآن لا- يضيرها، ولا- يضير من جهله، فالوصف أقوى بكثير من ذكر الاسم في كثير من المواطن، كما هو معروف عند أهل اللغة بوجه عام، وعند المتخصصين في دراسة لغة القرآن بوجه خاص.

ونسبها إلى فرعون للدلالة على أنها آثرت ربها الذي خلقها على هذا الفرعون الذي أهدق عليها من نعم الدنيا ما لم تجده امرأة سواها؛ لتكون عبرة لغيرها وقدوة لأمثالها.

(ز) و ممن أبهم الله ذكرهن تعظيما لهن و سترتا عليهن، التي جادلت رسول الله صلى الله عليه و سلم في زوجها، و رفعت شكواها إلى الله- عز و جل- و هي خولة بنت ثعلبة.

قال الله عز و جل: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ المجادلة: ١  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦١٥

فقد أنصفها ربها، و عذر زوجها، و أنزل أحكاما تتعلق بالظهار حلا للإشكال الذي وقع فيه زوجها، و لكل من يظاهر امرأته مع تحريم الظهار و التغليظ في وصفه، فكان هذا التشريع من بر كاتها.

و قد أبهم ذكر زوجها سترتا عليه، و هو أوس ابن الصامت.

(ح) و ممن أبهم الله اسمها زينب بنت جحش، سترتا عليها و في الستر تعظيم لشأنها.

قال- جل شأنه: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْنٌ مِنْهَا وَ طَرَأَ زَوْجَانِهَا الْأَحْزَاب: ٣٧

و صرح باسم زوجها تعظيما له، و مبالغه في التنصيص على حرمة التبنى و إباحة زوج المتبني بعد أن كانت محرمة في الجاهلية و في صدر الإسلام.

(ط) و قد أبهم الله اسم التي أسر إليها النبي حديثا فنبت به، و لم يذكر اسم التي تلقت هذا السر منها؛ و ذلك سترتا عليهما و حفظا لمكانتهما من رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال- عز شأنه: وَ إِذْ أَسْرَى النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ التحريم: ٣، ٤.

و لا يخفى ما في هذا الإبهام من أدب التعبير؛ فإن ذكر المرأة هنا باسمها لا يتعلق به فائدة، فضلا عن كونه إفشاء لسر يحرس العاقل الراشد على طيه، و نحن نعلم من أحوال بعض العرب ستر أسماء النساء بالألقاب و الكنايات؛ تنزيها لهن و سموا بمكانتهن، و في نثرهم و شعرهم من ذلك الكثير.

ثم إنه كيف يليق أن يصرح- سبحانه- باسم المرأة هنا، و هو يلومها على التصريح بالحديث الذي أمرها الرسول صلى الله عليه و سلم بكتمانه- أليس في التصريح باسمها إفشاء للسري؟

و قد درج القرآن الكريم في الحديث عن النساء على طي أسمائهن و التعبير عنهن بالوصف غالبا. ٣

(٧) و ممن عظم الله شأنهما من الرجال:

(أ) رجالان أنعم الله عليهما بالإيمان و حسن التوكل ذكرهما- جل شأنه- مبهمين

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦١٦

في قوله تعالى قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ المائدة: ٢٣.



قال ابن كثير في «تفسيره» ٤: هما يوشع ابن نون، و كالب بن يوفنا، قاله ابن عباس و مجاهد و عكرمة و عطية و السدي و الربيع بن أنس، و غير واحد من السلف و الخلف.

(ب) و من الذين عظم الله أحدهما و حقر شأن الآخر ما جاء في قوله تعالى: وَ أَتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ المائدة: ٢٧. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٦١٦ (٢) المبهم في كتاب الله ..... ص: ٦٠٨

ل كثير من المفسرين: هما قابيل و هابيل، و المعظم منهما هابيل فهو التقى الذي تقبل الله قربانه.

(ج) و في قوله تعالى: وَ أَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ فِي سُوْرَةِ الْكَهْفِ (٣٢)، يقول السيوطي في «الإتقان»- و العهدة عليه- هما تملیخا- و هو الخیر، و فطروس.

(د) و في قوله تعالى: وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ (٨٢) من سورة الكهف، يقول السيوطي هما أصرم و صريم

(ه) و في قوله- جل شأنه- في سورة يس: إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ يس: ١٤.

يقول السيوطي: هما شمعون و يوحنا، و الثالث بولس، و قيل: هم صادق و صدوق و شلوم ٥.

(٨) و ممن عظم الله شأنهما من النساء:

(أ) ما جاء في قوله تعالى من سورة القصص (٢٣): وَ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجِدَّ عَلَيْهِ أُمَّهُ مِنَ النَّاسِ يسْتَقُونَ وَ وَجِدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ

يقول السيوطي: هما هماليتا و صفوريا و هي التي نكحها موسى.

(٩) و ممن أبهم الله أسماءهم من الجموع تعظيما لشأنهم:

(أ) الأسباط، و قد ورد ذكرهم في خمسة مواضع من القرآن، و هم أولاد يعقوب الاثنا عشر: يوسف، و روبيل، و شمعون، و لاوى، و دان، و يهوذا، و نفتالي، و جاد، و أشير، و يشجر و ربالون، و بنيامين.

هذا ما قاله السيوطي في «الإتقان» و هو غير مسلم، فهؤلاء أولاد يعقوب مباشرة، و الأسباط أحفادهم.

قال ابن كثير في «تفسيره»: قال أبو العالیه و الربيع و قتادة: الأسباط بنو يعقوب

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦١٧

اثنا عشر رجلا، ولد كل رجل منهم أمه من الناس فسموا الأسباط، و قال الخليل بن أحمد و غيره: الأسباط في بني إسرائيل، كالقبائل في بني إسماعيل ٦.

(ب) النقباء الاثنا عشر، عظم الله شأنهم و أبهم أسماءهم في قوله- جل شأنه- من سورة المائدة: ١٢ وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ.

(ج) أبناء إبراهيم- عليه السلام- المذكورون في قوله تعالى: وَ وَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ البقرة: ١٣٢.

قال السيوطي: هم إسماعيل، و إسحاق و مدین، و زمران، و سرح، و نفس، و نفسان، و أميم، و كيسان، و سورح، و لوطان، و نافش.

(د) أصحاب الكهف، أبهم الله أسماءهم و عظم شأنهم، و جعل قصتهم عبرة لمن اعتبر.

قال السيوطي: هم تملیخا، و تكسلمينا، و مرطوش، و براشق، و أيونس، و أريسطانس، و تسلططيوس.

(ه) أولو العزم من الرسل، في قوله جل و علا: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ الْأَحْقَاف: ٣٥.

قال السيوطي: أصح الأقوال أنهم نوح و إبراهيم، و موسى، و عيسى، و محمد صلى الله عليه و سلم.

و قد نص الله عليهم في آيتين، فقال- عز و جل- في الأحزاب: ٧: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى

وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا

و قال تعالى فى سورة الشورى: ١٣:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَ الَّذِى أُوحِيَنا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّينا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ

و قيل: المراد جميع الرسل، و هو الراجح عندى، و على ذلك تكون (من) فى قوله: «من الرسل» لبيان الجنس، و الله أعلم.

(و) أهل البيت، عظم الله شأنهم و أبهم أسماءهم إما للعلم بهم، أو لأن كلمة أهل فى اللغة تعنى عندهم طائفة مخصوصة من ذوى

القربى، لا يدخل فيهم من ليس منهم، و القرآن نزل بلغتهم، فأبهم أفراد الأهل اعتمادا على أفهامهم.

قال- جل شأنه- فى سورة الأحزاب ٣٣:

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

قال السيوطى: ٧ هم: على، و فاطمة، و الحسن، و الحسين، و هو أصح الأقوال.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦١٨

و منهم من أدخل نساء النبى فى أهله مراعىا فى ذلك أسباب النزول.

فقد قال الله- عز و جل- فى حق نساءه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ يعنى بوجه عام، بل منهم

من خص الآية بنساء النبى لأنها نزلت فيهن.

قال ابن كثير: ٨ فإن كان المراد أنهم كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، و إن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهن ففى هذا نظر.

(١٠) و ممن حقر الله شأنهم من الرجال:

(أ) من قال الله فيه: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ البقرة: ٢٠٤

قال السيوطى فى «الإتقان»: هو الأخنس ابن شريق، و هو قول السدى، و قيل: هو عام فى المنافقين، قال ابن كثير: و هو الصحيح.

أقول: ربما كان الأخنس هذا أعذبهم لسانا فى الباطل، و أشدهم نفاقا فخص بالذكر من دونهم فى كتب التفسير و السير.

(ب) من ورد ذكره مبهما فى قوله تعالى:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ البقرة: ٢٥٨.

قال أكثر المفسرين: هو نمرود بن كنعان، و كان ملك بابل كما يذكر ابن كثير فى تفسيره.

(ج) و من قال الله فيه: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنذِرْ لِي وَ لَا تَفْتِنِّي التوبة: ٤٩.

قال السيوطى: هو الجد بن قيس.

و بذلك قال كثير من المفسرين نقلا عن ابن إسحاق و غيره.

و الآية تشمل بعمومها كل من كان على شاكلته.

(د) و من جاء فى قوله تعالى: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ التوبة: ٥٨.

قال السيوطى: هو ذو الخويصرة، و اسمه حرقوص- كما قال ابن كثير- لما اعترض على النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ- حين قسم غنائم

حين فقال له: اعدل فإنك لم تعدل.

(ه) و من جاء فى قوله تعالى: وَ مِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ التوبة: ٧٥.

قيل: هو ثعلبة بن حاطب الأنصارى، و قصته مشهورة عند المفسرين و المحدثين.

(و) و منهم أبو عامر الراهب الخزرى الذى تنصر فى الجاهلية، و قرأ علم أهل الكتاب، و بارز النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و المسلمين

بالعداوة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦١٩



وخرج فارًا إلى كفار قريش يمالئهم على حرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو المشار إليه في قوله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِ التَّوْبَةِ: ١٠٧. والذين بنوا مسجد الضرار اثنا عشر رجلا ذكر ابن كثير أسماءهم و أنسابهم عند تفسير هذه الآية.

(ز) من أشير إليه في قوله تعالى:

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا مريم: ٧٧

نزل في العاص بن وائل كما قال أكثر المفسرين نقلا عن المحدثين.

(١١) و ممن أبهم الله أسماءهن تحقيرا لشأنهن:

(أ) امرأة أبي لهب: أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان.

(ب) امرأة نوح و امرأة لوط.

ضربهما الله مثلا للذين كفروا في سورة التحريم، و قد ذكر السيوطي أن اسم الأولى والعنه، و اسم الثانية والهه، و قيل: واعله.

(١٢) و من المجموع التي أبهم الله أسماءهم احتقارا لشأنهم.

(أ) ما جاء في قوله تعالى: فَفَاتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ التوبة: ١٢ و هم كثير، ذكر السيوطي منهم: أبا سفيان، و أبا جهل، و

أمية بن خلف، و سهيل بن عمرو، و عتبة ابن ربيعة.

قال ابن كثير في «تفسيره»: و الصحيح أن الآية عامة و إن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي لهم و لغيرهم.

(ب) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الحجر: ٩٥

قال سعيد بن جبير - كما ذكر السيوطي:

هم خمسة: الوليد بن المغيرة، و العاص بن وائل، و أبو زمعة، و الحارث بن قيس، و الأسود ابن عبد يغوث.

(ج) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَهَ وَ يُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ النساء: ٤٤.

قال السيوطي - نقلا عن عكرمة: نزلت في: رفاعه بن زيد بن التابوت، و كردم بن زين، و أسامة بن حبيب، و رافع بن أبي رافع، و

بحرى بن عمرو، و حبي بن أخطب.

و الأفضل بقاء العموم على عمومته ليدخل فيهم من هو على شاكلتهم، لكن المفسرين أولعوا بذكر أشهر الأفراد من الذين نزلت فيهم

الآية، فيقصرونها عليهم، و أحيانا يبقونها على عمومها، و يذكرون من العموم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٢٠

ما وسعهم أن يذكروه نقلا عن المحدثين و أصحاب السير.

(١٣) و مما أبهم الله ذكره من الأماكن:

(أ) ما جاء في قوله تعالى: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا البقرة: ٢٥٩.

قال ابن كثير في «تفسيره»: هي بيت المقدس. أه.

أما الذي مر عليها فقد اختلفوا فيه، و أشهر الأقوال أنه العزيز.

(ب) و هي بيت المقدس أيضا في قوله تعالى: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا البقرة: ٥٨.

(ج) وَ سَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ الْأَعْرَافِ: ١٦٣.

هي أيلة على شاطئ بحر القلزم كما نقل ابن كثير عند تفسيرها.

(د) وَ سَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا يوسف: ٨٢.

قال القرطبي عند تفسيرها: (يريدون بالقرية مصر، و قيل: قرية من قراها نزلوا بها، و امتاروا منها) - أي أخذوا الميرة و هي الطعام. و قيل

المعنى: «و اسأل القرية» و إن كانت جمادا؛ فأنت نبي الله و هو ينطق الجماد لك، و على هذا فلا حاجة إلى إضمار». أه.

(ه) وَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً النحل: ١١٢.

قال ابن كثير في «تفسيره»: (هذا مثل أريد به أهل مكة؛ فإنها كانت آمنة مستقرة ..

فكفرت بأنعم الله .. و أعظمها بعثه محمد صلى الله عليه و سلم إليهم .. فاستعصوا عليه و أبوا إلا خلافه فدعا عليهم .. فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم). أه.

و بهذا قال كثير من المفسرين. و القرية نكرة، و النكرة تعم، فالأولى في نظري أن تظل على عمومها مثلا لكل قرية كفرت بأنعم الله.

(و) وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ يس: ١٣.

قال أكثر المفسرين: هي «أنطاكية».

(ز) حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اشْتَغَمَ أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا الكهف: ٧٧.

قيل: «هي أبله، و قيل أنطاكية، و قيل غير ذلك. و الأصح أنها أنطاكية- كما ذكر كثير من المفسرين.

و قد سماها الله مدينة في سورتي: يس و الكهف، لذكر الرجلين الصالحين فيهما.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٢١

فالأول: هو حبيب النجار، الذي قال الله فيه وَ جَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ.

و الثانى: هو أبو الغلامين اليتيمين؛ فقد وصفه الله بالصلاح فقال: وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا.

فالقرية تطلق أحيانا على المدينة، و المدينة تطلق أحيانا على القرية بهذا الاعتبار، و هو أسلوب قرآنى تميز به القرآن عن كلام الناس.

(ح) وَ قَالُوا لَوْ لَا نُنزِّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ الزخرف: ٣١.

هما مكة و الطائف كما قال أكثر المفسرين، و يعنون بالرجلين: الوليد بن المغيرة من مكة، و عروة بن مسعود من الطائف.

أو هما عتبة بن ربيعة من مكة، و عمير بن عمرو بن مسعود من الطائف، أو غيرهم ممن يعظمونهم فى أنفسهم.

(ط) وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى النجم: ٥٣.

يعنى: مدائن قوم لوط، و هى التى أشار الله إليها بقوله فى سورة الحاقة وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْحَاطِئَةِ آية: ٩.

قال قتادة: (إنما سميت قري قوم لوط «مؤتفكات» لأنها ائتفكت بهم، أى انقلبت).

و ذكر الطبرى عن محمد بن كعب القرظى قال: (خمس قريات صعبة، و صعرة، و عمرة، و دوما، و سدوم، و هى القرية العظمى). ٩.

(ك) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ النمل: ١٨.

زعم بعض القصاصين أن هذا الوادى بأرض الشام، بل زعموا أن اسم النملة حرس، و وصفوها بأوصاف خيالية، و ما كان أغناهم عن ذلك لو نزهوا كتاب الله عن ذكر ما طواه الله عنا.

قال ابن كثير فى «تفسيره» عند هذه الآية:

و من قال من المفسرين إن هذا الوادى كان بأرض الشام أو بغيره، و إن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها.

(ل) وَ لَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَ لَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي

الأعراف: ١٤٣.

وَ إِذِ تَنْقَضُ الْجَبَلُ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ الأعراف: ١٧١.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٢٢

الجبل في الموضعين هو الطور، يدل على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة ٦٣: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.

(١٤) و مما أبهمه الله في كتابه من الأزمنة:

(أ) (الحين) في قوله تعالى في سورة إبراهيم: ٢٥ تُوْتِي أ كُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا.

و في قوله- جل شأنه- في سورة الروم:

١٧. فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ.

و قوله في سورة ص ٣: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّيْلَ نَوْمًا وَحِينَ تَنْصَلُونَ.

و قوله في سورة الإنسان: ١ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا.

قال الراغب في «مفرداته» ١٠: (الحين):

وقت بلوغ الشيء و حصوله، و هو مبهم المعنى، و يتخصّص بالمضاف إليه، نحو قوله تعالى:

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّيْلَ نَوْمًا وَحِينَ تَنْصَلُونَ (يعنى بغير إضافة)؛ فيأتى على أوجه:

للأجل، نحو: وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ، و للسنة نحو قوله تعالى: تُوْتِي أ كُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، و للساعة نحو: حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ

تُصْبِحُونَ و للزمان المطلق، نحو: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ- وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ.

و إنما فسر ذلك بحسب ما وجد ....

و يقال: عاملته محابته حينا و حيناً، و أحينت بالمكان أقيمت به حيناً، و حان حين كذا أى قرب أوانه، و حينت الشيء جعلت له حيناً، و

الحين عبر به عن حين الموت). أ هـ.

(ب) أخبر الله- عز و جل- في آيات كثيرة أنه خلق السماوات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام، و لا ندرى هل هذه الأيام الستة

كأيامنا هذه أم هي أيام أطول من ذلك بكثير، فهذا الإبهام يفسره- جل و علا- بقوله:

وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ الْحَج: ٤٧.

و هذا التشبيه في الآية- أيضا- فيه إبهام لأنه أمر تقديري تقريبي يرضى فضولنا إلى حد ما.

و هذا الإبهام يدعوننا إلى التفويض في مثل هذه الأمور؛ لأنها لا تخضع لعقولنا، و لكنها مع ذلك تفتح لنا أبوابا واسعة للتأمل و النظر

في هذا الكون الفسيح؛ لنعرف الأطوار التي مر بها، و الأحوال التي لا يسته مند بدأ.

و الله- عز و جل- يقول: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

العنكبوت: ٢٠

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٢٣

(ج) و قد أبهم الله الليلة التي أنزل فيها القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة.

فقال- جل و علا- في سورة الدخان ٣:

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ

ثم زادها إيضاحا فقال: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

ثم أخبرنا أنها في شهر رمضان بقوله في سورة البقرة ١٨٥: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ.

و مع ذلك ظلت الليلة مبهمه، هل هي في أوائل شهر رمضان أم في وسطه، أم في أواخره، و أى ليلة هي على وجه التحديد. و قد

وردت أحاديث تفيد أنها في الوتر من العشر الأواخر من رمضان.

و هذا الإبهام يحملنا على تحريها في العشر الأواخر كلها، بل يحملنا على الاجتهاد في العبادة من أول الشهر إلى آخره، فكان هذا

الإبهام خيرا لنا في دنيانا و آخرتنا.

(١٥) و قد أبهم الله ما ورد في كتابه من الدواب لأنه لا يتعلق بوصفها فائدة.

و البحث عن أوصافها و أنواعها، و غير ذلك مما يتعلق بها لا طائل تحته، و ذلك مثل ناقة صالح و هدهد سليمان، و النملة التي قالت: يا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ و حمار عزيز أو غيره، و كلب أصحاب الكهف، و غير ذلك.

و القرآن الكريم كتاب هداية و منهج حياة، و ليس فيه من وراء ذلك مطلب؛ لهذا أبهم ما لا يتعلق بإظهاره فائدة، و لم يكلفنا الله بالبحث عنه لما في ذلك من شغل القلب بما لا ينبغي أن يشغل به، و مضيعه الوقت فيما لا طائل تحته.

أ. د/ محمد بكر إسماعيل

الهوامش:

(١) انظر البرهان في علوم القرآن. للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الفكر ج ١ ص ١٥٦ و ما بعدها.

(٢) الإتيان في علوم القرآن. للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ٤ ص ١٠٤.

(٣) انظر مقاصد التشريع الحكيم في سورتي الطلاق و التحريم للدكتور/ محمد بكر إسماعيل.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين، أبي الفداء إسماعيل بن كثير، مطبعة الاستقامة ج ٢ ص ٣٨.

(٥) انظر الإتيان للسيوطي ج ٤ ص ١٠٦.

(٦) راجع ابن كثير ج ١ ص ١٨٧.

(٧) الإتيان للسيوطي ج ٤ ص ١٠٥.

(٨) انظر ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٣.

(٩) انظر الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي ط دار الكاتب العربي سنة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م. ج ١٨ ص ٢٦٢. و راجع تاريخ الطبري ص ٣٤٣ من القسم الأول ط أوروبا.

(١٠) انظر ص ١٣٨ ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٢٤

## مؤهم الاختلاف و التناقض

### إشارة

(١) هذا باب عقده علماء التفسير؛ ليدفعوا عن القرآن شيئا ترد على أذهان بعض من لا خبرة لهم بأساليبه و مقاصده و أصول تفسيره. و هذه الشبهة التي عملوا جاهدين على تفنيدها و دحضها- بالحجة القاطعة و البرهان الساطع- هي مجرد خواطر ترد على الأذهان ثم لا تجد لها في القرآن مكانا تستقر فيه؛ فتزول من تلقاء نفسها، أو بعد شيء من التدبير، أو بسؤال أهل العلم؛ فلا يبق لها أثر، لأنها من قبيل الوهم.

و الوهم- كما تقول كتب اللغة: ما يقع في الذهن من الخاطر؛ يقال: وهم فلان: ذهب وهمه إلى الشيء و هو يريد سواه.

و القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته إحكاما لا يقبل التناقض بحال، و لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه.

والتناقض في القول: هو الاختلاف و التعارض

و النقيضان في الكلام: (ما لا يصح أحدهما مع الآخر، نحو: هو كذا و ليس بكذا في شيء واحد و حال واحدة) ١. قال أبو بكر الصيرفي في شرح «رسالة الشافعي»: (جماع الاختلاف و التناقض: أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض.

و إنما التناقض في اللفظ: ما ضاده من كل جهة على حسب ما تقتضيه الأسماء، و لن يوجد في الكتاب و لا في السنة شيء من ذلك أبداً؛ و إنما يوجد فيه النسخ في وقتين، بأن يوجب حكماً ثم يحلّه، و هذا لا تناقض فيه.

و تناقض الكلام لا- يكون إلا- في إثبات ما نفى، أو نفى ما أثبت، بحيث يشترك المثبت و المنفى في الاسم و الحدث و الزمان و الأفعال و الحقيقة؛ فلو كان الاسم حقيقة في أحدهما و في الآخر مستعاراً، و نفى أحدهما و أثبت الآخر- لم يعد تناقضاً.

هذا كله في الأسماء، و أما المعاني- و هو باب القياس، فكل من أوجد علّة و حررها

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٢٥

و أوجب بها حكماً من الأحكام، ثم ادعى تلك العلّة بعينها فيما ياباه الحكم، فقد تناقض) ٢.

(٢)

### [أسباب توهم التعارض]

#### إشارة

و قد ذكر العلماء لتوهم التعارض أسباباً ترجع في جملتها إلى ما يأتي:

#### الأول: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة و تطویرات شتى:

(أ) فقد أخبر الله- عز و جل- أنه خلق آدم من تراب. فقال إِنْ مَثَلَّ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابِ الْآيَةِ: ٥٩ من آل عمران.

و أخبر أنه خلقه من طين، فقال: وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينِ الْآيَةِ: ٧ من سورة السجدة.

و أخبر أنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون، فقال: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ الْحَجَرِ: ٢٦.

و أخبر أنه من صلصال كالفضار، كما جاء في سورة الرحمن.

فهذه أطوار خلقه بداية من التراب إلى الصلصال الذي يشبه الفخار، ذكر كل طور في الموضع الذي يناسبه في السياق و المضمون و النظم و غير ذلك من المناحي البلاغية.

فالجعم بين ما ورد في هذه الآيات و ما يماثلها ممكن و بالتالي لا يكون بينها تعارض.

(ب) و أخبر- جل شأنه- عن عصا موسى حين ألقاها بخبرين يتوهم متوهم أنهما متعارضان، و ذلك في قوله تعالى: فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ الشعراء ٣٢.

و قوله جل شأنه: فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ الْآيَةِ: ٣١ من سورة القصص.

(و الجان: الصغير من الحيات، و الثعبان:

الكبير منها؛ و ذلك لأن خلقها كخلق الثعبان العظيم، و اهتزازها و حركاتها و خفتها كاهتزاز الجان و خفته) ٣. قاله الزركشي في «البرهان»، و نقله عنه السيوطي في «الإتقان».

يضاف إلى هذين الخبرين خبر آخر جاء في سورة طه: (٢٠). قال- جل شأنه:

فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى.

فهذه الأخبار الثلاثة تدل على أطوار العصا في تقلبها؛ فهي في أول أمرها بدت للناظرين حية صغيرة دقيقة، ثم تورمت و تضاعف جرمها حتى صارت ثعبانا، فلا تعارض إذن في هذه الأخبار.

### الثاني من الأسباب: اختلاف الموضوع أو الموضوع:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٢٦

(أ) كقوله تعالى: فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ أَعْرَافًا: ٦، وقوله جل شأنه: وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ الصافات ٢٤. مع قوله جل و علاء: فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ الْمُؤْمِنُونَ: ١٠١، وقوله سبحانه: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ الرَّحْمَن: ٣٩.

فباعتبار الموضوع يكون المعنى في الآية الأولى: فلنساءلهم عن التوحيد و تصديق الرسل، و لنسأل المرسلين عن أحوال أممهم معهم في شأن ما جاءوا به من ربهم.

و يكون المعنى في الآية الثانية: إنهم مسئولون عما كانوا يعبدون، و هذا المعنى قريب من الأول؛ لأنه يستلزم سؤالهم عن أحوالهم مع المرسلين الذين دعواهم إلى التوحيد الخالص فأعرضوا و كذبوا.

و أما الثالثة فمعناها: لا يتساءلون بالأرحام كما كانوا يفعلون في الدنيا.

و أما الرابعة فمعناها: أنهم لا يسألون عن ذنوبهم؛ لأن الله حفظها عليهم، و كتبتها عليهم الملائكة؛ فهي كقوله تعالى: وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (الآية: ٧٨ سورة القصص) هذا باعتبار الموضوع.

أما باعتبار الموضوع، فهم في موضع يسألون و في موضع لا يسألون؛ فيوم القيامة طويل - كان مقداره في علم الله خمسين ألف سنة؛ فإنهم حين يعرضون يسألون و يحاسبون، فإذا انتهى الحساب ذهب فريق إلى الجنة و ذهب فريق إلى السعير.

وقيل: (إن السؤال المثبت سؤال تبيخ و توبيخ، و المنفى سؤال المعذرة و بيان الحجّة) قاله السيوطي في «الإتقان»، و هو يرجع إلى اختلاف الموضوع و الموضوع معا.

فإنه - عز و جل - لا يسألهم سؤال إخبار؛ فهو أعلم بهم من أنفسهم؛ فتعين أن يكون السؤال نوعا من التعذيب.

و هذا السؤال له موضع أو مواضع يكون فيها مثبتا و مواضع أخرى يكون منفيًا:

(ب) مثل قوله تعالى في سورة البقرة آية ١٧٤: وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مع قوله - سبحانه - في سورة الحجر: ٩٢-٩٣:

فَوَرَبُّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فالمنفى كلام التلطف و الإكرام، و المثبت سؤال التوبيخ و الإهانة.

### الثالث من الأسباب: اختلاف جهتي الفعل:

(أ) كقوله تعالى: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى الآية ٧ من سورة الأنفال.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٢٧

فإنه يبدو لغير المتأمل أن في هذا اجتماع الضدين، و الجمع بين الضدين محال.

و الجواب: أن الجمع بين الضدين باعتبارين مختلفين جائز.

فقد أضاف الله تعالى القتل إليهم و الرمي إليه صلى الله عليه و سلم على جهة الكسب و المباشرة، و نفاه عنهم و عنه باعتبار التأثير.

(أى: فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم و قدرتكم، و لكن الله قتلهم بنصركم و تسلطكم عليهم و إلقاء الرعب فى قلوبهم. و ما رميت تلك الرمية التى نتج عنها هذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة). أفاده أبو السعود فى تفسيره ٤.

(ب) و مثله قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ البقرة: ٢٩، و قوله سبحانه: قُلْ أَ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَّ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا النَّازِعَات: ٢٧-٣٠.

فهذه الآيات تبدو لمن لا علم له بأساليب البيان فى القرآن أنها متعارضة، مع أن الجمع بينها ممكن فنقول: إن الله- عز و جل- بين لنا فى آية البقرة أنه خلق الأرض و ما فيها إجمالاً، ثم خلق سبع سماوات لم يبين لنا كيف بناها و كيف أغطش ليلها و أخرج ضحاها؛ بناء على ما تقدم نزوله فى سورتي فصلت و النازعات.

و بين لنا فى سورة فصلت أنه خلق الأرض فى يومين و جعل لها رواسى من فوقها و بارك فيها و قدر فيها أقواتها فى يومين آخرين بالإضافة إلى اليومين الأولين فيصير مجموع الأيام أربعة، ثم بين أنه استوى إلى السماء و هى دخان فقضاهن سبع سماوات فى يومين. و بذلك يزول بعض الإشكالات، و يبقى بعضه، و هو ما يتعلق بالجمع بين هذه الآيات و آيات النازعات.

و الجواب أن يقال: إن الله- تعالى- خلق الأرض أولاً قبل السماء غير مدحوة، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبعا فى يومين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٢٨

ثم دحا الأرض بعد ذلك و جعل فيها الرواسى و الأنهار و غير ذلك، فأصل خلق الأرض قبل خلق السماء، و دحوها بجبالها و أشجارها و نحو ذلك بعد خلق السماء، يدل لهذا أنه قال: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا وَ لَمْ يَقُلْ خَلَقَهَا، ثم فسر دحوه إياها بقوله: أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا (٣١) وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا.

و قد نسب هذا القول لابن عباس رضى الله عنهما و غيره، و بهذا يزول ما تبقى من الإشكالات، و الحمد لله.

الرابع من الأسباب: الاختلاف فى الحقيقة و المجاز:

(أ) كما فى قوله تعالى: فَالْيَوْمَ نُنَسِّأُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا الْآيَةَ ٥١ الْأَعْرَافِ، و قوله سبحانه: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمُ الْآيَةَ ٦٧ من سورة التوبة، و قوله- جل شأنه- وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى الْآيَةَ ١٢٦ من سورة طه، و قوله تبارك اسمه: وَ قِيلَ الْيَوْمَ نُنَسِّأُكُمْ الْآيَةَ ٣٤ من سورة الجاثية. فإنه لا يتعارض مع قوله عز جابه: لَا يَضِلُّ رَبِّي وَ لَا يَنْسى الْآيَةَ ٥٢ من سورة طه، و قوله تعالى: وَ مَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا الْآيَةَ ٦٤ من سورة مريم. لأن معنى: «فاليوم ننسأهم» و نحوه: نتركهم فى العذاب محرومين من كل خير.

(ب) و مثله قوله تعالى: وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَ لَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ الْآيَةَ: ٢ من سورة الحج.

أى: سكارى من الأحوال مجازاً لا من الشراب حقيقة.

الخامس من الأسباب: أن يأتى الكلام محتملاً لوجهين فيحمل كل وجه على اعتبار يناسبه و لا يتناقض مع غيره:

(أ) كقوله تعالى: فَبَصُرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ الْآيَةَ ٢٢ من سورة ق، مع قوله تعالى:

خَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ يُنظَرُونَ مِنْ طَرَفِ حَفِيِّ الْآيَةَ ٤٥ من سورة الشورى.

فيحمل البصر فى الآية على العلم لا على النظر بالعين، و يدل على ذلك قوله فى الآية:

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَدَّلَكَ الْأَوَّلَ الْآيَةَ ١٠٠ من سورة الشورى.



(ب) و مثله قوله تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ الرعد: ٢٨، مع قوله - عز و جل: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الأنفال: ٢. فقد يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة، و جوابه أن الطمأنينة إنما تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد، و الوجل يكون عند الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٢٩

خوف الزيف و الذهاب عن الهدى فتوجل القلوب لذلك.

و قد جمع بينهما في قوله: تَقَشَّعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ الْآيَةُ ٢٣ من سورة الزمر، فإن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدتهم و وثقوا به، فانتفى عنهم الشك ٥. أه.

هذه هي أهم الأسباب التي تؤدي إلى توهم التعارض بين بعض النصوص القرآنية.

و قد عرفنا طريقة الجمع بين ما يبدو لغير المتأمل أنه متعارض، و ذكرنا قول الصيرفي في هذا.

و نضيف إليه ما قاله أبو إسحاق الإسفراييني في تعذر الجمع؛ تتمه للفائدة.

قال- رحمه الله: (إذا تعارضت الآي، و تعذر فيها الترتيب و الجمع؛ طلب التاريخ و ترك المتقدم منها بالتأخر، و يكون ذلك نسخا له، و إن لم يوجد التاريخ و كان الإجماع على استعمال إحدى الآيتين علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل به. و لا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تعريان عن هذين الوصفين). ٦ أه.

(٣) و خلاصة هذا البحث: أن من تدبر في كتاب الله- تعالى- و كان مزودا بالعلم و نور البصيرة- لن يجد فيه تناقضا و لا اختلافا أبدا.

يقول الله- عز و جل:- أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.

و في دعوة القرآن إلى تدبره تكريم للإنسان و تنبيه له إلى الوظيفة التي خلق من أجلها، و شهادة له من الله- تبارك و تعالى- على قدرته في استقبال ما يراه و ما يسمعه بفكر لو استعمله بحق لعرف قدر نفسه، و أدرك الحكمة من خلقه، و استوعب الدرس من كتاب ربه، و علم علم اليقين أن هذا القرآن كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه.

و قد نزل على الرسول صلى الله عليه و سلم بحضرة رجال كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا أو مطعنا، و هم أصحاب ملكات قوية في الفصاحة و البيان، و قد تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا كل العجز؛ فدل ذلك على أن غيرهم أعجز، فلا يدعى مدع أن في هذا القرآن شيئا ما من التناقض. فمن فعل فقد سفه نفسه و فقد حسه و تولى كبره.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٣٠

و من الإنصاف للحق أن الإنسان إذا سؤلت له نفسه أن شيئا في القرآن يثير تساؤلا، أن يعمل عقله مستعينا بعقل غيره إن لم يسعفه عقله، ثم يعيد النظر مرة بعد مرة متجردا من المذهبية و التقليد و الهوى؛ فإنه سيؤمن إيمانا لا يخالجه شك بهذه الحقيقة التي استقرت في قلب كل منصف و إن لم يكن مسلما؛ فالحق واحد لا يتعدد و لا يتناقض و لا يختلف عليه اثنان على مر الزمان.

و قد صنّف في هذا الباب رجال نبغوا في العلوم الشرعية و اللغوية، و نالت مصنفاتهم شهرة و قبولا عند أهل العلم قديما و حديثا، و أرى من الخير أن أذكر هنا ما تيسر لي الاطلاع عليه منها:

(أ) «الرد على الملحدين في تشابه القرآن» تأليف الإمام محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي الشهرير بقطرب المتوفى سنة (٢٠٦ هـ ٨٢١ م) ذكره الزركشي في «البرهان».

(ب) «تأويل مشكل القرآن» تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣- ٢٧٦ هـ ٨٢٨- ٨٨٩ م) شرحه و نشره السيد أحمد صقرط الثانية (١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م) بدار التراث بالقاهرة.

و قد جمع ابن مطرف الكناني بين كتابيه:

مشكل القرآن و غريبه في كتاب واحد من جزئين أسماه: «القرطين». طبعته مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة:



١٣٥٥ هـ، وهو أيسر للباحث المبتدئ في تناول ما يريده؛ لأن ابن مطرف رتب على السور بخلاف ترتيب المؤلف.

وقد خطأه في ذلك السيد أحمد صقر و عاب عليه سوء صنيعه في مقدمة تحقيقه لكتاب التأويل.

(ج) «تنزيه القرآن عن المطاعن» لقاضى القضاة: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني ت (٤١٥ هـ ١٠٢٥ م). طبعته دار النهضة الحديثة - بيروت - لبنان.

(د) «الأنموذج الجليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل» للإمام زين الدين: محمد ابن أبى بكر بن عبد القادر بن عبد المحسن الرازى الحنفى - ت (٦٦٤ هـ - ١٢٦٨ م).

طبعته شركة مصطفى البابى الحلبي بتحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض، تحت عنوان: «مسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آي التنزيل». و صدرت طبعته الأولى سنة:

(١٣٨١ هـ ١٩٦١ م). وقد نشره الأزهر تباعا في أجزاء صغيرة هدية على مجلته الغراء بعنوانه الذى اختاره له المؤلف، بداية من شهر المحرم (١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م) إلى رجب من العام نفسه، توفر على مراجعته لجنة من محررى المجلة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٣١

(هـ) «دفع إيهاض الاضطراب عن آيات الكتاب» تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكنى الشنقيطى (١٣٢٥-١٣٩٣ هـ ١٩٠٧-١٩٧٣ م) الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.

(و) «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن» تأليف قاضى القضاة شيخ الإسلام أبى يحيى: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصارى (٨٢٣-٩٢٦ هـ ١٤٢٠-١٥٢٠ م). حققه و قدم له و علق عليه، و تقدم به إلى كلية أصول الدين بالقاهرة لنيل درجة التخصص (الماجستير) فى التفسير و علوم القرآن- عبد السميع محمد أحمد حسنين، ثم طبع فى مكتبة الرياض الحديثة بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

و من المفيد فى هذا الموضوع الرجوع إلى كتب التفسير بالمعقول و المنقول، و من أهمها:

- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، لابن جرير الطبرى.

- «مفاتيح الغيب» لفخر الدين الرازى.

- «أنوار التنزيل و أسرار التأويل»، لعبد الله ابن عمر البيضاوى.

- «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبى.

- «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير.

أ. د/ محمد بكر إسماعيل

الهوامش:

(١) انظر المفردات للراغب مادة (نقض).

(٢) راجع البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ٥٣-٥٤.

(٣) البرهان ج ٢ ص ٥٥، و الإتيان ج ٣ ص ٩٤.

(٤) المجلد الثانى ص ٤٧٧.

(٥) البرهان ج ٢ ص ٦٢.

(٦) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٣٢

## النسخ في القرآن

## (١) [معاني النسخ في اللغة]

معاني النسخ في اللغة تدور حول: الرفع والإزالة، والنقل والتبديل والتحويل ١. يقال: نسخت الشمس الظل أي: أزالته ورفعته؛ فإن الظل لا يبقى في ذلك المكان بعد وجود الشمس فيه. ويقال: نسخت الكتاب، أي نقلت مثل ذلك المكتوب إلى محل آخر. وقد استعمل القرآن الكريم مادة النسخ في هذه المعاني وما يماثلها. أما الرفع والإزالة فقد جاء في قوله تعالى: ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير البقرة: ١٠٦. وقوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أميته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم الحج: ٥٢. وأما النقل فقد جاء في قوله تعالى: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الجاثية: ٢٩. أي: ننقله بعناية ودقة، ونثبته في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وأما التبديل والتحويل فقد جاء في قوله تعالى: وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون النحل: ١٠١.

## (٢) [اختلاف العلماء في تعريف النسخ]

وقد اختلف علماء الفقه والأصول في تعريف النسخ اختلافا كثيرا، نختار أهمها وأولاها بالقبول:

(أ) عرفه السمرقندي في كتابه «ميزان الأصول» ٢ بقوله: (هو بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق - الذي في تقدير أو هامنا استمراره لولاه - بطريق التراخي) أ.هـ.

(ب) و عرفه الآمدي في كتابه: «الإحكام في أصول الأحكام» ٣ فقال: (هو عبارة عن خطاب الشارع المانع من استمرار ما ثبت من حكم خطاب شرعي سابق). أ.هـ.

(ج) و التعريف الأشهر والأيسر أن يقال فيه: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٣٣

فهذا التعريف قد أخرج تخصيص العام، و تقييد المطلق بالاستثناء أو بالصفة أو بالحال أو بالزمان أو بالمكان، و غير ذلك من أنواع التخصيص و التقييد.

و معنى رفع الحكم الشرعي: قطع تعلقه بأفعال المكلفين لا رفعه هو؛ فإنه أمر واقع، و الواقع لا يرتفع.

و الحكم الشرعي: هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين إما على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير. و إما على سبيل كون الشيء سببا أو شرطا أو مانعا، أو صحيحا أو فاسدا.

و الدليل الشرعي: هو وحى الله مطلقا متلوا أو غير متلوا، فيشمل الكتاب و السنة.

و هذا التعريف أراه جامعا لأركانه و شروطه، مانعا من دخول الغير فيهما.

و بسط ذلك في الكتب المطولة.

## (٣) [استدلال جمهور العلماء على جواز النسخ]

و استدل جمهور العلماء على جواز النسخ بالعقل و النقل و التاريخ.

أما العقل فلا يمنع جوازه؛ لأنه لا يترتب على وقوعه محال.

و الواقع التاريخي - أيضا - يؤكد وقوع النسخ بنوعيه: نسخ الشرائع السابقة بالإسلام، و نسخ الحكم في شريعة الإسلام بحكم آخر

متأخر عنه، و الوقوع خير شاهد على الجواز. و قد اعتمد المجوزون له على ثلاث آيات من القرآن الكريم:

الأولى: قوله تعالى: ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير البقرة: ١٠٦.

الثانية: قوله تعالى: يمحو الله ما يشاء و يُثبت و عنده أم الكتاب الرعد: ٣٩.

الثالث: و إذا بدلنا آية مكان آية و الله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر النحل: ١٠١.

فإذا قرأت أكثر كتب المفسرين، و جدتهم يحملون النسخ في آيتي البقرة و النحل على نسخ الحكم، و وجدت بعضهم يحمله على نسخ الحكم و التلاوة.

أما آية الرعد، فقد حملها أكثرهم على نسخ الشرائع، فكل شريعة تنسخ الأخرى، و شريعتنا ناسخة لجميعها، بمعنى، أنها نسخت كثيرا من الأحكام الجزئية التي لا تتفق مع مصالحنا الدنيوية و الأخروية.

فالشريعة السماوية لا تنسخ الأصول العامة و لا القواعد الكلية؛ لأنها متفقة عليها، لا تختلف فيها شريعة عن أخرى.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٣٤

على أن المحو و الإثبات في الآية يتناول كل ما من شأنه أن يمحي، و كل ما من شأنه أن يثبت؛ فيدخل فيها نسخ الأحكام الجزئية في شريعتنا بمقتضى هذا العموم.

لهذا جعلها كثير من العلماء من أدلة الجواز.

#### (٤) [أمور لا بد منه في تحقيق النسخ]

(و لعلك تدرك مما سبق أنه لا بد في تحقيق النسخ من أمور أربعة:

أولها: أن يكون المنسوخ حكما شرعيا.

ثانيها: أن يكون دليل رفع الحكم دليلا شرعيا.

ثالثها: أن يكون هذا الدليل الراجع متراخيا عن دليل الحكم الأول غير متصل به، كاتصال القيد بالمقيد و التأقيت بالمؤقت.

رابعها: أن يكون بين ذينك الدليلين تعارض حقيقي.

تلك أربعة لا بد منها لتحقيق النسخ باتفاق جمهرة الباحثين، و ثمة شروط اختلفوا في شرطيتها: منها أن يكون ناسخ القرآن قرآنا و

ناسخ السنة سنة، و منها كون النسخ مشتملا على بدل للحكم المنسوخ، و منها كون الناسخ مقابلا للمنسوخ مقابلة الأمر للنهي و

المضيق للموسع، و منها كون الناسخ و المنسوخ نصين قاطعين، إلى غير ذلك مما يطول شرحه) ٤ أ هـ.

#### (٥) [موقع النسخ]

و لا يقع النسخ إلا في الأحكام الشرعية العملية الثابتة بالنص غير المؤقتة بوقت؛ لأنها تنتهي بوقتها المحدد لها، و لا في الأحكام

المنصوص على تأبيدها؛ لأن النسخ فيها يتناقض مع التأبيد بشرط أن يكون التأبيد منصوبا عليه.

و لا يلحق القواعد الكلية التي تندرج تحتها الفروع الجزئية؛ لأن هذه القواعد مقاييس تبنى عليها الأحكام.

و لا نسخ في الأمور الاعتقادية المتعلقة بذات الله - تعالى - و صفاته و كتبه و رسله و اليوم الآخر.

و لا نسخ في الأصول الأخلاقية؛ لأنها من الأمور المتفق عليها في الشرائع السماوية.

ولا نسخ في أصول العبادات و المعاملات؛ لأن الشرائع كلها لا تخلو منها و هي متفقه فيها.  
و لا يدخل النسخ الخبر الصريح الذي ليس بمعنى الطلب، كالقصاص و الوعد و الوعيد.

### (٦) [طرق معرفة النسخ و المنسوخ]

و الطرق التي يعرف بها النسخ و المنسوخ كثيرة، ينبغي أن نعلم قبل أن نذكرها إجمالاً أن النسخ يتضمن رفع حكم تقرر من جهة الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٣٥  
الشارع و إثبات حكم، و مثل هذا لا يحل لمسلم أن يقول فيه إلا بيقين.  
فمن قال في شيء: إنه منسوخ؛ فقد أوجب ألا يطاع هذا الأمر الصادر عن الله أو عن رسوله صلى الله عليه و سلم، و لا يجوز أن نسقط طاعة أمرنا بها الله - تعالى - و رسوله إلا ببرهان.  
و في هذا يقول ابن الحصار: (إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، أو عن صحابي يقول: آية كذا نسخت كذا.

و قال: و لا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين، بل و لا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح.  
ثم قال: و الناس في هذا بين طرفي نقيض؛ فمن قائل: لا يقبل في النسخ أخبار الآحاد العدول، و من متساهل يكتفي فيه بقول مفسر أو مجتهد، و الصواب: خلاف قولهما) ٥.

و توضيح ذلك: أنه لا سبيل إلى معرفة نسخ آية أو حديث بغير أحد وجوه ثلاثة:  
الوجه الأول: النص الصريح الصحيح بأن هذا الأمر ناسخ لكذا، أو أمر صريح بترك الأمر الأول.  
مثاله: قوله تعالى: وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ الْبَقْرَةَ: ١٤٣.  
ثم قوله: فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا.

فهذا دليل واضح على أن القبلة التي كانت قبل هذه منسوخة.  
و مثل قوله تعالى: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَسْبَغَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْمَأْيُضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ الْبَقْرَةَ:  
١٨٧.

فهذا النص صريح في نسخ النهي عن الوطء في ليل رمضان على رأى من قال بالنسخ.

الوجه الثاني: إجماع الأمة بلا خلاف يعتد به على أن أمر كذا منسوخ.

و من المعلوم أن الإجماع يستند دائماً إلى دليل.

الوجه الثالث: تعارض الأدلة المتساوية تعارضاً تاماً مع معرفة الأمر المتقدم زمناً من المتأخر، و تفصيل المسألة: أن النصين إما أن يتعارضوا من جميع الوجوه، أو من وجه دون وجه، فإن تعارضوا من وجه دون وجه جمع بينهما. و إن تعارضوا من جميع الوجوه فإن كان أحدهما قطعياً و الآخر ظنياً، أو كان أحدهما

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٣٦

أقوى من الآخر في الثبوت عمل بالأقوى، و أهمل الآخر.

و إن تعارضوا من جميع الوجوه، و تكافؤاً في الثبوت و علم المتقدم منهما و المتأخر صرنا إلى النسخ.

أما إن تعارضوا من جميع الوجوه، و تكافؤاً في الثبوت، و لم يعلم المتقدم و المتأخر فلا يصار إلى النسخ بالاجتهاد؛ بل يجب التوقف

عنهما أو التخير بينهما.

و على هذا فلا- يعتمد على: (الاجتهاد من غير دليل، و لا على أقوال المفسرين من غير سند، و لا على مجرد التعارض الظاهري بين النصوص، و لا على ثبوت أحد النصين في المصحف بعد الآخر؛ لأنه ليس على ترتيب النزول) ٦.

(هذا كله إذا لم يمكن الجمع بين النصين بوجه من وجوه التخصيص و التأويل، و إلا- وجب الجمع؛ لأن أعمال الدليلين أولى من أعمال دليل و إهدار آخر، و لأن الأصل في الأحكام بقاؤها و عدم نسخها فلا ينبغي أن يترك استصحاب هذا الأصل إلا بدليل بين) ٧.

## (٧) [اقسام النسخ]

### إشارة

و قسم بعض العلماء النسخ أقساما متعددة باعتبارات مختلفة، نذكر بعضها بإيجاز فنقول كما قالوا:

(أ) ينقسم النسخ باعتبار التلاوة و الحكم إلى ثلاثة أقسام:

### الأول: ما نسخت تلاوته و بقي حكمه:

فقد روى أنه كان في سورة النور آية ثم نسخت تلاوتها و بقي حكمها و هي: «الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله». و روى أن عمر قال: «لو لا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي».

و قد أنكر كثير من العلماء هذا الضرب لعدم فهمهم الحكمة منه؛ و لضعف دليله لأنه من قبيل أحاديث الآحاد التي يتطرق إليها الاحتمال فيسقط به الاستدلال.

و قد بالغ الدكتور مصطفى زيد في إنكار هذا الضرب بالطعن في صحة النصوص الواردة في ذلك فقال فيما قال: (أما الآثار التي يحتجون له بها .. و هي تنحصر في آيتي رجم الشيخ و الشيخة إذا زنيا، و تحريم الرضعات الخمس - فمعظمها مروى عن عمر و عائشة رضى الله عنهما، و نحن نستبعد صدور مثل هذه الآثار عنهما، بالرغم من ورودها في الكتب الصحاح؛ فإن صحة السند لا تعنى في كل الأحوال سلامة المتن.

على أنه قد ورد في الرواية عن عمر قوله بشأن حد الرجم فيما زعموا: «و لو لا أن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٣٧

يقال: زاد عمر في المصحف لكتبتها» و هو كلام يوهم أنه لم ينسخ لفظا أيضا مع أنهم يقولون: إنها منسوخة اللفظ باقية الحكم.

كذلك ورد نص الآية في الروايات التي أوردته بعبارات مختلفة، فواحدة منها تذكر قيد الزنا بعد ذكر الشيخ و الشيخة، و واحدة لا تذكره، و ثالثة تذكر عبارة «نكالا من الله» و رابعة لا تذكرها.

و ما هكذا تكون نصوص الآيات القرآنية و لو نسخ لفظها.

و في بعض هذه الروايات جاءت بعض العبارات التي لا تتفق و مكانة عمر و لا عائشة مما يجعلنا نظمن إلى اختلاقها و دسها على المسلمين ٨.

### الثاني من الأقسام: ما نسخ حكمه و بقيت تلاوته:

و هو كثير فى الكتاب و السنه، و من أجله صنف الكتب، و لا سيما إذا أخذنا فى اعتبارنا مفهومه الواسع المنسوب إلى الصحابه و كثير من التابعين؛ إذ أدخلوا فيه تخصيص العام و تقييد المطلق كما سيأتى بيانه فيما بعد.

(و قد أنكروا قوم هذا الضرب بدعوى أن التلاوة و الحكم متلازمان، فلا يصح رفع أحدهما مع بقاء الآخر، و رفع الحكم يجعل التلاوة خاليه من الفائدة فلا يجوز.

ثم إن نسخ الحكم مع بقاء التلاوة .. يوهم بقاء الحكم؛ فيعرض المكلف للجهل و الخلط فى الشريعه و الأحكام. و رد على هذه الشبهه برد دعوى التلازم، فالأيه بعد نسخ حكمها لا تكون خاليه من الفائدة، بل معناها قائم عطل العمل به دليل آخر؛ و فى ثبوتها تذكير بنعمه الله - تعالى - إذا كان الحكم المنسوخ أشد، و اختبار بالانصياع و التسليم إذا كان الحكم المنسوخ أخف، ثم فى تلاوتها تعبد و أجر.

أما شبهه إيهام بقاء الحكم، و تعريض المكلف للجهل و الخلط فهى مردوده بأن النسخ لا يصار إليه إلا بدليل معلوم للمكلف، و إذا علم الدليل الناسخ زال الجهل و بعد احتمال الخلط فى الأحكام) ٩.

### و الثالث من الأقسام: نسخ الحكم و التلاوة معا:

قال الزركشى فى «البرهان» ١٠: (فلا تجوز قراءته و لا العمل به، كآيه التحريم بعشر رضعات فنسخن بخمس؛ قالت عائشه - رضى الله عنها: «كان مما أنزل عشر رضعات معلومات، فنسخن بخمس معلومات، فتوفى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هى مما يقرأ من القرآن» ١١.

و قد تكلموا فى قولها: «و هى مما يقرأ» فإن ظاهره بقاء التلاوة؛ و ليس كذلك، فمنهم

الموسوعه القرآنيه المتخصصه، النص، ص: ٦٣٨

من أجاب بأن المراد قارب الوفاة، و الأظهر أن التلاوة نسخت أيضا و لم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فتوفى و بعض الناس يقرأها.

و قال أبو موسى الأشعري: «نزلت ثم رفعت».

و جعل الواحدى من هذا ما روى عن أبى بكر رضى الله عنه قال: «كنا نقرأ: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر». و فيه نظر.

و حكى القاضى أبو بكر فى «الانتصار» عن قوم إنكار هذا القسم؛ لأن الأخبار فيه أخبار آحاد، و لا يجوز القطع على إنزال قرآن و نسخه بأخبار آحاد لا حجه فيها.

و قال أبو بكر الرازى: نسخ الرسم و التلاوة إنما يكون بأن ينسيهم الله إياه و يرفعه من أوهامهم، و يأمرهم بالإعراض عن تلاوته و كتبه فى المصحف، فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمه التى ذكرها فى قوله:

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى الْأَعْلَى: ١٨ - ١٩.

و لا يعرف اليوم منها شىء، ثم لا يخلو ذلك من أن يكون فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم حتى إذا توفى لا يكون متلوا فى القرآن؛ أو يموت و هو متلو موجود فى الرسم، ثم ينسيه الله و يرفعه من أذهانهم، و غير جائز نسخ شىء من القرآن بعد وفاة النبى صلى الله عليه و سلم).

و قال السمرقندى فى «ميزان الأصول» ١٢:

(أما الجواز فإن نسخ التلاوة - هو صرف القلوب عن حفظ القرآن الدال على كلام الله تعالى - فجائز أن ينتهى الحكم لانتهاه المصلحه و تنسى التلاوة.

أما عين كلام الله تعالى: فلا يتصور عليه النسخ؛ فإنه قديم. قال تعالى: سَقَّرْنَاكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ الْأَعْلَى: ٦.

و لكن هذا في حال جواز النسخ، و هو حال حياة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ. فأما بعد وفاته - فلا؛ لأن الله - تعالى - أخبر أنه هو الحافظ لهذا القرآن بقوله: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** أى نحفظه منزلاً لا يلحقه تغيير و لا تبديل؛ صيانته للدين الحق إلى آخر الدهر.

### (٨) و ينقسم النسخ. أيضاً. إلى قسمين: نسخ ببدل، و نسخ بغير بدل.

أما القسم الأول: فلا خلاف فيه بين العلماء، و أمثله كثيرة سيأتيك كثير منها إلى جانب ما قد مضى ذكره. و معناه: أن الشارع الحكيم إذا نسخ حكماً أبداً بحكم أخف منه أو أثقل منه، أو مساو له؛ لحكمته نعلمها أو لا نعلمها. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٣٩

أما النسخ إلى غير بدل فقد وقع فيه الخلاف بين الأصوليين، فمنهم من منعه، و منهم من أجازته. و من المانعين له الشافعي رضي الله عنه، و هو أول من وضع علم الأصول على الراجح من أقوال المؤرخين. فقد قال في «الرسالة» ١٣: (و ليس ينسخ فرض أبداً إلا أثبت مكانه فرض، كما نسخت قبله بيت المقدس فأثبت مكانها الكعبة، و كل منسوخ في كتاب و سنة هكذا).

و من المجوزين له: الأمدى فهو يقرر في كتاب «الإحكام» ١٤ أن مذهب الجميع جواز نسخ حكم الخطاب لا إلى بدل خلافاً لمن شد منهم.

و استدلل على وقوعه بأدلة كثيرة، و ضرب لذلك أمثلة من القرآن، منها:

(أ) قوله تعالى في سورة المجادلة: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَصَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ آيَةٌ:** ١٢.

ثم نسخ حكمها في الآية التي بعدها، دون أن يأتي بتكليف آخر يحل محل التكليف الأول، و ذلك في قوله جل شأنه: **أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ آيَةٌ:** ١٣.

(ب) و نسخ الله الاعتداد بحول كامل في حق المتوفى عنها زوجها، بقوله تعالى:

**وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يُذَرُونَ أَزْوَاجاً وَ صَيَّهٌ لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ البقرة: ٢٤٠.**

و قد كانت أربعة أشهر و عشر، كما في قوله تعالى: **وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يُذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا البقرة آيَةٌ:** ٢٣٤.

(ج) و نسخ و جوب ثبات الرجل لعشره في القتال فقال: جل شأنه أولاً: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ الْأَنْفَالَ: ٦٥.**

ثم قال بعدها مباشرة: **الآنَ حَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.**

إلى آخر ما قال.

(د) و نحن إذا نظرنا إلى خلاف العلماء حول النسخ إلى غير بدل وجدناه في الحقيقة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٤٠

خلافاً حول مفهوم البديل نفسه، لا- حول اشتراطه، فإن مفهوم البديل و معناه العام يشمل أمرين: الرد إلى ما كان قبل شرع الحكم



المنسوخ و هو البراءة الأصلية، أو الإباحة. و نقل الحكم المنسوخ إلى حكم آخر، فكلاهما يسمى بدلا، فلا إشكال إذن و لا خلاف؛ لأن رد الحكم إلى الإباحة هو نسخ إلى بدل؛ لأن الإباحة نوع من أنواع الخطاب.

### (٩) و ينقسم النسخ من جهة أخرى إلى ثلاثة أقسام:

الأول: نسخ الأثقل بالأخف، و هو الغالب و الكثير. و الثانى: نسخ الحكم بحكم آخر مساو له. كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة بقوله تعالى: **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الْبَقْرَةَ: ١٤٤**. و الثالث: نسخ الأخف بالأثقل، و هو قليل. كنسخ حبس الزواني بالجلد و الرجم، و لا شك أن الضرب بالحجارة حتى الموت أثقل من الحبس. و منع بعض العلماء هذا النوع بدعوى أن الله يريد بنا اليسر فى تشريعاته كلها، كما قال جل شأنه: **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**.

و قال عز من قائل: **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ**.

و الجواب عن هذه الشبهة أن العسر و اليسر و الخفة و الثقل من الأمور الإضافية، فما من أمر خفيف إلا و هو ثقيل بالإضافة إلى ما هو أخف منه، و ما من أمر ثقيل إلا و هو خفيف بالإضافة إلى ما هو أثقل منه، و كل ما أمر الله - تعالى - به يسر لنا إذ فوجه ما هو عسير و كل ما نقلنا إليه من أحكام تخفيف علينا بالنسبة لما فى علمه من مشاق، و لو أن المقصود التخفيف المطلق، و اليسر المطلق لكانت ركعة واحدة فى الصلاة مثلا أخف بكثير مما هى عليه، ثم إنه قد وقع النسخ بالأشد فلا سبيل إلى إنكاره و منعه.

(١٠) قال السيوطى فى «الإتقان»: (قال بعضهم:

سور القرآن باعتبار النسخ و المنسوخ أقسام:

قسم ليس فيه ناسخ و لا منسوخ، و هو ثلاث و أربعون: سورة الفاتحة، و يوسف، و يس، و الحجرات، و الرحمن، و الحديد، و الصف، و الجمعة، و التحريم، و الملك، و الحاقة، و نوح، و الجن، و المرسلات، و عم،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٤١

و النازعات، و الانفطار، و ثلاث بعدها، و الفجر و ما بعدها إلى آخر القرآن إلا التين و العصر و الكافرون.

و قسم فيه الناسخ و المنسوخ، و هو خمس و عشرون: البقرة و ثلاث بعدها، و الحج، و النور و تاليها، و الأحزاب، و سبأ، و المؤمن، و الشورى، و الذاريات، و الطور، و الواقعة، و المجادلة، و المزمل، و المدثر، و التكوير، و العصر.

و قسم فيه الناسخ فقط، و هو ست: الفتح، و الحشر، و المنافقون، و التغابن، و الطلاق، و الأعلى.

و قسم فيه المنسوخ فقط، و هو الأربعون الباقية) ١٥.

هذا. و السور التى ذكر السيوطى أنها تشتمل على ناسخ فقط، أو ناسخ و منسوخ معا، يحمل على النسخ بمعناه الواسع الذى يشمل ما كان مطلقا فقيده إطلاقه، و ما كان عاما فخصصه عمومه بنوع من أنواع التخصيص، أو كان مبهما فأزيل إبهامه، أو كان غير مؤقت فأقت، و نحو ذلك.

و هو مفهوم الصحابة للنسخ كما سيأتى بيانه.

(١١) الآيات التى قيل إنها منسوخة عنها السيوطى اثنتين و عشرين آية بعد أن ضيق مفهوم النسخ بعض الشئ و بين الناسخ لها و نظمها فى قصيدة لتحفظ.



و إليك هذه الآيات و ما ذكره في شأنها- مع مناقشته في بعض ما ذهب إليه.  
الأولى: قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ  
(البقرة): ١٨٠.

قيل: هذه الآية منسوخة بآية الموارث، و قيل: بحديث «لا وصية لوارث» ١٦، و قيل:  
بالإجماع، حكاها ابن العربي.

و قد نازعه في نسخ هذه الآية جماعة من أهل العلم، و قالوا: إنها محكمة، و هو الظاهر لى.  
قال القاسمي في «محاسن التأويل» ١٧ بعد أن ذكر ما ذهب إليه السيوطي: (ذهبت طائفة إلى أن الآية محكمة لا تخالف آية الموارث،  
و المعنى: كتب عليكم ما أوصاكم به من توريث الوالدين و الأقربين من قوله تعالى:  
يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ.

أو كتب على المحتضر: أن يوصى للوالدين و الأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم، و أن لا ينقص من أنصبتهم .. و لو فرض المنافاة  
لأمكن جعل آية الميراث مخصصة لهذه الآية، بإبقاء القريب الذي لا يكون وارثا لأجل صلة الرحم ....  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٤٢

قالوا: و نسخ وجوبها للوالدين و الأقربين الوارثين لا يستلزم نسخ وجوبها في غيرهم).

الثانية: قوله تعالى: وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ. ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: فَمَنْ شَهِدَ  
مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ.

و اعتمدوا فيما ذهبوا إليه على آثار كثيرة وردت في صحيح البخارى و مسلم و مسند أحمد.

لكن قد ورد ما يفيد أنها محكمة؛ فقد روى البخارى في التفسير عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقول في هذه الآية: «ليست منسوخة، و  
هو للشيخ الكبير و المرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان كل يوم مسكينا».

الثالثة: قوله تعالى: أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ  
عَلَيْكُمْ وَ عَفَا عَنْكُمْ البقرة: ١٨٧.

قيل: إن هذه الآية ناسخة لقوله: كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ فَقَدْ رَوَى أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ فَضِرَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا عَلَى الْوَجْهِ  
الذى كان مفروضا على المسلمين قبل نزول هذه الآية الناسخة، بمعنى أنهم قد كتب عليهم أنه إذا صلى أحدهم العشاء و نام حرم عليه  
الطعام و الشراب و النساء إلى مثلها من الليلة المقبلة.

و هذا ما رواه أبو جعفر الرازى عن الربيع ابن أنس عن حدثه عن ابن عمر.

و نحن لا ندرى على وجه اليقين أن الصوم قد فرض على الذين من قبلنا على هذا النحو، فيكون الأصح الذى تطمئن إليه النفس أن  
هذه الآية ناسخة للسنة التى كان عليها المسلمون فى أول الإسلام.

الرابعة: قوله جل شأنه: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ البقرة: ٢١٧.

ذكر القرطبي و غيره من المفسرين: (أن العلماء اختلفوا فى نسخ هذه الآية، فالجمهور على نسخها، و أن قتال المشركين فى الأشهر  
الحرم مباح.

و اختلفوا فى ناسخها:

فقال الزهري: نسخها و قاتلوا المشركين كافة كما يقتالونكم كافة التوبة ٣٦.

و قيل: نسخها غزو النبي صلى الله عليه و سلم تقيفا فى الشهر الحرام، و إغزاه أبا عامر إلى أوطاس فى الشهر الحرام.

و كان عطاء يقول: الآية محكمة، و لا يجوز القتال فى الأشهر الحرام، و يحلف على ذلك؛

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٤٣

لأن الآيات التي وردت بعد عامه في الأزمنة، وهذا خاص، و العام لا ينسخ الخاص باتفاق) ١٨.  
الخامسة: قوله تعالى: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ البقرة: ٢٤٠.

(قيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى:

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا البقرة: ٢٣٤. و هي متقدمة عليها في الترتيب مؤخره عنها في النزول.

و ذهب جماعة من المفسرين إلى أنها محكمة لا نسخ فيها و هو الراجح عندي.

و بيان ذلك: أن الآية الأولى في ترتيب المصحف فرضت على المرأة أن تعتد في بيت الزوجية أربعة أشهر و عشرة أيام بلياليهن، لا تخرج فيها من بيتها إلا لحاجتها الضرورية، و لا تترين للرجال، و لا تتعرض لهم من أجل الزواج، حتى تنقضى عدتها. و الآية الثانية في الترتيب أقرت حكم الآية الأولى من وجوب العدة أربعة أشهر و عشرة أيام بلياليهن، مع إفادة استحباب أن تكون العدة حولا.

و هذا الاستحباب إما أن يكون وصية من الله للورثة؛ مبالغة في تكريم المرأة و إنعاما منه في رفع المعاناة عنها، و تطيبا لنفسها و وفاء لزوجها، و إما أن يكون وصية من الزوج قبل موته، و إما أن يكون وصية من الورثة بعضهم لبعض. و أما النفقة فليست مرفوعة بميراثها من زوجها؛ لأن هذه الوصية على سبيل الاستحباب لا على سبيل الوجوب، فأية الموارث نقلت الحكم من الوجوب إلى الاستحباب و لم ترفعه بالكلية.

و من هنا نفهم أن النسخ في هذه الآية يحمل على معناه الواسع الذي قال به السلف، و الخلاف بين الفريقين لفظي أو اصطلاحى و لا مشاحة في الاصطلاح، و كل من الفريقين على الصواب- إن شاء الله تعالى.

و من نظر في هاتين الآيتين وجد الأمر كما قررناه، فالآية الأولى فيها ذكر التربص و هو الانتظار و الحبس عن الزواج حتى تنتهى العدة، بخلاف الآية الثانية، و بذلك تكون الآية الأولى خاصة بالزمن الذى لا تتعرض فيه المرأة إلى خطبة الأزواج، و ما تبقى من الحول و هو سبعة أشهر و عشرين يوما تكون المرأة فيه مخيرة بين الانتقال من بيت الزوج المتوفى و التزوج بآخر و المكث في بيت زوجها المتوفى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٤٤

عنها دون أن تتزوج بآخر؛ وفاء لزوجها الأول و مبالغة في تكريمه، و عندئذ تكون أهلا لإكرام أهل زوجها لها، و اعتزازهم بوجودها بينهم.

و حيث أمكن الجمع فلما ذا نعدل عنه إلى القول الذى يرتضيه قوم و ينكره آخرون.

السادسة: قوله تعالى: وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ الْبَقْرَةَ:

٢٨٤.

قيل إنها منسوخة بقوله تعالى: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا الْبَقْرَةَ: ٢٨٦.

و الأصح أنها ليست منسوخة، فالآية الثانية بيان لها؛ فقد وقع في نفوس المؤمنين أنهم سيحاسبون على كل ما يخطر في ضمائرهم من سوء؛ كما يحاسبون على كل ما تبديه أنفسهم من شر و إن لم يمكنهم دفعه؛ فيبين الله- عز و جل- في الآية الثانية أنه لا يحاسبهم إلا على ما يمكنهم دفعه من الخواطر؛ إذ على المؤمن أن يدفع وساوس الشيطان أولا بأول، و لا يسمح لها أن تتحول إلى إرادة ثم إلى عزم ثم إلى فعل؛ عملا بقوله تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ

مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ الأعراف: ٢٠٠ / ٢٠١.

والدليل على ما ذكرناه من عدم النسخ ما رواه أحمد، و مسلم، و النسائي و غيرهم عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: لما نزلت هذه الآية: وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ - دخل قلوبهم منها شيء، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «قولوا سمعنا و أطعنا و سلمنا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْرَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا قال: قد فعلت ربنا و لا تحمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا قال: قد فعلت. وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ قال: قد فعلت.

و استدل القائلون بالنسخ بما رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم: لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم جثوا على الركب، و قالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة و الصيام و الجهاد و الصدقة، و قد أنزلت عليك هذه الآية و لا نطيقها، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أ تريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا و عصينا؟ بل قولوا:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٤٥

سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فلما أقر بها القوم و ذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل:

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا.

و المراد بالنسخ هنا من قبيل بيان المجمل و تقييد المطلق على حسب مفهوم المتقدمين من الصحابة و التابعين لا على حسب مفهومه عند المتأخرين، فالقول بعدم النسخ أسلم (١٩).

السابعة: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ آل عمران ١٠٢.

قيل: إنها منسوخة بقوله تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ التَّغَابن: ١٦.

فإن كان النسخ بمعنى بيان المجمل و تقييد المطلق - كما هو مفهوم المتقدمين للنسخ - فلا مانع من القول به؛ لأن الآية الثانية بيان للأولى و تقييد لمطلقها؛ فمن المعلوم شرعا أن الطاعة على قدر الطاقة.

الثامنة: قوله تعالى: وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا النساء: ٨.

قيل: منسوخة، و قيل: لا، و لكن تهاون الناس في العمل بها.

و الأصح: أنها محكمة لم تنسخ بآية الموارث كما قال بعضهم؛ و ذلك لما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس في الآية قال: «هي محكمة و ليست بمنسوخة»، و في لفظ عنه: «هي قائمة يعمل بها».

التاسعة و العاشرة: قوله تعالى:

وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) وَ الذَّانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَ أَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا النساء: ١٥-١٦.

هاتان الآيتان منسوختان عند جمهور المفسرين و المحدثين، و دليل النسخ فيهما ظاهر، لكن هذا النسخ هو من قبيل التدرج في التشريع؛ رعاية لمصالح العباد في العاجل و الآجل.

فالآية الأولى تنص على عقوبة الزانية بkra كانت أم ثيبا بحبسها في البيت حتى يتوفاها الله أو يجعل لها مخرجا بآية أخرى أو حديث.

و الآية الثانية تنص على عقوبة الرجال من

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٤٦

الأيامى و الأبقار، و هى الإيذاء بالأيدى و النعال و التقرير بالألسنة و ما إلى ذلك من أنواع الإيذاء المناسب لهذه الجريمة، و هى جريمة الزنا و اللواط كما يرى بعض المفسرين.

قال ابن كثير فى تفسيره: (كان الحكم فى ابتداء الإسلام أن المرأة إذا زنت فثبت زناها بالبينه العادله، حبست فى بيتها فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت ..

فالسبيل الذى جعله الله هو الناسخ؛ لذلك قال ابن عباس: «كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور، فنسخها بالجلد أو الرجم»، و كذا روى عن عكرمة، و سعيد بن جبير، و الحسن، و عطاء الخرساني، و أبى صالح، و قتادة، و زيد بن أسلم، و الضحاك، أنها منسوخة، و هو أمر متفق عليه).

ثم ساق الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده، و مسلم فى صحيحه و غيرهما من أصحاب السنن، و فيه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

«خذوا عنى قد جعل الله لهن سيلاً: الثيب بالثيب، و البكر بالبكر، الثيب جلد مائة و البكر جلد مائة ثم نفى سنه».

الحادية عشرة: قوله تعالى: وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُم نَصِيحَتُهُمُ النِّسَاء: ٣٣.

منسوخة بقوله: وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْأَنْفَالِ ٧٥ (وقيل إنها غير منسوخة، لأنها تدل على توريث مولى الموالاة، و توريثهم باق غير أن رتبهم فى الإرث بعد رتبة ذوى الأرحام، و بذلك يقول فقهاء العراق).

و الأصح: أنها منسوخة؛ لكثرة الآثار الواردة فى ذلك عن الصحابة و التابعين.

الثانية عشرة: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ الْمَائِدَةَ: ٢.

قيل إن قوله: وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ منسوخ بمقتضى عموم قوله:

وَ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً التَّوْبَةَ: ٣٦، و قد سبق القول فى هذا، فالحق عدم النسخ.

فالحكم باق كما هو، فلا يجوز للمسلمين أن يقاتلوا عدوهم فى الأشهر الحرم، إلا إذا اضطروا لذلك.

الثالثة عشرة: «قوله تعالى: فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ الْمَائِدَةَ: ٤٢ منسوخة بقوله: وَ أَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَائِدَةَ: ٤٩.

و قد قيل بعدم النسخ، و أن الآية الثانية متممة للأولى، فالرسول صلى الله عليه و سلم مخير بمقتضى الآية الأولى بين أن يحكم بينهم و أن يعرض عنهم، و إذا اختار أن يحكم بينهم و جب أن يحكم بما أنزل الله بمقتضى الآية الثانية، و هذا ما نرجحه، لأن النسخ لا يصح إلا حيث تعذر الجمع.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٤٧

الرابعة عشرة: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ الْمَائِدَةَ: ١٠٦.

قيل: قوله: أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ منسوخ بقوله: وَ أَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ الطَّلَاق: ٢.

قال الزرقانى ٢٠: «وقيل إنه لا نسخ؛ لأن الآية الأولى خاصة بما إذا أنزل الموت بأحد المسافرين، و أراد أن يوصى فإن الوصية تثبت بشهادة اثنين عدلين من المسلمين، أو غيرهم؛ توسعة على المسافرين، لأن ظروف السفر ظروف دقيقة، قد يتعسر أو يتعذر وجود عدلين من المسلمين فيها، فلو لم يبح الشارع إشهاد غير المسلمين لضاق الأمر و ربما ضاعت الوصية، أما الآية الثانية فهى القاعدة العامة فى غير ظروف السفر».

الخامسة عشرة: قوله تعالى: إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا

يَفْقَهُونَ الْأَنْفَالَ: ٦٥.

قيل: إنها منسوخة بقوله سبحانه الْأَنْفَالَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ الْأَنْفَالَ: ٦٦.

وجه النسخ: أن الآية الأولى أفادت وجوب ثبات الواحد للعشرة، وأن الثانية أفادت وجوب الواحد للثنتين، وهما حكمان متعارضان فتكون الثانية ناسخة للأولى - على ما تقدم بيانه عند الكلام على نسخ الأثقل بالأخف - والنسخ هنا ظاهر - ولكن قد يقال إن هذا النسخ هو انتقال من الواجب إلى الرخصة.

السادسة عشرة: قوله تعالى: أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا التوبة: ٤١.

قيل: نسخت بآيات العذر، ومنها قوله:

لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ التوبة: ٩١.

والأصح أنه لا نسخ في الآية، فكأنه قيل:

انفروا خفافا و ثقالا إلا من كان معذورا لا يستطيع القتال لكونه ذا عاهة من مرض أو عرج، أو عمى أو زمانة، ونحوها من المعوقات، مع بقاء طائفة تقوم بما يحتاج إليه القاعدون من أولى الضرر، كتعليم وإرشاد وغير ذلك.

السابعة عشرة: قوله تعالى: الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ النور: ٣.

قيل: منسوخة بقوله سبحانه وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٤٨

وإِمَائِكُمُ النور: ٣٢. لأن الآية خبر بمعنى النهي، بدليل قراءة «لا ينكح» بالجزم وهي قراءة عمرو بن عبيد والقراءات يفسر بعضها بعضا.

والأصح عندي - والله أعلم - أنه لا نسخ في الآية، لأن الآية لها معان يمكن أن تحمل عليها بحيث لا تتعارض مع قوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ.

فمن معانيها: أن الزاني لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك، وكذلك الزانية لا يطاوعها على الزنا إلا عاص بزناه، أو مشركة لا يعتقد تحريمه.

وقراءة عمرو بن عبيد بالجزم تدل على حرمة نكاح الزانيات إلا إذا ظهرت توبتهن.

وآية وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ مخصّصة بقوله: الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً أي: وزوجوا الأيامي منكم بشرط ألا يكن زانيات، والله أعلم.

الثامنة عشرة: قوله تعالى:

لَيْسَتَأْتِيكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ الْآيَةَ النور: ٥٨.

قال السيوطي في «الإتقان» ٢١: «قيل:

منسوخة، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في العمل بها». أه.

والأصح: أنها غير منسوخة، فهي أدب عظيم أدب الله به عباده، فلا أدري كيف ساغ له أن يذكرها في هذا الباب.

التاسعة عشرة: قوله تعالى: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ الْأَحْزَاب: ٥٢.

قيل: نسخها قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتِ أَجُورَهُنَّ الْأَحْزَاب: ٥٠.

وهذا النسخ لا يستقيم إلا على أن هذه الآية متأخرة في النزول عن الآية الأولى.

وقد أخرج أبو داود في سننه والترمذي في جامعه والحاكم وابن المنذر وغيرهم عن عائشة قالت: (لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله تعالى له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم).

العشرون: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدُّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ الْمَجَادِلَةُ ١٢.

قيل: نسخت بالآية التي بعدها.

الواحدة والعشرون: وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا الْمَمْتَحَنَةُ: ١١.

قيل: نسختها آية الغنيمه و هي قوله سبحانه: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٤٩

لِلَّهِ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ الْأَنْفَال: ٤١.

وقيل: منسوخة بآية السيف و هي قوله تعالى: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ الْآيَةُ التَّوْبَةُ: ٥.

و الأصح: أنها محكمة إذ لا تعارض بين هذه الآيات الثلاث.

الثانية والعشرون: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا

المزمل ١-٤. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٦٤٩ (٩) و ينقسم النسخ من جهة أخرى إلى ثلاثة أقسام: ..... ص : ٦٤٠

ل: منسوخة بقوله سبحانه في آخر هذه السورة: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ

الآية المزمل: ٢٠ ثم نسخ هذا الوجوب بالصلوات الخمس.

روى أحمد في مسنده و مسلم في صحيحه عن عائشة- رضى الله عنها- قالت في حديث طويل: (إن الله افترض قيام الليل في أول هذه

السورة- تعنى سورة المزمل- فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم، و أمسك الله خاتمها في

السماء اثني عشر شهرا، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا من بعد الفريضة).

هذه هي الآيات التي قيل إنها منسوخة قد نقلتها من «الإتقان» للسيوطي و تصرفت في نقلها بالتوضيح و التعليق و الإضافة ليعلم القارئ

جليه الأمر في هذه الآيات و موقف العلماء في نسخها من عدمه، و أكثرها في نظري غير منسوخ على المعنى الضيق الذي تمسك به

المتأخرون و هو رفع الحكم المتقدم بحكم متأخر.

فضلا عن المعنى الواسع الذي قال به المتقدمون؛ و هو تخصيص الحكم العام أو تقييد المطلق بحكم متأخر عنه.

و بعد أن عرفنا مفهوم النسخ في اللغة و الشرع، و عرفنا حكمه و أدلته و أركانه و شروطه، و ما إلى ذلك، أرى أن أختتم هذا البحث

ببيان الحكمة من النسخ و إنها لعظيمة، عرفنا شيئا منها فأنا به، و خفى منها الكثير فسلمنا بجهلنا فيه.

و من المعلوم أن شريعة الإسلام نسخت جميع الشرائع السماوية التي لم يعد لها ما يستدعى بقاءها بحال، فجاءت جامعة لأصول

الشرائع كلها تعدل المسار، و تصحح المعتقد و ترد الناس إلى فطرتهم التي فطرهم الله عليها، و تلائم ظروفهم المعيشية، و تلبى

مطالبهم الدنيوية و الأخروية، و تبغى لهم اليسر و رفع الحرج و دفع المشقة، و تتدرج بهم رويدا رويدا، صاعده بهم في مدارج الرقي

شيئا فشيئا، و تسير بهم من السهل إلى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٥٠

الأسهل و من الصعب إلى الأصعب أحيانا تدريبا لهم على احتمال صنوف الحياة في شتى صورها، أو تسير بهم من تكليف إلى

تكليف آخر مساو له؛ لا ابتلائهم و امتحان قلوبهم، فتظهر طاعة المطيع و عصيان العاصي.

فالنسخ نوع من التدرج في التشريع، روعى فيه مصالح العباد في العاجل و الآجل، فإن من الأمور التكليفية ما يصلح في وقت دون

وقت، و في حال دون حال فأخذ الله عباده بالحكمة، فوضع لهم من التشريعات ما يناسبهم على اختلاف درجاتهم و بيئاتهم و

أحوالهم.

و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

أ. د/ محمد بكر إسماعيل



الهوامش:

- (١) لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف المصرية، و مقاييس اللغة لابن فارس.
- (٢) ج ٢ ص ٩٧٨ تحقيق د/ عبد الملك عبد الرحمن السعدى ط وزارة الأوقاف السعودية سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م
- (٣) ج ٣ ص ١٥٥ ط دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
- (٤) مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقانى ج ٢ ص ٧٦ ط عيسى الحلبي و شركائه.
- (٥) انظر الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ٣ ص ٨١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
- (٦) انظر اللآلئ الحسان فى علوم القرآن د/ موسى شاهين لاشين مطبعة الفجر الجديد بالقاهرة.
- (٧) مناهل العرفان ج ٢ ص ١٠٧.
- (٨) النسخ فى القرآن الكريم ج ٢ ص ٢٨٣.
- (٩) اللآلئ الحسان ص ٢٠٢-٢٠٣.
- (١٠) ج ٢ ص ٣٩-٤٠.
- (١١) رواه مسلم: ١٠٧٥ / ٢، و الترمذى ٤٥٦ / ٣، و أبو داود بذل المجهود ٩ / ٤٤.
- (١٢) ج ٢ ص ١٠٠٨-١٠٠٩.
- (١٣) ص ٣٢٨.
- (١٤) انتهى بتصرف و إيضاح من الأحكام فى أصول الأحكام ج ٣ ص ١٩٥.
- (١٥) ج ٣ ص ٦٩-٧٠.
- (١٦) الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب الوصايا، باب ما جاء فى: (لا وصية لوارث) عن عمرو بن خارجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطب و هو يقول: «إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه، فلا وصية لوارث».
- (١٧) ج ٣ ص ٤١١ و ما بعدها.
- (١٨) راجع القرطبي عند تفسير هذه الآية.
- (١٩) دراسات فى علوم القرآن أ. د. محمد بكر إسماعيل ط دار المنار ص ٢٦٤-٢٦٧ سنة ١٩٩١ م.
- (٢٠) انظر مناهل العرفان ج ٢ ص ١٦١.
- (٢١) ج ٣ ص ٧٦.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٥١

## الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم

### ١- الإعجاز فى العصر النبوى:

لم تكن كلمة الإعجاز بمعناها البلاغى معروفة فى عصر النبوة، و لكنّ المعنى اللغوى الذى يدل على عدم تمكن أحد من البلغاء أن يأتي بمثل ما جاء به القرآن كان مؤكّدا و ملموسا، لأن القرآن الكريم قد فاجأ العرب بأسلوب لا عهد لهم به، فظلّوا حائرين يلمسون سحره الخالب دون أن يستطيعوا معارضته و قد تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله، فبذلوا قصارى جهدهم فى ذلك فما استطاعوا، و هم بعد فرسان البلاغة و أئمة الكلام.

لقد فاجأهم القرآن بنمط من القول المعجز لا عهد لهم به، فهو وإن تألف من كلماتهم و حروف لغتهم فإنه ينصب في قالب متفرد يدركون حالوته و يحسون روعته دون أن يستطيعوا محاكاته. و كان عهدهم بالكلام الجيد أن يصوغه شاعر فصيح منهم، فيهب المنافسون لمعارضته و احتذائه فيقعوا منه قريباً، أو يسبقوه ظافرين بأحسن مما قال.

فما بالهم يتحداهم القرآن أن يأتوا بعشر آيات من مثله فتضطغن نفوسهم غضبا حين يدرکههم البهر فلا يستطيعون ١. إن العهد بصاحب الأسلوب المتميز من ذوى الفصاحة أن يكون تميزه الاستقلال غير منقطع الصلة بما قبله تماماً، فهو وإن أتى بالجدید المستطرف فإنه يمت بأقرب الوشائج إلى سلف قريب قد احتذاه بدءاً ثم تفوق عليه، أما أن تنقطع الصلة تماماً بين ما يسمعون و ما جاءوا به من قبل في الشعر و الخطب و الوصايا الجاهلية فهذا ما كان موضع الدهشة و الانبهار.

و هذا النبى الذى نزل عليه الوحي، يأتي بالقول المبين في حديثه و خطبه، و لكن أسلوبه في الحديث و الخطب يبتعد ابتعاداً شاسعاً عن أسلوب الوحي المنزل. فدل ذلك دلالة قاطعة على أن القرآن نمط إلهي ليس في طوق البشر محاذاته. و لو جاز لأحد من بلغاء البشر أن يأتي بمثله لكان رسول الله و هو أفصح العرب قاطبة أحق أن يكون هذا الذى يستطيع! أما أن يوجد هذا الفرق الشاسع بين أسلوب القرآن و أسلوب الحديث النبوي فهو الدليل القاطع على أن القرآن من عند الله.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٥٢

و الروايات التى تزعم أن بعض البشر حاول معارضة القرآن، تدل إن صدقت- على هذا الإعجاز؛ و إن كنت أرى أن البليغ الممتاز ممن عزيت إليه هذه المعارضة أعقل و أحصف من أن يتورط في شيء لا يقوم له، فما قيل في هذا المجال موضع توهين.

## ٢- أول من نفى الإعجاز عن القرآن:

لا يعرف على وجه التحديد أول من ذهب إلى أن القرآن الكريم غير معجز، و قد قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه إعجاز القرآن ٢ إن أول من ذهب إلى ذلك هو الجعد بن درهم، يقول الرافعي: «هو مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية، و كان زنديقا فاحش الرأى و اللسان، و هو أول من صرح بالإنكار على القرآن و الرد عليه، و جحد أشياء مما فيه، و أضاف إلى القول بخلقه أن فصاحته غير معجزة و أن الناس يقدرون على مثلها، و على أحسن منها، و لم يقل بذلك أحد قبله، و لا فشت المقالة بخلق القرآن إلّا من بعده».

و كتب الكلام التى دؤنت آراء الجعد، تحدثت عن قوله بخلق القرآن، و عن قوله بالتعطيل، و قوله بالقدر، و لكنها لم تتحدث عن إنكاره للإعجاز، فإذا كان الرافعي قد قرأ عن جعد ما لم نقرأه، فكان عليه أن يذكر مصدره، و مهما يكن من شيء فإن القول بخلق القرآن في هذا الزمن المتقدم- في العصر الأموي- جرأ الملاحدة و الزنادقة ممن دخلوا في الإسلام ظاهرياً دون أن تطمئن قلوبهم إلى نوره؛ جرأهم على الحديث المتسرّع عن كتاب الله؛ و منه ما قالوه عن عدم الإعجاز، و قد دعت حرية الجدل في مطلع العهد العباسي هذا النفر إلى الافتراء بغير العلم، فراج حديثهم عن عدم الإعجاز، و اضطر المدافعون عن دين الله أن يواجهوا الباطل بما يدحضه، فبدأ الحديث عن الإعجاز، و تنوع القول في بيان خصائصه. و في هؤلاء المدافعين من تورط في حديث فهم على غير وجهه، و أعنى به حديث الإعجاز بالصرفة، و هو مما يحسن أن نقف لديه.

## ٣- القول بالصرفة:

ينسب القول بالصرفة في تفسير الإعجاز القرآني لأبي إسحاق النظام، و هو قول لم يدونه النظام في كتاب، و لو لا أن الجاحظ رواه عنه ما اشتهر و ما ذاع، و فحواه أن العرب قد انصرفوا عن معارضة القرآن، و هذا الانصراف دليل الإعجاز، و يوحى هذا القول بأنهم لو اتجهوا إلى معارضته لجاءوا بمثله؛ كما أن تمام الرأى عند النظام أنه قال إن الإعجاز إنما جاء من الإخبار عن الأمور



الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٥٣

الماضية والآتية، والحق أن تفسير الصرفة بمعنى عدم اتجاه العرب إلى المعارضة فقط، مما لا يعقل أن يقول به رجل كبير العقل كالنظام مهما أرفجف أعداؤه بما اختلفوا من مثالبه، وقد جعله الجاحظ عبقرى القرن الثالث، فكيف يكون بهذه المنزلة الرفيعة ثم يذهب هذا المذهب المخطى، كما أن مما يجعل المسألة ذات خطر فى حديث الإعجاز أن أفاضل من الأعلام مثل الجاحظ وابن سنان والمرتضى وابن حزم والعلوى قد قالوا به؛ أفيكون هؤلاء من الضحالة و ضيق النظر حتى يفهموا من الصرفة هذا الفهم الذى ينكره الغلام الناشئ بله العالم المفكر؟ إن الأمر لا يستقيم إلا إذا فهمت الصرفة فهما يتفق و جلال هؤلاء الكبار الذين هتفوا بما قال النظام. و هم أنفسهم الذين تحدثوا عن بلاغة القرآن و إعجاز فصاحته تركيبيا و نظما و تصويرا بما يجعل ذلك من أسباب الإعجاز، إن الذى فهمته من معنى الصرفة، و لا أدري إذا كنت قرأته من قبل لبعض الفضلاء و نسيت اسمه أو أنه شىء قذفه الله فى نفسى! هذا المعنى هو أن العرب حين دهشوا من روعة القرآن، و بهرهم تأثيره بما فوق القدرة، انصرفوا تلقائيا عن معارضته، لأنهم علموا أنهم مهما حاولوا هذه المعارضة و جمعوا لها أساطين القول من بلغائهم المعدودين فلن يأتوا بسورة من مثله، أو بعشر آيات من مثله، فكانت (الصرفة) عن المعارضة التى توقعوا استحالتها بادئ ذى بدء هى وجه الإعجاز الذى عناه النظام و هو وجه معقول نلمس نظائره فى الحياة حين يبنى مهندس عبقرى صرحا رائعا. فيكون آية الآيات فى بابه، و يراه زملاؤه فيقرون بالعجز عن بناء مثله، و يصرفون أنفسهم عن محاولة هذا البناء! هذا هو الفهم الجدير بالنظام و من تبعه من البلغاء، و هم من هم!

الجاحظ: للجاحظ سطوة فى التعبير، و تدفق فى سوق الحجج و البراهين، و قد عاش فى مشتجر الجدل، و خاض عباب الحوار فلا بد أن يكون لإعجاز القرآن نصيب من حديثه الدافق، و قد ذكروا من مؤلفاته المفقودة كتابى (نظم القرآن) و (آى القرآن) و حديث النظم قد اشتهر كثيرا من بعده حتى مخض زبدته الإمام عبد القاهر الجرجاني. فلا أستبعد أن يكون هذا الكتاب المفقود نواة هذا الحديث، و قد قال الجاحظ عنه مخاطبا الفتح بن خاقان حين طلب منه أن يكتب مؤلفا عن القرآن: «فكتبت لك كتابا أجهدت فيه نفسى، و بلغت فيه أقصى ما يمكن مثلى فى الاحتجاج للقرآن، و الرد على كل طعان، فلم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٥٤

أدع فيه مسألة لرافضى و لا لحديثي، و لا لحشوى، و لا لكافر مباد، و لا لمنافق مقموع، و لا لأصحاب النظام، و لمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن خلق، و ليس تأليفه بحجة، و أنه تنزيل و ليس ببرهان و لا دلالة، فلما ظننت أنى بلغت أقصى محبتك، و أتيت على معنى صفتك، أتانى كتابك تذكر أنك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن و إنما أردت الاحتجاج لخلق القرآن، و كانت مسألتك مبهمه، و لم أك أن أحدث لك فيها تأليفا، فكتبت لك أشق الكتابين و أثقلهما، و أغمضهما معنى و أطولهما» ٣.

و يقرب من كتاب النظم ما كتبه فى مؤلفه المفقود أيضا (آى القرآن) حيث أشار إلى بعض ما جاء به فى كتاب الحيوان حين قال تحت عنوان (من إيجاز القرآن):

«ولى كتاب جمعت فيه آيا من القرآن لتعرف بها فصل ما بين الإيجاز و الحذف، و بين الزوائد و الفضول و الاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها فى الإيجاز، و الجمع للمعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذى كتبه لك فى باب الإيجاز و ترك الفضول، فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة:

لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَ لا يُنْزِفُونَ، و قوله - عز و جل - حين ذكر فاكهة أهل الجنة:

لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعانى. و هذا كثير دللتك عليه، فإن أردته فموضعه مشهور ٤.

و قراءة هذين النصين تدل على ما فقدناه من إفاضة الجاحظ فى هذه المسائل التى تتصل بالإعجاز بأقوى سبب، و قد بقيت لنا شذور شتى مما كتبه الجاحظ فى رسالته (حجج النبوة) [التي نشرها الأستاذ عبد السلام هارون فى الجزء الثالث من رسائل الجاحظ]، و بها ما يمكن أن يستدل به على منحى الجاحظ فى ثبوت الإعجاز، [و سأنقل منها ما يدل على ذلك دون إطالة]؛ فمنها قوله:

«إن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، لتبين له في نظامها ومخرجها، وفي نقلها وطبعها، أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها، وليس ذلك في الحرف والحرفين، والكلمة والكلمتين! أ لا ترى أن الناس قد يتهيا لهم في طبائعهم، ويجرى على ألسنتهم أن يقول رجل منهم «الحمد لله، وإنا لله، وربنا الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل» وهذا كله في القرآن، غير أنه متفرق غير مجتمع، ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٥٥

قصيرة، على نظم القرآن وطبعه، وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه ولو استعان بجميع قحطان معد بن عدنان» ٥.

وهذا الكلام أصل لقضية النظم، وكل ما انتهى إليها ينتهي إلى هذا الأصل، ثم يقول الجاحظ: ٦

«ولا يجوز أن يكون مثل العرب في كثرة عددهم، واختلاف علمهم، والكلام كلامهم وهو سيد عملهم فقد فاض بيانهم، وجاشت به صدورهم، وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم.. وقد هجوه من كل جانب، وهاجى أصحابه شعراءهم، ونازعوا خطباءهم، وحاجوه في المواقف، وخاصموه في المواسم، وبادءوه العداوة، وناصبوه الحرب، فقتل منهم وقتلوا منه، وهم أثبت الناس حقدا، وأبعدهم مطلبا، وأذكرهم لخير ولشر وأنفاهم له، وأهجاهم بالعجز وأمدحهم بالقوة، ثم لا يعارض معارض، ولم يتكلف ذلك خطيب ولا شاعر، ٦ إلى أن يقول:

«فإما أن يكونوا عرفوا عجزهم، وأن مثل ذلك لا يتهيا لهم، فرأوا أن الإضراب عن ذكره، والتغافل عنه في هذا الباب، وإن قرعهم به، أمثل في التدبير، وأجدر ألا ينكشف أمرهم للجاهل والضعيف، وأجدر أن يجدوا للدعوة سيلا، فقد ادعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه، وهو قوله عز ذكره وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ٧ وهل يدعن الأعراب وأصحاب الجاهلية للتقريع بالعجز، والتوقيف على النقص، ثم لا يبذلون مجهودهم، ولا يخرجون مكنونهم، وهم أشد خلق الله أنفة، وأفرطهم حمية، وأطلبهم بطائفة، وقد سمعوه في كل منهل وموقف، والناس موكلون بالخطابات، مولعون بالبلاغات، فمن كان شاهدا فقد سمعه، ومن كان غائبا فقد أتاه به من لم يزوده، وإما أن يكونوا غير ذلك، ولا يجوز أن يطبقوا على ترك المعارضة، وهم قادرون عليها، لأنه لا يجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاء، والحلماء مع اختلاف علمهم، وبعد همهم، وشدة عداوتهم الإطباق على بذل الكثير، و صون اليسير». ٨

على أن الجاحظ هو الذي فتق أكام الحديث عن الأسلوب القرآني، و بين من سماته ما جعله الكثيرون مصدرا أولا للإعجاز القرآني، فقد نظر الرجل إلى ألفاظ القرآن ومعانيه ليهتدى إلى فطن بارعة في التحليل والاستنتاج كانت عون البلاغيين في كثير مما كتبه عن اللفظ والجملة والصورة، فما تحدث البلغاء عن فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام، وأسرار الحذف والذكر، ومواضع الإيجاز والإطناب، و جمال التشبيه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٥٦

والاستعارة وغيرها من الأبواب إلا بعد أن عرض لهم الجاحظ فنونا مترفة من استشفاة الذوقى لكتاب الله، ولن نرسل القول إرسالا دون شواهد صريحة توضح ما نعيه. ٩.

أجل تحدث الجاحظ عن ألفاظ القرآن حديثا لم يسمع من أحد قبله إذ قال في الباب الأول من البيان والتبيين: «وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحق منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب و يذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامية وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث، و لفظ القرآن الذى عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سماوات لم يقل الأرضين ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين ولا السمع أسماعا، و الجارى على أفواه العامة غير ذلك». ١٠

وقد جاء من بعد الجاحظ من كشف عن أسرار هذه الكلمات، و حسنهما في موضع، و عدم لياقتها في موضع آخر اقتداء بكتاب الله و رجوعا إلى البيان و التبيين في الإسناد.

أما حديث الجاحظ عن الصورة البيانية في القرآن فقد كثرت أمثله، و كتاب الحيوان بالتراث معرض رائع لهذا الحديث، و اكتفى بمثل واحد من هذا المجال: قال الجاحظ تحليلا لقول الله عز و جل **طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ** ١١ «زعم أناس أن رؤوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كرية، و المتكلمون لا يعرفون هذا التفسير و قالوا: ما عنى إلا رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم من فسقة الجن و مردتهم، فقال أهل الطعن و الخلاف: ليس يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فتتوهمه، و لا وصفت لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق، و مخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة و التفريع منها، و على أنه لو كان شيء أبلغ في الزجر من ذلك لذكره، فكيف يكون الشأن كذلك و الناس لا يفرعون إلا من شيء هائل قد عاينوه ...

إلى أن قال: قلنا: و إن كنا نحن لم نر شيطانا قط، و لا صور رؤوسها لنا صادق بيده، ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان، حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين، أحدهما أن يقولوا: لهو أقبح من الشيطان، و الوجه الآخر: أن يسمى الجميل شيطانا على جهة التطير له كما تسمى الفرس الجميلة شوها و المرأة الجميلة صماء

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٥٧

و خنساء و أشباه ذلك على جهة التطير له، ففي إجماع المسلمين و العرب على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في ذلك أقبح من كل قبيح». ١٢

و الأمثلة كثيرة لما حلله الجاحظ من آيات الكتاب المبين، و في الفصل الذي كتبه عن (و ثبات الجاحظ) في كتابي (خطوات التفسير البياني) توضيح كاف لما أعنيه، حيث ذكرت من النماذج ما يدل على معاناة الجاحظ في هذا المضمار؛ لأنه بهذا التحليل الرائع لآيات القرآن الكريم قد دل على أمثلة من الإعجاز القرآني تكون تطبيقا لما قرره بشأن هذا الإعجاز [مما أشرت إليه في صدر هذا البحث]، و أخذ على بعض المعاصرين ممن كتبوا عن الصور البيانية في كتاب الله أنهم اقتبسوا كلام الجاحظ دون أن يشيروا إليه؛ و كأن القول من مبتكراتهم، و هذا في العلم غير حميد.

الرماني: دعت الحرية الفكرية في العصر العباسي نفرا من الناس أن يقولوا في كتاب الله ما يشاءون، و وجد الملاحدة منهم في كتاب الله ما يشفون به صدورهم من الإرجاف الكاذب، فهب المخلصون من حماة الإسلام يدافعون عن إعجازه بما يملكون من إقناع، فكتب الجاحظ عن نظم القرآن ما جعله موضوعا لقضية الإعجاز، و اقتفاه أبو بكر داود السجستاني ت ٣١٦ هـ، و أبو زيد البلخي ت ٣٢٢ هـ، و أبو بكر بن الأخشيد ت ٣٢٦ هـ، فتحدثوا عن الإعجاز في كتب تحمل عنوان (نظم القرآن) ثم جاء محمد بن يزيد الواسطي فتحدث عن إعجاز القرآن في كتاب جعله بعنوان (الإعجاز)، فكان أول من خالف عنوان النظم إلى عنوان الإعجاز، و لاقى عنوانه قبولا- لدى الدارسين، فكان موضع اختيار من كتبوا في الإعجاز من بعده و في طليعتهم الرماني ٣٨٦ هـ و الخطابي ٣٨٨ هـ و الباقلاني ٤٠٣ هـ، و غيرهم كثير، و إذا كان ما كتبه السابقون من قبل هؤلاء الثلاثة قد فقد و لم تظهر مخطوطاتهم بعد، فإننا سنخصهم بالحديث. كان الخطابي و الرماني متعاصرين كما يعلم من تاريخ وفاتهما، و لا نعلم أيهما سبق صاحبه في الحديث عن إعجاز القرآن و لكن قراءة الكتابين تدل على أن أحدهما لم يجد الآخر، بل لم يقرأ ما كتب، فإن التأثر مفقود تماما، لاختلاف المنحى، و إذا كان الرماني قد سبق صاحبه إلى لقاء ربه بعامين أو بأربعة على اختلاف الروايات فسأبدأ به.

لقد عمّر على بن عيسى الرماني دهرا طويلا قطعه في الدراسات العميقة حتى صار

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٥٨

علما من أعلام النحو في عصره، و قورن بأبي عليّ الفارسي، و كاد يرجحه عند قوم، و تأليفه في النحو على وجه التفريع و التقسيم الإكثار من المصطلحات كان واضحا في حديثه عن الإعجاز، إذ بدأ بتقسيم البلاغة إلى طبقات ثلاث، ثم ثنى بتقسيم مسائلها إلى

عشرة أقسام هي الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والتواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان، و أوضح كل قسم بما توسع فيه من الاستشهاد المتعدد، و يطول بنا القول لو تتبعناه في كل ما كتب، و لكننا نشير إلى ما ينبئ عن اتجاهه فحسب، فقد بدأ بالحديث عن الإيجاز فقسمه إلى إيجاز حذف وإيجاز قصر، فتابعه البلاغيون على اصطلاحه، و استشهد بمثل قول الله عز و جل وَ سَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ١٣ فقال:

«كأنه قيل حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص، و إنما صار الحذف في مثل هذا- يريد حذف جواب الشرط- لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، و لو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان فحذف الجواب في قولك «لو رأيت عليا بين الصفين» أبلغ من الذكر لما بيناه. ١٤

ثم تعرض للموازنة بين قول الله تعالى:

وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ١٥ و قول من قال (القتل أنفى للقتل) فأفاض على غير عاداته ليرد على من لغوا سفيها في هذا المجال. فكان أول من كتب في هذه الموازنة، و قد تبعه من جاء بعده و هم كثيرون، حتى جاء الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في هذا العصر فلم يدع مجالاً لقائل، أما ما كتبه في الاستعارة فقد كان أوضح نسيباً مما كتبه عن الإيجاز إذ تخلى عن الكزازة الضيقة في التعبير هناك. و تمثل لذلك بما ذكره عن قول الله عز و جل: إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وَ هِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ١٦ حيث قال: شهيقاً، حقيقته صوتاً فظيماً كشهيق الباكى، و الاستعارة أبلغ و أوجز، و المعنى الجامع بينهما قبح الصوت، «تميز من الغيظ» حقيقته من شدة الغليان بالاتقاد، و الاستعارة أبلغ منه و أوجز؛ لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس مدرك بما يدعو إليه من شدة الانتقام في الفعل، و في ذلك أعظم الزجر و أبلغ الوعظ، و أول دليل على سعة القدرة و موقع الحكمة، و منه: إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَ زَفِيرًا ١٧ أى تستقبلهم للإيقاع بهم استقبال مغتاض يزفر غيظاً عليهم، و كذلك قال الرماني عن قوله تعالى: فَضَرَبْنَا عَلَىٰ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٥٩

آذَانِهِمْ فِي الْكُفْهِ سِتْنِينَ عَدَدًا ١٨ حقيقته منعناهم الإحساس بآذانهم، و الاستعارة أبلغ لأنه كالضرب على الكتاب فلا يقرأ، كذلك المنع من الإحساس فلا يحس. و إنما دل على عدم الإحساس بالضرب على الآذان دون الضرب على الأبصار لأنه أدل على المراد من حيث كان يضرب على الأبصار من غير عمى فلا يبطل الإدراك أصلاً و ذلك بتغميض الأجفان، و ليس كذلك منع الأسماع من غير صمم في الآذان، لأنه إذا ضرب عليهما من غير صمم دل على عدم الإحساس من كل جارحة يصح بها الإدراك، و لأن الأذن لما كانت طريقاً إلى الانتباه ثم ضربوا عليها، لم يكن سبيل إليه». ١٩

و كذلك ما أتبع به قول الله عز و جل: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ٢٠ حيث قال: القذف و الدمغ هنا مستعار، و هو أبلغ، و حقيقته، بل نورد الحق على الباطل فيذهب، و إنما كانت الاستعارة أبلغ لأن في القذف دليلاً على القهر. لأنك إذا قلت: قذف به إليه، فإنما معناه، ألقاه إليه على جهة الإكراه و القهر، فالحق يلقي على الباطل فيزيله على جهة القهر و الاضطراب، لا على جهة الشك و الارتياب، و يدمغه أبلغ من «يذهب» لما في يدمغه من التأثير فهو أظهر في الكناية، و أعلى في تأثير القوة» ٢١.

كم يحتاج مثل هذا البيان الدقيق إلى تحليل ساطع كتحليل الإمام عبد القاهر لفيض من ضيائه ما قبضه التركيز المكتنز، و لئن فات الرماني أن يفيض بما يشرق من النور فقد أتاح لخلفائه أن يستريحوا لقوله في مكان مطمئن لا يرهقه عسر، إذ اعتمد أبو هلال و ابن سنان و عبد القاهر و ابن الأثير و ابن رشيق على الكثير من خطراته الدقيقة، و أوسعوها تحليلاً و تفصيلاً، كل حسب منحاه و بذلك صار الرماني علماً من أعلام البيان، و إن لم يؤلف في هذا العلم رأساً بل جاء حديثه فيه خاصاً بكتاب الله.

و قد طبع كتاب الرماني في النحو و فيه إشارات مقتضبة عن الإعجاز حين يستشهد بآية كريمة، فإذا أضيفت هذه الإشارات إلى ما كتبه في رسالته الخاصة بالإعجاز فإنها تفصح عن نظر دقيق.

الخطابي: أبو سليمان الخطابي من أعلام المحدثين في عصره، و هو إمام سني نافح عن مذهبه فيما ترك من آثاره، وقد كتب رسالة (إعجاز القرآن) ليرد على الطاعنين من وجهة نظره، فجاء رده سلسا فصيحاً لا- يحوج القارئ إلى بعض العناية كما أوجته رسالة الرماني، وقد هدف إلى تحديد عناصر الإعجاز في كتاب الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٦٠

اللّه مقداً ذلك بتمهيد يتحدث عن قضية الذوق الأدبي، ومدى الاستناد إلى ارتياح الناس له دون تحديد، فقال: «و زعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة، و وجدت عامه أهل هذه المقالة، قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد و ضرب من غلبة الظن دون التحقيق له، و إحاطة العلم به، و لذلك صاروا إذا ما سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات، و عن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة، قالوا إننا لا يمكننا تصويره و لا تحديده بأمر ظاهر نعلم مبيته القرآن غيره من الكلام، و إنما يعرفه العالمون عن سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده ...

و قد توجد لبعض الكلام عذوبة في السمع و هشاشة في النفس، لا توجد مثلها لغيره، و الكلامان معا فصيحان ثم لا يوقف لشيء من ذلك على علة. قلت: و هذا لا يقنع في مثل هذا العلم، و لا يشفي من داء الجهل به، و إنما هو إشكال أحيل به على اتهام». ٢٢

فأنت تراه لا- يجعل الارتياح النفسي بعض أسباب الاستحسان الأدبي إلا إذا قرن بتعليل و دليل، و هذا ما نهض للإجابة عنه حين تحدث عن أسلوب القرآن، فذكر «أن أجناس الكلام مختلفة، و مراتبها في نسب البيان متفاوتة، فمنها البليغ الرصين الجزل، و منها الفصيح القريب السهل، و منها الجائر المطلق المرسل، و هذه أقسام الكلام الفاضل المحمود، دون النوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة، فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام و أرفعها، و القسم الثاني أوسطه و أقصده، و القسم الثالث أدناه و أقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حفته، و أخذت من كل نوع من أنواعها بشعبه، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة و العذوبة، و هما على الأفراد في نوعيهما كالمضادين، لأن العذوبة نتاج السهولة، و الجزالة و المتانة في الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة. فكان اجتماع الأمرين في نفسه، مع نبو كل منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن، يسرها الله بلطف قدرته من أمره، لتكون آية بينة لنبيه، و دلالة على صحة ما دعا إليه من أمر ربه. ٢٣

و هذا كلام جيد. و الذين تعرضوا له بالتحليل فهموا منه أن الجزالة و العذوبة يجتمعان في القرآن معا: كل في موضعه على انفراد، بحيث تكون آية عذبة، و آية جزلة، وفق ما تقتضى المعاني: و لكنني أفهم منه ما يدل على امتزاج الرقة بالجزالة في تعبير واحد. و هو ما فصلت الحديث عنه في

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٦١

موضع آخر ٢٤ هذه ناحية، أما الأخرى، فقد قال الخطابي: إن الأسلوب الأدبي يعتمد على ثلاثة أشياء: لفظ حامل، و معنى قائم به، و رباط له، فإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف و الفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح و لا أجزل و لا أعذب من ألفاظه، و لا- ترى نظماً أحسن تأليفاً، و أشد تلاؤماً و تشاكلاً من نظمه، أما المعاني فلا خفاء على ذي عقل، أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، و الترقى إلى أعلى درجات الفضل نحو نوعيتها و صفاتها، و قد توجد هذه الصفات على التفرق في أنواع الكلام، أما أن تكون مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، فتفهم الآن و اعلم أن القرآن صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن مضمون التأليف مضمناً أصح المعاني. و هذا ما بسطه الخطابي إلى أن قال: ٢٥ «أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة و الحدق فيها أكثر لأنها لحام الألفاظ، و زمام المعاني، و بها تنتظم أجزاء الكلام، و يلتئم بعضه فوق بعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان».

و ذلك قول يحدد نظرية النظم، كما أتى بها عبد القاهر في (دلائل الإعجاز) تحديداً تتضح به المعالم المتفرقة في أشتات من قول الجاحظ و من تلاه، و لئن أعوزنا أن نثبت اطلاع عبد القاهر على ما كتب الخطابي، فذلك لا يمنع القول باهتمام الخطابي إلى أصل



قوى من أصول الإعجاز، نهضت عليه صروح أقامها المخالفون، بعد أن وضع ثابت الأساس، وقد وُجّهت بعض الاعتراضات المغرضة إلى النصوص التعبيرية في القرآن فهض الخطابى للرد عليها، وأفرد لها جزءا من رسالته، شأنه في ذلك شأن ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن)، ولكنه توسع عنه في التعبير لأن تأخره الزمنى أتاح له ما لم يتح لسابقه.

فمما توجهت الشبهة به إلى اللفظ، وقوف المعترضين عند قوله تعالى: فَأَكَلَهُ الذُّبُّ. ٢٦ زاعما أن كلمة افترس أصح من كلمة «أكل» إذ أن الافتراس خاص بالسباع، أما الأكل فيعم كل آكل من الحيوان والإنسان، وهو اعتراض تردد أيام الجاحظ، وأجاب عنه بألمعيته المشهورة، وجاء الخطابى فأدلى بدلوه في الدلاء حين قال:

«إن الافتراس معناه في فعل السبع، القتل فحسب، وأصل الفرس دق العنق، والقوم إنما ادعوا على الذئب أكله أكلا، إذ أتى على الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٦٢

جميع أعضائه، فلم يترك مفصلا ولا عظما، وذلك أنهم خافوا مطالبه أبيهم إياهم بأثر باق يشهد بصحة ما ذكره، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطى تمام المعنى، فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل» ٢٧. وأخذ الخطابى يؤيد قوله بشعر العرب وحديث الرسول مما تكفى الإشارة إليه، وأمثلة كثيرة دفع الاعتراض عنها الخطابى دفعا قويا، وبخاصة ما ذكره في باب التشبيه عن اعتراض المعترض لموضع التشبيه في قوله تعالى: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ٢٨ فقد ذكر ثلاثة ردود قالها المفسرون من قبل. ولكنه جلاها أحسن تجلية، فنكتفى بالإشارة بها، منتقلين إلى رده على اعتراض من قال في قوله تعالى: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ٢٩ أن دخول الباء على كلمة إلحاد لا يفيد جديدا، فرد الخطابى قائلا: إن الباء زائدة- يعنى زيادة إعراب فقط لا زيادة معنى كما هو معروف.

والباء قد تزداد في مواضع من الكلام، واستشهد بأبيات تدل على الزيادة، وكان عليه أن يذكر المراد من هذه الزيادة في تقوية المعنى، ولا يكتفى بالمنحى الإعرابى، فالباء هنا تدل على القصد والتعمد وسبق التصميم مما يجعل صاحب الإلحاد مندفا بجراًه و سطوة، وكأن الأمر قد شغل عليه نفسه، وجعله كل مراده ومبتغاه، هذا ما كان على الخطابى أن يشير إليه، ولعله تركه لفظنة القارئ، ولكن كيف؟ وهو في مجال الدحض والتفنيد؟

الباقلانى: أول كتاب مستقل بالإعجاز وصل إلينا هو كتاب (إعجاز القرآن) للباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ وهو عالم متكلم نظار، له مجالس مناظرة وجدل تدل على موهبة قوية في الحوار، و كتابه عن الإعجاز يقدم صوراً من جدله العلمى، بدأه بذكر الملاحظة وما خاضوا فيه من جدل حول كتاب الله اضطره للرد عليهم، ونقد الجاحظ بأنه لم يأت بشيء جديد في كتابه (نظم القرآن) حيث ردد أقوال المتكلمين من قبله، ثم أنحى باللوم على من قالوا: إن الإعجاز بالصرفة. فاهما من الصرفة ما فهمه الكثرة من العلماء دون ما أشرنا إليه من قبل، ويرجع بالإعجاز إلى أشياء منها إخباره بالغيب، وما وقع من قصص الأنبياء السابقين مما روته الكتب السابقة، مع أن رسول الله كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وقد فاته أن بعض القصص النبوية لم تأت بها الكتب السابقة مثل قصص صالح وهود ومائدة عيسى فمن أين جاء بها الرسول إن لم تكن من عند الله؟! ثم ركز على الركن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٦٣

الأ-كبر من الإعجاز وهو بلاغته الساطعة، إذ جاء القرآن ببديع النظم متناهما في البلاغة إلى الحد الذى يعلم عجز الخلق عن الإتيان بمثله، وقد ذكر الدكتور شوقى ضيف «أن الباقلانى متأثر بالجاحظ فيما ذهب إليه من أن مرجع الإعجاز إلى نظم القرآن المخالف لأساليب العرب نثراً وشعراً، كما أنه متأثر بالرماني فيما ذهب إليه من أن القرآن يرتفع إلى أعلى طبقات البلاغة» ٣٠- وقد أشرنا لذلك من قبل، كما أن المؤلف تحدث عن أطراد البلاغة في القرآن دون تفاوت ولا تباين بخلاف كلام الفصحاء الذى يوجد فيه التفاوت والاختلاف، وقد فرق بين الفاصلة والسجع بما كان موضع نقاش للدارسين من بعده، وألم بفنون البديع من المطابقة والتكافؤ والجناس والاعتراض والتذييل، وانتهى إلى أن الوقوف على الإعجاز لا يتأتى إلا لمن عرف وجوه البلاغة العربية وتكونت

لديه ملكة يقيس بها الجودة و الرداءة في الكلام فيستطيع أن يفرق بين الشعراء و الأدباء فرقا دقيقا بما وهبه الله من هذه الملكة، و في حديثه عن التفاوت يعرض قصائد لامرئ القيس و البحترى عرضا مسهبا ليظهر تفوق القرآن عليها. و يخيل إلّى أنه لم ينته إلى الصواب في ذلك. لأن المقارنة لا تقوم على وجهها الأصيل إلا إذا اتحد الموضوع في غرضه، و لا يوجد اتحاد بين الكتاب المبين و ما تعرض له الشعراء من الأغراض، و لست أنكر تفوق الأسلوب القرآني على هذه القصائد و غيرها، و إنما أنكر أن تكون هذه الموازنة دقيقة في اتجاهها النقدي.

و أكبر ما اهتدى إليه الباقلاني هو نقده لمن قال إن فنون البديع تدل على وجه الإعجاز، إذ لا قيمة لهذه الفنون وحدها دون ملكة قوية تكون هي الحكم في الترجيح، و للباقلاني في كتابه الكبير مواقف ممتازة في التحليل الأدبي، و مواقف أخرى تعجله السرعة عن الإتمام بما يشفى حاجة القارئ و ستمثل لكل من الاتجاهين، فهو قد وفق حين مثل بقول الله عز و جل: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٣١ حيث قال: «وجه الوقوف على شرف هذا الكلام أن تتأمل موقع قوله: «همت كل أمة برسولهم ليأخذوه» فهل تقع في الحسن موقع قوله ليأخذوه كلمة، و هل تقوم مقامه في الجزالة لفظه، لو وضع موضع ذلك «ليقتلوه أو ليرجموه أو لينفوه أو ليطردوه أو ليهلكوه أو ليدلوه و نحو هذا ما كان ذلك بعيدا و لا بارعا ... فإن كنت

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٦٤

تقدر أن شيئا من هذه الكلمات التي عددناها عليك أو غيرها لا تقف بك على عرضنا من هذا الكتاب، فلا سبيل إلى الوقوف على تصاريف الخطاب، فافزع إلى التقليد، و إن فطنت فانظر إلى ما قال من رد عجز الخطاب إلى صدره بقوله فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (غافر: ٥) ثم ذكر عقبها العذاب في الآخرة، و أتلاها تلو العذاب في الدنيا على الإحكام الذي رأيت» ٣٢.

فالباقلاني هنا يعلل و يحلل و يسلك سلك أهل مذهبه الكلامي في الأخذ و الرد، و كنا نود أن يسلك هذا المسلك في كل ما يمثل به من الآيات، و لكن نشاطه يفتر حين يمتد به القول دون راحة ذهنية- كما أعلل ذلك- فلا تكاد تخرج منه بطائل، و أمثل لذلك بما استشهد به من قول الله: فَالِقَ الْأَصْبَاحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٣٣ حيث قال: انظر إلى هذه الكلمات الأربع التي ألف بينها و احتج بها على ظهور قدرته، و نفاذ أمره، أ ليست كل كلمة منها في نفسها غرة، و بمفردها درة، و هو مع ذلك يبين أنه يصدر عن علو الأمر، و نفاذ القهر، و يتجلى في بهجة القدرة، و يتحلى بخالصة العزة، و يجمع السلامة إلى الرصانة، و السلاقة إلى المتانة، و الروتق الصافي، و البهاء الضافي» ٣٤ فهذا القول و شبيهه مما تركته للاختصار يمكن أن يقال تعليقا لآيات كثيرة تماثلها دون فارق، و المفسر المحلل لا يلجأ للعبارات العامة في نص يحلله، لقد كان عليه أن يبين موقع الحسن في كل كلمة تنفرد بنفسها بدل أن يطلق القول إطلاقا، و إذا اتسع له الأمد لتفضيل كلمة (ليأخذوه) في النص السابق، فلما ذا لم يقف وقفاته البارعة عند كلمات «فالق» أو «سكنا» أو «حسبانا»، و إنصافا للرجل أذكر إصابته الدقيقة في تحليل بعض السور القرآنية نسبيا تحليلا متكاملا كما صنع بسورتي غافر و النمل، و أجزاء طويلة من سورة فصلت، إذ أخذ يعرض آيات السورة الواحدة متنقلا بين معانيها، و محاولا- الربط بين أجزائها و هو اتجاه شامل يتعدى الكلمة في الآية و الآية في الآيات إلى بناء السورة جميعها، حيث تنهض عملا أدبيا مستقلا في ذاته.

و قد كان الباقلاني موقفا حين ذكر طائفة من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم و خطبه و رسائله، ليثبت الفارق الواضح بين قوله عليه السلام، و ما جاء في كتاب الله من الإعجاز، و هو اتجاه سديد، لأنه يدحض حجة من نسبوا القرآن إلى رسول الله من الملاحظة مرددين قول المشركين من قبل: إنه افتراه، و لو نشاء لقلنا مثل هذا. فلو كان القرآن مفترى من الرسول لتشابه الحديث مع الكتاب في الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٦٥

بيانها الأدبي، كما أنهم حين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا لم يكونوا صادقين إذ لو استطاعوا القول المماثل لقالوه، و قد جاء الباقلاني

في ذلك بما يصلح أن يكون توجيهها سديدا لتأليف كتاب يبين خصائص الإعجاز القرآني و الإبداع المحمدي.

وقد تحدث بعض الدارسين عن موقف الباقلائي من السجع القرآني، إذ نفاه نفيا تاما لأنه في رأيه قد يكون زيادة للفظ دون حاجة إليه، وهذا ما يتنزه عنه القرآن، مع أن القائلين بالسجع في القرآن، يذهبون إلى أنه السجع المحكم الذي لا يكون به زيادة ما، فالجهة منفكة كما يقول المناطقة.

الشريفان: وأقصد بهما الشريفين الرضي و المرتضى، و هما أخوان بارعان تحدثا عن الإعجاز القرآني كثيرا، فأفاضوا في ذكر أسبابه، و تعدد فنونه، و لكنهما يختلفان منهجا، فالرضي شاعر أديب يعتمد على الذوق الحساس، و البيان الطلق، و المرتضى يشاركه الشعر و الأدب، و لكنه نظار متكلم يعتمد على دفع الحجة، و معارضة الخصم، و ترتيب الأدلة، فهما يمثلان في تفسير الإعجاز مذهبين مختلفين، و يتركان للدارس مجالاً فسيحاً للموازنة و التحليل، و لا أدري كيف سكت كثير من الدارسين عن إيضاح مقامهما في دنيا الإعجاز البياني، و كتبهما ذائعه مشتهرة، و لعل ذلك أدعو إلى دراستهما من يريد أن يضيف الجديد.

و في مجال التمثيل لوجهة الشريف المرتضى في التفسير العلمي لبعض الآيات الكريمة، أنقل عن (أماليه) ما ذكره في تأويل قوله تعالى فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ٣٥ مقابلاً ذلك بقول الله عز و جل في موضع آخر وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ٣٦ مشيراً إلى أن الثعبان في الآية الأولى هو الحية العظيمة الخلق، و الجان في الآية الثانية هو الصغير من الحيات، فكيف يجتمع الصغر و الكبر في شيء واحد؟ و للإجابة عن ذلك قال المرتضى ٣٧ عدة ردود نذكر منها: أن الآيتين ليستا حديثاً عن قصة واحدة بل هناك حالتان مختلفتان، إذ أن الحال التي جعلت العصا فيها بصفة الجان، كانت في ابتداء النبوة قبل أن يذهب موسى إلى فرعون، و الحالة الثانية التي صارت فيها العصا ثعباناً كانت عند لقائه فرعون و إبلاغه الرسالة، فلا اعتراض. ثم يرى المرتضى أن الظن يذهب إلى أن الموقف واحد، و ليس بموقفين، مع أن الله قد حسم الأمر حين قال: فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ ٣٨ فدلّ على

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٦٦

اختلاف الموقف، و لكنه من باب إرخاء العنان للمجادلة، على طريقة المتكلمين. تابع النظر فقال: و على افتراض اتحاد الموقف، فإن الله تعالى شبه العصا بالثعبان في الآية الأولى لعظم الخلق، و كبر الجسم، و هول المنظر، و شبهها في الآية الثانية بالجان لسرعة الحركة و النشاط و الخفة، فاجتمع لها نشاط الصغير و سرعة حركته مع هول الكبير و روعة منظره، و هذا أبهر في باب الإعجاز، و أبلغ في خرق العادة و لا تناقض معه لأن وجه الشبه مختلف في الآيتين، و لا يجب أن يكون المشبه مماثلاً للمشبه به في كل الوجوه بل يحوز من الصفات ما يدل على شيء جامع لا على كل متفق. و كأن المرتضى في نقاشه الجدلي لم يكتف بالرايين السابقين بل عمد إلى رأى ثالث خلاصته أن المراد في الآية بالجان هو أحد الجن لا الحية الصغيرة، فكأنه تعالى أخبر بأن العصا صارت ثعباناً في الخلق، و عظم الجسم، و كانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر و الإفزع، فكأن وجه الشبه المختلف قد كان سبب ما يظهر من الاختلاف، و قد يجوز أن تكون العصا قد ظهرت أولاً بصفة الجان ثم انقلبت إلى صفة الثعبان و هو رأى رابع ساقه المرتضى، و أعقبه بأن هذا التأويل يجعل الحكم متفقاً في الآيتين، و هو ما يبطل اعتراض المعترض. على هذا النحو من التفرغ و التشقيق و توهم الاعتراض ثم الإجابة عليه بعدة وجوه، سار الشريف المرتضى فيما تعرض له من تخريج الآيات الموهمة للاعتراض.

أما الشريف الرضي في كتبه البيانية فقد خالف هذا المنحى فلا تهمه أن يتبع الردود لينقضها، بل يهيمه الشرح البياني المشرق لآيات الإعجاز القرآني، و قد يرد على قول سابق دون أن يشير إلى اسم صاحبه. و لكنه يقول في اقتضاب: «بطل قول من قال»، و قد تعقب الرماني في آيات كثيرة، و أبدى ما يخالف وجهة نظره، و هذا في أدب النقد الملتزم دون تجريح نهده لدى بعض الدارسين.

كما أن الشريف الرضي قد تتبع في كتابه (تلخيص البيان في مجاز القرآن) سور الكتاب العزيز، سورة سورة، إلا بعض القصار التي خلت من صور البيان و اعتمدت على الحجة المقنعة، و الإلزام المفحم، و أضرب المثل لما عقب به على قول الله عز و جل: وَ تَقَطَّعُوا



أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ٣٩.

قال: ٤٠ هذه استعارة، والمراد بها أنهم تفرقوا في الأهواء، و اختلفوا في الآراء، و تقسمتهم المذاهب، و تشعبت بهم الولائج، و مع ذلك فجميعهم راجع إلى الله سبحانه و تعالى على أحد وجهين: إما أن يكون ذلك الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٦٧

رجوعا في الدنيا فيكون المعنى أنهم و إن اختلفوا في الاعتقادات صائرون إلى الإقرار بأن الله- سبحانه و تعالى- خالقهم و رازقهم و مصرفهم و مدبرهم، أو يكون ذلك رجوعا في الآخرة فيكون المعنى أنهم راجعون إلى الدار التي جعلها الله- تعالى- مجال الجزاء على الأعمال، و موفى الثواب و العقاب، و إلى حيث لا يحكم فيهم و لا يملك أمرهم إلا الله- سبحانه و تعالى، و شبه تخالفهم في المذاهب، و تفرقهم في الطرائق- مع أن أصلهم واحد، و خالقهم واحد- يقوم كانت بينهم وسائل متناسجة، و علائق متشابهة، ثم تباعدوا تباعدا قطع تلك العلائق و شذب تلك الوصائل، فصاروا أصنافا مختلفين.

فهذا تحليل أدبي يبعد بالكتاب عن جفاف المنطق الصارم، و له أمثاله، بل ما يزيد عنه كثيرا، لأنى لو نقلت النصوص التامة لتعليقاته الأدبية البارعة لضاق نطاق القول، و حسبى أن ألفت إلى ما تعرض له في مثل قول الله:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ٤١ و قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٢ و قوله: وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ ٤٣ فقد سبق إلى تحليل كان ابن بجدته، و دل على صدق استشفاف، و لطافة اتجاه، و أذكر أنى وضحت ذلك تماما فيما كتبت عنه تحت عنوان (منحى الشريف الرضى) فى كتابى (خطوات التفسير البيانى) و منه اقتبست ما جاء عن الشريفين- رحمهما الله.

عبد القاهر و دلائل الإعجاز: نشأ عبد القاهر نحويا إذ تعمق فى مسائل النحو تعمقا لم يصل إليه من سبقه، و قد رأى أن النحو قد حيد به عن الطريق الأمثل حين قصره بعض دارسيه على ضبط أواخر الكلمات، و ما يخصها من إعراب و بناء، مع أنه فى رسالته الحقيقية علم يؤدى إلى المعرفة الصحيحة لتركيب الجمل و بناء الأساليب، و بالوقوف على ذلك يتسنى للدارس أن يعرف بلاغة الأسلوب، و من هنا كان الأسلوب القرآنى و هو أرفع نماذج الأدب العربى موضع التحليل البيانى المفصلى إلى تأكيد الإعجاز، و قد اطلع على ما قاله سابقوه، و أفاد منه ليقم على أساسه ما عرف بقضية النظم، و جعل فى خطواته الأولى يتساءل عن الكلمات المفردة هل هى سر الإعجاز؟ و نفى ذلك لأن الكلمات المفردة شائعة لجميع الكتاب،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٦٨

و معانيها لا تزيد و لا تنقص، فلا بد أن يكون هناك سر آخر، و تساءل عن تركيب الحركات و السكنات فى الجملة القرآنية، فنفى أن يكون ذلك هو السر المنشود، فإذا لم تكن المقاطع و الفواصل سر الإعجاز فإن ما تضمنه كثيرا من الاستعارات و أوجه البيان لا يقدم هذا السر أيضا، و والى البحث نافيا كل احتمال لا يثبت للنقاش حتى اهتدى إلى أن السر فى نظم القرآن، و ليس النظم شيئا عن غير توخى معانى النحو و أحكامه، و ذلك ما قام عليه كتابه (دلائل الإعجاز)، و قد قال فى تقرير ذلك:

«اعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم فى الكلمة و لا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، و يبنى بعضها على بعض، و تجعل هذه بسبب من تلك، و هذا ما لا يجله عاقل، و لا يخفى على أحد من الناس. و إذا كان كذلك، فبنا إلى التعليق فيها و البناء، و جعل الواحدة منها بسبب من صاحبها؛ ما معناه و ما محصوله؟

و إذا نظرنا فى ذلك علمنا ألا محصول لها غير أن تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خيرا عن الآخر، أو تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا أو مفعولا، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثانى صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثانى صفة أو حالا أو تمييزا، أو تتوخى فى كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيًا أو استفهاما أو تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعه

لذلك ... و على هذا يكون القياس» ٤٤ و إذن فنظم الكلام وفق قواعد النحو هو مدار الإبداع في التركيب، و الألفاظ لا تتفاضل باعتبارها ألفاظاً مجردة إنما تثبت لها الفضيلة و خلافها في ملاءمة معنى اللفظة لجاراتها، و فضل مؤانستها لأخواتها، و هل قالوا لفظة متمكنة، و في غيرها قلقه إلا و غرضهم أن يعبروا بالتمكين عن حسن الاتفاق بين هذه و تلك من جهة معناها و بالقلق و النبو عن سوء التلازم.

و يزداد هذا المعنى وضوحاً بالتمثيل فقد عمد الجرجاني إلى قوله تعالى: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيصَ الْمَاءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٤٥ فشرح الآية الكريمة و جلاها تجليته زاهية حين قال:

«إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها، و أفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه و هي في مكانها من الآية قل (ابلع) و اعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها و إلى ما بعدها، و كذلك فاعتبر سائر ما يليها، و كيف بالشك في ذلك؟ و معلوم أن مبدأ العظمة أن نوديت

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٦٩

الأرض ثم أمرت، ثم أن كان النداء بيا دون أي نحو يا أيتها الأرض، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: ابلعي الماء، ثم أن أتبع نداء الأرض و أمرها بما هو من شأنها نداء السماء و أمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل «و غيص الماء» فجاء الفعل على صيغة فعل، الدالة على أنه لم يغيص إلا بأمر آمر، و قدرة قادر، ثم تأكيد ذلك و تقريره بقول الله:

وَقُضِيَ الْأَمْرُ، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور و هو وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ، ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة، و الدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة «قيل» بقيل في الفاتحة، أفتري لشيء من هذه الخصائص، التي تملؤك بالإعجاز روعه، و تحضرك عند تصورها هيبه تحيط بالنفس من كل أقطارها، تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت «مسموع»، و حروف تتوالى في المنطق، أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب». ٤٦

و الكتاب مليء بالشواهد الباهرة في قضايا الأسلوب القرآني من ذكر و حذف، و تقديم و تأخير، و وصل و فصل، مما كان بذرة قوية لعلم المعاني، و لو سلك المتأخرون سبيل عبد القاهر في هذا الاستشفاف الباهر لأراحوا من عناء كثير، و نتبع المثال السابق بمثال آخر ساقه الجرجاني في تحليل قوله تعالى عن موسى عليه السلام مع إيضاح ما في النص الكريم من حذف للمفعول به أيضاً مما يدل على نباهة فكر، و دقة ذوق:

قال تعالى: وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَقِيمُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ. ٤٧

قال عبد القاهر: «إن أردت أن تزداد تبينا لهذا الأصل أعني وجوب أن تسقط المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله، و لا يدخلها شوب، فانظر إلى الآية ففيها حذف مفعول في أربعة مواضع، إذ المعنى وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم، و امرأتين تذودان غنمهما، و قالتا لا نسقي غنمنا، فسقى لهما غنمهما، ثم إنه لا يخفى على ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره، و يؤتى بالفعل مطلقاً، و ما ذاك إلا- أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقى، و من المرأتين ذود، و أنهما قالتا: لا يكون منا سقى حتى يصدر الرعاء، و أنه كان من موسى عليه السلام من بعد ذلك سقى، فأما ما كان من المسقى أغنما أم إبلا- أم غير ذلك، فخارج عن الغرض و موهم لخلافه، و ذلك إنه لو قيل: وجد من دونهما امرأتين تذودان غنمهما جاز أنه لم ينكر الذود من

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٧٠

غنم، حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود، كما أنك إذا قلت: مالك تمنع أخاك؟

كنت منكرا المنع لا من حيث هو منع، بل من حيث هو منع أخ، فاعرفه تعلم أنك لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة و

الحسن ما وجدت، إلا لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جلية، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه». ٤٨  
هذا التحليل لا يملكه إلا باحث ذواق مثل عبد القاهر، وقد جاء بعده من حاولوا أن ينهجوا في الحديث عن أبواب المعاني من حذف و ذكر و تقديم و تأخير و غيرها، لكنهم لم يرزقوا موهبته، فكتبوا كثيرا مما اعترض عليه، هذه ناحية.  
- أما الناحية الثانية فإن الاهتمام بالآية و الآيتين كلمات و حروفا؛ دون نظر إلى الموضوع جميعه، و الارتباط الوثيق بين الآيات المتصلة؛ جعل النظر جزئيا لا كلياً، و قد آن لنا أن ننظر إلى النص باعتباره وحدة متماسكة دون أن نقتصر على الجملة و الجملتين، و الآية و الآيتين.

- و أبرز من اهتدى إلى طريقة الجرجاني هو: الزمخشري في (كشافه) مع الفرق بين أسلوب الأديب و ترسيه عند عبد القاهر، و أسلوب العالم و دقته- و لا أقول كزازته- عند الزمخشري، على نحو ما سأشير إليه الآن.  
الزمخشري: إذا كان عبد القاهر قد اختار من آيات الكتاب المبين ما يكشف عن منحاه البياني، و يخدم قضية الإعجاز التي سمي كتابه بها، فإن الزمخشري قد فسّر القرآن كله آية آية ليسير في ضوء عبد القاهر و إن لم يعترف بذلك فلم يذكر اسمه صريحا بين أسماء من حشرهم في مقدمة الكتاب، و قد اكتفى بإشارة بعيدة إلى بيت شعر قاله، و العجب أن يشير إليه شاعرا دون أن يشير إليه فاتحا أهم ميادين البيان! و هذا يتطلب التعليل ..

نعرف أن الزمخشري كان معتزليا، و قد بذل جهده في تعضيد مذهبه، حين تعرض لتفسير الآيات المتصلة بعلم الكلام و قد مثلت لذلك فيما كتبه عنه في كتابي (خطوات التفسير البياني) و أرى من ضيق المقام أن أتجاوز ذلك إلى نقول تدل على حسن ذوقه، و قوة استشفافه البياني مع ما تدل عليه من منهجه الأسلوبى إذ جعل التقرير البياني في هيئة سؤال و جواب كأن يقول فإن قلت ...، قلت. و هي طريقة لا يفسح معها مجال الإشباع الأدبي، كما اتسع أمام عبد القاهر.  
و مما نختاره من دلائل نفاذه في التفسير البياني، ما ذكره في تأويل قول الله عز و جل:

وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٧١

فَفَسَّقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا ٤٩ حيث قال:

«الأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا، و هذا لا يكون فيبقى أن يكون مجازا، و وجه المجاز، أنه صب عليهم النعمة صبا، فجعلوها ذريعة للمعاصي و إتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه. و إنما خولهم إياها ليشكروا و يعملوا فيها الخير، و يتمكنوا من الإحسان و البر كما خلقهم أصحاب أقوياء، و أقدرهم على الخير و الشر. و طلب منهم إثارة الطاعة على المعصية فأثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول. و هو كلمة العذاب فدمرهم» ٥٠.

ثم يكر الزمخشري على رأى ذائع فينقضه بقوله: «هلمّا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا» قلت: إن حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف بحذف ما الدليل قائم على نقيضه، و ذلك أن الأمر به حذف لأن فسقوا يدل عليه، و هو كلام مستفيض، يقال: أمرته فقام و أمرته فقرا، فلا يفهم منه إلا- أن المراد به قيام و قراءة، و لو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب» ٥١، ثم يفيض المفسر الكبير فيما يؤيد رأيه؛ ذاكرا من الأمثلة ما يدل على مهارة و اقتدار، فإن كان طابع المنطق يطغى على عبارته، و لو تجاوز هذا الطابع الجدلي الصارم لكان كلامه نمطا من التفسير البياني يقارب نمط الشريف و عبد القاهر، فيخرج من هذه الحدود إلى فضاء فسيح، و إذا كان الزمخشري لم ينس نصيب النحو فيما تصدى له من تفسير آيات الكتاب المبين فإن نصيب البيان قد تجلى بوضوح سافر في أكثر ما كتب؛ مما يكشف لبعض الدقائق الخافية في أسرار التأويل، و أمثل لذلك بما ذكره في تفسير قول الله عز و جل: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ٥٢.

قال: اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا، و تركيبه من حروف القشع، و هو الأديم اليابس مضموما إليه حرف رابع و هو الراء ليكون

رباعيًا و دالا على معنى زائد يقال:

اقشعر جلده من الخوف، وقفّ شعره و هو مثل في شدة التخويف، فيجوز أن يريد به الله تعالى التمثيل تصويرا لإفراط خشيتهم. و أن يريد به التحقيق» ٥٣، و لم أجد من خص كلمة قشع بهذا التحليل قبل الزمخشري، و هو مما يدل على شدة إحساسه بمعاني الحروف قبل إحساسه بمعاني الكلمات.

و نظير ذلك ما ذكره من الفرق بين مرضع و مرضعة عند تفسيره لقول الله عز و جل:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٧٢

يَوْمَ تَرُؤْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ٥٤ حيث قال:

«فإن قلت: لم قيل مرضعة دون مرضع، قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، و المرضع التي من شأنها أن ترضع و إن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه، و قد ألقمت الرضيع ثديها نزعتة عن فيه لما يلحقها من الدهشة» ٥٥.

و من دقائق ما التفت إليه الزمخشري ما ذكره عن تفسير قول الله عز و جل: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ٥٦. حيث قال:

«فإن قلت: أى فرق بين (و ظنوا أن حصونهم تمنعهم) و بين النظم الذى جاء عليه؟ قلت:

في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها، و منعها إياهم، و فى تصيير ضميرهم اسما و إسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة و منعة لا يبالي معها بأحد يتعرض إليهم، أو يطمع فى منازلهم، و ليس ذلك فى قوله: «و ظنوا أن حصونهم تمنعهم». ٥٧

هذه لفتات أدبية رائعة تصور إحساس الزمخشري بالإعجاز القرآنى فى كل منحنى من مناحيه، كلمة أو جملة أو تقديما أو تأخيرا، و قد ظهرت مؤلفات خاصة بتفسير الكشاف وضحت هذه المعانى بما لا مزيد عنه، و لو امتد هذا الإحساس الأدبى لدى الذين نقلوا عنه من المفسرين، لواصلوا السير على نمطه، و لكن كل ميسر لما خلق له. و حسبه أنه أعطى فأجزل العطاء.

تراجع: كان انتهاء القرن الخامس الهجرى مؤذنا بتراجع ملموس فى النشاط الابتكارى بالدراسات العلمية و الإبداع الأدبى معا، و قد شمل ذلك دراسات الإعجاز القرآنى حيث لم تعد مدا متواصلًا يحفل بالجديد، بل وقفت إلى ما انتهى إليه السابقون، و زادت عليه أن غمرتها الخصائص المنطقية، و كان الفخر الرازى أول من انتقل بها من مجالها البيانى إلى تقسيمات المناطق، حين ألف كتابه (نهاية الإعجاز فى دراية الإيجاز)، فاستعان بالمنطق فى تشعب المسائل و تفرعها، و الإحاطة بالأصول و الفروع غير ملتفت إلى جمال النص و روعة الأسلوب، بل أصبحت القواعد الجافة، مجال تأملاته و موضع اهتمامه، و كأنه يكتب عن فلسفة و منطق و نحو و صرف لا عن بيان

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٧٣

و ذوق و فن، و هذا أيضا نهجه فى التفسير الشهير الذى حاز الصيت البعيد، إذ حفل بثمار الثقافة الإسلامية فى عصره منطقا و أصولا و فلسفة و توحيدا و جدلا لتكون هذه الثمار أدوات لتوجيه الاعتراض و دفعه، فتحول التفسير إلى دائرة معارف علمية. ثم جاء البيضاوى فاقتبس منه طريقته مع إيجاز بالغ دعا كثيرا من المؤلفين إلى كتابة الحواشى على تفسيره ليذكروا أكثر ما قرره الرازى! و هكذا لم يجد الإعجاز من أصحاب الذوق البيانى فى هذا الخضم المتسع من يأخذ بناصره؛ لأن السكاكى قد تصدر للتأليف فى علوم اللسان و منها علم البلاغة فقعيد القواعد، و اهتم بالفروع، و قد قرأ كتاب عبد القاهر و انتفع به، و لكنه لم يمض فى منحاه الأسلوبى، بل جعل ما بسطه الجرجانى مقننا فى تعريفات و أقسام جنت على النص الأدبى، و قد ظهر فى هذا العصر من استطاع أن يتجافى طريقة الرازى فى

الشرح البياني وهو ابن أبي الأصعب ت ٦٥٤ هـ حيث قصر كتابه الكبير «بديع القرآن» على ما استحسنته من مظاهر الألوان البلاغية من استعارة و تشبيه و مجاز و طباق و تجنيس و تورية و كناية و تعريض و اختراع أسماء أخرى لم تكن من قبل حتى عدّ من ألوان البديع مائة و تسعة كان من الممكن أن تتداخل فلا تتسع إلى هذا الأمد، وقد كان ابن أبي الأصعب أدبيا شاعرا و لكنه نشأ في عصر التقليد فلم ينج من أوهاقه، و كانت ضروب البديع مهوى الشعراء و الباحثين في النقد الأدبي فاختصها باحتفاله و جعل من آيات الذكر الحكيم مجالا لتطبيقها على هذا النحو الفسيح حتى عد هذه المحسنات مع ما يتصل بها من فنون المجاز و الكناية و التشبيه و الاستعارة من دلائل الإعجاز القرآني، و من أبرز سماته.

و من المدهش أنه ذكر في مقدمة كتابه:

إعجاز القرآن للباقلاني و دلائل الإعجاز لعبد القاهر و تفسير الكشاف و غيرها من الكتب التي خالفت نهجه في التأليف، و نقل منها في أكثر من موضع، و استراح إلى مضمونها و لم يمنعه ذلك من الإغراق في التماس البديعات و المحسنات التماسا مفرطا قد يدعو إلى الملل، و كان الأخرى به و قد درس كتب السابقين من هؤلاء الأفاضل ألا يتنكب طريقهم المترن؟ في تناول ألوان البيان.

على أنه قليلا ما كان يسمح لخطره بالتعبير المتسع في تحليل بعض الآيات فيأتي بما كنا نود أن يستمر عليه في التأليف، و من ذلك ما كتبه عن قول الله عز و جل: **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُ بِهِمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ** ٥٨ حيث قال - بتصرف قليل:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٧٤

«فانظر إلى غرابة هذا التمثيل الذي تضمن الإفراط في المبالغة مع كونها جارية على الحق خارجة مخرج الصدق و ذلك حين اقتصر سبحانه على ذكر أضعف المخلوقات، و أقلها سلبا لما تسلبه، و تعجيز كل من دونه - سبحانه - كائنا من كان عن خلق مثله مع التضافر و الاجتماع، ثم نزل في التمثيل عن رتبة الخلق إلى استنقاذ النزر الثقه الذي يسلبه هذا الخلق الضعيف على ضعفه، فتنقل في النزول في التمثيل على ما تقتضيه البلاغة على هذا الترتيب في البيان، فنزل بهم إلى استنقاذ ما يسلبه هذا المخلوق الضعيف، ليربهم عجزهم فتستيقنه نفوسهم و إن لم تقر به ألسنتهم، فجاء بما يقضى الظاهر أنه أيسر الخلق و هو في الحقيقة مثله في العسر، و لم يسمع مثل هذا التمثيل في بابه لأحد قبل نزول القرآن العزيز» ٥٩.

فهذا التحليل رصين في موضوعه، قلق في صياغته إذا قورنت بصياغة الشريف الرضي و عبد القاهر، و لكنه يسير في طريقهما فحسب و ليته و اصل المسير.

و لا ننكر ما امتلأت به كتب المتأخرين مثل الزركشي و السيوطي و البقاعي من أحاديث متناثرة عن الإعجاز القرآني؛ بل إن السيوطي ألف كتابا مستقلا عن الإعجاز و لكنه ترديد لما يقال و نسج على منوال مشتهر لم يضيف جديدا. حتى ليجوز لنا أن نقول: إن العصر المملوكي و العصر العثماني لم يأت من علمائهما من حاول اللحاق بالسابقين طرافة و منهجا و استشفافا حتى جاء العصر الحديث، فنفتح القراء بما يروق و يفيد، و ما كتبه الأندلسيون في تفسير الكتاب، مثل ابن عطية و ابن العربي، جيد في بابه، و لكنه لا يضيف الجديد.

أ. د/ محمد رجب البيومي

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٧٥

الهوامش:

(١) البيان القرآني للدكتور محمد رجب البيومي ص ١٥ ط الدار المصرية اللبنانية للنشر سنة ٢٠٠٠ م.

(٢) إعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعي - الطبعة السادسة سنة ١٩٥٦ مطبعة الاستقلال ص ١٦١.

- (٣) رسائل الجاحظ ج (٣) ص ٢٨٧ تحقيق عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي سنة ١٩٧٩ م.
- (٤) كتاب الحيوان ج ٣ ص ٨٦ تحقيق عبد السلام هارون ط ٣ سنة ١٩٦٩.
- (٥) رسائل الجاحظ ج (٣) ص ٢٢٩.
- (٦) -
- (٦) رسائل الجاحظ ج (٧) ص ٢٧٣.
- (٧) سورة الأنفال: ٣١.
- (٨) رسائل الجاحظ ج (٣) ص ٢٧٥.
- (٩) خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتور محمد رجب البيومي ص ٧٩ و ما بعدها (سلسلة البحوث الإسلامية) ديسمبر سنة ١٩٧١، وقد استعنت به في إيراد هذه الشواهد، و ما توصلت إليه هنا من النتائج.
- (١٠) البيان و التبيين ج (١) ص ٣٣ تحقيق السندوبي.
- (١١) سورة الصافات: ٦٥.
- (١٢) الحيوان ج ٦ ص ٢١٣.
- (١٣) سورة الزمر: ٧٣.
- (١٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٠ ط ١ دار المعارف بتحقيق الأستاذين محمد خلف الله، و محمد زغلول سلام.
- (١٥) سورة البقرة: ١٧٩.
- (١٦) سورة الملك ٧، ٨.
- (١٧) سورة الفرقان: ١٢.
- (١٨) سورة الكهف: ١١.
- (١٩) ثلاث رسائل في الإعجاز ص ٨٠.
- (٢٠) سورة الأنبياء ١٨.
- (٢١) ثلاث رسائل في الإعجاز ص ٨٢.
- (٢٢) ثلاث رسائل ص ٢١.
- (٢٣) ثلاث رسائل ص ٢٣.
- (٢٤) البيان القرآني ص ٣٠ و ما بعدها.
- (٢٥) ثلاث رسائل ص ٣٣.
- (٢٦) سورة يوسف آية: ١٧.
- (٢٧) ثلاث رسائل ص ٣٧.
- (٢٨) سورة الأنفال آية: ٥.
- (٢٩) سورة الحج: ٢٥.
- (٣٠) البلاغة تطور و تاريخ للدكتور شوقي ضيف ص ١٠٩- دار المعارف طبعه سنة ١٩٦٥ م.
- (٣١) سورة غافر: ٥، ٦.
- (٣٢) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٢٤ تحقيق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ط (١) صبيح.
- (٣٣) سورة الأنعام: ٩٦.

- (٣٤) إعجاز القرآن ص ٢١٤.
- (٣٥) سورة الأعراف: ١٠٧.
- (٣٦) سورة القصص: ٣١.
- (٣٧) أمالي المرتضى - طبعه أولى - ج (١) ص ١٨.
- (٣٨) سورة القصص: ٣٢.
- (٣٩) سورة الأنبياء: ٩٣.
- (٤٠) تلخيص البيان: تحقيق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ص ٢٣٢ ط أولى.
- (٤١) سورة البقرة: (٢٥٧).
- (٤٢) سورة البقرة: ١٧٤.
- (٤٣) سورة الصافات: ٤٨.
- (٤٤) دلائل الإعجاز ص ٤٤ - الطبعة الرابعة من دار المنار سنة ١٣٦٧ بتحقيق السيد محمد رشيد رضا.
- (٤٥) سورة هود: ٤٤.
- (٤٦) دلائل الإعجاز ص ٣٧.
- (٤٧) سورة القصص: ٢٣، ٢٤.
- (٤٨) دلائل الإعجاز ص ١٢٥.
- (٤٩) سورة الإسراء: ١٦.
- (٥٠) تفسير الكشاف - الطبعة الأولى، طبعه مصطفى محمد سنة ١٣٥٤ هـ، فى سورة الإسراء.
- (٥١) الكشاف الموضع السابق رقما و سورة.
- (٥٢) سورة الزمر: ٢٣.
- (٥٣) تفسير الكشاف، الزمر.
- (٥٤) سورة الحج: ٢.
- (٥٥) تفسير الكشاف، سورة الحج.
- (٥٦) سورة الحشر: ٢.
- (٥٧) تفسير الكشاف، الحشر.
- (٥٨) سورة الحج: ٧٣.
- (٥٩) بديع القرآن. لابن أبى الأصبع، ص ٣٤٠ - الطبعة الأولى - بتحقيق الدكتور حفنى شرف.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٧٦

## الإعجاز المعاصر

### مقدمة:

إذا كان القرآن الكريم كتاب الزمن كله، لا كتاب عصر واحد، فإن كل جيل يأتى لا بد أن ينتفع بثقافة عصره المتطورة، و أن تكون هذه الثقافة مفتاحا لباب جديد من القول، و لذلك يظل حديث الإعجاز ممتدا فى كل عصر ثقافى، و هو وجود و يعلو حين ترتفع



ثقافة العصر، ويرقّ وينحل حين تنخفض هذه الثقافة كما أشرت من قبل إلى عصر المماليك وما تلاه. وإذا كان هذا العصر قد هجم علينا بثقافته المتعددة، و رقيه الفكرى المحلّق، فإنّ المجال قد اتسع به لحديث عن الإعجاز لم يلّم به السابقون من قبل، وقد تنوّع هذا الحديث إلى علوم شتى، و لكننا هنا نقتصر على الإعجاز البياني وحده، و معلوم أن الذين كتبوا من المعاصرين عن الإعجاز البياني لا يلّم به حصر دقيق. ففي كلّ بلد إسلامى يوجد من يتحدث عن الإعجاز بمنحاه الخاص، و فيهم من وقّعه الله فأتى بالرائع المفيد، و من كبا به حظّه من المعرفة، فلم يأت بغير الضئيل المنقود إذ أقحم نفسه فى ميدان ليس من فرسانه، و سببلى الآن أن أختار بعض النابهين من المتحدثين عن الإعجاز، مكتفيا ببعض عن بعض كيلا يطول الحديث، و سأتحدث عنهم مراعيًا ناحية السبق الزمنى للكاتب، لنحفظ له حقّه فى الريادة و التوجيه.

### محمد فريد وجدى

علم من أعلام الفكر الإسلامى، و حسبه أنه ألف وحده دائرة معارف القرن العشرين، و قد قرأ ما كتبه السابقون عن الإعجاز، فوجد أنّ الكاتبين قد وقّوا المقام فى الناحية البلاغية المعروفة فى اصطلاحاتها العلمية، و لكنّ ذلك لا يكفى، فإنّ للبلاغة تأثيرا على الشعور الإنسانى يتطلب إيضاح أثرها فى النفس القارئ، و كلام البشر يظهر ذا رونق فى القراءة الأولى و الثانية فإذا تتابعت القراءة مرات فقد تأثيره كثيرا، و كاد يملّه القارئ.

أما القرآن فقد انفرد بميزة خاصة هى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٧٧

حلاوة تأثيره مع التكرار و كلّ من حفظ القرآن حفظا لا يمل ترديده، و فى كل قراءة يزداد وثوقا و اطمئنانا، فوجب علينا أن نتحدث عن الإعجاز من هذه الناحية، ما سببه ..؟ و لما ذا خالف القرآن كلّ ما يكتب، إذ انفرد بهذا التأثير غير المملول.

لقد راجع الأستاذ فريد وجدى التأثير القرآنى لشيء واحد هو أنه روح من عند الله، و الروح لا تفقد تأثيرها فهى الموجهة لكلّ شيء تحل به، و إذا كانت روح القرآن من عند الله فلا يمكن أن تماثلها روح مقال آخر.

و هذا هو السبب فى انقطاع الإنس و الجنّ عن محاكاته.

يقول الأستاذ محمد فريد وجدى ملخصا:

لا نشك فى أنّ القرآن فصيح من ناحية ألفاظه و معانيه، و قد أخرس بفصاحته فرسان البلاغة و قادة الحكمة. كما بهر الفلاسفة، و ألزم الحجّة كل ضال، و هو هدى و شفاء لما فى الصدور، و كلّ هذه صفات جليلة تؤثر فى العقل و الشعور، و العواطف و الميول فتتحكم فيها تحكما آسرا، و لكنّ وراء ذلك كله شيئا واحدا هو الروح الإلهية التى تصل من النفس الإنسانية إلى حيث لا يصل بإزائها كلام آخر، فهى تحلّق فى آفاق لا- يرتفع إليها فكر، و لا- تجول بخاطر، و هذه الروحانية تظهر عند ما تكون آية من آيات القرآن جاءت على سبيل الاستشهاد وسط كلام سابق و لاحق، فإنك ترى الآية الكريمة تتجلى بين السطور، و كأنها الشمس فى رائعة النهار، مهما كانت درجة الكاتب، و علو منزلته فى البيان. ١

و إذن فقد جعل الباحث الكبير روحانية القرآن سرّ إعجازه، يردّ بذلك على من يجعلون أساليب القرآن البلاغية من خصائص الإعجاز لأنّ هذه الأساليب من ذكر و حذف و تقديم و تأخير و فصل و وصل موجود فى الأساليب البشرية، و ليست لها هذا السطو الآخذ للنفس، هذا ما قاله الرجل و يمكننا أن نقول إن هذه الأساليب البيانية هى صاحبة التأثير الروحى، لأن القرآن قد استعملها استعمالا لم يتفق لسواه، فكانت بهذا الوهج الجاذب مصدر الإعجاز، و إذن فتكون المسألة قريبة بين من يقولون بتأثير الأساليب، و بين الأستاذ وجدى حيث يقول بأن الروح وحدها هى سرّ الإعجاز.

هذا و إذا كان الروح القرآنى سرّا من أسرار الله، فلا يكفى فى تعليل الإعجاز أن نقف عند القول به وحده، بل لا بدّ أن نحلّل ما

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٧٨

أوحى به هذا الروح المرتفع من بيان لندرك بعض أسرارها أما الاتجاه إلى المعنى الكلى دون تحليل لخصائص الكلمات و الجملة و السياق فقد لا يكفي في إرواء غلّة الدارس، و إطفاء عطشه حين يحاول أن يقف على سرّ هذا النمط الرفيع من البيان، و لعل الأستاذ وجدى يذهب إلى أن الخوض في معرفته أسرار التركيب البياني للقرآن قد ينتهي ببعض الدراسين إلى محاكاة هذا النمط ما دامت أسراره البيانية قد عرفت بخصائصها البلاغية، و هذا كلام برّاق في ظاهره و لكننا عند التمحيص نعرف أن إدراك السرّ البياني بخصائصه الفنية لا يعنى القدرة على محاكاته، فالناقد الأديب قد يدرك جمال القصيدة الشعرية و يعرف موضع التأثير بها، و يشتدّ إعجابها حتى يرتلها ترتيلا، و لكنه يعجز عن محاكاتها، و لو كان إدراك السرّ الجمالى فى البيان كافيا لاحتدائه و الإتيان بمثله، لوجدنا أساتذة البلاغة جميعا من كبار الأدباء، و لكنّ الكثيرين منهم لا يتجاوزون الناحية العلمية فإذا انطلقوا إلى الإبداع كبا بهم اليراع. و مع هذا فإن اتجاه الأستاذ فريد و جدى إلى الحكم لسيطرة الروح الإلهي و حدها على مناحى البيان، و عدّها سرّ الإعجاز قد دفع كثيرا من القائلين من بعده إلى مناح ترتكز على ما قاله، إذ أضافوا إلى ما دبّجوه ما يشهدونه من روعة التأثير المنفرد بجاذبيته عن كلّ تأثير بشرى، و لا نقول بتوارد الخواطر فى المسائل العلمية إذا كانت ذات منطق يرتكز على التحليل، إذ ربما وقع التوارد فى الخواطر الأدبية أمّا الاتجاهات العلمية فستكون فى أصلها بذرة جيدة يذرّها السابق و يتعهدها اللاحق بالرئى و التشذيب حتى تستوى على سوقها شجرة فينانة، و لكل من السابق و اللاحق نصيبه الموفق فى مجال البحث، فلأول اهتداؤه للفكرة، و للثانى بسطها و تفريعها على نحو قد تبدو به جديدة قشبية، على أن العقول قد تتلاقى فى إثبات بعض الحقائق و لكن على ندره هى إلى الاستثناء أقرب، و ليست هكذا دائما.

### مصطفى صادق الرافعي

الرافعي - رحمه الله - أول من أخرج كتابا مستقلا فى الإعجاز القرآني من المعاصرين، فمنذ أن كتب السيوطي كتابه عن الإعجاز و المكان فارغ ينتظر من يملؤه على وجه شامل مستوعب يضيف الجديد مما يشبع رغبة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٧٩

القارئ المعاصر، و قد تصدّر الكتاب ببحوث تتّجه و جهة الأدب الإبداعى، و لكنّها لا تدخل فى صميم المنهج العلمى، و أول صور الإعجاز ما كتبه الرافعي تحت عنوان (آداب القرآن) إذ جعل الأخلاق القرآنية و المسائل التشريعية، و التربية السلوكية إحدى وجوه الإعجاز، و السابقون من أمثال الباقلاني و عبد الجبار و عبد القاهر ممّن خصوا الإعجاز بأبواب مستقلة جعلوا الأسلوب البياني وحده مدار الارتكاز فى قضية الإعجاز أما الرافعي فافتتح بهذا الفصل موضوعا جديدا مؤكدا أن قواعد الأخلاق قد وجدت من القرآن الركيزة المتبينة لعلم السلوك الإنساني، فى أسلوب بياني يجب أن يلتفت إليه معنى و مبنى، و قد قال بصدد ذلك: «و ما فرط المسلمون فى آداب هذا القرآن إلّا منذ فرطوا فى لغته، فأصبحوا لا يفهمون بيانه، و بالتالى لا يدركون آدابه» ٢.

ثم أخذ يعرض آراء السابقين فى الإعجاز، و قد حمل على المتكلمين حملة لا أرى معه الحقّ فيها، فإذا كانت الشبه التى تحدّث عنها المتكلمون قد فقدت مضمونها فى هذا العصر، فقد كانت من قبل ذات نقد هادم، فإذا كثر عليها المتكلمون بالنسف المييد فقد قاموا بواجب يشكرون عليه، كما رفض القول بالصرفه على المعنى الشائع العام، و هو مرفوض بدهاه و قد سبقت الإشارة إلى المعنى الدقيق فى هذا الاتجاه.

و حين تحدّث الرافعي عن الإعجاز الأسلوبى ذكر أنّ العرب حين ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا أن ألفاظه هى الألفاظ التى يتداولونها، و لكنّ طريقه نظم هذه الألفاظ و وجوه تركيبها و نسق حروفها فى كلماتها، و نسق الكلمات فى الجمل كلّها جديدة فى بابها، فأحسوا بعجزهم عن احتوائها، و رأوا أن أسلوب القرآن جنس من الكلام غير ما هم فيه، و لا سبيل إلى محاكاته، إذ هو وجه

الكمال اللغوى الذى تشرب إليه أرواحهم ٣.

أما التكرار فى البيان القرآنى فقد خاض فى تعليقه كثير من البلغاء و لكنّ الرافعى أتى بالجديد حين ذكر أن التكرار مألوف عند العرب؛ و لكنّه فى النسق القرآنى غير مألوف، إذ أنّ المعنى يتردّد بصور، كلّ صورة منها غير الأخرى و هم عاجزون عن محاكاة الصورة الواحدة فما بالهم بالصّور المتعددة، فكأنّ الرافعى يريد أن يقول لهؤلاء إن القرآن يأتي بالمعنى و يتحداهم أن يأتوا بمثله، فيدركهم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٨٠

العجز، فيأتي بالمعنى نفسه فى صورة أخرى جديدة، فيدهش السامعون لهذا التكرار الطريف، مع أنّه تكرر. و قد خفى هذا المراد على الملاحدة و من لا نفاذ لهم فى أسرار العربية، فرعموا المزاعم السخيفة مع أنّهم و أشباههم قد عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله. و خلص الرافعى إلى تحليل الأسلوب القرآنى، فحصر جهات النظم فى ثلاث. هى الحروف و الكلمات و الجمل، و خصّ كل جهة بفصل شاف مشفوع بالأدلة الكاشفة، و الجديد بها أكثر من أن يحصر. و قد باهى الرافعى بما اهتدى إليه، و لم يلتفت ناقدوه إلى ما اختاره من أمثلة لم تكن من مختارات سابقه، ممّا يجعلنى أؤكد أن كتاب الرافعى هو الثانى فى باب بعد كتاب «دلائل الإعجاز» لأنّ الكتابين اجتماعاً فى خاصية واحدة، لم يشركهما فيها مشارك، و هى روعة البيان الأسلوبى و تدفق التحليل.

و من الجديد الذى اهتدى إليه الرافعى من بارع الأفكار المضيئة فى أفق الإعجاز نستشهد بهذه السطور: «.. كل من يبحث فى تاريخ العرب و آدابهم، و ينفذ إلى ذلك من حيث تنفذ به الفطنة، و تأتي حكمه الأشياء، فإنه يرى كل ما سبق على القرآن من أمر الكلام العربى و تاريخه، إنما كان توطيدا له، و تهيئة لظهوره، و تاهيا إليه و دربة لإصلاحهم به، و ليس فى الأرض أمة كانت تربيتها لغوية غير أهل الجزيرة، فما كان فيهم كالبيان آتق منظرا و أبدع مظهرا، و أمّد سببا إلى النفس، و أردّ عليها بالعافية، و لا كان لهم كذلك البيان أزكى فى أرضهم فرعا، و أقوم فى سمائهم شرعا، و أوفر فى أنفسهم ريعا، و أكثر فى سوقهم شراء و بيعا، و هذا موضع عجيب للتأمل، ما ينفذ عجبه على طرح النظر و إبعاده، و إطالة الفكر و ترادده، و أى شىء فى تاريخ الأمم أعجب من نشأة لغوية تنتهى بمعجزة لغوية، و تأتي بها على أكمل الوجوه و أحسنها، ثم يكون الدين و العلم و السياسة، و سائر مقومات هذه الأمة مما تنطوى عليه المعجزة، فتخرج به للدهر أمة كان عملها فى الأمم صورة من تلك المعجزة» ٤.

و هذا الوجه من النشأة اللغوية للأمة العربية قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم يراه الرافعى إعجازا للقرآن الكريم، إذ نشأ فى أمة هذه مقدرتها اللغوية لتكون قادرة على استيعابه، و هى فى الوقت نفسه عاجزة عن الإتيان بمثله، و أنا أرى أن هذه النشأة ليست الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٨١

معجزة كما قال الرافعى و لكنّها إرهاب بالمعجزة التى تجلّت فى القرآن الكريم، كما عدّ الرافعى نهضة الأمة العربية بعد ضياعها فى العصر الجاهلى و امتداد دولها شرقا و غربا مظهرا من مظاهر الإعجاز القرآنى فى تربية النفوس، و حفز السلوك إلى المثل الأعلى، و الإعجاز بهذه الفتوح لا يقف عند الجاهلين من أهل مكة لأنهم لم يروا ما جدّ من الفتوح فيما بعد، و لكنه شهادة لدوام الإعجاز لدى الخلف بعد انقضاء عهد السلف.

و قد جاء من المؤلفين فى البيان القرآنى و إعجازه بعد وفاة الرافعى من ظهر فى نتاجهم العلمى أثر الإعجاز كما قرر الرافعى من قبل، فكان الرجل بذلك قائد كتيبة علمية و جهت نشاطها إلى حقل القرآن، و أحرزت فخار النصر و رجعت بالأسلاب، (و بعضهم - و لا أدري لما ذا - لم يشيروا إلى كتاب الرافعى الذى استقوا من نبعه و ارتووا من مائه، و لو أشاروا إليه لكان ذلك أدلّ على منزعهم الخلقى قبل أن يدلّ على فهمهم لأصول البحث العلمى، إذ يتسمون بالأمانة العلمية، و لا- أنتقل إلى محاوله من رأى أن يعارض الرافعى بعد أن استقى من نبعه، ليقول إنه غير متأثر به، و للقراء عقول تعرف انحرافات الأهواء، و تستر الميول).

كان الأستاذ عبد الله عفيفي من كبار أدياء عصره، و قد ألقى محاضرات على طلبه كليه الشريعة في الأدب العربي، جمعها تحت عنوان (زهرة منثورة) وفيه خص القرآن الكريم والحديث النبوي بتحليل دقيق، و تعرض لحديث الإعجاز القرآني فبسطه بسطا شافيا، ونقل هنا خلاصته.

ذكر الأستاذ أوجها كثيرة للإعجاز في مقدمتها هذه القوة الروحية التي تسيطر على المشاعر، و تأخذ بالألباب، و هو مسبوق في هذا الوجه بالأستاذ محمد فريد و جدي، و قد بسطنا القول فيه من قبل.

أما الوجه الثاني من الإعجاز فقد قال فيه: إن العرب لم يكونوا يحسنون من فنون النثر إلا الأسلوب الخطابي الذي يعتمد على التأثير في النفس باللفظ الفخم و القول المردد، و لكنهم لم يكونوا من كثير من الأسلوب المنطقي الذي ينتقل من المقدمات إلى النتائج، و ينفذ من المعلوم إلى المجهول، أما الأسلوب العلمي الذي تساق فيه الحقائق العلمية من

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٨٢

أيسر السبل، و أقرب الموارد، فذلك لم يكونوا منه في شيء، فجاء القرآن ليواجههم بالأسلوب المنطقي و الأسلوب العلمي معا في سلاسل مفرغة الحلقات، محكمة الصوغ، لا وهي بها، و لا انقطاع لها، فوقفهم بذلك بين شعاب متشابكة لا يستطيعون النفاذ إلى مكنونها ٥.

و قد استشهد الأستاذ لذلك بالآيات الست الأولى من سورة الحج، و بين ما بها من أدلة عقلية، و أفكار علمية بيانا شافيا ثم قرنها بأفصح خطبة قيلت في العصر الجاهلي و هي خطبة قس بن ساعدة الأيادي التي يقول فيها: «ما بال الناس يذهبون و لا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا هناك فناموا»؛ ليؤكد أن الخطيب الجاهلي قد اعتمد على التأثير العاطفي وحده، أما آيات القرآن فقد جمعت العاطفة و العقل و العلم في أسلوب سهل ميسور، و أزيد على ذلك بأنها جمعت من التصوير البياني ما لم يعهد من قبل، و يتجلى ذلك في قوله عز و جل يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سُكاري و ما هم بسكاري و لكن عذاب الله شديد ٦ و بعد أن شرح الأستاذ الآيات شرحا أدبيا مصورا ما تتضمنه من تفوق البلاغة الرفيعة قال:

«هذا هو الأسلوب الخطابي الذي بلغ الغاية العليا بكل ما في الخطاب من تأثير، فإذا ملأت منه يدك، و رويت نفسك فاستمع حديث المنطق و العلم في قوله جل شأنه يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ٧ إلى آخر الآية، فقد ساق الله دليلين لا يقبلان الشك، في الوجود بعد الهمود، و الحياة بعد الممات، و في الحالتين استحالة التراب بما فيه من الحياة الكامنة، إلى خلق حي يزداد على الأيام نموا و سموا، فتأمل كيف كشف الله حجاب العلم في قوله تعالى: من مضعه مخلقة و غير مخلقة لئيبن لكم ٨ فهو سبحانه و تعالى يسقط هذه المضع من الأرحام، ليشرح للإنسان كيف كانت أوليته، ففي هذه الآيات بسط لأدوار التكوين الإنساني بما لا يمكن للعرب أن يأتوا بمثله، لأنه أتاهم بعلم ما لا يعلمون، و من الدقة البديعة في الأسلوب

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٨٣

العلمي تعبيره عز و جل عن تضام ذرات الأرض المتشابهة، و اختمارها بعد الحرث و البذر و الري، بقوله تعالى: و ترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت و ربّت ٩ ثم انظر إلى ما وصل إليه المنطق من جمع الأدلة و سياق المدلول، أو تقديم الأمثلة و تأخير الدعوى في قوله تعالى بعد أن ساق الدليلين المنطقيين ذلك بأن الله هو الحق و أنه يحيي الموتى و أنه على كل شيء قدير (٦) و أنّ الساعة آتية لا ريب فيها و أنّ الله يبعث من في القبور ١٠ و هذا كله و أشباهه مما لا قبل للعرب به، و لا طوق لهم بتحديه.

هذا لباب ما قاله الأستاذ عبد الله عفيفي، و كان له صدى بعيد بين الدارسين، و طبعي أن يلقي معارضة من ذوى النقد فالآراء لا تستقر دون معارضة يتبعها التمحيص، و قد عارضه الأستاذ الكبير محمود مصطفى أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية فذكر أن العرب

كانت تعرف هذين اللونين من الأسلوب المنطقي والأسلوب العلمي، والدليل على ذلك أنهم لو كانوا يجهلونهما ما كان لهما وقع في نفوسهم، لأن الناس أعداء ما جهلوا ١١، وقد ساق خطبة منحولة قيلت على لسان قبيصة بن نعيم حين وفد على كسرى، و ألفاظ الخطبة و ترتيبها يدل على إسلاميتها، و أن المعاني مما جاء به القرآن الكريم، هذا من ناحية، أما الناحية الأخرى فإن خطبة قبيصة المنحولة تخلو من الأسلوب العلمي الذي أشار إليه الأستاذ عبد الله عفيفي، فكيف يقال: إن العرب كانت تعرف هذين الأسلوبين، أما القول بأن العرب لو كانوا يجهلون هذا الأسلوب ما قبلوه فمما لا يستقيم مع النظر الصحيح؛ لأن الجديد الطريف لا يفرض بدهاه عند ذوى العقول.

وقد جاء عصرنا الحاضر بفنون من القول لم تكن معروفة في الأدب العربي مثل الشعر التمثيلي، فلاقت الترحيب المشجع، و ما زال الجديد يفد كل يوم بشماره المشتهة.

أما الوجه الثالث من وجوه الإعجاز عند الأستاذ عبد الله عفيفي فهو الإفاضة فيما كان يجهله العرب من أحداث التاريخ من قبل و من بعد، فأخبار الأمم السابقة لم تكن معروفة لدى العرب، و قد قال الله عز و جل تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ١٢ و لو

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٨٤

كان قوم الرسول يعلمون شيئا من هذه الأنباء لصاحوا به، نحن نعلم، و لكن كان قصاراهم أن يقولوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أُصِيلًا ١٣

و ندع أخبار التاريخ إلى ما استفاض به القرآن من أمور التشريع، فقد كان العرب في جاهليتهم لا ينزعون إلى شريعة مفروضة فجاءهم القرآن من جانب التشريع بما دهشوا، كذلك لم يكونوا يعرفون شيئا عن المعاد و أمور البعث و الحساب و الملائكة و الجن و الجنة و النار فأتى لهم بما يجهلون، ثم هذا التصوير الأدبي الرائع الذي أعجزهم كل الإعجاز في مثل قول الله تَوْرُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَ لَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ. ١٤

و لم يسق الأستاذ هذه الآيات مجردة من التحليل الأدبي الشائق، و العرض الأسلوبى البديع، بل بلغ من ذلك مبلغا حميدا- رحمه الله.

### الدكتور محمد عبد الله دراز:

ألف الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز كتاب «النبأ العظيم» ليثبت إعجاز القرآن بما لا يدع مجالاً للريب، و الكتاب فى القمة من الأدب العالى (وقد طبع عدة مرات و أرجو أن يكون فى مكتبة كل مسلم) لما تضمن من حقائق جديدة، أكثرها من بنات فكره الخاص مع تمتعه بأسلوب نادر يجذب القارئ حتى ليخاله شعرا، (و هو فى رأى أقرب إلى نفوس القراء من كتاب الرافعى- رحمه الله- على عظم تقديرنا إياه، لأن الرافعى يتعمق فى التصوير و التعبير حتى يحوج القارئ إلى التثبت، أما النهر المتسلسل الدفاق فهو ما انهمر من يراع الدكتور دراز، و كأنه غيث نزل من السماء فأحيا به الله الأرض).

لقد رصد المؤلف الخصائص القرآنية للأسلوب البياني فى كتاب الله فحدّثها فى أربعة أمور هى سر الإعجاز، و أول هذه الخصائص هو (البيان و الإجمال معا) ١٥ فهما خارقه عجيبة من خوارق التعبير لأنّ الناس إذا عمدوا إلى تحديد أغراضهم لم تتسع إلى تأويل، و إذا أجملوها ذهبوا بها إلى الإبهام أو الإلباس، و لا يكاد يجتمع لهم هذان

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٨٥

الطرفان فى كلام واحد، و لكنك تقرأ القطعة من القرآن فتجد فى ألفاظها من الشفوف و الملاسة و الإحكام، و الخلو من كل غريب عن الغرض، ما يتسابق به مغزاها إلى نفسك دون كدّ خاطر، أو استعارة حديث، كأنك لا تسمع كلاما و لغات بل ترى صوراً و حقائق



ماثلة ثم يختل إليك أنك أحطت به خيرا، ووقفت على معناه محدودا، ولكن لو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد غير الذى سبق إليه فهمك أول مرة، حتى ترى للجمله الواحدة أو الكلمه الواحدة وجوها عدده كلها صحيح، أو محتمل الصحة، كأنما هي فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا، فإذا نظرت إلى أضلاعه جمله، بهرتك بألوان من الطيف، لا تدرى ما ذا تأخذ منها و ما تدع و لعلك لو وكلت النظر فيها لغيرك لرأى فيها أكثر مما رأيت، وهكذا نجد كتابا مفتوحا مع الزمان يأخذ منه كل فرد ما تيسر له، بل ترى محيطا مترامى الأطراف لا تحده عقول الأفراد و لا الأجيال، ألم تر كيف وسع الفرق الإسلامية على اختلاف وسائلها فى القديم و الحديث، و هو على لينة للعقول و الأفهام صلب متين، لا يتناقض و لا يتبدل، يحتج به كل فريق لرأيه، و يدعيه لنفسه، و هو فى سموه فوق الجميع يطل على معاركهم حوله، و كأن لسان حاله يقول قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ١٦، و ثانيه هذه الخصائص هي (إقناع العقل و إمتاع العاطفة) ١٧: و الحديث عن اجتماع العقل و العاطفة فى أسلوب واحد لا يقنع به إلا دارس مكين تغلغل فى خوانى علم النفس فاهتدى إلى أسرار صارت مصباحا فى يده يضيء الطريق، فقد عرفنا كلام الحكماء و العلماء، و عرفنا كلام الأدباء و الشعراء، فما وجدنا من هؤلاء و هؤلاء إلا غلوا فى جانب و قصورا فى جانب، فأما الحكماء فإنهم يؤدون إليك ثمار عقولهم، غذاء لعقلك، و لا تتوجه نفوسهم إلى استهواء نفسك، و اختلاف عاطفتك، فتراهم حين يقدمون إليك حقائق العلوم، لا يبهون لما فيها من جفاف و عرى، و نبؤ عن الطباع، أما الشعراء فيسعون إلى استثارة وجدانك، و تحريك أوتار الشعور من نفسك، و لا يبالون بما صوروه لك أن يكون غيا أو رشادا، و أن يكون حقيقة أو تمثيلا، فتراهم جادين و هم هازلون، يستبكون و إن كانوا لا يكونون، و يطربون و إن كانوا لا يطربون، و كل امرئ حين يفكر إنما هو فيلسوف صغير، و كل امرئ حين يحس إنما

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٨٦

هو شاعر صغير، فهل رأيتم أحدا تتكافأ فيه قوة التفكير، و قوة الوجدان، و سائر القوى النفسية على حد سواء، و اذا كانت الإجابة بالنفى فكيف تطمع من إنسان أن يهب لك الطلبتين معا، و هو لم يجمعهما فى نفسه على حد سواء، و ما كلام المتكلم إلا صورة الحال الغالبة عليه من تلك الأحوال.

هذا مقياس تستطيع أن تتبين به كل إنسان، و حكم أى القوتين كان خاضعا لها، حين قال و كيف، فإذا رأيت يتجه إلى تقرير حقيقة نظرية، أو وصف طريقة عملية، قلت:

هذه ثمرة الفكرة، و إن رأيت يعتمد إلى تحريض النفس أو تغييرها و قبضها و بسطها، و استثارة كوامن لذاتها و آلامها، قلت: هذه ثمرة العاطفة، فإذا رأيت انتقل من أحد هذين الضربين إلى الآخر فتفرغ له بعد ما قضى وطرا من سابقه، كما ينتقل من غرض إلى غرض، عرفت ذلك من تعاقب الشعور و التفكير على نفسه، فأما أن أسلوبا واحدا يتجه اتجاها واحدا، و يجمع بين يديك هذين الطرفين معا، كما يحمل الغصن الواحد من الشجرة أزهارا و أثمارا و أوراقا معا، و كما يسرى الروح فى الجسد، و الماء فى العود الأخضر، فذلك ما لا نظفر به فى كلام بشر، و لا هو من سنن الله فى النفس الإنسانية، فمن لك بهذا الكلام الذى يحى من الحقيقة البرهانية الصارمة بحيث يرضى حتى أولئك الفلاسفة المتعمقين، و بين المتعة الوجدانية بحيث يرضى هؤلاء الشعراء المرحين. ذلك الله رب العالمين، فهذا الذى لا يشغله شأن عن شأن، و هو القادر على أن يخاطب العقل و القلب معا بلسان واحد، و أن يخرج الحق و الجمال معا يلتقيان فلا يبغيان، و هذا هو ما تجده فى كتابه الكريم حيثما توجهت، ألا تراه فى نسجه قصصه و أخباره لا ينسى حق العقل من حكمه و عبرة، ألا تراه و هو فى معمعة براهينه و أحكامه، لا ينسى حظ القلب من تشويق و ترفيق، و تحذير و تنفير، يبث الله ذلك فى مطالع آياته، و مقاطعها و تضاعفها.

و ثالثه هذه الخصائص القرآنية لدى الدكتور دراز هي ما حصره الباحث فى (خطاب العامة و الخاصة) ١٨ إذ هذان الخطبان يمثلان غايتين أخريين متباعدتين عن الناس، فلو أنك خاطبت الأذكاء بالواضح المكشوف الذى تخاطب به الأغبياء، لنزلت بهم إلى مستوى

لا يرضونه في الخطاب لأنفسهم، و لو أنك خاطبت العامة باللمح و الإشارة لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٨٧

عقولهم، فلا- غنى لك إذا أردت أن تعطى كلتا الطائفتين حظها من كمال بيانك أن تخاطب كل واحدة منها بغير ما تخاطب به الأخرى، فأما أن جملة واحدة تلقى إلى العلماء و الجهلاء، و إلى الأذكياء و الأغبياء، و إلى السوقة و الملوك، فيراها كل منهم مقدرة على قياس عقله، و على وفق حاجته، فذلك ما لا تجده إلا في كتاب الله.

أما الخاصية الرابعة، فهي (القصد في اللفظ و الوفاء بحق المعنى) فقد جلاها الدكتور أحسن تجلية و استشهاد لها بآيات كريمة أحسن تحليلها و إيضاح مراميها، و لا يحسن تلخيص ما جاء به هنا، لأنه يطفى من نور الكتاب إذا أوجز و اختصر، فليرجع القارئ إليه. و لا- بد من كلمة أقولها هي أن الدكتور رحمه الله- مبتكر مبدع في أكثر ما انتحاه من التحليل، و بذلك أضاف كتابه ثروة طريفة للدراسات القرآنية الجادة، ثم هو بذلك يعطى المثل لمن يريد أن يبحث و جوها من الإعجاز القرآني، إذ لا يقتصر على التريديد، بل يحاول أن يأتي بالجديد.

### سيد قطب:

احتفل الشهيد سيد قطب بكتاب الله احتفالاً تجلّى في موسوعة (في ظلال القرآن) و قد تواضع فذكر أنه يعيش في الظلال فحسب، أي أنه لم يقدم تفسيراً يتجاوز الظلال إلى الأعماق، و هذا غير ما يحسه قارئ الظلال، فقد كتبه الأستاذ بفكره و شعوره معا، شعوره المتقدم بما نزل بالمسلمين من محن في عهودهم الأخيرة، و فكره الوثاب المشرب لآفاق فسيحة يخلق فيها بقوته الخارقة.

و سأجاوز كتاب الظلال في حديث الإعجاز إلى كتاب (التصوير الفني في القرآن) لأنه ذو تنظير قاعدي يلتفت إلى جهات الإعجاز كما تصوّره، و هو يشترك مع الدكتور محمد عبد الله دراز في شيء ملحوظ: هو أن كليهما يعتمد على ذهنه و روحه و إحساسه قبل أن يعتمد على مقررات الإعجاز في الكتب السابقة، فالجديد الطريف لديهما كثير.

تحدث الأستاذ الشهيد عن تأثير القرآن في نفسه و هو طفل صغير إذ أخذ في مكتب القرية يحس بروعه تملك عليه أقطار نفسه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٨٨

دون أن يدرك سرها، و نما هذا الإحساس في نفسه كما تنمو البذرة الجيدة في الأرض الطيبة، حتى إذا درس فنون النقد الأدبي فيما بعد، راجع كتاب الله فرأى من فنون الإعجاز ما لم يحم حوله أحد من السابقين، و هو التصوير الفني للقرآن، و قد شرح وجهة نظره في ذلك فقال:

«إن التصوير الفني هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، و الحالة النفسية، ثم عن الحادث المحسوس، و المشهد المنظور، و عن النموذج الإنساني، و الطبيعة البشرية، و يرتقى بالصورة التي رسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني حركة أو هيئة، و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، و إذا النموذج النفسي شاهد حي، و إذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، أما الحوادث و المشاهد، و أما القصص و المناظر، فيردّها شاخصة حاضرة فيها الحياة، و فيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار، فقد استوت كل عناصر التخيل، فما يكاد يبدأ العرض، حتى يحيل السامعين نظارة، و حتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول، الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، و تتجدد الحركات، و ينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، و مثل يضرب، و يتخيل أنه منظر يعرض، و حادث يقع، فهذه شخوص تروح على المسرح و تغدو، و هذه سمات الانفعال بشتي الوجدانات المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الحوادث، و هذه كلمات تتحرك بها الألسنة، فتتم عن الأحاسيس المضمرة، إنها الحياة هاهنا، و ليست حكاية الحياة» ١٩.

و قد وقي الشهيد- رحمه الله- بما وعد، و الاستشهاد الكامل متعذر هنا، و لكننا نقل مثلا تطبيقيا لسورة من قصار السور، التي ربما



حسبها البعض سجعا مرصوفا، و هي سورة الفلق، إذ قال عنها المؤلف:

ما الجو المراد إطلاقه هنا؟ إنه جو التعويذة بما فيه من خفاء و هيمنة، و غموض و إبهام، فاسمع: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ٢٠ فما الفلق الذي يستعيز بربه؟ نختار من معانيه الكثيرة معنى الفجر لأنه أنسب في الاستعاذة من ظلام ما سيأتي، ممّا خلق، و من الغاسق، و من النفاثات في العقد، و من شر حاسد إذا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٨٩

حسد، و لأن فيه إبهاما خاصا ستعلم حكمته بعد قليل، يعوذ برب الفلق من شر ما خلق، هكذا بالتنكير و بما الموصولة الشاملة، و في هذا التنكير و الشمول، يتحقق الغموض، و الظلام المعنوي في العموم، «و من شر غاسق إذا وقب»، الليل حين يدخل إلى كل شيء و حين يمسي مخوفا مرهوبا، «و من شر النفاثات في العقد»، و جوّ النفث في العقد من الساحرات و الكواهن كله رهبة و خفاء و ظلام، بل هنّ لا- ينفثن غالبا إلا- في الظلام، «و من شر حاسد إذا حسد»، و الحسد انفعال باطنى مغمور في ظلام النفس، غامض مرهوب كذلك، فالجوّ كله رهبة و غموض، و هو يستعيز من هذا الظلام بالله، و الله رب كل شيء، فلما ذا خصصه بالفلق، لينسجم مع جو الصورة كلها، و يشترك فيه، و كان المتبادر للذهن أن يعوذ من الظلام برب النور، و لكنّ الذهن ليس هنا المحكم - إنما المحكم هنا آلة التصوير الدقيقة فالنور يكشف الغموض المرهوب، و لا يتسق مع جو الغسق و النفث في العقد، و لا مع جو الحسد، و الفلق يؤدي معنى النور من الوجهة الذهنية، ثم يتسق مع الجو العام من الوجهة التصويرية، التي تجمع بين النور و الظلمة، و لها جوّها الغامض المسحور.

ثم ما أجزاء الصورة هنا؟ أو محتويات المشهد، هي من ناحية الفلق و الغسق مشهدان من مشاهد الطبيعة، و من ناحية النفاثات في العقد و الحاسد إذا حسد مخلوقان آدميان ...

فالجو قائم على أساس من هذه الوحدة في الأجزاء و الألوان، و ليس في هذا البيان شيء من التمحل، و ليست هذه الدقة بلا هدف، و ليس الهدف حلية عابرة، فالمسألة ليست مسألة ألفاظ، أو تقابلات ذهنية، و إنما هي مسألة لوحة و جو و تنسيق، و تعاملات تصويرية تعدّ فنا رفيعا من التصوير يلفت النظر إذا أداه مجرد التعبير ٢١.

هذا النص يدل على كثير غيره، بل هناك ما هو أجود منه في التحليل الأدبي و بخاصة فيما كتبه الأستاذ عن القصة القرآنية فقد جاء كلامه رائعا فائقا غير مسبوق.

و مما أخذ على الأستاذ أنه اعتبر الأداء الوجداني هو سرّ الإبداع في الإعجاز، و قد عارضه الأستاذ عبد المنعم خلاف فوضّح أن المنطق العقلي جناح آخر للإعجاز، و هذا ما وافق عليه الأستاذ قطب مؤكدا أنه لم يغفل جانب المنطق، و لكن هذا الجانب لا يأتي جافا كما في كتب العلوم بل يضيء بشعاع التصوير الأدبي فلا خلاف ٢٢ و قد ظهر هذا الاتجاه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٩٠

فيما كتبه الأستاذ قطب في «ظلال القرآن» حيث فسح المجال للمنطق العقلي و المنطق الوجداني معا فكانا أداتى الإقناع و الإمتاع في كتاب الله العزيز.

(و بعد) فهذه صور من الإعجاز القرآني في الفكر العربي الحديث تضاف إلى ما سبقت الإشارة إليه من صور الإعجاز في الفكر العربي القديم (و في حدود هذه الصفحات لم ألم بكل ما قيل، و لكنني اكتفيت بما كانت له جدواه الحقيقية عند الدارسين مقدرا ما كتبه غير هؤلاء من أفاضل الباحثين فهو قوى رائع في بابه، و قد يأتي من يتناول كل ما قيل في مجلد مستقل، فالحقل العلمى حافل بكرام الباحثين).

أ. د. محمد رجب البيومي

- مراجع البحث، وفق ورودها: (١) البيان القرآني للدكتور محمد رجب البيومي - الدار المصرية اللبنانية للنشر ٢٠٠٠ م.
- (٢) إعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعي - الطبعة السادسة - سنة ١٩٥٦ - مطبعة الاستقلال.
- (٣) رسائل الجاحظ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي سنة ١٩٧٩.
- (٤) البيان و التبيين بتحقيق الأستاذ حسن السندوبي - مطبعة مصطفى محمد التجارية.
- (٥) كتاب الحيوان بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - ط ٣ سنة ١٩٦٩ طبعه بيروت.
- (٦) خطوات التفسير البياني للدكتور محمد رجب البيومي (سلسلة مجمع البحوث الإسلامية) سنة ١٩٧١ م.
- (٧) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله أحمد، و محمد زغلول سلام - ط دار المعارف ١٩٦٢ م.
- (٨) البلاغة تطور و تاريخ للدكتور شوقي ضيف - ط دار المعارف سنة ١٩٦٥.
- (٩) إعجاز القرآن للباقلاني - تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي الطبعة الأولى مطبعة صبيح.
- (١٠) أمالي المرتضى - الطبعة الأولى - دون تاريخ طبعه هندية.
- (١١) تلخيص البيان في مجاز القرآن - للشريف الرضي - تحقيق محمد عبد الغني حسن - مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٩٥٥ م.
- (١٢) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني - تحقيق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار سنة ١٩٦٧ م - ط رابعة.
- (١٣) تفسير الكشاف - الطبعة الأولى - سنة ١٣٥٤ هـ - طبعه مصطفى محمد.
- (١٤) بديع القرآن لابن أبي الإصبع - الطبعة الأولى تحقيق الدكتور حفني شرف.
- (١٥) دائرة معارف القرن العشرين - الطبعة الأولى جزء (٧) للعلامة محمد فريد وجدى - مطبعة دار المعارف.
- (١٦) زهرات منثورة في الأدب العربي للأستاذ عبد الله عفيفي مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٣٢ م.
- (١٧) الأدب العربي و تاريخه ج (١) للأستاذ محمود مصطفى - مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٤٤.
- (١٨) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧ م.
- (١٩) التصوير الفني للقرآن للأستاذ سيد قطب - ط دار المعارف سنة ١٩٤٤ م.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٩١
- الهوامش:

- (١) دائرة معارف القرن العشرين، الجزء السابع ص ٦٧٧ و ما بعدها - الطبعة الأولى، تأليف الأستاذ محمد فريد وجدى.
- (٢) إعجاز القرآن للرافعي ص ١١٣.
- (٣) السابق ص ٢١٤.
- (٤) السابق ص ١٥٨.
- (٥) زهرات منثورة في الأدب العربي ص ٥٢ للأستاذ عبد الله عفيفي - ط مصطفى الحلبي ١٩٣٢.
- (٦) الحج: ١، ٢.
- (٧) الحج: ٥.
- (٨) الحج: ٥.
- (٩) الحج: ٥.
- (١٠) الحج: ٦، ٧.
- (١١) الأدب العرب و تاريخه ج (١) ص ٤٢ للأستاذ محمود مصطفى - طبعه عيسى الحلبي.

- (١٢) هود: ٤٩.
- (١٣) الفرقان: ٥.
- (١٤) النور: ٣٥.
- (١٥) النبا العظيم تأليف الدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٢٨- الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧ م.
- (١٦) الإسراء: ٨٤.
- (١٧) النبا العظيم ص ١٢٤.
- (١٨) النبا العظيم ص ١٢٣.
- (١٩) التصوير الفني في القرآن، الطبعة الأولى، دار المعارف سنة ١٩٤٤ م.
- (٢٠) سورة الفلق بأكملها من ١-٥.
- (٢١) التصوير الفني: ٤٤.
- (٢٢) مجلة الرسالة العددان ٦١٧، ٦٢٠.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٩٢

## الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

### تعريف الإعجاز العلمي:

الإعجاز لغة: مشتق من العجز. والعجز: الضعف أو عدم القدرة.

و الإعجاز مصدر «أعجز»: وهو بمعنى الفوت و السبق ١.

و المعجزة في اصطلاح العلماء: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة ٢.

و إعجاز القرآن: يقصد به إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، أى نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله.

و وصف الإعجاز بأنه علمى نسبة إلى العلم.

و الأصل في معنى «العلم عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء، و هو معنى مطلق غير مقيد بتخصيص بعينه، و الإطلاق: يفيد الشمول و التعميم. أما تصنيف العلوم إلى دينية و دنيوية، أو نقلية و عقلية، أو شرعية و كونية، أو نظرية و تجريبية، أو إنسانية و طبيعية، أو غير ذلك، فهو تصنيف يعتمد على الصفات المعبرة عن موضوعات العلم، أو مصادره، أو الطرائق التى يتم تحصيله بها بحسب تناسبها و قرب بعضها من بعض. و قد يخصص العلم بموضوع معين، فيقال: «علم التفسير» أو «علم اللغة» أو «علم التاريخ» أو «علم الفلك» أو «علم الأحياء»، أو غير ذلك من مختلف فروع العلم ٣.

و المقصود بالعلم الذى ينسب إليه مصطلح «الإعجاز العلمى للقرآن الكريم» هو العلوم الكونية التجريبية الباحثة فى ظواهر الكون و الحياة.

و عليه: فإن «الإعجاز العلمى» للقرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة هو إخبارهما بحقيقته كونية أثبتتها العلم التجريبي، و ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية فى زمن الرسول صلى الله عليه و سلم مما يظهر صدقه فيما بلغ عن رب العزة سبحانه و تعالى ٤.

و صف الإعجاز هنا بأنه علمى نسبة إلى العلم التجريبي المعنى بدراسة الظواهر المطردة فى الآفاق و فى الأنفس وصولاً إلى القوانين التى تفسر سلوكها و تعلق حدوثها بحيث تنكشف

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٩٣

حقائق الأشياء انكشافا تاما، و تتجلى حقيقة الحقائق متمثلة في الإيمان الخالص على هدى و بصيرة بالخالق الواحد، مصداقا لقوله تعالى: سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٥.

و العلاقة بين آيات الحق في القرآن و الكون تجمع في ترابط محكم بين إعجاز السبق و البيان في كتاب الإسلام الخالد، و إعجاز القدرة الإلهية في كتاب الكون اللانهائي، ليدلى كل إعجاز بشهادة تسليم و تصديق للآخر، و ليكون في الإعجازين عبرة لكل ذى عقل رشيد، أو لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد، فكما أن الأدلة القاطعة برهنت على أن القرآن الكريم لا يمكن إلا أن يكون من عند الله الواحد، بدليل عدم الاختلاف بين آياته، كذلك فإن النظام الكوني المعجز بكل ما فيه من تدبير و إحكام لا يمكن إلا أن يكون من صنع الله الذى أتقن كل شىء.

و ينبغى أن ندرك هنا أن المعجزة نوعان ينبغى التمييز بينهما، كى نطلب المعجزة التى يجب أن تطلب، و نتورع عن طلب المعجزة التى لا تجدى أحدا من العقلاء ٦.

أما النوع الأول فهى المعجزة التى تتجه إلى العقل، و هى موجودة يلتقى بها من يريد لها حيثما التفت إليها، متمثلة في الإطراد المنتظم لظواهر الكون و الحياة التى لا تتبدل و لا تتحول، قال تعالى: ... فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ٧.

و أما النوع الثانى فهى المعجزة التى تكون من خوارق العادات، فهى التى تدهش العقل و تضطره بالإفحام القاهر إلى التسليم، و هى ليست بحاجة إلى قدرة أعظم من القدرة التى نشهد من بدائعها ما يتكرر أمامنا كل يوم و كل ساعة. و العالم الحق أحرى أن يعرف موضع العجب فيما يشاهده من سنن الله الكونية المألوفة فى دوران الأفلاك و خصائص المادة و سلوك الكائنات و الظواهر، فليست ألفتها لها مما يصح أن يبطل العجب منها، و من قال هذا فهو هازل مستخف بالمعجزة التى تخاطب العقل و تستثير ملكاته، و هو أيضا عاجز عن أن يجد فى هذه المعجزة يد العناية الإلهية التى تسيّر حركة الكون و الحياة.

و قد غاب مثل هذا التمييز الواضح بين نوعى المعجزة عن كثير من الباحثين الذين يقفون بتفكيرهم عند حد «التفسير العلمى» للظاهرة الكونية، أو الذين يقحمون أنفسهم فيما لا يدركه العقل البشرى المحدود من خوارق العادات التى لا تخضع للنواميس الطبيعية و لا للتجارب البشرية.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٩٤

كذلك أدى غياب هذا التمييز الواضح بين نوعى المعجزة إلى الخلط أحيانا بين الإعجاز العلمى الذى يقصد به سبق القرآن الكريم إلى الإخبار بحقيقته كونه قبل أن يكتشفها العلم التجريبي، و بين «التفسير العلمى للقرآن الكريم» الذى يراد به الكشف عن معان جديدة للآية القرآنية، أو الحديث النبوى، فى ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية، دون إسراف فى التأويل، بمعنى أن تكون هذه العلوم فى خدمة تفسير القرآن و السنه مثلما خدمته علوم اللغة و الأصول و الفقه و غيرها من مجالات العلوم الشرعية.

و كان طبيعيا أن يظهر فى مجال الدراسات الإسلامية مبحث خاص من مباحث علوم القرآن يعنى بدراسة الآيات الكونية فى إطار من توافق الحقائق العلميه مع ما أنبأ به القرآن أو أشار إليه، سواء كان غرض هذه الدراسة هو الكشف عن أوجه الإعجاز العلمى للقرآن الكريم فى بيان حكم التوجيهات الإلهية فيما يتعلق بالحلال من الطيبات و الحرام من الخبائث و المحرمات، أو كشف وجوه الهداية القرآنية فى آفاق النفس و الكون بصورة عامة.

### \* الترقى فى فهم الإعجاز العلمى للقرآن الكريم:

لقد شاءت حكمه الله - تعالى - أن يكون إرشاد الناس و هدايتهم بوسائل متنوعه، و هو - سبحانه و تعالى - خير عباداه، فهو تارة يخاطبهم بما يمس قلوبهم مسارا رقيقا رفيقا، و هو تارة أخرى يقرع عقولهم قرعا قويا شديدا، و كان من أبرز ما جلى به أبصارهم و أنار

بصائرهم حُضَّه إياهم على التدبير فى آيات خلقه. و هذا ما شجع العلماء الذين يرون فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم لونا من التفسير فيه فتح جديد و تجديد فى طريق الدعوة إلى الله و هداية الناس إلى دين الله.

و لما كان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التى أيد الله بها رسوله محمدا- صلى الله عليه و سلم- لتبقى بين أيدى الناس إلى قيام الساعة، مصداقا لقوله تعالى: قُلْ أُنْزِلَ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۙ أَلَمْ يَكُن لَكُمْ آيَاتٍ أَنْ تَسْمَعُوا دَعْوَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قُلْ اللَّهُ يَخْتَارُ مَنْ يَشَاءُ لِيُؤْتِيَهُ عِلْمًا كَثِيرًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ. فقد ظهرت مباحث فى علوم القرآن تعنى بجوانب الإعجاز القرآنى البلاغى و التشريعى و التربوى و العلمىة و غيرها. و فى بيان المعجزة العلمىة من حيث طبيعتها الباقية بين يدى الناس، و تجددها مع كل كشف بشرى فى ميادين العلوم، و كذلك فى المعارف ذات الصلة بمعانى الوحي الإلهى، يقول الله تعالى:

لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۙ ٩.

و جاء فى تفسير هذه الآية الكريمة: أنزله

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٩٥

بعلمه: أى فيه علمه الذى أراد أن يطلع العباد عليه، من البنات و الهدى و الفرقان، و ما يحبه الله و يرضاه، و ما يكرهه و يأباه، و ما فيه من العلم بالغيوب، من الماضى و المستقبل ١٠.

كذلك وعدنا الحق جل و علا بأن يرينا آياته، فيتحقق لنا العلم الدقيق بها، و ذلك فى قوله عز و جل: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۙ ١١، و قوله: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۙ ١٢. و من آيات الله فى الآفاق و فى الأنفس كل مخلوقاته التى خلقها فى شتى آفاق الأرض و السماء، مصداقا لقوله تعالى:

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ۙ ١٣.

و القرآن الكريم حافل بذكر آيات الله فى خلقه متخذاً من التفكير فيها مدخلا رحيبا إلى الإيمان الخالص بالله عن طريق الاستشعار بوحدانيته سبحانه و بقدرته و بديع صنعه. و يتخذ القرآن الكريم أساليب بلاغية متنوعة فى الدعوة إلى النظر فى آيات الله و الاحتفال بذكر السموات و الأرض، و الشمس و القمر و منازلها، و المشارق و المغارب، و البروج و النجوم و الكواكب، و الليل و النهار و الفجر و الغسق، و الظلمات و الضياء و النور، و البحار و الأنهار و العيون، و الرياح اللوآقح، و السحاب الثقال و المركوم و المنبسط، و البرق و الرعد و المطر، و الجبال الراسيات و الجدد البيض و الحمر و الغرايب السود، و الأرض الهامدة و الأرض المهتزة الرايبية، و الجنات و النخيل و الأعناب و التين و الزيتون، و الطلح و السدر و اليقطين، و النمل و النحل و البعوضه و العنكبوت، و الطير الصافات، و الإبل و الخيل و الأنعام، و اللبن يخرج من بين الفرث و الدم، و الشراب الشافى يخرج من بطون النحل، و خلق الإنسان من تراب و من ماء مهين، و تطوره فى ظلمات الرحم خلقا من بعد خلق، و شفثيه و لسانه و سمعه و بصره و فؤاده، و إخراج الحى من الميت و الميت من الحى ...

و هذه كلها أمثله قليلة بعيدة عن تمام الحصر مما يوجهه القرآن الكريم لأولى الألباب الذين يعقلون و يتفكرون و يتدبرون.

و من يتأمل الخطاب القرآنى فى الدعوة إلى النظر فى آيات الله؛ يجد أنه ينزل فى نفوس المؤمنين منزلة الأمر، فالمسألة عندهم إذن مسألة فريضة و تكليف ١٤، لكن من البديهى أن يتفاوت هذا التكليف بالنظر فى آيات الله من مؤمن إلى مؤمن، و من قارئ إلى قارئ، إذ أن نظرهم هذا يتفاوت بتفاوت استعدادهم و مقدرة إدراكهم و حصيلة معارفهم، فالسموات مثلا آيات رائعة معجزة عند

الأمى و عند عالم الفلك المتخصص على

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٩٦

السواء، و إن كان العالم أقدر على الإحاطة بجلال الإعجاز فى خلقها، و من ثم كانت خشيته العميقة لخالقها مصداقا لقوله تعالى:

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۙ ١٥.

فمن هنا كان النظر الفطري البسيط و النظر العلمى المتأمل العميق، و كلاهما مطلوب و مشروع و مفيد.

و هذا سر من أسرار بلاغة القرآن، بيد أن التعمق بالبحث العلمى السليم لا يتوافر إلا للقادرين عليه و المؤهلين له، فهو إذن فرض كفاية عليهم، كما أنهم مكلفون أيضا بتبصرة غيرهم بما انتهى إليه نظرهم، فقد أمرنا أن نتعلم و نعلم، و نهينا عن كتمان العلم.

و الناس يتفاوتون فى فهمهم للقرآن بحسب درجاتهم و أحوالهم و استطاعتهم، و هم فى عصرنا أحوج من أى عصر مضى إلى أن يتعلموا من مآدبته ما استطاعوا، و أن يفيدوا من كنوزه و أسرارهِ فى إصلاح دنياهم و الفوز بنعيم أخراهم. يقول الراغب الأصفهاني فى كتابه «مقدمة التفسير»: ثم إن القرآن- و إن كان فى الحقيقة هداية للبرية- فإنهم لن يتساوا فى معرفته، و إنما يحظون به بحسب درجاتهم و اختلاف أحوالهم، فالبلغاء تعرف من فصاحته، و الفقهاء من أحكامه، و المتكلمون من براهينه العقلية، و أهل الآثار من قصصه ما يجمله غير المتخصص بفته. و قد علم أن الإنسان بقدر ما يكتسب من قوته فى العلم تتزايد معرفته بغوامض معانيه .. ١٦. و أهل الاختصاص فى فروع العلوم- بطبيعة الحال- ليسوا بدعا بين هؤلاء الذين ذكرهم الأصفهاني، فكل ما يساعد من حقائق العلم على تعميق فهمنا لمعاني القرآن الكريم و تعاليمه و أحكامه، هو ما يجب الأخذ به. و كم فى القرآن الكريم من آية إذا مستها يد العلم أبانت أسرارها و أظهرت إعجازها. ذلك أن القرآن الكريم له أسلوبه الحكيم فى الدلالة على آيات الله فى الكون، و الهداية التى جاء أصلا من أجلها تقتضى ألا يخاطب الناس عن الكون بما ينكرون، أو بما يستعصى على أفهامهم، فيقوم ذلك حجابا بينهم و بين قبول دعوته، و حاملا على التكذيب بما لم يجيئوا بعلمه و لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ.

كذلك تقتضى الهداية القرآنية ألا يوافق القرآن الناس على باطل معتقداتهم الكونية فى عصر نزول الوحي به، فيقوم ذلك حائلا دون قبول دعوته فى عصور التقدم العلمى و التقنى التى علم منزل القرآن أنها ستكون.

و تجنب هذين العائقين عن قبول هداية القرآن هو من بدائع إعجاز أسلوبه و من أكبر الدلائل على أنه حقا من عند الله فاطر الناس و فاطر الكون.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٩٧

و ينبغى الترقى فى فهم آيات القرآن و الكون إلى درجة الفقه حتى ندرك الحكمة وراء إعجازها، و نبلغ نهاية درجة الإحسان فى قراءة الكتابين: المسطور و المنظور. أما نهاية الإحسان فى قراءة آيات القرآن فتعنى تجاوز حدود الأصوات و الألفاظ، و اختراق حاجز الزمان و المكان، وصولا إلى الاستمتاع من المتكلم الأزلى جل جلاله. فالنفس الشفافة، و الإحساس المرهف، لهما أثر جلى فى قراءة القرآن، أو الاستماع إليه، و بذلك تتجلى أنوار القرآن على قلب القارئ أو السامع. و لهذا كانت نصيحة العارفين: «اقرأ القرآن كأنه يتنزل عليك».

و أما نهاية الإحسان فى قراءة آيات الكون- كتاب الله المنظور- فتعنى تجاوز حدود البحث العلمى الآلى، بعناصره و وسائله و أدواته. و اختراقه عالم النظريات و القوانين العلمية بصياغاتها اللفظية، وصولا إلى إدراك أنه كل علم من العلوم الباحثة فى ظواهر الكون و الحياة، هو فى حقيقته علم يبحث بلغته الخاصة عن الله خالق الكون و الحياة، و يستند فى غاية منتهاه إلى اسم من أسماء الله الحسنى .. فعلم الطب و الصيدلة تصل إلى كمالها بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم «الشافى» فى كل حبة دواء. و علوم الفيزياء و الفلك و الكيمياء و النبات و الحيوان تبحث فى حقيقة الموجودات باستنادها إلى ما يناسبها من أسماء العليم الحكيم القادر المقدر الذى أوجد هذا العالم على أعلى درجة من الترتيب و النظام و الكمال و الجمال. و بهذا تكون العلوم فى حقيقتها غير مقصودة لذاتها، و إنما هى ضرورات حيوية و حاجات معرفية و عقلية تحيط الهداية الإيمانية بأبعاد جديدة، و ترى فى كل مشهد كونى آية ناطقة بقدرة الخالق و وحدانيته، و مظهرا معبرا من مظاهر تجليات أفعال الله تعالى و أسمائه الحسنى.

و لا شك أن البحث فى الإعجاز العلمى لآيات القرآن الكريم على هدى و بصيرة يؤتى ثماره الحقيقية ببلوغ نهاية الإحسان على سلم الترقى فى فهم آيات الله المنبئة فى القرآن الكريم، و فى جنبات الكون الفسيح، و فى أسرار النفس البشرية و باقى الموجودات.



كما أن ارتقاء العلوم الحديثة و نجاحاتها في استكشاف حقائق جديدة عن الكون من العوامل التي ساعدت على الاجتهاد في تسخير العلم الكوني لتجلية معان جديدة لآيات القرآن الكريم، شريطة أن يكون الاجتهاد في ذلك المجال وفق منهج رصين محدد ينبغى الالتزام به في ضوء ما هو معروف عن معنى الحقيقة العلمية و حدودها.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٩٨

### \* ضوابط (منهج) البحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

إذا كانت قضية الربط بين القرآن و العلم تتعرض لنقد لاذع بسبب إفراط بعض المتحمسين، أو تفريط البعض الآخر من الرافضين و المعارضين، و أمام الحاجة الماسة إلى هذا النوع من الدراسات القرآنية لتنشيط حركة الدعوة الإسلامية المعاصرة، فإنه أصبح ضروريا أن يكون للبحث في مجال الإعجاز العلمي للقرآن منهج، و أن يوضع للمجتهد ضوابط و شروط، و أن يتبّه إلى مزالق الخطأ و موارد الزلل و كبوات الاجتهاد.

و يمكن إيجاز الإطار العام الذي توصل إليه الباحثون لترشيد البحث في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم و السنة النبوية المشرفة فيما يلي:

١- علم الله هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتره خطأ و لا يشوبه نقص، و علم الإنسان محدود، يقبل الازدياد، و معرّض للخطأ. و لقد نزلت نصوص الوحي بألفاظ جامعة تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضيعها التي قد تتابع في ظهورها جيلا بعد جيل. و إذا جمعت نصوص الكتاب، و السنة الصحيحة، و وجدت بعضها يكمل بعضها الآخر، فتنجلي بها الحقيقة، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن، و في مواضيعها من القرآن الكريم، و هذا لا يكون إلا من عند الله الواحد الذي يعلم السر في السموات و الأرض، و من ثم فإنه لا يوجد تعارض بين نصوص الوحي القاطعة التي تصف الكون و أسرارها، على كثرتها، و بين الحقائق العلمية المكتشفة، على وفرتها.

٢- الحقيقة العلمية التي يعرف رجال العلم معناها و حدودها لا تبطل مع الزمن، و لكنها قد تزداد مع جهود العلماء المتتابعة تفصيلا و وضوحا و جلاء. كل ما في الأمر أن القوانين العلمية تعبر عادة عن حقائق علمية محدودة، و ليس من الصواب أبدا أنه تعتبر هذه الحقائق الجزئية دليلا على قصور العلم أو منقصة فيه، فطبيعة المعرفة العلمية تتميز بالنمو المطرد في اكتشاف القوانين التي تلقي الضوء شيئا فشيئا على حقائق الواقع الثابت في الكون بعد أن أشارت إليها آيات من القرآن العظيم.

٣- يجب التّقيّد بما تدل عليه اللّغة العربيّة، فلا بد من:

(أ) أن تراعى معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي، و يراعى كذلك فقه استعمالها.

(ب) أن تراعى القواعد النحوية و دلالاتها.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٦٩٩

(ج) أن تراعى القواعد البلاغية و دلالاتها، خصوصا قاعدة «ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقريته كافية».

٤- يجب البعد عن التأويل في بيان الإعجاز العلمي للقرآن و السنة، و لا ينبغى الإسراف في ذلك.

٥- يجب ألا تجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تكون هي الأصل، فما وافقها قبل، و ما عارضها رفض، ذلك أن المرجعية يجب أن تكون للحقائق القرآنية، و ليس للعلم التجريبي، فالحقائق العلمية تحتكم إلى القرآن و لا- تزيهه، فإن وافقته فيها و نعمت، و إن تعارضت معه رفضت، لأن النص القرآني وحي من الذي أحاط بكل شيء علما.

٦- يجب على المجتهدين من العلماء أن يكونوا ملمين من علوم القرآن بالقدر الكافي و أن يكون لديهم استعداد شخصي يعززه رجوعهم إلى أمهات كتب التفسير رجوع المتعلم التآني، لا- اطلاع القارئ العجول، فإذا تعذر عليهم هذا كان عليهم أن يسألوا أهل



الذكر و الاختصاص، فهذا أقل مقتضيات التحرى و عدم التورط فى الكلام فى كتاب الله بغير علم.

٧- كذلك يجب على المجتهدين من الباحثين فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم و السنه المطهره (البيان النبوى) أن يكونوا على معرفه تامه بالظاهره العلميه قيد البحث و تاريخ المصطلحات الفنيه المتعلقة بها.

إن هذه الضوابط و الشروط المنهجيه ضروريه لترشيد البحث فى الإعجاز العلمى للقرآن و السنه، و ينبغى توافرها فى كل من يتعرض للاجتهد بما يناسب جلال القرآن و قدسيته، و كتاب الله العزيز كله معجز، و يستطيع العلماء أن يتلمسوا دلائل إعجازه فى شتى المجالات، فإذا ما كنا بصدد «إعجازه العلمى» تحتم علينا أن نتوخى الدقه التامه، فلا نفتعل مناسبه، أن نتشبه بلفظه و نحملها فوق ما تحتمل، أو نجعل أو نتجاهل حقائق التاريخ، و ينبغى أن يكون لنا فى الأئمه السابقين أسوه حسنه حين نرى دقه مناهجهم العلميه عند ما تناولوا القرآن الكريم من نواحيه اللغويه و البلاغيه و التشريعيه و غيرها.

و إذا علمنا أهميه هذه الأبحاث فى تعميق اليقين الإيمانى عند المؤمنين، و دفع الفتن التى ألبسها الكفار ثوب العلم، عن بلاد المسلمين، و فى دحض محاولات التستر بالعلم لإثارة الشبهات حول الإسلام و المسلمين، و فى دعوه غير المسلمين و توصيل الحقائق الإسلاميه إليهم على اختلاف أجناسهم و أوطانهم، و فى حفز المسلمين للأخذ بأسباب النهضه العلميه، و فى تعميق فهم ما خوطبنا به فى

الموسوعه القرآنيه المتخصصه، النص، ص: ٧٠٠

القرآن و السنه، تبين من ذلك كله أن القيام بهذه الأبحاث من أهم فروض الكفايات، خاصه أن أهل عصرنا ممن يريدون الحق من سائر الأجناس لا يذعنون بشيء مثل إذعانهم للعلم و منهجه و بيناته و دلائله.

## \* من أوجه الإعجاز العلمى للقرآن الكريم:

### ١- فى آيات السماء:

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسَدَّى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ١٧.

تشير هذه الآيه القرآنيه الكريمه إلى بعض الظواهر الكونيه التى أخبر بها الله- سبحانه و تعالى- لتدل على كمال قدرته و بالغ حكمته، و منها أنه خلق السموات مرتفعات بغير عمد، أى دعائم، يمكن رؤيتها بالبصر، و قد جاء فى تفسير ذلك عن ابن عباس و مجاهد و الحسن أنهم قالوا: لها عمد و لكن لا- ترى. و لو قيل (بغير عمد) فحسب لكان ذلك نفيًا مطلقًا للعمد، مرثيه و غير مرثيه. و النفى المطلق يخالف الواقع الذى أودع الله تعالى فيه سننه و نواميسه و آياته التى وعد- سبحانه- بإظهارها مستقبلا على أيدي من يشاء من عباده، و بهذا يكون المعنى العام أن الله- سبحانه و تعالى- خلق السموات و رفعها و ربط بين أجزائها و حفظ اتزانها فى مواقعها التى قدرها لها من غير دعائم مرثيه، لأن هذه الدعائم من شأنها و طبيعتها التى أوجدها الله عليها أنها لا ترى أصلا.

و يمكن تصور هذه الدعائم غير المرثيه- من منظور العلم الحديث- بأنها من نوع القوى المجاليه التى تعمل وفق قانون محدد من أجل حفظ الاتزان الكونى و الإمساك بالأجرام السماويه فى أفلاكها و منعها من الانفراط فى الفضاء أو الوقوع على بعضها البعض. ذلك أن الأجرام السماويه تتحرك تحت تأثير قوى جاذبه للربط بينها، و قوى رافعه لحفظها من السقوط.

و حيث إن قوى التجاذب الرابطة من شأنها أن تقرب و تجمع بين الأجرام، فى حين تعمل طاقة حركتها (المكتسبه من القوى الرافعه) على انطلاقها بعيدا عن أعماق الفضاء طبقا لخصائص تأثير القوى فى الأجسام، فإن تقرير حفظ هذه الأجرام من السقوط على بعضها البعض و استمرار دورانها فى أفلاك ثابتة يستلزم بالضرورة العقليه أن يكون تأثير قوى التجاذب مساويا و مضادا (أى معادلا) لتأثير

طاقة الحركة، و تصير الأجرام بذلك

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٠١

على أبعاد ثابتة في مجموعات التي تنتمي إليها، أى أن الله - سبحانه و تعالى - قد عادل و ساوى بين تأثير قوى التجاذب الرابطة للأجرام السماوية و تأثير حركاتها المكتسبة من قوى الخلق و الرفع، فحفظها ذلك من السقوط بتأثير القوى الرافعة، كما حفظها من التفرق بتأثير القوى الرابطة، و هكذا انتظمت مكونات الكون الهائل في نظام بديع يحكم حركتها، و يمنع تصادمها رغم كثرتها، و يحفظ اتزانها و استقرارها في أفلاكها إلى ما شاء الله. قال تعالى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ١٨.

و يؤكد القرآن الكريم في آيات أخرى هذه الحقيقة الكونية و ارتباط الاتزان الكوني بإرادته و مشيئته المطلقة، فيقول تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَ لَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ١٩ و يقول جل و علا: وَ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ٢٠.

و لم يتوصل العلم إلى إظهار هذه الحقيقة الكونية عن اتزان الأجرام السماوية إلا بعد نزول القرآن الكريم بأكثر من ألف عام، و ذلك عند ما اكتشف العالم الإنجليزي «إسحاق نيوتن» في عام ١٦٦٧ م قانون الجذب الكوني بين جميع الكتل المادية لتفسير حركة الكواكب حول الشمس، و حركة الأقمار حول الكواكب، ثم أثبت التجارب العملية صحة هذا القانون في عالم القياسات العادية. و قام على أساسه الكثير من الكشوف و الاختراعات التي أفادت منها البشرية في مختلف المجالات، و خاصة في مجال تطوير أبحاث الفضاء و إطلاق الأقمار الصناعية التي تدور حول الأرض في مدارات مختلفة بحسب الأغراض التي صنعت من أجلها.

و يخبرنا الحق - عز و جل - بأن نهاية العالم عند ما تحين الساعة ستكون بإيقاف هذه السنن و النواميس و القوانين التي اهتدى الإنسان إلى معرفتها بعضها. من ذلك مثلا: أن تعطيل قوانين الحركة و الجاذبية بأمر من الله من شأنه أن يحدث انشقاقا و اختلالا في توازن النظام الكوني يتبعه اضطراب في حركة الأجرام السماوية بعد انقطاع خيط الجاذبية الكونية الذي كان يربط بينها. و لا يمكن للعلم البشري أن يحيط بحقائق هذا اليوم العصيب، و لا يملك أن يزيد شيئا إلا من خلال ما توحى به النصوص القرآنية في ضوء ما يتوصل إليه العلماء من حقائق.

علمية، فمن المقبول عقلا أن يؤدي انقراض عقد الأجرام السماوية إلى تناثرها و تصادمها

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٠٢

مصدقا لقوله تعالى: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَ إِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ٢١. كذلك من المقبول عقلا أن يؤدي الاضطراب في نظام الكون إلى حدوث زلزال شديد و ارتجاج هائل تنهار معه كل الجبال و تتبدد صلابتها، كما تدك معه الأرض و تخرج ما في باطنها من أثقال، مصدقا لقوله تعالى: إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ٢٢.

و قوله تعالى: وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ٢٣. و قوله سبحانه:

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥). ٢٤.

و يؤكد القرآن الكريم في مواضع كثيرة على أن هذا الكون بمجراته و نجومه و كواكبه و أقماره، زمامه في يد خالقه، و نواميس الحركة و الحياة فيه من تدبير هذا الخالق الواحد الذي يقول للشئء كن فيكون. كذلك يؤكد كتاب الإسلام أن القيامة سوف تحدث بغته بإذن الله، و أن حضارة الإنسان على الأرض سوف تذهب بها رجفة من رجفات الاضطراب الكوني يوم الدمار الأكبر لكل شئء إلا- ما شاء الله. قال تعالى: حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢٥.

ومن العجب ألا- يؤمن الكفار بالآخرة، و يعتقدون فقط في الحياة الدنيا دون بعث، إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٢٦، و كأن الحياة في نظرهم مجرد أرحام تدفع و أرض تلبع و لا خلود و لا جزاء. لكن هذا الاعتقاد يتنافى مع حقيقة العالم الآخر الراسخة في الضمير البشرى لأنها ترضى الجانب النفسى و الأخلاقى للإنسان، و من هنا فإن دعوة الإسلام إلى الإيمان بحقيقة الآخرة تحقق الاتزان النفسى للإنسان، فى مقابل إيمانه بحتمية الموت فى الدنيا. قال تعالى: الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٢٧.

## ٢- فى آيات الأرض:

وردت كلمة «الأرض فى القرآن الكريم فى مواضع عديدة لتدل على الكوكب الأرضى بمجمله، كما فى قوله تعالى: وَ فى الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ٢٨، أو تدل على ذلك الغلاف الموسوعى القرآنى المتخصصة، النص، ص: ٧٠٣ الصخرى من القشرة الأرضية التى نعيش عليها، كما فى قوله تعالى: وَ الأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ المَاهِدُونَ ٢٩، أو تدل على خاصية مميزة فى الأرض تستحق التأمل و التفكير لأهميتها فى حياة الإنسان، و باعتبارها من دلائل القدرة الإلهية على الخلق و الإبداع، كما فى قوله تعالى:

وَ الأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ ٣٠.

و «الصدع» Fault فى اللغة العربية يعنى الشق، و كمصطلح علمى يطلق على أى كسر فى الأرض تتحرك على مستواه من الجانبين كتل الصخور، و هو ينشأ من تصدع (أى تكسر أو تشقق) الصخور بقوة الضغط أو الشد. و يرى العلماء المفسرون أن آية وَ الأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ توضح صفة هامة لقشرة الأرض و طبيعتها التى يتوقف عليها كثير من التغيرات التى تطرأ على سطحها، و هى قابليتها للتشقق و التصدع. و يقسم الحق تبارك و تعالى بهذه الصفة للأرض لبيان أهميتها و الحث على معرفة حكمتها.

فهم الأولون من هذا الوصف القرآنى للأرض بأنها ذاتِ الصَّدْعِ معنى انصداعها (أى انشقاقها) بعد ارتوائها بالمطر ليخرج منها مختلف صور النبات و ما تحمله تلك النباتات من خيرات و ثمار لولاها لم تستقم الحياة على الأرض. كما أن الأرض أيضا ذاتِ الصدوع التى ساعدت على وجود منافذ فى القشرة الأرضية لخروج المياه الجوفية و الغاز الطبيعى و البترول إلى سطحها. كذلك تعتبر الشقوق (أو الصدوع الأخرى) فى وجه الأرض الرقيق وسيلة من وسائل تهوية التربة و تجديد خصوبتها.

و يلقى علم الجيولوجيا الحديث بعض الضوء على أسرار القسم الإلهى بالأرض ذاتِ الصدع، فيكتشف العلماء فى أواخر الستينات من القرن العشرين أن الغلاف الصخرى للقشرة الأرضية ممزق بشبكة من الصدوع الطولية و العرضية الممتدة لمئات الآلاف من الكيلومترات، مقسمة على ١٢ (اثنى عشر) لوحا كبيرا و عدد من الألواح أو الصفائح Plates الصغيرة، و أن تلك الصدوع تنتشر أكثر ما تنتشر فى قيعان البحار و المحيطات، و أنها توجد أيضا فى القارات بنسبة أقل، و يزيد عمقها عن ١٠٠ كيلومتر (و هو متوسط سمك الغلاف الصخرى للأرض).

و قد ثبت بالملاحظة المباشرة و غير المباشرة أن تلك الكتل الصخرية الضخمة، التى تعرف باسم «الأواح الغلاف الصخرى»، تطفو فوق نطاق من الصخور شبه المنصهرة يسمى «نطاق الوهن (الضعف) الأرضى»، و تتميز مادته بكثافة أعلى من كثافة الألواح

الموسوعى القرآنى المتخصصة، النص، ص: ٧٠٤

الطافية فوقها، و بحالة واضحة من المرونة و اللدونة تجعل الألواح تنزلق فوقها بسهولة و يسر نتيجة لدوران الأرض حول محورها أمام

الشمس. و يصبح سطح الأرض في هذه الحالة بالنسبة للإنسان أشبه بالفراش المريح أو المهاد الممتد للذين يهاهما الله تعالى لتسهيل الحياة، و امتنّ بهما على عباده في قوله تعالى: وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَا فَأَنعَمَ الْمَاهِدُونَ ٣١. كذلك أثبتت أبحاث العلماء أن مراكز كل من الهزات الزلزالية و الفورانات البركانية تحتشد حول الصدوع الفاصلة بين ألواح الغلاف الصخري للأرض، حيث يحدث اللقاء بين هذه الألواح (الصفائح) على امتداد حوافها أو أطرافها، أو يحدث التباعد عن بعضها البعض، أو يحدث أن يتحرك أحد الألواح بمحاذاة الآخر جنباً إلى جنب بدون تقابل أو تباعد. و في ضوء هذه الحركات يمكن الربط بين السلوك الداخلي للأرض و بين كل العمليات الأساسية التي تشاهد على سطحها و تغييره منه بصورة مستمرة. مثال ذلك ما أثبتته العلماء عند خطوط التباعد بين ألواح القشرة الأرضية، حيث تتسع قيعان البحار و المحيطات، و تندفع الصهارة الأرضية من نطاق الوهن (الضعف) الأرضي لئلا الحيز الناشئ عن تباعد تلك الألواح، مكونة شريحة من صخور بازلتية جديدة تضاف لقاع المحيط الذي يواصل عملية الاتساع، ثم تنشق هذه الشريحة البازلتية في منتصفها من جديد بفعل عملية التصدع المستمرة في قشرة الأرض، و يندفع نصفها متباعدين عن بعضهما البعض ليمتلئ الحيز الناشئ بينهما بصهارة بازلتية جديدة، تيسر للتصدع في وسطها من جديد، و تتكرر العملية بمعدلات بطيئة و لكنها تؤدي في النهاية إلى استمرار اتساع قيعان البحار و المحيطات لأقصى مدى ممكن، ثم تتوقف عملية الاتساع و تعود البحار و المحيطات إلى الانغلاق بعملية معاكسة حتى تتلاشى تماماً من فوق سطح الكرة الأرضية، كذلك تعمل صدوع الأرض على إثراء الغلاف الصخري بمختلف العناصر و المركبات على هيئة العديد من المعادن و الركايات التي تندفع من الحمم البركانية الصاعدة إلى سطح الأرض عبر تلك الصدوع التي لولاها ما استقامت حياة الأحياء.

فتبارك الحكيم العليم الذي خلق الأرض ذات الصدع، و جعل من صدوعها مقوماً أساسياً من مقومات الحياة و استمرارها على سطحها.

### ٣- في آيات الجبال:

من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في آيات الجبال ما يتعلق بنشأتها و تكوينها

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٠٥

و سبب اختلاف ألوانها الذي يعود إلى اختلاف المواد التي تكوّن صخورها. فالجبال البيضاء تتكون أساساً من الطباشير و الحجر الجيري، و الجبال السوداء يكثر فيها المنجنيز و الفحم، و الجبال الحمراء غنية بالحديد، و غير ذلك من الجبال النارية تتكون من الجرانيت و البازلت، و تحتوي على عروق الحديد و النحاس و الذهب و معادن أخرى تؤدي إلى تعدد ألوان الجبال و أنواعها. و من دلائل القدرة الإلهية هنا أن التباين في أحوال الجبال و ألوانها و أنواعها، رغم أنها ترجع أصلاً إلى أرض واحدة كانت تكوّن مع الشمس و السموات رتقا واحداً، يشير إلى الله الواحد القهار الذي أوجد هذا التباين أيضاً في الناس و الدواب و الثمار، و حث العلماء على اكتشاف الحكمة من ورائه، قال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٣٢.

من ناحية أخرى، ورد تشبيه الجبال بالأوتاد في قوله تعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَ الْجِبَالَ أَوْتَادًا ٣٣، و في هذا إعجاز علمي رائع، فالجبال فيما يتبادر إلى الذهن تشبه الأوتاد من ناحية البروز عن سطح الأرض و من ناحية الرسوخ فيها. و لقد كشف العلم حديثاً أن للجبال جذورا تمتد إلى الأغوار العميقة إلى عمق يصل إلى حوالي ٧٥ كيلومترا. و غرس الجبال على هذا النحو في الطبقة اللزجة التي تحت طبقة الصخور هو الذي يساعد على تثبيت القارات و يمنعها أن تطوف أثناء دوران الأرض، فهذه الأوتاد المغروسة في الطبقة اللزجة التي تحت القارات تعمل على تثبيت القارات كما يثبت الوتد الخيمة إذا غرس في تراب الأرض.

كذلك يعمل بروز الجبال على استقرار سطح الأرض، حيث تبرز قشرة الأرض في موضع ما فتصبح جبالا نتيجة ضغوط أثرت على أطراف طبقات أفقية من الصخور، ثم تستقر القشرة الأرضية على هذا الوضع.

و تيمية نقطة علمية أخرى هي أن أول ما برد من الأرض أثناء تكوينها هي قشرتها الخارجية فتجمدت و ظل باطنها ساخنا على هيئة سائل و غاز، و أثناء برودة القشرة تغضنت، فما ارتفع من أجزائها كَوْن الجبال و الهضاب، و ما انخفض كَوْن السهول و الوديان و قيعان المحيطات. فلولا بروز الجبال لتشققت القشرة و ظهرت بها فجوات و فتحات كثيرة، و لثارت البراكين و اضطربت الأرض

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٠٦

اضطرابا عظيما و زلزلت زلزالا شديدا، فكأن الجبال حافظة لما تحتها مانعة له من الاضطرابات و الزلازل و الثوران، و في هذا المعنى يقول الله تعالى: وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣٤.

و لقد فطن بعض العلماء المفسرين إلى الإيحاءات العلمية لكلمة «رواسي» التي أخبر بها القرآن الكريم في مواضع كثيرة باعتبارها وصفا للجبال، و علاقتها باتزان الأرض أثناء حركتها. فالواقع العلمي يشهد بأن الأرض تدور حول نفسها و حول الشمس، و من المعروف أن أي جسم يدور في حركة مغزلية حول محوره لا- يميل و لا- يضطرب إلا إذا كان هناك تماثل في الكتلة حول محور الدوران، و حيث أن الأرض لا تميل بنا أثناء دورانها، بدليل عدم شعورنا بهذا الدوران، فإنه لا بد أن تكون الجبال الرواسي من أهم عوامل اتزان الأرض و تماثل كتلتها على جانبي محور الدوران.

و لتأمل كذلك ما تدل عليه كلمة «رواسي» من مقارنة تقتضى أن يكون جوف الأرض سائلا، و أن تستقر الجبال عليه مثلما تستقر السفينة الراسية على ماء البحر. و سيولة جوف الأرض حقيقة علمية تظهر في ما نشاهده في بعض البراكين عند ثورانها من قذفها بالحمام و الصخر المنصهر. كما أن هناك حقيقة علمية أخرى تقابل المعروف من أن متوسط كثافة السفينة (أي وزنها مقسوما على حجمها) هو أقل من كثافة ماء البحر أو النهر، و إلا لما طفت عليه و لغرقت فيه. و أثبت علماء الجيولوجيا أن الجبال لها جذور منغمسة في منصهر سائل مادته أكثر من مادتها، فبطن الأرض السائل أكثر حتى من مادتها، فبطن الأرض السائل أكثر حتى من جبالها، حيث يبلغ متوسط كثافة مادة الجبال نحو ٦، ٢ جم/سم<sup>٣</sup>، بينما يبلغ متوسط كثافة مادة الأرض نحو ٥، ٥ جم/سم<sup>٣</sup>. فما أعظم التوافق بين حقائق العلم و القرآن، و ما أروع أن نهتدي بهما معا لتعميق إيماننا بالله- سبحانه و تعالى- على هدى و بصيرة.

#### ٤- في آيات البحار:

قال تعالى: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَيَّحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ٣٥.

يمدنا العلم الحديث ببعض الحقائق التي تلقى مزيدا من الضوء على معاني هذه الآية الكريمة من سورة النور، فيخبرنا علماء

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٠٧

البحار بأن درجة الحرارة في الأعماق التي تزيد على الألف متر تتراوح بين ١- ٢ درجة مئوية، أي أعلى بدرجة أو درجتين فقط من درجة الصفر المئوي التي يتجمد عندها الماء العذب. و يلاحظ أن ماء البحر- على خلاف الماء العذب- لا يتجمد عند درجة الصفر المئوي، بل عند درجة أدنى بكثير من ذلك، لأن الأملاح الذائبة في الماء تزيد من كثافته و تمنعه من التجمد عند درجة الصفر. و تتميز البيئة البحرية على هذه الأعماق البعيدة بأنها لا تعرف تقلبات الفصول من صيف و خريف و شتاء و ربيع، مثلما هي لا تعرف ضوء النهار و لا- تصلها أشعة الشمس، فضلا عن أنها بيئة باردة في برودة الثلج، لا تتأثر بموقعها من خطوط العرض المختلفة بين القطبين و خط الاستواء، و من ثم فهي بيئة متجانسة الخصائص إلى حد كبير.

و في أوائل القرن العشرين تمكن العلماء من اكتشاف نوع من الأمواج الداخلية العملاقة، غير الأمواج السطحية التي نراها واضحة أمامنا

على الشاطئ و تؤثر مباشرة على هدوء السطح أو اضطرابه. وقد دعمت أبحاث الأقمار الصناعية هذا الاكتشاف باستخدام تقنية «الاستشعار عن بعد» سنة ١٩٧٣ م. و أمكن بالفعل تصوير أمواج البحر الداخلية و التأكد من وجودها عمليا عند السطح البينى الذى يفصل بين الطبقة الكثيفة السفلى فى البحر و الطبقة العليا الأقل كثافة، و يعزى اختلاف كثافة كل من الطبقتين إلى اختلافهما فى درجة الحرارة و درجة الملوحة.

و هناك عدة عوامل تسبب اندفاع الماء فى أمواج داخلية بالبحر أهمها:

تغير الضغط الجوى، و حركة المد و الجزر، و اختلاف شدة الرياح من مكان لآخر. و من الجدير بالذكر أن هذا النوع من الأمواج الداخلية يسود فى البحار و المحيطات العميقة، مثل المحيط الهادى الذى يعتبر أكثر محيطات العالم عمقا، و فيه أخدود «المارياناز» الذى يبلغ عمقه نحو أحد عشر كيلومترا. و هنا نتأمل دقة التعبير القرآنى الذى تحدث عن وجود هذه الظاهرة فى «بحر لجى» أى عميق كثير الماء كالمحيط الهادى و ليس أى بحر.

من ناحية أخرى، نعرف أن مناطق البحار و المحيطات العميقة يخيم عليها دائما سحب كثيفة معتمة بسبب عمليات التبخير المستمر، و من يتتبع مسار الأشعة الضوئية القادمة من الشمس فى هذه المناطق يجد أن جزءا كبيرا منها يتم انعكاسه أو امتصاصه بواسطة السحاب، ثم ينعكس جزء آخر بواسطة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٠٨

موجات البحر السطحية التى تعمل بسبب ميلها كأنها مرايا عاكسة، و يتم امتصاص الجزء الباقى من الأشعة الضوئية بواسطة طبقات مياه البحر الداخلية على أبعاد معينة تحت السطح، حيث يبدأ امتصاص ألوان الطيف المرئى تباعا حسب أطوالها الموجية، فتمتص الأشعة الحمراء ذات الموجات الطويلة قريبا من سطح البحر لعدم قدرتها على اختراق الماء إلى أعماق كبيرة، و فى أغلب الأحيان يتم امتصاص الأشعة الحمراء فى العشرين مترا الأولى تحت سطح البحر، و يحدث عندئذ ما يمكن أن نسميه «إظلام اللون الأحمر»، و نعى به انعدام رؤية الأجسام الحمراء. فلو كان هناك غواص يسبح على عمق حوالى ٢٠ مترا فإنه لا يرى الدم الذى ينزف من جرح فى يده مثلا.

و يتوالى بعد ذلك امتصاص باقى ألوان الطيف المرئى: البرتقالى، الأصفر، الأخضر، الأزرق، النىلى، البنفسجى، و تتكون ظلمات الألوان بعضها فوق بعض، و يتلاشى أثر الضوء بعد ذلك، بحيث يخيم الظلام الدامس فى المناطق اللجئية (أى العميقة) من البحر أو المحيط، و لا- يستطع العيش هناك إلا- لكائنات حية عمياء لا- حاجة لها إلى عيون الإبصار، مثل حيوان الإسفنج و بعض أنواع الأسماك.

و لقد أمكن التأكد عمليا من هذه الحقائق العلمية عام ١٩٣٤ م بعد أن تمكن عالمان أمريكيان من تصميم كرة معدنية تتحمل ضغوطا عالية، بها نافذة من البلور السميك محكمة القفل، ليهبط بها إلى قاع البحر على أغوار بعيدة، و ليدرسا طبيعة الأحياء الموجودة هناك بالقرب من جزيرة برمودا فى المحيط الأطلسى، حيث لاحظا اختفاء الضوء الأحمر عند عمق نحو ١٨ مترا، و الأصفر على عمق ١٠٠ متر، و تلاشى الجزء الأخضر و الأزرق من الطيف عند عمق ٢٤٠ مترا، ثم غاصا فى ظلام دامس بين عمق ٥٢٠ إلى ٥٨٠ مترا.

إن هذه الحقائق العلمية القطعية تؤكد أن معجزة القرآن الخالدة تتجدد مع تقدم العلم، فمن الثابت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يغادر الجزيرة العربية و لم يسافر قط عبر تلك المحيطات العميقة حيث يذكر مثل هذا الوصف العلمى الدقيق لظلمات بعضها فوق بعض، أو يرى ما تم اكتشافه حديثا من أمواج داخلية عملاقة، من فوقها أمواج سطحية من فوقها سحب.

## ٥- فى عالم النبات:

قال تعالى: وَ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ



الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٠٩

طَلَعَهَا قِنَوانٌ دائِيةٌ وَجَنَاتٍ مِنْ أَغْناِبٍ وَ الزَّيتُونَ وَ الزَّمانَ مُشْتَبِهاً وَ غَيْرَ مُتَشابِهِ أَنْظَرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ إِنَّ فى ذَلِكُمْ لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣٦.

تنبه هذه الآية الكريمة إلى دلائل القدرة الإلهية فى عالم النبات الذى يزخر بالكثير من الآيات الناطقة بعظمة الخالق و جلاله. ذلك أن النباتات جميعها تتغذى و تنمو فى وجود الماء و الضوء و الكربون و الأكسجين و الهيدروجين و النيتروجين و الفوسفور و الكبريت و البوتاسيوم و الكالسيوم و المغنسيوم و الحديد .. و مع أن الغذاء بهذه المواد و العناصر واحد إلا أن الأرض ينبت فيها التفاح الحلو و الحنظل المر و القطن الناعم و الصبار الشائك و القمح و الشعير و البرتقال و الليمون و النخيل و العنب و الزيتون و الرمان .. تربة أرضية واحدة و عناصر غذائية واحدة و ماء واحد و بذور متناهية فى الصغر تنبت آلاف الأنواع من النبات و الثمار .. و تتعدد الأشكال و الألوان و الروائح و الطعوم.

و قد ربطت الآية الكريمة بين الماء و الإنبات، و الماء شرط ضرورى و أساسى لعملية الإنبات، و قد تظل البذرة أو الحبة فى التربة سنوات عدة، لا تنبت و لا تتحرك إلى أن ينزل عليها الماء، فتبدأ عملية الإنبات العجيبة التى قد يجريها طفل عند ما يضع البذور فوق قطعة مبللة بالماء، و هو لا يدري أنه يهيئ الظروف لعملية إنبات بالغه التعقيد.

إن من ينظر إلى شجرة التوت الضخمة، أو شجرة الكافور العملاقة، أو شجرة الجميز المعمرة، يجد أن بذورها الصغيرة التى لا تتجاوز الواحدة منها حجم رأس الدبوس غنية بالعمليات و المعلومات التى يعجز عن حملها أدم الحاسبات العملاقة، فقد أودع الله فى هذه البذور الدقيقة شروط إنباتها، و مواقيت خروج جذورها و مراحل انقسامه و اتجاه نموه، بالإضافة إلى نوع الغذاء المطلوب تركيبه و متطلباته و يكمن فيها شكل الأوراق و ألوانها و حجم الشجرة و تشريحها الداخلى و وظيفه كل عضو فيها، و متى تزهر و تثمر .. و غير ذلك من بلايين البلايين من العمليات.

و أعجب ما توصل إليه العلم الحديث فى هذا المجال ملاحظة امتداد الجذر على استقامة الساق عند ما وضعت عدة أصناف من أنواع الحبوب و البذور المختلفة فى سفن الفضاء لدراستها فى منطقة انعدام الوزن، حيث لا أرض تجذب الجذر و لا شمس يتجه نحوها الساق.

و إذا توقفنا قليلا عند بعض ما جاء فى القرآن الكريم عن أشجار النخيل و ثمارها- على سبيل المثال- نجد أن العلم قد كشف

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧١٠

عن الكثير من الفوائد و الحقائق التى أشار إليها الخطاب القرآنى بألفاظ العبارات، و منها قوله تعالى: فَأَجاءَها المَخاضُ إِلى جِذعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيْتَنى مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسِياً مَنْسِياً (٢٣) فناداها مِنْ تَحْتِها أَلّا تَحْزِنى قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِياً (٢٤) وَ هُزِى إِلىكَ بِجِذعِ النَّخْلَةِ تَساقِطُ عَلىكَ رُطَباً جِئِياً (٢٥) فَكَلِى وَ اشْرِبِى وَ قَرِى عَيناً ٣٧.

و فى هذه الآيات الكريمة إشارة واضحة إلى أهمية بلح الرطب فى عملية الولادة. ذلك أن احتواء التمر على نسبة عالية من المواد السكرية يعطى طاقة عالية للمرأة الحامل و المرضع، و يعوض ما أصابها من ضعف أثناء الوضع و يعيد لها نشاطها، كما أن التمر يعوض نقص المعادن و الفيتامينات، علاوة على ما ثبت طبيا من فائدته فى إدرار لبن المرضع.

و معظم السكريات التى فى التمر من نوع سكر الفاكهة (فركتوز) و سكر العنب (جلوكوز)، و هى سكريات بسيطة سهلة الهضم و الامتصاص و الاحتراق لإمداد الجسم بالطاقة إثر تناولها بفترة قصيرة، فإن أخذتها المرأة أثناء المخاض كان ذلك من أحسن الأغذية لها، حيث إن عضلة الرحم من أضخم عضلات الجسم و تقوم بمجهود شاق أثناء الولادة التى تستهلك كمية كبيرة من الطاقة و تتطلب تعويضها بكميات جيدة و نوعية خاصة من السكريات سهلة الهضم سريعة الامتصاص و التمثل، كتلك التى فى الرطب.

كما أن الرطب من المواد المليئة المنظفة للأمعاء، و ذلك مما يساعد على الولادة لأن الأمعاء الغليظة و المستقيم الممتلئ بالنفايات،



يعيق حركة الرحم و انقباضه. و من المعروف طيبا أن المليات النباتية تفيد في تسهيل و تأمين عملية الولادة بتنظيفها للأمعاء الغليظة على وجه الخصوص، و لذا يحرص أطباء النساء و الولادة على إعطاء الحامل عند بداية المخاض حقنة شرجية لتنظيف المستقيم و الأمعاء الغليظة.

و تحتاج الحامل في حالة المخاض أيضا إلى السوائل، و ذلك لأن شرب الماء يعتبر مديبا للمواد الغذائية. و يحرص أطباء التوليد على أن يقدموا للحامل و هي بحالة المخاض الماء و السكر بشكل سوائل سكرية، و من هنا فإن أكل الرطب و شرب الماء لإذابة المواد الموجودة فيه و تسهيل امتصاصها، فضلا عن أن مجهودا شاقا مثل الولادة يتطلب سوائل، كل هذا، خير معين للمرأة أثناء المخاض و الوضع، مما يوضح إحدى صور الإعجاز العلمي الرائع في قوله تعالى: فَكُلِّي وَ أَشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْنًا، خاصة و أن أبحاث العلماء قد الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧١١

أوضحت أن البلح يضيف السكينة و الهدوء على النفوس المضطربة و القلقه، و يساعد على الحيوية و الانتعاش.

## ٦- في عالم الحيوان:

قال تعالى: وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ٣٨. تنبه هذه الآية الكريمة إلى دلائل القدرة الإلهية في عالم الأحياء، و يوافقها ما أكدته بحوث العلماء الذين يدرسون كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية لكل حيوان يسعى في الأرض أو يطير في السماء، من أن الكائنات الحية شعوب و قبائل و أمم تربطها صلوات و علاقات وثيقة، فهي لا تختلف في أسلوب حياتها و نشاطها عن أمم البشر الذين لا يعمرن الأرض إلا بقدر ما يميزها عن باقي الأنواع. و قد أصبح من المعروف حاليا أنه يوجد حوالي مليون نوع من الحيوانات المختلفة التي توصل العلم إلى معرفتها، و لا شك أن هذا العدد الضخم من الحيوانات يحتاج في دراسته العلمية إلى ترتيب و تبويب.

لذلك نشأ علم خاص بهذه الموضوعات أطلق عليه اسم «علم تصنيف الحيوان». و اجتهد علماء الأحياء و التشريح في وضع المؤلفات التي تبين نتائج أبحاثهم فيما يتعلق بشعب الحيوانات و ما يتفرع منها من طوائف و رتب و فصائل و أجناس و أنواع، مما لا يدع مجالاً للشك في أنها أمم مثل أمم البشر، سواء في حالات السلم و الحرب، أو في السعي لطلب الغذاء، أو في رعاية الصغار و الضعفاء، أو ما تلجأ إليه من حيل للتغلب على ما يواجهها من مصاعب و أخطار، أو في انقيادها لما هيأه لها الخالق العظيم العليم من طبيعة تتلاءم مع تكوينها و بيئتها.

و إذا اخترنا الإبل - على سبيل المثال - من بين الحيوانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، نجد أن الله - سبحانه و تعالى - يحثنا حثا رقيقا، يقع عند المؤمنين موقع الأمر، على التفكير و التأمل في خلقها، باعتباره خلقا دالاً على عظمة الخالق، و كمال قدرته، و حسن تدبيره، و ذلك في قوله تعالى: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ٣٩.

و أول ما يلفت الأنظار في الإبل خصائص البنيان و الشكل الخارجى الذى لا يخلو تكوينه من لطائف تأخذ بالألباب. فالعينان محاطتان بطبقتين من الأهداب الطوال تقيانهما القذى و الرمال. أما الأذنان فصغيرتان قليلتا البروز.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧١٢

فضلا عن أن الشعر يكتنفهما من كل جانب ليقيهما الرمال التي تذررها الرياح، و لهما القدرة على الانثناء خلفا و الالتصاق بالرأس إذا ما هبت العواصف الرملية. كذلك المنخران يتخذان شكل شقين ضيقين محاطين بالشعر و حافظهما لحمية فيستطيع الجمل أن يغلقهما دون ما قد تحمله الرياح إلى رثيته من دقائق الرمال.

أما قوائم الجمل فهي طويلة لترفع جسمه عن كثير مما يثور تحته من غبار كما أنها تساعده على اتساع الخطوة و خفة الحركة، و تتحصن أقدام الجمل بخف يغلفه جلد قوى غليظ يضم و سادة عريضة لينه تتسع عند ما يدوس الجمل بها فوق الأرض، و من ثم

يستطيع السير فوق أكثر الرمال نعومة، و هو ما يصعب على أية دابة سواه و يجعله جديرا بلقب «سفينه الصحراء». و مما يناسب ارتفاع قوائم الجمل طول عنقه، حتى يستطيع أن يتناول طعامه من نبات الأرض، كما أنه يستطيع السير فوق أكثر الرمال نعومة، و هو ما يصعب على أية دابة سواه و يجعله جديرا بلقب «سفينه الصحراء». و مما يناسب ارتفاع قوائم الجمل طول عنقه، حتى يستطيع أن يتناول طعامه من نبات الأرض، كما أنه يستطيع قضم أوراق الأشجار المرتفعة حين يصادفها، هذا فضلا عن أن هذا العنق الطويل يزيد الرأس ارتفاعا عن الأقدام و يساعد الجمل على النهوض بالأثقال.

و حين يبرك الجمل للراحة أو يناخ ليعد للرحيل يعتمد جسمه الثقيل على وسائد من جلد قوى سميك على مفاصل أرجله، و يرتكز بمعظم ثقله على كلكله، حتى أنه لو جثم به فوق إنسان أو حيوان طحنه طحنا. و هذه الوسائد إحدى معجزات الخالق التي أنعم بها على هذا الحيوان العجيب، حيث إنها تهيئه لأن يبرك فوق الرمال الخشنه الشديده الحرارة التي كثيرا ما لا يجد الجمل سواها مفترشا له فلا يبالي بها و لا يصيبه منها أذى. و الجمل الوليد يخرج من بطن أمه مزود بهذه الوسائد المتغلظه، فهي شيء ثابت موروث و ليست من قبيل ما يظهر بأقدام الناس من الحفاء أو لبس الأحذية الضيقه.

و من خصائص الإبل الوظيفية الصبر على الجوع و العطش. و حقيقة الأمر، كما تؤكد أبحاث العلم الحديث، هو أن الجمل يقتصد في استخدام ما عنده من ماء و غذاء غاية الاقتصاد بأساليب معجزه، منها أن الجمل لا يتنفس من فمه و لا يلهث أبدا مهما اشتد الحر أو استبد به العطش، و هو بذلك يتجنب بحر الماء من هذا السبيل. كذلك يمتاز الجمل بأنه لا يفرز إلا مقداراً ضئيلاً من العرق عند الضرورة القصوى بفضل قدرة جسمه على التكيف مع المعيشه في ظروف الصحراء.

و يضيف علماء الأحياء و وظائف الأعضاء (الفسولوجيا) سببا جديدا يفسر قدرة الإبل على تحمل الجوع و العطش عن طريق إنتاج الماء الذي يحتاجه من الشحوم الموجوده في

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧١٣

سنامه (أو سناميه) بطريقة كيميائية يعجز الإنسان عن مضاهاتها. و من حكمه خلق الله في الإبل أن جعل احتياطي الدهون فيها كبيرا للغاية يفوق أي حيوان آخر. و لهذا يستطيع الجمل أن يقضى حوالى شهر و نصف بدون ماء يشربه.

و هناك أسرار أخرى عديدة في خلق الإبل لم يتوصل العلم بعد إلى معرفه حكمتها، و خاصة ما يتعلق بالبانها، من حيث تركيبها و فوائدها كغذاء و دواء.

## ٧- في عالم الحشرات:

النحل من بين الحشرات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم و سميت إحدى سوره بسوره النحل، و فيها يقول تعالى: وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٤٠.

و هنا يلخص القرآن الكريم تاريخ حياة النحل في كلمات معدودات فيها جوامع الكلم.

فقد اتخذ النحل بوحى من الله بيوتا من الجبال في بادئ الأمر، ثم انحدر منها إلى الأشجار، ثم تطور إلى المعيشه في الخلايا التي يصنعها على نحو ما نعرفها اليوم. و إن بعض العلماء الذين كرسوا جهودهم لدراسة حياة الحشرات وقفوا على حقائق عجيبة وافقت صحة ما جاء في القرآن الكريم، منها أن هناك فصائل بريه من النحل تسكن الجبال، و تتخذ من مغاراتها مأوى لها، و أن منه سلالات تتخذ من الأشجار سكنا بأن تلجأ إلى الثقوب الموجوده في جذوع الأشجار و تتخذ منها بيوتا تأوى إليها. و لما سخر الله النحل لمنفعة الإنسان أمكن استئناسه في حاويات من الطين أو الخشب.

و تدل الدراسات العلمية المستفيضة لمملكة النحل أن إلهام الله - سبحانه و تعالى - لها يجعلها تطير لارتشاف رحيق الأزهار، فتبعد عن

خليتها آلاف الأمتار، ثم ترجع إليها ثانية دون أن تخطئها و تدخل خلية أخرى غيرها، علما بأن الخلايا في المناحل تكون متشابهة و مرصوصة بعضها إلى جوار بعض، و ذلك لأن الله - سبحانه و تعالى - قد ذلل لها الطرق و سهلها، و منحها من قدرات التكيف الوظيفي و السلوك ما يعينها في رحلات استكشاف الغذاء و جنيته ثم العودة بعد ذلك إلى البيت.

و في رحلة الاستكشاف لجمع الغذاء الطيب تستعين النحلة العاملة بحواسها التي منحها الله إياها، فهي مزودة بحاسة شم قوية عن طريق قرني استشعار في مقدم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧١٤

رأسها، كما أنها تتمتع بحاسة إبصار جيدة تميز البياض و السواد و بعض الألوان و على الأخص اللونين الأزرق و الأصفر، و هي تمتاز على العين البشرية في إحساسها بالأشعة فوق البنفسجية، و لذا فهي ترى ما لا تراه عيوننا مثل بعض المسالك و النقوش التي ترشد و تقود إلى مخزن الرحيق و لا يمكننا الكشف عنها إلا بتصويرها بالأشعة فوق البنفسجية. ثم إذا حطت النحلة على زهرة يانعة و بلعت رحيقها استطاعت أن تتذوقه و تحدد بحكم فطرتها مقدار حلاوته.

و في رحلة العودة تهتدي النحلة إلى مسكنها بحاستي النظر و الشم معا. أما حاسة الشم فتتعرف على الرائحة الخاصة المميزة للخلية. و أما حاسة الإبصار فتساعد على تذكر معالم رحلة الاستكشاف، إذ يلاحظ أن النحلة عند ما تغادر البيت تستدير إليه و تقف أو تحلق أمامه فترة و كأنها تتفحصه و تتمعنه حتى ينطبع في ذاكرتها، ثم هي بعد ذلك تطير من حوله في دوائر تأخذ في الاتساع شيئا فشيئا، و عند ما تعود إلى البيت تخبر عشيرتها بتفاصيل رحلتها، و تدل زميلاتها على مكان الغذاء فينطلقن تباعا لجنى الرحيق من الزهور و الإكثار منه لادخار ما يفيض عن الحاجة العاجلة لوقت الشتاء ببرده القارس و غذائه الشحيح.

و قد أوضحت أبحاث العلماء حديثا أن للنحل لغة خاصة يتفاهم بها عن طريق الرقص، و أن للنحلة الشغالة في جسمها من الأجهزة ما يجعلها تستطيع قياس المسافات و الأبعاد و الزوايا بين قرص الشمس و الخلية، ثم إنها تستخدم لغة سرية للتخاطب عن طريق رقصات خاصة معبرة تنبئ بها أخواتها عن وجود الرحيق الحلو و تحدد لهن موضعه تحديدا دقيقا من حيث زاوية الاتجاه إليه و بعده عن بيتها. فمثلا الرقص الدائري يعني وجود مكان غني بحبوب اللقاح يقع بالقرب من موقع خلية النحل، بينما يعنى الرقص المتعرج الاهتزازي أن مركز الخلية بعيد عن موقع الرحيق.

و تستطيع العشييرة الواحدة من النحل أن تجمع نحو ١٥٠ كيلوجراما من العسل في الموسم الواحد. و الكيلو جرام الواحد من العسل يكلف النحلة ما بين مائة و عشرين ألف إلى مائة و خمسين ألف حمل من الرحيق تجمعها بعد أن تطير مسافة تعادل محيط الكرة الأرضية عدة مرات في المتوسط.

و تستطيع النحلة أن تطير بسرعة ٦٥ كيلومترا في الساعة، و هو ما يعادل سرعة القطار. و حتى لو كان الحمل الذي تنوء به يعادل ثلاثة أرباع وزنها فإنها يمكن أن تطير بسرعة ٣٠ كيلومترا في الساعة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧١٥

و قد أثبت العلم أن اختلاف كل من تركيب التربة و المراعى التي يسكنها النحل يؤثر تأثيرا كبيرا في لون العسل، كما أن العلماء لا يزالون يجدون في كشف المزيد من الفوائد الغذائية و العلاجية لعسل النحل بعد أن تأكدت فعاليته في قتل الجراثيم و زيادة المناعة و التئام الجروح. فتبارك الخالق العليم الذي ألهم النحل لتأكل من كل الثمرات و تسلك سبل ربها، على صغر جرمها، ذللا، لطفها بها فيما هي محتاجة إليه ليهنأ عيشها، ثم تخرج ما في بطونها من شمع أبيض و عسل مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون.

قال تعالى: أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٤١.

تلقت هذه الآية الكريمة أنظار المؤمنين إلى آيات الإعجاز في طيران الطيور، و تدعو أصحاب العقول الراجحة إلى تأمل حكمة الخالق- جلت قدرته- فهو الذى خلق جميع الكائنات الحية و الجامدة و أودع فيها خصائصها، و هو الذى خلق قانون الجاذبية بين الأجرام التى يجذب بعضها بعضا، و لكنه، و هو اللطيف الخبير بحاجات خلقه، يسر الطيور لما خلقت له، فأودع فى أجسامها من آيات الخلق و البناء، و مما فطرها عليه من حسن الأداء، ما يجعلها تتغلب على قانون الجاذبية و تحلق حرة طليقة فى جو السماء ما يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ.

و تتحلى الطيور عامة بخصائص مهمة لا بدّ من توفرها فى أية آلة طائرة، مثل خفة الوزن و متانة البناء و انسياب الجسم و دقة الاتزان. فهياكل الطيور العظمية خفيفة للغاية، حيث لاحظ علماء البيولوجيا أن بعض الأجزاء قد اختصر و التحم بعض عظامها ببعض، و تحول معظمها إلى أنابيب رقيقة جوفاء، لكنها فى الوقت نفسه متينة و مرنة و قادرة على تحمل القوى المفاجئة التى يتعرض لها الطائر أثناء مناوراته البهلوانية فى الجو. أما رءوس الطيور فقد صغرت و خلت من الأسنان، و من ثمّ لم تعد بحاجة إلى فكين ثقيلين و عضلات كبيرة لتحريكهما، فجمجمة الحمامة مثلا- تزن سدس ما تزنه جمجمة الفأر الكبير، و طائر الفرقاط (أى الطائر البارجه، أو الطائر العملاق) الذى يبلغ طول ما بين طرفى جناحيه المبسوطين أكثر من مترين، لا يزن هيكله العظمى كله أكثر من ١١٣ جراما تقريبا، أى أقل من وزن ريشه. و قد عبّر أحد العلماء عن الإبداع فى بناء جمجمة الطيور بقوله: إنها شعر منظوم فى عظام.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧١٦

و أما ريش الطيور فيتميز بأنه مكيف بدقة بالغة لترويح الهواء و تخفيف كثافة الجسم و عزله عزلا جيدا عن الجو، فضلا عن مرونته الفائقة التى تمكنه من الالتواء و الانثناء لتلبية حاجات الطيران سريعة التغير. و أهم ما يميز الريش أن توزيعه يهذب زوايا الجسم البارزة.

و هناك خصائص وظيفية أخرى تتمتع بها الطيور من أهمها ارتفاع معدل العمليات الحيوية فى داخل أجسامها. فهى على سبيل المثال، أقدر من الحيوانات الثديية فى هضم الطعام، و قلبها أقوى و أكبر و أسرع نبضا مع حفظ النسبة، و ضغط دمها أقل، و نسبة السكر فيه أكثر، و درجة حرارتها أعلى، و جهازها التنفسى أكفأ، حيث تتصل الرئتان بمجموعة من الأكياس الهوائية المنتشرة فى أنحاء الجسم، مما ييسر تبريد أجسامها أثناء الطيران، فضلا عن الإسهام فى تخفيف وزنها، و هذا كله يجعل من أجهزتها آلات رائعة لإنتاج الطاقة اللازمة للطيران، فهى تستخدم غذاءها بكفاءة تفوق أضعاف كفاءة أحدث الطائرات فى استخدامها.

و بالنسبة لذيل الطائر فتكاد تنحصر مهمته فى التوجيه، و لكنه إذا نشر مبسوطا زادت مساحة السطح، و قد يستغل هذا أحيانا فى الرفع و أحيانا فى تقليل سرعة الهبوط، و يوازن الطائر حركته بواسطة جناحيه، و قد قرر القرآن الكريم- فى بيان معجز- حقيقة أن جناحي الطائر هما جهاز طيرانه الأساسى، و هذا يتفق فى بساطة و وضوح مع ملاحظة الفطرة السليمة و الدراسة العلمية المدققة على حد سواء. قال تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ٤٢. و فى أثناء خفق الجناح تغير أجزاؤه، و بخاصة ريشاته القوادم، أشكالها و أوضاعها و زواياها و سرعتها حركتها فى كل لحظة مع اختلاف الارتفاع و شدة الهواء و اتجاهه و متطلبات الطيران المتغيرة. و هذا كله يتم بصورة آلية و بسرعة مذهلة لم يستطع العلماء إدراك بعضها إلا بأدق آلات التصوير السريع و العرض البطيء. و ليس الطيران بالنسبة للطيور مجرد وسيلة للانتقال المعتاد، فللطائر فيه مآرب أخرى كثيرة، من ذلك أن كثيرا من الطيور يلقف طعامه من الحشرات فى أثناء طيرانه، كما أن بعضها يصيد فريسته من ذوات الجناح و هما محلقتان فى الجو، و قد يقذف بعضها إلى بعض الطعام و هى راكبة متن الهواء. و للطيور أفانين كثيرة من العراك و اللهو و الغزل الطائر.

و الطيور الصافات، أى التى تبسط جناحيها دون حراك، تستطيع أن تمضى فى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧١٧

الهواء بجناحين ساكنين إلى أبعد المسافات، و كأن قوى خفية تشدها و تحركها كيف تشاء.

و هذه الطيور المتخصصة في هذا النوع من الطيران تستطيع أيضا أن ترفع جناحها أو تخفضهما أو تدفعهما إلى أمام أو خلف، أو أن تقلل من مساحتهما بقبضهما قبضا يسيرا، أو أن تديرهما من مفصل الكتف ليقابلا الهواء بزوايا مختلفة تؤثر في سرعتها، أو تلوى أجزاء منها، و ما إلى ذلك، و هي في أثناء هذا كله تحرك ذيلها بالصورة المناسبة. و تتميز الطيور الصافات باختصار حجم عضلات صدرها التي تحرك جناحها لقله الحاجة إلى استخدامها، مع قوة الأوتار و الأربطة المتصلة بالجناحين حتى تستطيع بسطها فترات طويلة دون جهد عضلي كبير.

و لقد علمت هذه الطيور قدر خالقها، و صدق فيها قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدِّعِلِمٍ صَلَاتِهِ وَتَشْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ٤٣.

## ٩- في الآفاق و في الأنفس:

إن مادة الكون هي كل ما خلق الله - سبحانه و تعالى - في عالم الشهادة، أي العالم الذي نحسه بحواسنا أو ندركه بما يقوم مقام الحواس و يعزز وظائفها من أجهزة و أدوات، مثل المجاهر (الميكروسكوبات) التي تيسر رؤية الأجسام الدقيقة، و المقاريب (التلسكوبات) التي تمكن الراصد من رؤية الأجسام البعيدة، أو غير ذلك مما لم يتمكن الإنسان بعد من إدراكه و التعرف عليه في هذا الكون الفسيح الذي لا يعلم مداه إلا الله وحده.

و يمثل الضوء نعمة النور الذي تبصر به العين بإذن ربها، فترى العديد من الآيات البينات في الآفاق و في الأنفس، التي تذكر الإنسان بما يحتوي عليه الكون من العجائب و المعجزات و تنير له طريق الهداية و الصواب.

و الطريقة التي تؤدي بها العين وظيفتها في الإبصار كانت مجهولة حتى عصر الإسلام، فقد كان الاعتقاد السائد عند الفلاسفة القدماء هو أن إبصار الموجودات يتم بخروج النور من عين الإنسان فيحيط بالأشياء و يتم إدراكها بالرؤية المباشرة، أو أن الإبصار يتم بانطباع صور الأشياء من البصر دون أن يرد منها شيء للعين. و مثل هذه الآراء الفلسفية الخاطئة علميا عطلت منهج البحث العلمي السليم و أخرت ظهور نظرية الإبصار الصحيحة إلى أن جاء عصر الحضارة الإسلامية و استطاع علماءها الأفاضل، بفضل المنهج الإسلامي في البحث و التفكير، أن يسلكوا طريقة استقرائية دقيقة لدحض

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧١٨

الآراء الفلسفية القديمة، و تحقيق نظرية جديدة في الإبصار على أساس الوجود المستقل للضوء كمؤثر خارجي. و كان الحسن ابن الهيثم في مقدمة علماء المسلمين الذين وضعوا الأسس العلمية السليمة لعلم الضوء و البصريات. و صنف في هذا العلم كتابا رائدا أسماه «المناظر» و اعتمد عليه علماء أوروبا في عصر النهضة الحديثة.

و وافقت النظرية الجديدة ما سبق أن أخبر به القرآن الكريم من استحالة الرؤية بالعين المجردة في الظلام، و ذلك في قوله تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ٤٤، ففي هذه الآية الكريمة يشبه الله - سبحانه و تعالى - حال المنافقين بمن استوقد نارا، فلما وقع ضوء النار على ما حوله من الأجسام المعتمة ثم تشتت منها كشفها للناظرين. و عند ما ذهب الله بنورهم، أي بذلك الضياء المشتت من الأجسام المعتمة الذي كان يقع على أبصارهم فيعينهم على الإحساس بالرؤية، تولدت ظلمات لا تساعد على الإبصار. و بهذا جعل الله تعالى رؤية الأجسام مرتبطة ارتباطا مباشرا بسقوط النور (أو الضوء) عليها ثم ارتدادها منها إلى العين. أما الضوء في حد ذاته فلا يرى و لا يساعد على رؤية الأشياء دون أن يقع عليها، إذ قد يوجد هذا الضوء بجانب الشيء و لا نراه، مثال ذلك أشعة الشمس التي تمر خلال حجرة مظلمة دون أن تقع على شيء فيها و يكون هواؤها صافيا خاليا من الغبار، فإنها لا تبدد ظلمتها ما لم تقع على شيء يشتتها. و الضوء الكشاف الذي يمر في الليل المظلم

بجانب الأجسام المعتمة دون أن يقع عليها فإنه لا يكشفها، ولكنه إذا وقع عليها ثم ارتد إلى الأنظار حدثت الرؤية. لقد سبق القرآن الكريم إذن إلى القول باستحالة الرؤية في الظلام، أي في غياب الضوء المشتت عن الأجسام، وقد لاحظ رواد الفضاء حديثا عقب اختراقهم للغلاف الجوي أن السماء فقدت لونها الأزرق الجذاب الذي نراها به من الأرض، وأصبحت سوداء حالكة رغم سطوع الشمس وتلاؤ النجوم، وما ذلك إلا لعدم وجود الجسيمات الدقيقة الكافية لتشتت الضوء و حدوث الإبصار. كذلك لاحظ رواد الفضاء أن سماء القمر مظلمة دائما لانعدام الغلاف الجوي حول سطحه، وأن الأرض تبدو في الفضاء كرة مضيئة تسبح وسط ظلام دامس. وقد أوضحت الصور التي التقطها رواد الفضاء أثناء رحلاتهم الفضائية أن الأرض والقمر ميران بأشعة الشمس المنعكسة منهما، وأن السواد الذي يعم الصورة ما هو إلا ظلمة السماء و ليلها الدائم.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧١٩

و تتم رؤية الأشياء بواسطة العين نتيجة استقبالها الأشعة الضوئية التي تحمل معها صور المرئيات و ألوانها، فتتكون لها صور حقيقية مقلوبة على الشبكية، و تقوم شبكة الأعصاب الحساسة على الشبكية بنقل الصور إلى المخ على هيئة السليمة في الواقع. و لا يزال العلم عاجزا حتى الآن عن معرفة حقيقة ما يحدث في العين ذاتها عند ما ترى منظرا معيناً و تحول صورته المقلوبة على الشبكية إلى إحساس بلون خاص مميز. و لا- يملك أى عاقل أمام هذا الإعجاز في خلق العين و أدائها لوظيفتها في إبصارها للأشياء بألوانها كما هي في الواقع إلا أن يشكر الله و يحمده على نعمائه، فهو القائل في محكم التنزيل: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِمَنْ هُمْ يَصْدِفُونَ ٤٥.

#### ١٠- قضايا علمية معاصرة:

##### (أ) الاستنساخ:

قال تعالى: ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٤٦. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٧١٩ (أ) الاستنساخ: ..... ص : ٧١٩

رر هذه الآية الكريمة، مع آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم حقيقة الوجدانية لله- سبحانه و تعالى- و تفرد به بأنه الخالق الواحد لكل شيء، الجدير بالطاعة و العبادة.

و عند ما يزعم الإنسان، و هو مخلوق محدود القدرات، أنه قادر على محاكاة الخلق الإلهي و منافسته فإنه يكون قد ضل الطريق بعيدا عن الإيمان، و استسلم لغرور العقل و المبالغة في تقديسه إلى درجة التأليه، مع أن العقل و كل ما يتوصل إليه من علوم و معارف هي من آثار الله خالق كل شيء. لكن عند ما يزعم أمثال هؤلاء بأنهم نجحوا في ابتكار شيء ما ظنوه خلقا جديدا و حسبوا أنفسهم خالقين، فإن القرآن الكريم يضعهم في حجمهم الحقيقي الضئيل من الجهل و العجز في مقابل قدرة الخلاق العالم البارئ المصور، فيقول: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ٤٧.

و من أبحاث العلماء في خلايا الكائنات أمكن التوصل إلى استنساخ بعض النباتات من خلايا جسيديّة في ساق النبات، أو أوراقه، أو جذوره، كما أمكن استنساخ خلايا جسيديّة، و ليست جنسيّة، و تحقق هذا بالنسبة للضفادع و الفئران، و أخيرا الخراف، و تساءل الناس عن إمكانية حدوث نفس الشيء بالنسبة للبشر ..

و التساؤل من الناحية العلمية لا يجد جوابا سهلا، فالفكرة التي طبقت على النبات

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٢٠

و الحيوان تجد عوائق كثيرة عند تطبيقها على الإنسان .. و كل ما يحاوله العلماء هذه الأيام هو إيقاظ الخلايا الجسيديّة من سباتها



لتعيش أو تعمل من جديد، و ينشط برنامجها الوراثي كله، و كأنما هي تعود إلى حالتها الجينية و تصبح صالحة لاستنساخ كائن جديد .. هذا ما فعله الباحثون في حالة النبات و الحيوان، فهل سيتحقق في الإنسان؟! إن القضية على هذا النحو أصبحت ذات أبعاد علمية و اجتماعية و عقديّة تحتاج إلى ضوابط تحكم مسيرة البحث العلمي في الطريق السليم الذي يعود على البشرية بالخير و النفع و لا يهدد البنية الاجتماعية المستقرة للمجتمع الإنساني.

### (ب) التلوث البيئي:

يقول الله تعالى: **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٤٨.** تشير هذه الآية الكريمة إلى أن الفساد أو التلوث الذي تعاني منه البيئة و البشرية اليوم برا و بحرا و جوا؛ جاء نتيجة طبيعية لعمل الإنسان، ذلك أن البيئة من المنظور الإسلامي مرتبطة بتحمل الإنسان- دون غيره من المخلوقات- لأمانة الخلافة في الأرض و ترقية الحياة عليها حتى يستكمل حكمه الله من خلقه و خلقها، بعد أن سخر له كل ما في الكون من نعم ظاهرة و باطنة لكي ينتفع بها و يمجّد بانتفاعها رب العالمين.

و لا يكون الإنسان جديرا بتحمل أمانة الخلافة إذا أساء استعمال هذه النعم التي تتكون منها عناصر البيئة، أو تصرف فيها على نحو غير مشروع جريا وراء منفعة خاصة، أو استسلاما لأنانية مقيته.

فبالخلافة تعنى أول ما تعنى تعميم الأرض بإشاعة الخير و السلام فيها، و بالعمل على إظهار عظمة الخالق و قدرته عن طريق الانتفاع الإيجابي بكل المخلوقات التي سخرها الله لخدمة الإنسان. و يتجلى ذلك في قوله تعالى: **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ٤٩،** أى جعلكم عمارا تعمرونها و تسكنون بها، و هذا لا يتأتى إلا بأمرين:

أولهما: أن تبقى الصالح على صلاحه و لا تفسده، و ثانيهما: أن تصلح ما يفسد و تريد إصلاحه، و لا شك أن في الأمرين خير ضمان لحماية البيئة و سلامتها.

و لقد سبق الدين الإسلامي الحنيف إلى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة و حمايتها من آفات التلوث و الفساد، و رسم المنهج الإسلامي حدود هذه التشريعات على أساس الالتزام بمبدأين أساسيين يحددان مسؤولية الإنسان حيال البيئة التي يعيش الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٢١

فيها: أما المبدأ الأول: فهو «درء المفسد» حتى لا تقع بالبلاء على العباد و تسبب الأذى للفرد و المجتمع و البيئة، حيث لا ضرر بالنفس، و لا ضرر بالغير.

و أما المبدأ الثاني: فهو «جلب المصالح» و بذل كل الجهود التي من شأنها أن تحقق الخير و المنفعة للمجاعة البشرية. و أهم ما يميز المنهج الإسلامي في الحفاظ على البيئة هو الأمر بالتوسط و الاعتدال في كل تصرفات الإنسان، باعتباره من أهم عوامل الوقاية من الخلل و الاضطراب في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله للحياة و الأحياء في هذا الكون. و هذا لا يعنى بطبيعة الحال أن يقف الإنسان مكتوف الأيدي إزاء النظم البيئية المحيطة به، أو أن يعطل أداء واجب الإعمار الذي تقتضيه أمانة الاستخلاف في الأرض، و لكنه يعنى أن يتعامل الإنسان مع هذه النظم بما يمكنه من تطوير حياته دون إسراف في استخدام الموارد الطبيعية أو جور على حقوق الآخرين.

### (ج) احتمالات الحياة على كواكب أخرى في الكون:

قال تعالى: **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَائِبَةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ٥٠.**



تشير هذه الآية الكريمة إلى وجود كائنات تدب و تتحرك في السموات و الأرض، و هذه الكائنات عاقلة و ذكية و عابدة و ليست قاصرة على الملائكة. و تقرر هذه الآية الكريمة أيضا أن الله سبحانه و تعالى قادر على جمع هذه الأحياء و حدوث الالتقاء بينها أثناء الحياة الدنيا أو في الآخرة.

و هذا الموضوع المتعلق باحتمالات وجود كائنات حية ذكية غير الإنسان في كواكب أخرى في هذا الكون الفسيح أصبح من الموضوعات التي تجذب اهتمام الناس و تستحوذ على تفكيرهم، حيث يلهث العلم وراء البحث عن أسباب تسمح بوجود حياة على الكواكب الأخرى غير الأرض في مجموعتنا الشمسية، أو على الكواكب التي تقع في أسر جاذبية النجوم الأخرى و تدور حولها. و عادة ما يكون اكتشاف أى آثار تدل على وجود الماء من أبرز الأساليب التي ترجح الاعتقاد بوجود حياة، حيث أن الماء هو الأصل و الضروري لنشأة الحياة و استمرارها، باعتراف علماء البيولوجيا أنفسهم، و بتقرير القرآن الكريم - من قبل ذلك بقرون - في قوله تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ٥١.

كذلك لا بد من توفر درجة حرارة مناسبة لحياة الأحياء، بالإضافة إلى ضرورة توافر عنصر الكربون الذي يمتاز بقابليته و قدرته الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٢٢

على الاتحاد بالعناصر الأخرى في مركبات أساسية للحياة. أى أن الماء و الحرارة المناسبة و الكربون شروط ضرورية لقيام حياة كتلك التي نعرفها على الأرض.

و لقد أكدت رحلات الفضاء و أبحاث العلماء استحالة وجود حياة كالتى نعرفها على أى كوكب آخر غير الأرض في مجموعتنا الشمسية، و أصبح مطلوبا البحث عن وجود هذه الحياة الذكية المحتملة بعيدا عن المجموعة الشمسية على كواكب (أو أرضين) شبيهة بأرضنا و تابعة لنجوم (شموس) أخرى غير شمسنا في عوالم أخرى في مجرتنا أو المجرات الأخرى.

و لقد بذل الإنسان حديثا محاولات للاتصال بالعوالم الأخرى، و من بينها المركبة بايونير ١٠ التي أطلقت عام ١٩٧٢ م و زميلتها قويجر ٢ التي أطلقت عام ١٩٧٢ المزودتين برسائل رمزية و صورة رجل و امرأة من أهل الأرض يرفعان أيديهما رمزا للسلام، و رسائل صوتية مسجلة بلغات مختلفة و موجهة من شعوب الأرض إلى سكان العوالم الأخرى لتحتيهم و حثهم على الاتصال بنا. لكن هل سيتحقق هذا الذى يبحث عنه العلماء؟ العلم عند الله وحده القائل: وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ صدق الله العظيم.

١. د. أحمد فؤاد باشا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٢٣

المصادر و المراجع: (١) القرآن الكريم.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار و تحقيق: محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت.

(٣) التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط - ١٨، القاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

(٥) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مؤسسة جمال للنشر بيروت لبنان.

(٦) المفردات للراغب الأصفهاني، ط - دار المعرفة، بيروت.

(٧) تفسير القرطبي، ط - إحياء التراث العربى.

(٨) فتح البارى، ط - دار المعرفة، بيروت.

(٩) عبد المجيد الزنداني، الإعجاز العلمى تأصيلا و منهجا، مجلة الإعجاز، هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن و السنة، رابطة العالم الإسلامى، مكة المكرمة، العدد الأول صفر ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

(١٠) د. أحمد فؤاد باشا، رحيق العلم و الإيمان، دار الفكر العربى، القاهرة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

- (١١) لسان العرب لابن منظور.
- (١٢) د. عبد الحافظ حلمي محمد، العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن الكريم، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، الكويت ١٩٨٢ م.
- (١٣) د. أحمد الشرباصي، قصة التفسير، دار العلم، القاهرة ١٩٦٢.
- (١٤) عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت- صيدا.
- (١٥) د. محمد إبراهيم شريف، هداية القرآن في الآفاق و في الأنفس و إعجازه العلمي، دعوة ضرورية و منهج واجب، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.
- (١٦) د. أحمد فؤاد باشا، في فقه العلم و الحضارة، سلسلة قضايا إسلامية (٢٠)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م.
- (١٧) د. أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، دار الهداية، القاهرة ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.
- (١٨) محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، الرسالة و الرسول و القرآن و الإعجاز العلمي، دار الإنسان، القاهرة ١٤١١ هـ- ١٩٩١ م.
- (١٩) كريس موريسون، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان.
- (٢٠) عبد الحليم الجندي، القرآن و المنهج العلمي المعاصر، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤ م.
- (٢١) د. منصور حسب النبي، الكون و الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، ١٩٩١ م.
- (٢٢) أعداد مجلة المسلم المعاصر.
- (٢٣) أعداد مجلة الإعجاز العلمي و أعمال مؤتمرات الإعجاز العلمي في القرآن و السنة رابطة العالم الإسلامي.
- (٢٤) قاموس القرآن الكريم، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت (سلسلة معاجم).
- (٢٥) د. أحمد فؤاد باشا، الاسلام و العولمة: مفاهيم و قضايا، كتاب الجمهورية، دار التحرير، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- الهوامش:

- (١) راجع لسان العرب لابن منظور، مادة «عجز»، و المفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٢٢.
- (٢) انظر معنى ذلك في تفسير القرطبي ١/ ٩٦ و فتح الباري ٦/ ٥٨١.
- (٣) د. أحمد فؤاد باشا، رحيق العلم و الإيمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠٢ م، ص ٢٦.
- (٤) عبد المجيد الزندانى، الإعجاز العلمي تأصيلا و منهجا، مجلة الإعجاز، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد الأول صفر ١٤١٦ هـ- يوليو ١٩٩٥ م.
- (٥) سورة فصلت: ٥٣.
- (٦) عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت- صيدا، بدون تاريخ للنشر.
- (٧) سورة فاطر: ٤٣.
- (٨) سورة الأنعام: ١٩.
- (٩) سورة النساء: ١٦٦.
- (١٠) مختصر تفسير ابن كثير، المجلد الأول ص ٤٦٦.
- (١١) سورة النمل: ٩٣.

- (١٢) سورة فصلت: ٥٣.
- (١٣) سورة الشورى: ٢٩.
- (١٤) عبد الحافظ حلمى محمد، العلوم البيولوجية فى خدمة تفسير القرآن الكريم، مجلة عالم الفكر المجلد الثانى عشر، العدد الرابع، الكويت ١٩٨٢ م.
- (١٥) سورة فاطر: ٢٨.
- (١٦) عن: د. أحمد الشرباصى، قصة التفسير، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢ م. راجع: د. عبد الحافظ حلمى محمد، مرجع سابق.
- (١٧) سورة الرعد: ٢.
- (١٨) سورة يس: ٤٠.
- (١٩) سورة فاطر: ٤١.
- (٢٠) سورة الحج: ٦٥.
- (٢١) سورة الانفطار: ١، ٢.
- (٢٢) سورة الواقعة: ٤-٦.
- (٢٣) سورة الحاقة: ١٤.
- (٢٤) سورة الزلزلة: ١-٥.
- (٢٥) سورة يونس: ٢٤.
- (٢٦) سورة المؤمنون: ٣٧.
- (٢٧) سورة البقرة: ١-٤.
- (٢٨) سورة الذاريات: ٢٠.
- (٢٩) سورة الذاريات: ٤٨.
- (٣٠) سورة الطارق: ١٢.
- (٣١) سورة الذاريات: ٤٨.
- (٣٢) سورة فاطر: ٢٧-٢٨.
- (٣٣) سورة النبأ: ٦، ٧.
- (٣٤) سورة الأنبياء: ٣١.
- (٣٥) سورة النور: ٤٠.
- (٣٦) سورة الأنعام: ٩٩.
- (٣٧) سورة مريم: ٢٣-٢٦.
- (٣٨) سورة الأنعام: ٣٨.
- (٣٩) سورة الغاشية: ١٧.
- (٤٠) سورة النحل: ٦٨، ٦٩.
- (٤١) سورة النحل: ٧٩.
- (٤٢) سورة الأنعام: ٣٨.
- (٤٣) سورة النور: ٤١.

- (٤٤) سورة البقرة: ١٧.  
 (٤٥) سورة الأنعام: ٤٦.  
 (٤٦) سورة الأنعام: ١٠٢.  
 (٤٧) سورة المؤمنون: ١٤.  
 (٤٨) سورة الروم: ٤١.  
 (٤٩) سورة هود: ٦١.  
 (٥٠) سورة الشورى: ٢٩.  
 (٥١) سورة الأنبياء: ٣٠.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٢٤

## مفردات قرآنية

### ١- الأرض المقدسة

مرتب إضافي .. ورد ذكره في القرآن الكريم مرة واحدة فقط ١، ومعناه: الأرض المطهرة المباركة.

و اختلف العلماء في تعيين هذه الأرض المقدسة .. على النحو التالي ٢:

١- هي الطور، و ما حوله .. قال ذلك:

مجاهد.

٢- هي الشام .. قال ذلك: قتادة.

٣- هي أرض أريحاء .. قال ذلك: ابن زيد، و السدي، و ابن عباس.

٤- و قيل: هي .. دمشق، و فلسطين، و بعض الأردن.

قال ابن جرير: و أولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: هي الأرض المقدسة، كما قال نبي الله موسى عليه السلام، و ذلك: لأن القول في ذلك، بأنها أرض دون أرض، لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر، و لا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به. غير أنها: لن تخرج من أن تكون .. من الأرض التي ما بين الفرات، و عريش مصر؛ لإجماع أهل التأويل و السير و العلماء بالأخبار، على ذلك.

هذا ... و الموضع الذي ورد ذكر الأرض المقدسة فيه من كتاب الله هو قوله تعالى:

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَ جَعَلَ لَكُم مَلُوكًا وَ آتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ لَا تَرْتَدُوا عَلَى أَذْبَارِكُمْ فَتَقَلِّبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي فَأفِرُقْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (المائدة: ٢٠-٢٦).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٢٥

### ٢- الآزفة

من: أرف، يأرف، أرفا، وأزرفا .. اقرب.

و كل شيء اقرب: فقد أرف أرفا، أى: دنا.

وقد ورد هذا الاسم فى القرآن الكريم:

مرتين فقط (١).

الأولى: فى قوله تعالى: وَ أَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (غافر: ١٨).

والثانية: فى قوله تعالى: أَرْفَتِ الْأَرْفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (النجم: ٥٨، ٥٧).

يقول الإمام الفخر الرازى ٣: ذكروا فى تفسير (الأرفة) وجوها:

الأول: أنها القيامة .. سميت بذلك:

لقربها، وإن استبعد الناس مداها ٤.

وقيل: سميت بذلك لدنوها من الناس، وقربها منهم؛ ليستعدوا لها، وكان بعضهم يتمثل ويقول ٥:

أرف الرحيل وليس لى من زاد غير الذنوب لشقوتى ونكادى و عليه: ف يَوْمَ الْأَرْفَةِ فى آية غافر:

يوم القيامة، و أَرْفَتِ الْأَرْفَةُ فى آية النجم:

اقتربت القيامة.

الثانى: أنها المسارعة إلى دخول النار؛ حيث إنه عند ذلك ترتفع القلوب عن مقارها من شدة الخوف: إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ.

و عليه: ف يَوْمَ الْأَرْفَةِ فى آية غافر:

يوم المسارعة إلى دخول النار، و أَرْفَتِ الْأَرْفَةُ فى آية النجم: اقتربت المسارعة إلى دخول النار.

الثالث: أنها المتيئة، و حضور الأجل ..

بدليل: أنه عز و جل أنذرهم يوم القيامة، و وصفه بأنه يَوْمَ التَّلَاقِ (غافر: ١٥) و يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ (غافر: ١٦) ثم أنذرهم - بعد ذلك - ب

يَوْمَ الْأَرْفَةِ (غافر: ١٨)، فوجب أن يكون هذا اليوم غير هذا اليوم.

و كذلك: هذه الصفة، كون القلوب لدى الحناجر مخصوصة فى سائر الآيات، بيوم الموت، قال تعالى: فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَ

أَنْتُمْ حِينَتِ تَنْظُرُونَ (الواقعة: ٨٣، ٨٤) و قال: كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (القيامة: ٢٦).

و أيضا: فوصف يوم الموت بالقرب .. أولى من وصف يوم القيامة بالقرب.

و كذلك: الصفات المذكورة بعد قوله:

الْأَرْفَةُ لَانْتَهُ بِيَوْمِ حُضُورِ الْمَوْتِ؛ لأن المرء عند معاينة ملائكة العذاب: يعظم خوفه،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٢٦

فكان قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف و يبقوا كاظمين ساكنين عن ذكر ما فى قلوبهم من شدة الخوف، و لا يكون لهم حميم و

لا شفيع يدفع ما بهم من أنواع الخوف و القلق.

و عليه: ف يَوْمَ الْأَرْفَةِ فى آية غافر:

يوم الموت، و أَرْفَتِ الْأَرْفَةُ فى آية النجم:

اقتربت المنيئة.

### ٣- أساطير الأولين

ذكرت هذه المادة في القرآن الكريم: تسع مرات (١)، و يلاحظ: أنها جميعا وردت في القسم المكي في القرآن الكريم، و على ألسنة المشركين: يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (الأنعام: ٢٥) يعنى: قريشا. قال ابن مسعود: «قالوا: للنضر بن الحارث .. ما يقول محمد؟ قال أرى تحريك شفثيه، و ما يقول إلا أساطير الأولين، مثل ما أحدثكم عن القرون الماضية، و كان النضر صاحب قصص و أسفار، فسمع أفاصيص في ديار العجم، فكان يحدثهم بها» ٦. و الأساطير: جمع أسطورة، كأراجيح و أرجوحة. و المراد بها: الأباطيل، و هى: أحاديث لا نظام لها كتبت كذبا و زورا، فيما زعموا ٧: وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (الفرقان: ٥). قال الزجاج: و قالوا الذى جاء به أساطير الأولين و معناه: ما سطر الأولون و كتبه كذبا و زورا ٨. و كان الواحد من هؤلاء الكفار، إذا سمع القرآن أو تلا عليه قال: ما هذا إلا أساطير الأولين (الأحقاف: ١٧) عنادا منهم و تكبرا و كفرا ٩.

### ٤- الأسباط

الأسباط: جمع سبط، و هو ولد الولد؛ كأنه امتداد الفروع، و على ذلك فالسبط: الجماعة و القبيلة، الراجعون إلى أصل واحد. و الأسباط: ولد يعقوب عليه السلام، و هم اثنا عشر ولدا، ولد لكل واحد منهم أمه من الناس، واحدهم: سبط. و من هنا: فالسبط فى بنى إسرائيل. بمنزلة القبيلة فى ولد إسماعيل. و سموا الأسباط من السبط، و هو التابع، فهم جماعة متتابعون. و قيل: سموا بذلك من السبط، و هو الشجر، أى: هم فى الكثرة، بمنزلة الشجر، قال أبو إسحاق الزجاج: و يبين لك هذه الكثرة، ما قاله ابن عباس: «كل الأنبياء من بنى إسرائيل، إلا- عشرة: نوحا، و شعيبا، و هودا، و صالحا، و لوطا، و إبراهيم، و إسحاق، و يعقوب، و إسماعيل، و محمد صلى الله عليه و عليهم جميعا و سلم» ١٠. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٢٧. و قد ذكر الله تعالى (الأسباط) فى القرآن الكريم: خمس مرات (١). فى سورة البقرة الآيتان ١٣٦، ١٤٠، آل عمران الآية ٨٤، النساء الآية ١٦٣، الأعراف الآية، ١٦٠.

### ٥- الإفك

هو: كل مصروف عن وجهه الذى يحق أن يكون عليه. و منه قوله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَ قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (التوبة: ٣٠) أى: يصرفون عن الحق فى الاعتقاد إلى الباطل، و عن الصدق فى المقال إلى الكذب، و عن الجميل فى الفعل إلى القبيح. و لما اعتقدت عاد: أن هودا عليه السلام .. يصرفهم عن الحق إلى الباطل بما جاءهم به، حينما قال لهم: أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قالوا له:

أَجْتَنَّا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا؟ (الأحقاف):

٢١، ٢٢) أى: أنك تكذب علينا.

و استعمل (الإفك) فى الكذب ١١. و منه قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ (النور: ١١) أى بالكذب على السيدة عائشة، رضى الله عنها، و منه كذلك: وَيُلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (الجاثية: ٧).

## ٦- الأكنة

الأكنان و الأكنة: جمع، مفردة: الكنّ، و الكنان.

و الكنّ: ما يحفظ فيه الشيء. أيضا ما يردّ الحر و البرد من الأبنية و المساكن و يجعل لكم من الجبال أكنانا (النحل: ٨١).

و الكنان: الغطاء، الذى يكن فيه الشيء، و الأكنة: جمع كنان، مثل: الأسنان و السنان، و الأعنة، و العنان ١٢.

و قد وردت بهذا المعنى فى القرآن الكريم ..

حيث يقول رب العزة: جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا (الأنعام:

٢٥، الإسراء ٤٦، الكهف ٥٧).

الأكنة: الأغطية.

و المعنى: أن الكفار لما كانوا لا ينتفعون بما يسمعون، و لا ينقادون إلى الحق، كانوا بمنزلة من لا يسمع و لا يفهم. و لذلك: فعلنا بهم

هذا جزاء على كفرهم. و ليس المعنى: أنهم لا يسمعون و لا يفقهون؛ حيث تبجحوا ببيان ما يؤيد ذلك إذ: قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا

تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ (فصلت: ٥).

## ٧- أصحاب الأيكة

الأيكة: الشجر الكثير الملتف.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٢٨

و أصحاب الأيكة: جماعة كانوا يسكنون غيضة كثيرة فى الشجر؛ فنسبوا إليها ١٣.

و هم: أهل «مدين» قوم شعيب عليه السلام.

و كانوا قوما من العرب، يسكنون فى الحجاز، مما يلى جهة الشام، قريبا من «خليج العقبة» من الجهة الشمالية منه.

يقول الطبرى: إن بين أرض مدين و مصر ..

ثمان ليال. و يظهر: أنها فى الأرض المسماة الآن ب «معان» جنوب فلسطين.

هذا: و يرى بعض المفسرين: أن «أصحاب الأيكة» قوم آخرون، غير أهل مدين، أرسل الله إليهم شعيبا عليه السلام بعد هلاك «مدين»

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ (الشعراء: ١٨٩).

و الصحيح: أن أهل «مدين» هم أنفسهم (أصحاب الأيكة) حيث إن سورة الشعراء و ضحت أنهم كانوا يطففون المكيال و الميزان،

يقول تعالى: كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ

أَطِيعُونَ (١٧٩) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَ زِنُوا

بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (الشعراء: ١٧٦-١٨٣).

و هذا وصفهم: فقد كانوا يجمعون بين الزراعة و التجارة، و كانت أراضيهم كثيرة الأشجار، و افرة الثمار، و فيها الحدائق الغناء؛ و من

هنا: سموا بأصحاب الأيكة، كما كانوا كفارا، يقطعون السبيل، و يخيفون المارة، و كانوا من أسوأ الناس معاملة، خاصة مع نبيهم.



وقد جعل الله تعالى عليهم - لكفرهم - أنواعا من العقوبات، و صنوفا من المثالات، و أشكالا من البليات؛ و ذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات.

سلط الله عليهم رجفة شديدة، أسكنت منهم الحركات، ثم: صيحة عظيمة أخدمت منهم الأصوات، ثم: ظلّة، أرسل عليهم منها شرر النار، من سائر أرجائها و الجهات ١٤.

و لقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم صريحا (١) في سور: الحجر الآية ٧٨، و الشعراء الآية ١٧٦، و (ص) الآية ١٣، و (ق) الآية ١٤.

## ٨- أصحاب الكهف

و هم: مجموعة من الشباب، لجئوا إلى غار في الجبل، فرارا بدينهم من أقوامهم، الذين كانوا يعبدون الأصنام، و حدثت لهم بهذا الغار الأعاجيب. و قد عرفوا ب (أصحاب الكهف) نسبة إلى هذا الغار. ذكرهم القرآن الكريم في سورة سميت باسم كهفهم، و هي: سورة «الكهف».

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٢٩

يذكر الله تعالى قصتهم باختصار في قوله سبحانه: أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (الكهف: ٩-١٢).

ثم يفصل قصتهم بعد هذا الإجمال في أربعة عشرة آية بعد ذلك، من نفس السورة (الكهف: ١٣-٢٦).

يقول عنهم الإمام ابن كثير ١٥: هم: فتية، ألهمهم الله رشدهم، و آتاهم تقواهم، فأمنوا بربهم، و اعترفوا له بالوحدانية، و شهدوا أنه لا إله إلا هو. و يقول: ذكر غير واحد من المفسرين - من السلف و الخلف - أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم و سادتهم، و أنهم خرجوا يوما في بعض أعياد قومهم، و كان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه، في ظاهر البلد، و كانوا يعبدون الأصنام و الطواغيت، و يذبجون لها، و كان لهم ملك جبار عنيد يأمر الناس بذلك، و يحثهم عليه و يدعوهم إليه، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك، و خرج هؤلاء الفتية مع آبائهم و قومهم، و نظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم؛ عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم، و الذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السماوات و الأرض.

فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه، و ينحاز منهم، و يتبرز عنهم ناحية. فكان أول من جلس منهم أحدهم، جلس تحت ظل شجرة، فجاء الآخر فجلس عنده، و جاء الآخر فجلس إليهما، و جاء الآخر فجلس إليهم، و جاء الآخر، و جاء الآخر. و لا يعرف واحد منهم الآخر، و إنما جمعهم هناك، الذي جمع قلوبهم على الإيمان، كما جاء في الحديث:

«الأرواح جنود مجنده، فما تعارف منها ائتلف، و ما تناكر منها اختلف» ١٦. و جعل كل واحد منهم يكتف ما هو فيه عن أصحابه، خوفا منهم، و لا يدرى أنهم مثله، حتى قال أحدهم: تعلمون - و الله يا قوم - إنه ما أخرجكم من قومكم، و أفردكم عنهم، إلا شيء، فليظهر كل واحد منكم ما بأمره، فقال الآخر: أما أنا فإني و الله رأيت ما قومي عليه، فعرفت أنه باطل، و إنما الذي يستحق أن يعبد وحده، و لا يشرك به شيء؛ هو الله الذي خلق السماوات و الأرض و ما بينهما.

فقال الآخر: و أنا و الله، وقع لي كذلك. و قال الآخر: كذلك، حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة. فصاروا يدا واحدة، و إخوان صدق، فاتخذوا لهم معبدا، يعبدون الله فيه.

فعرف بهم قومهم، فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فاستحضرهم بين يديه، فسألهم عن

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٣٠

أمرهم، و ما هم عليه؛ فأجابوه بالحق، و دعوه إلى الله - عز و جل.

ولهذا: أخبر تعالى عنهم بقوله: وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا آيَات. يقال: إن ملكهم - هذا - لما دعوه إلى الإيمان أبي عليهم، و تهددهم، و توعدهم، و أمر بنزع لباسهم عنهم، الذى كان عليهم من زينة قومهم، و أجلهم لينظر فى أمرهم، لعلهم يراجعون دينهم الذى كانوا عليه، و كان هذا من لطف الله بهم، فإنهم فى تلك النظرة: توصلوا إلى الهرب منه، و الفرار بدينهم من الفتنة، فلما وقع عزمهم على الذهاب، و الهرب من قومهم، و اختار الله لهم ذلك، و أخبر عنهم بذلك، فى قوله تعالى: وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ أَي فارقتموهم بأديانكم ففارقوهم - أيضا - بأبدانكم فأووا إلى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ أَي:

يبسط لكم رحمة يستركم بها من قومكم وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ الذى أنتم فيه مرفقاَ أمرا ترتفقون به. فعند ذلك: خرجوا هرابا إلى الكهف، فأووا إليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم، و تطلبهم الملك، فلم يظفر بهم، و عمى الله عليهم خبرهم.

و باقى قصتهم فى آيات سورة الكهف، مبسوطه فى كتب التفسير بالمأثور ١٧.

## ٩- الإنابة

ناب فلان إلى الله تعالى، و أناب إليه إنابة، فهو منيب: أى أقبل و تاب و رجع إلى الطاعة.

وقيل: ناب: لزم الطاعة، و أناب: تاب و رجع.

و الإنابة: الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة و إخلاص العمل.

يقول عز و جل: إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (الرعد: ٢٧). أى:

و يهدى إلى دينه و طاعته من رجع إليه بقلبه.

و يقول تعالى: مُنِيبِينَ إِلَيْهِ (الروم: ٣١) أى راجعين إلى ما أمر به، غير خارجين عن شىء من أمره.

و يقول تعالى: وَ أُنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ (الزمر: ٥٤) أى توبوا إليه و ارجعوا ١٨.

و قد وردت هذه المادة فى القرآن الكريم ثمان عشرة مرة.

## ١٠- الأنصاب و الأزلام

الأنصاب: جمع نصب و هى: كل ما عبد من دون الله تعالى.

قال ابن سيده: و الأنصاب حجارة كانت حول الكعبة، تنصب، فيهل عليها و يذبح لغير الله.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٣١

يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (المائدة:

٩)، و يقول تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمُوقُودَةُ وَ الْمُتَرَدِّدَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ مَا

أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ (المائدة: ٣).

و أما الأزلام: جمع زلم و الزلم: هى السهام التى كان أهل الجاهلية يستقسمون بها، يقول تعالى: وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسِقٌ

(المائدة: ٣).

و الأزلام: كانت لقريش فى الجاهلية، مكتوب عليها: أمر أو نهى، و أفعل و لا تفعل، قد سويت و وضعت فى الكعبة، يقوم بها سدنة

البيت، فإذا أراد رجل سفرا أو نكاحا، أتى السادة، فقال: أخرج لى زلما، فيخرجه و ينظر إليه، فإذا خرج قدح الأمر، مضى على ما عزم

عليه، و إن خرج قدح النهى، قعد عما أراده، و ربما كان مع الرجل زلمان، وضعهما فى قرابة؛ فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما ١٩.

## ١١- الباقيات الصالحات

ورد ذكر «الباقيات الصالحات» في كتاب الله تعالى مرتين (١):

واحدة في قوله تعالى: الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (الكهف: ٤٦).

والثانية: في قوله تعالى: وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (مريم: ٧٦).

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى ب الباقيات الصالحات ٢٠.

١- فقال بعضهم: هي الصلوات الخمس ..

ومن هؤلاء: ابن عباس، وسعيد بن جبيرة.

٢- وقال بعضهم: هي ذكر الله بالتسبيح، والتقديس، والتهليل، ونحو ذلك. ومن هؤلاء:

عثمان بن عفان، وسعيد بن المسيب، وعطاء ابن أبي رباح، ومجاهد، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري.

٣- وقال بعضهم: هي الكلم الطيب. ومن هؤلاء: ابن عباس.

٤- وقال بعضهم: هي التيات والهيات، حيث إن بها تقبل الأعمال، وترفع. ومن هؤلاء: الحسن البصري.

٥- وقال بعضهم: هن البنات. ومن هؤلاء:

عبيد بن عمير؛ حيث يدل عليه أوائل الآيه، قال تعالى: الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثم قال: وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٣٢

يعنى: البنات الصالحات، هن عند الله لآبائهن خير ثوابا، وخير أملا في الآخرة، إن أحسن إليهن.

٦- وقال بعضهم: هي ما أريد به وجه الله وحده من طاعة الله ورسوله، وجميع أعمال الخير ومن هؤلاء: ابن عباس، وقنادة، وابن

زيد، حيث إن كل عمل وقول دعاك إلى الاشتغال بمعرفة الله وبمحبته وخدمته فهو «الباقيات الصالحات».

كما أن كل عمل وقول دعاك إلى الاشتغال بأحوال الخلق فهو خارج عن ذلك.

يقول الإمام ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هن جميع أعمال الخير؛ لأن ذلك كله من الصالحات، التي

تبقى لصاحبها في الآخرة، وعليها يجازى ويثاب، وإن الله عز وجل لم يخص من قوله تعالى:

وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا بعضا دون بعض .. في كتاب، ولا يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## ١٢- البحيرة

ورد ذكرها في القرآن الكريم مرة واحدة فقط (١) في قوله تعالى: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِغٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (المائدة: ١٠٣).

وهي من الأشياء الحلال التي حرمها الناس على أنفسهم، ولم يحرمها الله تعالى عليهم.

ومن المعلوم أن قضية التحريم والتحليل لا تكون إلا لله عز وجل، ويجب الامتثال، لشرعه- سبحانه- تحليلا، وتحريما، ومن تدخل

فيها، أو خالف لها فهو معتد على حق من حقوق الله تعالى، يقول عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا

تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (المائدة: ٨٧، ٨٨).

والبحيرة هي: الناقة، التي كانوا يشقون في أذننها شقا، يقال: بحرت أذن الناقة بحرا، إذا شققتها وخرقتها.

قال ابن سيده: بحر الناقة والشاة يبحرها بحرا، شق أذننها بنصفين، وقيل: بنصفين طولاً.

وكانت العرب تفعل بهما ذلك، إذا نتجتا عشرة أبطن، فلا ينتفع منهما بلبن، ولا ظهر، وتترك البحيرة ترعى وترد الماء، ويحرم

لحمها على النساء، و يحلل للرجال، فنهى الله تعالى عن ذلك ٢١.

و عن سعيد بن المسيب: «هي الناقة، التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس» ٢٢.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٣٣

و قال الراغب: هي الناقة، إذا ولدت عشرة أبطن شقوا أذننها، فيسيبونها، فلا تتركب، و لا يحمل عليها (٢١).

و عن ابن عباس: «إذا نتجت الناقة خمسة أبطن .. نظروا إلى الخامس؛ فإن كان ذكرا ذبحوه، فأكله الرجال دون النساء، و إن كان أنثى جدعوا أذننها، فقالوا هذه بحيرة» (٢١).

و قال الأزهرى: قال أبو إسحاق النحوى:

أثبت ما روينا عن أهل اللغة، فى البحيرة، أنها: الناقة، كانت إذا نتجت خمسة أبطن، فكان آخرها ذكرا، بحروا أذننها، أى شقوها، و أعفوا ظهرها من الركوب و الحمل و الذبح، و لا تحلأ عن ماء ترده، و لا تمنع من مرعى، و إذا لقيها المعبى المنقطع به: لم يركبها. و الصواب: هو الأول. أى الناقة التى ولدت عشرة أبطن (٢١).

و عن زيد بن أسلم، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال ٢٢: «قد عرفت أول من بحر البحائر، رجل من بنى مدلج، كانت له ناقتان، فجدع آذانهما، و حرم ألبانهما و ظهورهما، و قال:

هاتان لله. ثم احتاج إليهما، فشرب ألبانهما، و ركب ظهورهما، قال: فلقد رأيت فى النار، يؤذى أهل النار ريح قصبه» ٢٣.

### ١٣- البر

قال الراغب الأصفهاني: البرّ خلاف البحر، و تصوّر منه التوسع، فاشتق منه البرّ.

و على ذلك: فالبرّ، التوسع فى فعل الخير، و ينسب ذلك إلى الله تارة، نحو إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (الطور: ٢٨). و إلى العبد تارة، فيقال: برّ العبد ربّه، أى: توسع فى طاعته.

فهو من الله: الثواب، و من العبد: الطاعة.

و هو ضربان: ضرب فى الاعتقاد، و ضرب فى الأعمال، و قد اشتمل عليهما قوله تعالى:

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ .. الْآيَةُ (البقرة: ١٧٧)؛ حيث إن الآية متضمنة:

للاعتقاد، و الأعمال و الفرائض، و النوافل ٢٤.

و قد اختلف العلماء فى معنى البر على أقوال، قال بعضهم: البر: الصدق و الطاعة.

و قال بعضهم: البر: الصلاح. و قال بعضهم:

البر: الخير. و قال بعضهم: البر: التقى. و قال بعضهم: البر: كل ما تقرب به إلى الله تعالى.

و قال بعضهم: البر: خير الدنيا و الآخرة.

فخير الدنيا: ما ييسره الله تبارك و تعالى للعبد من الهدى و النعمة و الخير، و خير الآخرة: الفوز بالنعيم الدائم فى الجنة ٢٥.

و قد ذكر (البر) و مشتقاته فى القرآن الكريم ٢٠ مرة ١، و فى حديث النبى صلى الله عليه و سلم كثيرا ٢٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٣٤

### ١٤- التقوى

التقوى: هى جعل النفس فى وقاية مما يخاف، و حفظها عما يؤذيها و يضرها.

و هى فى الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، و ذلك بترك المحظور ٢٧. و سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيّا عن التقوى، فقال: هل

أخذت طريقا ذا شوكة؟ قال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ قال: تشمّرت و حذرت، قال: فذاك التقوى.

و فيها: جماع الخير كله، و هي. وصية الله تعالى في الأولين و الآخرين بل هي خير ما يستفيده الإنسان ٢٨، و على أساسها يتفاضل البشر، يقول تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات: ١٣).

و قد ذكرت مادة «التقوى» في القرآن الكريم (٢٥٨ مرة) منها (٧٠ مرة) و ردت بصيغة الأمر بها (٢٧) من الله تعالى لعباده كما في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (التوبة: ١١٩)، كما أمر بها جميع الرسل أقوامهم، فهذا نوح، و هود، و صالح، و لوط، و شعيب، عليهم السلام- على سبيل المثال- يقول كل واحد منهم لقومه: إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (الشعراء الآيات:

١٠٧، ١٠٨ / ١٢٥، ١٢٦ / ١٤٣، ١٤٤ / ١٦٢، ١٦٣ / ١٦٨، ١٧٩).

كما بين القرآن صفات المتقين، إرشادا إليها، و حتّا على التحلى بها، في كثير من آياته الكريمة .. حيث جعل من صفاتهم أنهم الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (البقرة: ٣-٥) و كذلك: المتقى .. هو مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ (البقرة: ١٧٧) وَ الْمُتَّقُونَ كَذَلِكَ: هم الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبُؤْسِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ (البقرة:

١٧٧) وَ هم الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ هم المحسنون الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ فِي ثِقَةٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَعْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يَصْتَرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (آل عمران:

١٣٤، ١٣٥) وَ هم الذين: إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٣٥

(الأعراف: ١٠٢) وَ هم الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (الأنبياء:

٤٩)، وَ هم الذين: كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَ بِاللَّسِّحَارِ هُمُ يَشْتَعَفُونَ (١٨) وَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (الذاريات: ١٧-١٩).

و لأن التقوى حفظ النفس، و وقايتها عما يؤثم، فمجالاتها عديدة لا يحصرها إحصاء، و لا يحيط بها عد؛ حيث إنها تطبع الإنسان بطابع خاص مميز، في جميع المجالات.

و من ذلك:

١- في ميدان الجهاد: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آل عمران: ٢٠٠).

٢- في قتال الأعداء: .. وَ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (التوبة: ٣٦).

٣- في العدل مع الخصوم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (المائدة: ٨).

٤- في المعاملات: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آل عمران: ١٣٠).

٥- في الحلال و الحرام: قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ وَ لَوْ أَغْجَبَكَ كَثْرَةُ الْحَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (المائدة: ١٠٠).

٦- في الأحوال الشخصية: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ

لَا يَخْرُجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ .. (الطلاق: ١).

و ثمرات التقوى و آثارها: كثيرة، كثيرة ..

نذكر منها المقتطفات التالية:

١- نوال معية الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (النحل: ١٢٨).

٢- نوال حب الله تعالى: بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (آل عمران: ٧٦).

٣- نوال نصر الله تعالى: قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (الأعراف: ١٢٨).

٤- نوال رحمة الله، و هدايته: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (الحديد: ٢٨).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٣٦

٥- الخروج من الأزمات، وسعة الرزق، و تيسير الأمر: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَزِدْ لَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (الطلاق: ٢، ٣)، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (الطلاق: ٤).

٦- النجاة من مس الشيطان: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (الأعراف: ٢٠١).

٧- النجاة من السوء و الأحزان: وَيَنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (الزمر: ٤١).

٨- النجاة من الخوف و الحزن: يَا بَنِي آدَمَ إِذَا يَأْتَيْكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (الأعراف: ٣٥)

٩- تكفير السيئات و غفران الذنوب: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (الأنفال: ٢٩).

١٠- الفلاح في الدنيا و الآخرة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (المائدة: ٣٥).

١١- دخول جنات النعيم و نوال رضوان الله: قُلْ أُوْثِقْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (آل عمران: ١٥).

و انظر الآيات: في آل عمران ١٣٣، ١٣٦، ١٩٨، الحجر ٤٥-٤٨، النحل ٣٠-٣٥، مريم ٦٣، ص ٤٩-٥٣، الزمر ٢٠، ٧٣، الزخرف ٦٧-

٧٣، الدخان ٥١-٥٧، محمد ١٥، ق ٣١-٣٥، الذاريات ١٥-١٦، الطور ١٧-٢٠، القمر ٥٤، ٥٥، القلم ٣٤، المرسلات ٤١-٤٤، النبأ

٣١-٣٦.

## ١٥- التنايز بالألقاب

التنايز بالألقاب: هو التداعى بها، بمعنى:

أن يلقب بعضهم بعضاً، و كثر فيما كان ذمًا.

و التنايز بالتحريك: اللقب، و التنايز بالتسكين:

المصدر.

و قد ورد في القرآن الكريم بصيغته النهي عنه مرة واحدة ٢٩، و ذلك في قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَ

لَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٣٧

الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (الحجرات: ١١).

و يلاحظ: أن النهي عن ذلك في الآية الكريمة، ورد ضمن النهي عن بعض الأمور التي تتضمنها منظومة الآداب الإسلامية، فقد نهت الآية عن سخرية المؤمن بالمؤمن، ثم نهت - ثانيا - أن يعيب المؤمن مؤمنا و يطعن فيه بلسانه، كما نهت - ثالثا - عن أن يدعو الإنسان أخاه المؤمن بلقب لا يحبه؛ لكونه ذمًا له، أو مشعرا بذلك.

قال النووي: اتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره، سواء كان صفة له، أو لأبيه، أو لأمه، أو غيرهما ٣٠.

و من التشديد في تحريم ذلك في الإسلام، أن الآية جعلت التنايز بالألقاب فسقا يرتكبه الإنسان، كما هددت من لم يكف عنه، و يتب منه بوصفه بالظالم.

و لكن يستثنى من ذلك التحريم من غلب عليه الاستعمال كالأعرج، و الأحدب، و لم يقصد به الذم، أو التعيير، و لا يجد من ذلك صاحبه حرجا، حيث جُوزته الأمة، و اتفق على فعله أهل الملة ٣٠.

و على هذا المعنى ترجم البخاري - رحمه الله - في كتاب «الأدب» من صحيحه، باب (ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم: الطويل، و القصير، و قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما يقول ذو اليمين»؟ و ما لا يراى به شين الرجل).

يقول ابن حجر صاحب «فتح الباري»: هذه الترجمة معقودة لبيان حكم الألقاب و ما لا يعجب الرجل أن يوصف به مما هو فيه، و حاصله: أن اللقب إن كان ما يعجب الملقَّب و لا إطراء فيه، مما يدخل في نهى الشرع، فهو جائز أو مستحب، و إن كان مما لا يعجبه فهو حرام أو مكروه، إلا إن تعين طريقا إلى التعريف به، حيث يشتهر به و لا يتميز عن غيره إلا بذكره ٣١.

و على هذا: يمنع الإسلام من تلقيب الإنسان بما يكره، و جوز تلقيبه بما يحب.

و قد لقب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمر بالفاروق، و أبا بكر بالصديق، و عثمان بندي النورين، و خزيمه بندي الشهادتين .. إلخ.

## ١٦- التوبة

أصل تاب إلى الله: عاد إلى الله و رجع عن المعصية و أناب، يقول تعالى: وَ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (النور: ٣١).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٣٨

و تاب الله عليه: أي وفقه للتوبة، و قبلها منه، و عاد عليه بالمغفرة، يقول تعالى: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ (التوبة: ١١٧)، و يقول تعالى: غَافِرِ الذَّنْبِ وَ قَابِلِ التَّوْبِ (غافر: ٣).

و التوبة: ترك الذنب على أبلغ الوجوه، و هو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول:

فعلت لأجل كذا، أو يقول: فعلت و أسأت و قد أفلعت. و لا رابع لذلك. و هذا الأخير هو التوبة.

و التوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، و الندم على ما فرط منه، و العزيمة على ترك المعادة، و تدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة.

و التائب يقال لبازل التوبة، و يقال - أيضا - لقبائل التوبة، فالعبد تائب إلى الله التائبون العابدون الحامدون السائجون الساجدون (التوبة: ١١٢). و الله: تائب على عبده ثم تاب عليهم ليتوبوا (التوبة: ١١٨).

و التواب: العبد الكثير التوبة إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (البقرة: ٢٢٢). و قد يقال ذلك لله تعالى: لكثرة قبوله التوبة ٣٢



إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (الحجرات: ١٢).

## ١٧- الجبت والطاغوت

الجبت: النذل الذي لا مروءة له ولا خير فيه.

وقال الشعبي: هو السحر. وقيل: هي كلمة تقع على الصنم، والكاهن، والساحر. وعلى كل فهي تقال لكل ما عبد من دون الله ٣٣. و الطاغوت: عبارة عن كل معتبد، وكل معبود من دون الله. ويستعمل في الواحد والجمع على السواء قال تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ (البقرة: ٢٥٦) وقال كذلك: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ (البقرة: ٢٥٧).

والطاغوت: هو الشيطان. وقيل: هو الساحر، وقيل: الكاهن، وقيل: المارد من الجن. وعلى كل فهو كل صارف عن طريق الخير ٣٤. وقد وردت هذه العبارة بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَرَّةً الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٣٩

واحدة ٣٣. وذلك في قوله عز وجل - تعجبا من أمر أهل الكتاب: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (النساء: ٥١، ٥٢).

والمعنى: أن اليهود الذين أعطوا نصيبا من الكتاب يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ أَي: بما عبد من دون الله وَالطَّاغُوتِ أَي: الشيطان، أو كل من تجاوز حدود الله. وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْتُمْ أَهْدَى طَرِيقًا. وَأَصْحَ دِينًا مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ. هَؤُلَاءِ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ نَصِيرًا يَعْتَدُ بِنَصْرِهِ.

## ١٨- الجوابي

الجوابي: جمع الجابية، وهي القدر العظيمة، أو الحوض الكبير، الذي يجبي فيه الشيء، أي يجمع ٣٥. وقد وصفت بها الجفان، التي كان يصنعها الجن لسليمان عليه السلام، بعد أن سخر الله له فريقا منها. و الجفان: جمع جفنة، وهي: وعاء الأظعمة.

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ وَ أَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مَنْ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَ تَمَاثِيلٍ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ (سبأ: ١٢، ١٣).

## ١٩- الحاقّة

الحاقّة: اسم من أسماء يوم القيامة؛ ولا نزاع في ذلك.

ولكنهم اختلفوا في سبب هذه التسمية، قال ابن كثير: لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد، وقال أبو مسلم: لأنها واجبة الوقوع، ولا ريب في مجيئها، وقيل: لأن الأمور تعرف فيها على حقيقتها، وقيل: لأن فيها تكون حواق الأمور الواجبة الحصول، من الثواب والعقاب، وغيرهما من أحوال القيامة، وقيل:

غير ذلك ٣٦.

وقد ذكر هذا الاسم ليوم القيامة في القرآن الكريم ثلاث مرات، في قوله تبارك وتعالى الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا

## الْحَاقَّةُ (الحاقة: ١-٣).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٤٠

## ٢٠- حدود الله تعالى

الحدود: الحواجز، وهي: جمع حدّ، و الحد: الحاجز بين الشيئين، الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر.  
و حد الشيء: الوصف المحيط بمعناه، المميز له عن غيره، و الحد كذلك: المنع، و منه سمي الحديد حديداً؛ لأنه يمنع من وصول السلاح إلى البدن، و كذلك: حد الزنا و الخمر سمي به؛ لكونه مانعاً لمتاعبه من معاودة مثله، و مانعاً لغيره أن يسلك مسلكه.  
و حدود الله: هي التي تمنع أن يدخل في أحكامه تعالى ما ليس منها، و أن يخرج منها ما هو منها، قال تعالى: وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ (الطلاق: ١).  
و شرعت الحدود في المعاصي؛ لأنها تمنع أصحابها من العود إليها، أو إلى مثلها، قال تعالى: تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا (البقرة: ٢٢٩).

قال الراغب: و جميع حدود الله، على أربعة أوجه:

إما شيء لا يجوز أن يتعدى بالزيادة عليه و لا القصور عنه، كأعداد ركعات صلاة الفرض.  
و إما شيء تجوز الزيادة عليه، و لا يجوز النقصان عنه، و ذلك كمقدار الزكاة.  
و إما شيء لا تجوز الزيادة عليه، و يجوز النقصان عنه، و ذلك مثل: التزوج بأربع فما دونها.  
و إما شيء يجوز عليه كلاهما، أى الزيادة و النقصان، مثل: صلاة الضحى، فإنها ثمان، و تجوز الزيادة عليها، و النقصان منها ٣٧.

## ٢١- الحرت

الحرت: العمل في الأرض زرعاً كان أو غرساً، بإلقاء البذر في الأرض، و تهيتها للزراعة.

و الحرت كذلك: نفس الزرع، يقول تعالى:

إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ (البقرة: ٧١)، و يقول تعالى: مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ (آل عمران: ١١٧)، و يقول تعالى:  
أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (الواقعة: ٦٣، ٦٤)، و يقول تعالى: فَتَنَادُوا مُضِيِّجِينَ (٢١) أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (القلم: ٢١، ٢٢).

و الحرت: متاع الدنيا يقول تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٤١

كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (الشورى: ٢٠).

و الحرت: الثواب و النصيب يقول تعالى:

مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ (الشورى: ٢٠).

و الحرت: النساء يقول تعالى: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِئْتُمُ (البقرة: ٢٢٣) و ذلك على سبيل التشبيه، فبالنساء زرع ما فيه بقاء نوع الإنسان، كما أن بالأرض زرع ما فيه بقاء أشخاصهم ٣٨.

## ٢٢- الحنفاء

من الحنف و هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة.  
 و الحنيف: هو المائل إلى ذلك، كما في قوله تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا و لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (النحل: ١٢٠)، و قوله تعالى ما كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا و لَا نَصْرَانِيًّا و لَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا و مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (آل عمران: ٦٧).  
 و جمع الحنيف: حنفاء أى: المائلون عن الضلال إلى الاستقامة، قال تعالى:  
 و اجْتَبَيْتُمَا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ (الحج: ٣٠، ٣١).  
 و سَمَّتِ الْعَرَبُ كُلَّ مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اخْتَنَتْ:  
 حنيفاً؛ تنبيهاً على أنه على دين إبراهيم ٣٩.

و اشتهرت كلمة (الحنفاء) على عدد من العرب، لم تعجبهم عبادة الأصنام؛ حيث رأوها لا تنفع و لا تضر، و لا تملك لنفسها شيئاً، و أن هناك- بالضرورة- قوة قادرة تمد العالم بالحياة، و أن هذه المعبودات من الأصنام التي آمن بها العرب لا توصلهم إلى الله الحق أبداً، فمالوا عنها، و أخذوا يبحثون بعقولهم عن الله الواحد سبحانه و تعالى.

و من هؤلاء: ورقة بن نوفل، ابن عم السيدة خديجة، و الذى ورد ذكره فى حديث بدء الوحي للنبي صلى الله عليه و سلم ٤٠، و كذلك: زيد بن عمرو بن نفيل، ابن عم عمر بن الخطاب (٤٠)، الذى كان يقول:

أرب و واحد أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور  
 تركت اللات و العزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير  
 فلا العزى أدين و لا بنتيها و لا صنمى بنى عمرو أزور  
 و لكن أعبد الرحمن ربى ليغفر ذنبى الرب الغفور  
 الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٤٢

## ٢٣- الحمولة

الحمولة: بفتح الحاء، على وزن فعولة، و لا واحد له.  
 و المراد بها: ما يحمل الأثقال من الأنعام، و عن أبى زيد: كل ما احتمل عليه الحمل، من: حمار، أو بغل، أو بعير، سواء كانت عليه الأحمال، أو لم تكن، ثم قيل: يختص اللفظ بالإبل، و قال الضحاك: الحمولة: من الإبل، و البقر، و قال الحسن: الحمولة: الإبل، و قال ابن عباس: الحمولة: كل ما حمل من الإبل، و البقر، و الخيل، و البغال، و الحمير.  
 قال النحاس: و من أحسن ما قيل فيها أن (الحمولة): المسخرة، المذلة.  
 و قد وردت هذه اللفظة فى القرآن الكريم مرة واحدة فقط، و ذلك حينما شرع المولى سبحانه و تعالى فى تفصيل حال الأنعام، و إبطال ما تقول على الله فى شأنها المتقولون بالتحريم و التحليل ٤١ فى قوله تعالى: وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ و فَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ و لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (الأنعام: ١٤٢).

## ٢٤- الحميم

الحميم: الماء الشديد الحرارة .. يقول تعالى: وَ سَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (محمد: ١٥).  
 و الحميم: القريب المشفق، الذى تهتم لأمره، و يهتم لأمرك، يقول تعالى: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) و لَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (المعارج: ٨- ١٠) قال الفراء: لا يسأل ذو قرابة عن قرابته، و لكنهم يعرفونهم ساعة، ثم لا تعارف بعد تلك الساعة. و يقول تعالى: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) و لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (الشعراء: ١٠٠، ١٠١)، و أصل هذا من الحميم: و هو الماء الحار.

قال قتادة: يذهب الله - عز و جل - يوم القيامة مودة الصديق، و رقة الحميم ٤٢.  
و قال ابن سيده: الحميم: المطر الذي يأتي بعد أن يشتد الحر؛ لأنه حار، و الحميم:  
القيظ، و الحميم: العرق ٤٣.

## ٢٥- الحواريون

الحواريون: جمع حوارى، و الحوارى:  
الناصر، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «إن لكل نبي حواريا، و إن حوارى: الزبير بن العوام» ٤٤.  
و على ذلك: فالحواريون: أصحاب عيسى ابن مريم، عليه السلام و أنصاره، و كانوا اثني عشر رجلا، قال عيسى ابن مريم للحواريين  
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ (الصف: ١٤)، أى: قال عيسى ابن مريم: من أنصارى فى السبيل إلى الله،  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٤٣  
فيضم نصرته إلى نصره الله - عز و جل - لأظهر الدعوة، و أنشر الدين؟ قال الحواريون:  
نحن أنصار نبيه و دينه.

و اختلف فى تسميتهم بذلك على أقوال:  
قال ابن عباس: سموا بذلك؛ لياض ثيابهم.  
و قيل: سموا بذلك؛ لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس، بإفادتهم الدين و العلم، المشار إليه، فى قوله تعالى إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ  
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلِي الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (الأحزاب: ٣٣)، و قال قتادة و الضحاك: سموا بذلك؛ لأنهم كانوا خاصة الأنبياء؛ لصفاء  
و نقاء قلوبهم.

و اختلف فى أصلهم - كذلك - على أقوال:  
فقيل: كانوا صيادين، يقول الراغب: و إنما كانوا كذلك لاصطيادهم نفوس الناس من الحيرة، و قودهم إلى الحق.  
و قيل: كانوا قصارين للثياب و صباغين.  
و أراد معلّم عيسى السفر، فقال لعيسى:  
عندى ثياب كثيرة، مختلفة الألوان، و قد علمتك الصبغة فاصبغها، فطبخ عيسى وعاء واحدا، و أدخل فيه جميع الثياب، و قال: كونى  
بإذن الله على ما أريد منك. فقدم الحوارى:  
هو معلم الصباغة، و الثياب كلها فى هذا الوعاء الواحد، فقال لعيسى: قد أفسدتها، فأخرج عيسى ثوبا أحمر، و ثوبا أصفر، و أخضر،  
إلى غير ذلك، مما كان على كل ثوب مكتوب عليه صبغه، فعجب الحوارى، و علم أن ذلك من الله، و دعا الناس إليه، فآمنوا به.  
فهم الحواريون.

و قيل: كانوا ملوكا، و ذلك أن الملك صنع طعاما، و دعا الناس إليه، و كان عيسى على قصعة، فكانت لا تنقص، فقال الملك له: من  
أنت؟ قال: عيسى ابن مريم، قال: إني أترك ملكى هذا، و اتبعك، و انطلق بمن اتبعه مع عيسى عليه السلام. فهم الحواريون ٤٥.

## ٢٦- الحور العين

ورد ذكر (الحور العين) فى القرآن الكريم بهذا الاسم: ثلاث مرات.  
فى قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتْقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ  
بِحُورٍ عِينٍ (الدخان: ٥١-٥٤).

و في قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (الطور):

١٧- ٢٠). و في قوله تعالى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٤٤

مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (الواقعة: ١٧-٢٢).

و بوصف (عين) فقط: في قوله تعالى:

وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (الصفات: ٤٨، ٤٩).

و بوصف (حور) فقط: في قوله تعالى حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (الرحمن: ٧٢).

و الحور: جمع أحور و حوراء.

و الحور: قيل ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد، و ذلك نهاية الحسن من العين ٤٦، و الحوراء: ما كانت كذلك، و قيل: الحور .. أن تسود العين كلها، مثل أعين الظباء و البقر، و ليس في بني آدم حور، و إنما قيل للنساء: حوراء؛ لأنهن يشبهن الظباء و البقر. و قيل: الحوراء: هي التي يرى ساقها من وراء ثيابها، و يرى الناظر وجهه في كعبها، من دقة الجلد و بضاضة البشرة و صفاء اللون. عن ابن مسعود قال: إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم و العظم، و من تحت سبعين حلة، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجه البيضاء. و قال مجاهد: إنما سميت الحور حوراء؛ لأنهن يحار الطرف في حسنهن و بياضهن و صفاء لونهن ٤٧.

و العين: جمع عينا، و المعنى: عظام العيون و واسعتها، كما قال السدي، و قال مجاهد:

حسان العيون، و قال الحسن: الشديديات بياض العين، الشديديات سوادها، و الأول أشهر في اللغة.

و قد وصف القرآن الكريم (الحور العين) بعدة أوصاف:

الأول: أنهن قاصراتُ الطَّرْفِ (الصفات: ٤٨) أي: قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم.

الثاني: كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (الصفات: ٤٩) أي: كأنهنّ مثل بيض النعام، المغطى بالريش، و الذي لم تمسه الأيدي، و المصون عن الكسر، أي: أنهن عذاري.

الثالث: مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (الرحمن: ٧٢) أي: مستورات في الخيام، لسن بالطوافات في الطرق، و قد قصرن على أزواجهن فلا يردن بدلا منهم.

الرابع: لَمْ يَطْمِئْتُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ (الرحمن: ٧٤) لم يمسسهن قبل أزواجهن في الجنة إنس غيرهم و لا جان.

الخامس: أنهن كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (الواقعة: ٢٣) أي هن في ذواتهن مثل اللؤلؤ، الذي لم تسمه الأيدي، و لم يقع عليه الغبار، فهو أشد ما يكون صفاء و تألؤا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٤٥

و اختلف أيهما أفضل في الجنة: نساء الآدميات أو الحور العين؟

قال بعضهم: إن نساء الآدميات من دخل منهن الجنة فضّلن على الحور العين بما عملن في الدنيا. و قيل: إن الحور العين أفضل؛ لقوله عليه الصلاة و السلام في دعائه: «و أبدله زوجا خيرا من زوجته» ٤٨.

## ٢٧- الخلود

هذه اللفظة (الخلود) وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، و ذلك في قوله تعالى اذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (ق: ٣٤). كما

وردت مشتقاتها- في آيات القرآن الكريم- ست وثمانين مرة.

و المراد بها: البقاء الذي لا انتهاء له أبداً ٤٩.

و الخلود في اللغة: هو تبرؤ الشيء من اعتراض الفساد، و بقاءه على الحالة التي هو عليها، و كل ما يتباطأ عنه التغيير و الفساد تصفه العرب ب «الخلود»، يقول تعالى:

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (الشعراء: ١٢٨، ١٢٩)، يقال: خلد يخلد خلوداً أى: بقى و أقام. و لا يكون الخلود إلا في الجنة، أو في النار. و العياذ بالله ٥٠.

يقول تعالى في وصف أهل الجنة:

وَ سَيَقِي الدِّينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (الزمر: ٧٣).

و يقول- عز و جل- في وصف أهل النار إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا (البينة: ٦).

## ٢٨- الخير

الخير ٥١: ما يرغب فيه الكل، كالعقل، و العدل، و الفضل، و الشيء النافع عامة، و ضده: الشر.

و الخير ضربان: خير مطلق، و خير مقيد.

فالخير المطلق: ما كان مرغوباً فيه بكل حال، و عند كل أحد، كما في قوله تعالى:

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آل عمران: ٢٦).

و الخير المقيد: ما كان مرغوباً فيه في بعض الأحوال، و عند بعض الآحاد، أى: ليس في كل حال، و ليس عند كل أحد، مثل: المال، الذى ربما كان خيراً لزيد و شراً لعمرو، و لذلك: وصفه الله تعالى بالأميرين، فقال في موضع خير: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٤٦

المَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ (البقرة: ١٨٠) فالخير هنا: هو المال من غير خلاف، و قال في موضع آخر: أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنمِّدُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ (٥٥) نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ (المؤمنون: ٥٥، ٥٦).

و الخير- كذلك- يقال على وجهين: أن يكون اسماً، و أن يكون وصفاً.

فالاسم: كما في قوله تعالى: وَ لَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ (آل عمران:

١٠٤)، و الوصف: كما في قوله تعالى:

وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى (البقرة:

١٩٧)

و من جهة ثالثة: يقابل الخير .. تارة بالسوء، و تارة بالشر، و تارة بالضر.

فيقابل بالسوء كما في قوله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا (آل عمران: ٣٠)، و يقابل بالشر: كما في قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ (النور:

١١)، و يقابل بالضر: كما في قوله تعالى: وَ إِنْ يَمَسَّ سَكُّ اللَّهِ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يَمَسَّ سَكُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الأنعام: ١٧).

## ٢٩- الدين القيم

الدين القيم: أى الثابت المقوم لأمر المعاش و المعاد.

و هو: دين الإسلام، القيم المستقيم ٥٢، الذى فطر الله الناس عليه، و تعبدهم بمبادئه و تعاليمه.

يقول سبحانه: **إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** (يوسف: ٣٩).

و يقول سبحانه: **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** (الروم: ٣٠).

و يقول سبحانه: **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ** (الروم: ٤٣).

و يقول سبحانه: **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ** (التوبة: ٣٦).

و أما دِينُ الْقَيِّمَةِ (البينة: ٥) أى: دين الأمة القائمة بالقسط، و هى المشار إليها بقوله تعالى: **كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** (آل عمران: ١١)، و قوله تعالى:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٤٧

**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ** (النساء: ١٣٥).

## ٣٠- روح القدس

الروح: اسم للنفس، و ذلك: لكون النفس بعض الروح، من باب تسمية النوع باسم الجنس، نحو تسمية الإنسان بالحيوان.

و جعل اسما للجزء الذى به تحصل الحياة و التحرك، و استجلاب المنافع، و استدفاع المضار.

و به سمى أشراف الملائكة- عليهم السلام، نحو:

**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ** (النبأ: ٣٨). و به كذلك سمى جبريل عليه السلام: **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ** (الشعراء: ١٩٣).

و القدس: من التقديس، و هو التطهير الإلهي، و ليس هو التطهير المقصود به إزالة النجاسة المحسوسة.

و على هذا: ف (روح القدس) هو: جبريل عليه السلام؛ و سمى بذلك من حيث إنه ينزل بالقدس من الله، أى بما يطهر نفوسنا من القرآن و الحكمة و الفيض الإلهي.

و قد ورد هذا الاسم فى القرآن الكريم أربع مرات ٥٣.

فى قوله تعالى: **وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** (البقرة: ٨٧، ٢٥٣). و قوله تعالى: **إِذْ أَيْدَتَكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا** (المائدة: ١١٠).

و قوله تعالى: **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ** (النحل: ١٠٢).

## ٣١- الزقوم

الزقوم ٥٤: مشتق من التزقم، و هو البلع على جهد و مشقة، و كراهية، و هو: شجر كريبه المنظر، كريبه الطعم.

و اختلف فى هذا الشجر، هل هو من شجر الدنيا، الذى تعرفه العرب، أو لا. على قولين:

أحدهما: أنها من شجر الدنيا، و هى:

شجرة مرة، من أحبب الشجر تكون بتهامه، من أرض الجزيرة، و قال بعضهم: إنها نبات قاتل.



ثانيهما: أنها ليست من شجر الدنيا، بل هي طعام أهل النار. و هي شجرة خلقها الله في جهنم، إذا جاء أهل النار فالتجئوا إليها، و أكلوا منها، تغلى في بطونهم، كما يغلى الماء الحار، و شبه ما يصير منها في بطونهم بالمهل، و هو النحاس المذاب من الغليان. و من العجيب: أنها تحيا بلهب النار، كما يحيا شجر الدنيا بالماء، و لا مناص لأهل النار من أكلها .. ينحدر إليها من كان منهم فوقها، و يصعد إليها من كان أسفلها؛ لهذا الغرض.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٤٨

و لما نزل قوله تعالى: إِنَّ شَجْرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِي الْحَمِيمِ (الدخان: ٤٣-٤٦) لم تعرفها قريش، فقال أبو جهل: إن هذا لشجر ما ينبت في بلادنا، فمن منكم يعرف الزقوم ؟! فقال رجل قدم عليهم من إفريقية: (الزقوم) بلغة إفريقية: الزبد بالتمر، فقال أبو جهل: يا جارية ..!! هاتي لنا تمرا و زبدا نزقمه، فجعلوا يأكلون منه، و يقولون: أ فبهذا يخوفنا محمد في الآخرة ..؟

فبين الله هذه (الشجرة) في موضع آخر بصفتها، حيث قال تبارك و تعالى: إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجْرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَمَّا كَلُونِ مِنْهَا فَمَالُؤُنْ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (الصافات: ٦٢-٦٧).

فقد بين تعالى:

١- أنها فتنة لهم و اختبار.

٢- و أصلها: تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ.

٣- و شكلها: طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ.

٤- و أنهم يأكلون منها لا محالة:

فَمَالُؤُنْ مِنْهَا الْبُطُونَ.

٥- أنهم يحاولون إطفاء لهيبها بالحميم:

إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ.

و قد سماها ب (الشجرة الملعونة) - كذلك - في قوله تعالى: وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجْرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نَحْوُفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (الإسراء: ٦٠).

و هدد - عز و جل - الكافرين بالأكل منها في قوله تعالى: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَمَّا كَلُونِ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ (٥٢) فَمَالُؤُنْ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هذا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (الواقعة: ٥١-٥٦).

## ٣٢- السائبة

هي الناقة التي تسيب في المرعى، فلا ترد عن حوض و لا علف، و ذلك إذا ولدت خمسة أبطن، و قال ابن إسحاق: هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث - أي: في ولادتها - ليس بينهن ذكر، لم يركب ظهرها، و لم يجز وبرها، و لم يشرب لبنها إلا ضيف. و قيل: السائبة: هي البعير، يسيب بنذر يكون على الرجل إن سلمه الله من مرض، أو بلغه منزله أن يفعل ذلك، فلا تحبس عن رعى و لا ماء، و لا يركبها أحد.

و قد يسيبون غير الناقة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٤٩

و هذه التسمية ليست من الله في شيء، بل ما سنَّ الله هذا الفعل حكما، و لا تعبد به شرعا، إنما هو مما أطلقه العرب، و مارسوه في

الجاهلية، وقالوا: إن الله أمر بتحريمها، وزعموا أنهم يفعلون ذلك لرضا ربهم.

وقد كذبوا.. فطاعة الله إنما تعلم من قوله وشرعه، ولم يكن عندهم من الله بذلك قول ولا شرع، فكان ذلك مما يفترونه على الله .٥٥

هذا.. وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم.. مرة واحدة فقط، وذلك في قوله تبارك وتعالى: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَا كِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (المائدة: ١٠٣).

### ٣٣- السبع الطرائق

وهي: عبارة وردت في القرآن الكريم، مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (المؤمنون: ١٧).

و السبع: هي العدد المعروف، و الطرائق:

جمع طريق، كما في قوله تعالى: وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا (الجن: ١١)، إشارة إلى اختلافهم في درجاتهم، و أطباق السماء يقال لها- كذلك- طرائق.

وقال الخليل، و الزجاج، و الفراء: (سبع طرائق) أي: سبع سماوات، كقوله: سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (نوح: ١٥). كل سماء طريقة و إنما قيل لها: طرائق، لتطارقها، بمعنى كون بعضها فوق بعض، يقال: طارق الرجل نعليه. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٧٤٩ ٣٣ - السبع الطرائق ..... ص : ٧٤٩

أطبق نعلا على نعل، و طارق بين ثوبين. إذا لبس ثوبا فوق ثوب.

وقال علي بن عيسى: سميت بذلك؛ لأنها طرائق للملائكة في العروج و الهبوط و الطيران.

وقال آخرون: لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها ٥٦.

### ٣٤- السكينة

السكينة: هي السكون و الوقار و الطمأنينة و زوال الرعب، و قيل: هي الرحمة، و قيل: هي النصر، و قيل: هي الوقار و ما يسكن به الإنسان.

وقد وردت في القرآن: ست مرات ٥٧.

اثنتان في سورة التوبة في قوله تعالى:

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٥٠

و ثلاث في سورة الفتح: في قوله تعالى:

هِيَ الَّتِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ (الفتح: ٤)، و قوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ (الفتح: ١٨). و قوله تعالى: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى (الفتح: ٢٦).

و كل واحدة ذكرت في هذه الآيات فهي بمعنى الطمأنينة- كما قال ابن عباس- إلا التي في البقرة. و هي المرة السادسة، و هي قوله تعالى: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ (البقرة: ٢٤٨).

فقد اختلف العلماء في معنى (السكينة) في هذه الآية قيل: هي مثل نظائرها، والمعنى: هو- أى التابوت- سبب سكون قلوبكم وطمأنينتها؛ حيث كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء و آثارهم، فكانت- لذلك- تسكن إليه النفوس، وتأنس به و تقوى. وقيل: هي روح من الله تتكلم، فكانوا إذا اختلفوا فى أمر نطقت ببيان ما يريدون، وإذا صاحت فى الحرب، كان لهم النصر والظفر، وقيل: هي ریح هفافة- أى سريعة المرور فى هبوبها- لها وجه كوجه إنسان، وقيل: هي حيوان كالهر، له جناحان و ذنب، و لعينه شعاع، فإذا نظر إلى الجيش انهزم، وقيل: هي طست من ذهب من الجنة، كان يغسل فيه قلوب الأنبياء. و الصحيح القول الأول ٥٨، و فى غيره من الأقوال آثار الوضع، و رائحة الإسرائيليات.

### ٣٥- شعائر الله

و الشعائر: جمع شعيرة، و هي كل شىء لله تعالى فيه أمر، أو نهى، أشعر به و أعلم، و منه: شعار القوم فى الحرب، أى علامتهم التى يتعارفون بها، و منه كذلك: إشعار البدنة، و هو الطعن فى جانبها الأيمن حتى يسيل منه الدم؛ فيكون علامة، و تسمى: شعيرة، بمعنى: مشعورة، أى: معلمة.

و الإشعار: الإعلام من طريق الإحساس، يقال: أشعر هديه أى جعل له علامة ليعرف بها أنه هدى، و منه: المشاعر، أى: المعالم، واحدها مشعر، و هي المواضع التى قد أشعرت بالعلامات، و منه: الشاعر؛ لأنه يشعر بفطنته لما لا يفتن له غيره. و منه: الشعير؛ لشعرته التى فى رأسه ٥٩.

و قد اختلف العلماء فى المراد من (شعائر الله) على أقوال، أبرزها قولان ٦٠:

الأول: ما قاله عطاء و الحسن، قال عطاء ابن أبى رباح: هي جميع ما أمر الله به، و نهى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٥١

و قد اختلف العلماء فى المراد من (شعائر الله) على أقوال، أبرزها قولان (٦٠):

الأول: ما قاله عطاء و الحسن، قال عطاء ابن أبى رباح: هي جميع ما أمر الله به، و نهى عنه، و قال الحسن: هي دين الله كله، و يشهد لهما: قوله تعالى: ذَلِكَ وَ مَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (الحج: ٣٢).

و الثانى: ما قاله ابن عباس، و مجاهد.

قال ابن عباس: هي جميع مناسك الحج و معالمة. و قال مجاهد: الصفا و المروة، و الهدى، و البدن كل ذلك من الشعائر، و يشهد لهما: أن المشركين كانوا يحجون، و يعتمرون، و يهدون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَ لَا الْهَدْيَ وَ لَا الْقُلَائِدَ وَ لَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَانًا (المائدة: ٢)، أى: لا تعدوا حدود الله فى أمر من الأمور، و لا فى شعيرة من شعائره. كما يشهد لهما: قوله تعالى: إِنَّ الصِّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ (البقرة: ١٥٨)، و كذلك: قوله تعالى: وَ الْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَبِيرٌ (الحج: ٣٦).

قال القرطبي: و القول الأول هو الراجح الذى يقدم على غيره؛ لعمومه.

### ٣٦- الشهر الحرام

الشهر: مدة مشهورة بإهلال الهلال، أو باعتبار جزء من اثنى عشر جزءا من دوران الشمس من نقطة إلى نقطة، و هو مشتق من الإشهار؛ لأنه مشتهر لا يتعذر علمه على أحد يريده.

والحرام: أى ما حرم الله فيه كثيرا مما لم يحرم فى غيره ٦١.

والمراد ب الشَّهْرِ الْحَرَامِ: ذو القعدة، و ذلك فى قوله تعالى: الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ (البقرة: ١٩٤)؛ حيث أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم للعمرة فى ذى القعدة من العام السادس للهجرة، فصدته المشركون، و تصالحوها، على أن يعود للعمرة فى العام المقبل، و قد عاد، و أخلى له أهل مكة البلد، و أقام فيها ثلاثا، ثم خرج منصرفا إلى المدينة، فقال تعالى: الشَّهْرُ الْحَرَامُ يَعْنِي ذَا الْقَعْدَةِ، الذى اعتمرتم فيه بقدره الله ب الشَّهْرِ الْحَرَامِ يعنى ذَا الْقَعْدَةِ الذى صدكم فيه مشركو مكة عن العمرة، فى العام الذى كان قبله ٦٢.

و كذلك فى قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَ لَمَّا الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ لَا الْهَدْيِ وَ لَا الْقَلَائِدَ وَ لَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَانًا (المائدة: ٢)، قال زيد بن أسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٥٢

الآية، أى: لا تعتدوا على هؤلاء العمار، بسبب أن صدكم أصحابهم، و من المعلوم .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان هو و أصحابه بالحديبية، حين صدته المشركون عن البيت فى ذى القعدة.

و المراد به- كذلك- رجب. و ذلك فى قوله تعالى: يَسْتُلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلٌ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسِيحِدِ الْحَرَامِ وَ إِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ (البقرة: ٢١٧)، حيث بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا من المهاجرين، فقتلوا عمرو بن الحضرمي، فى آخر يوم من رجب، و أسروا رجلين، و استاقوا غيرهم، فقال النبي صلى الله عليه و سلم، لم آمركم بالقتال فى الشهر الحرام، فقالت قريش: استحل محمد الشهر الحرام، فنزلت: يَسْتُلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ، إلى قوله: وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ أى: قد كانوا يفتنوكم- يقتلونكم- و أنتم فى حرم الله، بعد إيمانكم، و هذا أكبر عند الله من أن تقتلوه فى الشهر الحرام مع كفرهم بالله ٦٣.

و المراد به- ثالثا- الأشهر الأربعة المشار إليها فى قوله تعالى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ (التوبة: ٣٦).

و هذه الشهور .. هى: ذو القعدة، و ذو الحجة، و المحرم، و رجب، الذى بين جمادى الآخرة و شعبان، و ذلك فى قوله تعالى: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَ الْهَدْيَ وَ الْقَلَائِدَ (المائدة: ٩٧)، حيث قرر الله تعالى فى قلوبهم: حرمتها، فكانوا لا يروعون فيها نفسا، و لا يطلبون فيها دما، و لا يتوقعون فيها أثرا، حتى كان الرجل يلقى فيها قاتل أبيه و ابنه و أخيه، فلا يؤذيه، و اقتطعوا فيها ثلث الزمان، و وصلوا منها ثلاثة متواليه، فسحة و راحة، و مجالا للسياحة فى الأمن و الاستراحة، و جعلوا منها واحدا منفردا فى نصف العام؛ دركا للاحترام، و هو شهر رجب (٦٢).

### ٣٧- الصاخة

هى: الصيحة التى تصخّ الأسماع، أى:

تقرعها و تصمها.

قال ابن سيده: هى صيحة تصخّ الأذن، أى تطعنها، فتصمها لشدتها، و منه سميت القيامة.

و قال أبو إسحاق: هى الصيحة التى تكون فيها القيامة، تصخّ الأسماع، أى: تصمها، فلا تسمع إلا ما تدعى به للأحياء. و أصل الكلمة فى اللغة: الصك الشديد.

و هى عبارة عن القيامة ٦٤، حسب المشار إليه فى قوله تعالى: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ (الأنعام: ٧٣، طه: ١٠٢، النمل ٨٧، النبأ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٥٣

(١٨)، قال ابن كثير: الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده. وقال ابن جرير: لعله اسم للنفخة في الصور. وقال البغوي: الصاخة: يعنى صيحة القيامة، سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع، أى تبالغ فى إسماعها، حتى تكاد تصمها ٦٥. وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم، مرة واحدة، وذلك فى قوله تعالى: فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَيِّهِ (٣٥) وَصَاحَتِهِ وَبَيْنِهِ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (عبس): ٣٣-٣٧.

### ٣٨- الصاعقة

هى: الهدة الكبيرة، والصوت الشديد من الجو، ويكون منها نار فقط، أو عذاب، أو موت، ولكنها فى ذاتها شىء واحد. ولذلك قال بعض أهل اللغة: الصاعقة على ثلاثة أوجه ٦٦:

١- بمعنى النار: كما فى قوله تعالى: يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ (البقرة: ١٩). قال أبو زيد: الصاعقة: نار تسقط من السماء فى رعد شديد، وكما فى قوله تعالى: وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ (الرعد: ١٣)، ذكر الماوردى عن ابن عباس وعلى بن أبى طالب ومجاهد: أنها نزلت فى يهودى قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرنى من أى شىء ربك؟ أ من لؤلؤ؟ فجاءت صاعقة فأحرقته.

٢- بمعنى العذاب: كما فى قوله تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (فصلت: ١٣) أى: خوفتكم هلاكاً مثل هلاك عاد و ثمود، وقوله تعالى: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (فصلت: ١٧) أى: العذاب المهلك.

٣- بمعنى الموت: كما فى قوله تعالى: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (أى: أماتتكم الصاعقة ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (البقرة: ٥٥، ٥٦)، وكما فى قوله تعالى: فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمُ (النساء: ١٥٣).

وكما فى قوله تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَّحَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (الزمر: ١٦). وكما فى قوله تعالى عن ثمود: فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (أى: ماتوا فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (الذاريات: ٤٤، ٥٤).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٥٤

### ٣٩- صبغة الله

الصبغ: تلوين الشىء بلون ما، والصبغة: ما يصبغ به، وقيل: الهيئة المكتسبة بالصبغ ٦٧. (صبغة الله) وردت فى كتاب الله تعالى، فى قوله عز وجل: صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (البقرة: ١٣٨).

وقد اختلف فى المراد من (صبغة الله) على أقوال: ٦٨

الأول: أن المراد دين الله؛ وذلك أن بعض النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر، يسمونه «المعمودية»، ويقولون: هو تطهير لهم. وإذا فعل الواحد بولده ذلك ..

قال: الآن صار نصرانيا. فقال الله تعالى:

صِبْغَةَ اللَّهِ و هي: الدين و الإسلام، لا صبغتهم.

الثاني: أن المراد فطره الله؛ و ذلك كقوله تعالى: فَطَرَتِ اللَّهُ اللَّيْلَ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (الروم: ٣٠).

و معنى هذا: أن الإنسان موسوم في تركيبه و بنيته بالعجز و الفاقة و الآثار الشاهدة عليه بالحدوث و الافتقار إلى الخالق، و على هذا: فهذه الآثار كالصبغة له و السمة اللازمة.

الثالث: أن المراد: الختان، الذي هو تطهير. أى: كما أن المخصوص الذي للنصارى تطهير لهم، فكذلك الختان، تطهير للمسلمين.

الرابع: أن المراد: حجة الله.

الخامس: أن المراد: الاغتسال لمن أراد الدخول في الإسلام، بدلا من «معمودية» النصارى.

عن أبي عبيدة: و القول الجيد هو الأول.

#### ٤٠- الصيحة

الصيحة: رفع الصوت. من صاح يصيح صيحة و صياحا، و يكون ذلك من الناس و غيرهم.

يقول تعالى: يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ (ق: ٤٢)، و قال الشاعر:

و صاح غراب البين و انشقت العصابين كما شقَّ الأديم الصوانع ٦٩.

و الصيحة في القرآن الكريم .. على معان:

فهى بمعنى: العذاب، كما فى قوله تعالى:

وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (هود: ٦٧) و المراد ب الَّذِينَ ظَلَمُوا هنا: قوم صالح عليه السلام. و كما

فى قوله تعالى: وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ و المراد، ب (الذين ظلموا) هنا: أصحاب الأيكة، قوم

شعيب عليه السلام.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٥٥

فهؤلاء و هؤلاء صاح بهم جبريل صيحة، خرجت من شدتها عليهم أرواحهم من أجسادهم. قال ابن عباس: ما أهلك الله أمتين بعذاب

واحد، إلا قوم صالح و قوم شعيب، أهلكهم الله بالصيحة، غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم، و قوم شعيب أخذتهم الصيحة

من فوقهم ٧٠.

و هى - ثانيا- بمعنى: نفخة القيامة. كما فى قوله تعالى: وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) ما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً

تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ (يس: ٤٨، ٤٩) (٧٠) و هى نفخة الصعق، و كما فى قوله تعالى: وَ اسْتَمِعَ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١)

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (ق: ٤١، ٤٢) (٧٠) و هى النفخة الثانية (٧٠).

و هى - ثالثا- بمعنى: الغارة، إذا فوجئ بها الحى. كما فى قوله تعالى عن المنافقين:

وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمِعْ لِقَوْلِهِمْ كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ

اللَّهُ أَنَّى يُؤْفِكُونَ (المنافقون: ٤) أى:

يحسبون أهل كل صيحة عليهم، هم العدو، و ذلك لجبنهم، قال الضحاك: يحسبون كل صيحة عليهم، أنهم قد فطن بهم، و علم

بنفاقهم، لأن للريبة خوفا، و قيل: يحسبون كل صيحة يسمعونها فى المسجد أنها عليهم، و أن النبى صلى الله عليه و سلم قد أمر فيها

بقتالهم (٧٠).

## ٤١- الغيب

الغيب: مصدر غابت الشمس، و غيرها، إذا استترت عن العين، و بذلك: فالغيب لغه: كل ما غاب عنك. و استعمل في كل ما غاب عن الحس، كما في قوله تعالى: وَ تَقَدَّ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (النمل: ٢٠) و قوله تعالى فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ: أى: في حال غيبه الزوج ٧١. كما استعمل في كل ما غاب عن علم الإنسان، يقول تعالى: وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (النمل: ٧٥). هذا: و يقال للشئ: غيب، و غائب، باعتبار تعلقه بالناس، لا بالله تعالى؛ حيث إنه تعالى لا يغيب عنه مثقال ذره في السماوات و لا في الأرض، فهو عز و جل: عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ (الأنعام: ٧٣، التوبة: ٩٤، ١٠٥، الرعد: ٩، المؤمنون: ٩٢، الزمر: ٤٦، الحشر: ٢٢، التغابن: ١٨). و الغيب في الاصطلاح: ما لا يقع تحت الحواس، و لا تقتضيه بدهاء العقول، و إنما الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٥٦

يعلم بخبر الأنبياء- عليهم السلام، و بدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد، و ذلك كأمر البعث، و الحشر، و الحساب، و الجنة، و النار، و الملائكة، و ... إلخ. كما في قوله تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ (البقرة: ٢، ٣) أى كل ما غاب عنهم، و أخبر به النبي صلى الله عليه و سلم، و كما في قوله تعالى: جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ (مريم: ٦١).

## ٤٢- الفتح

الفتح: نقيض الإغلاق، يقال: فتحه يفتحه فتحا، و على هذا .. فالفتح: إزالة الإغلاق و الإشكال. و هو على ضربين ٧٢:

أحدهما: يدرك بالبصر، كفتح الباب، و فتح القفل، و نحوهما، كما في قوله تعالى: وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَ جَدُوا بِضَاعَتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ (يوسف: ٦٥).

و منه: فتح مكة يقول تعالى: إِذَا جَاءَ نَصِيرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ (النصر: ١) عن الحسن و مجاهد، و غيرهما: أن الفتح: فتح مكة ٧٣، و يقول تعالى: وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصِيرٌ مِّنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ (الصف: ١٣) قيل: فتح مكة (٧٣)، و صلح الحديبية يقول تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (الفتح: ١) عن أنس قال: الحديبية، و قال الفراء: الفتح بيعه الرضوان يوم الحديبية (٧٣). و يقول تعالى: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الَّذِي إِذْ أَنْشَأْتُمْ فِيهِ لَتَدْخُلَنَّ الْأَرْضَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَ مُفَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (الفتح: ٢٧) قال مجاهد: هو صلح الحديبية (٧٣). و الثانى: يدرك بالبصيرة، كفتح الهم، و هو إزالة الغم (٧٢) و هو أنواع:

١- ما كان في أمور الدنيا، كنصر يأتى، و غم يفرج، و فقر يزال ... كما في قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ (النساء: ١٤٠، ١٤١) أى: نصر و غلبه على اليهود و غنيمه (٧٣)، و كما في قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ (الأعراف: ٩٦) يعنى: المطر و النبات، و هذا في أقوام- على الخصوص- جرى ذكرهم، إذ قد يمتحن المؤمنون بضيق العيش و يكون تكفيرا لذنوبهم (٧٣).

٢- ما كان في أمور الآخرة، كيوم القيامة، و ذلك مثل قوله تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٥٧



الْفَتْحِ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (السجدة: ٢٨، ٢٩) قال مجاهد: الفتح: يوم القيامة، و يروى أن المؤمنين قالوا: سيحكم الله- عز و جل- بيننا يوم القيامة، فيثيب المحسن و يعاقب المسيء، فقال الكفار على الاستهزاء:

متى يوم الفتح هذا؟

#### ٤٣- الفتنة

أصل الفتنة: إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته. و على هذا فالفتن: الإحراق بالنار، يقول تعالى: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (الذاريات: ١٣)، و لأن الفتنة، و هو الإحراق بالنار عذاب؛ كانت الفتنة عذابا، يقول تعالى: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (الذاريات: ١٤).

و الفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى، و التي تكون من العبد. فإذا كانت من الله تعالى، كانت على وجه الحكمة، يقول تعالى: وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ (الفرقان: ٢٠). و إذا كانت من العبد- بغير أمر الله- كانت بضد ذلك، يقول تعالى: لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لِمَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ كَارِهُونَ (التوبة: ٤٨)؛ و لهذا: يذم الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان و زمان، مثل: إِنَّ الَّذِينَ فَتِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (البروج: ١٠). و قد تعددت معاني (الفتنة) في القرآن الكريم، و من ذلك، أن ٧٤:

الفتنة: بمعنى العذاب بالإحراق، كما في قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ فَتِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ (البروج: ١٠).

و الفتنة: بمعنى الضلال و الإثم، كما في قوله تعالى: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنذِرْ لِي وَ لَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا (التوبة: ٤٩). و الفتنة: بمعنى الكفر، كما في قوله تعالى:

وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ (البقرة: ١٩١).

و الفتنة: بمعنى الفضيحة، كما في قوله تعالى: وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً (المائدة: ٤١) أى: و من يرد الله فضيحته. و الفتنة: بمعنى القتل، كما في قوله تعالى:

فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِمْ أَنْ يُفْتِنَهُمْ (يونس:

٨٣) و كما في قوله: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا (النساء: ١٠١).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٥٨

و الفتنة: بمعنى الاختبار، كما في قوله تعالى: أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ (التوبة: ١٢٦) و قوله تعالى: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (التغابن: ١٥).

و الفتنة: بمعنى الخديعة، يقول تعالى:

وَ أَحَدَرَهُمْ أَنْ يُفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ (المائدة: ٤٩).

و الفتنة بمعنى الإعجاب، كما في قوله تعالى: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا (المتحنه: ٥) و المعنى: لا- تظهرهم و تنصرهم علينا، فيعجبوا و يظنوا إنهم خير منا، و أهل الحجاز يقولون: فتنته المرأة، إذا ولهته و أحبها.

#### ٤٤- فطرة الله

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرة واحدة. و ذلك في قوله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (الروم: ٣٠).

و قد اختلف العلماء فى معنى «فطرة الله» هذه على أقوال متعددة ٧٥!

١- قال أبو هريرة، و ابن شهاب، و غيرهما:

فطرة الله: هى الإسلام، قالوا: و هذا هو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل ...  
و استدلووا لذلك، بما يلى:

(أ) بهذه الآية قال البخارى قوله: لا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ لِدِينِ اللَّهِ، و الدين و الفطرة:

الإسلام ٧٦.

(ب) و بحديث أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تذبح البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ٧٧.

(ج) و بحديث عياض بن حمار المجاشعى و فيه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: قال الله تعالى:

«... و إنى خلقت عبادة حنفاء كلهم، و إنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، و حرمت عليهم ما أحللت لهم، و أمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ..» ٧٨.

٢- و قال آخرون: فطرة الله هى: البداءة التى ابتدأهم الله عليها، أى: على ما فطر عليه خلقه، من أنه ابتدأهم للحياة و الموت، و السعادة و الشقاء، و إلى ما يصيرون إليه عند البلوغ. (٧٥) قالوا: و الفطرة فى كلام العرب:  
البداءة، و الفاطر: المبتدئ. و استدلووا لذلك بما يلى (٧٥):

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٥٩

ما روى عن ابن عباس، أنه قال: ما كنت أدري ما فاطر السماوات و الأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان فى بئر، فقال أحدهما:  
أنا فطرتها، أى: أنا ابتدأت حفرها. و ذكر أبو العباس أن ابن الأعرابي يقول: أنا أول من فطر هذا، أى: ابتدأه.

٣- و قالت طائفة من أهل الفقه و النظر:

فطرة الله هى: الخلق الذى خلق عليها المولود فى المعرفة بربه (٧٥)، أى: أن كل مولود يولد على خلقه يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة، يعنى: خلقه مخالفة لخلق البهائم، التى لا تصل بخلقها إلى معرفته، و استدلووا لذلك بقوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ (فاطر: ١). يعنى خالقهن.

قال أبو عمر بن عبد البر: هذا الأخير أصح ما قيل فى معنى «فطرة الله» التى يولد الناس عليها، و دلل على ذلك، و احتج له.

قال القرطبي: و إلى ما اختاره أبو عمر و احتج له، ذهب غير واحد من المحققين، منهم ابن عطية فى «تفسيره» فى معنى «الفطرة»، و شيخنا أبو العباس.

قال ابن عطية: و الذى يعتمد عليه فى تفسير هذه اللفظة: أنها الخلق و الهيئة التى فى نفس الطفل، التى هى مهياة و معدة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، و يستدل بها على ربه، و يعرف شرائعه، و يؤمن به، فكأنه تعالى قال: أَمَّمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الَّذِي هُوَ الْحَنِيفُ، و هو فطرة الله، الذى على الإعداد له فطر البشر، لكن تعترضهم العوارض، و منه قول النبى صلى الله عليه و سلم: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه ...»

الحديث. فذكر الأيوبي إن ما هو مثال للعوارض التى هى كثيرة، حيث إن الله تعالى خلق قلوب بنى آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم و أسماعهم قابلة للمرئيات و المسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول، و تلك الأهلية أدركت الحق و دين الإسلام، و هو الدين الحق (٧٥).

هذا و قد أجاب أصحاب هذا القول ... عن القول الأول: بأنه يستحيل أن تكون الفطرة المذكورة هى الإسلام، ذلك أن الإسلام و

الإيمان. قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وهذا معدوم من الطفل، لا يجهد ذلك ذو عقل. كما أجابوا عن القول الثاني، الذى هو «البداءة»: بانكارهم أن يكون المولود يفطر على كفر أو إيمان، أو معرفه أو إنكار، حيث قالوا: إن المولود يولد على السلامة فى الأغلب، خلقه، وطبعه، وبنية، ليس معها: إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفه، ثم يعتقدون الكفر والإيمان بعد البلوغ إذا ميزوا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٦٠

و لو كان الأطفال فى حين ولادتهم قد فطروا على شىء من الكفر والإيمان، ما انتقلوا عنه أبداً، بل قد نجدهم يؤمنون ثم يكفرون، أو يكفرون ثم يؤمنون.

قالوا: ويستحيل فى المعقول أن يكون الطفل فى حين ولادته يعقل كفراً أو إيماناً؛ لأن الله أخرجهم فى حال لا يفقهون معها شيئاً، قال الله تعالى: **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً (النحل: ٧٨)** فمن لا يعلم شيئاً استحال منه كفر أو إيمان، أو معرفه أو إنكار.

٤- و من طريف ما قيل فى معنى «فطرة الله» ما قاله أبو بكر الوراق إنها: الفقر والفاقة، حيث إنه منذ ولد إلى حين يموت ... فقير محتاج، نعم!! و فى الآخرة كذلك. قال القرطبي: و هذا حسن (٧٥).

#### ٤٥- القارعة

القارعة فى اللغة: النازلة الشديدة، تنزل عليهم بأمر عظيم. والمراد بها: القيامة. قال تعالى: **القارعة (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (القارعة: ١-٤)**، سميت بذلك: لأنها تفرع الناس بأهوالها وشدائدها. وقيل: القارعة هى: الداهية المهلكة، يقال: قرعه أمر، إذا أتاه فجأة، و جمعه: قوارع، قال تعالى: **وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ (الرعد: ٣١)**، قال الأصمعي:

يقال أصابته قارعة، يعنى: أمراً عظيماً يقرعه، و يقال: أنزل الله به قارعة و مقرعة ٧٩.

وقيل: عنى بالقارعة العذاب الذى نزل بتمود و عاد فى الدنيا، و كان كل نبى من أنبيائهم يخوفهم بذلك فيكذبونه (٧٩)، قال تعالى: **كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (الحاقة: ٤-٦)**.

#### ٤٦- القرار المكين

و هو المذكور فى قوله تعالى **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (المؤمنون: ١٢، ١٣)**. و (القرار): أى المستقر، و هو فى الأصل:

مصدر قرّ يقر قراراً، بمعنى: ثبت ثبوتاً، و المراد به: الرحم، و (مكين): وصف له، أى: متمكن.

و المعنى: أن الرحم متمكنة، لا تنفصل لثقل حملها، أو لا تطرد ما فيها.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٦١

و من يدرس تشريح الرحم، و موضعه المكين الأمين فى أسفل بطن المرأة، و يرى ذلك الوعاء ذا الجدار العريض السميك، ثم يرى

هذه الأربطة العريضة، والأربطة المستديرة، وهذه الأجزاء من البريتون، التي تشده إلى المثانة، والمستقيم وكلها تحفظ توازن الرحم، وتشد أزره، وتحميه من الميل، أو السقوط، وتطول معه إذا ارتفع عند تقدم الحمل، وتقصر إلى طولها الطبيعي تدريجياً بعد الولادة. وكذلك من يدرس تكوين الحوض، وعظامه يعرف جلياً روعة قوله تعالى **ثُمَّ جَعَلْنَا نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ**.  
وأيضاً: من يعرف كل ذلك، يدرك وجه الامتتان الإلهي على خلقه في قوله تعالى لهم:  
**أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ** ٨٠ (المرسلات: ٢٠، ٢١).

#### ٤٧- الماء المهين

ورد ذكره في القرآن الكريم: مرتين:  
الأولى: في قوله تعالى **ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** (٦) **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ** (٧) **ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ** (السجدة: ٦-٨). والثانية: في قوله تعالى:  
**أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ** (٢٠) **فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ** (٢١) **إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ** (٢٢) **فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ** (المرسلات: ٢٠-٢٣).  
و المراد به: المنى.

وقد وصف بالمهين ومعناها: الضعيف، كما قال الزجاج، أو الذي لا خطر له عند الناس، فهو ممتهن، لا يعتنى به.  
يقول الأستاذ سيد قطب عليه رحمة الله:

ثم جعل نسل آدم عليه السلام من سلالة من ماء مهين أي: من مادة النطفة الذي هو المرحلة الأولى في تطور الجنين، من النطفة إلى العلق، إلى المضغة، إلى العظام، إلى كمال التكوين الجنيني في هذه السلالة التي تبدأ بالماء المهين. وإنها لرحلة هائلة حين ينظر إلى طبيعة التطورات التي بها تلك النقطة الضائعة من ذلك الماء المهين، حتى تصل إلى الإنسان المعقد البديع التكوين، وإنها لمسافة شاسعة ضخمة بين الطور الأول والطور الأخير ٨١.

#### ٤٨- مجمع البحرين

ورد هذا الاسم في آيات القرآن الكريم:  
مرة واحدة فقط وذلك في قوله تعالى: **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا** (الكهف: ٦٠).  
ومعناه: موضع اجتماع البحرين ٨٢.  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٦٢  
وقصة هذا الموضع - حسب رواية الإمام البخاري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن موسى - عليه السلام - قام خطيباً في بني إسرائيل، وفي رواية: حتى إذا فاضت العيون، و رقت القلوب - فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟  
قال: تأخذ معك حوتا فتجعله في مكنتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم ...» الحديث ٨٣.

وقد اختلف في تحديد هذين البحرين على النحو التالي:

- ١- فروى عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة، قال: بحر فارس و بحر الروم.
- ٢- و روى ابن أبي حاتم من طريق السدي، قال: هما نهرا الكز، والرّس؛ بإرمينية؛ حيث يصبان في البحر.
- ٣- وقال ابن عطية: مجمع البحرين، ذراع في أرض فارس، من جهة أذربيجان، يخرج من البحر المحيط، من شماليه إلى جنوبيه، و طرفيه مما يلي بَرّ الشام.

٤- وقيل: هما بحر الأردن، و بحر القلزم.

٥- وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين بطنجة.

يقول الأستاذ/ سعيد حوى: و المجمع كثيرة، فعندك: مجمع البحر الأحمر بالمحيط الهندي، و مجمع النيل مع البحر الأبيض، و لا ندري بالضبط، إذا كان المجمع واحدا من هذه، أو مجمعا آخر يلتقى فيه ماء خليج بماء بحر، أو ماء نهر كبير كشط العرب ببحر كالخليج، و المهم أنه فى مجمع من مجامع بحرين حدث الذى حدث مع موسى عليه السلام و فتاه.

و يقول صاحب «الظلال»: و القرآن لا يحدد المكان الذى وقعت فيه- هذه القصة- بأنه «مجمع البحرين» و الأرجح- و الله أعلم- أنه «مجمع البحرين»: بحر الروم، و بحر القلزم أى: البحر الأبيض و البحر الأحمر، و مجمعهما: مكان التقائهما، فى منطقة البحيرات المرة، و بحيرة التمساح، أو أنه:

مجمع خليجي العقبة و السويس فى البحر الأحمر، فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر، ثم يقول: و على أى ... فقد تركها القرآن مجمله، فنكتفى بهذه الإشارة.

أما الإمام الفخر الرازى فيقول، و نحن معه: «و مجمع البحرين» هو: المكان الذى وعد فيه موسى بلقاء الخضر- عليهما السلام، و ليس فى لفظ الآية القرآنية- المذكورة- ما يدل على تعيين هذين البحرين، فإن صح- بالخبر الصحيح- شىء فذاك، و إلا فالأولى الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٦٣

السكوت عنه. حيث لا يترتب على معرفة المكان من عدمه كبير فائدة ٨٤.

## ٤٩- المعارج

و هى: اسم سورة كريمة من سور القرآن الكريم، و هى سورة «المعارج».

و تبدأ بقوله تعالى: سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (المعارج: ١-٤). و هى من العروج بمعنى الذهاب فى صعود.

و قد ذكرت هذه المادة فى القرآن الكريم:

ثمان مرات ٨٥.

ست منها: بصيغة الفعل المضارع، كما فى قوله تعالى: يَعْلَمُ مَا يَلْجُجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (سبأ: ٢).

و اثنتان منها: بالصيغة الاسمية، إحداهما:

معرفة، و هو المذكور هنا (المعارج) و ثانيتهما:

نكرة، و هو المذكور فى قوله تعالى وَ لَوْ لَا- أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَ مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (الزخرف: ٣٣).

و معنى المعارج لغة: الدرجات ٨٦ و المراد بها ٨٧:

١- إما معارج الأعمال الصالحة فإنها تتفاوت بحسب اجتماع الآداب و السنن، و خلوص النية، و حضور القلب.

٢- و إما معارج المؤمنين فى سلوكهم مراتب المعارف الإلهية، و لا شك فى تفاوت أولياء الله فى ذلك، أو معارجهم فى دار ثوابهم، و هى الجنة.

٣- و إما معارج الملائكة، و منازل ارتفاعهم بحسب الأمكنة، و هى السموات أو بحسب الفضائل الروحانية و المعارف.

٤- و عن قتادة: أنها الفضائل و النعم، أى مراتب الله على الخلق.

٥- وقيل: هي الغرف. التي جعلها الله لأوليائه في الجنة.

و يقول الإمام الآلوسی: و الأنسب- أى فى تحديد معنى المعارج- بما يقتضيه المقام من التهويل. ما هو أدل على عزه- عز و جل- و عظم ملكوته، جل شأنه (٨٦).

## ٥٠- الموءودة

ذكر هذا اللفظ فى القرآن لكريم ... مرة واحدة. و ذلك فى قوله تعالى: وَإِذَا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٦٤

الْمُؤَوَّدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (التكوير: ٨، ٩).

و هو من: وأد، يئد، وأدا، و وأد الموءودة:

دفنها فى القبر و هى حية، و امرأة و ئيد و وئيدة: موءودة ٨٨، أى: مقتولة.

و الموءودة هى: الجارية تدفن و هى حية، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب، فيئدها، أى: يتقلها حتى تموت.

و كان العرب فى الجاهلية يدفنون بناتهم فى التراب أحياء لسببين:

أحدهما: أنهم كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به.

الثانى: أنهم كانوا يخافون إما من الحاجة و الفقر، و إما من السبى و الاسترقاق.

قال ابن عباس: كانت المرأة فى الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة، و تمخضت على رأسها، فإن ولدت جارية، رمت بها فى الحفرة،

وردت التراب عليها، و إن ولدت غلاما، حبسته و أبقته. و قال قتادة: كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته، و يغذو كلبه.

و حرم الله ذلك ٨٩. و أنزل قوله تعالى:

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا (الإسراء: ٣١). كما أنزل قوله تعالى وَلَا تَقْتُلُوا

أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ .. (الأنعام: ١٥١). و قوله تعالى:

وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟ إلى جانب ما فى الأحاديث النبوية من تحريم ذلك ٩٠.

و هناك ... الوأد الخفى و هو ما كان بسبب العزل عن المرأة؛ لأن من يعزل عن امرأته.

إنما يعزل هربا من الولد. و قد نهى الإسلام عن ذلك- أيضا- و كرهه لهذا السبب.

ففى الحديث ٩١: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت فى الروم و فارس، فإذا هم يغيلون أولادهم، فلا يضر أولادهم ذلك شيئا،

ثم سألوه عن العزل، فقال- صلى الله عليه و سلم- ذلك الوأد الخفى» زاد عبيد الله فى حديثه عن المقرئ، و هى وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ».

## ٥١- المودة فى القربى

هذه العبارة (المودة فى القربى) لم ترد فى القرآن الكريم إلا- مرة واحدة. و ذلك فى قوله تعالى للنبي صلى الله عليه و سلم: قُلْ لَا

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (الشورى: ٢٣).

و المودة: المحبة. قال ابن سيده: ودّ الشيء، ودّا و ودّا و ودّا، و ودادة، و ودادا و ودادا، و مودة، و مدة: أحبه.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٦٥

و القربى: القرابة. و القربى: الدنو فى النسب، تقول: بينى و بينه قرابة و قربى.

و القربى: فى الرحم خاصة ٩٢.

و معنى الآية: قل يا محمد لقومك: لا أطلب منكم أجرا على تبليغ الرسالة و النصح لكم ما لا تعطونه، إنما أطلب منكم: أن تكفوا

شركم عنى، و تذرُونى أبلغ رسالات ربي، فإن لم تنصروني، فلا تؤذوني، بما بينى و بينكم من القرابة، و قيل: إلا أن تودونى فى قرابتى منكم. و ذلك فى الحقيقة ليس أجرا؛ لأن حصول المودة بين المسلمين أمر واجب، و لا سيما فى حق الأقارب. و يلاحظ: أن عبارة (المودة فى القربى) أبلغ من «مودة القربى» و كذلك أبلغ من «المودة للقربى» حيث جعلت القربى فى العبارة مكانا للمودة، و مقرا لها ٩٣.

قال المفسرون: و فى تفسير (المودة فى القربى) أربعة أقوال:

الأول: مراعاة القرابة، و عدم الإيذاء أى:

لا- أسألکم عليه أجرا إلا- أن تودونى لقرابتى منكم، فإن لم تنصروني فاحفظوا حق القربى و لا- تؤذوني. قال ذلك: ابن عباس، و عكرمة، و مجاهد، و أبو مالك، و الشعبي، و غيرهم. قال الشعبي: أكثر الناس علينا فى هذه الآية، فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عن ذلك فأجاب بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان واسطة النسب فى قريش، ليس بطن من بطونهم إلا و قد كان بينهم و بينه قرابة، فقال الله: قل لا- أسألکم على ما أدعوكم إليه أجرا إلا- أن تودونى لقرابتى منكم، يعنى: أنكم قومي، و أحق من أجانبى و أطاعنى، فإذا قد أبيت ذلك فاحفظوا حق القربى، و لا تؤذوني، و لا تهيجوا على.

الثانى: مودة أقاربكم أى: لا أسألکم عليه أجرا إلا مودة أقاربكم، و صلة أرحامكم. روى الكعبى عن ابن عباس: أن النبى صلى الله عليه و سلم، كانت تنوبه نوائب و حقوق، و ليس فى يده سعة.

فقال الأنصار: إن هذا الرجل قد هداكم الله على يده، و هو ابن اختكم، و جاركم فى بلدكم، فاجمعوا له طائفة من أموالكم؛ ففعلوا، ثم أتوه، فرده عليهم، و نزلت الآية بحثهم على مودة أقاربهم، و صلة أرحامهم.

الثالث: القرب من الله، عن الحسن ... لا أسألکم عليه أجرا إلا أن تتوددوا إلى الله، و تتقربوا إليه بالطاعة، و العمل الصالح.

الرابع: المودة فى قرابتى و أهل بيتى، عن سعيد بن جبیر: لا- أسألکم عليه أجرا إلا- أن تودوا قرابتى و أهل بيتى. عن ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين نودهم؟ قال: «على و فاطمة و أبناؤهما».

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٦٦

## ٥٢- الهداية

الهدى و الهداية فى اللغة: شىء واحد، و لكن فى اصطلاح الشارع يختلفان.

فالهدى: ما تولاه الله و أعطاه، و اختص هو به دون ما هو إلى الإنسان، كما فى قوله تعالى: أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ (البقرة: ٥) و قوله تعالى: قُلْ إِنَّ هُدًى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى (الأنعام: ٧١).

و الهداية و الاهتداء: ما تحراه الإنسان و طلبه على طريق الاختيار، إما فى الأمور الدنيوية، كما فى قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا (الأنعام: ٩٧) و إما فى الأمور الأخروية، كما فى قوله تعالى:

فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَاَتَيْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَاَعْلَمْتُمْ تَهْتَدُونَ (البقرة: ١٥٠).

و الهداية: دلالة بلطف، قال تعالى لموسى عليه السلام اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَ أَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (النازعات: ١٧-١٩) و لا يمنع من هذا ما ورد على سبيل الاستهزاء من الله تعالى و التهكم بالكافرين فى مثل قوله تعالى:

فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (الصفات: ٢٣).

و هداية الله للإنسان .. على أربعة أوجه:

الأول: الهداية العامة، التى تشمل كل مكلف، من العقل، و الفطنة، و المعارف الضرورية، التى أعم منها كل شىء بقدر فيه، حسب



احتماله، و هي المقصودة في قوله تعالى رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (طه: ٥٠).

الثاني: الهداية التي جعل الله للناس، بدعائه إياهم على السنة الأنبياء، و إنزال القرآن، و نحو ذلك، و هي المقصودة في قوله تعالى: وَ جَعَلْنَاهُمْ أَيْمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا (الأنبياء: ٧٣).

الثالث: الهداية، التي هي التوفيق الذي يختص به من اهتدى كما في قوله تعالى:

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى (مريم: ٧٦).

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة، كما في قوله تعالى: أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ (الأعراف: ٤٢، ٤٣).

و أما هداية الإنسان لغيره، فلا يقدر عليها أحد إلا بالدعاء و تعريف الطرق، دون سائر أنواع الهدايات، يقول تعالى: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (الشورى: ٥٢).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٦٧

هذا و كل هداية ذكر الله- عز و جل- أنه منع منها الظالمين و الكافرين، فهي الوجه الثالث و الوجه الرابع مما ذكر آنفا، نحو قوله تعالى: كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (آل عمران: ٨٦).

و كل هداية نفاها الله- عز و جل- عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، و عن البشر، و ذكر أنهم غير قادرين عليها، فهي كل ما عدا الوجه الثاني، مما ذكر، كما في قوله تعالى: لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (البقرة: ٢٧٢) و قوله تعالى ٩٥: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (القصص: ٥٦).

### ٥٣- الوادي المقدس

أصل الوادي: الموضع الذي يسيل فيه الماء، و منه سمي كل مفرج بين جبلين واديا؛ مسلكا للسيل و منفذا، و المقدس: المطهر، أو المبارك.

و الوادي المقدس: أي هو هذا المكان المطهر الذي أوحى الله فيه إلى موسى عليه السلام، و قد حدده القرآن الكريم، و بين اسمه، في قوله تبارك و تعالى: بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى و على هذا: فالوادي المقدس هو طوى، و طوى:

جبل بالشام، و قيل: هو واد في أصل الطور ٩٦.

و قد ذكر هذا (الوادي المقدس) في القرآن الكريم: مرتان ٩٧. في قوله- عز و جل- إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (طه: ١٢) و في قوله تبارك و تعالى: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (النازعات: ١٥، ١٦).

أ. د. عبد الحى الفرماوى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٦٨

### الهوامش و المصادر:

(١)

(١) محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

- (٢) ابن جرير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المائدة تفسير الآية ٢١).
- (٣) الفخر الرازي: التفسير الكبير (غافر: تفسير الآية ١٨٠) بتصرف.
- (٤) ابن منظور: لسان العرب (مادة: أذف).
- (٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (غافر تفسير الآية ١٨، النجم تفسير الآية ٥٧).
- (٦) القرطبي: مصدر سابق (الأنعام تفسير الآية ٢٥).
- (٧) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن (كتاب السين، مادة: سطر).
- (٨) ابن منظور: اللسان (مادة: سطر).
- (٩) القرطبي: مصدر سابق، و ابن كثير تفسير القرآن العظيم (الأحقاف تفسير الآية ١٧).
- (١٠) الراغب الأصفهاني: المفردات (كتاب السين، مادة: سبط)، القرطبي: مصدر سابق (البقرة تفسير الآية ١٣٦).
- (١١) الراغب: المفردات (كتاب الهمزة، مادة: أفك)، القرطبي: مصدر سابق (النور تفسير الآية ١١).
- (١٢) الراغب: المفردات (كتاب الكاف، مادة: كنّ) القرطبي: مصدر سابق (الأنعام: تفسير الآية ٢٥).
- (١٣) الراغب: المفردات (كتاب الألف، مادة: أيك)، ابن منظور لسان العرب (مادة: أيك).
- (١٤) انظر: ابن كثير قصص الأنبياء (قصة شعيب عليه السلام) بتحقيقنا، القرطبي: مصدر سابق (الحجر: تفسير الآية ٧٨)، محمد علي الصابوني: النبوة و الأنبياء (قصة شعيب عليه السلام).
- (١٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (الكهف: تفسير الآية ١٣).
- (١٦) رواه: البخاري: كك الأنبياء، باب «الأرواح جنود مجنده»، مسلم: كك البر، باب «الأرواح جنود مجنده».
- (١٧) للتوسع انظر: ابن جرير الطبري، و الدر المنثور، و ابن كثير، و غيرها.
- (١٨) انظر: الراغب المفردات (كك الهمزة، مادة: نوب)، القرطبي: مصدر سابق (الرعد تفسير الآية ٢٧، و الروم تفسير الآية ٣١، و الزمر تفسير الآية ٥٤)، ابن منظور لسان العرب (مادة: نوب).
- (١٩) الراغب: المفردات (كك النون، مادة: نصب)، و القرطبي: مصدر سابق (المائدة: تفسير الآية ٣)، ابن منظور: (مادة: نصب).
- (٢٠) انظر: ابن جرير الطبري: جامع البيان، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، النيسابوري: غرائب القرآن و رغائب الفرقان (الكهف: تفسير الآية ٤٦).
- (٢١) ابن منظور: لسان العرب، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن (مادة: بجر).
- (٢٢)
- (٢٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ابن جرير الطبري: جامع البيان (المائدة تفسير الآية ١٠٣).
- (٢٣) القصب: بوزن، قفل: اسم للأمعاء كلها. (النهاية في غريب الحديث و الأثر، لابن الأثير، بتحقيق محمود الطناحي - باب القاف مع الصاد).
- (٢٤) الراغب: المفردات (كتاب الباء، مادة: بز).
- (٢٥) ابن منظور: اللسان (مادة: بر).
- (٢٦) للتوسع انظر: كتب التفسير و الحديث.
- (٢٧) الراغب: المفردات (كتاب الواو، مادة: وقى).
- (٢٨) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (البقرة تفسير الآية ٢).
- (٢٩) ابن منظور: لسان العرب، محمد فؤاد عبد الباقي: معجم ألفاظ القرآن الكريم (مادة: نبز).

(٣٠)

(٣٠) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، الألوسى: روح المعانى (الحجرات: تفسير الآية ١١).

(٣١) فتح البارى ١٠ / ٤٦٨ ط دار المعرفة للطباعة و النشر - بيروت - لبنان.

(٣٢) انظر: الراغب الأصفهاني: المفردات، ابن منظور: لسان العرب (مادة: توب)، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير الآية المذكورة).

(٣٣)

(٣٣) الراغب: المفردات، ابن منظور: لسان العرب، محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس (مادة: جبت).

(٣٤) الراغب الأصفهاني: المفردات (كتاب الطاء، مادة: طغى).

(٣٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (سبأ: تفسير الآية ١٣).

(٣٦) انظر: القرطبي: مصدر سابق، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، النيسابورى: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، الجمل: الفتوحات الإلهية (تفسير سورة الحاقة).

(٣٧) الراغب: المفردات (كتاب الحاء، مادة: حد)، القرطبي: مصدر سابق (البقرة تفسير الآية ١٨٧).

(٣٨) الراغب: المفردات، و ابن منظور: لسان العرب (مادة: حرث)، القرطبي: مصدر سابق (البقرة: تفسير الآية ٢٢٣).

(٣٩) الراغب: مصدر سابق (كتاب الحاء، مادة: حنف).

(٤٠) الزركلى: الأعلام ٨ / ١١٤، ٣ / ٦٠، د، عبد المقصود نصار، د. محمد الطيب النجار: السيرة النبوية.

(٤١) انظر: القرطبي: مصدر سابق، الألوسى: روح المعانى (الأنعام: تفسير الآية ١٤٢).

(٤٢) انظر: الراغب: المفردات (كتاب الحاء، مادة: حم) القرطبي: مصدر سابق (الشعراء: تفسير الآية ١٠١).

(٤٣) ابن منظور: لسان العرب (مادة: حمم).

(٤٤) رواه: البخارى: كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر مناقب الزبير بن العوام، و مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة و الزبير.

(٤٥) انظر: الراغب: المفردات (كتاب الحاء، مادة: حور) القرطبي: مصدر سابق (آل عمران: تفسير الآية ٥٢).

(٤٦) محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس، الراغب: المفردات (مادة: حور).

(٤٧) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (الدخان: تفسير الآية ٥٤) بتصرف، التذكرة فى أحوال الموتى و أمور الآخرة ص ٥٧٠، تحقيق د. أحمد حجازى السقا، ط الحلبي - مصر.

(٤٨) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (الصفات تفسير الآية ٤٨)، (الدخان تفسير الآية ٥٤).

(٤٩) الألوسى: روح المعانى (ق تفسير الآية ٣٤).

(٥٠) الراغب: مصدر سابق، ابن منظور: مصدر سابق (مادة: خلد)، الفيروز آبادى: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٢ / ٥٥٩ تحقيق محمد على النجار المكتبة العلمية - بيروت لبنان.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٦٩

(٥١) انظر: الراغب: المفردات (كتاب الخاء، مادة: خير) القرطبي: مصدر سابق (البقرة تفسير الآية ١٨٠).

(٥٢) انظر: الراغب: المفردات (كتاب القاف، مادة: قوم) القرطبي: مصدر سابق (الروم تفسير الآية ٣٠).

(٥٣) انظر: الراغب: المفردات (كتاب الراء مادة: روح، كتاب القاف، مادة: قدس) القرطبي: مصدر سابق، الألوسى: روح المعانى

- (البقرة تفسير الآية ٨٧).
- (٥٤) انظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (الصفات تفسير الآية ٦٢)، ابن منظور: لسان العرب (مادة: زقم).
- (٥٥) انظر: الراغب: المفردات (مادة: سيب) الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز (بصيرة ٤٦) ٢ / ٢٧١، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (المائدة: تفسير الآية ١٠٣).
- (٥٦) انظر: الراغب: المفردات (مادة: طرق) الفخر الرازي: التفسير الكبير (المؤمنون تفسير الآية ١٧)، ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن (المؤمنون).
- (٥٧) انظر: الراغب: المفردات، ابن منظور: اللسان، محمد فؤاد عبد الباقي: معجم ألفاظ القرآن (مادة: سكن)، القرطبي: مصدر سابق (الفتح: تفسير الآية ٤).
- (٥٨) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (البقرة تفسير الآية ٢٤٨).
- (٥٩) الراغب: المفردات (كتاب الشين، مادة: شعر)، القرطبي: مصدر سابق (البقرة تفسير الآية ١٥٨، الحج: تفسير الآية ٣٢).
- (٦٠) القرطبي: مصدر سابق، الواحدى: أسباب النزول (المائدة الآية ٢).
- (٦١) انظر: الواحدى: مصدر سابق، القرطبي: مصدر سابق (البقرة تفسير الآية ١٩٤) الراغب: المفردات (كتاب الشين، مادة: شهر، كتاب الحاء، مادة: حرم).
- (٦٢) ابن جرير الطبري: جامع البيان، القرطبي: مصدر سابق (البقرة تفسير الآية ١٩٤)، (المائدة تفسير الآية ٩٧).
- (٦٣) ابن جرير الطبري: مصدر سابق، الواحدى: أسباب النزول (البقرة ٢١٧).
- (٦٤) انظر: الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، ابن منظور: لسان العرب (مادة: صخ)، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (عبس تفسير الآية ٣٣).
- (٦٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (عبس تفسير الآية ٣٣).
- (٦٦) الراغب: المفردات (كتاب الصاد، مادة: صعق) القرطبي: مصدر سابق (البقرة: تفسير الآية ١٩، الرعد تفسير الآية ١٣، فصلت تفسير الآية ١٣).
- (٦٧) انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (كتاب الصاد، باب الصاد و الباء و ما يثلثهما).
- (٦٨) انظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير، القرطبي: مصدر سابق، الواحدى: أسباب النزول (البقرة تفسير الآية ١٣٨).
- (٦٩) الراغب: المفردات (كتاب الصاد، مادة: صاح) ابن منظور اللسان (مادة: صيح).
- (٧٠) القرطبي: مصدر سابق (هود تفسير الآية ٩٤، يس: تفسير الآية ٤٩، ق تفسير الآية ٤٢، المنافقون تفسير الآية ٤).
- (٧١) انظر: الراغب: المفردات، ابن منظور: اللسان (مادة: غيب) القرطبي: مصدر سابق (النساء: تفسير الآية ٣٤).
- (٧٢) ابن منظور: اللسان، الراغب: المفردات (مادة: فتح).
- (٧٣) القرطبي: مصدر سابق (النصر تفسير الآية ١، الصف تفسير الآية ١٣، الفتح: تفسير الآية ١، ٢٧، النساء تفسير الآية ١٤١، الأعراف تفسير الآية ٩٦).
- (٧٤) انظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير (المائدة: تفسير الآية ٤١)، الراغب: المفردات، ابن منظور: اللسان (مادة: فتن).
- (٧٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (الروم تفسير الآية ٣٠).

(٧٦) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (الروم تفسير الآية ٣٠).

(٧٧) رواه: البخارى: ك التفسير، باب تفسير سورة الروم.

(٧٨) رواه: مسلم: ك الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و أهل النار.

(٧٩) ابن منظور: لسان العرب (مادة: قرع)، القرطبي: مصدر سابق (الحاقه تفسير الآية ٤).

(٨٠) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الآلوسى: التفسير الكبير، المراغى تفسير المراغى (المؤمنون تفسير الآية ١٣).

(٨١) انظر: الفخر الرازى: التفسير الكبير، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الآلوسى: روح المعانى، سيد قطب: في ظلال القرآن (السجدة تفسير الآية ٨).

(٨٢) محمد فؤاد عبد الباقي: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية المعجم الوجيز (مادة: جمع).

(٨٣) البخارى: ك التفسير، سورة الكهف، باب (و إذ قال موسى لفتاه).

(٨٤) انظر: فتح البارى ٨ / ٤٨٠، ابن جرير الطبرى: جامع البيان، الفخر الرازى: التفسير الكبير، سعيد حوى: الأساس فى التفسير، سيد قطب:

فى ظلال القرآن (الكهف تفسير الآية ٦٠).

(٨٥) الراغب الأصفهاني: مصدر سابق، محمد فؤاد عبد الباقي: مصدر سابق (مادة: عرج).

(٨٦) الآلوسى: روح المعانى (المعارج: تفسير الآية ٣).

(٨٧) انظر: القرطبي: مصدر سابق، روح المعانى: مصدر سابق، الجمل: الفتوحات الإلهية (المعارج تفسير الآية ٣٠).

(٨٨) محمد فؤاد عبد الباقي: مصدر سابق، ابن منظور: لسان العرب (مادة: وأد).

(٨٩) انظر: القرطبي: مصدر سابق، الجمل: مصدر سابق (التكوير تفسير الآيات ٨، ٩).

(٩٠) تراجع للاستزادة كتب الحديث النبوى الشريف.

(٩١) رواه: مسلم: ك النكاح، باب: جواز الغيلة و كراهة العزل.

(٩٢) محمد فؤاد عبد الباقي: مصدر سابق، المعجم الوجيز، ابن منظور: اللسان (مادة: ودد، مادة: قرب).

(٩٣) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، النيسابورى: غرائب القرآن (الشورى تفسير الآية ٢٣) الفيروزآبادى: بصائر ذوى التمييز ١/٤ .٢٥٣

(٩٤) انظر: الواحدى: أسباب النزول، القرطبي: مصدر سابق، النيسابورى: مصدر سابق، الآلوسى: روح المعانى (الشورى تفسير الآية ٢٣).

(٩٥) انظر: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، و ابن منظور: لسان العرب، محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مادة: هدى)، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير الآيات المذكورة).

(٩٦) الراغب: المفردات (كتاب الواو، مادة: وادى) القرطبي: مصدر سابق (سورة طه تفسير الآية ١٢) ابن منظور: اللسان (مادة: ودى، مادة:

طوى).

(٩٧) محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (مادة: طوى، مادة: قدس، مادة: واد).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٧٠

## إشارة

- نقاط البحث\* تعريف
- \* استخلاف الإنسان.
- \* تفضيل الإنسان.
- \* الغاية من خلق الإنسان.
- \* حرية الإنسان.
- \* أنواع الإنسان.
- \* العدل و المساواة بين الذكر و الأنثى من الإنسان.
- \* خلق الإنسان.
- \* جسم الإنسان.
- \* خصائص الإنسان.
- \* من صفات الإنسان.
- \* الإنسان و التربية.
- \* الإنسان و علاقته بالشيطان.
- \* نهاية الإنسان.

## تعريف

الإنسان: من الإنس، خلاف الجن، أو من الأنس .. خلاف النفور.

و الإنسى: منسوب إلى الإنس، يقال ذلك لمن أكثر أنسه، و لكل ما يؤنس به ١.

و قد سمي الإنسان بذلك؛ لأنه خلق خلقه لا قوام له إلا بأنس بعضهم ببعض.

و لهذا قيل: الإنسان مدنى بالطبع؛ من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض، و لا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه.

و قيل: سمي بذلك؛ لأنه يأنس بكل ما يألوه (١).

و روى ابن عباس، رضى الله عنهما، أنه قال: إنما سمي الإنسان إنساناً؛ لأنه عهد إليه فنسى ٢.

و ذلك إشارة لقوله تعالى: وَ لَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسَى وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (طه: ١١٥).

و قد وردت هذه المادة (إنسان، خلاف الجن) فى القرآن الكريم تسعون مرة ٣.

كما ورد فى القرآن الكريم على عشرين وجهاً من وجوه الاستعمال و الدلالات. ٤

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٧١

فوجه منها يراد به: آدم عليه السلام، كقوله تعالى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (الرحمن: ١٤).

الثانى يراد به: سلالة آدم عليه السلام، كقوله تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ (ق: ١٦) إلى آخر هذه الوجوه.

(٤)

و الذى يعيننا فى بحثنا هذا، هما هذان الوجهان فقط من وجوه استعمالات القرآن للفظ الإنسان، و هما: آدم عليه السلام، و ذريته.

و ذلك من خلال تعرضنا بالإيجاز لبيان بعض الملامح القرآنية لهذا المخلوق الفريد.

و هذه الملامح تتعلق بمراحل خلقه، و بعض خصائصه، و علاقته بغيره، إلى غير ذلك من الأمور الخاصة به.

## استخلاف الإنسان

تعرض القرآن الكريم لهذه القضية في آيات كثيرة.

منها: قوله تعالى: وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (البقرة ٣٠-٣٤).

و قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ... (الأنعام: ٦٥).

و قوله سبحانه: وَ أَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ (الأعراف: ٦٩).

و قوله جل و علا: وَ أَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ (الأعراف: ٧٤).

و قوله تبارك و تعالى: وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٧٢

بِالْبَيِّنَاتِ وَ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (يونس: ١٣-١٤).

و قوله عز و جل: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ (النمل: ٦٢).

و يقول أيضا: هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ (فاطر: ٣٩).

و يقول سبحانه و تعالى: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (ص: ٢٦).

و دون الدخول في دائرة الخلاف حول تحديد هذا الإنسان، المراد في هذه الآيات، أ هو آدم عليه السلام، أو ذريته؟، كما تعرض لذلك العلماء و المفسرون ٥.

نقول- مع الشيخ محمد رشيد رضا- في «تفسير المنار»: ٦.

(جرت سنة الله في خلقه بأن تعلم أحكامه للناس و تنفذ فيهم على ألسنة أناس منهم يصطفيهم ليكونوا خلفاء عنه في ذلك، و كما أن الإنسان أظهر أحكام الله و سننه الوضعية؛ أي الشرعية؛ لأن الشرع وضع إلهي) كذلك أظهر حكمه و سننه الخلقية الطبيعية، فيصح أن يكون معنى الخلافة عاما في كل ما ميز الله به الإنسان على سائر المخلوقات، نطق الوحى و دل العيان و الاختبار على أن الله تعالى خلق العالم أنواعا مختلفة، و خص كل نوع غير نوع الإنسان بشيء محدود معين لا يتعداه.

و أما الإنسان فقد خلقه الله ضعيفا، كما قال في كتابه: وَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (النساء: ٢٨) و خلقه جاهلا كما قال تعالى:

وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا (النحل: ٧٨) و لكنه على ضعفه و جهله عبرة لمن يعتبر، و موضع لعجب المتعجب؛ لأنه مع ضعفه يتصرف في الأقوياء، و مع جهله في نشأته يعلم جميع الأسماء، يولد الحيوان، عالما بالإلهام ما ينفعه و ما يضره، و تكمل له قواه في زمن قليل، و يولد الإنسان و ليس له من الإلهام إلا الصراخ بالبكاء، ثم يحس و يشعر بالتدرج البطيء بالنسبة إلى غيره من الحيوان، و يعطى قوة أخرى تتصرف بشعوره و إحساسه تصرفا يكون له به السلطان على هذه الكائنات، فيسخرها و يذلها بعد ذلك



كما تشاء تلك القوة الغريبة و هي التي يسمونها العقل، و لا يعقلون سرها، و لا يدركون حقيقتها و كنهها، فهي التي تغني الإنسان عن كل ما وهب

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٧٣

للحيوان في أصل الفطرة من الكساء الذي يقيه البرد و الحر، و الأعضاء التي يتناول بها غذاءه و التي يدافع بها عن نفسه و يسطو بها على عدوه، و غير ذلك من المواهب التي يعطاها الحيوان بلا كسب، حتى كان له بها من الاختراعات العجيبة ما كان، و سيكون له من ذلك ما لا يصل إليه التقدير و الحسبان.

فالإنسان بهذه القوة غير محدود الاستعداد و لا محدود الرغائب و لا محدود العلم و لا محدود العمل، فهو على ضعف أفراده يتصرف بمجموعه في الكون تصرفاً لا- حد له بإذن الله و تصريحه، و كما أعطاه الله تعالى هذه المواهب و الأحكام الطبيعية ليظهر بها أسرار خلقته، و ملكه الأرض و سخر له عوالمها، أعطاه أحكاماً و شرائع حدّ فيها لأعماله و أخلاقه حدّاً يحول دون بغي أفرادها و طوائفه بعضهم على بعض، فهي تساعد على بلوغ كماله؛ لأنها مرشد و مربّ للعقل الذي كان له كل تلك المزايا؛ فلماذا كله جعله خليفه في الأرض و هو أجدر المخلوقات بهذه الخلافة.

ظهرت آثار الإنسان في هذه الخلافة على الأرض، و نحن نشاهد عجائب صنعه في المعدن و النبات، و في البر و البحر و الهواء، فهو يتفنن و يبتدع و يكتشف و يخترع و يجدّ و يعمل، حتى غير شكل الأرض فجعل الحزن سهلاً، و الماحل خصباً. و الخراب عمراناً، و البراري بحاراً أو خلجاناً، و ولد بالتلقيح أزواجاً من النبات لم تكن كالليمون المسمى «يوسف أفندي» فإن الله تعالى خلقه بيد الإنسان و أنشأه بكسبه. و قد تصرف في أبناء جنسه من أنواع الحيوان كما يشاء بضروب التربية و التغذية و التوليد، حتى ظهر التغير في خلقتها و خلائقها و أصنافها فصار منها الكبير و الصغير، و منها الأهلي و الوحشي، و هو ينتفع بكل نوع منها و يسخره لخدمته كما سخر القوى الطبيعية و سائر المخلوقات، أليس من حكمه الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، أن جعل الإنسان بهذه المواهب خليفته في الأرض، يقيم سننه، و يظهر عجائب صنعه، و أسرار خلقته، و بدائع حكمه، و منافع أحكامه، و هل وجدت آية على كمال الله تعالى وسعة علمه أظهر من هذا الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم؟ .. كلا!!

## تفضيل الإنسان

لا غرابة في أن يكون هذا المخلوق محفوفاً بالعناية الربانية، التي ترفع من قدره، و تعلى منزلته بين الكائنات جميعها، و تفضله على ما عداه من مخلوقات الله تعالى الأخرى.

فهذه هي الملائكة، الذين أخبر الله عنهم

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٧٤

فهذه هي الملائكة، الذين أخبر الله عنهم بأنهم: لا- يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون (التحریم: ٦) و الذين قال عنهم رب العزة: وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ (الزمر: ٧٥).

نعم هذه الملائكة يأمرها الله تعالى بالسجود لهذا الإنسان (آدم عليه السلام) سجدوا تحيةً و تعظيم، و في هذا من التكریم و الإنعام على الإنسان و التفضيل ما فيه.

بل يصرح القرآن الكريم بهذا الإنعام الإلهي على الإنسان؛ حيث يفضله على كثير ممن خلق الله سبحانه و تعالى، يوضح ذلك قوله عز و جل: وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (الإسراء: ٧٠).

## الغاية من خلق الإنسان

إن عملية الخلق هذه- كما عرفنا- آية من آيات الله، لا يمكن أبداً أن تكون عارية عن غاية كبرى، و مقصد أسمى، فلم يخلق هملاً و لا عبثاً فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا (المؤمنون: ١١٥).

إنما يحدد الهدف من هذا الخلق قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (الذاريات: ٥٦).

و لأن عبادة الإنسان لله أمر محفوف بالمعوقات، و الابتلاءات كان توضيح ذلك لتبنيه الإنسان، و تبصيره و زيادته وعيه، حتى يكون ثابت الخطو في عبادة الله عز و جل، حيث يقول تبارك و تعالى: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (الإنسان: ٢-٣).

و من هذا التوضيح الإلهي يظهر ٧:

أ- أن الابتلاء بظروف الحياة، و كثرة المعوقات أمر قدره الله تعالى على الإنسان، يكشف به قوة إرادته، و مضاعف عزيمته، و ثبات خطوه في طريق العبادة.

ب- و أن الله- عز و جل- منحه وسائل المعرفة التي يتعرف بها على الأدلة التي بثها الله في كونه فيزداد بها إيماناً و يقيناً بالله، كما يتعرف بها على وصايا الشرع و أحكامه فيعمل بها، و يلتزم بآدابها، و يتعرف على المعوقات التي تحول بينه و بين حسن العبادة، فيتغلب عليها و يتخلص منها.

و ذلك في قوله تعالى: فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٧٥

الغاية و تخلصه من المعوقات، و نجاته في الابتلاءات موضوع تحت المراقبة، معرض للجزاء بالثواب أو بالعقاب.

و ذلك في قوله تعالى: إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا.

و لو لم يكن الأمر على ذلك لكان عبثاً و حاشا لله من ذلك.

يقول تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (المؤمنون: ١١٥: ١١٦)

## حرية الإنسان

من القيم الهامة قيمة الحرية.

بها يغدو للإنسان كيان، و لوجوده معنى، و لحياته طعم و لون.

و الحرية التي نعنيها ليست هي الحرية التي يفسد المرء بها نفسه، أو يحطم من خلالها كيانه، أو ينهي عن طريقها وجوده أو حياته.

و ليست كذلك هي الحرية التي يفسد بها الآخرين، أو ينتقص من خلالها حرياتهم، أو يتسبب عن طريقها في إيذائهم .. إلخ

بل هي الحرية التي تحقق إنسانيته، و تؤكد وجوده، و ملكيته لقراره.

و ليست هناك أرقى و لا أنقى و لا أعظم من أن يكون الإنسان حراً فيما يعتقد، و فيما يدين به ابتداء.

و لا يحجر عليه الإسلام في ذلك أبداً، بل يصرح القرآن الكريم بهذه الحرية، و هذا الحق في قوله تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (البقرة: ٣٥٦).

و لكن: إذا اعتنق إنسان ما الإسلام، و اختاره عقيدة، فليس له أن يعدل عنه إلى غيره، و إلا اعتبر مرتداً، و في هذه الحالة يعامل معاملة المرتدين ٨.

و من الواضح أنه فيما دون ذلك، فللإنسان كامل الحرية دون قيد أو شرط، إلا ما سبقت الإشارة إليه.

و هذه الحرية هي التي تحدد مسؤوليته عما يفعل أو يترك، و هذا ما يقرره القرآن الكريم في قوله تعالى: كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ

(الطور: ٢١).

خاصةً و أنه قد خلق صالحاً لفعل هذا أو ترك ذاك و نفسٍ و ما سواها (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا

و هذه الحرية قد وهبها الله لعباده من بنى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٧٦

و هذه الحرية قد وهبها الله لعباده من بنى الإنسان؛ لأنه سبحانه عادل لا يظلم.

و من هنا أهدر كل ما يأتيه الإنسان عن إكراه و قسر سواء في جانب الإيمان أو الكفر.

فمن أكره على أن ينطق بكلمة الكفر فلا- حرج عليه؛ حيث يقول تبارك و تعالى: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ (النحل: ١٠٦).

و كذلك من آمن تحت ضغط الظروف القاهرة، و دون إرادته منه فإيمانه مردود عليه، و غير مقبول منه. ففرعون ظل سادراً في غيه، ينادى: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى (النازعات:

٢٤) حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (يونس: ٩٠) و لكن إيمانه رد عليه، و قيل له: آلآن وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً (يونس: ٩١، ٩٢).

و إذا ارتد الإنسان في ديار المسلمين بعد أن أسلم مختاراً فإن الفقه الإسلامي يرى مجازاته بالقتل باعتبار ذلك الارتداد قادحاً في النظام العام و مهدداً لكيان المجتمع، بما يعرف في التشريعات الحديثة باسم الخيانة العظمى أو العمل على هدم الكيان الاجتماعي.

و بالجملة: فإن نتيجة حريته هذه، و ثمره أعماله التي اختارها ستعود عليه من نوع ما عمل ٩.

يقول تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (الشمس ٩، ١٠).

## أنواع الإنسان

و يبين القرآن الكريم، أن الإنسان إذا بلغ مبلغ الرشد، و أصبح مسئولاً عن تصرفاته ينقسم- بسبب اختياره و إرادته- إلى مهتد و ضال، أو إلى طائع و عاص، أو بعبارة أوضح إلى مؤمن و كافر.

و تلك هي المرحلة التي تراها في كثير من آيات الله البينات، و قد حكم على الإنسان فيها بأحد الوصفين ١٠.

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا (الإنسان: ٢، ٣).

و نلاحظ أن هذا التقسيم إلى مؤمن و كافر عادة ما يكون بعد ذكر ألوان من النعم تستوجب الشكر من جهة، و تتحقق بها المساواة بين الجميع من جهة أخرى، و لا دخل له فيها و لا إرادة، بل هي هبة من الله له من جهة ثالثة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٧٧

و لكن التفرقة تأتي بسبب موقفه منها و من المنعم بها، إما شكراً و إما كفراناً إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا.

يقول تعالى: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْهُ هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَ لَا يَشْقَى (١٢٣) وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (طه: ١٢٣، ١٢٤).

و يقول عز و جل: تَلَسَّكَ الرَّسُولُ فَضَلْنَا بِعَضِّهِمْ عَلَى بَعْضِ مِنْهُمْ مِنْ كَلِمِ اللَّهِ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بَرُوحَ الْقُدُسِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَنَاتُ وَ لَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (البقرة: ٢٥٣).

و تكون التفرقة- لذلك- في الجزاء و النتيجة.

يقول سبحانه: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ

أَعْمَى فَهَوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا (الإسراء: ٧١، ٧٢).

و بهذا يتحدد نوع الإنسان حسب موقفه من الإيمان بالله تعالى، و الاعتراف بنعمه، و العمل بشرعه، امتثالاً أو امتناعاً. فهو: إما مؤمن و إما كافر.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (التغابن: ٢).

### العدل و المساواة بين الذكر و الأنثى من الإنسان

و إذا كان ثمت تفرقة بين نوعى الإنسان من حيث الكفر و الإيمان، فلا تجد تفرقة بين نوعيه من حيث الذكورة و الأنوثة. و قد تحدث القرآن الكريم عن الذكر و الأنثى فى آياته الكريمة، مؤكداً على قيم العدل، و المساواة بينهما.

\* فمن العدل بينهما:

أ- دخول الجنة لمن عمل صالحاً، دون تفرقة بين الذكر و الأنثى يقول تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (النساء: ١٢٤).

ب- أن يحيى الله من عمل صالحاً حياة طيبة، دون تفرقة بين الذكر و الأنثى. يقول تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً (النحل: ٩٧).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٧٨

ج- أن يجزى الله من عمل صالحاً أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، دون تفرقة بين الذكر و الأنثى. يقول تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (النحل: ٩٧).

د- أن يعذب الله من يفتنون المؤمنين و المؤمنات عن دينهم و يعذبونهم، دون تفرقة بين أن يكون المفتون ذكراً أو أنثى. يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (البروج: ١٠).

و يقول تعالى: وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (الأحزاب: ٥٨).

ه- أن يعذب الله المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات، دون تفرقة بين الذكر و الأنثى. يقول تعالى: لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمَشْرِكِينَ وَ الْمَشْرِكَاتِ (الأحزاب: ٧٣).

ز- أن يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات دون تفرقة بين الذكر و الأنثى. يقول تعالى: وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (الأحزاب: ٧٣).

\* و من المساواة بينهما:

أ- وعد الله بالرحمة للمؤمنين و المؤمنات، دون تفرقة بين الذكر و الأنثى. يقول تعالى: وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (التوبة: ٧١).

ب- وعد الله للمؤمنين و المؤمنات بجنات تجرى من تحتها الأنهار .. إلخ، دون تفرقة بين الذكر و الأنثى. يقول تعالى: وَ عِدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَ رِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ (التوبة: ٧٢).

ج- وجوب الطاعة عليهما لله و لرسوله، دون تفرقة بين الذكر و الأنثى.

يقول تعالى: وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (الأحزاب: ٣٦).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٧٩

د- أن الله- عز و جل أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا بسبب الصلاح دون تفرقه بين الذكر والأنثى. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٧٧٩ العدل و المساواة بين الذكر و الأنثى من الإنسان ..... ص : ٧٧٧

ول تعالى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (الأحزاب: ٣٥).

ه- أصل الخلقة:

يقول تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا (الحجرات: ١٣).

و- القيمة الإنسانية، حيث لا تفاضل إلا بميزان التقوى، دون تفرقه بين الذكر و الأنثى.

يقول تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات: ١٣).

ز- المسؤولية الجنائية:

يقول تعالى: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (المائدة: ٣٨).

و يقول تعالى: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ (النور: ٢).

ح- الثواب و العقاب الإلهي:

يقول تعالى: مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (غافر: ٤٠).

## خلق الإنسان

### إشارة

يعد خلق الإنسان آية من آيات الله العظيمة، خاصة إذا عرفنا أن عملية الخلق هذه مرت بمراحل عديدة و أطوار مختلفة كل مرحلة تعد في ذاتها آية، و كل طور من هذه الأطوار يبرز عظمة الخالق سبحانه و تعالى.

و مما ينبغي أن يكون واضحاً أنه قبل عملية الخلق هذه، قد أتى على الإنسان حين من الدهر لا يعلمه إلا الله- عز و جل- لم يكن فيه هذا الإنسان شيئاً مذكوراً.

يوضح ذلك قوله تعالى: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (الإنسان: ١).

و أما هذه المراحل التي مر بها خلق الإنسان فهي ١١:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٨٠

### أولاً: الماء:

و هو العنصر الأول الذي خلق منه كل كائن حي حادث، يقول تعالى: وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ (الأنبياء: ٣٠).

و يدخل في قوله تعالى: كُلُّ شَيْءٍ:

جسم الإنسان، بل يمكن لنا أن نقول: إن قمة هذا المخلوقات جميعها هو الإنسان، وقد خلقه الله تعالى من الماء. يقول تبارك وتعالى: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (الفرقان: ٥٤).

### ثانيا: التراب:

وهو العنصر الثاني الذي يتكون منه خلق الإنسان؛ حيث إن الإنسان الأول- وهو آدم عليه السلام- كان التراب عنصرا من عناصر تكوين خلقه.

يبين ذلك قوله تعالى: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (آل عمران: ٥٩).  
والتراب: عنصرا أساسى من عناصر تكوين كل إنسان بعد آدم عليه السلام. إذ من التراب النبات، ومن النبات الغذاء، ومن الغذاء الدم، ومن الدم النطفة، ومن النطفة الجنين.

يقول عز من قائل: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا (فاطر: ١١).  
ويقول أيضا: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (غافر: ٦٧).  
ويقول سبحانه: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ (الروم: ٢٠).

### ثالثا: الطين:

وهو ناتج امتزاج عنصرى الماء والتراب، ولهذا فالطين هو المزيج الذي يتكون منه خلق جسد الإنسان.  
يقول تبارك وتعالى: ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (السجدة: ٦-٩).

ويلاحظ: أن هذا الطين بالنسبة للإنسان الأول، وهو آدم عليه السلام، كان: طينا لازبا، أى: لزجا لاصقا متماسكا ببعضه ببعض، كما الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٨١  
يصور ذلك قوله سبحانه: إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (الصفافات: ١١).  
ثم: صار حمأ مسنونا، أى: أسودا منتنا حصورا، يقول رب العزة: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (الحجر: ٢٦).  
وأخيرا: صار هذا الطين جافا يابسا، حتى أصبح صلصالا يشبه الفخار إلا أنه ليس بالفخار، يقول سبحانه: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (الرحمن: ١٤، ١٥).  
وأما هذا الطين بالنسبة لذرية هذا الإنسان الأول، وهى السلالات البشرية فمن الطين إلى النبات، إلى الغذاء، إلى الدم، إلى النطفة، إلى العلقة، إلى المضغة ... إلخ.

### رابعا: نفخ الروح:

ونفخ الروح هذا فى الإنسان الأول، وهو آدم- عليه السلام- كان بعد أن صار الطين صلصالا.  
يقول تعالى: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (ص: ٧١، ٧٢).  
وأما بالنسبة لذرية آدم وهى السلالة البشرية فإن نفخ الروح يكون فى الجنين من بعد علوقه بنحو أربعة أشهر، كما فى الحديث

الصحيح: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغه مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد» ١٢. يقول جل وعلا: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (المؤمنون: ١٢-١٤).

وأخيراً: ينبغي أن يلاحظ جيداً أمران:

الأمر الأول: أن الله تعالى بعد أن خلق الإنسان الأول، وهو آدم- عليه السلام- خلق سبحانه من هذا الإنسان زوجته.

يقول تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا (الأعراف: ١٨٩).

الأمر الثاني: أن الله تعالى بعد أن خلق الإنسان الأول وهو آدم- عليه السلام- وزوجته خلق السلالات البشرية- بعد مرورها بمراحل: الماء، والتراب، والطين، والنبات،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٨٢

والغذاء، والدم- بمرحلة النطفة الأمشاج، أي: الأخلاط والخصائص غير المتماثلة.

يقول عز من قائل: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَيْمِعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (الإنسان: ٢، ٣).

و صدق الله تعالى إذ يقول: وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (التغابن: ٣).

## جسم الإنسان

وقد تحدث القرآن الكريم- خلال هدايته للناس وإرشاده لهم- عن جسم الإنسان بتفصيل دقيق حيث ذكر ١٣:

١- النفس: في مثل قوله تعالى: وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (النازعات: ٤٠، ٤١).

٢- الجسم: في مثل قوله تعالى: قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة: ٢٤٧).

٣- الرأس: في مثل قوله تعالى: وَ أَلْقَى الْأُلْوَاحَ وَ أَحَدَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ (الأعراف: ١٥٠).

٤- الوجه: في مثل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ (المائدة: ٦).

٥- الجبين: في مثل قوله تعالى: فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (الصافات: ١٠٣-١٠٥).

٦- الناصية: في مثل قوله تعالى: كَلَّا لئن لَمْ يَنْتَهِ لَسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (العلق: ١٥، ١٦).

٧- العين: في مثل قوله تعالى: قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (الأنبياء: ٦١).

٨- الخد: في مثل قوله تعالى: وَ لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لَا تَمْسَسْ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا (لقمان: ١٨).

٩- الأنف: في مثل قوله تعالى: وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ (المائدة: ٤٥).

١٠- الأذن في مثل قوله تعالى: وَ إِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَ أَصِرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (نوح: ٧).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٨٣

١١- الفم: في مثل قوله تعالى: يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (آل عمران: ١٦٧).

١٢- الشفة في قوله تعالى: أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ؟ (البلد: ٨، ٩).



- ١٣- السِّن: في قوله تعالى: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ (المائدة: ٤٥).
- ١٤- اللسان: في مثل قوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (النور: ٢٤).
- ١٥- الحلق: في قوله تعالى: فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (الواقعة: ٨٣).
- ١٦- الحنجرة: في مثل قوله تعالى: وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الِآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (غافر: ١٨).
- ١٧- الذقن: في مثل قوله تعالى: وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (الإسراء: ١٠٩).
- ١٨- الرقبة: في مثل قوله تعالى: فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمْوَهُمْ فَشَدُّوا الوَثَاقَ (محمد: ٤).
- ١٩- العنق: في مثل قوله تعالى: وَجَعَلْنَا الْأَعْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؟ (سبأ: ٣٣).
- ٢٠- الترقوة: و هي العظام المحيطة بفقرة النحر في مثل قوله تعالى: كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (القيامة: ٢٦) و التراقي: جمع ترقوة.
- ٢١- الصدر في مثل قوله تعالى: قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (طه: ٢٥، ٢٦).
- ٢٢- القلب: في مثل قوله تعالى: قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي (البقرة: ٢٦٠).
- ٢٣- الجلد: في مثل قوله تعالى: وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ (فصلت: ٢١).
- ٢٤- العظم: في مثل قوله تعالى: ثُمَّ خَلَقْنَا الطُّفْلَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعُلُقَمَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (المؤمنون: ١٤).
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٨٤
- ٢٥- اللحم: في مثل قوله تعالى: أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا؟ (الحجرات: ١٢).
- ٢٦- الجنب: في مثل قوله تعالى: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ (آل عمران: ١٩١).
- ٢٧- الظهر: في مثل قوله تعالى: يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَأْتِيهِمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (التوبة: ٣٥).
- ٢٨- البطن: في مثل قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ (النجم: ٣٢).
- ٢٩- الأمعاء: في قوله تعالى: وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ (محمد: ١٥).
- ٣٠- العضد: في مثل قوله تعالى: قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا (القصص: ٣٥).
- ٣١- المرفق: في مثل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ (المائدة: ٦).
- ٣٢- اليد: في مثل قوله تعالى: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (الحشر: ٢).
- ٣٣- الأصابع: في مثل قوله تعالى: يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ (البقرة: ١٩).
- ٣٤- البنان: في مثل قوله تعالى: بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوًّا بَنَانَهُ (القيامة: ٤).
- ٣٥- الأنملة: في مثل قوله تعالى: وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ (آل عمران: ١١٩).

٣٦- الساق: في مثل قوله تعالى: وَالتَّتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (القيامة: ٢٩، ٣٠).

٣٧- الأرجل: في مثل قوله تعالى: أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا (الأعراف: ١٩٥).

٣٨- الكعيبين: في مثل قوله تعالى:

وَ امْسُحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ (المائدة: ٦).

٣٩- الأقدام: في مثل قوله تعالى: وَ لِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (الأنفال: ١١).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٨٥

## خصائص الإنسان

### \* خير بطبعته:

طبيعة الإنسان: صالحة لفعل الخير، كما هي صالحة للركون إلى الشر.

يقول تعالى: وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا (الشمس: ٧-٨).

ومع ذلك فإن المدارس لكتاب الله - عز و جل - يستطيع أن يستنتج أن الميل إلى الخير هو الجانب الأغلب في هذه الطبيعة، و أنها لو تركت و شأنها دون أن تتكالب عليها عوامل الفساد لما حادت عن الطريق المستقيم.

يشير إلى ذلك قوله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (الروم: ٣٠).

وعوامل الفساد و الشر التي تخرج الإنسان عن طبيعته هذه كثيرة ١٤.

منها: ما يكمن في نفس الإنسان، و يتمثل في الميول التي تمكنت بفعل الزمن و تأثير البيئة، حتى صارت جزءا من طبيعته، يصدر عنها كثير من تصرفاته.

و في الحديث الشريف الصحيح ما يوضح ذلك، يقول صلى الله عليه و سلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ١٥.

ومنها: ما يأتيه من خارج نفسه، و يتزعمها إبليس و أعوانه، ذلك المخلوق، الذي أقسم أن يكرس حياته لإيقاع آدم و أبناؤه في معصية الله، و الذي قال: لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَأَنْبِتَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (الأعراف: ١٦-١٧).

و الإنسان بين هذا و ذاك يقاوم و يقاوم لتغلب طبيعته الخيرة على هذه العوامل، إلا من خرج من رحمته الله، و عاش عبدا لهواه و الشيطان.

### \* متدين:

بمعنى أنه يعرف ربه و خالقه، لا- يغيب عنه ذلك، حتى و إن تغافل أو غفل أحيانا و لكن سألتهم من خلق السماوات و الأرض لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (الزخرف: ٩).

و لئن عبت على الكفار منهم عبادة الأصنام: أجابوك بلهجة المتدين؛ حيث يقولون: ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى (الزمر: ٣).

و الإنسان المؤمن: سعيد بتدينه، يعيش في ظلالة، و يتمسك بأهدابه، و لسان حاله و مقاله يهتف بقوله تعالى: قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٨٦

وَنُشِكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَ بِذَلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (الأنعام: ١٦١-١٦٣).

و أما غير المؤمن: فمن العجيب أنه لا يفر من تدينه، و إن كان لا يتمسك بأهدابه، بل ينكره في سرائه، و لا يذكره إلا في ضرائه، بل يهتف ساعتها بلسان حاله و مقاله: لَيْسَ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (يونس: ٢٣).

ذلك أنهم: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (العنكبوت: ٦٥).

و هكذا: لا تظهر فطرتهم، و لا يبرز تدينهم إلا عند الشدائد، و ساعتها فقط، و أما قبل الشدائد و بعدها فهم جاحدون مستكبرون عبيد لأهوائهم و شياطينهم.

يقول سبحانه و تعالى: هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَيْسَ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (يونس: ٢٢-٢٣).

و بهذا: فالتدين فطرة في الإنسان، و خاصية من خصائصه يسعد به من هداه الله، فيظهر عليه، و يعيش في رحابه، و يحيا على آدابه، و يخفيه، بل يقاومه من لم يهده الله، فلا يظهر عليه، و لا يعيش في رحابه، و لا يعرف آدابه، و لا ينطق به إلا وقت الشدائد، يوم لا ينفع نفسا تدينها و لا إيمانها، و يصيرون كمن إذا أذركه العرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل و أنا من المسلمين فيهبأ الله منه، و لا يقبل إيمانه؛ حيث يقول له: آَلَانَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (يونس: ٩١) بل يصيرون ضمن من قال- عز و جل - عنهم:

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ حَدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥) (غافر: ٨٤-٨٥).

### \* ناطق:

ميز الله- عز و جل - الإنسان بخاصية النطق و التكلم دون باقى المخلوقات، حيث أقسم سبحانه بنفسه على أن أرزاق العباد في السماء، ثم أكده بأمر واضح للإنسان، و نعمة خاصة به، و هى: النطق، إذ قال: وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوَعَّدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٨٧

السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (الذاريات: ٢٢، ٢٣).

و يذكر ربنا- تبارك و تعالى - هذه الخاصية في معرض تشريفه للحبيب صلى الله عليه و سلم ..

حينما يقول: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَى (٢) وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (النجم: ٢-٣).

هذه الخاصية تنتفى عنهم بعد الوفاة كما يوضح ذلك قوله- تعالى - عن الإنسان في يوم القيامة: هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأَوْلِينَ (المرسلات: ٣٥-٣٨).

### \* لديه القدرة على النظر و التفكير:

كما منح الله- عز و جل - الإنسان خاصية القدرة على النظر في آيات الله المبتوثة في النفس و الكون و التاريخ، و دعاه إلى استعمالها و الإفادة منها، في تحقيق ذاته، و حسن عبادته لربه- سبحانه و تعالى، حيث أعطاه القدرة على النظر في:

١- كيف بدأ الخلق؟ و كيف يبعثهم؟ حاثا له على الإفادة من دلالة ذلك إذ يقول: قُلْ سَتِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (العنكبوت: ٢٠).

٢- ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، حاشا له كذلك على الإفادة من ذلك إذ يقول: أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ (الأعراف: ١٨٥).

٣- آيات الله في السماء والأرض.. حاشا له على الإفادة من دلالة ذلك إذ يقول أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضِ مِمَّا دَرَأْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَتْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبَصَّرْتَهُ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسْتِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (ق: ٦-١١).

٤- آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها، حاشا له على الإفادة من دلالة ذلك إذ يقول: فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الروم: ٥٠).

### \* مخلوق من طين:

وهذا واضح قبل خلق الإنسان حيث يقول رب العزة إذ قال رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (ص: ٧١-٧٤).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٨٨

ثم يخاطب الإنسان موبخا له على جداله وشكّه في وحدانية الله، مذكرا له بأصل خلقته، حيث يقول: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجْلاً وَأَجْلاً مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (الأنعام: ٢).

كما يقول سبحانه مصورا مراحل خلقه إذ يقول: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (المؤمنون: ١٢-١٤).

وقد امتنّ - سبحانه وتعالى - على الإنسان بالخلق من طين، وذلك في قوله - عز وجل:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (السجدة: ٧).

وكان هذا الخلق للإنسان من طين سببا في تكبر إبليس وعدم طاعته لله في السجود لآدم؛ حيث قال أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (الأعراف: ١٢).

### من صفات الإنسان

#### إشارة

وصفات الإنسان التي ينفرد و يتميز بها عن غيره كثيرة جدا، ذكرها المولى - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم؛ تسجيلا لها، ودعوة لتقييمها، و لفت الأنظار إلى المحافظة على الجيد منها، و علاج الرديء تخلصا من أضراره، ليستطيع الإنسان أداء رسالته، و حسن القيام بخلافته.

و من هذه الصفات ١٦:

### \* خلقه في أحسن تقويم:

يقول تبارك و تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (التين: ٤).

## \* ضعفه:

يقول سبحانه: وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا (النساء: ٢٨).

يقول سبحانه اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (الروم: ٥٤).

## \* تعجله:

يقول رب العزة: وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (الإسراء: ١١)، كما يقول سبحانه و تعالى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ (الأنبياء: ٣٧).

## \* جداله:

يقول تعالى: وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (الكهف: ٥٤).

## \* يأسه و قنوطه:

يقول عز و جل: وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يُقْنَطُونَ (الروم: ٣٦).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٨٩

و يقول أيضا: لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤَسِّ قَنُوطٌ (فصلت: ٤٩).

## \* بخله:

يقول جل و علا: قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (الإسراء: ١٠٠).

و يقول أيضا إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) (المعارج: ١٩-٢٢).

## \* طغيانه:

يقول عز و جل: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (عبس: ٦-٧).

## \* نكرانه للنعم:

يقول تبارك و تعالى: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (يونس: ١٢).

و يقول أيضا وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَاِلَيْهِ تَجْرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ (النحل: ٥٣-٥٥).

و يقول سبحانه: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ (الزمر: ٨).

و يقول كذلك: فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ (الزمر: ٤٩).

### \* فرحه و فخره:

يقول عز و جل: وَلَئِن أَدْقْنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا (هود: ١٠).

### \* خصومته لربه:

يقول عز من قائل: أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (يس: ٧٧).

### \* ظلمه:

يقول تبارك و تعالى: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (إبراهيم: ٣٤).

### \* مبالغته في كفره:

يقول سبحانه: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّيْنَاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (الإسراء: ٦٧).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٩٠

و يقول تعالى: وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (الحج: ٦٦).

و يقول أيضا: وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (الزخرف: ١٥).

و يقول تبارك و تعالى: قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (عبس: ١٧).

## الإنسان و التربية

### إشارة

لم يلجأ الإسلام في تربية الإنسان إلى محاولة إلغاء أصل الطبائع الفطرية فيه، أو إلغاء شيء منها، ليضع بدلا منها طبائع جديدة مكتسبة

لم تكن هي و لا الاستعداد إليها من الأمور الفطرية.

و لكن اتبع الأسس التربوية النافعة في التكوين و التحويل و التنمية و التهذيب و التشذيب.

و من هذه الأسس:

١- التدرج في التربية.

٢- التوجيه و التحويل.

٣- التصعيد.

٤- إيجاد الحافز الذاتي.

و صولا بهذه الأسس إلى تربية الإنسان أولا، و تكوين الجيل الرباني الذي يقود الإنسانية إلى الخير و الفلاح ثانيا.

و يتم ذلك التكوين لهذا الجيل الرباني على عدة عناصر منها:

١- التثقيف العقلي.

٢- اليقظة الروحية.

٣- الترابط الأخوي.

و بيان هذا و ذاك على النحو التالي:

### أولاً: الأسس التربوية للإنسان:

#### الأساس الأول - التدرج في البناء التربوي:

إن العملية التربوية ليست عملية تحويل مفاجئ دفعة واحدة، أو خلق تام بمرة واحدة؛ حيث إن هذا لم يختره الله لنفسه في سنة الخلق، مع أن من قدرته - جل و علا- أنه إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن. فيكون؛ ولكنه تبارك و تعالى اختار لنفسه سنة الإنشاء المتدرج، كما أن رغبتنا بالإنجاز التام السريع على خلاف طبائع الأشياء معاكسة لسنة الله في كونه.

و مكلف الأشياء فوق طباعها متطلب في الماء جذوة نار و من صفات الله تعالى أنه رب العالمين، أى:

مربي العالمين، و التربية هي إنشاء متدرج لإبلاغ الشيء إلى مستوى كماله، و قد خلق الله الدنيا في ستة أيام من أيامه - تبارك و تعالى - و كان في قدرته أن يخلقها بكلمة كن.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٩١

#### الأساس الثاني - التوجيه و التحويل:

إنه ما من طبع من الطبائع الفطرية إلا - يحتاج إليه في جانب من جوانب الخير، أو في طريق من طرق الخير، و عمليات التوجيه و التحويل تكون بتعليق رغبات المقصود بالتربية في جانب من جوانب الخير، أو في طريق من طرق الخير، و بمحاولة امتصاص شحنات هذا الطبع كلها أو بعضها فيما وجهت إليه و علقته به.

و من أمثلة ذلك: أن نأخذ إنساناً ذا طمع مفرط في متاع الحياة الدنيا و زينتها، ثم نملأ قلبه إيماناً بالله و اليوم الآخر، و بما في اليوم الآخر من جنه و نعيم مقيم، ثم نعمل على توجيه طمعه و تحويله إلى ما عند الله من أجر عظيم، ثم نجرى عمليات تعليق شحنات ما لديه من طمع بذلك، فتصرف نفسه إليه انصرافاً كلياً أو جزئياً، و بذلك ينفك شيئاً فشيئاً عن التعلق بمطامع الحياة الدنيا، طلباً لما هو أجلّ و أعظم، و عندئذ فقد نجده زاهداً قنوعاً، أو غير مفرط في الطمع.

و بهذا التحويل الكلي أو الجزئي يعتدل طبعه، و يتكون لديه خلق فاضل، و مع ذلك نلاحظ أن الطمع لم تقتلع جذوره من نفسه، و لكن جرى فيه تحويل إلى ما هو خير.

و هكذا نستطيع أن نمارس خطة التوجيه و التحويل في كثير من الطبائع الفطرية.

#### الأساس الثالث: التصعيد:

و هو نوع من تحويل الطبع، أو تحويل التطلع الإنساني، عن الصغائر و الدنيايا، و توجيهه لمعالى الأمور، و لما فيه سعادة خالدة أو مجد حقيقي، و لما فيه كمال، و رفعة بين الناس، و كمال و رفعة عند الله.

و من وسائل التصعيد التشويق و التحبيب، و التحسين و التزيين، و الممارسة، و وضع الإنسان في خبرات عملية يذوق فيها حلاوة ما يراود تصعيده إليه، و لكن بدون إرهاق منفر، و لا تكاليف شاقة مضيئة، باستثناء أفراد نادرين يستعذبون المشقات في أصل طباعهم، و



لا يميلون إلى الأمور السهلة الخفيفة.

ومن التريية بالتصعيد قول الله- عز و جل- لرسوله صلى الله عليه و سلم:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (طه: ٢٠). أزواجاً منهم: أصنافاً منهم.

فأبان الله تعالى أن كل ما يتمتع به الناس في الحياة الدنيا هو في واقع حاله كالزهرة، و من صفات الزهرة أنها تغري و لكنها قصيرة العمر سريعة الذبول و الفناء، فالعاقل يبحث عن نعيم حقيقي باق. و هو أيضا مادة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٩٢

لامتحان الناس و ابتلائهم، و ليس لتكريمهم لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ.

بعد هذا التهيد في زهرة الحياة الدنيا قال تعالى: وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ.

و في هذا توجيه صاعد لما هو خير حقيقي باق، و هو رزق الله للمتقين و الأبرار و المحسنين، في جنات النعيم، و في الدنيا بسعادة الروح و راحة الفؤاد.

### الأساس الرابع - إيجاد الحافز الذاتي:

#### إشارة

الحافز الذاتي هو القوة الداخلية في الإنسان، المحركة لعواطفه، و الموجهة لإرادته، و الدافعة له حتى يمارس سلوكا معيناً داخلياً أو خارجياً، و عن طريق تكرار ممارسة هذا السلوك تتكون العادة النفسية الباطنة، أو العادة الجسدية الظاهرة، فإذا كان هذا السلوك من نوع السلوك الخلقى كان خلقاً مكتسباً، و كان المؤثر الأول في اكتسابه هو إيجاد الحافز الذاتي لدى مكتسبه. و لإيجاد الحافز الذاتي عدة طرق، منها الطرق التالية:

#### ١- طريق الإيمان بالله و اليوم الآخر و بقضاء الله و قدره:

فمتى بنيت القاعدة الإيمانية الإسلامية في أعماق كيان الإنسان استطاعت هذه القاعدة أن تهيمن على فكره و قلبه و عواطفه و إرادته، و أن تعمل على ربط إرادته بما يرضى الله تعالى، و لا يخفى ما للإرادة الحازمة في الإنسان من تأثير على مراكز الخلق في نفسه، و قدرة على التحكم في أنواع سلوكه.

إن تركيز القاعدة الإيمانية الإسلامية في الكيان الداخلي للإنسان يرتبط به اليقين المهيمن بأنه لا حكم إلا لله، و بأن الله لا يأمر إلا بالخير، و لا ينهى إلا عن الشر، و بأن مصلحة الإنسان مرتبطة بفعل ما يأمر الله به، و ترك ما ينهى الله عنه. و يرتبط به أيضا اليقين بأن الله تعالى يجازى على الخير خيراً و على السوء سوءاً، وفق قانون الحق و العدل و الفضل الرباني، و يرتبط به أيضا اليقين بأن الله تعالى لا يجرى في مقاديره لعباده إلا ما هو خير لهم، فالمؤمن يقابل مقادير الله بالرضا و التسليم فيصبر، و لا يغضب و لا يضجر، و لا يحسد و لا يستكبر، و هكذا.

فالحافز الذاتي الذي يولده الإيمان بالله و اليوم الآخر و بقضاء الله و قدره حافز مؤثر و فعال جدا في دفع كل فرد مؤمن إلى فعل الخير و الالتزام به، إنه حافز محرك و دافع و حارس و رقيب ذاتي، يصاحب الإنسان الذي يملك وعيه مصاحبةً دائمةً، فهو معه في جميع

أوقاته، وفي جميع أحواله، إذا كان بين الناس و إذا كان في خلواته، إذا كان منكشفا في الأضواء و إذا كان مستترا في الظلمات، الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٩٣

و حيث يظن أنه لا يراقبه أحد، و حيث لا تراقبه رقابة قانونية بشرية، و لا تمتد إليه سلطة قضائية، و لا تردعه هيئة اجتماعية. إن الحافظ الذاتي الذي يولده الإيمان بالله و اليوم الآخر قوة فوق كل القوى، إنه يقبض على زمام العقل بالحق و البرهان من الله، و يقبض على ناصية القلب بعاطفة محبة الله و ابتغاء محبة الله و ابتغاء رضاه و الثقة بحكمته، و يقبض على زمام النفس بعامل الخوف من عقاب الله و الطمع بثوابه العظيم.

إنه يقود الإنسان و يسوقه من جميع أركانه الداخلية، فهو قوة عجيبة لا تدانيها قوة أخرى في الوجود كله، و لكن مقدار قوتها في داخل الفرد مناسب لمقدار قوة الإيمان في قلبه زيادة و نقصانا، فكلما زادت نسبة قوة الإيمان زادت قوة هذا الحافظ، و كلما نقصت هذه النسبة نقصت قوة الحافظ في نفس الفرد المسلم، و هذا الحافظ في مستواه الأعلى يوصل الإنسان إلى مرتبة الإحسان في معظم أعماله، و يجعله من السابقين في الخيرات بإذن الله.

إن الإيمان بالله و اليوم الآخر و بقضاء الله و قدره يمثل الجذر الرئيسي لإصلاح الإنسان من أعماق كيانه الداخلي، و عليه تتجمع جذور النفس الإنسانية كلها، و ذلك لأن الإنسان متى أيقن بالله حق اليقين، غدا متعطشا لبلوغ كماله بسرعة، و مطمئنا إلى أن الله هو العليم الحكيم، الذي يعلم أين يكون الخير، و يعلم أين يكون الشر، و هو بعباده رءوف رحيم، ينزل بهم ما يقتضيه خيرهم، و يرشدهم إلى ما فيه خيرهم و سعادتهم، فيأخذ وصايا الله بالتسليم التام، و يلتزمها التزاما صادقا، قبل أن يعرف بالتفصيلات الجزئية و الحجج و البراهين ما في كل فرد من أفرادها من خيرات و مصالح و ثمرات كريمة.

هذه الثقة بالله القائمة على اليقين به لا تعادلها ثقة أخرى في الوجود، علما بأن الثقة من حيث ذاتها سائق يسوق الإنسان إلى الاتباع و الطاعة و الرضا و التسليم، دون شعور بعقبة من عقبات المعارضة النفسية.

نحن نلاحظ في واقعنا الإنساني، أننا متى وثقنا بإنسان- بعد أن خبرنا فيه نضج التفكير و التدبير و صدق النصيحة- سلمنا له من غير أن نطالبه بالحجة، مع أن ثقنا به- مهما عظمت- لا تبلغ درجة الاعتقاد بعصمته عن الخطأ، و لكننا نرجح أن صوابه أكثر من خطئه.

فكيف بمن نعتقد به كمال العصمة، و نحن موقنون بأنه رءوف رحيم، يحب لنا الخير و يكره لنا الشر؟

لذلك فالنفوذ إلى أعماق النفس الإنسانية بعناصر الإيمان الأساسية، يوجد في الإنسان

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٩٤

فاعليات ذاتية، تحرضه على التحلى بمكارم الأخلاق، و سلوك السبيل الأقوم في الحياة.

## ٢- طريق الإقناع الفكرى:

و يكون الإقناع الفكرى عن طريق التعليم المباشر أو غير المباشر، أو عن طريق الجدال بالتي هي أحسن.

فمن شأن المعرفة التي تدرك بها الفضائل و الرذائل، و تعلم بها آثارها المحمودة و المذمومة، و ثمراتها العاجلة و الآجلة، أن تولد الحافظ الذاتي على التطبيق، لا سيما إذا كان مضمون المعرفة يتعلق بما ينفع الإنسان أو يضره، كقضايا السلوك الإنساني.

فمعرفة الفضائل الأخلاقية معرفة صحيحة لا بد أن تبرز ما فيها من كمال و جمال، و لا بد أن تورث اليقين بفوائدها و ثمراتها الطيبات و خيراتها الحسان المادية و المعنوية، الدنيوية و الأخروية، و ذلك يولد في النفس استحسانها، ثم الرغبة الصادقة بالتحلى بها، و مع هذه الرغبة الصادقة تكون النفس طيعة للتخلق بالخلق الكريم المنشود.

و معرفة الرذائل و النقائص الأخلاقية معرفة صحيحة لا بد أن تبرز ما فيها من نقص و قبح، و لا بد أن تورث اليقين بمضارها و نتائجها

السيئة، وذلك يولد في النفس استقباحتها و النفور منها، ثم الرغبة الصادقة باجتناها، و مع هذه الرغبة الصادقة تكون النفس طيعة للكف عنها، و التخلق بالخلق الكريم المضاد لها.

و للإقناع الفكرى شروط من شأن الأخذ بها تخفيف العقبات النفسية، التى قد تقف دون بلوغ القناعة الحقيقية إلى داخل النفس. و يمكن تلخيص أهم هذه الشروط بما لخصها به القرآن الكريم من الحكمة، و الموعة الحسنه، و الجدال بالتي هي أحسن. كما يعلم ذلك من قوله تعالى: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنه و جادلهم بالتي هي أحسن (النحل: ١٢٥). و يندرج فى الحكمة كل الأساليب الفكرية المنطقية الهادئة السليمة، التى من شأنها أن توصل الحقيقة إلى موقع القناعة فى النفس. و للناس مستويات فكرية و علمية، و على من يريد الإقناع بحقيقة من الحقائق أن يخاطب كل فريق من الناس بما يناسب مستواه الفكرى و النفسى.

و يندرج فى الموعة الحسنه كل الأساليب التى تؤثر فى النفس الإنسانية، و التى من شأنها أن توجه عوامل الأنفس فى جهة الاقتناع بالحقيقة.

و الإقناع الفكرى من أول الطرائق التى سلكها القرآن و سلكها الرسول صلوات الله عليه فى معظم الحقائق التى اشتمل عليها الإسلام، و منها موضوعات الأخلاق.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٩٥

### ٣- طريق الترغيب و الترهيب:

لا- ينكر الأثر الكبير الذى يتم بتحريك محورى الطمع و الخوف فى النفس الإنسانية، بالترغيب و الترهيب، و التشجيع بالإكرام و المكافأة، و التقويم و الزجر بالإهانة و العقوبة عند الضرورة. إنه طريق مؤثر و فعال جدا، و مولد لحافز ذاتى داخل النفس الإنسانية.

و قد اعتمد الإسلام فى منهجه التربوى اعتمادا كبيرا على طريق الترغيب و الترهيب، بعد اعتماده على الهداية للتي هي أقوم، بوسيلة التعليم و الإقناع الفكرى و يدل على ذلك قوله تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (الإسراء: ١٧). و نصوص الترغيب و الترهيب كثيرة جدا فى الكتاب و السنة.

### ٤- طريق تربية الوجدان الأخلاقى:

و تكون هذه التربية بتعريض الوجدان لخبرات و مشاهد يحس فيها حلاوة الفضائل الأخلاقية، و مرارة الرذائل الأخلاقية. إن الوجدان الأخلاقى ينمو و يتضخم بمختلف الخبرات و المشاهد التى تفجر فيه انفعالات استحسان الفضائل و الكمالات الأخلاقية، عند تذوق حلاوتها و الشعور بالمسرات التى تحصل بسببها، و تفجر فيه انفعالات استقباحت الرذائل و النقائص الأخلاقية عند تذوق مرارتها و الشعور بالآلام التى تحصل بسببها.

و عند ما ينمو الوجدان الأخلاقى و يتضخم يغدو قادرا على تحريك العواطف و توجيه الإرادة، و الدفع إلى السلوك الأخلاقى الكريم، إيجابيا كان أو سلبيا، فى داخل النفس و القلب، أو فى مجال السلوك العملى الظاهر. فمن أمثلة ذلك ما يلي:

أ- إكرام الإنسان بالعطاء وهو راغب فيه أو عرض مشهد من مشاهد العطاء أمامه، حتى يشعر وجدانه بحلاوة العطاء، وبأنه فضيلة من الفضائل الأخلاقية، وحرمان الإنسان من العطاء مع حاجته إليه، أو عرض مشهد من مشاهد الشح أمامه، حتى يشعر بأن الشح رذيلة من الرذائل الأخلاقية.

ب- تعريض الإنسان لحادثه من حوادث الظلم، أو مشهد من مشاهد، حتى يشعر وجدانه بمرارة الظلم، وبأنه رذيلة من الرذائل الخلقية، و تعريضه لرأعته من روائع العدل، أو مشهد رائع من مشاهد، حتى يشعر وجدانه بحلاوة العدل و إكباره، و أنه فضيلة من الفضائل الخلقية.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٩٦

ج- تعريض الإنسان لمشهد من مشاهد الشجاعة المحموده، أو معونته بحادثه من حوادث الشجاعة المحموده، حتى يشعر وجدانه بإكبار الشجاعة و حلاوتها، و بأنها من الفضائل الأخلاقية، و تعريضه لمشهد من مشاهد الجبن، أو التخلي عن معونته بحادثه من حوادث الجبن، حتى يشعر وجدانه بحقارة الجبن و يتقزز منه، و يحس بأنه نقيصه من النقائص الخلقية. و قد تقع القصة المحكية موقع المشهد المرئي، فتؤثر مثل أثره.

و هكذا يتربى الوجدان الأخلاقي و يكون باستطاعته أن يحرك و يوجه و يؤثر، و يكون أحد الحوافز الذاتية في كيان الإنسان الداخلي ١٧.

## ثانيا: العناصر التكوينية للجيل الرباني:

### إشارة

جعل الإسلام أكبر همه طوال العهد المكي هو تكوين الجيل الرباني، و الرعيال القرآني الأول، من خلال تعهد دائم، و صحبة مباركة، و مراقبة إيجابية، و كانت (دار الأرقم) في مكة هي أشهر دار للتربية الأساسية التي خرّجت أول أجيال الإسلام و أفضلها، الذين وصفوا بأنهم (رهبان الليل و فرسان النهار).

و أنهم (يكثرون عند الفزع، و يقلون عند الطمع) ١٨.

و أعظم ما وصفوا به ما جاء في كتاب الله: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكُمْ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ (الفتح: ٢٩).

و هذا التكوين يقوم على عناصر، أهمها ثلاثة:

### ١- التنقيف العقلي:

العنصر الأول في التكوين هو: ما يتعلق بتنقيف الفكر، و تنوير العقل، فالإسلام دين ينشئ (العقلية العلمية) و يرفض (العقلية الخرافية) أو (العامية) التي تعتمد على الظن في موضع اليقين، أو تعتمد على الهوى و العواطف في مقام لا يغنى فيه إلا الحقائق الموضوعية، و هو ما يرفضه القرآن الكريم، الذي يذم المشركين بقوله: وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ الظَّنَّ لَا- يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (النجم: ٢٨) و يقول في نفس السورة: إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى (النجم: ٢٣) و في سورة أخرى يقول: أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (محمد: ١٦).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٩٧

و العقلية العلمية هي التي ترفض التقليد الأعمى، سواء أ كان للأجداد والآباء، كما في قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ (البقرة: ١٧٠) أم كان للسادة والكبراء كما قال تعالى: وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومُ لَعْنَا كَبِيرَا (الأحزاب: ٦٧، ٦٨).  
وقد تكرر هذا المعنى في جملة سور من القرآن الكريم.

و العقلية العلمية التي ينشئها الإسلام هي التي تؤمن بوجود النظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، فالكون كله مسرح للفكر والتأمل، وكذلك التاريخ ومصائر الأمم. وكذلك الإنسان بكل آفاقه الروحية والمادية.  
يقول تعالى: أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ (الأعراف: ١٨٥) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ (العنكبوت: ٢٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (الأنعام: ١١) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (الذاريات: ٢٠، ٢١).

و لا تقبل العقلية الإسلامية دعوى بلا بينة، فهي تعتمد البرهان في العقليات، و التوثيق في النقلات، و التجربة في الحسيات.  
يقول القرآن لأصحاب العقائد: قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (البقرة: ١١١ و النمل: ٦٤) و في مقام النقل:  
أَتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (الأحقاف: ٤) و في مقام آخر يقول: نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (الأنعام: ١٤٣).

و من ثم كان بدء الوحي القرآني بهذه الآيات: أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (العلق: ١-٥) و القراءة باب العلم و مفتاحه.

## ٢- الإيقاظ الروحي:

و العنصر الثاني هو (الإيقاظ الروحي) الذي يعني بتجديد الإيمان بالله تعالى، و اليقين بالآخرة، و تقوية المعاني الربانية في القلب، من التوكل على الله، و الإنابة إليه، و الإخلاص له، و المحبة له و لأولياته، و الأنس بذكره، و الرجاء في رحمته، و الخشية من عذابه، و الاعتزاز بالانتماء إليه، و الثقة بنصره و تأييده، و الحياء معه، و الشعور برقابته، و الشكر لنعمائه، و الصبر على بلائه، و الرضا  
الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٩٨

بقضائه، و حسن الأدب معه، و استشعار تقواه في كل عمل و كل حال. إلى آخر ما يعنى به رجال التصوف الصادقون.  
و الوصول إلى هذا ليس بالأمر السهل، بل يحتاج إلى رياضة مستمرة، و مجاهدة طويلة، لهذه النفس الأمارة بالسوء، و تصميم على تزكية النفس بالتخليئة و التحلية: التخليئة من رذائل الشرك و النفاق و الجاهلية، و التحلية بفضائل التوحيد و الإيمان و الإسلام و الإحسان، و هذا هو أساس الفلاح في الأولى و الآخرة و نفس و ما سواها (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (الشمس: ٧-١٠).

و لا يتم هذا إلا في مناخ يساعد عليه، يجد فيه المرء المرشد الموجه إلى الله، و البيئة النظيفة المعينة على الخير، كما يجد الأخ الصالح، الرفيق في الدرب، حامل مسك الهدى، الذي يدل على الله منطقه، و يذكر بالآخرة حاله، و يرغب في الخير سلوكه.

## ٣- الترابط الأخوي:

و العنصر الثالث من عناصر (التكوين) الأساسية هو: الترابط الأخوي. يقول تعالى:

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (الزخرف: ٦٧).

و يقول صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما، و أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، و أن يكره أن يقذف في الكفر كما يكره أن يقذف في النار». متفق عليه عن أنس.  
و قوله: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله- و ذكر منهم- و رجالان تحاببا في الله- عز و جل- اجتمعا عليه، و تفرقا عليه». متفق عليه عن أبي هريرة.

و يقول صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي». رواه مسلم عن أبي هريرة.

فإذا كان الناس تربطهم في هذه الدنيا روابط شتى، رابطة الدم و النسب، أو رابطة الطين و الأرض، أو رابطة اللغوة و اللسان، أو رابطة المصلحة المشتركة، أو غير ذلك من الروابط المادية و الدنيوية الزائلة، أو المعرصة دوما للزوال. فإن رابطة الأخوة الإيمانية هي الأخلد و الأبقى، و هي الأعز و الأقوى، لأنها رابطة قامت لله و في الله، و ما كان لله دام و اتصل، و ما كان لغير الله، انقطع و انفصل.  
لقد حث الإسلام المسلمين على العمل الجماعي لنصرة الدعوة الإسلامية، و تحرير الأرض الإسلامية، و توحيد الأمة الإسلامية، و تحقيق آمالها الكبرى في النهوض و البناء و الترقى، و أداء دورها الرباني في هداية العالم إلى نور الله.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٧٩٩

و لهذا كانت الأوامر و التوجيهات القرآنية و النبوية محرصة على التوحيد و التعاضد و التعاون و التضامن، فإن اليد وحدها لا تصفق، و يد الله مع الجماعة، و الشيطان مع الواحد، و هو من الاثنين أبعد، و إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، و المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.

يؤكد هذا: أن القوى المعادية للإسلام و أمته لا- تعمل بصورة فردية، أو بقوى متناثرة أو مبعثرة، بل تعمل في صورة جماعات و تكتلات منظمة، حددت غاياتها، و عينت طرائقها، و اختير رجالها و قادتها، و رصدت لها مصادر التمويل الدائمة و الطارئة.  
فلا يجوز أن نقابل هذه القوى المتجمعة بأعمال فردية متفرقة، تعجز أن تنصر صديقا أو تقهر عدوا.

و ما دامت الجماعة- على حد تعبيرنا- فريضة و ضرورة، فريضة يوجبها الدين، و ضرورة يحتمها الواقع: فلا بد لهذه الجماعة من رابط قوى يربط بين أفرادها، أشبه بما نسميه (المونة) أو (الإسمنت) الذي يربط (لبناات البناء) بعضها ببعض، حتى يكون كما جاء في الحديث: «يشد بعضه بعضا»، أو كما قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُيُوتًا مَرْصُوصًا (الصف: ٤).

و هذا الرباط هو الأخوة الصادقة، التي هي صنو الإيمان و دليله، كما قال تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (الحجرات: ١٠). و كما في الحديث الصحيح: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه و لا يسلمه (أى لا يتخلى عنه) و من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته».  
و لا- تكون الأخوة صادقة إلا إذا تجردت عن أعراض الدنيا، و تمحضت للدين، و خلصت لوجه الله تعالى، و هذا هو الحب في الله، الذي كثرت في فضله الأحاديث.

و من ذلك ما رواه أبو هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ قال: «إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء، يغبطهم الأنبياء و الشهداء! قيل: من هم لعلنا نجبهم؟ قال: هم قوم تحابوا بنور الله، من غير أرحام و لا أنساب (أى لا تجمعهم قرابة و لا نسب) و جوههم نور، على منابر من نور، لا- يخافون إذا خاف الناس، و لا- يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (يونس: ٦٢)».

و قال رجل لمعاذ بن جبل: و الله إنى لأحبك لله! فقال: الله؟ قال الرجل: قلت: لله، فأخذ بحبوة رداي، فجدبني إليه، و قال: أبشر، فإنى سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ يقول: «قال الله تبارك و تعالى: و جبت محبتي للمتحابين فيّ، و المتجالسين فيّ، و المتراورين فيّ».

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٠٠



## علاقة الإنسان بالشیطان

## \* العداوة:

الشیطان: هو العدو الأول، اللدود، لبنى الإنسان. و عداوته: قديمة، حديثه.

قديمة جدا: منذ أن قال الله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (البقرة: ٣٤)  
قديمة جدا: منذ أن قال له رب العزة: يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (الحجر: ٣٢-٤٤)

قديمة جدا: منذ أن عاقبه رب العزة، على هذا الإباء، والتكبر، وعدم الامتثال، إذ قال له: فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (الحجر: ٣٤-٣٨)

قديمة جدا: منذ أن هدد و توعد لبنى الإنسان، حينما قال: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (الحجر: ٣٩: ٤٤).  
وقد كان !!

زين الشيطان .. و ما يزال. و أغوى الكثير، والكثير من بنى الإنسان و ما يزال.

و أصبح للشيطان: أعوان، و إخوان، و أنصار، و أشياع، و أذئاب: اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (المجادلة: ١٩).

و ما يزال الشيطان يغوى، و يزين، و ينفذ و عيده القديم، و تهديده الدائم.

و ما يزال حزبه الذى استحوذ عليه، يزداد كفرا و عصيانا و نسيانا و تناسيا لذكر الله تعالى.

و لنشاط الشيطان و أعوانه، القديم و الحديث؛ نبه المولى - سبحانه و تعالى - و ينبه دائما على هذه العداوة القديمة و الحديثه، إذ يقول: إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (الإسراء: ٥٣).

و لنشاط الشيطان و أعوانه، القديم و الحديث؛ نبه المولى - سبحانه و تعالى - و ينبه دائما، أحبابه، و أوليائه الذين هم حزب الله، على هذه العداوة القديمة الحديثه:

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٠١

إذ يقول لهم: وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (الزخرف: ٦٢).

و لخطورة الشيطان على أولياء الله - تعالى - و حزبه؛ أمر المولى - عز و جل - بالحيطه الشديده منه، و التنبه الدائم له، و اتخاذه عدوا، و اليقظة الكاملة لمكر هذا العدو و دهائه، و الاستعداد لمواجهة هذا العدو و الانتصار عليه. إذ يقول لهم: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (فاطر: ٦)

و لخطورة حزب الشيطان - كذلك - على أولياء الله تعالى و حزبه؛ أمر المولى - عز و جل - بقتالهم، بشتى أسلحه القتال. إذ يقول:

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (النساء: ٧٦)

و مع ذلك فالشيطان لا- ينى، و لا- يتخاذل، و لا يهدأ. فعن جابر: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «يبعث الشيطان سراياه، فيفتنون الناس؛ فأعظمهم عنده منزله، أعظمهم فتنه». (مسلم: ك صفات المؤمنين، باب تحريش الشيطان)



و أعوانه كذلك لا يتخاذلون، ولا يهدءون.

و فوق ذلك: فهو: «يجرى من ابن آدم مجرى الدم». ١٩ فتنة، و غواية، و إضلالات.

و لوعورة هذه الحرب، بين الطائفتين - الشيطان و حزبه من جانب - و أولياء الله من الجانب الآخر: فقد علمنا - سبحانه و تعالى - الاستعانة به، و اللجوء إليه، في هذه الحرب الدائمة، القديمة، الحديثة، حينما قال:

وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (فصلت: ٣٦).

و حينما قال: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) و أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (المؤمنون: ٩٧، ٩٨).

و فوق هذا فقد تكفل بالوقوف في صف أوليائه و نصرتهم في هذه الحرب الدائمة، القديمة، الحديثة، حينما قال للشيطان: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (الحجر: ٤٢)

و لكل هذا: يجب على أولياء الله - سبحانه و تعالى - و أتباع محمد صلى الله عليه و سلم، اليقظة الكاملة، و الاستعداد الدءوب لهذا العدو، الذى حذر منه، و أمر بمعاداته.

و على ورثة الأنبياء - و هم أولى الناس بهذه اليقظة و أحق الناس لهذا الاستعداد، و أعلمهم و أقواهم على هذا العدا و الانتصار فيه، تبصير الناس بسهام هذا العدو، و تحذيرهم - دائما - منها.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٠٢

#### \* الوسوسة:

بيد أنه: لا يعدو الشيطان في حياة الإنسان سوى أن يكون مخلوقا باستطاعته أن يوسوس في صدر الإنسان بالشر، و يزين له ارتكاب الخطيئة فقط، ثم إن الإنسان هو الذى يرتكب الخطيئة بإرادته، و يعتبر مسئولا عنها مسئولية تامة.

ففى المفاهيم الإسلامية عدة حقائق عن الشيطان تبين موقعه فى حياة الإنسان، و أثره على إرادته، و الحكمة الربانية من وجوده: الحقيقة الأولى: تتلخص فى أن الشيطان ليس له سلطان على إرادة الإنسان، إلا - من سلم قيادة نفسه له و تبعه مختارا لنفسه طريق الغواية.

و نجد الدليل على هذه الحقيقة فى عدة نصوص قرآنية:

منها: قول الله تعالى يخاطب إبليس رأس الشياطين: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (الحجر: ٤٢).

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ وَ كَيْلًا (الإسراء: ٦٥).

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (النحل: ٩٨ - ١٠٠).

فمن الظاهر فى هذه النصوص أن الله تبارك و تعالى لم يجعل للشيطان سلطانا على الإنسان، و أن سلطانه لا يكون إلا على الذين يتولونه، و يجعلونه قائدا لهم، و يتبعونه مختارين لأنفسهم طريق الغواية.

و من أجل ذلك فإن الشيطان سيعلم هذه الحقيقة يوم القيامة للذين استجابوا لوساوسه فى الدنيا، يدل على ذلك قول الله تعالى: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَ لَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (إبراهيم: ٢٢).

ما أنا بمصرخكم و ما أنتم بمصرخى: أى ما أنا بقادر على إغاثتكم و ما أنتم بقادرين على إغاثتى، حينما يصرخ كل منا طالبا من

صاحبه أن يغيثه فيرفع عنه عذاب الله.

الحقيقة الثانية: تتلخص في أن وظيفة الشيطان في حياة الإنسان إنما هي الوسوسة في صدره وليس له قدرة على أكثر من ذلك،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٠٣

و يشعر الإنسان بهذه الوسوسة في صورة خواطر تزين له الإثم والمعصية، وتزين له الانحراف عن سواء السبيل، وقد تصوغ له ذلك بحجج مغرية. قال الله تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) (الناس).

وقال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (محمد: ٢٥). أى:

غرهم بالأمانى والآمال فى وساوسه و تسوياته، وهذا ما فعله مع آدم و حواء، إذ كانا فى الجنة فوسوس لهما فأخرجهما من الجنة.

فكيد الشيطان فى الإضلال كيد ضعيف، وبذلك وصفه الله بقوله إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (النساء: ٧٦).

الحقيقة الثالثة: تتلخص فى أن الله - تبارك و تعالى - جعل الشيطان فى حياة الإنسان لإقامة التوازن بين دوافع الخير و دوافع الشر و المحرضات عليهما، و ليطرح الإنسان عليه قسما من مسئولية الخطيئة التى يقع بها، فيجد لنفسه عذرا بأن فعل الشر ليس من فطرته، و إنما كان بتأثير وساوس قرينه الشيطان الملازم له.

و بهذا لا تظل صورة الخطيئة القبيحة ماثلة فى نفس الإنسان، إذ يشعر بأن القبح فى العمل ليس من شأنه.

و هذا الشعور الذى يشعر به المخطئ، قد يساعده على تقويم نفسه، مستعيذا بالله من الشيطان، ساعيا فى التخلص مما علق به من أدناس المعاصى، كما يساعده على نسيان خطيئته إذا هو استغفر الله و تاب إليه؛ إذ من وسائل الإصلاح التربوى فتح باب العذر لمن نربيه إذا ارتكب الخطيئة، و لو عاقبناه عليها نظرا إلى مسئوليته، ذلك لنبقى له مجالا يحتفظ فيه بصورة الكمال التى يجب أن يتصورها الناس فيه، و لنبقى له مجالا للارتقاء فى مراتب الكمال الإنسانى.

### العلاج الدينى للتخلص من وساوس الشيطان:

و للتخلص من وساوس الشيطان و تسوياته علاج دينى أرشدنا القرآن إليه، و هو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (الأعراف: ٢٠٠: ٢٠١).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٠٤

فمتى استعاذ الإنسان بالله من الشيطان و نزغته، قويت بالله إرادته، و خنس الشيطان و خاب و خسى، و حينما يقع الإنسان فى الخطيئة ثم يستغفر الله فيغفر له، فإن الشيطان يصاب بالخزى و الخيبة، و ضياع الجهد فى الإغواء ٢٠.

### نهاية الإنسان

#### \* تمهيد:

نهاية الإنسان فى الدنيا: هى الموت.

و الموت: موضوع كريمة، مزعج، لا يشجع على التفكير، أو الحديث فيه.

و قد وصف القرآن حدوثه «بالمصيبة»، فى قوله تعالى: فَأَصَابَكُمْ مِصِيبَةُ الْمَوْتِ (المائدة: ١٠٦).

و هو كريمة مزعج، لأن الإنسان بطبيعته يخشى الموت، و يحب الحياة.

وفي الحديث الشريف: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين: طول الحياة، وحب المال» ٢١. وفي أحاديث الفتن: «.. ينزع الله المهابة من قلوب عدوكم، و يجعل في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا و كراهية الموت» ٢٢.

ولذلك ينفر الإنسان من سماع هذا الاسم، و ينفر كذلك من دراسة هذا الموضوع. و دليل بسيط على ذلك: أنك تجد من الناس من يشكو مَرَّ الشكوى مما في هذه الحياة الدنيا من: ألم، و معاناة، و بؤس، و شقاء.. إلخ، لكنه رغم ذلك كله يتشبث بها بقوة، حتى إنه يستعيز بالله إذا طرقت أذنه كلمة الموت، بل إن المحتضر نفسه و هو على فراش الموت يكره أن يسمع كلمة الموت. و هذا الكلام لا يصدق على الإنسان العادي فحسب، بل إنه يصدق - كذلك - على المفكرين و الفلاسفة ٢٣.

### \* مواقف الناس من هذه النهاية:

اعلم أن المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه - لا محالة - عن ذكر الموت فلا يذكره. و إذ ذُكر به كرهه و نفر منه، أولئك هم الذين قال الله فيهم: قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (الجمعة: ٨).

ثم الناس: إما منهمك، و إما تائب مبتدئ، أو عارف منته.

أما المنهمك: فلا يذكر الموت، و إن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه و يشتغل بمذمته، و هذا يزيد ذكر الموت من الله بعدا.

و أما التائب: فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف و الخشية فيفي

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٠٥

بتمام التوبة، و ربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة و قبل إصلاح الزاد، و هو معذور في كراهة الموت، و لا يدخل هذا تحت قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه» ٢٤. فإن هذا ليس يكره الموت و لقاء الله، و إنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره و تقصيره، و هو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقاءه على وجه يرضاه، فلا يعد كارها للقاءه، و علامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له، لا شغل له سواه و إلا التحق بالمنهمك في الدنيا.

و أما العارف: فإنه يذكر الموت دائما لأنه موعد لقاؤه لحبيبه، و المحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، و هذا في غالب الأمر يستبطئ مجيء الموت، و يحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين و ينتقل إلى جوار رب العالمين.

كما روى عن حذيفة: أنه لما حضرته الوفاة قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم؛ اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إليّ من الغنى و السقم أحب إليّ من الصحة، و الموت أحب إليّ من العيش فسهل عليّ الموت حتى ألقاك.

فإذن: التائب معذور في كراهة الموت.

و هذا معذور في حب الموت و تمنيه.

و أعلى منهما رتبة: من فوّض أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا و لا حياة، بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه، فهذا قد انتهى بفرط الحب و الولاء إلى مقام التسليم و الرضا و هو الغاية و المنتهى ٢٥.

### \* حقيقة النهاية:

و قد ظن الملاحدة: أن الموت انتهاء مسار رحلة الإنسان، و الخاتمة الأبدية له، حيث لا رحلة بعده، و لا حياة و لا بعثا و لا نشورا و قالوا: إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (الأنعام: ٢٩).

و أما الحقيقة التي غابت عنهم و غابوا عنها، و التي عرفها المسلمون من كتاب ربهم و سنة نبيهم صلى الله عليه و سلم لهذه النهاية: أنها انتقال من عالم من عوالم الله- سبحانه و تعالى- إلى عالم آخر من عوالمه- عز و جل. انتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ، تمهيدا للوصول إلى الدار الآخرة. انتقال من دار الزرع إلى دار الحصاد، من دار الفناء إلى دار البقاء. انتقال من دار التكليف و العمل الدنيوي، إلى دار الثواب و العقاب الأخرى ٢٦. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (الزلزلة: ٧، ٨). الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٠٦

يقول ابن القيم: جعل الله الدور ثلاثا: دار الدنيا، دار البرزخ، دار القرار. و جعل لكل أحكاما تختص بها ٢٧.

و من هنا: فنهاية الإنسان الحقيقية ليست العدم المحض، بل انتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ، كما أخبر الحق، في قوله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠).

يقول ابن جرير الطبري: أى مهلة يمكن بها، حتى ينتقلون إلى الدار الآخرة ٢٨.

و هذه المهلة التي يمكن بها الإنسان- بعد نهاية رحلته في الحياة الدنيا، حتى يوم البعث- هي الحياة البرزخية.

و من بعدها: يكون البعث و الانتقال إلى الحياة الأبدية.

و الناس فيها: إما شقى، أو سعيد فأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكُونُونَ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَ أَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكُونُونَ (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ (هود ١٠٧، ١٠٨).

أ. د. عبد الحى الفرماوى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٠٧

الهوامش و المصادر:

(١) الراغب الأصفهاني: مفردات القرآن (مادة: إنس).

(٢) ابن منظور: لسان العرب (مادة: أنس).

(٣) محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٤) الحسين بن محمد الداغاني: قاموس القرآن، نشر دار العلم للملايين- بيروت.

(٥) الفخر الرازي: التفسير الكبير (سورة البقرة، تفسير الآية ٣٠).

(٦) انظر: (سورة البقرة، تفسير الآية ٣٠).

(٧) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية و أسسها ١/ ٣٤٢ بتصرف.

(٨) د. عبد الحى الفرماوى: صحوة في عالم المرأة ص ١٠١.

(٩) د. أحمد إبراهيم مهنا: مقومات الإنسانية في القرآن الكريم ص ٩ بتصرف، نشر: مجمع البحوث الإسلامية.

(١٠) د. أحمد إبراهيم مهنا: مرجع سابق ص ١٩، الإنسان في القرآن الكريم ص ٩٧.

(١١) عبد الرحمن حبنكة: مرجع سابق ١/ ٣٣٦. بتصرف يسير.

(١٢) أخرجه البخاري: كتاب «بدء الخلق»، مسلم: كتاب «القدر».

- (١٣) محمد بسام رشدي الزين: المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم.
- (١٤) د. أحمد إبراهيم مهنا: مقومات الإنسانية ص ١٠.
- (١٥) أخرجه البخارى: ك التفسير، باب سورة الروم، مسلم: ك القدر، باب معنى كل مولود .. إلخ.
- (١٦) انظر: عبد الرحمن حبنكة: مرجع سابق، محمد فؤاد عبد الباقي: مرجع سابق، محمد بسام رشدي: مرجع سابق.
- (١٧) عبد الرحمن حبنكة: مرجع سابق ١/ ١٨٦ و ما بعدها باختصار.
- (١٨) د. يوسف القرضاوى: الإخوان المسلمون «سبعون عاما فى الدعوة و الجهاد و التربية» ص ١٨٧ و ما بعدها باختصار .. نشر مكتبة و هبة- القاهرة.
- (١٩) أخرجه البخارى: كتاب «بدء الخلق»، باب «صفة إبليس».
- (٢٠) د. عبد الحى الفرماوى: المسلمون بين الأزمه و النهضة ص ٣٦ و ما بعدها، نشر دار التوزيع و النشر الإسلامية.
- (٢١) عبد الرحمن حبنكة: مرجع سابق ١/ ١٧٣ و ما بعدها.
- (٢٢) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب كراهية الحرص على الدنيا.
- (٢٣) د. عبد الحى الفرماوى: الموت فى الفكر الإسلامى ص ١٩، نشر: دار الاعتصام- القاهرة.
- (٢٤) أخرجه البخارى: كتاب الرقاق باب ٤١، و مسلم: كتاب الذكر و الدعاء، و الترمذى: كتاب الزهد باب ٤٠ و ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت.
- (٢٥) الإمام الغزالي: الموت و أحوال القيامة ص ٢٢، ٢٣ (تحقيق د. عبد الحى الفرماوى نشر: دار الاعتصام- القاهرة).
- (٢٦) د. عبد الحى الفرماوى: زاد الدعاء ٢/ ٢٨٥.
- (٢٧) ابن القيم: الروح ص ٨٨.
- (٢٨) محمد بن جرير الطبرى: جامع البيان عن تأويل آى القرآن (سورة المؤمنون، تفسير الآية ١٠٠).
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٠٨

## حجبة السنن الإلهية

### (١) فى رحاب القرآن الكريم

القرآن كلام الله سبحانه و تعالى لا يأتية الباطل من بين يديه و لا من خلفه ١ و منه تستمد الأحكام فى نطاق العقيدة و الشريعة، و فى أعطافه تنظيم أحوال الخلق فى دنياهم و آخرهم، لأنه سبيل الهداية و منهج الرشد، و قد جعله الله تعالى آية على صدق رسوله صلى الله عليه و سلم فى الرسالة الخاتمة التى حملها الله إياه فى كمال صدقها و إعجاز وسطيتها، و تمام إبلاغها عن رسالات الله إلى من سبقه من الأنبياء و المرسلين، و كتبهم التى أنزلها الله عليهم، و أخبارهم مع من آمنوا معهم و من كفروا برسالة خالقهم و كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً. ٢

و القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التى عليها بنيت رسالة محمد صلى الله عليه و سلم، و هى الرسالة الخالدة الخاتمة طبقاً لنص الآية الكريمة إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون. ٣

هذا المعنى يردده عدد من العلماء الذين عنوا بالدراسات القرآنية- و نعنى به المعجزة الكبرى أو الوحيدة- و يضيفون القول: بأن الرسول صلى الله عليه و سلم قد أيد بمعجزات كثيرة إلا- أن تلك المعجزات قامت فى أوقات و أحوال و مناسبات خاصة، و نقل بعضها متواترا و بعضها نقل نقلا خاصا (هكذا)، ثم يضيف هذا الفريق قائلا: و أما القرآن فهو معجزة عامة، و لزوم الحجج به باق من

أول ورودها إلى يوم القيامة. ٤

وهذا القول فيما يتصل بمعجزة القرآن الكريم صواب لا يحتمل الجدل أو النقاش، و لكن ثمة خشية فيما يتصل بالمعجزات الأخرى الكثيرة، أن يؤدي ذلك إلى التقليل من شأنها أو التهوين من قيمتها مثل معجزات النصر، ومعجزة الإسراء و المعراج خصها المولى بسورتين كاملتين هما سورة الإسراء و سورة النجم، على النحو الذي سوف نعرض له في الفصول القادمة من هذه الدراسة بإذن الله.

إن الله - سبحانه و تعالى - و القرآن و حيه و كلامه - يزكى كتابه العزيز في كثير من الآيات، و يرفع من قدره مع التسليم بتلك

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٠٩

الحقيقة من رفعة القدر في آيات أخرى كثيرة، و يجعل منه قسما - بفتح السين - على صدقه في مواقع عدة، ثم يتحدى الذين لم يؤمنوا به بآيات تخذلهم و تسفه كفرهم به، الأمر الذي يفهمهم و يؤدي إلى إيمان فريق كبير منهم بصدقه و قدسيته، و أنه كلام منزل من رب العالمين.

و إن كل من يمسك المصحف بيديه يقع بصره أول ما يقع على قول الله جل و عز:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْتُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. ٥

في هذه الآيات الأربع القصيرة شحنة نفسيه من تكريم رب العالمين و تعزيره و تقديسه لكتاب رب العالمين، فلا يمسه إلا المطهرون، الأمر الذي نزه الله به كتابه العزيز من أن يمسه بيديه إنسان على غير طهارة لأنه تنزيل منه نفيس كريم.

و لما كان القرآن الكريم كتابا ربانيا يهدي من الضلال إلى الإيمان و من الشك إلى اليقين، فإن هذه القيم تجيء واضحة جلية في

قول الحق سبحانه: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. ٦

و في السورة نفسها تتكرر النفحات الإلهية في تعزيز القرآن الكريم و وصفه بأعز وصف و أكرم توصيف في قوله جل و عز:

وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ٧

و يتولى التعزيز الإلهي في بلاغة إعجازية؛ لتثبيت النفحات الربانية التي تضمنها الكتاب العزيز حامله الإنذار لسكان مكة و من حولها، لأن القرآن الكريم نزل أول ما نزل على محمد صلى الله عليه و سلم في غار حراء في جبل النور في الطرف الشمالي لمكة، فيقول الحكيم الخبير سبحانه:

وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَ مَنْ حَوْلَهَا وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. ٨

إن أهل مكة و من حولها عرب خلص ذوو بلاغة، و أصحاب فصاحة و أرباب بيان، يتذوقون حسن القول، و يتعشقون بديع الكلام، فقد شاءت إرادة الخالق منزل الكتاب أن يغلق على أهل مكة كل باب ينكرون من خلاله صدق القرآن، و أن يسقط كل حجة يتذرعون بها للشك في جلاله هذا الوحي، الذي يسمعون من محمد الذي أجمعوا على وصفه بالأمين، فجاءت الآية الكريمة ملئية لملكاتهم البليغة فيما لو صدقوا النية، و لسجيتهم الفصيحة متى أخلصوا العزم قال عز و جل:

كِتَابٌ فَضَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨١٠

(٣) بَشِيرًا وَ نَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، و قد شاءت الإرادة الإلهية أن تكون هذه الآيات الثلاث مسبوقة بتوكيد إلهي بأن

هذا الكلام منزل من عند الله، و ذلك في قوله تعالى: تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ٩

و لتمكين هذه الحقائق في أسمع كفار قريش، المعروفة بالفصاحة و ذلك بشهادة رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قال له أبو بكر الصديق متسائلا: ما رأينا الذي هو أفصح منك يا رسول الله!! فكانت إجابة الرسول صلى الله عليه و سلم على تساؤل أبي بكر: «لأنى ولدت في قريش و ربيت في بني سعد» و المعنى النبوي: أن كلا من قريش و بني سعد أفصح القبائل و كانت نشأة رسول الله



فيهما طفلا وصبي في الأولى وشابا و يافعا ثم كهلا في الثانية، و من هنا كان وصف القرآن في الآية الكريمة قُرْآنًا عَرَبِيًّا حَجَّةً عَلَى قَرِيشٍ و تحديا غير مباشر لفصحائهم بخاصة، و لجمهرتهم بعامه.

و يتكرر في الكتاب العزيز التوصيف الإلهي للقرآن الكريم بأنه منزل بالعربية في قول الله جل و عز: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٠ و قوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١١ و قد استهلكت سورة الزخرف التي وردت فيها هذه الآية بقسم عظيم هو قوله تعالى: حم (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ثم كانت الآية التالية: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ و الآيتان الأخيرتان: آية يوسف و آية الزخرف متشابهتان شكلا و صوغا، متباينتان هدفا و غرضا، فأية يوسف إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ فيها تحد غير مباشر لكفار قريش، و أما آية الزخرف فهي إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ و لفظ جعلناه يحمل تحديا مباشرا لمنكري أن الكتاب العزيز منزل من عند الله رغم القسم الإلهي ب الكتاب المبين.

أما و قد استبد المخاطبون من العرب بفساد الرأي و قبح الإنكار فقد تحداهم منزل الكتاب- سبحانه- أن يعارضوه بما يماثله بلاغة أو يعدله حكمه و بيانا، فنزل قوله عز و جل: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. ١٢

فلم يستجيبوا بطبيعة الحال، ليس عنادا و عصية هذه المرة، و لكن عجزا و قصورا و خذلانا، فيعطيهم منزل الكتاب العلي الكبير مزيدا من التيسير بعد أن يعطيهم مزيدا من التأكيد على أن الكتاب كتابه، و أن الكلام

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨١١

كلامه فيوحى إلى رسوله صلى الله عليه و سلم قوله تعالى:

وَ مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. ١٣

ثم يتبع المولى هذه الحجج البالغة بحجة أخرى تخرس الكفار فيما يخرصون و تلجم ألسنتهم عما يكذبون فينزل قوله تعالى: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. ثم تتم الآية التالية كمال صيغة التحدي بقوله عز و جل:

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ١٤.

و يجتهد القاضي عياض- إمام المغرب- في تعليل إنكار المنكرين بقوله: «فلم يزل يقرعهم النبي صلى الله عليه و سلم أشد التقريع و يوبخهم غاية التوبيخ و يسفه أعلامهم و يحط أعلامهم و هم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجومون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتكذيب و الإغراء و الافتراء و قولهم: إن هذا إلا سحر يؤثر و سحر مستمير و إفك افتراه و أساطير الأولين و قد قال تعالى: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فما فعلوا و ما قدروا. و من تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجمعهم، و لما سمع الوليد بن المغيرة- و هو من فصحاءهم- قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ يَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ النحل: ٩٠ قال: و الله إن له لحلاوة، و إن عليه لطلاوة، و إن أسفله لمغدق، و إن أعلاه لمثمر، و ما هو بكلام بشر. و ذكر أبو عبيدة أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ الْحَجْر: ٩٤ فسجد، و قال: سجدت لفصاحة هذا الكلام، و كان موضع التأثير في هذه الجملة هو كلمة «اصدع» في إبانيتها عن الدعوة و الجهد بها و الشجاعة فيها، و كلمة «بما تؤمر» في إيجازها و جمعها. و سمع آخر رجلا يقرأ: فَلَمَّا اسْتَيْسَؤا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ١٥. قال:

«أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام» ١٦.

و في مقام إعجاز القرآن و حقيقة كونه لا يماثله كلام بشر، و أنه كلام رب العالمين الذي لا يجاريه كلام مخلوق، الحديث الذي تمثل به الشيخ ابن عاشور في المقدمة العاشرة:



ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة- أي سورة الفاتحة- بيني وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سألت، فإذا قال العبد: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قال الله تعالى: حمدنى عبدى. وإذا قال: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قال الله تعالى: أثنى على عبدى، وإذا قال:

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قال: مجدنى عبدى

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨١٢

(و قال مرة: فوض إلي عبدى) فإذا قال:

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سألت، فإذا قال:

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سألت» ١٧.

و فى تلك الدراسة القيمة التى أعدها الشيخ الطاهر بن عاشور عن إعجاز القرآن و عن كونه كلام الله و ليس كلام بشر، يضرب أمثلة عديدة لشهادة بعض عتاة الكفر قبل أن يسلموا مثل الوليد بن المغيرة- و قد أوردنا له فيما سلف وصفا للقرآن- و مثل عتبة بن ربيعة و النضر بن الحارث و غيرهم. و كان الوليد بن المغيرة يذهب متخفيا بليل إلى بيت النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتسمع تلاوة الرسول للقرآن الكريم- و كذلك يفعل أقرانه دون أن يخبر أحدهم زميله للغرض نفسه- فلما استمع الوليد إلى قراءة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «و الله ما هو بكاهن، و ما هو بزمرته و لا سجعه، و قد عرفنا الشعر كله رجزه و هزجه، و قريضه و مبسوطه و مقبوضه، ما هو بشاعر».

و كذلك فعل أنيس بن جنادة الغفارى أخو أبى ذر حين اتجه إلى مكة لسمع من النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخبر أخاه أبا ذر بما سمع، و كان أبو ذر مشوقا إلى سماع خبر عن القرآن من مصدر يثق به، و عن محمد الذى ينتزل عليه هذا القرآن، فعاد أنيس إلى أخيه ليخبره بما سمع فقال: «لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، و لقد وضعت على أقرأ الشعر- أى طرقة- فلم يلتئم، و ما يلتئم على لسان واحد بعدى أنه شعر». فأسلم أنيس و أبو ذر ١٨، و كان من شأن أبى ذر ما كان من اقترابه من رسول الله، و من حب رسول الله له ما قد امتلأت به كتب السيرة و الصحاح من كتب الحديث.

لقد برع العرب حين نزول القرآن فى فنون الأدب التى كان الشعر أهمها شأنًا و أخطرها أثرًا، كانت لهم الفصاحة فى الخطب و الأمثال و المحاورات، فجاء القرآن بأسلوب جديد صوغًا و محتوى صالحًا لأغراض الحياة كلها تضمن الجديد من أغراض فنون القول جميعًا: الخطابة و الحوار و الجدل و القصص و الرواية و الأخبار عن الأولين و ضرب الأمثال و تربية المجتمع الإسلامى تربية رفيعة تصلح شأنه فى الدنيا و تسعد مصيره فى الآخرة.

لقد آمن العرب جميعًا بإعجاز القرآن لأنه كلام الله، كما اعترفوا بعجزهم من محاكاته أو الإتيان بآية واحدة من مثله على النحو الذى فصلناه فيما سلف من قول؛ و لكن فريقًا ممن دخلوا فى الإسلام، أكثرهم من غير العرب- و إن كان الإسلام لا يفرق بين عربى و أعجمى- أطلقوا على أنفسهم «أهل العدل» و عرفوا بالمعتزلة، اخترعوا فريضة حول إعجاز القرآن الكريم أطلقوا عليها «الصرفة» و معناها أن القرآن ليس معجزا بذاته و لكن سبب إعجازه أن الله صرف العرب عن أن ينشئوا مثله، و هو رأى فاسد، و مذهب قبيح،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨١٣

فيه تناول على القرآن الكريم و منزل القرآن الكريم- سبحانه و تعالى- و ذهبت هذه الفرقة من القرآن مذاهب شتى، و ابتدعوا فتنه عذب بسببها عدد كبير من كبار علماء المسلمين و مات بعضهم فى السجن، و هذه الفتنة عرفت بفتنة «خلق القرآن» و تباها ثلاثة من خلفاء بنى العباس و بعض من شايعهم، و لكن الله لطف بكتابه و بالمؤمنين من عباده، و المتقين من علماء دينه، فلم تستمر بفتنة طويلا، بل إن المذهب نفسه أصابه الانحلال و انفض المؤمنون عن المنادين به، و لم يبق منه إلا القليل فى فكر عدد محدود من علماء المسلمين المعاصرين. فالقرآن إذن هو كلام الله الذى جعله آية على صدق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حمل الرسالة الخاتمة التى

حملها المولى إياه و القيام بتليغها إلى الخلق كافة.

إن القرآن معجز للبشر كافة إعجازاً مستمراً موصولاً على مر العصور و كثر الدهور؛ و من جملة ما شمله قول أئمة الدين: أن القرآن هو المعجزة المستمرة على تعاقب السنين، لأنه قد يدرك إعجازه العقلاء من غير الأمة العربية بواسطة ترجمته معانيه التشريعية و الحكمية و العلمية و الأخلاقية. ١٩

و لقد تحقق ذلك في زماننا هذا بقدر ملحوظ، ذلك أن عدداً غير قليل ممن قرءوا ترجمات معاني القرآن إلى لغاتهم قد آمنوا بقدسيته و أعلنوا إسلامهم و عملوا في بلدانهم في مجال التبشير بالإسلام، و يشاركوننا في مؤتمراتنا و ندواتنا الإسلامية مشاركة فاعلة و لهم الأجر من الله على دعوة قومهم إلى الله بالحكمة و الموعظة الحسنة.

و ما أطيب أن نختم هذا الفصل من الحديث عن بعض معالم القرآن الكريم بقول الله - منزل القرآن - عز و جل: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مَنَاجَا وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. ٢٠

أ. د. مصطفى الشكعة

الهوامش:

- (١) سورة فصلت الآية ٤٢.
- (٢) البقرة الآية ١٤٣.
- (٣) سورة الحجر الآية ٩.
- (٤) تفسير التحرير و التنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، المقدمة العاشرة صفحة ١٠٢.
- (٥) سورة الواقعة الآيات ٧٧ - ٨٠.
- (٦) سورة الإسراء الآية ٩.
- (٧) الإسراء الآية ٨٢.
- (٨) سورة الأنعام الآية ٩٢.
- (٩) فصلت الآيات ٢ - ٤.
- (١٠) يوسف الآية ٢.
- (١١) الزخرف الآية ٣.
- (١٢) سورة هود الآيات ١٣، ١٤.
- (١٣) سورة يونس الآيات ٣٧، ٣٨.
- (١٤) سورة البقرة الآيات ٢٣، ٢٤.
- (١٥) الضمير في استياسوا يعود على أخوة يوسف.
- (١٦) كتاب الشفا للقاضي عياض صفحة ٥٦.
- (١٧) تفسير التحرير و التنوير: المقدمة العاشرة صفحة ١٠٨.
- (١٨) المصدر السابق صفحة ١١٤.
- (١٩) تفسير الشيخ الطاهر بن عاشور المقدمة العاشرة صفحة ١٠٥.

(٢٠) المائدة الآية ٤٨.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨١٤

**(٢) مفهوم السنن الإلهية لغة و مصطلحا**

إن مادة «سنن» وردت في القواميس و المعاجم متعددة المعاني و وافرة المدلولات، متقاربة حينا و متباعدة أحيانا أخرى كثيرة، و إن استعراضها على النحو المفصل الذى ورد فى المعاجم ليس من الفائدة فى شىء فى هذا المقام، أو بالأحرى فى هذه الدراسة التى ينحصر البحث فيها فى السنن الإلهية.

يقول الفيروزآبادى: السنة- بضم السين- السيرة و الطبيعة، و من الله حكمه و أمره و نهيته، و يجىء صاحب المعجم بشاهد من الآية ٥٥ من سورة الكهف فى قوله تعالى:

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ الْكَهْفِ: ٥٥ أى معانيه العذاب. و سنن الطريق- مثلثة و بضميتين- نهجه و وجهته ١.

و يقول الراغب الأصفهاني: السنن جمع سنة، و سنة الوجه طريقته، و سنة الله تعالى قد تقال لطريق حكمته نحو: استكباراً فى الأرض و مكر السيئ و لا يحق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً و لن تجد لسنة الله تحويلاً (الآية ٤٣ من سورة فاطر) و هو تنبيه أن فروع الشرائع و إن اختلفت صورها، فالغرض المقصود منها لا- يختلف و لا- يتبدل- و هو تطهير النفس و ترسيخها للوصول إلى ثواب الله تعالى و جواره. ٢

و يعرض معجم ألفاظ القرآن الكريم المادة على النحو الآتى:

سنة الأولين: طريقهم و سيرتهم و يردف قوله بالشاهد من القرآن الكريم فى قوله تعالى فى الآية ٣٨ من سورة الأنفال: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأُولِينَ.

و سنة الله نظامه يجريه فى خلقه كما يريد:

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ٣ (الأحزاب: ٣٨).

و سنة من قد أرسلنا: طريق الله فيمن أرسلهم سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا و لا تجد لسنةنا تحويلاً. ٤

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨١٥

سنن: جمع سنة: سير و طرق: قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (آل عمران:

١٣٧) ٤٥

هذا عرض موجز لمعنى السنن الإلهية طبقا لما أوردته أهم المعاجم التى عنت بالمصطلحات القرآنية و من بينها بطبيعة الحال السنن الإلهية.

و برغم وصفنا لما عرضناه- مستمدا من المعاجم بإيجاز- فإن ما أوردته المعاجم نفسها فى هذه القضية كان بدوره شديد الإيجاز، و قد كان من المأمول أن يكون تناول المعاجم لمثل هذه المصطلحات القرآنية الهامة أكثر تفصيلا و أوفر تمثيلا، ذلك أن بعض المعاجم بل أكثرها كان يكتفى بذكر جزء مقتطع من الآية القرآنية الخاص بالمصطلح.

من ذلك على سبيل المثال: ما أورده معجم ألفاظ القرآن حين تمثل بالآية رقم ١٣٧ من سورة آل عمران، ظنا من مؤلفيه أن مجرد ذكر الآية كافيا للوفاء ببيان المصطلح، مع أن تناول الذى يفى بالغرض هو التمثيل بالآية و ما تلاها من آيات أخرى، و ذلك فى قول الله جل ثناؤه: قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَيَسِّرُوا فَمَا يَرَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ثم يكمل: هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَ لَا تَهِنُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ

الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. ٧

إن الآيات الأربع تشمل عدة سنن إلهية وليس سنة واحدة، ومثلما أن الآيات اللاحقة تحقق استكمالاً لنوعيه السنن الإلهية وأغراضها فكذلك الحال- لمن يريد استيفاء هدفه في هذا الشأن- أن يهتم بالآيات السابقة على آية «السنة» في مثل قوله تعالى:

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٨ فالآية مسبوقة بآيات ثلاث طوال في النكاح و مواطن تحريمه وهي الآيات رقم ٢٣- ٢٥ وفيها يقول المولى سبحانه: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَ خَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَاللَّاتِي أَرْضَعْتَكُمْ وَاللَّاتِي أَرْضَعْتَكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (٢٣) وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨١٦

النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرْضَاهُنَّ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (٢٤) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصِنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ بِنَاتٌ لَكُمْ كَوْنَهُنَّ نِصْفٌ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْرَبُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

بهذا المنهج يتحقق بيان السنة أو السنن التي ذكرت في الآية ٢٦ السالف ذكرها.

و في مجال دراسة لبعض السنن و إيضاح بعض ما يثار حولها من حوار أو نقاش ٩ فقد حسمها المرحوم سيد قطب بقوله: «قد تأخذنا في بعض الأحيان مظاهر خادعة لافتراق السنن الإلهية حتى نرى أن أتباع القوانين الطبيعية يؤدي إلى النجاح مع مخالفة القيم الإيمانية، هذا الافتراق قد لا تظهر نتائجه في أول الطريق، ولكنها تظهر حتماً في نهايته؛ وهذا ما وقع للمجتمع الإسلامي نفسه، لقد بدأ خط صعوده من نقطة التقاء القوانين الطبيعية في حياته مع القيم الإيمانية، وبدأ خط هبوطه من نقطة افتراقها، وظل يهبط كلما انفرجت زاوية الافتراق حتى وصل إلى الحضيض عند ما أهمل السنن الطبيعية و القيم الإيمانية جميعاً». ١٠ و يضيف المصنف قائلاً: «إن الوجود ليس موجوداً لقوانين إلهية صماء عمياء فهناك دائماً- وراء السنن- الإرادة المدبرة و المشيئة المطلقة».

و مجمل القول عندنا: أن السنن الإلهية إجبارية تجرى على المخلوقات جميعاً من أفراد و كائنات، و أن منهجنا في هذا البحث محدد بمفهوم «السنن الإلهية» طبقاً لتعريفها الذي أوردناه فيما سلف من سطور.

أ. د/ مصطفى الشكعة

الهوامش:

(١) القاموس المحيط مادة سنن الجزء الثالث طبعه مصطفى البابي الحلبي.

(٢) المفردات في غريب القرآن من مادة السين مع النون طبعه الأنجلو المصرية.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٨.

(٤) سورة الإسراء الآية ٧٧. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٨١٦ (٢) مفهوم السنن الإلهية لغة و مصطلحاً ..... ص: ٨١٤

(٥) سورة آل عمران آية ١٣٧.

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية ط، مادة س ن ن صفحة ٦٠١.

(٧) آل عمران الآيات ٣٧- ٤٠.

(٨) النساء الآية ٢٦.

(٩) يراجع فصل هل للتاريخ البشرى سنن في مفهوم القرآن في كتاب «المدرسة القرآنية» للسيد محمد باقر الصدر صفحة ٤٣ و ما بعدها طبعة بيروت سنة ١٤٠٠ هـ.

(١٠) في ظلال القرآن الكريم ١/ ١٧.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨١٧

**(٣) سنن الإيمان بوحداية الله وتنزيهه سبحانه**

إن الإيمان بالله - سبحانه - ربا واحدا لا شريك له، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر هو روح الوجود و سنام العقيدة التي على مكوناتها تستقيم شؤون الكون كله، والبشرية جزء منه.

وقد تكفّل كتاب الله ببيان ذلك في كثير من السور ما كان مكميا فيها و ما كان مدنيا، و تكتمل الوحداية و التنزيه في قوله - عز و جل - في سورة الإخلاص: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)

و كذلك يتجلى التوحيد و التنزيه في الآية الكريمة من سورة البقرة الآية ٢٥٥ التي اصطلح على تسميتها بآية الكرسي و هو قوله عز و جل: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

و في الساحة الإيمانية التنزيهية الموحدة يأتي قول الله - جل و عز - في سورة الحشر الآية ٢٤: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. فالآية تجمع بين التوحيد و علم الغيب و الشهادة، و التنزيه بذكر خمسة عشر اسما من الأسماء الحسنى التسعة و التسعين، و يستطيع المتأمل الراشد أن يتبين كم من صيغ التوحيد و التنزيه مفردة و مجتمعة حفلت بها الآية الكريمة من كتاب الله.

ثم يعظم من شأن الألوهية و حتمية وجودها: شهادة الخالق - جل جلاله - مقرونه بشهادة ملائكته و علماء بنى الإنسان الذين كرمهم بذكر شهادتهم تالية لشهادته تباركت أسماؤه، مؤكده و حدانيته، و أن الدين عند الله هو الإسلام. يقول الحق تبارك و تعالى في

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨١٨

هذا الشأن: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١.

ثمت بيان آخر في الآية حول أهل الكتاب و إصرارهم على كفرهم بعد ما جاءهم من صريح العلم بأن الدين عند الله هو الإسلام و هذا الإصرار مصدره الإصرار على مقام السيادة و الرئاسة على قومهم و حسدهم بعضهم بعضا.

و تجيء هذه السنة الإلهية في صيغة إيمانية فيها مزيد من الشمول و كثير من التفصيل في قول الله تعالى: قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٢.

و من الآيات القرآنية التي تحمل سنن الله في كمال الإيمان غير المشوب بما يعكر صفوه و ينزهه عن الشوائب «آية البر» التي تتجمع في أعطافها جواهر الإيمان و عناصره الأصيلة التي تجعل ممن يعمل بها مؤمنا بمفرداتها ممارسا لسائرهما، قول الله جل ثناؤه: لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ

ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ٣.

إن لهذه الآية طبيعة خاصة في أنها تنبه إلى فعل الخير وأنه ليس مقصوراً على إقامة الصلوات، وأداء الفرائض وحسب، وبذلك يظهر المؤمن أنه قد أدى واجبه نحو ربه وأنه أدى ما عليه من دين، ولكن الأمر أوسع من ذلك بكثير، إن الأمر يتمثل في تلك التوجيهات الربانية والتوجيهات الإيمانية التي قدمها القرآن الكريم واضحة المعالم والقسمات ظاهرة المعاني والتفصيلات في نص تلك الآية الكريمة من سورة البقرة.

أ. د/ مصطفى الشكعة

الهوامش:

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٨، ١٩.

(٢) سورة آل عمران الآيتان ٨٤، ٨٥.

(٣) سورة البقرة ١٧٧.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨١٩

#### (٤) جزاء الإيمان بالله و ثوابه

إن الإيمان بالله نعمه كبرى ونفحة مباركة عظيمة فإن للمؤمنين حسن الجزاء من الله، وهو جزاء جميل في الدنيا و جليل في الآخرة، فهو في الدنيا شعور بحلاوة الإيمان التي تقود إلى العيش في حياة راضية و نفس مطمئنة، و سعادة أخرى برضى الناس عنهم و الثقة فيهم و التقرب إليهم، هذا فضلاً عن ذلك السياج الصالح الذي تعيش في إطاره أسرهم من أزواج و أبناء و حفدة و كونهم عنواناً للخير و مثالا للصلاح، و أما جزاؤهم في الآخرة فجنات عرضها السموات و الأرض أعدها الله لهم و لأمثالهم من المتقين.

و يضرب الله الأمثال لهؤلاء المؤمنين المتقين في الكثير من آيات كتابه العزيز كما في قوله عز و جل: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَشْتَرِ الْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ١.

إن هذه الآيات المباركات بسلاسة أسلوبها، و عقب نفحاتها، و صدق كلماتها، و إعجاز بيانها و نفاسة محتواها، و قداسة و عودها، و جلاء لفظها، و نضرة وقعها في الأسماع و القلوب، كيف لم تطرق أسماع من تليت عليهم طرق المستجيب و وقع المستنير؟ و لكنهم بسبب عمق كفرهم و شراسة إعراضهم ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة و لهم عذاب عظيم ٢.

و في سورة أخرى من سور سنن مكافأة المؤمنين و حسن جزائهم يقول جل و عز:

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٢٠

و الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٣.

إن مجموعات الآيات التي تحمل سنن الله في حسن الجزاء يمكن أن نعدها آيات مبشرة معلّمة؛ لأنها دائماً تبشر بعمل الخير، و تدعو



إلى كمال الإيمان و التقوى و صالح الأعمال، و قد شاءت الإرادة الإلهية أن تكون صياغتها و ألفاظها ذات إلف و إيقاع و حسن تقبل فى الأسماع و القلوب.

و يضم القرآن الكريم عشرات من الآيات المفردة المبشرة بحسن الجزاء بحيث لا تكاد تخلو سورة من آية أو أكثر من هذه الآيات المباركات، و الله - سبحانه - فضلا منه و كرما - يضى على صياغتها الإلهية ما يجعل لها القبول نفسه الذى تحظى به مجموعات الآيات المتتالية التى نزلت فى هذا الغرض و التى منها على سبيل المثال قوله جل و عز:

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٤.

وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُنزِلَ بِهِ مُتَشَابِهًا وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٥.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَ عَدَدَ اللَّهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ٦.

وَ أَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ٧.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأْيَمَانِهِمْ بِشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٨.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهْرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ٩.

أ. د/ مصطفى الشكعة

الهوامش:

(١) سورة فصلت الآيات ٣٠ - ٣٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٧.

(٣) سورة الرعد الآيات ١٩ - ٢٢.

(٤) سورة التوبة الآية ٧٢.

(٥) البقرة الآية ٢٥.

(٦) سورة النساء ١٢٢.

(٧) سورة إبراهيم الآية ٢٣.

(٨) سورة الحديد الآية ١١.

(٩) سورة القمر الآيتان ٥٤، ٥٥.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٢١

### (٥) سنة الله مع الكفر و الكافرين

لقد أوضحنا السنة الإلهية مع المؤمنين، و لما كان فريق كبير من الناس أرسل الله إليهم رسله ليؤمنوا به ربًا و احدا لا شريك له و بملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر، فلم يستجيبوا لدعوة الإيمان و ظلوا يتخبطون فى سراديب الكفر و ظلام الضلالة، فقد عنى القرآن الكريم بوصف حالهم و تصوير عصيانهم و كشف كيدهم عدوانا على الأنبياء و إيذاء للمؤمنين، مع تكرار دعوة الإيمان المكلفة بالعتو و الغفران، و ترك لهم الخيار فاختاروا طريق جهنم و انحازوا إلى سبيل الغواية الذى يؤدى بهم إلى نار الجحيم.





بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ. ٧

لقد حفل الكتاب العزيز بآيات كثيرة مبثوثة في مكانها الملائم لها في عدد كبير من سوره، و لكن لما كان لهؤلاء المنافقين من خطر على دعوة الإيمان و من زرع بذور الفتنة بين جموع المؤمنين فقد شاءت الإرادة الإلهية أن تفضحهم، و تستهزئ بهم بصورة متكاملة، دقة وصف و كمال بيان، و جمال عرض، و إعجاز أسلوب، في هذه المجموعة المتفردة من آيات كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فخلفت عارا لكل منافق، و سببه لكل مخادع عند كل من وقعت عيناه عليها من الذين يتلون كتاب الله إلى أن يرث الله الأرض و من عليها و يوم يبعثون.

أ. د/ مصطفى الشكعة

الهوامش:

(١) سورة الجاثية الآيات ٣- ١٠.

(٢) النساء الآيات ١٦٧- ١٦٩.

(٣) سورة محمد الآية ٣٤.

(٤) النساء من الآية ١٣٦.

(٥) النساء الآيات ١٣٧- ١٣٩.

(٦) سورة النساء الآية ١٤٥.

(٧) سورة البقرة الآيات ٨- ١٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٢٤

## (٦) توصيف القرآن لطوائف الكافرين

إن القرآن الكريم حين تناول الكافرين بالحديث عنهم فإن منزلته - عز و جل - لم يترك كبيرة و لا صغيرة عن هذه الطوائف إلا و قد سجل ألوان الضلال التي اتصفت به، و أنواع الشرك الذي مارسه، و فنون الإفك التي اقرتها، و حيل النفاق التي خاضت في مزلقها، و أكاذيب الخداع التي أصرت على الاستمسك بها، و الضلالات التي تروت في أعماقها.

لم يكن ذلك - و حاشا لله - افتراء عليهم أو افتئاتا على فضائل صنعوها أو خيرات قدموها؛ و لذلك و صفتهم آيات الكتاب العزيز بالمشركين، و الكفار، و أهل الضلالة، و المنافقين، و أتباع الشيطان، و الخاسرين، و غير ذلك من صفات أهل النار، و من ثم كانت الأمثال التي ضربت لحماقاتهم و كفرهم من السمو و الإعجاز بمكان يقول الله سبحانه في تقبيح فكرهم و الاستخفاف بعجزهم: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ. ١

إن هؤلاء الكفار من الغباء و العجز بحيث لا يستطيعون خلق ذبابه و هي من أضعف مخلوقات الله و أقلها شأنًا، بل إن تلك المخلوقة الضعيفة لو سلبتهم شيئًا فإنهم يعجزون عن استرداده، و مع ذلك فإنهم يكفرون بعبادة الله، ثم تفرع الآية التالية أسماءهم لعلهم

يعقلون، و هي قوله جل و عز: ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ.

و لكن لقد ضلت أفئدتهم و قست قلوبهم و عميت أبصارهم و بصائرهم فلم يؤمنوا.

و يضرب الله مثلا- آخر لجمود هؤلاء المكابرين و عناد أولئك الضالين الذين هم على شاكله سابقهم في المثل السابق، و في هذا المثال ييسر على هؤلاء الضالين طريق الإيمان في آيتين، و يردف بآية توصيف حال هؤلاء الكافرين بآية ثالثة تظهر إصرارهم على الضلال، ثم يختم بآية رابعة لعلها توقظ حس الإيمان في قلوبهم و نور اليقين في أفئدتهم و لكنهم لا يهتدون: لقد قَدَّت قلوبهم من صخر، و سلبت بصائرهم فطرة الإيمان.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٢٥

يقول الله عز و جل: هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَيُثَبِّتُ السَّحَابَ الثَّقَالَ (١٢) وَيَسْبِغُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَ هُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ. ٢

يقول ابن عباس ٣ في يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا أى: خوفا من الصواعق و طمعا في الغيث الذى يعقب البرق فيحى الأرض و ينبت الزرع. وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ أنه تعالى شديد القوة و البطش و النكال، القادر على الانتقام ممن عصاه.

بعد هاتين الآيتين اللتين تجمعان بين الوعد و الوعيد و إظهار نعم الله الخالق و قدرته على البطش بالكافرين، تجيء الآية التى تصف من لا يستجيبون لدعوته- سبحانه- و هي دعوة الحق له دَعْوَةُ الْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَ مَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ ظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ ٤.

لقد ضلت أفئدتهم، و قست قلوبهم، و عميت أبصارهم و بصائرهم فلم يؤمنوا.

و مثل آخر يضربه الله سبحانه لأعمال الكفار التى قد يكونون قصدوا بفعلها الخير فى الدنيا؛ من صدقة مبدولة أو صلة ذى رحم و بيان أنه لا- فائدة منها ما دام فاعلها أو فاعلوها عاشوا على الكفر و الإشراك بالله، فمثلها مثل الرماد فى يوم عاصف ذهب ربحه به فى الهواء، و من ثم فإن أعمال الكفار لا يقبلها الله بل يحرقها كما تمحق الريح الرماد فى يوم اشتدت رياحه و هاجت عواصفه، يقول رب العزة جل ثناؤه: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ٥.

و من لطف الله و رحمته يتبع سبحانه هذه الآية- مثلما حدث مع مثيلات لها فى مثل هذا الموقف سبق لنا التمثل بها- بآية تحمل التوجيه الحميد و تهدى إلى الإيمان لو كانوا يعقلون، فيقول جل من قائل: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ.

و لكن القوم ضلت قلوبهم و قست أفئدتهم و عميت أبصارهم و بصائرهم فأصروا على الكفر و لم يهتدوا.

و فى سورة النور يضرب الله مثلين فى آيتين متتابعتين لأعمال الكفار التى لا طائل من وراء

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٢٦

بذلها ما داموا على كفرهم- إذ لا ثواب للكافرين- و الآيتان هما قوله عز و جل: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعِهِ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَ وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كظلمات فى بحر لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ٦.

و هذان المثالان من آيتى النور لهما مكانة خاصة و مقام متميز بين مثيلتهما من الآيات التى تمثل أعمال الكفار و طبيعتهم- أستغفر الله فكلام الله جميعه على أوفى صورة من التميز- و لكن هاتين الآيتين مسبوقتان بأربع آيات جلييلة ترشح للدخول إليهما، ثم تتبع الآيتين

موضع التمثيل آيتان أخريان تمثلان خاتمتين إيمانيتين تمجدان الذات الإلهية و تحملان من يقرأها إلى مقاصد الرشاد و سبل الإيمان. فأما الآيات الأربع السابقة على آيتي توصيف أعمال الكفار فهي قول الله - عز و جل - عن ذاته العلية في أولها: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ & وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٧.

إن الآية الأولى من هذه الآيات الأربع لو قرئت على شخص أُمى قد تغيب عنه معاني بعض ألفاظها فإن قلبه يفتح لذكر نور الله إيمانا و طهرا، فما بالنال لو قرأها عالم بمعانيها و ما تضمنته من إعجاز نوراني و بهاء إلهي، و أما الآيات الثلاث الأخرى فتجمع ثلثة من عناصر الإيمان جمعها الله سبحانه فيها، مثل بيوت الله و هي المساجد ذات المقام الأسمى عند المؤمنين فيها يؤدون الصلوات و يسبحون بحمد ربهم، و هم الذين يسعون في طلب الرزق حلالا عن طريق التجارة التي لا تلهيهم عن ذكر الله و أداء شعائره: إقامة صلاة و إيتاء زكاة و أمرا بالمعروف و نهيا عن المنكر يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٢٧

ثم بعد هذه الآيات المضيئة يضرب الله المثليين لأعمال الكفار في آيتين: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعِهِ يَخِيبُ الظَّمآنُ مَاءً إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. و المعنى: أن أعمال الكفار التي يعملونها في الدنيا بحسبانها أعمالا صالحة نافعة لهم في الآخرة، لن تجدى فتىلا، فهي كالسراب الذي يظنه الظمآن ماء و هو ليس بماء بل ليس بشيء حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَ وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ أَى حساباه على كفره بربه.

و الآية الثانية أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا و المعنى، أن أعمال الكفار لا تنفعهم، بل إنها كظلمات كثيفة في بحر عميق مائج هائج يعلوه سحب، فإن تراكم طبقات الموج مع طبقات السحاب يحجب الضياء، حتى إن الكافر لا يكاد يرى كفه إذا أخرجها. و ليس أشد ظلمة من ظلمة الموج لمن مارس الأسفار في البحار و المحيطات، و هذا التشبيه العجيب في نظر الإنسان، و بخاصة إنسان عصر المبعث، حقيقة مخيفة، و أما في العصر الحديث فقد حملت بحارا غير مسلم إلى الإيمان بالله بعد أن قرأ الآية الكريمة في ترجمته لمعاني القرآن خاصة بعد أن عرف أن محمدا لم يجرب ارتياد البحار القريبة فضلا عن عبور المحيطات التي تحدث فيها هذه الظاهرة.

لقد ختم الله الآية الكريمة - و عمادها وصف كلمة البحار و المحيطات - بقوله عز و جل: وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ وَ ذَلِكَ تَعْقِيًا عَلَى ظَلَامِ عَمَلِ الْكُفَّارِ.

و في اجتهاد بعض المفسرين لهاتين الآيتين:

أن الله ضرب المثل الأول لعمل صالح قام به الكافر فمثل له بالسراب الخادع، و ضرب الثاني و مثل له بالظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض لاعتقاده السيئ و ذلك في الختام الرائع وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ٨

إن من المبهر في السنن الإلهية في المثليين المتتاليين سالفى الذكر حيال تصوير أعمال الكفار أنهما قد سبقا بآيتي اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ و أنهما أتبعتا بثلاث آيات إيمانية تسبح له في أولها - السموات و الأرض، و الطير السابحات الصافات بين السماء و الأرض - و تفرد الآية الثانية أن لله ملك السموات و الأرض، و تشرح الآية الثالثة قدرة الخالق على خلق السحاب و مراحل تكوينه حتى يصير ركاما ينزل الغيث

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٢٨

من خلاله كما ينزل مع الغيث جبالا من البرد مقرونة بسنا برقه الذي يكاد يذهب بالأبصار، وذلك في قوله جل وعزَّ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَيِّحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ٩.

تلك أمثلة قليلة عن توصيف المولى - جل و علا - لأعمال الكفار، وهو - جل جلاله - لا يقدم توصيفا لعمل من أعمال الكافرين إلا و يقدم قبله آية أو آيتين إيمانيتين ترشح قارئها للإيمان رحمة منه و عدلا، و تنبيها للقلوب المغلقة، و إيقاظا للنفوس النائمة في ظلام الضلال.

فأما المثال الأخير المكون من عمليين و توصيفين متتابعين لأعمال الفئات الضالة فقد قدم - جل جلاله - قبلهما آيتين باهرتين، إحداهما: يوضح فيها نور ذات، و يذكر بيوته المأهولة بمرتاديه من عباده المؤمنين الصالحين. ثم يختم الآيتين - موضع التوصيف و المؤاخذه - بثلاث آيات باهرات هادية إلى اليقين داعية إلى الإيمان.

و لكن القوم ضلت قلوبهم و قست أفئدتهم، و يبست مشاعرهم و عميت بصائرهم فأصروا على الكفر و باءوا بخسران مبین. أ. د/ مصطفى الشكعة هوامش:

- (١) سورة الحج الآية ٧٣.
  - (٢) سورة الرعد الآيتان ١٢، ١٣.
  - (٣) صفوة التفاسير ٧٦ / ٣.
  - (٤) سورة الرعد الآية ١٤، ١٥.
  - (٥) سورة إبراهيم الآية ١٨.
  - (٦) سورة النور الآيتان ٣٩ - ٤٠.
  - (٧) سورة النور الآيات ٣٥ - ٣٨.
  - (٨) صفوة التفاسير ٣٤٨ / ٢ - سورة النور آية ٤٠.
  - (٩) سورة النور الآيات ٤١ - ٤٤.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٢٩

## (٧) تتابع سنتي الإيمان و العصيان في آية واحدة أو أكثر

و من السنن الإلهية الإيمانية في القرآن الكريم أن تأتي سنة الإيمان و جريرة العصيان في الآية الواحدة أو في آيتين متجاورتين رحمة من الرحمن الرحيم بخلقه من بنى الإنسان، حيث يضع الحسن و القبيح متجاورين، و ينزل الإيمان و الكفر متتاليين حتى يكون العبد على بينة من أمره، من آمن بالخير اتخذ طريقا، و من ارتضى العصيان فهو المسئول عن سوء ما ارتضى، و الآيات في هذه السنة كثيرة شأنها في ذلك شأن آيات الإيمان و شأن آيات فضل الله على العباد، و لأن هذا النوع من الآيات يبين رحمة الله بخلقه و عدله بين عباده، فقد رأينا أن نقدم نماذج منها، و هذه النماذج و إن تكن قليلة بالقياس إلى ما حفل به الكتاب العزيز منها، فإن قليلا من الخير في أحيان كثيرة يغنى عن كثيره، و إن كانت هذه القاعدة لا يجمل بنا أن نجعلها مقياسا و نحن نتعامل مع القرآن الكريم، كلام الله

الذى أنزل على سيد خلقه و خاتم رسله و أنبيائه.

يقول الله عز و جل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لَتُنظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ. ١  
و يقول الله - عز و جل - فيمن استجابوا لرهبهم و الذين لم يستجيبوا: لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَ مَا لَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ. ٢

و فى الفرق بين طلاب الدنيا و طلاب الآخرة يقول عز و جل: مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٣٠

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ٣.

و الذى يستوقف القارئ المتمعن فى هذه الآيات هو أن منزل الكتاب جلت قدرته حسم القضية فى آية واحدة هى أولى الآيات الثلاث فى إيجاز و إعجاز، ثم يتبع فى الآية الثانية بقصر الكلام على طلاب الدنيا فى إطار من التوبيخ و الوعيد، و تكمل أولى كلمات الآية الثالثة وصف حال الظالمين بما يشبه الإشفاق؛ ثم تكون بقية الآية تنويجا لحال من أرادوا حرث الآخرة بأنهم فى روضات الجنات لهم ما يشتهون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير فستان - فى القول الإلهي - بين حال الفريقين: لطلاب حرث الآخرة روضات الجنات، و للآخرين عذاب عظيم.

و لمن يسلم وجهه إلى الله، و عن من يكفر، يقول رب العزة: وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَ إِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) وَ مَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ٤.

و لا ينبغي لنا و نحن بسبيل العيش فى رحاب كلام الله ألا نشير إلى أن هنا خطابا من العزيز الحميد موجه إلى حبيبه و رسوله يخفف عنه بعض ما يمكن أن يكون قد لحقه من حزن ألم به لإصرار بعض أهل الكتاب على شركهم، يجادلون فى توحيد الله و صفاته بغير علم أو برهان. إن أحد أكابر المفسرين (القرطبي) قال: إن الآية نزلت فى يهودى جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: يا محمد، أخبرنى عن ربك من أى شىء هو؟ فجاءت صاعقه فأخذته ٥. و هنا ينبغي أن نذكر أن الآيتين موضع الاستشهاد مسبوقتان بآيتين كاشفتين هما قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نُنَبِّئُكَ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ٦.

و من السنن الحسنة و السيئة التى مثل الله لها فى آيتين متجاورتين الكلمة الطيبة و الكلمة الخبيثة، فالأولى دالة على الخير و الإيمان، و الثانية دالة على الخبث و الكفران، و فى ذلك يقول الله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْمَلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَ يُضْرَبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٣١

الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ٧.

و إن ما قد عود الله عباده عليه من قارئى كتابه العزيز، أن هذا القبيل من الآيات التى تتجاور فيها آيات الإيمان مع آيات الكفران تكون مسبوقة حينا بمدخل إيماني يتمثل فى آية كريمة، و حينا آخر تكون مسبوقة بآية أو آيات إيمانية متسقة مع روح الآية التالية لها ثم متبوعة بآية أو آيات تعزيزية كما هو الحال فى آيات سورة النور التى سبق التمثيل بها، و كما هو الحال هنا فى آيات الكلمة الطيبة



و الكلمة الخبيثة، فأية الكلمة الطيبة مسبوقة بأية يقول الله سبحانه فيها:

وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ. و آية الكلمة الخبيثة جاءت تالية لها آية في إطراء و تثبيت للمؤمنين و إنذار و وعيد للظالمين في قوله تعالى: يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدُلُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُيُوتِ وَجَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ. ٨

إن خير ما نختم به هذا الفصل هو قول الله تعالى: مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا.

أ. د. مصطفى الشكعة

الهوامش:

(١) سورة الحشر الآيات ١٨ - ٢٠.

(٢) سورة الرعد الآية ١٨.

(٣) سورة الشورى الآيات ٢٠ - ٢٢.

(٤) سورة لقمان الآيات ٢٢ - ٢٤.

(٥) القرطبي ١٤ / ٧٤.

(٦) الآيتان ٢٠، ٢١ من لقمان.

(٧) سورة إبراهيم الآيات ٢٤ - ٢٧.

(٨) سورة إبراهيم الآيات ٢٧، ٢٩.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٣٢

## (٨) سنن الخلق

### إشارة

الله - سبحانه و تعالى - هو الخالق البارئ المصور، إنه خالق كل شيء بديع السماوات و الأرض أنى يكون له ولد و لم تكن له صاحبة و خلق كل شيء و هو بكل شيء عليم (١٠١) ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) .١

لقد أكرمنا الله - سبحانه - و نحن نستعرض في القرآن الكريم الآيات التي تحمل سنن الخلق و هي كثيرة و خصيبة و هادية و مرشدة و كافية و شافية و مقنعة و معجزة، و وقفنا أمامها كما ينبغي للعبد أن يقف أمام كلمات خالقه، خالق الكون بكل ما فيه، و تحيرنا بأى الآيات نبدأ هذه الشريحة من آيات سنن الخلق، فإذا بنا و نحن نقرأ سورة الأنعام و ما حفلت به من سنن الخلق تقع أعيننا على الآيتين سألتي الذكر و فيهما تتكرر عبارة خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْآيَةِ الْأُولَى يقول جل و عز: أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ، و في الآية الثانية يقول عز و جل: ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ فَاسْتَخِرْنَا اللَّهُ وَ جَعَلْنَا الْآيَتِينَ اسْتِهْلَالًا لِلْحَدِيثِ عَنْ سُنَنِ الْخَلْقِ.

و إنه بسبب و فرة آيات سنن الخلق و ثرائها في نطاق القداسة الربانية رأينا أن نتناول ما يتيسر تناوله منها في نطاق الآيات التي



يمكن أن نطلق عليها الآيات الكونية، والجانب الآخر هو نطاق الإنسان و ما يتصل به باعتبار أن الله - سبحانه - كرمه بين خلقه و استخلفه في أرضه، و سخر له كل شىء.

### سنن الله في الآيات الكونية:

إن كل الآيات الكونية متضمنة «خلق السموات و الأرض» إذ منهما يتشكل الكون الذى عرف الإنسان منه النزر اليسير، و غاب عنه الكثير الوفير، و بمضى الأزمنة يكشف الإنسان ما يتيسر له اكتشافه بالعقل الذى وهبه الله إياه و العلم الذى فرض الله عليه طلبه. و الذى يلاحظه قارئ آيات الكتاب العزيز:

أن الآيات الكونية بعد أن يذكر فيها خلق السموات و الأرض، يجدها مليئة بعد

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٣٣

ذلك بالعديد المتباين من سنن الله خلقا و إبداعا.

يقول الله جل شأنه: **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٢.**

بعد استهلال الآية بذكر الله للسموات و الأرض، نجد أيضا من نعم الله التى أنعم بها على خلقه من نزول الغيث و إخراج الثمرات و تسخير الفلك للإنسان تجرى به فى البحار، بل و سخر لهم الشمس و القمر دائبين، و سخر الليل و النهار فلكل منهما شأن ثم أجابهم الله إلى كل ما سأله من نعمه التى يعجزون عن إحصائها.

و على النسق نفسه من ذكر سنن الله فى خلقه، و إسباغ نعمه عليهم يقول الله عز و جل: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ٣.**

إن هذه الآية من سورة البقرة، تحمل من الألفاظ و المسميات كثيرا مما تحمله الآيات السابقة من سورة إبراهيم، و من ثم يذهب الظن بل اليقين عند بعض من لا يعرفون العربية و بخاصة من المستشرقين، أن فى القرآن الكريم ما يطلقون عليه ظاهرة التكرار، و قد وقع فى الخطأ نفسه بعض أبناء المسلمين ممن درسوا على تلك الطائفة من المستشرقين، و غاب عنهم أن اللفظ الذى تكرر فى آيات سورة إبراهيم و آية البقرة، يودى وظيفة تختلف من حيث الهدف و المنهج عن تلك الوظيفة التى أدتها هناك، فالماء فى الآيات الأولى نزل على أرض خصبة فأخرج من الثمرات رزقا، و الماء فى الآية الأخرى نزل على أرض ميتة فأحياها لتكون صالحة للغرس و الإثمار، و الفلك فى الآية الأولى مسخرة بأمر الله لنفع الناس، و الفلك فى الآية الثانية تجرى أيضا بما ينفع الناس.

و لكن الهدف من ذكرها هنا كونها آية لبرهان على قدرة الله عند القوم الذين يعقلون، و كذلك الشأن فيما يتعلق بذكر الليل و النهار، فإن ذكرهما فى الآيات من سورة إبراهيم نعمه سخرها الله للناس على النحو الذى بيناه هناك، و أما ذكرهما فى آية البقرة فإنما

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٣٤

جاء على سبيل الإقناع إذ الهدف من ذكرهما هو أن كلا من الليل و النهار يخلف أحدهما الآخر بصورة دائمة لا تتبدل و لا تتوقف، و مثل ذلك كثير فى آيات الكتاب العزيز التى لا يفقهها إلا من توفرت لديه أدوات فهم اللغة العربية، فضلا عن أن ثمة شروطا كثيرة حددها علماء الأمة ينبغى توفرها عند من يعرض لتفسير القرآن الكريم.

نعود مرة أخرى إلى المنهج الذى سرنا عليه فى ارتباط ذكر خلق السموات و الأرض فى آيات كتاب الله الكونية لتمثل بقول الله عز

و جل: إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ٤.

و إن وقفه التدبر هنا موقعها معجزة خلق الكون، ممثلا في السموات و الأرض في ستة أيام، ثم الاستواء على العرش، و في تتابع الليل و النهار بصورة أكثر تفصيلا، و هي كون الليل و النهار يغشى أحدهما الآخر حيثما؛ أي أن الليل يغطي على النهار فيذهب بضوئه و يطلبه سريعا حتى يدركه. ٥

و إذا كان الكون كله من إبداع الخالق الأعظم، فمن المقطوع به أن الشمس و القمر و النجوم مسخرة جميعا بأمر الله، و الآية جميعها موقوفة على الجزء السماوى من سنن الله الكونية؛ إعجازا و إدراكا لجميع البشر، و من ثم كان ختامها متسقا مع مدلولاتها و ذلك بقول الله تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

و معجزة الخلق في ستة أيام يراها القرطبي أنها مثيلة لأيام الدنيا و يقول: «لو أراد لخلقها في لحظة، و لكنه سبحانه أراد أن يعلم العباد التثبت في الأمور» ٦.

و في آية أخرى يقول- جل و عز- لتأكيد فترة الخلق في ستة أيام: وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ لَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) ٧.

و موقع التدبر هنا أن عرش الله كان على الماء، و يرى الزمخشري أن العرش و الماء كانا مخلوقين قبل السموات و الأرض ٨، فإذا عدنا إلى الماء موضع التدبر وجدنا في الآية توييحا لكفار مكة لأنهم ينكرون البعث و النشور.

و من الآيات الكونية المترعة بالسنن الإلهية- بدون ذكر خلق السموات و الأرض- قول الله عز و جل: وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ (٣٧) وَ الشَّمْسُ تَجْرِي

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٣٥

لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَمَّا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ٩.

تضم هذه الآية أربعة عناصر تمثل سننا إلهية، و هي موضوع اهتمام الخلق جميعا، إنها الليل و النهار و الشمس و القمر، و ليس عجا أن كل اثنين من هذه المعالم الأربعة مرتبط بقرين له، فالليل و القمر مرتبط أحدهما بالآخر، و كذلك النهار و الشمس مرتبط كلاهما بالآخر، و هي جميعا تمثل سننا إلهية ذكرت كل واحدة منها في القرآن الكريم عشرات المرات.

و فيما يتعلق بذكر الليل و النهار، فإن ثمة نوعا من التكافؤ حادث بينهما إذ لا غنى للعيش بدونهما، و إذا كانت آية الأعراف تضمنت قوله تعالى: يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ حَسَبًا مَرَّ بِنا قَبْلَ قَلِيلٍ، فإن الأمر يختلف هنا، إذ يقول المولى عز و جل: وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ، و ليس ذلك من قبيل التضاد، و إنما هو من قبيل الموازنة و المساواة بين قيمة كل من الليل و النهار.

و أما ذكر الشمس و القمر مقترنين أحدهما بالآخر، فتلك من سنن الله الخالدة الباقية إلى أن تقوم الساعة، و يتجلى ذلك في قوله عز و جل: وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩).

و إذا كان بعض المفسرين لم يصل اجتهاده إلى المعنى القرآني، فإن المفسرين المحدثين قد وفقوا إلى المراد من الآية؛ و هو أن الشمس تدور حول نفسها، و كان المظنون أنها ثابتة في موضعها و لكن عرف أخيرا أنها ليست مستقرة في مكانها، و إنما هي تجرى في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل، و لا بأس بهذا التفسير، و إنما نحن نوضح أنها في سيرها محكومة بالمجرة التي تضم ملايين الشمس الأخرى، و لعل شمسنا التي أطلعنا الله عليها، و التي جعلها مصدرا من مصادر حياتنا هي- على ضخامتها الهائلة- من أصغر شمس المجرة التي تحتويها و تعرف بمجرة سكة اللبان، و هذه المجرة التي لا- تعرف بدايتها من نهايتها، هي واحدة من ملايين

المجرات التي يضمها الكون الذي خلقه الله جلت قدرته بغير حدود.

هذا وإن الشمس في جريانها تتحرك بقدره السميع العليم. ولا يفوتنا في هذا المقام الذي جرى فيه توصيف الشمس، أنها مسخرة هي والقمر لعوامل أرادها لهما الخلاق

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٣٦

العظيم وذلك في قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ١٠.

ولعل من خير ما جاء به المفسرون من قدامى ومحدثين في هذا المقام، هو ما قال به أخونا في الله الشيخ محمد على الصابوني برغم إيجازه الشديد: «أن الله - سبحانه وتعالى - ذلل الشمس لمصالح العباد، كل يسير بقدرته - تعالى - إلى زمن معين هو زمن فناء الأرض» ١١.

على أن أحدث ما كتب في شأن سنة الله في تسخير الشمس والقمر، وأقربه إلى المراد القرآني هو ما سطره أخونا في الله الدكتور زغلول النجار بقوله: «من معاني تسخير كل من الشمس والقمر ضبط حركة كل منهما لما فيه صلاح الكون واستقامة الحياة على وجه الأرض، ومن معاني أن كلا - منهما - يجري إلى أجل مسمى أن الكون ليس بأزلي ولا بأبدي، بل كانت له في الأصل بداية تحاول العلوم المكتسبة تحديدها، وكل ما له بداية لا بد وأن تكون له في يوم من الأيام نهاية، لها من الشواهد الحسية في كل من الشمس والقمر ما يؤكد على حتميتها، والحقائق القاطعة بتسخير الشمس عديدة جدا منها:

(١) الاتزان الشديد بين تجاذب مكونات الشمس وتمدها ... وقد بقيت الشمس مستمرة في الوجود تحت هذا التوازن العجيب على مدى عشرة بلايين من السنين على أقل تقدير وإلى أن يرث الله - تعالى - الكون ومن فيه، ولو لا هذا التوازن الدقيق لانفجرت الشمس كقنبلة نووية عملاقة أو لانهارت على ذاتها تحت ضغط جاذبيتها خاصة وأنها مجرد كرة ضخمة من الغازات.

(٢) تسخير طاقة الشمس من أجل ضبط حركة الحياة على الأرض، ذلك أن الشمس تطلق من مختلف صور الطاقة ما يقدر بحوالي خمسمائة ألف مليون مليون مليون (ثلاث مرات) حصان في كل ثانية من ثواني عمرها، ويصل إلى الأرض من هذا الكم الهائل من الطاقة حوالي الواحد في الألف، وبدون هذه الطاقة الشمسية تستحيل الحياة على كوكبنا؛ لأن كلا من النبات والحيوان والإنسان يعتمد في وجوده بعد إرادة الله الخالق - سبحانه وتعالى - على قدر الطاقة الذي يصله من أشعة الشمس، كذلك وإن كل الظواهر الفطرية التي تحدث على الأرض وما حولها تعتمد على الطاقة القادمة إلينا من الشمس، فتصريف الرياح وإرسال السحاب وإنزال المطر وبقية دورة الماء حول

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٣٧

الأرض، وما يصاحب ذلك من تسوية وتمهيد لسطح الأرض، وشق الفجاج والسبل فيها وتفجير للأنهار والجداول من حجارتها، و خزن الماء تحت سطح الأرض، وتكوين التربة والصخور الرسوبية، وحركات الأمواج في البحار والمحيطات، وعمليات المد والجزر، وغير ذلك من عمليات وظواهر، تحركها طاقة الشمس بإرادة الله.

(٣) تكوين نطق الحماية المختلفة للأرض بفعل طاقة الشمس، ذلك أن إرادة الله شاءت أن يحمي الحياة على سطح الأرض بعدد من نطق الحماية التي لعبت أشعة الشمس - ولا تزال - الدور الأول في تكوينها بعد إرادة الله، منها النطاق المغناطيسي للأرض وأحزمة الإشعاع ونطاق الأوزون، وهذه النطق تتعاون في حماية الأرض من كل من الأشعة فوق البنفسجية والكونية، ومن الجسيمات الكونية الدقيقة والكبيرة التي منها النيازك والشهب، ولو لم تكن هذه النطق موجودة لاستحالت الحياة على الأرض، وإن وجود هذه النطق صورة من صور التسخير التي لم تكن معروفة في زمن الوحي بالقرآن الكريم، ولا - بعد قرون متطاولة من تنزيله حتى نهايات القرن العشرين الميلادي.

(٤) تحديد الزمن، إذ أنه يتحدد كل من الليل و النهار و يوم الأرض و شهورها و فصولها و سنيها بدورة الأرض حول محورها، و بسببها في مدارها حول الشمس، و بذلك يستطيع الإنسان إدراك الزمن و تحديد الأوقات و التاريخ للأحداث، فبدورة الأرض حول محورها أمام الشمس يتبادل الليل و النهار و يتحدد يوم الأرض.

و بسبب الأرض في مدارها حول الشمس بمحور مائل على الأفق تتحدد الفصول المناخية من الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء، كما تتحدد سنة الأرض التي يتقاسمها اثنا عشر شهرا شمسيا تحدها بروج السماء الاثنا عشر المتتابعة» ١٢.

هذا بيان بتفسير سنة الله في تسخير الشمس، ثم نعود إلى سورة يس مرة أخرى و نعم النظر في قوله تعالى: وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الظاهرة الكونية الإلهية: وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ؛ أى جعلناه يسير سيرا آخر- غير سير الشمس- يستدل به على معنى الشهور كما أن الشمس يعرف بها الليل و النهار كما قال عز و جل: يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ، و قال تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُورًا وَ قَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابِ. و يمضى الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٣٨

المفسر في حديثه عن كل من الشمس و القمر إلى أن يقول: أما القمر فقدرة منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور ثم يزداد نورا في الليلة الثانية و يرتفع منزله، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء، و إن كان مقتبسا من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير «كالعرجون القديم». قال ابن عباس: هو أصل العذق، و قال مجاهد: العرجون القديم أى: العذق اليابس. يعنى أصل العنقود من الرطب إذا عتق و يبس و انحنى ١٣.

و يجىء تفسير الجلالين- بالرغم من منهجه إيجازا فيزيد الظاهرة تفصيلا فيقول:

قدرناه من حيث سيره منازل ثمانية و عشرين ليلة من كل شهر و يستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما، و ليلة إن كان تسعة و عشرين يوما، حتى عاد في آخر منزله «كالعرجون القديم»، تعود الشماريخ جمع شمراخ و هو عيدان عنقود النخيل الذى عليه الرطب إذا عتق فإنه يرق و يتقوس و يصغر ١٤. و يقول مثل ذلك صاحب صفوة التفاسير ١٥.

ثم يعرض الأستاذ الدكتور زغلول النجار لتفسير هذه الآية في ضوء التقدم الكبير في علم الفلك في السنوات الأخيرة، فيتحدث عن منازل القمر في علم الفلك حديثا مسهبا و يزيد الأمر وضوحا في إيضاح الإعجاز العلمى في الآية الكريمة فيقول: «نظرا للارتباط الشديد بين مراحل أشكال القمر المتتالية من الهلال الوليد إلى التربيع الأول إلى الأحدب الأول إلى البدر، ثم إلى الأحدب الثانى ثم الهلال الثانى ثم المحاق إلى الهلال الجديد فى الشهر القمري الجديد و بين منازل القمر الثمانية و العشرين و هى مواقع اليومىة المتتالية فى السماء بالنسبة إلى نجوم تبدو مواقعها قريبة ظاهريا، فإن التعبير بمنازل القمر يمكن إطلاقه على مراحل القمر المتتالية و على منازل المتوقعة مع تلك المراحل- أى مواقع المتتالية فى السماء- باعتبار المنازل- جمع منزل- و هو المنهل و الدار. و إن تقدير هذه المنازل القمرية فيه من الدلالة على طلاقة القدرة الإلهية ما فيه لأهميته فى معرفة الزمن و تقديره و حسابه باليوم و الأسبوع و الشهر و السنة، و فى التأريخ للعبادات و الأحداث و المعاملات و الحقوق، و لما فيه من تأكيد على ضبط سرعة القمر ضبطا دقيقا؛ من أجل الحيلولة دون ارتطامه بالأرض فيفنيها و تفنيه، أو انفلاته من عقاب جاذبيتها فينتهى إلى نهاية لا يعلمها إلا الله و فى الوقت نفسه الارتباط الدقيق بين سرعة دوران كل منهما حول محوره، فإذا زادت

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٣٩

إحداهما قلت الأخرى بنفس المعدل. و يمضى الأستاذ العالم الدكتور زغلول النجار قائلا:

و لما كانت سرعة دوران الأرض فى تناقص مستمر بمعدل جزء من الثانية فى كل قرن من الزمن، فإن سرعة دوران القمر فى تزايد مستمر بنفس المعدل تقريبا، مما يؤدى إلى تباعد القمر عن الأرض بمقدار ثلاثة سنتيمترات فى كل سنة، و هذا التباعد سوف يخرج

القمر في يوم من الأيام من إيسار جاذبية الأرض ليدخله في نطاق جاذبية الشمس فتبتلعه تحقيقاً للنبوءة القرآنية التي يقول فيها الحق تبارك و تعالی: فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ (٧) وَ حَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ. ١٦ و من هنا كانت هذه الإشارة القرآنية المعجزة إلى وصف مراحل القمر المتتالية في كل شهر، و التي يقول فيها ربنا سبحانه و تعالی: وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنْزِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. و يمضى الأستاذ الدكتور زغلول قاتلا: و يضاف إلى هذه المعجزات القرآنية التي لا تنتهى أبداً، وصف المرحلة الأخيرة من مراحل الدورة الشهرية للقمر؛ بالعرجون القديم: و هو العنقود من الرطب (العذق) إذا يبس و انحنى و اصفر لونه، و هو عند يوسه على النخلة ينحنى تجاهها، فكذلك الهلال الثانى ينحنى بطرفيه تجاه الأرض، بينما الهلال الوليد ينحنى بهما بعيداً عنها فما أروع هذا التشبيه القرآنى.

و يختم الدكتور زغلول بقوله: هذه الحقائق عن القمر لم يدركها العلم الكسبى إلا بعد مجاهدة استغرقت آلاف العلماء و عشرات القرون، و ورودها فى آية واحدة من كتاب الله الذى أنزل على نبي أمى و فى أمه كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، و من قبل ألف و أربعمائه سنة، مما يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذى أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه و رسله و تعهد بحفظه حفظاً كاملاً. ١٧

و قوله تعالى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ «يس: ٤٠» هو سنه إلهية عظمى من سنن الله فى خلقه، ذلك أن الشمس و القمر إذا اجتمعا محاضياء الشمس نور القمر، لأن القمر يستمد نوره من ضوء الشمس فتكون الأوقات كلها نهاراً لا ليل فيها، و الحال نفسها تحدث إذا سبق الليل النهار، و لكن نتيجة ذلك تكون مضادة لنتيجة اجتماع الشمس و القمر، إذ الحال فى سبق الليل النهار أن تكون الأوقات ليلاً- و حينئذ يختل نظام الحياة على الأرض؛ لأن إرادة الله جعلت طبيعة الحال على كوكب الأرض ينقسم اليوم فيها إلى ليل و نهار، و لليل

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤٠

طبيعته و وظيفته، و للنهار طبيعته و وظيفته، و قد بينا ذلك تفصيلاً فى تفسير آية تسخير الشمس و القمر، و الله سبحانه هو الذى سخرهما لصالح الحياة على الأرض، فالشمس لها مدار لا تتجاوزه، و القمر له مدار و منازل لا يحيد عنها و لا يطغى أحدهما على الآخر، و لا يكون الجمع بينهما إلا يوم القيامة تبعاً لقوله- عز و جل- فى سورة القيامة:

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ (٧) وَ حَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) (الآيات: ٧-١٢).

### اتساع الكون و زيادته بغير حدود.

قبل أن ننهى الحديث عن الكون و السماوات و سنن الله فيهن، ننبه إلى ما يقوله علماء الفلك و الباحثون فى شئون الكون المعاصرين و أحاديثهم عن المجرات التى لا يعرفون مداها، و أن كل مجرة من هذه المجرات الملايين لا يستطاع تحديد سعتها، حتى إنهم قالوا: إن المجرة التى توجد فيها شمسنا و ما يسير فى مدارها من كواكب تضم ملايين الشمس التى تعد شمسنا و ما يتبعها من كواكب هى أصغر الشمس حجماً و من أقلها شأنًا، و أن هذا الكون الذى يضم ملايين المجرات دائم الاتساع بغير حدود، و الجدير بالذكر أن هؤلاء العلماء ليسوا من المسلمين بل إن أكثرهم من الماديين، و ما عرفوا أن القرآن الكريم قد سجل الله فيه ما توصلوا إليه بعد طول البحث و التفانى فى بذل الجهد لمعرفة شىء يعجل ما قد توصلوا إليه من أن الكون يزيد اتساعاً.

يقول الله- جل و عز- فى سورة الذاريات: وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ و موضع الدهشة يكمن فى الآية الأولى، فقد فهمها المفسرون القدامى على النحو الذى توصل إليه دارسو الكون من العلماء المعاصرين، و لو أنهم أو بعضهم قرأ القرآن لسارع إلى الإيمان و اعتناقه، مثلما فعل عدد غير قليل من غير المسلمين الذين قرءوا القرآن و وقعت أعينهم على



الكثير من السنن الإلهية التي يحفل بها الكتاب العزيز، وقد عرفنا كثيرا من هؤلاء العلماء و المستنيرين الذين أسلموا طوعا و اقتناعا بعد قراءتهم القرآن الكريم مترجما إلى لغاتهم.

يقول المفسرون في قوله تعالى: وَ السَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ أَى شِيدِنَا السَّمَاءِ وَ أَحْكَمْنَا خَلْقَهَا بِقُوَّةٍ وَ قُدْرَةٍ. وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِأَيْدٍ: يَعْنِي بِقُوَّةٍ. وَ يَقُولُونَ فِي وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ أَى لِمُوسِعُونَ فِي خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ ١٨ وَ تِلْكَ الْمَوْسُوعَةُ الْقُرْآنِيَّةُ الْمُتَخَصَّصَةُ، النَّصُّ، ص: ٨٤١

تفسيرات غريبة «أغرب منها ما قاله قتادة من زيادة الخلق الملاحه في العينين و الحسن في الأنف و الحلاوة في الفم ١٩. و من المحدثين من المفسرين تنبه الشهيد الأستاذ سيد قطب إلى أن الأيدي هي القوة، و القوة أوضح ما ينبئ عنها بناء السماء الهائل التناسق بأى مدلول من مدلولات كلمة السماء سواء أ كانت تعنى مدارات النجوم و الكواكب أم تعنى مجموعة من المجموعات النجمية التي يطلق عليها اسم المجرة، و تحوى مئات الملايين من النجوم ٢٠.

و لو أن المرحوم سيد قطب نسي له في أجله الذي مضى على انقضائه نحو سبع و ثلاثين سنة، و اطلع على الاكتشافات العلمية الحديثة لأكمل الصورة كاملة لمداومة اتساع الكون بحول من الله خالقه سبحانه و تعالى.

و في حقيقة اتساع الخلق و الزيادة فيه، يستفتح المولى - سبحانه و تعالى - سورة فاطر بقوله عز و جل: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إن دليل الحسم على ما تعبر عنه الآية هنا هو ذلك الشطر من الآية بقوله تعالى: يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - و معنى الخلق هنا هو عملية الخلق.

و الأمر العجيب: إن عددا من المفسرين لم يوفق إلى مدلول الآية و من ثم كان الخطأ الذي وقعوا فيه، فابن الجوزى على سبيل المثال يرى أن زيادة الخلق مقصود به الملائكة، و الفهم نفسه يقول به القرطبي الذي يفسر يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ أَى: يَزِيدُ فِي خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ كَيْفَ يَشَاءُ. و غير ذلك كثير من سوء الفهم الذي أدى إلى خطأ التفسير، و إن الذي يقرأ الآية بعمق و إمعان حتى من المحدثين - و إن كان بعض مشهورى المفسرين المحدثين وقعوا في الخطأ نفسه - ينتهى إلى الفهم الذي هو أقرب إلى الصواب، و مرة أخرى نعرض لنص الآية و هي قوله تعالى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ فَقَصَرَ الْمَفْسُرُونَ الزيادة في الخلق على الملائكة دون السموات و الأرض اللذين تتلاءم زيادة الخلق فيهما أكثر من ملاءمتها لزيادة الملائكة.

و من ثم تكون جملة يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ الأقراب إلى الصواب الذي يعنى اتساع الكون منه إلى قصر زيادة الخلق على الملائكة، و السموات بالذات هي ما نراه أرجح قصدا لانسجامها مع بنية الآية، و لقول الله عز و جل في سورة النازعات: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤٢

خَلْقًا أَمْ السَّمَاءِ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَ أَعْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَ الْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا ٢١.

و الحق أن الحديث عن السنن الإلهية في خلق السموات حديث طويل يحوى من نعم الله - سبحانه - ما لا يتسع له المقام في هذا البحث، الذي روعى فيه الإيجاز، لأسباب اقتضتها طبيعة الموضوع الكبير الذي يشكل بحثنا هذا جزءا منه.

أ. د. مصطفى الشكعة

هوامش:

- (٢) سورة إبراهيم الآيات ٣٢-٣٤.
- (٣) سورة البقرة الآية ٦٤.
- (٤) الأعراف الآية ٥٤.
- (٥) صفوة التفاسير المجلد الأول صفحة ٤٥٠ الطبعة الرابعة.
- (٦) تفسير القرطبي المجلد السابع صفحة ٢١٧.
- (٧) سورة هود الآية ٧.
- (٨) الكشاف المجلد الثاني صفحة ٣٨٠.
- (٩) سورة يس الآيات ٣٨-٤٠.
- (١٠) سورة الرعد الآية الثانية.
- (١١) صفوة التفاسير المجلد الثاني صفحة ٧٣.
- (١٢) بحث عنوانه «و سخر الشمس و القمر كل يجرى لأجل مسمى» جريدة الأهرام اليومية المصرية صفحة ١٢ بتاريخ ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٢.
- (١٣) انظر تفسير ابن كثير المجلد ٣ صفحة ٥٤٩، ٥٥٠.
- (١٤) تفسير الجلالين المجلد الثاني.
- (١٥) المجلد الثالث صفحة ١٥.
- (١٦) القيامة الآيات ٧-٩.
- (١٧) جريدة الأهرام المصرية، مقال بعنوان «و القمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» الصفحة الثانية عشرة بتاريخ ٢ سبتمبر ٢٠٠٢ م.
- (١٨)،
- (١٩) آراء بعض المفسرين التي أوردها صاحب صفوة التفاسير المجلد الثاني صفحة ٥٦٤، ٥٦٦.
- (٢٠) في ظلال القرآن المجلد السادس صفحة ٣٣٨٥.
- (٢١) سورة النازعات الآيات ٢٧-٣١.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤٣

## (٩) السنن الإلهية في خلق الأرض

### إشارة

الأرض هي الكوكب الوحيد الذي خصه الله - سبحانه و تعالى - بعنايته و فضله بين ملايين الكواكب و النجوم، في ملايين المجرات التي يضمها الكون، الذي لا يعرف حقيقته إلا الله الذي خلقه.

لقد هيا الله الأرض للحياة بكل أنواعها لجميع من من عليهم بالحياة فيها برا و بحرا و جوا و ظاهرا و باطنا، و شرفها بما لم يشرف به كوكبا آخر مع قدرته غير المتناهية على خلق ما يشاء، و ذلك طبقا لمعلوماتنا المحدودة كبشر، المستمدة من كتابه العزيز و سننه رسوله و خاتم أنبيائه صلى الله عليه و سلم.

لقد أراد الله - سبحانه و تعالى - أن تكون الأرض مستقرا لآدم و ذريته من البشر، بعد أن وسوس الشيطان لكل من آدم و زوجته أن



يقربا الشجرة التي حزمها الله عليهما وذلك في قول الله عز وجل: وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِمَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالَا- رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ١.

ولما كانت قصة آدم وخروجه وزوجته من الجنة وهبوطهما إلى الأرض من الأهمية بمكان، فقد وردت مرة أخرى في سياقها من سورة البقرة في قول الله عز وجل: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ٢.

لقد اقتضت المناسبة والإرادة الإلهية تذكيرا للبشرية بوجودها في الأرض، ذلك الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤٤

الحوار الذي أجراه المولى مع ملائكته على النحو الذي ذكرنا فقال جل ثناؤه: فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ٣.

وإذا كانت الآيات السابقة قد اقتصر الخبر فيها على نزول آدم إلى الأرض واستقراره وزوجته فيها إلى حين، فإن الآيات الأخرى من الكتاب العزيز قد أوضحت أن الله - سبحانه - قد خلق البشر من الأرض، ثم يعيدهم إليها بعد الموت، ثم يخرجهم منها مرة أخرى يوم النشور، جاء ذلك في الحوار الذي جرى بين موسى وهارون من ناحية وفرعون من ناحية أخرى في قوله عز وجل:

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَيِّدَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ٤.

ذلك خبر نزول آدم وزوجته إلى الأرض، ومن وجود البشر جميعا فيها: مولدا ومستقرا وبعثا ونشورا، وإذا كان بعض البشر يرون في خروج آدم من الجنة وإنزاله إلى الأرض حرمانا لهم من البقاء في الجنة التي أخرج آدم منها وشرا أصابهم، فإنهم بذلك يكونون قد ارتكبوا خطأ وإثما كبيرا، لأن تلك إرادة الله والإرادة الإلهية لا يصدر عنها إلا ما فيه صالح البشرية، وصالح البشرية يقتضى - وقد وهبهم الله العقل وأرسل إليهم النبيين والمرسلين - أن يعملوا بتعاليمه التي حملها إليهم المرسلون، فمن آمن فقد استحق الجنة ومن لم يؤمن فحسابه عند ربه، وربنا لا يظلم مثقال ذرة مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ٥.

أما وقد جعل الله الأرض سكنا ومستقرا لعباده من الجن والإنس فقد جرت مشيئته بتحسينها وكمال السيطرة عليها وعلى ساكنيها، فلا يستطيعون العبث بها أو النفاذ منها أو الانعتاق من بقائهم بين ظهرانيتها إلا بسطان هو باعته ومسيطر عليه، جاء ذلك في صيغة التحدى من القول والحسم في الخطاب، حيث يقول جل شأنه: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ الشَّيْطَانَ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤٥

ويتبع المولى - سبحانه - هذا التحدى الحاسم بتسجيل ألوهيته المكيئة في تثبيت قدرته المتينة في أن كل شيء في السموات والأرض يسجد له، من شمس وقمر ونجوم وجبال ودواب وأناس إلا من انحرف من البشر عن الصراط القويم فيقول عز من قائل: أَلَمْ تَرَ أَنَّ

اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ٧.

و في إطار من مزيد تأكيد قدرته و تمكين إرادته إزاء خلقه الذين منهم المؤمن الطائع والمنكر، فيسجل قدرته العظمى في خلق السموات و بنائها و بسط الأرض و إثرائها و ذلك في قوله جل و عز: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا (٣١) وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ ٨.

بهذا الخطاب القرآني المعجز الحاسم يبدى منزل القرآن آياته الحاسمة حكما، القاطعة مشيئة، المترعة بفضله و كرمه، و بيان منه الإلهية ليس على الإنسان وحده، و إنما هي للإنسان و ما يملك من أنعام و حيوان.

هذه الأرض التي خلقها و من بها على الإنسان خلقا من طينها و مستقرا في بيوتها و مساكنها و استمتاعا بخيرها من زرع و ضرع، ثم بعد ذلك استخلافا فيها و ثواء في ثراها، قد غمره تكريما و أنعم عليه بالمنة العظمى، بأن جعل لذاته العلية بيتا فيها يؤمه الناس حجا و عمره و صلاة و عكوف، و ينزل الآيات البينات في تكريم بيته و تأمين من يعيشون حوله، رزقا في الدنيا و ثوابا في الآخرة.

لقد كرم الله الأرض و ساكنيها بأن جعل لذاته العلية أول بيت بنى فيها، إنه كما وصفه الله مبارك و هدى للعالمين، و أن فيه مقام إبراهيم، و أن من دخله كان آمنا، و أن على كل مسلم مستطيع أن يحج إليه، و كيف لا يكون آمنا من دخله و هو بيت الرحمن، و أن كل من حج إليه أو طاف به فهو ضيف الرحمن، فهل هناك منه إلهية في هذا المجال أعظم و أجل من تلك المنة التي سجلها القرآن الكريم بقول الله عز و جل: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَكَتْهُ مَبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٩.

و يؤكد المولى - سبحانه - أن الكعبة هي البيت الحرام - و جعلها قياما للناس و صلاحا

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤٦

لحالهم و اطمئنانا لمعاشهم، و في هذا البيت يلوذ الخائف و يأمن المطارد و يريح التاجر، و كذلك جعل الله الشهر الحرام - و هو شهر ذي الحجة و تلحق به ثلاثة شهور أخرى - حرمة و أمنا و هي ذو القعدة و المحرم و رجب، يقول الله سبحانه و تعالى: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَ الْيَوْمَ الَّذِي تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧) اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٠.

و مرة أخرى يزيد الله بيته تكريما، و هو دعاء يدعو به المسلم أول ما يقع بصره على الكعبة، فيدعوا الله كما كان يدعو رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اللهم زد بيتك هذا تعظيما و إجلالا و تكريما».

يقول الله عز و جل: وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنَا وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِلًّا وَ وَعَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بئسَ الْمَصِيرُ ١١.

في الآية السابقة يذكر المولى - سبحانه - أنه - تكريما لإبراهيم و إسماعيل - أمرهما بتطهير بيته - جل و علا - من الأصنام و الأوثان حتى تفر أعين الطائفين حول البيت و المعتكفين فيه و الراكعين و الساجدين من أن تقع على علامات الشرك و ذرائع الكفر، ثم تكون بعد ذلك منه ما يعرف عند المسلمين بدعوة إبراهيم التي سأل فيها رب العزة قائلا: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ تلك الدعوة التي استجاب الله لها، و هذه الاستجابة ماثلة إلى يومنا هذا و إلى يوم تقوم الساعة، و استجابة المولى لدعوة إبراهيم هذه من المنن العظمى لأن هذا البلد - مكة - آمن إلى يوم الدين، و أهله مرزوقون رزقا موسعا بإذنه تعالى إلى يوم الدين.

و تتجلى عظمه الخالق و فيض كرمه بالألا يقف أثر دعوة إبراهيم على من آمن منهم بالله و اليوم الآخر، بل يقول رب العزة: وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتَعُهُ قَلِيلًا أَى فى الدنيا، لأن هؤلاء الكافرين يسرى عليهم كرم الله لأنهم يعيشون فى كنف بيته الآمن، و لأنه تعالى يرزق المؤمن و الكافر فى الدنيا فهو الرزاق الكريم، فإذا ما حلت الآخرة كان جزاء الكافرين متكافئا مع كفرهم، أما المؤمنون فجزاؤهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤٧

ثم تتواكب الآية التالية مع أخواتها الآيات السالفات الذكر من كلام رب العالمين، و هى ليست آيات متواكبة متتابعة و حسب، و إنما هى ممن عظمى متتالية متزاحمة وجود به رب العزة على إبراهيم و ذريته- و نحن جميعا و قراء هذه الكلمات منهم بإذن الله- و إذ يُزْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَكَ وَآرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١٢.

إن ضمن هذه الآيات المتواكبة بل المنن المتواليه دعوة عظمى أخرى لسيدنا إبراهيم، ذلك أنه دعا ربنا أن يبعث فيهم- أى فى ذريته- رسولا- منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم كتابك و الحكمة و يزكيهم، فاستجاب له ربنا و بعث فينا محمدا صلى الله عليه و سلم فبلغ الرسالة و أدى الأمانة و وضعنا على المحجة البيضاء:

تلا- علينا آياتك و علمنا كتابك و وجهنا إلى صراطك المستقيم، و هو الرسول الخاتم الذى اخترته مبلغا لأسمى رسالة: خاتمة الرسالات التى سوف تظل تحرسها بهدى من كتابك العظيم، و يسهم فى التذكير بها و العمل على حفظها و نشرها من اخترته من أتباع دينك المستقيم، إلى أن تترث اللهم الدنيا و من عليها و أنت أكرم الأكرمين و خير الوارثين.

### السير فى الأرض:

إن الأرض التى خلقها الله للإنسان لكى تستقر حياته فيها مليئة بمنن الله على خلقه، مكتظة بآيات خالقها التى ما إن يتفكر الإنسان فيها و فيما تقع عليه عيناه فى أرجائها الواسعة لن يملك إلا أن يؤمن بالله ربا واحدا خالقا مبدعا، هذا فضلا عن آيات أخرى كثيرة، و من ربانية لا- حصر لها، فىكون بين أمرين لا ثالث لهما: إيمان، و حسن جزاء، أو نكران و سوء عقاب، و إذن فلا مفر له من أن يطيع أمر خالقه بالسير فى أكناف الأرض حتى لا يكون له عند الله حجة إذا لم يستجب لأمره و يذعن إلى الاتجاه إلى الخالق الأعظم.

يقول جل شأنه و تباركت مشيئة، (الخطاب هنا موجه إلى الرسول صلى الله عليه و سلم):

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ (٤٢) فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ يَمْهَدُونَ ١٣.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤٨

هكذا يكون مصير الخلق، من كفر فعليه كفره و من عمل صالحا فقد وطأ لنفسه مكانا فى الجنة، و هو ما تشير إليه الآية المعقبة على الآيتين السابقتين، و ذلك فى قول الله تعالى: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (الروم: ٤٥).

و يقول المولى موجه الخطاب مرة أخرى و فى نفس الغرض إلى عبده و رسوله و مبلغ رسالته، أن يطلب إلى الذين لا- يؤمنون أن يسيروا فى الأرض ليتفكروا كيف بدأ الله الخلق، و كيف أن الله يميتهم ثم يحييهم مرة أخرى أو ينشئهم نشأة أخرى، و أنهم جميعا إليه ينقلبون قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ ١٤.

و يظل التوجيه الإلهي بصيغة الخطاب الموجه من الله إلى عبده و رسوله، فى إطار من التشجيع و المواساة و ذلك فى قوله تعالى:

وَلَقَدْ اسْتَمْتَعْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (الأنعام: ١٠). و يتكرر الخطاب إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يظل على صيغته أمر الكفار بالسير في الأرض لتتسع آفاق المعرفة عندهم فيعرفوا عاقبة المكذبين قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (الأنعام: ١١) و يظل النهج القرآني العظيم على رسله في خطاب الرسول و لكن بصيغته «قل» و ذلك في قوله تعالى: قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٥.

و تتخذ آيات الكتاب العزيز نهجا متغيرا في السير في الأرض، فبعد أن كان «السير» أمرا صار خبرا استنكاريا؛ ذلك أن عقاب الله حاق بالكافرين لأنهم ساروا في الأرض و علموا خبر الذين كفروا و خبر الذين آمنوا، و مع ذلك ظلوا مستمسكين بكفرهم، فدمر الله عليهم أسباب حياتهم، و ذلك في قوله تعالى في سورة محمد:

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ١٦.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤٩

إن الأمر الإلهي للناس بالسير في الأرض ليؤمنوا منه كبرى، لأن الذين يسيرون في الأرض فينظرون حكمه الله في خلقه و عظم آياته في الكون يسارعون إلى الإيمان، و الذين يفعلون ذلك ثم لا يؤمنون لا يكون لهم على الله حجة في كفرهم، فقد رأوا مفاتيح الإيمان و بدائع صنع الله و ظلوا على نكرانهم، و إن من فضل الله على الأمة الإسلامية أن جعل طلب العلم فريضة على المسلمين دون سائر الأمم السابقة، و العلم عند المسلمين لا تكتمل أسبابه إلا بالرحلة أو السير في الأرض بلغة القرآن الكريم، و إن كبار علماء المسلمين لم تكتمل لهم أسباب النبوغ العلمي - سواء أ كان علما دينيا أو علما دنيويا - و كلاهما مطلوب - إلا بالرحلة، و إن حديث العلم و العلماء في الإسلام و ما قاموا به من رحلات و أسفار و سير في الأرض سوف يكون له مكانة في هذا البحث بمشيئة الله بعد قليل.

### منحة إلهية مقرونة بمعجزات ربانية:

إن معجزات الخالق - سبحانه و تعالى - كلها من على خلقه، منها ما تفضل ربنا علينا مقرونا بمعجزة، و منها ما جاء فضلا منه و رزقا و كرما منه و لطفًا.

فمن المعجزات المقرونة بمننه سبحانه و تعالى قوله جل و عز: أَوْ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ١٧.

أما المعجزة فهي أن السماوات و الأرض كانتا جسما واحدا ضخما متماسكا ففصل الله بقدرته بينهما، و جعل السماوات مستقلة و الأرض كذلك، و تدخل معجزة «الرتق و الفتق» في سلك معجزات الخلق الأولى، و بمعجزة الفتق يسر الله الأرض للناس و أنعم عليها بالماء الذي لا حياة فيها إلا به، و بغير الماء لا تكون حياة، و إتاما لمننه على الأرض و ساكنيها ثبت أركان الأرض، و ثبت كيانها بالجبال الضخمة التي جاء المصطلح القرآني فسامها «رواسي»؛ لأنها تجعل الأرض في ثبات و اتزان، و جعل في هذه الجبال سبلا و فجاجا يسلكها الناس في تحركاتهم و تنقلاتهم و أسفارهم، و ذلك فضل الله يلمسه كل من عاش أو زار أقطارا في الأرض جبليًا.

و من المعجزات المقرونة بالمنن الإلهية أيضا قول الله عز و جل: وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهَارًا وَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَ عِلَامَاتٍ وَ بِاللَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَ إِن تَعِدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ١٨.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٥٠

الله - سبحانه - يذكر الناس بالرواسي التي ألقاها في الأرض، للسبب الذي سلف ذكره في الآية السابقة، وكذلك السبل التي شقها فيها تيسيرا على الناس، ثم يضيف المولى - سبحانه - منة خلق الأنهار التي يرتوى منها البشر والحيوان والنبات، وخلق النجوم التي يهتدون بها في سفرهم ليلا برا وبحرا.

ثم يوبخ المولى - سبحانه - الذين لم يؤمنوا به في كل من الآيتين، ففي معجزة «الرتق والفتق» تكون مؤاخذه الله للكفار في صيغته السخرية بهم وبعقولهم، وفي الآية التي نحن بصددتها تكون السخرية أيضا في صيغته الاستفهام الاستنكارى في قوله عز وجل: أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ثم تكون الإضافة القرآنية الشريفة تقريرا للكافرين وتذكيرا للمؤمنين في قوله جل وعز: وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ.

صدق ربى جلت قدرته فمن الذى يستطيع إحصاء نعمه وأفضاله ومنه وعطاياه.

وفي المقام نفسه يلفت المولى - سبحانه - عباده عن معجزة خلق السماوات، وما ميزها به من نجوم وكواكب جعلها زينة لها، ومعجزة خلق الأرض وتثبيتها بالجبال الرواسي وما من به من خلالها على الناس من الغيث يتنزل من السماء، فأثبت فيها كل ما تشتهي الأنفس من حقائق ونخيل، وبعث الحياة في الأرض الميتة، وتلك من المعجزات الكبرى، ويجعل ذلك مثلا للبعث الذى كذب به الكافرون، هذا فضلا عن بلاغه الإعجاز في وصف مننه سبحانه على تعدد أنواعها تبصرةً و ذكرى لكل عبده مئيب وفي ذلك كله يقول جل من قائل: أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبَصَّرَةٌ وَ ذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَ أَخْبَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ١٩.

و يتمثل الإعجاز القرآنى المعبر عن المنن الإلهية فضلا عن خلق الأرض ونبات الثمر و الزرع فى جنات و أعناب و زرع و نخيل، أنها جميعا تسقى من ماء واحد مع أنها تختلف طعما و تتفاوت حسن مذاق، و هى قدرة لا يستطيع إنجازها إلا الله القادر الخلاق العظيم، لقد أنعم الله على خلقه بتلك المنن لتكون آيات للعاقلين على أن الله هو - وحده - الخلاق العظيم. يقول جلت قدرته فى كتابه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٥١

العزیز: وَ هُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُوحِينَ اثْنَيْنِ يُغِشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَ جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَ زُرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَ غَيْرُ صِنْوَانٍ يُشْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَ نَفْضُلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٠.

و يزيد المولى من الإنعام بمننه الكثيرة بالتذكير ببعض ما ورد فى آيات سابقات و بالجديد منها ما يمثل عبرا للعباد مثل عبرة الأنعام فى إخراج لبنها من بين فرث و دم، و مثل معجزة النحل التى أوحى فيها إلى تلك الحشرة البديعة السخية بالعباء أن تتخذ بيوتها فى الجبال و الشجر الكثيف، و أن تسلك سبيل ربها فى جمع طعامها من كل الثمرات و الأزهار، و إن سبيل خالقها فى ذلك لا يكون إلا الطعام الطاهر النظيف الذى ينتهى بإخراج شراب مختلف ألوانه من بطونها فيه شفاء للناس، إنه النعمة الكبرى المتمثلة فى العسل المختلف الألوان و النكهة و التى تسهم فى شفاء الأجسام و إبراء السقام. يقول جل شأنه: وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَشْعُرُونَ (٦٥) وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سِكْرًا وَ رِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢١.

إن الله - سبحانه - لطيف بعباده يغمرهم بفضله و ينعم عليهم بمننه، و لا - يحب لهم إلا - الطيب من الطعام، و ينأى بهم عن الأطعمة المحرمة لأنها من دس الشيطان و وسوسته، إن الشيطان لا يأمر إلا بالسوء و الفحشاء، و إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا.



يقول جلت قدرته و تباركت أسماؤه و دامت نعمه و مننه: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٢٢.

و من المنن الكبرى التي أنعم الله بها على الإنسان تلك الأنعام التي نتخذ من جلودها بيوتا، و من أصوافها و أوبارها و أشعارها أثاثا و متاعا، يقول الله- عز و جل: وَاللَّهُ جَعَلَ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٥٢

لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَ مِنْ أَصْوَافِهَا وَ أَوْبَارِهَا وَ أَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَ مَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ٢٣.

و من آيات الله العظمى، و مننه الكبرى:

الرواسي؛ التي هي الجبال التي تشكّل ميزانا للأرض في حركتها و ثباتها؛ فضلا عما تضمه هذه الجبال من نعم يتأمل العابد أمرها، و ذلك في قول الله سبحانه و تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَ مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبٌ سُودٌ (٢٧) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ٢٤.

إلى هذه النعم الكبرى التي احتوتها الآيتان سالفتي الذكر الدواب و الأنعام التي خلقها المولى و رزقها، و جعل منها رزقا لعباده في مختلف بقاع الأرض، و تصديقا لهذا القول فإن الله- سبحانه و تعالى- يقول في سورة هود و ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦) ٢٥.

و قد يعرف الإنسان مكان الدواب التي ينتفع بها و يملكها، و لكن ثمة دواب أخرى لا يعلم مستقرها و مستودعها إلا الله، فتلك المخلوقات التي تعيش في باطن الأرض و بين الأحجار، و بعضها لا يعيش إلا داخل الحجر نفسه، و تلك آية من آيات الله التي لا يقدر عليها إلا الخالق الأعظم الذي خلق كل شيء، و رزق كل شيء.

و من الله- سبحانه و تعالى- في الأرض لا حدود لها، ففيها ألقى الرواسي، و فيها أنبت كل شيء مما يحتاجه العباد في معاشهم؛ بل إن الله- سبحانه و تعالى- أرسل الرياح لتعمل عملها بين السحاب الذي ينزله الله من السماء ماء لسقيا خلقه من إنسان، و حيوان، و نبات؛ بل إنه- سبحانه، يخزن بعضا من هذا الماء في جوف الأرض لكي يتفجر من بين الأحجار ماء عذبا ذلالا يجري فيصنع أنهارا يستقى منها الإنسان و الحيوان و النبات، و يتمثل ذلك في قول الله- عز و جل:

وَ الْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَثْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٥٣

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١) وَ أَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَ مَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) ٢٦.

و في فضل الجبال التي تعد معلما خالدا من معالم الأرض، يقول الله- سبحانه و تعالى:

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَ أَمْوَاتًا (٢٦) وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَ أَسْقَيْنَاكُمُ مَاءً فُرَاتًا (٢٧) وَ بَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) ٢٧.

و لا يغيب عن فطنه القارئ لكتاب الله، الربط بين الجبال و المياه، لأن الجبال يتفجر منها المياه العذبة كما أوضحنا في الآيات السابقة. و في تسخير الخالق الأعظم و مننه التي من بها على عباده؛ خلقه البحار و المحيطات التي تجري فيها الفلك كالأعلام، و أنه من فضله يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، رافه منه بخلقه، و رحمة منه لعباده، و في ذلك يقول- جل و عز:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥) ٢٨.

وإن الأرض على الرغم من مساحتها الواسعة التي يتخذ الناس منها معاشا، و سكنا، و مستقرا، يغلب عليها في ساحاتها الواسعة عنصر الماء، بحيث أن هذا الماء يغطي نحو ثلاثة أرباع الأرض، و إن النعم التي تزخر بها البحار لمما يستعصى على الإنسان حتى اليوم إحصاؤه و التعرف عليه، و قد أخبرنا الله - سبحانه و تعالى - ببعضه، و ذلك في قوله - عز و جل -:

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَيْتًا كَلُّوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلُوكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَ لِيَبْتَلِيَوكُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) ٢٩.

و الماء الذي في البحار أكثره ملح و أقله عذب، و في ذلك يقول - جل و علا: وَ مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ مِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلُوكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِيَبْتَلِيَوكُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ٣٠.

و هكذا كل من البحرين العذب الفرات و الملح الأجاج يسوق المولى من كل منهما لخلقه، يأكلون أنواع الأسماك و الأطحمة الأخرى؛ فضلا عن الحلى التي تستخرج من كل من البحرين، و بخاصة اللؤلؤ الذي يعيش في الماء العذب مثلما يعيش في الماء الملح. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٥٤

و من المنن الكبرى التي ضمنها الله - سبحانه و تعالى - كتابه العزيز قوله - سبحانه:

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣) ٣١.

و تلك الحقيقة من آيات الله العظمى، و مننه الكبرى بحيث يتدفق الماء العذب الفرات، و يموج الملح الأجاج، و يخلق بينهما فاصلا قد لا- يكون من الأرض، بل كثيرا ما يكون من الماء نفسه، و هذه الحقيقة تتبدى بوضوح عند مصبات الأنهار الكبرى، مثل نهر الأمازون في أمريكا الجنوبية، الذي يندفع الماء العذب بين أحضان الماء المالح لمسافة تمتد نحو ثلاثمائة كيلومتر في قلب المحيط، يستطيع الإنسان في أى موقع من هذه المسافة الطويلة أن يشرب ماء عذبا سائغا، دون أن يختلط به قطرة واحدة من الماء المالح، و كنا نحن قبل ثلاثة عقود من الزمان نرى ذلك في نهر النيل أيام فيضانه الذي كان يستطيع صائدو الأسماك أن يشربوا مياه عذبة داخل البحر الأبيض المتوسط لعديد من الكيلومترات داخل البحر المالح الذي يغذوه الماء العذب، و يشكل برزخا و حجرا محجورا.

بل إن هذا الأمر - أمر الماء العذب الفرات و الملح الأجاج - لا يقتصر عليهما مرج البحرين - العذب و المالح - و إنما يحدث ذلك بين البحار الملحة، و يتضح ذلك في قول الله تعالى في سورة الرحمن:

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) ٣٢.

و هذه الحقيقة تتضح في لقاء البحر الأحمر ببحر العرب الذي هو جزء من المحيط الهندي، ذلك أن مياه البحر الأحمر أشد ملوحة، و أكثر حرارة من تلك التي في بحر العرب، فلا يمتزج ماؤهما عند اللقاء، و إنما يجلف ماء البحر الأحمر - لطبيعته السالف ذكرها - إلى أسفل مياه بحر العرب، كما قرر العلماء المختصون بعلوم البحار.

و الظاهرة نفسها تتكرر عند لقاء مياه البحر الأبيض المتوسط عند خليج جبل طارق بمياه المحيط الأطلنطي الكبير.

على أن هذه الحقيقة الكبرى تتمثل بشكل ظاهر للعيان عند رأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقيا حيث تلتقي مياه المحيط الأطلنطي بمياه المحيط الهندي فتشكل حاجزا مائيا ضخما ممتدا جنوبا إلى مرمى البصر، و لقد قام بمحاولة مشاهدة هذه الظاهرة الفذة كاتب هذه السطور، حينما زار مدينة الكاب ممثلا لفضيلة الإمام الأكبر شيخ

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٥٥

الأزهر، في احتفال المسلمين هناك بمضى مائة عام على بناء أول مسجد في جنوب إفريقيا، و كان تفسير العلماء هناك لهذه الظاهرة



أن ماء المحيط الأطلنطي بارد بمقدار ثلاث درجات عن مثيلاتها من مياه المحيط الهندي فيتخلق هذا البرزخ المائي العظيم بسبب هذا الفرق الواضح بين درجتي حرارة المحيطين العظيمين.

إن منن الله العظمى في المياه التي تكسو وجه الأرض لا يمكن أن تحصي أو تستقصى.

و من خير ما نختم به منن الله في كتابه العزيز بالمياه عامه، وبالعدبة منها خاصة.

تلك المنن العظمى من الخالق الأعظم الذى يجعل المياه العذبة تتفجر من الحجارة الصلدة عذبة ذلالا سائغة للشاربين تروى الظمأ، و تحيى الأرض الميتة، و ذلك فى قوله- عز و جل- فى وصف قسوة قلوب اليهود:

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعِيدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۝٣٣.

و هذه المنن الكبرى متعددة الظهور خاصة فى المناطق الجبلية فى جبال الشام، و جبال أوروبا و أمريكا، و لقد أنعم الله على كاتب هذه السطور بأن رأى كميات المياه العظيمة العذبة الباردة تتفجر من جبل فى سهل البقاع ببلدان من أرض الشام، فتصنع نهرا كبيرا مشهور و معروفا، يشق سطح الأرض المنبسطة حيناً، و الجبلية حيناً لمسافة مئات من الكيلومترات حتى تصل إلى الأراضى التركية فى شمال بلاد الشام، فتصنع الخضرة و الزى و النماء فى تلك البقعة المباركة من أرض المسلمين.

### نهاية الحياة الدنيا، و قيام الساعة

إن الله- سبحانه و تعالى- هو خالق الموت و الحياة، و لقد قدّم الموت على الحياة لارتباطه بالحياة الآخرة و هى الدار الباقية، و مثابة الخلود، و فيها ينال المحسن إحسانه فيكون من أهل الجنة، و يلقي المسيء جزاءه بما قدّمت يده عدلا من الله و حقا، و من هنا كان على المرء من عباد الله أن يتدبر هذا اليوم تدبرا موصولا- حتى يكثر من الخير، و يتبعد عن الشر، و أن يظل مؤمنا بأن للكون خالقا قادرا بيده مقاليد الدنيا و الآخرة، و من ثم كان من منن الله الكبرى فى كتابه العزيز أن تبه الناس إلى ذلك اليوم الذى تنتهى فيه الحياة الأولى، و يكون البعث، و النشور، و الحساب، و المصير إلى جنه عرضها السموات و الأرض، أو إلى جهنم التى أعدت للكافرين.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٥٦

و لقد نبهنا الله- سبحانه و تعالى- إلى أن للآخرة علامات، و أن لنهاية الدنيا معالم، ذكرت فى آيات كثيرة من كتاب الله العزيز، و فى ذلك يقول الحق- جل جلاله:

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (البقرة: ٢٥١).

إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس و الأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و ازينت و ظن أهلها أنهم قادرون علىها أتاهم أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣٤.

و تبصيرا للعباد بذلك اليوم العصيب التى تزلزل فيه أركان الأرض إيذانا بنهايتها و انتهاء الحياة على وجهها، تحدث الزلزلة الكبرى التى يتزلزل معها الكيان الإنسانى و ذلك فى قول الله- جل و عز- فى سورة الزلزلة: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨). ٣٥

و يصف الله- خالق الخلق- و بارئ الأرض و السماء، و ملك يوم الدين، هذا اليوم بيوم الفصل، و يفصل- جل جلاله- أحداث ذلك اليوم، و ما يمن به على المحسنين من عباده من حسن الجزاء، و على العاصين أتباع الشيطان و ما يقع عليهم من عقاب، فيقول جلت

قدرته، و تباركت أسماؤه: إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا إِلَى نَهَايَةِ الْآيَةِ رقم ٣٠ من سورة النبأ.

و من الصور القرآنية التي تناول المولى فيها- جلت قدرته- وصف فرع الكون ممن في السموات و الأرض، و الجبال الراسيات و هي تمر مر السحاب في قوله تعالى: وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَ كُلُّ أَتَوِّهُ دَاخِرِينَ (٨٧) وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (سورة النحل: ٨٧، ٨٨). و في موضع آخر من الكتاب العزيز يتجلى المولى على خلقه بمزيد من المنن في وصفه خطر هذا اليوم تذكيرا للغافلين، و تنبيها للمنكرين، و تفريرا للكافرين فهو يوم الفزع الأكبر الذي مقداراه خمسون ألف سنة فيقول- جلت قدرته: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٥٧

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَ نَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَ لَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبْصِرُونَ نَهْمٌ يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنِيهِ (١١) وَ صَاحِبَتِهِ وَ أُخِيهِ (١٢) وَ فَصِيَلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْحِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى (١٥) نَزَاعَهُ لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى (١٧) وَ جَمَعَ فَأَوْعَى ٣٦.

و في صورة جليله من سور القرآن الكريم يجري إطلاق اسم «الواقعة» على هذا اليوم الرهيب الذي ترج فيه الأرض رجًا، و تبث فيه الجبال بنا، و يصنف الخلق فيه تصنيفا يتسق مع أعمالهم: إن شرافهم من أصحاب المشأمة، و إن خيرا فهم المقربون في جنات النعيم، و ذلك في قوله- عز و جل: إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (٤) وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبَثًا (٦) وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٣٧.

و من آيات الله العظمى و آياته الكبرى أن تقوم السماء و الأرض بأمره فإذا دعاهم دعوته من الأرض أسرعوا خارجين. فهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، و هو القاهر فوق عباده فيقول تباركت أسماؤه: وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥) وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلِّ لَه قَانِتُونَ (٢٦) وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣٨.

و الله- سبحانه و تعالى- عدلا منه و إنصافا يصف المقصر بتقصيره، و المفسد بفساده تذكيرا بذلك اليوم العظيم، و تنبيها إلى القيامة، و مجيء الآخرة و نهاية الدنيا، ثم ينبه إلى النفس المطمئنة التي عملت أعمالا صالحة فيزيل عنها الروح، و يبعث في أعطافها الاطمئنان كل ذلك يتضمنه قوله الكريم: كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَ لَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَ تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَ تُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صِفًّا صَفًّا (٢٢) وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا (٢٥) وَ لَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا (٢٦) يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) اذْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَ ادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ٣٩.

أ. د. مصطفى الشكعة

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٥٨

هوامش:

(١) سورة الأعراف: الآيات ١٩-٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

- (٣) سورة البقرة: الآية ٣٦.
- (٤) سورة طه: الآيات ٤٩-٥٥.
- (٥) سورة فصلت: الآية ٤٦.
- (٦) سورة الرحمن: الآيات ٣٣-٣٦.
- (٧) سورة الحج: الآية ١٨.
- (٨) سورة النازعات: الآيات ٢٧-٣٣.
- (٩) سورة آل عمران: الآيتان ٩٦، ٩٧.
- (١٠) سورة المائدة: الآيتان ٩٧، ٩٨.
- (١١) سورة البقرة: الآيتان ١٢٥، ١٢٦.
- (١٢) سورة البقرة: الآيات ١٢٧-١٢٩.
- (١٣) سورة الروم: الآيات ٤٢-٤٤.
- (١٤) سورة العنكبوت: ٢٠-٢٢.
- (١٥) سورة الأنعام: الآية ١٢.
- (١٦) سورة محمد: الآيات ١٠-١٢.
- (١٧) سورة الأنبياء: الآيتان ٣٠-٣١.
- (١٨) سورة النحل: الآيات ١٥-١٨.
- (١٩) سورة ق: الآيات ٦-١١.
- (٢٠) سورة الرعد: الآيتان ٣، ٤.
- (٢١) سورة النحل: الآيات ٦٥-٦٩.
- (٢٢) سورة البقرة: الآيات ١٦٨، ١٦٩.
- (٢٣) سورة النحل: الآيات ٨٠-٨٢.
- (٢٤) سورة فاطر: الآيتان ٢٧، ٢٨.
- (٢٥) سورة هود: الآية ٦.
- (٢٦) سورة الحجر: ١٩-٢٣.
- (٢٧) سورة المرسلات: ٢٥-٢٨.
- (٢٨) سورة الحج: ٦٥.
- (٢٩) سورة النحل: ١٤.
- (٣٠) سورة فاطر: ١٢.
- (٣١) سورة الفرقان: ٥٣.
- (٣٢) سورة الرحمن: ١٩-٢١.
- (٣٣) سورة البقرة: ٧٤.
- (٣٤) سورة يونس: ٢٤.
- (٣٥) سورة الزلزلة: السورة كاملة.

(٣٦) سورة المعارج: الآيات ٤-١٨.

(٣٧) سورة الواقعة: الآيات ١-١٢.

(٣٨) سورة الروم: الآيات ٢٥-٢٧.

(٣٩) سورة الفجر: الآيات ١٧: ٣٠.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٥٩

## ترجمة معانى القرآن الكريم ١

### إشارة

و يتناول فيها:

- ١- تعريف الترجمة لغة و عرفا.
  - ٢- تقسيم الترجمة، و بيان بعض خواصها.
  - ٣- كلمة عن الحاجة إلى الترجمة.
  - ٤- بيان الجائز من هذه الأقسام من غير الجائز منها.
  - ٥- الصلاة بالمترجم.
  - ٦- تجربة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٦٠

### ١- تعريف الترجمة

### إشارة

الترجمة لغة ٢: بالنظر للفظه «ترجمة» نجد أنها استعملت فى لغة العرب للدلالة على الكشف و البيان عن حقيقة اللفظ المترجم.

يقال: ترجم الكلام، بمعنى: بينه، و ترجم عنه: أوضح أمره، و ترجم لهذا الباب بكذا:

عنون له، و ترجم لفلان: بين تاريخه و سيرته.

و على ذلك فقد وضعت لفظه «الترجمة» لتدل على معان عدة كلها تدور حول الكشف و البيان عن حقيقة اللفظ المترجم، و من هذه المعانى:

(أ) تبليغ الكلام لمن لم يبلغه مطلقا- أى سواء كان ذلك بنفس اللغة أم بغيرها ٣. و منه قول الشاعر:

إن الثمانين و بلغتها قد أوجت سمعى إلى ترجمان (ب) تفسير الكلام بلغته التى جاء بها ٤، و عليه فقد قيل فى ابن عباس- رضى الله عنه: إنه ترجمان القرآن.

(ج) تفسير الكلام بلغة غير لغته، قال ابن منظور ٥: «و يقال: قد ترجم كلامه: إذا فسر بلسان آخر». و فى «مختار الصحاح» ٦:

«و ترجم كلامه: إذا فسر بلسان آخر».

(د) نقل الكلام من لغة إلى أخرى ٧، جاء فى «الرائد»: «الترجمة: نقل الكلام من لغة إلى أخرى». و فى «المرجع» للعلايلى:

«الترجمة: النقل من لسان إلى آخر». و فى «المعجم العربى الأساسى»: «ترجم الكتاب:

نقله من لغة إلى أخرى».

و مما سبق فقد تبين لنا أن المعنى العام للترجمة هو مطلق البيان و التعبير، و إذا ما أطلقت الترجمة فلا تدل على معانى القرآن الكريم إلا بقرينة قاطعة.

### الترجمة عرفاً:

يقصد بالعرف هنا: عرف التخاطب العام، لا عرف طائفة خاصة و لا أمة معينة. و هذا العرف العام الذى تواضع عليه الناس جميعاً- من القدم حيث كان العرب يترجمون كتب اليونان و الرومان و يسمونها بنفس أسمائها- قد خص الترجمة بالمعنى الرابع اللغوى المذكور آنفاً، و هو: نقل الكلام من لغة إلى أخرى. الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٦١

أى التعبير عن معناه بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع مقاصده و معانيه، كأن الكلام فيها قد نقل من لغته الأولى إلى اللغة الثانية، مع أن الواقع و نفس الأمر يشهدان بأن الكلام نفسه لا ينقل من لغته بحال ٨. و على ذلك فيمكننا أن نعرف الترجمة فى هذا العرف العام بأنها عبارة عن: التعبير عن معنى كلام فى لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه و مقاصده.

فكلمة: «التعبير» جنس و ما بعده من القيود فصل.

و قولنا: «عن معنى كلام» يخرج به التعبير عن المعنى القائم بالنفس حين يخرج فى صورة اللفظ أول مرة.

و قولنا: «بكلام آخر» يخرج به التعبير عن المعنى بالكلام الأول نفسه، و لو تكرر ألف مرة.

و قولنا: «من لغة أخرى» يخرج به التفسير بلغة الأصل، و يخرج به- أيضاً- التعبير بمرادف مكان مرادفه، أو بكلام بدل آخر مساو له على وجه لا تفسير فيه، و اللغة واحدة فى الجميع.

و قولنا: «مع الوفاء بجميع معانيه و مقاصده» يخرج به تفسير الكلام بلغة غير لغته، فإن التفسير لا يشترط فيه الوفاء بكل معانى الأصل المفسر و مقاصده، بل يكفى فيه البيان و لو من وجه ٩.

و قد عرفت الترجمة- أيضاً- اصطلاحاً بأنها ١٠: نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى عن طريق التدرج من الكلمات الجزئية إلى الجمل و المعانى الكلية و هذا التعريف يحتوى على عنصرين:

الأول: أن الترجمة عبارة عن نقل للكلام، فبينما يكون الكلام فى لغة من اللغات يتحول- بواسطة الترجمة- إلى لغة أخرى.

الثانى: أن الترجمة تتم عن طريق التدرج من الكلمات الجزئية إلى الجمل و المعانى الكلية، فإن هذا العنصر يدل على شرط استيفاء الترجمة للكلام المترجم، فلا بد من ترجمة المفردات واحدة واحدة، و الملاءمة بينها و بين المعنى الأصلى للكلام.

و النتيجة المنطقية لهذا التعريف ١١: أن الترجمة لا بدّ فيها من نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى مع الوفاء بجميع مقاصده و معانيه كأنك نقلت الكلام نفسه من لغته الأولى إلى لغته الثانية.

فيفهم الناس من الترجمة أنها كالأصل ذاته تقوم مقامه فى كل ما هو مقصود به،

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٦٢

فإذا ترجم كتاب فى الرياضيات إلى لغة أخرى فإن الترجمة تقوم مقام الأصل فيما هو مقصود به تماماً من علوم رياضية، و كذا الأمر فى سائر العلوم، حتى إذا ما وصلت الترجمة إلى أيدي الناس اعتقدوا- عرفاً و اصطلاحاً- أن ما بين أيديهم يتضمن ما فى الكتاب الأصلى تماماً و لكنه باللغّة التى يفهمونها.

فالترجمة لغة إن كانت تشمل المعانى الأربعة المتقدمة لكنها عرفاً تنحصر فى النوع الرابع و هو نقل الكلام من لغة إلى أخرى مع اقتناع الناس بأن الكلام المنقول هو الكلام الأصلى تماماً بتمام دون زيادة و لا نقصان.

هيئة التحرير

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤٣

**٢- أقسام الترجمة****إشارة**

تنقسم الترجمة إلى قسمين ١٢: ترجمة حرفية، و أخرى تفسيرية.

**فالترجمة الحرفية:**

هي نقل الكلمات واحدة واحدة دون نظر إلى المعنى، أى تستبدل كل كلمة بما يقابلها من اللغة الثانية، فهي التى تراعى فيها محاكاة الأصل فى نظمه و ترتيبه.

و هذه الترجمة متعذرة و مستحيلة؛ لأنه لا يوجد فى اللغات مفردات تقابل بعضها بعضا، و إن وجد فإنه يختلف طريقة ترتيب الكلام من لغة إلى أخرى.

و هذا النوع يسميه البعض ترجمة لفظية، و آخرون يسمونه ترجمة مساوية.

**و الترجمة التفسيرية:**

هي نقل الكلمات واحدة واحدة مع النظر إلى المعنى.

فهي التى لا تراعى فيها تلك المحاكاة أى محاكاة الأصل فى نظمه و ترتيبه، بل المهم فيها حسن تصوير المعانى و الأغراض كاملة، و لهذا قد تسمى - أيضا - بالترجمة المعنوية.

و عليه فيتضح أنها كالترجمة الحرفية فى نقل الكلمات واحدة واحدة، و لكن الاختلاف إنما يتأتى فى النظر إلى المعنى هنا دون مراعاة له فى الترجمة الحرفية.

مثال ١٣: على الفرض بإمكان الترجمة فلنضرب مثلا- عليها فى آية من الكتاب الكريم، و هو قوله تعالى: **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ... ١٤.**

فإنك إذا أردت ترجمتها ترجمة حرفية أتيت بما يقابل كلماتها من اللغة الثانية فأتيت بما يقابل قوله: **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ** و بما يقابل قوله: **لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ** و قوله: **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ** و بما يقابل قوله: **لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ** و لكن هذا الأسلوب من التعبير قد لا يفهمه من ترجم الكلام إلى لغته فيتساءل ما معنى:

**لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ؟ و ما معنى: وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ؟** فيخفى المعنى عليه.

و إذا أردت ترجمتها ترجمة تفسيرية أو معنوية قلت: لرزقوا من كل جهة، و دلت

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٤٤

بكلامك على أن من يقيم أحكام الله - سبحانه و تعالى - يرزقه الله من كل جانب.

فأنت بالترجمة التفسيرية لهذه الآية حينما خفيت عليك ترجمة المفردات ترجمت المعنى المراد.

هذا تقسيم إجمالى للترجمة، لكن هناك تقسيما تفصيليا لها حدده بعضهم فى هذه الأنواع ١٥:

النوع الأول: الترجمة اللفظية المثلية، و هي: إبدال لفظ بلفظ آخر يرادفه فى المعنى مع الاحتفاظ بما للمبدل منه من الدلائل القريبة و

البعيدة، والدلائل الأصلية والتبعية، وبما له من ميزات متعددة.

وهذا النوع محال ليس في استطاعة الثقيلين باتفاق العلماء؛ لأن التعبير عن لفظ منه بلفظ آخر، ولو كان عربياً يماثله في المعاني مدعاة للسخافة ودلالة على الجهل، ومدعيه معاند قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ١٦ وإذا كان هذا النوع محالاً فلا يتصور البحث في جوازه من عدمه؛ لأن البحث في هذا فرع عن إمكانه وهو غير متصور.

النوع الثاني: الترجمة اللفظية بدون المثل، وهي: إبدال لفظ بلفظ آخر يراده في المعنى الإجمالي أو في المعنى القريب بصرف النظر عن المعاني التبعية والبعيدة عن الخصائص والمزايا.

وهذا النوع ممكن على وجه الإجمال بالقدر المستطاع في بعض الألفاظ دون بعض، وفي بعض اللغات دون بعض، لكنها تكون ساذجة ولا تسلم من الخطأ والبعد عن المراد.

وهو نوع يسمى عند الفقهاء - أيضاً - بالترجمة الحرفية والترجمة المساوية.

النوع الثالث: الترجمة التفسيرية، وهي ترجمة تفسير من التفاسير التي ألفها العلماء باللغة العربية إلى لغة أخرى.

وهذا النوع محل جواز إذا اقتضت الترجمة على كلام المفسر نفسه، ولم تناول كلام الله تعالى، فإن تناولته كان الحكم فيها المنع والحرمة.

وعلى ذلك فالترجمة تعتبر ترجمة لكلام فلان لا لكلام الله تعالى.

النوع الرابع: ترجمة المعاني، أي: بيان معاني القرآن بلغة أخرى، وهذه الترجمة تشمل الأنواع الثلاثة المتقدمة.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٦٥

فقد يأتي المترجم من أول الأمر فيفهم المعنى من اللفظ ثم يعبر عنه بلفظ آخر من لغة أخرى يدل عليه، وقد يفهم الآية جملةً ويعبر

عنها بألفاظ أخرى أجنبية تؤدي هذا المعنى، وقد يأتي لأحد التفاسير المعروفة فيترجمه إلى لغة أخرى.

خواص الترجمة وشروطها ١٧: للترجمة خواص وشروط لا بدّ وأن تتوفر فيها وتتسم بها، ومن أبرزها:

١- لا بدّ من وفائها بمعاني الأصل جميعها ومقاصده على وجه مرض.

٢- أن تكون صيغتها مستقلة عن الأصل، بحيث يمكن الاستغناء بها عنه.

٣- معرفة المترجم لأوضاع اللغتين: لغة الأصل ولغة الترجمة، وكذا معرفته لأساليبها وخصائصها.

### و تفرق الترجمة عن التفسير بفروق أبرزها ١٨:

١- استقلال الترجمة عن الأصل وحلولها محله، خلافاً للتفسير.

٢- الترجمة لا استطراد فيها، خلافاً للتفسير كما لا يخفى.

٣- الترجمة لا بدّ وأن تفي بالغرض كاملاً خلافاً للتفسير، فيكتفي فيه بمجرد الإيضاح.

٤- كمال الاطمئنان بالترجمة، خلافاً للتفسير؛ لاحتمال الإيجاز فيه، والتفسير بطبيعته قائمة فيه الاحتمالات.

تنمّه ١٩: تجدر الإشارة إلى أن الترجمة لا بدّ وأن يراعى فيها الإحاطة بمعاني الأصل المترجم كلها.

والقرآن الكريم - فضلاً عن الكلام مطلقاً - لا بدّ وأن يحتوي على ضربين من المعاني، هما: المعاني الأولية، والمعاني الثانوية، أو المعاني الأصلية، والمعاني التابعة.

فالمعنى الأولي لأي كلام بليغ، هو: ما يستفاد من هذا الكلام ومن أي صيغة تؤديه سواه، ولو كان ذلك بلغة أخرى، ففي قولنا:

«حاتم جواد» حكمنا بالوجود على حاتم، ونسبة الوجود لحاتم معنى أولى يمكن أن نعبر عنه بأي صيغة.



و سمي معنى أوليا؛ لأنه أول ما يفهم من اللفظ، و أصليا؛ لأنه ثابت ثبات الأصول لا يختلف باختلاف المتكلمين و لا المخاطبين و لا لغات التخاطب.

أما المعنى الثانوى أو التابع، فهو:

ما يستفاد من الكلام زائدا على معناه الأولى.

و سمي ثانويا؛ لأنه متأخر فى فهمه عن ذلك، و سمي تابعا؛ لأنه أشبه بقيد فيه، و القيد تابع للمقيد، أو لأنه يتغير بتغير

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٦٦

التوابع، فيختلف باختلاف أحوال المخاطبين، و باختلاف مقدرة المتكلمين، و الألسنة و اللغات.

مثال على ذلك:

الجملة السابقة: «حاتم جواد» استفدنا منها معنى أوليا أصليا و هو نسبة الجود إلى حاتم، لكن هذا المعنى نستطيع أن نعبر عنه بعبارات مختلفة، فإذا أردت أن تخبر عن حاتم بالجود قلت: «جاد حاتم» فى مخاطبة خالى الذهن من هذا الخبر، و قلت: «حاتم جواد» إذا كنت تخاطب شاكا مترددا، و قلت:

«إن حاتما جواد» إذا كنت تخاطب منكرا غير مسرف فى إنكاره، و قلت: «و الله إن حاتما لجواد» إذا خاطبت مسرفا فى الإنكار ... إلى آخر أوجه الخطاب.

فالمعنى الأولى زيدت عليه خصوصيات مختلفة و مزايا متغايرة بتغاير هذه الأمثلة، و هذه الاعتبارات المختلفة هى مناط بلاغة الكلام و المتكلم، و القرآن الكريم بلغ الغاية فى البلاغة.

هيئة التحرير

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٦٧

### ٣- الحاجة إلى الترجمة

الناظر إلى القرآن الكريم يجده عالمى المقصد شاملا للزمان و المكان، و عالميته إنما تستمد- أصلا- من عالمية الإسلام و شموله و كونه الرسالة الخاتمة التى جاءت لتهدى الناس و تخرجهم من عبادة بعضهم و هواهم و دنياهم إلى عبادة ربهم- سبحانه و تعالى-. و قد نزل القرآن- دستور هذه الأمة المحمدية- باللغة العربية، و كثيرا ما وقف حاجز اللغة حائلا كبيرا بين الإسلام و أهله و أهل اللغات الأخرى؛ فكانت الحاجة ملحة و الضرورة قصوى فى أن ينحو المسلمون منحى يبلغون به و يدعون غيرهم من أهل الملل و النحل الأخرى إلى الإسلام، و ذلك يكون بكثير من الوسائل من أهمها: ترجمته معانى القرآن إلى اللغات الأخرى حتى يتحقق الهدف و الغاية منه.

و أهل القرآن إنما ندبوا إلى ذلك؛ لأن القرآن له مقاصد عالمية لا تتم إلا بنشره، و اشتراك الأمم الأخرى المختلفة فى إقامته، و لو نظرنا إلى بعض تلك المقاصد لأمكن حصر أهمها فى الأهداف التالية ٢٠:

(أ) تطهير العقائد الأولى مما أدخل عليها من آراء المتزبددين، و أضاليل المتأولين.

(ب) إنقاذ الضمير البشرى من الذين انتحلوا حق التسلط عليه، و تطهيره مما ران عليه من وساوسهم و خزعبلاتهم.

(ج) إقامة سلطان العقل، و إعلان حرية النظر، و هدم صنم التقليد.

(د) إسقاط الوسطاء بين الله و خلقه، و المناداة بالمساواة العامة بين الناس أجمعين.

(ه) وحدة الجماعات البشرية كافة؛ بقيامها جملة على كلمة الله العليا.

(و) دخول الأمم كافة إلى حظيرة الإسلام و السلام، يساعد على تحقيق الخير للبشرية بنشر تعاليم القرآن.

(ز) الاشتراك في إنذار من لا- يساهم من الجماعات على تحقيق هذا الإصلاح العام بالعذاب في الدنيا و سوء المنقلب في الحياة الأخرى.

هذه بعض الأهداف و المقاصد التي تدعو المسلمين إلى تبليغ دينهم و رسالتهم إلى البشرية.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٦٨

و لقد شعر كثير ممن نالوا حظا من الروح الإسلامية في العصر الراهن بفداحة التبعة المترتبة على كتمان ما استؤمنوا عليه من هذه الوديعه الإلهية، و تركها محصورة فيهم موقوفه عليهم في عهد أصبحت فيه جميع النظم الاجتماعية و الروابط الأدبية في بوتقه النقد الدقيق، و استعدت العقول لقبول أى علاج كان يفرج الكروب و بأسو الكلوم، و يحل المعضلات، و ينهج محجة لا تفترق بأهلها عن الرشد، و لا تبعد بهم عن الغاية.

فرأى الذين شعروا بأمانة التبليغ أن الضن بالدواء الناجع و البلسم الشافى لجراح الإنسانية يعتبر أكبر جريمة يمكن أن ترتكبها جماعة أسند إليها الاضطلاع بعمل عالمى عظيم، فنشطوا لترجمة معانى القرآن الكريم إلى أمهات اللغات العالمية خروجا من هذه التبعة، و عذارا إلى الله- تعالى- بهذا العمل، و مدفوعين بعدة عوامل تدعو إلى أهمية هذه الترجمة، من أهمها:

أن الأمم لا تقبل و لا يقنعها أن تأخذ الشىء بالواسطة، و يفهم سواها له- بواسطة الشروح، و الرسائل الموضحة- و إنما تريده من مصدره الأول، و تدعى أنها تفهم منه أكثر مما يفهم أهله الأخصون.

و عليه فترجمة معانى القرآن و الحالة هذه أصبحت في هذا العصر أمرا لا مناص منه قياما بالعهد الذى فى أعناقنا له.

هيئة التحرير

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٦٩

#### ٤- الترجمة الجائزة

##### إشارة

لقد ثار جدل و خلاف كبير فى ترجمة القرآن و حكمها بين علماء الأمة فى أواسط القرن الماضى و أوائله بين مجيز بإطلاق و بين مانع، و بين مفرق بين بعض أنواعها و بعضه، و كل فريق يستدل لمذهبه، المجيزون يستدلون بوقائع كثيرة كان غرضهم من ورائها تحقيق المقاصد العظيمة التى أشرنا إلى بعضها فيما سبق، و المانعون يخشون التحريف و التبديل على كتاب الله، فالغرض و الهدف سام لكن الخلاف إنما نشأ فى الطريق المؤدى إليهما.

و حتى نقف بإنصاف على الجائز من أنواع الترجمة و غير الجائز منها، فلا بد و أن نلقى الضوء على تعريفها اللغوى و العرفى و على تقسيماتها و كثير من الأمور التى تعتبر من خواص القرآن حتى يتحقق لنا الغرض.

فلو نظرنا إلى التعريفات اللغوية لوجدنا أنها ترجع إلى أربعة معان رئيسية كما سبق، ثلاثة منها ترجع إلى اللغة وحدها، و الرابع تشترك فيه اللغة و العرف الذائع بين الأمم و هو الجدير بالاهتمام و العناية؛ إذ هو المتبادر إلى الأفهام و المقصود فى لسان التخاطب العام. و هى كالاتى ٢١:

#### ١- ترجمة القرآن بمعنى تبليغ ألفاظه:

تطلق الترجمة على تبليغ ألفاظ القرآن الكريم للناس، و هى حينئذ جائزة شرعا غير محظورة، و فعله صلى الله عليه و سلم أول شىء يدل على ذلك؛ إذ كان صلى الله عليه و سلم يقرأ القرآن و يسمعه أوليائه و أعداءه و يدعو إلى الله- عز و جل- به فى كل حين، و

على ذلك سارت الأمة من بعده إلى يومنا هذا.

و دعا إلى ذلك القرآن الكريم نفسه؛ قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٢٢.

و دعا إليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه: «بلغوا عني ولو آية، و حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، و من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». (البخارى، و الترمذى، و أحمد)، و قال:

«خيركم من تعلم القرآن و علمه». (الشيخان).

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٧٠

## ٢- ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغته العربية:

و هذا أيضا حكمه الجواز و عدم الحظر، قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، ٢٣ (النحل: ٤٤). و قد قام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيانه للناس و توضيحه لهم أيما توضيح، و من صنع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتمد كثير من المفسرين في تفاسيرهم على المأثور، و صار هناك ما يسمى بالتفسير بالمأثور.

## ٣- ترجمته بمعنى تفسيره بلغه أجنبية:

و هذا أيضا- يأخذ حكم سابقه من الجواز و عدم الحظر، فكلاهما عرض لما يفهمه المفسر من كتاب الله بلغه يفهمها مخاطبه، لا عرض لترجمة القرآن نفسه، و كلاهما حكاية لما استطاع من المعاني و المقاصد.

و تفسير القرآن يكفي أن يكون بيانا لمراد الله- تعالى- بقدر الطاقة حتى يتحقق، و هذا البيان يستوى فيه ما كان بلغه العرب و ما ليس بلغه العرب، غير أنه لا بد من أمرين، أحدهما: أن يستوفى هذا النوع شروط التفسير، و ثانيهما: أن يستوفى شروط الترجمة باعتبار أنه نقل لما يمكن من معاني اللفظ العربي بلغه غير عربي.

و ترجمة القرآن بهذا المعنى مساوية لترجمة تفسيره العربي؛ إذ الترجمة هنا لم تتناول إلا رأى هذا المفسر و فهمه لمراد الله- تعالى- على قدر طاقته.

و هذه الترجمة- أيضا- تسمى ترجمة تفسير القرآن، أو تفسير القرآن بلغه كذا، و لا يجوز أن تسمى ترجمة للقرآن.

و بهذا النوع نرفع النقاب لغير العرب عن جمال القرآن، و ندفع الشبهات الملفقة و الملتصقة بالقرآن زورا و بهتاناً، و نزيل الحواجز بين الإسلام و عشاق الحق من الأمم الأجنبية، و نبرئ ذمتنا من واجب تبليغ القرآن بلفظه و معناه.

## ٤- ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة أخرى:

هذا هو الإطلاق اللغوي الرابع، و هو الإطلاق الوحيد في عرف التخاطب الأسمى العام، و على هذا التعريف اللغوي يمكننا أن نعرف ترجمة القرآن بأنها: نقل القرآن من لغته العربية إلى لغة أخرى، أو هي: التعبير عن معاني ألفاظه العربية و مقاصدها، بألفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع هذه المعاني و المقاصد.

و إن لوحظ فيها ترتيب ألفاظ القرآن فهي الترجمة الحرفية أو اللفظية أو المساوية، و إن لم يلاحظ فيها هذا الترتيب فتلك ترجمة القرآن التفسيرية أو المعنوية.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٧١

و هذا النوع لا يجوز، فهو مستحيل عادة و شرعا.

أما كونها مستحيلة عادة؛ فلأنه لا بدّ و أن يتحقق منها الوفاء بجميع معاني القرآن الأولى والثانية، و بجميع مقاصده و هذا مستحيل عادة.

و لأن الترجمة بهذا المعنى مثل للقرآن، و مثله مستحيل كما نعلم من آيات التحدى.

و أما كونها مستحيلة شرعا؛ فلأن طلب المستحيل العادى حرمه الإسلام؛ لأنه ضرب من العبث و تضييع للوقت و المجهود فى غير طائل، و لأن محاولة هذه الترجمة فيها ادعاء عمل لإمكان وجود مثل للقرآن و هو تكذيب شنيع لصريح الآية: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ٢٤.

و أن طلب محاولة هذا النوع فيه تشجيع للناس على انصرافهم عن القرآن و التماس بدل أو أبدال يزعمونها ترجمات له، مع ما يترتب على ذلك من مخاطر شرعية و اجتماعية و لغوية.

هذه هى المعانى الأربعة التى يدور حولها معنى لفظ الترجمة لغه أو عرفا.

أما لو نظرنا إلى تقسيم الترجمة إلى حرفية و تفسيرية أو معنوية، فنرى أن الترجمة الحرفية مستحيلة عادة و شرعا؛ لأن زاعمها يكون آتيا ببدل أو مثل القرآن و هو مستحيل لا يجوز بحال.

و أما الترجمة التفسيرية أو المعنوية، و هى التى يقوم فيها المترجم بترجمة تفسير معين للقرآن الكريم مع ملاحظة شروط الترجمة و شروط التفسير فهى جائزة عادة و شرعا، و على ذلك فهى لا تسمى ترجمة للقرآن بل تسمى ترجمة تفسير القرآن أو ترجمة معانى تفسير القرآن الكريم.

تنمى: لو نظرنا إلى معانى القرآن الكريم بنوعها: المعنى الأصلى الأولى، و المعنى الثانوى التابع لوجدنا أن ترجمة القرآن بمعنييه هذين - معا - مستحيلة - أيضا - لأن المعانى الثانوية و التابعة هى مظهر إعجاز القرآن، و هى المتحدى بها، و لا يحيط بها لسان عربى فضلا عن لسان أجنبى.

أما ترجمة المعنى الأصلى و الأولى فقط فهذا جائز و ميسور فى أغلب الأحيان، خلافا للمعنى الثانوى فهو غير مستطاع بحال من الأحوال. الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٤٨٧١ - ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة أخرى: ..... ص : ٨٧٠

ثمة التحرير

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٧٢

## ٥- الصلاة بالترجم

تكاد كلمة الفقهاء تتفق على منع قراءة ترجمة القرآن بأى لغة كانت فارسية أو غيرها، و النقول عنهم فى ذلك كثيرة، و سواء كانت قراءة هذه الترجمة فى صلاة أم فى غير صلاة، لو لا ما نقل عن أبى حنيفة - رحمه الله - من جواز القراءة فى الصلاة بالترجم. و الواقع أن جمهور الفقهاء من السادة المالكية و الشافعية و الحنابلة و الصاحبين و غيرهم على أنه: لا تجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب - مطلقا - سواء أمكنته العربية أم عجز عنها، و سواء كان ذلك فى الصلاة أم فى غيرها، فإن أتى بترجمته فى صلاة بدلا عنها لم تصح صلاته سواء أحسن القراءة أم لا.

فجميع متفقون على أنه لا تجوز قراءة القرآن بغير العربية خارج الصلاة، و متفقون أيضا على حرمة القراءة فى الصلاة بغير العربية.

لكن إن قرأ فى الصلاة بغير العربية، أ تصح صلاته أم تفسد؟

فى هذه الصورة ورد الخلاف عن أبى حنيفة - رحمه الله - إذ ذكر الحنفية فى كتبهم أن الإمام أبى حنيفة كان يقول: إذا قرأ المصلى بغير العربية مع قدرته عليها اكتفى بتلك القراءة.

ثم رجع عن ذلك و قال: متى كان قادرا على العربية ففرضه قراءة النظم العربى، و لو قرأ بغيرها فسدت صلاته؛ لخلوها من القراءة مع

قدرته عليها، والإتيان بما هو من جنس كلام الناس حيث لم يكن المقروء قرآنا. وهذه الرواية تعزى إلى أقطاب من الحنفية منهم: نوح بن أبي مریم، و علي بن الجعد، و أبو بكر الرازي. و لا يخفى أن المجتهد إذا رجع عن رأيه و قوله الأول لا يعد ذلك المرجوع عنه قولاً له، إذ الرجوع عنه عدول، و علي ذلك فلا يكون في مذهب الحنفية قول بكفاية القراءة بغير العربية في الصلاة للقادر عليها، فهم مع الجمهور. أما العاجز عن قراءة القرآن بالعربية فهو كالأمة في أنه لا قراءة عليه، و لكن إذا فرض الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٧٣

أن خالف و أدى القرآن بلغه أخرى؛ فإن كان ما يؤديه قصة أو أمراً أو نهياً فسدت صلاته؛ لأنه متكلم بكلام و ليس ذكراً. و إن كان ما يؤديه ذكراً أو تنزيهاً لا تفسد صلاته؛ لأن الذكر بأى لسان لا يفسد الصلاة، لا لأن القراءة بترجمة القرآن جائزة، و علي هذا فقد مضى القول بأن القراءة بالترجمة محظورة شرعاً علي كل حال. و الله أعلم. هيئة التحرير

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٧٤

## ٦- تجربة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عند ما أنشئ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بموجب القرار الوزاري رقم ٢٠ لسنة ١٩٦٠ م كان من أهم أهدافه: \* بذل كافة الجهود و الإمكانيات المتاحة لتحفيظ القرآن الكريم و تجويده. \* وضع تفسير سهل مبسط للقرآن الكريم يفهمه العامة و الخاصة، خال من التعقيدات اللفظية، و الخلافات المذهبية، علي أن يترجم هذا التفسير إلى لغات العالم المختلفة، ليسهل فهمه لغير الناطقين بالعربية. و لتحقيق هذه الأغراض و الأهداف إلى الواقع العملي صدر القرار الوزاري رقم ٦٢ لسنة ١٩٦٠ م بإنشاء لجنة للإشراف علي تحفيظ القرآن الكريم و تجويده في داخل مصر و في البلاد الإسلامية، ضمت هذه اللجنة سبعة عشر عضواً من كبار العلماء و القراء و المهتمين بشئون القرآن الكريم ٢٥.

توج عمل هذه اللجنة بنجاح باهر، و ثمار طيبة فكان المصحف الشريف الذي يقوم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بطبع عشرات الآلاف منه سنوياً و يوزعه بالمجان علي المساجد، و مكاتب تحفيظ القرآن الكريم للحفاظ منه. هذا بالإضافة إلى المصحف المرتل و المعلم المسجل علي أسطوانات تم تسجيلها بعد ذلك علي شرائط كاسيت لسهولة الحفظ الصحيح منها.

و تمشياً مع تكنولوجيا العصر تم نسخ المصحف المرتل و المصحف المعلم بصوت الشيخ محمود خليل الحصري شيخ المقارئ المصرية السابق علي أقرص الليزر، كما قام المجلس بتسجيل المصحف الموجود بأصوات أشهر المقرئين علي شرائط كاسيت. و قد سبق المجلس بذلك كثيراً من الدول العربية و الإسلامية في هذا المجال.

هذا بالنسبة إلى تحفيظ القرآن الكريم و تجويده، أما بالنسبة لتفسيره، فلقد صدر القرار الوزاري رقم ٥٩ لسنة ١٩٦٠ م خاص بإنشاء لجنة باسم «لجنة تفسير القرآن الكريم» تضم اثنين و ثلاثين عضواً من علماء الأزهر الشريف و المتخصصين في مجال الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٧٥

التفسير، و الفلك، و الطب، و الطبيعة، و الاجتماع، و الهندسة، و الزراعة، و الجغرافيا، و التاريخ و غير ذلك ٢٦. و قد قامت هذه اللجنة بتأليف «المنتخب في تفسير القرآن الكريم» و هو تفسير سهل مبسط، واضح العبارة، و جيز من غير إخلال، بعيد

عن الخلافات المذهبية، و التعقيدات اللفظية، يفهمه العامة و الخاصة، و يستفيد منه الجميع. و لزيادة الإقبال على هذا المنتخب يقوم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بطبع عشرات الآلاف من النسخ منه سنويا تلبية لرغبة القراء.

و لسهولة هذا المنتخب و وضوحه بالرغم من إيجازه، قام المجلس بترجمته إلى اللغات:

الإنجليزية، و الفرنسية، و الألمانية، و الروسية، و الأسبانية، و الإندونيسية.

و كانت هذه التراجم أول تراجم تصدر من دولة عربية، و يجرى الآن ترجمته هذا المنتخب إلى الأردية، و السواحيلية، و الصينية، و العبرية، و غير ذلك من لغات العالم الحية.

و قد قام بعبء هذه التراجم نخبة مختارة من كبار الأساتذة المتخصصين في كل لغة، كما قام بمراجعة هذه التراجم صفوة ممتازة ممن لهم باع طويلا في هذه اللغات.

أما المراجعة اللغوية فقد قام بها واحد من الناطقين من كل لغة ترجم إليها المنتخب، المشهود لهم بالعلم و الإجاد.

فالتجمة الإنجليزية: قام بها الدكتور/ عبد الخالق همت أبو شبانه الذي عايش أهل هذه اللغة أكثر من أربعين عاما. أما المراجعة فقد قام بها الدكتور/ مهدي علام.

و نظرا لمرور أكثر من عشر سنوات على هذه الترجمة، فقد كلف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فريقا من كبار أساتذة كلية اللغات و الترجمة بجامعة الأزهر بمراجعة هذه الترجمة علميا و دينيا؛ أما المراجعة اللغوية فتقوم بها أستاذة أمريكية مسلمة متمكنة من هذه اللغة، و عندها دراية كاملة بلغة الناطقين بهذه الترجمة.

أما الترجمة الفرنسية: فقد ترجمها من العربية إلى الفرنسية الدكاترة: عشيرة كامل رئيس قسم اللغة الفرنسية بكلية آداب عين شمس، و رقية جبر أستاذ اللغة الفرنسية بكلية الدراسات الإنسانية قسم البنات بجامعة الأزهر، و قام بالمراجعة العلمية و الدينية الدكتور/ أحمد البساطي الأستاذ بجامعة الأزهر. أما المراجعة اللغوية فقد قامت بها السيدة/ ماجدة فاضل المسلمة و الفرنسية الأصل.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٧٦

أما الترجمة الألمانية: فقد ترجمها من العربية إلى الألمانية الدكتور/ مصطفى ماهر أستاذ اللغة الألمانية بكلية الألسن جامعة عين شمس، و قام بمراجعتها الأستاذ علي هوبر.

أما المراجعة اللغوية فقد قامت بها السيدة/ إلساماهر الألمانية الأصل.

أما الترجمة الروسية: فقد ترجمها من العربية إلى الروسية الدكاترة/ سمية عفيفي، و عبد السلام المنسى الأساتذة بكلية الألسن جامعة عين شمس، و قام بمراجعتها الدكتورة/ رانو بنت عمر الأستاذة بجامعة طشقند بأزبكستان. أما المراجعة اللغوية فقد قامت بها السيدة/ بالينا.

أما الترجمة الأسبانية: فقد ترجمها من العربية إلى الأسبانية كل من:

الدكتور/ سامي المشطاوي الأستاذ بجامعة شيلي بالبرازيل، و الأستاذ/ حسين التريكي السفير السابق بالجامعة العربية، و قام بمراجعتها الدكاترة/ محمود علي مكي، الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة، و أحمد باسم عبد الغفار، سرى محمد عبد اللطيف، جمال أحمد عبد الرحمن، صبرى محمدى التهامي الأساتذة بكلية اللغات و الترجمة جامعة الأزهر.

أما المراجعة اللغوية فقد قامت بها الأستاذة ماريا لويسا أوريندو الأسبانية الأصل و الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة.

أما الترجمة الإندونيسية: فقد ترجمها من العربية إلى الإندونيسية الأستاذة مخلص محمد حنفي، مخلصان جلال الدين، عرفان مسعود عبد الله، عبد الحافظ بن زيد، أمان الله عبد الحليم، عزيز حمدان، أحمد زمراني، سالم رشدي تشهبونو الأساتذة بجامعة إندونيسيا. و قام بالمراجعة العامة الدكتور محمد قرين شهاب سفير إندونيسيا بالقاهرة و وزير الشئون الإسلامية السابق باندونيسيا. أما المراجعة اللغوية فقد قام بها الأستاذ/ محمد عارفين بسفارة إندونيسيا بالقاهرة.

نص القرارات الوزارية ٥٩ لسنة ١٩٦٠ م، و ٦٢ لسنة ١٩٦٠ م.  
و أسماء لجنة القرآن و علومه، و لجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.  
هيئة التحرير

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٧٧

قرار وزارى رقم ٥٩ لسنة ١٩٦٠ بإنشاء لجنة باسم «لجنة تفسير القرآن الكريم» وزير الأوقاف:

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٧٢ لسنة ١٩٥٩ الخاص بتنظيم وزارة الأوقاف و لائحة إجراءاتها، و على القرار الوزارى رقم ٢٠ لسنة ١٩٦٠ الخاص بإنشاء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- وزارة الأوقاف.

قرر ما يأتى: مادة ١- ينشأ بوزارة الأوقاف لجنة باسم «لجنة تفسير القرآن الكريم».

مادة ٢- تعمل هذه اللجنة على وضع تفسير سهل للقرآن الكريم و ترجمته إلى اللغات الحية الأخرى.

مادة ٣- تتألف هذه اللجنة من:

١- الأستاذ السيد على السيد (رئيساً)

٢- فضيلة الشيخ إبراهيم زيدان.

٣- فضيلة الشيخ أمين أبو الروس.

٤- الأستاذ حسن علوان.

٥- فضيلة الشيخ حسنين مخلوف.

٦- الدكتور حسين عارف.

٧- الدكتور حسن الساعاتى.

٨- فضيلة الشيخ سيد سابق.

٩- فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى.

١٠- فضيلة الشيخ عبد الرحيم فرغل.

١١- فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي.

١٢- فضيلة الشيخ عبد الله المشد.

١٣- الأستاذ عبد الغنى المنشاوى.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٧٨

١٤- الدكتور عثمان خليل.

١٥- الدكتور على عبد الواحد وافى.

١٦- الأستاذ على منصور.

١٧- فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة «مقرر اللجنة»

١٨- فضيلة الشيخ محمد المبارك.

١٩- الدكتور محمد جمال الدين الفندى.

٢٠- الأستاذ محمد برانق.

٢١- فضيلة الشيخ محمد محمود حجازى.

٢٢- الدكتور محمد سليمان.



٢٣- الأستاذ محمد شتا.

٢٤- فضيلة الشيخ محمد أبو العيون.

٢٥- الدكتور محمد ضياء الدين الريس.

٢٦- فضيلة الشيخ محمد عرفه.

٢٧- فضيلة الشيخ محمد علي النجار.

٢٨- فضيلة الشيخ محمد محمد المدني.

٢٩- الدكتور محمد يوسف موسى.

٣٠- الأستاذ محمود حمزة.

٣١- الدكتور محمد لبيب شقير.

٣٢- فضيلة الشيخ محمد سعاد جلال.

مادة ٤- يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره

تحريرا في: ٢٠ من ذي القعدة سنة ١٣٧٩ هـ

١٥ من مايو سنة ١٩٦٠ م

وزير الأوقاف

(أحمد عبد الله طعيمة)

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٧٩

قرار وزارى رقم ٦٢ لسنة ١٩٦٠ بإنشاء لجنة باسم «لجنة الإشراف على تحفيظ القرآن الكريم» وزير الأوقاف:

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٧٢ لسنة ١٩٥٩ الخاص بتنظيم وزارة الأوقاف ولائحة إجراءاتها. و على القرار الوزارى رقم ٢٠ لسنة

١٩٦٠ الخاص بإنشاء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف.

قرر ما يأتى: مادة ١- تنشأ بوزارة الأوقاف لجنة باسم (لجنة الإشراف على تحفيظ القرآن الكريم).

مادة ٢- تعمل هذه اللجنة على الإشراف على تحفيظ القرآن الكريم و تجويده فى البلاد الإسلامية.

مادة ٣- تتألف هذه اللجنة من:

١- الدكتور أحمد عبد السلام هيبه.

٢- الأستاذ حسن علوان.

٣- فضيلة الشيخ زكى الدين شعبان.

٤- فضيلة الشيخ سليمان ربيع.

٥- الدكتور عبد العزيز عامر.

٦- الأستاذ عبد العزيز على.

٧- فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى.

٨- فضيلة الشيخ عيسوى أحمد عيسوى.

٩- الأستاذ لبيب السعيد «مقرر اللجنة»

١٠- الأستاذ محرم حسونه.

١١- الأستاذ محمد براتق.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٨٠

١٢- المهندس محمد توفيق.

١٣- الأستاذ محمد شتا.

١٤- الأستاذ محمد عبد المقصود مصطفى.

١٥- فضيلة الشيخ محمد عثمان.

١٦- فضيلة الشيخ محيي الدين عبد الحميد.

١٧- الأستاذ محمود حمزة.

مادة ٤- يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره.

تحريراً في: ٢٠ من ذى القعدة سنة ١٣٧٩ هـ

١٥ من مايو سنة ١٩٦٠ م

وزير الأوقاف

(أحمد عبد الله طعيمة)

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٨١

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الأمانة العامة للجان العلمية

أسماء السادة أعضاء لجنة القرآن الكريم و علومه ١- أ. د. محمود عبد الغنى عاشور رئيساً

٢- أ. د. إبراهيم عبد الرحمن خليفة

٣- أ. م. حامد إبراهيم عبد الدائم

٤- أ. د. طه عبد السلام خضير

٥- أ. د. محمد المختار المهدي

٦- أ. د. جودة أبو اليزيد المهدي

٧- أ. د. عبد الغفار حامد هلال

٨- أ. د. عبد الصمد دسوقي

٩- أ. د. محمد بحيرى إبراهيم

١٠- الشيخ. رزق خليل حبه

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٨٢

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الأمانة العامة للجان العلمية

أسماء السادة أعضاء لجنة الإعجاز العلمى ١- الأستاذ الدكتور/ أحمد شوقى إبراهيم رئيساً

٢- السيد اللواء/ أحمد عبد الوهاب على

٣- الأستاذ الدكتور/ أحمد أبو الوفا عبد الآخر

٤- الأستاذ الدكتور/ زغلول النجار

٥- الأستاذ الدكتور/ كارم السيد غنيم

٦- الأستاذ الدكتور/ معتر مراد المرزوقي

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٨٣

الهوامش:

(١)- انظر في ترجمة معاني القرآن:

أحسن البيان في الرد على الشيخ محمد الشاطر وغيره من المانعين لجواز ترجمة تفسير القرآن بقلم الشيخ عبد الرحمن الجزيري، مطبعة و مجلة الإرشاد، بدون ت- الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، تأليف محمد فريد وجدى، مطبعة المعاهد الدينية، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥ هـ، ١٩٣٦ م هدية مجلة الأزهر- الأساس النديم في حكم ترجمة المعنى و التفسير للقرآن الكريم، تأليف عبد الفضيل عبد الرؤوف خليفة، المطبعة الخيرية بالمنيا سنة ١٣٥٥ هـ، ١٩٣٦ م- إشكالية نقل المعنى في ترجمات القرآن الكريم. تأليف عبد النبي ذكر، بحث ضمن أعمال ندوة صناعة المعنى و تأويل النص المنعقدة بكلية الآداب بمنوبة بجامعة تونس ١٩٩١ م من ص ٢٥٥ إلى ص ٢٧٦ منشورات كلية الآداب بمنوبة ١٩٩٢ م- الأعلان في علوم القرآن، للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعي ص ٣٧٢: ٣٧٧ دار الطباعة المحمدية، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م- تاريخ القرآن تأليف أ. د. عبد الله الزنجاني، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ص ٦٩ و ما بعدها، مؤسسة الحلبي و شركائه للنشر و التوزيع، بدون ت- تذكرة لأولى البصائر و الأبصار إلى ما في ترجمة معاني القرآن من أخطار، تأليف محمد مصطفى الشاطر، مطبعة النصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م. و هي مذكرة مرفوعة لشيخ الجامع الأزهر- ترجمة القرآن الكريم غرض للسياسة وفقه في الدين، تعليم محمد الهياوى ١٣٥٥ هـ- ترجمة القرآن و كيف ندعو غير العرب إلى الإسلام، تأليف عبد الوكيل الدروبي، مكتبة دار الإرشاد بحمص- ترجمة القرآن و ما فيها من المفاصد و منافاة الإسلام، للسيد محمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر، الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م مقالة مجردة من تفسير المنار- جواز ترجمة القرآن بالفارسية في الشريعة الإسلامية، للأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمي الأفغانستاني الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م خاصة بالمؤلف- حدث الأحداث في الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن، بقلم الشيخ محمد سليمان، المطبعة السلفية بمصر ١٣٥٥ هـ- حجة الله على خليفته في بيان حقيقة القرآن و حكم كتابته و ترجمته، للعلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي، المطبعة اليوسفية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ / ١٩٣٢ م على نفقة جمعية الأزهر العلمية- بحث في ترجمة القرآن الكريم و أحكامها، للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر محمد مصطفى المراغي، مطبعة الرغائب ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م هدية مجلة الأزهر- رسالة في حكم ترجمة القرآن الكريم و قراءته و كتابته بغير اللغة العربية، للشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي، مطبعة مطر بمصر ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م- القرآن الكريم بدعية ترجمة ألفاظه و معانيه و تفسيره، تأليف عثمان عبد القادر الصافي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م- القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد، تأليف محمد مصطفى الشاطر، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م- القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية، للشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر الأسبق، مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م- كلمة حول ترجمة معاني القرآن الكريم، بقلم عبد العزيز خليل، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م- المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم للدكتور محمد صالح البنداق، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م- المعجزة الكبرى القرآن، للإمام محمد أبو زهرة ص ٥٨١ و ما بعدها، دار الفكر العربي، بدون ت.

مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ٢/ ٣: ٦٩ دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي و شركاؤه، بدون ت- النعمة القدسية في أحكام قراءة القرآن و كتابته بالفارسية و ما يتعلق بها من باقى الأحكام، تأليف حسن الشرنبلالى، المطبعة الرحمانية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ.

(٢)- انظر المعنى اللغوى:

أقرب الموارد في فصيح العريية و الشوارد، للعلامة السعيد سعيد الخوري الشرتوني اللبناني ١/ ٧٥ بدون ت و ط- دائرة المعارف المسماة مقتبس الأثر و مجدد ما دثر لمحمد الحسين الأعلمي ١٤/ ٣٩ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م- الرائد لجبران مسعود ١/ ٣٨٥ دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٨١ م- كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفاروقى التهانوى، حققه د/ لطفى عبد البديع ٣/ ٧٧، ٧٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م- الكليات لأبى البقاء العكبرى، تحقيق د. عدنان دروى، و محمد المصرى ص ٣١٣ مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م. لسان العرب لابن منظور ٣/ ١٦٠٣ تحقيق عبد الله الكبير و آخرين، دار المعارف بدون ت- مختار الصحاح للرازى، ترتيب محمود خاطر ص ٢٣٦ الأميرية بمصر ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م- المرجع لعبد الله العلالى ١/ ٥٣٩- المعجم العربى الأساسى، تأليف و إعداد جماعة من كبار اللغويين العرب ص ١٩٦، ١٩٧ المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، توزيع لاروس- معجم متن اللغة للعامه الشيخ أحمد رضا ١/ ٣٩١ دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦٠ م.

(٣)- انظر: أقرب الموارد ١/ ٧٥- ترجمة القرآن لعبد الوكيل الدروبي ص ٧. مناهل العرفان ٢/ ٥- القول السديد للشيخ الشاطر ص ١١.

(٤)- انظر: ترجمة القرآن لعبد الوكيل الدروبي ص ١٧- مناهل العرفان ٢/ ٥.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٨٤

(٥)- لسان العرب ٣/ ١٦٠٣.

(٦)- مختار الصحاح ص ٢٣٦، و انظر: أقرب الموارد ١/ ٧٥- ترجمة القرآن للدروبي ص ١٧- دائرة معارف الأعلمي ١٤/ ٣٩- المرجع للعلايلى ١/ ٥٣٩- المعجم العربى الأساسى ص ١٩٦، ١٩٧. معجم متن اللغة ١/ ٣٩١. مناهل العرفان ٢/ ٦- كشاف اصطلاحات الفنون ٣/ ٧٧، ٧٨.

(٧)- الرائد ١/ ٣٨٥- المرجع للعلايلى ١/ ٥٣٩- المعجم العربى الأساسى ص ١٩٦، ١٩٧- و انظر: ترجمة القرآن لعبد الوكيل الدروبي ص ١٧- مقالات الشيخ محمد شاكر و كيل الجامع الأزهر الأسبق ص ٦ المقالة الأولى فى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية، منشورة فى جريدة المقطم ١٠ أبريل ١٩٢٥ م- مناهل العرفان للزرقانى ٢/ ٦.

(٨)- انظر: مناهل العرفان للزرقانى ٢/ ٦، ٧.

(٩)- انظر: الأصلان فى علوم القرآن للدكتور القيعى ص ٣٧٢- مناهل العرفان ٢/ ٧.

(١٠)- انظر: ترجمة القرآن لعبد الوكيل الدروبي ص ١٨ و ما بعدها.

(١١)- انظر: ترجمة القرآن لعبد الوكيل الدروبي ص ١٨، ١٩.

(١٢)- انظر: الأصلان فى علوم القرآن للدكتور القيعى ص ٣٧٢- ترجمة القرآن لعبد الوكيل الدروبي ص ١٩، ٢٠- مناهل العرفان للزرقانى ٢/ ٧.

(١٣)- انظر: ترجمة القرآن لعبد الوكيل الدروبي ص ٢٠.

(١٤)- جزء من آية رقم (٦٦) سورة المائدة.

(١٥)- انظر: القول السديد فى حكم ترجمة القرآن المجيد، تأليف محمد مصطفى الشاطر ص ١١ و ما بعدها.

(١٦)- سورة الإسراء آية (٨٨).

(١٧)- انظر: الأصلان للدكتور القيعى ص ٣٧٣- مناهل العرفان للزرقانى ٢/ ٩- ترجمة القرآن لعبد الوكيل الدروبي ص ٢٠ و ما بعدها.

(١٨)- انظر: الأصلان فى علوم القرآن للدكتور محمد عبد المنعم القيعى ص ٣٧٣- مناهل العرفان للزرقانى ٢/ ١٠ و ما بعدها.

(١٩)- انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١٧/٢ و ما بعدها.

(٢٠)- انظر: الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، للأستاذ الشيخ محمد فريد وجدى ص ٣.

(٢١)- انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢٧/٢ و ما بعدها.

(٢٢)- سورة البقرة آيتا (١٥٩، ١٦٠).

(٢٣)- سورة يونس من آية (١٥).

(٢٤)- انظر: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٠٩ المكتبة الثقافية بيروت ١٩٧٣- البرهان في علوم القرآن للزركشى، تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم ١/٤٦٤ عيسى الحلبي الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/٢٣٢: ٢٣٦

فيصل عيسى الحلبي- كشف الأسرار عن أصول البزدوى ١/٦٧. دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م- المحلى لابن

حزم الظاهري ٣/٢٥٤- المجموع للنووي ٣/٣٧٩. المدونة برواية سحنون ١/٦٢- المغنى لابن قدامة ١/٥٢٦.

(٢٥)- التشكيل الكامل للجنة المصحف موضح بآخر البحث.

(٢٦)- التشكيل الكامل للجنة التفسير و لجنة القرآن و علومه، و الإعجاز العلمى للقرآن الكريم بآخر البحث.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٨٥

المحتويات

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٨٧

المحتويات مقدمة أ. د. محمود حمدى زقزوق

كلمة التحرير أ. د. على جمعة

أسماء المشاركين الوحي أ. د/ جودة محمد أبو اليزيد المهدي ١

أسباب النزول أ. د/ محمد السيد جبريل ٢٩

\* حقيقة سبب النزول (تعريف سبب النزول) ٢٩

\* أبرز المؤلفات فى سبب النزول ٣٣

\* طريق معرفة سبب النزول ٣٥

\* الصيغ التى يرد بها سبب النزول ٣٨

\* تنوع أسباب النزول ٤١

\* فوائد معرفة أسباب النزول ٤٣

\* عموم اللفظ و خصوص السبب ٥١

\* تعدد الروايات فى سبب النزول ٥٨

\* تعدد المنزل من القرآن و السبب واحد ٦٣

\* أثر الجهل بسبب النزول ٦٤

\* الفور أو التراخى فى سبب النزول ٦٧

\* من نزل فيهم القرآن ٧١

المبادئ العامة و القيم فى القرآن الكريم أ. د/ على جمعة محمد ٨٢

\* المبادئ العامة للقرآن الكريم ٨٢

\* القيم فى القرآن الكريم ٨٦

- القرآن وما يكتب فيه أ. د. / إبراهيم عبد الرحمن خليفة ٩٥
- \* القرآن «أسماءه وإطلاقاتها لغة و شرعا» ٩٥
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٨٨
- \* مسألة نزول القرآن على سبعة أحرف ١٠٩
- \* عروبة لغة القرآن و هل يقدح فيها المعرب؟ ١٣٠
- \* غريب القرآن ١٣٤
- \* منطوق القرآن و مفهومه ١٤٢
- \* عام القرآن و خاصه ١٥٠
- \* مطلق القرآن و مقيده ١٦٤
- \* مجمل القرآن و مبينه ١٦٨
- \* أحكام القرآن ١٧٣
- \* قصص القرآن ١٧٨
- \* محاورات القرآن و جدله ١٨٣
- \* أقسام القرآن ١٨٧
- \* الأسماء و الكنى و الألقاب فى القرآن ١٩٥
- \* الموصول لفظا المفصول معنى ١٩٨
- \* خواص القرآن ٢٠٠
- \* جمع القرآن ٢٠١
- \* كتابة القرآن ٢١١
- \* المصحف نقطه و شكله ٢١٣
- السور القرآنية أ. د. / عبد البديع أبو هاشم ٢١٩
- التفسير و المفسرون أ. د. / جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار ٢٤١
- القراءات و القراء أ. د. / عبد الغفور محمود مصطفى ٣٠٦
- \* القراء السبعة ٣٤٢
- \* المكملون للعشرة ٣٤٨
- \* المؤلفون فى القراءات ٣٥٠
- علم التجويد فى القرآن الكريم أ. د. / السيد إسماعيل على سليمان ٣٥٩
- \* مراتب التلاوة ٣٦١
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٨٩
- \* مخارج الحروف ٣٦٥
- \* صفات الحروف ٣٦٧
- \* التفخيم و الترقيق ٣٧٢
- \* أحكام النون الساكنة و التنوين ٣٧٦

- \* الغنة و أحكامها و أقوال العلماء فى ذلك ٣٨١
- \* تعريف الميم الساكنة و أحكامها ٣٨٣
- \* اللامات السواكن ٣٨٥
- \* المثان و المتقاربان و المتجانسان و المتباعدان ٣٨٨
- \* فى المد و القصر ٣٩٠
- \* الوقف و الابتداء ٤٠٠
- \* الوقف على آخر الكلم ٤٠٧
- \* النقل و غيره من سبل تخفيف الهمزة ٤١٢
- \* الإمالة و التقليل ٤١٤
- \* المقطوع و الموصول ٤١٥
- \* همزتا الوصل و القطع ٤١٩
- \* تلاوة القرآن الكريم ٤٢٣
- \* تنكيس القراءة ٤٣٢
- \* نسيان القرآن ٤٣٦
- \* ختم القرآن ٤٣٨
- \* الجرس القرآنى ٤٤٠
- \* الاستماع عند التلاوة ٤٤٢
- \* الاقتباس من القرآن ٤٤٤
- بلاغة القرآن أ. د/ عبد العظيم إبراهيم المطعنى ٤٤٤
- \* الخبر ٤٤٤
- \* الإنشاء ٤٤٩
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٩٠
- \* الإطناب ٤٥٤
- \* التتميم ٤٥٦
- \* التذليل ٤٥٨
- \* التكرار ٤٦٠
- \* التكميل ٤٦٣
- \* الاعتراض ٤٦٦
- \* الاستقصاء ٤٦٩
- \* الإيضاح ٤٧١
- \* الإيغال ٤٧٣
- \* الإيجاز ٤٧٥
- \* الإيجاز بالحذف ٤٧٨



- \* الإيجاز بحذف الأداة ٤٨٠
- \* الإيجاز بحذف الكلمة المفردة ٤٨٢
- \* الإيجاز بحذف التراكيب ٤٨٥
- \* الإيجاز بحذف الجملة ٤٨٨
- \* الاحتباك ٤٩١
- \* إيجاز القصر ٤٩٣
- \* الفواصل ٤٩٥
- \* الفصل ٤٩٨
- \* الوصل ٥٠٢
- \* الإخراج على خلاف الظاهر ٥٠٤
- \* الالتفات ٥٠٨
- \* القصر ٥١١
- \* المجاز العقلي ٥١٤
- \* التشبيه ٥١٦
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٩١
- \* التمثيل ٥٢٣
- \* المجاز المرسل ٥٢٩
- \* الاستعارة ٥٣١
- \* الاستعارة التصريحية ٥٣٤
- \* الاستعارة الأصلية ٥٣٦
- \* الاستعارة التبعية ٥٣٨
- \* الاستعارة التمثيلية ٥٤١
- \* الاستعارة المرشحة ٥٤٣
- \* الاستعارة المجردة ٥٤٥
- \* الاستعارة المطلقة ٥٤٧
- \* الاستعارة المكنية ٥٤٩
- \* الكناية ٥٥٢
- \* البديع ٥٥٨
- إعراب القرآن أ. د/ محمد بكر إسماعيل ٥٧٣
- \* محكم القرآن و متشابهه ٥٧٩
- \* المكي و المدني ٥٨٨
- \* نزول القرآن الكريم ٥٩٤
- \* الوجوه و النظائر في القرآن ٦٠٢

- \* مبهمات القرآن ٦٠٨
- \* موهم الاختلاف و التناقض ٦٢٤
- \* النسخ فى القرآن ٦٣٢
- الإعجاز البيانى فى القرآن الكرىم أ. د/ محمد رجب اللىومى ٦٥١
- الإعجاز المعاصر أ. د/ محمد رجب اللىومى ٦٧٦
- الإعجاز العلمى للقرآن الكرىم أ. د/ أحمد فؤاد باشا ٦٩٢
- مفردات قرآنية أ. د/ عبد الحى الفرماوى ٧٢٤
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٩٢
- \* الأرض المقدسة ٧٢٤
- \* الآزفة ٧٢٥
- \* أساطير الأولين - الأسباط ٧٢٦
- \* الإفك - الأكنة - أصحاب الأيكة ٧٢٧
- \* أصحاب الكهف ٧٢٨
- \* الإنابة - الأنصاب و الأزلام ٧٣٠
- \* الباقيات الصالحات ٧٣١
- \* البحيرة ٧٣٢
- \* البر ٧٣٣
- \* التقوى ٧٣٤
- \* التناز بالألقاب ٧٣٦
- \* التوبة ٧٣٧
- \* الجبت و الطاغوت ٧٣٨
- \* الجوابى - الحاقة ٧٣٩
- \* حدود الله - الحرث ٧٤٠
- \* الحنفاء ٧٤١
- \* الحواريون - الحميم - الحمولة ٧٤٢
- \* الحور العين ٧٤٣
- \* الخلود - الخير ٧٤٥
- \* الدين القيم ٧٤٦
- \* روح القدس - الرقوم ٧٤٧
- \* السائبة ٧٤٨
- \* السبع الطرائق - السكينة ٧٤٩
- \* شعائر الله ٧٥٠
- \* الشهر الحرام ٧٥١

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٩٣

\* الصاخة ٧٥٢

\* الصاعقة ٧٥٣

\* صبغة الله - الصيحة ٧٥٤

\* الغيب ٧٥٥

\* الفتح ٧٥٦

\* الفتنة ٧٥٧

\* فطرة الله ٧٥٨

\* القارعة - القرار المكين ٧٦٠

\* الماء المهين - مجمع البحرين ٧٦١

\* المعارج - الموءودة ٧٦٣

\* المودة و القربى ٧٦٤

\* الهداية ٧٦٦

\* الوادى المقدس ٧٦٧

الإنسان فى القرآن الكريم أ. د/ عبد الحى الفرماوى ٧٧٠

السنن الإلهية فى القرآن الكريم أ. د/ مصطفى الشكعة ٨٠٨

\* فى رحاب القرآن الكريم ٨٠٨

\* مفهوم السنن الإلهية لغه و مصطلحا ٨١٤

\* سنن الإيمان بوحدانية الله و تنزيهه سبحانه ٨١٧

\* جزاء الإيمان بالله و ثوابه ٨١٩

\* سنة الله مع الكفر و الكافرين ٨٢١

\* توصيف القرآن لطوائف الكافرين ٨٢٤

\* تتابع سنتى الإيمان و العصيان فى آية واحدة أو أكثر ٨٢٩

\* سنن الخلق ٨٣٢

\* السنن الإلهية فى خلق الأرض ٨٤٣

ترجمة معانى القرآن الكريم هيئة التحرير ٨٥٩

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٩٤

\* تعريف الترجمة ٨٦٠

\* أقسام الترجمة ٨٦٣

\* الحاجة إلى الترجمة ٨٦٧

\* الترجمة الجائزة ٨٦٩

\* الصلاة بالترجم ٨٧٢

\* تجربة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٨٧٤

- القرار الوزاري بإنشاء لجنة التفسير للقرآن الكريم ٨٧٧
- القرار الوزاري بإنشاء لجنة للإشراف على تحفيظ القرآن الكريم ٨٧٩
- أعضاء لجنة القرآن الكريم وعلومه ٨٨١
- أعضاء لجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ٨٨٢

### فهرس المحتويات

٨٨٤

الفهرس الهجائي ٨٩٥

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٩٥

### الفهرس الهجائي

- \* أسباب النزول ٢٩
- \* حقيقة سبب النزول ٢٩
- \* مؤلفات سبب النزول ٣٣
- \* معرفة سبب النزول ٣٥
- \* طريق معرفة سبب النزول ٣٥
- \* صيغ سبب النزول ٣٨
- \* تنوع أسباب النزول ٤١
- \* فوائد معرفة أسباب النزول ٤٣
- \* عموم اللفظ وخصوص السبب ٥١
- \* تعدد الروايات في سبب النزول ٥٨
- \* تعدد المنزل من القرآن والسبب واحد ٦٣
- \* أثر الجهل بسبب النزول ٦٤
- \* الفور أو التراخي في سبب النزول ٦٧
- \* من نزل فيهم القرآن ٧١
- \* المبادئ العامة للقرآن الكريم ٨٢
- \* القيم في القرآن الكريم ٨٦
- \* أسماء القرآن وإطلاقاتها ٩٥
- \* القرآن و ما يكتب فيه ٩٥
- \* نزول القرآن على سبعة أحرف ١٠٩
- \* عروبة لغة القرآن ١٣٠
- \* هل يقدر المعرب في عروبة القرآن ١٣٠
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٩٤

- \* غريب القرآن ١٣٤
- \* منطوق القرآن و مفهومه ١٤٢
- \* عام القرآن و خاصه ١٥٠
- \* مطلق القرآن و مقيده ١٦٤
- \* مجمل القرآن و مبينه ١٦٨
- \* أحكام القرآن ١٧٣
- \* قصص القرآن ١٧٨
- \* محاورات القرآن و جدله ١٨٣
- \* أقسام القرآن ١٨٧
- \* الأسماء و الكنى و الألقاب فى القرآن ١٩٥
- \* الموصول لفظا المفصول معنى ١٩٨
- \* خواص القرآن ٢٠٠
- \* جمع القرآن ٢٠١
- \* كتابة القرآن ٢١١
- \* نقط المصحف و شكله ٢١٣
- \* السور القرآنية ٢١٩
- \* التفسير و المفسرون ٢٤١
- \* القراءات و القراء ٣٠٦
- \* القراء السبعة ٣٤٢
- \* المكملون للعشرة ٣٤٨
- \* المؤلفون فى القراءات ٣٥٠
- \* علم التجويد ٣٥٩
- \* مراتب التلاوة ٣٦١
- \* مخارج الحروف ٣٦٥
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٩٧
- \* صفات الحروف ٣٦٧
- \* التفخيم و الترقيق ٣٧٢
- \* أحكام النون الساكنة و التنوين ٣٧٦
- \* الغنة و أحكامها ٣٨١
- \* الميم الساكنة و أحكامها ٣٨٣
- \* اللامات السواكن ٣٨٥
- \* المثان و المتقاربان و المتجانسان و المتباعدان ٣٨٨
- \* المد و القصر ٣٩٠

- \* الوقف و الابتداء ٤٠٠
- \* الوقف على آخر الكلم ٤٠٧
- \* النقل و غيره من سبل تخفيف الهمزة ٤١٢
- \* الإمالة و التقليل ٤١٤
- \* المقطوع و الموصول ٤١٥
- \* همزتا الوصل و القطع ٤١٩
- \* تلاوة القرآن الكريم ٤٢٣
- \* تنكيس القراءة ٤٣٢
- \* نسيان القراءة ٤٣٢
- \* ختم القرآن ٤٣٨
- \* الجرس القرآنى ٤٤٠
- \* الاستماع عند التلاوة ٤٤٢
- \* الاقتباس من القرآن ٤٤٤
- \* بلاغة القرآن ٤٤٦
- \* الخبر ٤٤٦
- \* الإنشاء ٤٤٩
- الموسوعة القرآنية المتخصصة م ٥٧
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٩٨
- \* الإطناب ٤٥٤
- \* التتميم ٤٥٦
- \* التذليل ٤٥٨
- \* التكرار ٤٦٠
- \* التكميل ٤٦٣
- \* الاعتراض ٤٦٦
- \* الاستقصاء ٤٦٩
- \* الإيغال ٤٧٣
- \* الإيجاز ٤٧٥
- \* الإيجاز بالحذف ٤٧٨
- \* الإيجاز بحذف الأداة ٤٨٠
- \* الإيجاز بحذف الكلمة المفردة ٤٨٢
- \* الإيجاز بحذف التراكيب ٤٨٥
- \* الإيجاز بحذف الجملة ٤٨٨
- \* الاحتباك ٤٩١

- \* إيجاز القصر ٤٩٣
- \* الفواصل ٤٩٥
- \* الفصل ٤٩٨
- \* الوصل ٥٠٢
- \* الإخراج على خلاف الظاهر ٥٠٤
- \* الالتفات ٥٠٨
- \* القصر ٥١١
- \* المجاز العقلي ٥١٤
- \* التشبيه ٥١٦
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٨٩٩
- \* التمثيل ٥٢٣
- \* المجاز المرسل ٥٢٩
- \* الاستعارة ٥٣١
- \* الاستعارة التصريحية ٥٣٤
- \* الاستعارة الأصلية ٥٣٦
- \* الاستعارة التبعية ٥٣٨
- \* الاستعارة التمثيلية ٥٤١
- \* الاستعارة المرشحة ٥٤٣
- \* الاستعارة المجردة ٥٤٥
- \* الاستعارة المطلقة ٥٤٧
- \* الاستعارة المكنية ٥٤٩
- \* الكناية ٥٥٢
- \* البديع ٥٥٨
- \* إعراب القرآن ٥٧٣
- \* محكم القرآن و متشابهه ٥٧٩
- \* المكي و المدني ٥٨٨
- \* نزول القرآن الكريم ٥٩٤
- \* الوجوه و النظائر في القرآن ٦٠٢
- \* مبهمات القرآن ٦٠٨
- \* موهم الاختلاف و التناقض ٦٢٤
- \* النسخ في القرآن ٦٣٢
- \* الإعجاز البياني في القرآن الكريم ٦٥١
- \* الإعجاز المعاصر ٦٧٦



\* الإعجاز العلمى للقرآن الكريم ٦٩٢

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٠٠

\* مفردات قرآنية ٧٢٤

\* الأرض المقدسة ٧٢٤

\* الآزفة ٧٢٥

\* أساطير الأولين ٧٢٦

\* الأسباط ٧٢٦

\* الإفك ٧٢٦

\* الأكنة ٧٢٦

\* أصحاب الأيكة ٧٢٧

\* أصحاب الكهف ٧٢٨

\* الإنابة ٧٣٠

\* الأنصاب و الأزلام ٧٣٠

\* الباقيات الصالحات ٧٣١

\* البحيرة ٧٣٢

\* البر ٧٣٣

\* التقوى ٧٣٤

\* التنازع بالألقاب ٧٣٦

\* التوبة ٧٣٧

\* الجبت و الطاغوت ٧٣٨

\* الجوابى ٧٣٩

\* الحاقفة ٧٣٩

\* حدود الله تعالى ٧٤٠

\* الحرث ٧٤٠

\* الحنفاء ٧٤١

\* الحمولة ٧٤٢

الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٠١

الحميم ٧٤٢

\* الحواريون ٧٤٢

\* الحور العين ٧٤٣

\* الخلود ٧٤٥

\* الخير ٧٤٥

\* الدين القيم ٧٤٦

- \* روح القدس ٧٤٧
- \* الزقوم ٧٤٧
- \* السائبة ٧٤٨ الموسوعة القرآنية المتخصصة النص ٩٠١ الفهرس الهجائي
- السبع الطرائق ٧٤٩
- \* السكينة ٧٤٩
- \* شعائر الله ٧٥٠
- \* الشهر الحرام ٧٥١
- \* الصاخة ٧٥٢
- \* الصاعقة ٧٥٣
- \* صبغة الله ٧٥٤
- \* الصيحة ٧٥٤
- \* الغيب ٧٥٥
- \* الفتح ٧٥٦
- \* الفتنة ٧٥٧
- \* فطرة الله ٧٥٨
- \* القارعة ٧٦٠
- \* القرار المكين ٧٦٠
- \* الماء المهين ٧٦١
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص، ص: ٩٠٢
- \* مجمع البحرين ٧٦١
- \* المعارج ٧٦٣
- \* الموءودة ٧٦٣
- \* الموءودة في القربى ٧٦٤
- \* الهداية ٧٦٦
- \* الوادى المقدس ٧٦٧
- \* الإنسان فى القرآن ٧٧٠
- \* السنن الإلهية فى القرآن الكريم ٨٠٨
- \* فى رحاب القرآن الكريم ٨٠٨
- \* مفهوم السنن الإلهية لغه و مصطلحا ٨١٤
- \* سنن الإيمان بوحدانية الله و تنزيهه سبحانه ٨١٧
- \* جزاء الإيمان بالله و ثوابه ٨١٩
- \* سنة الله مع الكفر و الكافرين ٨٢١
- \* توصيف القرآن لطوائف الكافرين ٨٢٤

\* تتابع سنتى الإيمان و العصيان فى آيه واحدة أو أكثر ٨٢٩

\* سنن الخلق ٨٣٢

\* السنن الإلهية فى خلق الأرض ٨٤٣

\* ترجمه معانى القرآن الكريم ٨٥٩

\* أقسام الترجمة ٨٦٣

\* الحاجة إلى الترجمة ٨٦٧

\* الترجمة الجائزة ٨٦٩

\* تعريف الترجمة ٨٧٠

\* الصلاة بالترجم ٨٧٢

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رحمه الله - كان أحدًا من جهايدة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقليين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسايل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايت المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.

- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" [www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com) و عدّه مواقع أُخرَ

(ه) إنتاج المُنتجات العرضية، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإِطلاق و الدّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الديتية كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسة

(ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السّنة

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفترق" و فائى/ "بنايه" القائمية"  
تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٤

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الالكترونى: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الانترنتى: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعية، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفى الحجم المترايد و المتسع للامور الديتية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولىّ التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

